اهداء الكتاب

الى ... العلوم ... والمعارف ... [illegible]

... السالكين ... [illegible]

... ولا ... ذلك ... [illegible]

الأسرار ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible]

[illegible]

[illegible]

... شارع ... الازهر ...

سنة ١٣٤٧هـ — ١٩٢٨م

[illegible]

دار ... للطبع والنشر : بشارع ... [illegible]

خير ما يفتتح به القارى الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحج مكية

(إلا ست آيات من هذان خصمان إلى صراط الحميد)

وهى ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(ياأيها الناس اتقوا ربكم) خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك إلى يوم القيامة وان كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه الذى مر تقريره في مطلع سورة النساء. ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة. وأما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها الاناث حقيقة إلا عند الحنابلة والمأمور به مطلق التقوى الذى هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا أوليا. والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد الأمر وتأكيد إيجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا أى احذروا عقوبة مالك أموركم ومربيكم وقوله تعالى (إن زلزلة الساعة شىء عظيم) تعليل لموجب الأمر بذكر بعض عقوباته الهائلة فإن ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هى من مباديه ومقدماته من الأحوال والأهوال التى لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته

لاحالة . والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل
لاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها . واضافتها الى الساعة إما إضافة المصدر
لى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي تزلزل الاشياء أو إضافته الى الظرف إما باجرائه
رى المفعول به اتساعا أو بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار . وهي الزلزلة
ذكورة في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها . عن الحسن أنها تكون يوم القيامة
ن ابن عباس رضي الله عنهما زلزلة الساعة قيامها . وعن علقمة والشعبي انها قبل
وع الشمس من مغربها فاضافتها إلى الساعة حينئذ لكونها من أشراطها . وفي التعبير
ها بالشيء ايذان بأن العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها إلا
وجه الابهام وقوله تعالى (يوم ترونها) منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به
ضمير للزلزلة أي وقت رؤيتكم اياها ومشاهدتكم لهول مطلعها (تذهل كل مرضعة)
مباشرة للارضاع (عما أرضعت) أي تغفل وتذهل مع دهشة عما هي بصدد
ضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها . والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول وكونه
يث لا يخطر ببالها انه ماذا لا أنها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه
ل ما مصدرية أي تذهل عن ارضاعها والاول أدل على شدة الهول وكمال الانزعاج
رئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول أو مبنيا للفاعل مع نصب كل أي تذهلها
زلزلة (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تلقي جنينها لغير تمام كما أن المرضعة تذهل
ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي . وأما على ما روي عن ابن
س رضي الله عنهما فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر . وفيه ان الامر حينئذ أشد من
وأعظم وأهول مما وصف وأطم . وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم
مون على ما صعقوا في النفخة الأولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على
ا ولا ريب في أن قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور
ذكر (وترى الناس) بفتح التاء والراء على خطاب كل أحد من المخاطبين برؤية
زلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما أن المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها
جميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم
ل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة
المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لأن مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كأنه
ل ويصير الناس سكارى الخ وانما أوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك
الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على أحد أي يراهم كل أحد

(سكارى) أى كأنهم سكارى (وماهم بسكارى) حقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فيرهقهم هوله ويطير عقولهم ويسلب تمييزهم فهو الذى جعلهم كما وصفوا وقرىء ترى بضم التاء وفتح الراء مسند إلى المخاطب من أريتك قائماً أو رؤيتك قائماً والناس منصوب اى تظنهم سكارى . وقرىء برفع الناس على إسناد الفعل المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعة.وقرىء ترى بضم التاء وكسر الراء أى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى.وقرىء سكرى وسكرى كعطشى وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل (ومن الناس) كلام مبتدأ جيء به إثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة عن البعث بياناً لحال بعض المنكرين لها, ومحل الجار الرفع على الابتداء إما بحمله على المعنى أو بتقدير مايتعلق به كما مر مراراً أى وبعض الناس أو وبعض كائن من الناس (من يجادل في الله) أى في شأنه تعالى ويقول فيه مالا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى (بغير علم) حال من ضمير يجادل موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل أى ملابساً بغير علم روى أنها نزلت في النضر بن الحرث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهى عامة له ولأضرابه من العتاة المتمردين (ويتبع) أى فيما يتعاطاه من المجادلة أو في كل ما يأتى وما يذر من الامور الباطلة التى من جملتها ذلك (كل شيطان مريد) عات متمرد متجرد للفساد وأصله العرى المنبىء عن التمحص له كالتشمر ولعله مأخوذ من تجرد المصارعين عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى (كتب عليه) أى على الشيطان صفة أخرى له وقوله تعالى (أنه) فاعل كتب والضمير للشان أى رقم به لظهور ذلك من حاله أن الشان (من تولاه) أى اتخذه وليا وتبعه (فانه يضله) بالفتح على أنه خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط أى من تولاه فشأنه أنه يضله عن طريق الجنة أو طريق الحق أو فحق أنه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على أنه وفيه من التعسف مالا يخفى وقيل وقيل مما لا يخلو عن التمحل والتأويل. وقرىء فانه بالكسر على انه خبر لمن أو جواب لها . وقرىء بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يأمر بالعدل والاحسان أو على اضمار القول أو تضمين الكتب معناه على رأى من يراه.(ويهديه الى عذاب السعير) بحمله على مباشرة ما يؤدى اليه من السيآت (يا أيها الناس) اثر ما حكى احوال المجادلين ...

علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث (ان كنتم في ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدورا له تعالى أو من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب . والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة مع أنهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر تحققهم في ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على أن يقال ان ارتبتم في البعث فقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا (فانا خلقناكم) أى فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم أى خلقنا كل فرد منكم (من تراب) في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البشرية مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقاً للكل منه كما مر تحقيقه مرارا (ثم من نطفة) أى ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة أى من مني من النطف الذي هو الصب (ثم من علقة) أى قطعة من الدم جامدة متكونة من المني (ثم من مضغة) أى قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ (مخلقة) بالجر صفة مضغة أى مستبينة الخلق مصورة (وغير مخلقة) أى لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها أولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة أن يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما أخرت عنها لأنها عدم الملكة هذا وقد فسرتا بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة وليس بذاك . وفي جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق ما بعدها من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة الآية مزيد دلالة على عظم قدرته تعالى وكسر لسورة استبعادهم (لنبين لكم) متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا أى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقائق والدقائق التي من جملتها سر البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجي تأملا حقيقا جزم جزما ضروريا بأن من قدر على خلق البشر أولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد أخرى وتصريفه في أطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو أهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى (ونقر في الارحام ما نشاء) استئناف مسوق لبيان

حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظم هذا وما عطف عليه فى سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متمماته ومن مبادى التبيين أيضا لما أن دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع المقدورات التي من جملتها البعث المبحوث عنه أجلى وأظهر أى ونحن نقر فى الارحام بعد ذلك ما نشاء أن نقره فيها (الى أجل مسمى) هو وقت الوضع وأدناه ستة أشهر وأقصاه سنتان وقيل أربع سنين. وفيه اشارة الى أن بعض ما فى الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقه فتسقطه. والتعرض للازلاق لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح فى أن المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا أو معيبا وأن ما فصل الى هنا هى الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة. وقرئ ويقر بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت الماء اذا صببته (ثم نخرجكم) أى من بطون أمهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى (طفلا) أى حال كونكم أطفالا. والافراد باعتبار كل واحد منهم أو بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد. وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى (ثم لتبلغوا أشدكم) علة لنخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل والتمييز وقيل ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف على ذينك مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما أن نبين شئوننا والثانية أن نقركم فى الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا أشدكم. وتقديم التبيين على ما بعده مع أن حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته فى الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدى الى السعادة والشقاوة. وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على الابلاغ مسندا اليه تعالى كالأفعال السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والافعال والاشد من ألفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالاسدة والقتود وكأنها حين كانت شدة فى غير شيء بنيت على لفظ الجمع (ومنكم من يتوفى) أي بعد بلوغ الأشد أو قبله. وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اى يتوفاه الله تعالى (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) وهو الهرم والخرف. وقرئ بسكون الميم. وايراد الرد والتوفى على صيغة المبنى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء لتعين الفاعل (لكيلا يعلم من بعد علم) أى علم كثير (شيأ) أى شيئا من الاشياء أو شيأ من العلم مبالغة فى انتقاص علمه وانتكاس حاله. أى ليعود إلى ما كان عليه فى أوان الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل

وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى (وترى الأرض هامدة) حجة أخرى على صحة البعث والخطاب لكل أحد ممن تتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية وهامدة حال من الأرض أي ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رمادا (فإذا أنزلنا عليها الماء) أي المطر (اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) انتفخت وازدادت وقرئ ربأت أي ارتفعت (وأنبتت من كل زوج) أي صنف (بهيج) حسن رائق يسر ناظره (ذلك بأن الله هو الحق) كلام مستأنف جيء به إثر تحقيق حقية البعث وإقامة البرهان عليه من العالمين الإنساني والنباتي لبيان أن ذلك من آثار ألوهيته تعالى وأحكام شؤونه الذاتية والوصفية والفعلية وأن ما ينكرونه من وجود بل إمكانه من إتيان الساعة والبعث من أسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الأنفس والآفاق ومبادئ صدورها عنه تعالى وفيه من الإيذان بقوة الدليل وأصالة المدلول في التحقق وإظهار بطلان إنكاره ما لا يخفى فإن إنكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك إشارة إلى ما ذكر من خلق الإنسان على أطوار مختلفة وتصريفه في أحوال متباينة وإحياء الأرض بعد موتها وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور أي ذلك الصنع البديع حاصل بسبب أنه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وأفعاله المحقق لما سواه من الأشياء (وأنه يحيي الموتى) أي أن شأنه وعادته إحياؤها وحاصله أنه تعالى قادر على إحيائها بدءا وإعادة وإلا لما أحيا النطفة والأرض الميتة مرارا بعد مرار وما تفيده صيغة المضارع من التجدد إنما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها لا باعتبار نفسها (وأنه على كل شيء قدير) أي مبالغ في القدرة وإلا لما أوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر وأما الاستدلال على ذلك بأن قدرته تعالى لذاته الذي نسبته إلى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها فمنبوذ العقول عما سيق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص إحياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الأشياء المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لإبراز الاعتناء به (وأن الساعة آتية) أي فيما سيأتي وإيثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق إتيانها وتقرره ألبتة لاقتضاء الحكمة إياه لا محالة وتعليله بأن

التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه مبني على ماذكر من الغفول وقوله تعالى (لا ريب فيها) إما خبر ثان لان أو حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي الريب عنها أنها في ظهور أمرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة أن يرتاب في إتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة. والجملة عطف على المجرور بالباء كالفعل بما من من الجملتين داخلة مثلهما في حيز السببية وكذا قوله عز وجل (وأن الله يبعث من في القبور) لكن لا من حيث أن اتيان الساعة وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من أفاعيله تعالى تأثير القدرة فيها بل من حيث إن كلا منهما سبب داع له عز وجل بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة إلى ماذكر من خلقهم ومن إحياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على مكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الأبدية ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من أحكام حقيته تعالى في أفعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما أن ماقبله من أحكام حقيته تعالى في صفاته وكونها في نهاية الكمال وقد جعل إتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كأنه قيل ذلك بسبب أنه تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وأنه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد بالساعة والبعث فلا بد أن يفي بما وعد. وأنت خبير بأن مآله الاستدلال بحكمته تعالى على إتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان وإحياء الارض فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى «وأن الساعة آتية» ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير والأمر أن الساعة آتية وأن الثانية معطوفة على الأولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بأن الله هو الحق الآيتين (ومن الناس من يجادل في الله) هو أبو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما أن الأول من يقلدهم على أن الشيطان عبارة عن المضل المغوي على الاطلاق (بغير علم) متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضروري كما أن المراد بالهدى في قوله تعالى (ولا هدى) هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادي إلى المعرفة (ولا كتاب منير) وحي مظهر للحق أي يجادل في شأنه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى «ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم» وأما

ما قيل من أن المراد به المجادل الاول والتكرير للتأكيد والتمهيد لما بعده من بيان أنه لا سند له من استدلال أو وحي فلا يساعده النظم الكريم. كيف لا وأن وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي (ثاني عطفه) حال أخرى من فاعل يجادل أي عاطفاً لجانبه وطاوياً كشحه معرضاً متكبراً فان ثني العطف كناية عن التكبر. وقرىء بفتح العين أي مانعاً لتعطفه (ليضل عن سبيل الله) متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بأنه اضلال والمراد به إما الاخراج من الهدى إلى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين أو الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم وإما التثبيت على الضلال أو الزيادة عليه مجازاً فالمفعول هم الكفرة خاصة. وقرىء بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث أن المراد به الضلال المبين الذي لا هداية له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك (له في الدنيا خزي) جملة مستأنفة مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة أي يثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما أصابه يوم بدر من القتل والصغار (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) أي النار المحرقة (ذلك) أي ما ذكر من العذاب الدنيوي والأخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بما قدمت يداك) أي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي. واسناده إلى يديه لما أن الاكتساب عادة يكون بالايدي. والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل أن في قوله عز وعلا (وأن الله ليس بظلام للعبيد) الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم. والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعاً على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلماً بالغاً قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها. وأما ما قيل من أن محل أن هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الأنفال (ومن الناس من يعبد الله على حرف) شروع في بيان حال المذبذبين إثر بيان حال المجاهرين أي ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي ينحرف إلى طرف الجيش فان أحس بظفر قر وإلا فر (فان أصابه خير) أي دنيوي من الصحة والسعة (اطمأن به) أي ثبت على ما كان عليه ظاهراً لا أنه اطمأن به اطمئنان المؤمنين الذي لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف (وان أصابته فتنة) أي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه أو أهله أو ماله (انقلب على وجهه) روي أنها نزلت في أعاريب قدموا المدينة وكان أحدهم اذا صح بدنه

ونتجت فرسه مهراً سرياً وولدت امرأته ولداً سوياً وكثر ماله وماشيته قال ما أصبت
منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً واطمأن. وإن كان الأمر بخلافه قال ما أصبت إلا شراً
وانقلب. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن يهودياً أسلم فأصابته مصائب فتشاءم
بالإسلام فأتى النبي عليه الصلاة والسلام فقال أقلني فقال عليه السلام إن الإسلام
لا يقال، فنزلت. وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم (خسر الدنيا والآخرة) فقدهما وضيعهما
بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسرا بالنصب على الحال والرفع على
الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه أو على أنه خبر مبتدأ محذوف
(ذلك) أي ما ذكر من الخسران. وما فيه من معنى البعد للإيذان بكونه في غاية ما
يكون (هو الخسران المبين) الواضح كونه خسرانا إذ لا خسران مثله (يدعو من
دون الله) استئناف مبين لعظم الخسران أي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى (ما لا
يضره) إذا لم يعبده (وما لا ينفعه) إن عبده أي جماداً ليس من شأنه الضر والنفع
كما يلوح به تكرير كلمة ما (ذلك) الدعاء (هو الضلال البعيد) عن الحق والهدى
مستعار من ضلال من أبعد في التيه ضالا عن الطريق (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه)
استئناف مسوق لبيان مآل دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع إزاحة ما عسى
يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبب أيضا فالدعاء
بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وضره مبتدأ ثان خبره
أقرب والجملة صلة للمبتدأ الأول وقوله تعالى (لبئس المولى ولبئس العشير) جواب لقسم
مقدر هو وجوابه خبر للمبتدأ الأول. وإيثار من على ما مع كون معبوده جمادا وإيراد
صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والإمعان في ذمه أي
يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار
بسببه ولا يرى منه أثر النفع أصلا لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو
ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية. ويجوز أن يكون
يدعو الثاني إعادة للأول لا تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال
معبوده إثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كأنه قيل من
جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره أقرب
من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به. وقيل
اللام زائدة ومن مفعول يدعو وتؤيده القراءة بغير لام أي يعبد من ضره أقرب من
نفعه. وإيراد كلمة من وصيغة التفضيل تهكم به أيضا والجملة القسمية مستأنفة (إن الله

يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات) استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله عز وجل يتفضل عليهم بما لاغاية وراءه من أجل المنافع وأعظم الخيرات إثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقي المهاجرين والمذبذبين وأن معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وأنهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى (تجري من تحتها الانهار) صفة لجنات فان أريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان أريد بها الارض فلابد من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في أوائل سورة البقرة وقوله تعالى (إن الله يفعل ما يريد) تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق أي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعقاب من أشرك به وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وعلا (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) تحقيقاً لها وتقريرا لثبوتها على أبلغ وجه وآكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من أعاديه وحساده ويظن أن لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة مايرده من المكايد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى أمره وعاقبة مكره أن يختنق حنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته ومباديه (فليمدد بسبب الى السماء) فليمدد حبلا الى سقف بيته (ثم ليقطع) أي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على أن المراد به فرض القطع وتقديره كما أن المراد بالنظر في قوله تعالى (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) تقدير النظر وتصويره أي فليتصور في نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذي هو أقصى ما انتهت اليه قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا. ويجوز أن يراد فلينظر الآن أنه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا إلى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فليجتهد في دفع نصره ويأباه أن مساق النظم الكريم بيان أن الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ ومن البين أن لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر

عليه لاسيما قطع الوحي فان فرض وقوعه مخل بالمرام قطعاً وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله ورسوله عليه الصلاة والسلام من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عليه السلام ويخشون ان لا يثبت أمره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى أن الأرزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته تعالى فلابد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن أن الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة ولا يرده مرزوقاً (وكذلك) أي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة (أنزلناه) أي القرآن الكريم كله وقوله تعالى (آيات بينات) أي واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما أشير اليه بذلك (وأن الله يهدي) به ابتداء أو يثبت على الهدى أو يزيد فيه (من يريد) هدايته أو تثبيته أو زيادته فيها ومحل الجملة إما الجر على حذف الجار المتعلق بمحذوف مؤخر أي ولأن الله يهدي من يريد إنزاله كذلك أو الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف أي والامر ان الله يهدي من يريد هدايته (ان الذين آمنوا) أي بما ذكر من الآيات البينات بهداية الله تعالى أو بكل ما يجب أن يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا (والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل أخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم أصلين نورا وظلمة (والذين أشركوا) هم عبدة الاصنام وقوله تعالى (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) في حيز الرفع على أنه خبر لأن السابقة. وتصدير طرفي الجملتين بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتأكيد أي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء بأثابة الاول وعقاب الثاني بحسب استحقاق أفراد كل منهما وقوله تعالى (ان الله على كل شيء شهيد) تعليل لما قبله من الفصل أي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لأحواله ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق به عليه وقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض) الخ بيان لما يوجب الفصل المذكور من أعمال الفرق المذكورة مع الاشارة إلى كيفيته وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة إثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التي من جملتها أحوالهم وأفعالهم . والمراد بالرؤية العلم عبر عنها بها إشعارا بظهور المعلوم

والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية بناء على أنه من الجلاء بحيث لا يخفى على أحد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه بأكمل أفعال المكلف في باب الطاعة ايذانا بكونه في أقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم أيضا وهو الانسب بالمقام لافادته شمول الحكم لكل مافيهما بطريق القرار فيهما أو بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة أو جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى (وكثير من الناس) فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور أي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد يجوز أن يكون من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وأن يكون قوله تعالى (وكثير) معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس (حق عليه العذاب) أي بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا أي حق عليه العذاب حقا (ومن يهن الله) بأن كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره إلى الشر (فما له من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على أنه مصدر ميمي (إن الله يفعل ما يشاء) من الاشياء التي من جملتها الاكرام والاهانة (هذان) تعيين لطرفي الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقي وتحرير لمحله أي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق الخمس (خصمان) أي فريقان مختصمان وانما قيل (اختصموا في ربهم) حملا على المعنى أي اختصموا في شأنه عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤنه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين بحقية ماهو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء أقواله وأفعاله عليه خصومة للفريق الآخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن أحق بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أحق بالله منكم آمنا بمحمد وبنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت (فالذين كفروا) تفصيل لما أجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) أي قدرت على

مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف (ثياب من نار) أي نيران هائلة تحيط بهم إحاطة الثياب بلابسها (يصب من فوق رؤسهم الحميم) أي الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس رضي الله عنهما لو قطرت قطرة منها على جبال الدنيا لأذابتها والجملة مستأنفة أو خبر ثان للموصول أو حال من ضمير لهم (يصهر به) أي يذاب (ما في بطونهم) من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهر بالتشديد (والجلود) عطف على ما وتأخيره عنه إما لمراعاة الفواصل أو للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام أن تأثيرها في الباطن أقدم من تأثيرها في الظاهر مع أن ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم (ولهم) للكفرة أي لتعذيبهم وأجلهم (مقامع من حديد) جمع مقمعة وهي آلة القمع (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أي أشرفوا على الخروج من النار ودنوا منه حسبما يروى أنها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا (من غم) أي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما أشير اليه أو مفعول له للخروج (أعيدوا فيها) أي في قعرها بان ردوا من أعاليها الى أسافلها من غير ان يخرجوا منها (وذوقوا) على تقدير قول معطوف على أعيدوا أي وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) أي الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق إيذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بأمر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام (يحلون فيها) على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الأحلاء بمعنى الالباس أي تحليهم الملائكة بأمره تعالى وقرئ يحلون من حليت المرأة اذا لبست حليتها ومن في قوله تعالى (من أساور) اما للتبعيض أي بعض أساور وهي جمع أسورة جمع سوار أو للبيان لما أن ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون (من ذهب) بيان للاساور (ولؤلؤا) عطف على محل من أساور أو على المفعول المحذوف أو منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون أي يؤتون وقرئ بالجر عطفا على أساور. وقرئ لؤلوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبهما واوا ولولا بقلبهما ياء (ولباسهم فيها حرير) غير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن لا للدلالة على أن الحرير ثيابهم المعتادة أو لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل

للايذان بأن ثبوت اللباس لهم أمر محقق غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج إلى البيان أن لباسهم ماذا بخلاف الأساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها مقصوداً بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس (وهدوا إلى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة الآية (وهدوا إلى صراط الحميد) أى المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة . ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية إلى القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير حينئذ أن ذكر الحمد يستدعي ذكر المحمود (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا أى وهم يصدون وخبر أن محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان من ألحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الأليم فلأن يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله بأشد من ذلك أحق وأولى (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله تعالى (الذى جعلناه للناس) أى كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي (سواء العاكف فيه والباد) أى المقيم والطارئ وسواء أى مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف له وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرىء سواء بالرفع على أنه خبر مقدم والعاكف مبتدأ والجملة مفعول ثان للجعل وقرئ العاكف بالجر على أنه بدل من الناس (ومن يرد فيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كأنه قيل ومن يرد فيه مرادا ما (بالحاد) بعدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان أو الثاني بدل من الأول باعادة الجار أو صلة له أى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام (نذقه من عذاب أليم) جواب لمن (واذ بوأنا) يقال بوأه منزلا أى أنزله فيه ولما لزمه جعل الثاني مباءة للاول قيل (لابراهيم مكان البيت) وعليه مبنى قول ابن عباس رضي الله عنهما جعلناه أى اذكر وقت جعلنا مكان البيت مباءة له عليه السلام أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الأمر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قدمر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف كما في أصل الاستعمال أى أنزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء أيام الطوفان

وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخجوج كنست ماحوله فبناه على أسه القديم. روى أن الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت أيام الطوفان. والثانية بناء ابراهيم عليه السلام. والثالثة بناء قريش فى الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء. والرابعة بناء ابن الزبير. والخامسة بناء الحجاج وقد أوردنا ما فى هذا الشأن من الاقاويل فى تفسير قوله تعالى «واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت» وأن فى قوله تعالى (أن لا تشرك بى شيأ) مفسرة لبوأنا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لأن التبوئة للعبادة. أو مصدرية موصولة بالنهى وقد مر تحقيقه فى أوائل سورة هود. أى فعلنا ذلك لئلا تشرك بى فى العبادة شيأ (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) أى وطهر بيتى من الاوثان والأقذار لمن يطوف به ويصلى فيه. ولعل التعبير عن الصلاة باركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء (وأذن فى الناس) أى ناد فيهم وقرئ آذن (بالحج) بدعوة الحج والامر به. روى أنه عليه السلام صعد أباقبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله تعالى من فى أصلاب الرجال وأرحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه تعالى أن يحج. وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بذلك فى حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية (يأتوك) جواب للامر (رجالا) أى مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم. وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى (وعلى كل ضامر) عطف على رجالا أى وركبانا على كل بعير مهزول أتعبه بعد الشقة فهزله أو زاد هزاله (يأتين) صفة لضامر محمولة على المعنى. وقرئ يأتون على أنه صفة للرجال والركبان أو استئناف فيكون الضمير للناس (من كل فج) طريق واسع (عميق) بعيد. وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ (ليشهدوا) متعلق بيأتوك لا بأذن أى ليحضروا (منافع) عظيمة الخطر كثيرة العدد أو نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة واللام فى قوله تعالى (لهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع أى منافع كائنة لهم (ويذكروا اسم الله) عند اعدادها وتقريبها وذبحها. وفى جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه (فى أيام معلومات) هى أيام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هى عشر ذى الحجة وقد علق الفعل بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على

الذكر (فكلوا منها) التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بأنه أمر محقق غير محتاج الى التصريح به كما فى قوله تعالى «فانفجرت» أى فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها . والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه أهل الجاهلية من التحرج فيه أو للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم (وأطعموا البائس) أى الذى أصابه بؤس وشدة (الفقير) المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به فى الاول أيضاً (ثم ليقضوا تفثهم) أى ليؤدوا إزالة وسخهم أو ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) ما ينذرون من البر فى حجهم . وقيل مواجب الحج. وقرىء بفتح الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا) طواف الركن الذى به يتم به التحلل فانه قرينة قضاء التفث . وقيل طواف الوداع (بالبيت العتيق) أى القديم فانه أول بيت وضع للناس أو المعتق من تسلط الجبابرة فكأين من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل . وأما الحجاج الثقفى فانما قصد اخراج ابن الزبير رضى الله عنهما منه لا التسلط عليه (ذلك) أى الامر ذلك وهذا وأمثاله يطلق للفصل بين الكلامين أو بين وجهى كلام واحد (ومن يعظم حرمات الله) أى أحكامه وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام (فهو خير له) أى فالتعظيم خير له ثوابا (عند ربه) أى فى الآخرة . والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من لتشريفه والاشعار بعلة الحكم (وأحلت لكم الانعام) وهى الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى (الا ما يتلى عليكم) أى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل منها على أن ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما أهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض جىء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم أن الاحرام يحرمه كما يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعاً لمراعاة حسن التخلص الى ما بعده من قوله تعالى (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى «ومن يعظم حرمات الله» من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعى التعاطى لا من مبادى الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من الحرمات ثم أمر بالاجتناب عما هو أقصى الحرمات كأنه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم

الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التى يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص فان عبادة الأوثان رأس الزور وكأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب ونحوهما والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال «عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية» والزور من الزور وهو الانحراف كالأفك المأخوذ من الأفك الذى هو القلب والصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع . وقيل هو قول أهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك (حنفاء لله) مائلين عن كل دين زائغ إلى الدين الحق مخلصين لله تعالى (غير مشركين به) أى شيأ من الأشياء فيدخل فى ذلك الأوثان دخولا أوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا (ومن يشرك بالله) جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب عن الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك (فكأنما خر من السماء) لأنه سقط من أوج الايمان إلى حضيض الكفر (فتخطفه الطير) فان الأهواء المردية توزع أفكاره . وقرىء فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وأصلهما تختطفه (أو تهوى به الريح) أى تسقطه وتقذفه (فى مكان سحيق) بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى أو كصيب أو للتنويع. ويجوز أن يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا شبيها بهلاك أحد الهالكين (ذلك) أى الأمر ذلك أو امتثلوا ذلك (ومن يعظم شعائر الله) أى الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه «والبدن جعلناها لكم من شعائر الله» وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد أن التقرب بها من أجل القربات وأن يختارها حسانا سمانا غالية الأثمان . روى أنه عليه الصلاة والسلام «أهدى مئة بدنة فيها جمل لأبى جهل فى أنفه برة من ذهب» وأن عمر رضى الله عنه أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (فانها) أى فان تعظيمها (من تقوى القلوب) أى من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من أو فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لأنها مراكز التقوى التى إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها فى سائر الأعضاء (لكم فيها) أى فى الهدايا (منافع) هى درها ونسلها وصوفها وظهرها (إلى أجل مسمى) هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والأكل منه (ثم محلها) أى وجوب نحرها أو وقت نحرها منتهية (إلى البيت العتيق) أى إلى ما يليه

من الحرم وثم للتراخي الزماني أو الرتبي أي لكم فيها منافع دنيوية إلى وقت نحرها ثم منافع دينية أعظمها في النفع محلها أي وجوب نحرها أو وقت وجوب نحرها إلى البيت العتيق أي منتهية إليه . هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك وإقامة شعائر الحج إلى أجل مسمى هو انقضاء أيام الحج ثم محلها أي محل الناس من أحرامهم إلى البيت العتيق أي منتهية إليه بأن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء المناسك فإضافة المحل إليها لأدنى ملابسة (ولكل أمة) أي لكل أهل دين (جعلنا منسكا) أي متعبدا وقربانا يتقربون به إلى الله عز وجل . وقرىء بكسر السين أي موضع نسك . وتقديم الجار والمجرور على الفعل للتخصيص أي لكل أمة من الأمم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على أن المقصود الأصلي من المناسك تذكر المعبود (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) عند ذبحها . وفيه تنبيه على أن القربان يجب أن يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى (فالهكم إله واحد) للكل تغليبا . والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن جعله تعالى لكل أمة من الأمم منسكا مما يدل على وحدانيته تعالى . وإنما قيل إله واحد ولم يقل واحد لما أن المراد بيان أنه تعالى واحد في ذاته كما أنه واحد في إلهيته للكل والفاء في قوله تعالى (فله أسلموا) لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته تعالى . وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر أي فإذا كان إلهكم إلها واحدا فأخلصوا له التقرب أو الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك (وبشر المخبتين) تجريد الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي المتواضعين أو المخلصين فإن الاخبات من الوظائف الخاصة بهم (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) منه تعالى لاشراق أشعة جلاله عليها (والصابرين على ما أصابهم) من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب (والمقيمى الصلوة) في أوقاتها وقرىء بنصب الصلاة على تقدير النون . وقرىء والمقيمين الصلاة على الأصل (ومما رزقناهم ينفقون) في وجوه الخيرات (والبدن) بضم الباء وسكون الدال وقرىء بضمهما وهما جمعا بدنة وقيل الأصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرىء بتشديد النون على لفظ الوقف وإنما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الأجزاء عن سبعة بقوله صلى الله عليه وسلم «البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة» جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره (جعلناها لكم) وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ

والجملة خبره وقوله تعالى (من شعائر الله) أي من أعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى (لكم فيها خير) أي منافع دينية ودنيوية جملة مستأنفة مقررة لما قبلها (فاذكروا اسم الله عليها) بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرىء صوافن من صفن الفرس إذا قام على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرىء صوافنا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وقرىء صوافى أى خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من يسكن الياء على الاطلاق كما فى قوله :

« لعلى أرى باق على الحدثان »

(فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الارض وهو كناية عن الموت (فكلوا منها وأطعموا القانع) أى الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة ويؤيده أنه قرىء القنع أو السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له فى السؤال (والمعتر) أى المتعرض للسؤال وقرىء المعترى يقال عره وعراه واعتره واعتراه (كذلك) مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله تعالى « صواف » (سخرناها لكم) مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصى عليكم حتى انكم تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها (لعلكم تشكرون) لتشكروا انعامنا عليكم بالقرب والاخلاص (لن ينال الله) أى لن يبلغ مرضاته ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) المتصدق بها (ولا دماؤها) المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى الامتثال بأمره تعالى وتعظيمه والتقرب اليه والاخلاص له . وقيل كان أهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدماء قرابينهم فهم به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى (لتكبروا الله) أى لتعرفوا عظمته باقتداره على مالا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال أو الذبح (على ما هداكم) أى أرشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة أى على هدايته إياكم أو على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (وبشر المحسنين) أى المخلصين فى كل ما يأتون وما يذرون فى أمور دينهم (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى أداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء

التام بمضمونه. وصيغة المفاعلة إما للمبالغة أو للدلالة على تكرر الدفع فإنها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة أي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما تجدد منهم القصد الى الاضرار بالمسلمين كما فى قوله تعالى «كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله» وقرئ يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى (ان الله لا يحب كل خوان كفور) تعليل لما فى ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزى ونفى المحبة كناية عن البغض أى ان الله يبغض كل خوان فى أماناته تعالى وهى أوامره ونواهيه أو فى جميع الأمانات التى هى معظمها كفور لنعمته. وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الخيانة والكفر أو للمبالغة فى نفى المحبة على اعتبار النفى أولا وايراد معنى المبالغة ثانيا (أذن) أى رخص. وقرئ على البناء للفاعل أى أذن الله تعالى (للذين يقاتلون) أى يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين اياهم دالة على مقاتلتهم اياهم دلالة نيرة. وقرئ على صيغة المبنى للفاعل أى يريدون أن يقاتلوا المشركين فيما سيأتى ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف أظهر (بأنهم ظلموا) أى بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم. كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون اليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجروا فأنزلت وهى أول آية نزلت فى القتال بعد مانهى عنه فى نيف وسبعين آية (وأن الله على نصرهم لقدير) وعد لهم بالنصر وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم من أيدى المشركين بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) فى حيز الجر على أنه صفة للموصول الاول أو بيان له أو بدل منه أو فى محل النصب على المدح أو فى محل الرفع باضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة (بغير حق) متعلق بأخرجوا أى أخرجوا بغير مايوجب إخراجهم وقوله تعالى (الا أن يقولوا ربنا الله) بدل من حق أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لاعلى الظاهر بل على طريقة قول النابغة

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وقيل الاستثناء منقطع (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين على الكافرين فى كل عصر وزمان وقرئ دفاع (لهدمت) لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل . وقرئ هدمت بالتخفيف (صوامع) للرهابنة (وبيع) للنصارى (وصلوات) أى وكنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرية فعربت (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيراً) أى ذكراً كثيراً أو وقتاً كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها وقيل صفة للأربع وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل فى الصوامع والبيع أو الكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لايقتضيه المقام ولا يرتضيه الأفهام (ولينصرن الله من ينصره) أى وبالله لينصرن الله من ينصر أولياءه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم (ان الله لقوى) على كل مايريده من مراداته التى من جملتها نصرهم (عزيز) لايمانعه شئ ولا يدافعه (الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وصف من الله عز وجل للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم فى الأرض واعطائه اياهم زمام الأحكام منبئ عن عدة كريمة على أبلغ وجه وألطفه . وعن عثمان رضى الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أنه تعالى أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا قالوا وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ فى ذلك للانصار والطلقاء . وعن الحسن رحمه الله هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره (ولله) خاصة (عاقبة الأمور) فان مرجعها الى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد باظهار أوليائه واعلاء كلمته (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى « ولينصرن الله من ينصره » وبيان لرجوع عاقبة الأمور اليه تعالى وصيغة المضارع فى الشرط مع تحقق التكذيب لما أن المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أى وان تحزن على تكذيبهم إياك فاعلم أنك لست بأوحدى فى ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك إياك قوم نوح (وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين) أى رسلهم

من ذكر ومن لم يذكر وإنما حذف لكمال ظهور المراد أو لأن المراد نفس الفعل أى فعلت التكذيب قوم نوح إلى آخره (وكذب موسى) غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لا لأن قومه بنو اسرائيل وهم لم يكذبوه وإنما كذبه القبط لما أن ذلك انما يقتضى عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على أن بنى اسرائيل أيضا قد كذبوه مرة بعد أخرى حسبما ينطق به قوله تعالى « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بأن تكذيبهم له كان فى غاية الشناعة لكون آياته فى كمال الوضوح وقوله تعالى (فأمليت للكافرين) أى أمهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب إمهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب إمهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير للعائد إلى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبى موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا (ثم أخذتهم) أى أخذت كل فريق من فرق المكذبين بعد انقضاء مدة إملائه وإمهاله (فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بالاهلاك أى فكان ذلك فى غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى (فكأين من قرية) منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى (أهلكناها) أى فأهلكنا كثيرا من القرى باهلاك أهلها والجملة بدل من قوله تعالى « فكيف كان نكير » أو مرفوع على الابتداء وأهلكنا خبره أى فكثير من القرى أهلكناها وقرئ أهلكتها على وفق قوله تعالى « فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير » (وهى ظالمة) جملة حالية من مفعول أهلكنا وقوله تعالى (فهى خاوية) عطف على أهلكناها لا على « وهى ظالمة » لانها حال والاهلاك ليس فى حال خوائها فعلى الاول لا محل له من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثانى فى محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء إما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهى ساقطة حيطانها (على عروشها) أى سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه وأما بمعنى الخلو من خوى المنزل اذا خلا من أهله فالمعنى فهى خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فتكون على بمعنى مع . ويجوز أن يكون على عروشها خبرا بعد خبر أى فهى خالية وهى على عروشها أى قائمة مشرفة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت الى الأرض وبقيت الحيطان قائمة فهى مشرفة على السقوف الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا (وبئر معطلة) عطف على قرية أى وكم

بئر عامرة فى البوادى تركت لايستقى منها لهلاك أهلها وقرىء بالتخفيف من أعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد) مرفوع البنيان أو مجصص أخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها . وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه أهلكهم الله تعالى وعطلهما (أفلم يسيروا فى الأرض) حث لهم على أن يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وإن كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام أى أغفلوا فلم يسيروا فيها (فتكون لهم) بسبب ماشاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار (قلوب يعقلون بها)ما يجب ان يعقل من التوحيد (أو آذان يسمعون بها) ما يجب أن يسمع من الوحى أو من أخبار الأمم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم أعرف منهم بحالهم (فانها لا تعمى الابصار) الضمير للقصة أو مبهم يفسره الابصار وفى تعمى ضمير راجع اليه وقد أقيم الظاهر مقامه (ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) أى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما هو فى عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى الغفلة وذكر الصدور للتأكيد ونفى توهم التجوز وفضل التنبيه على أن العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يختص بالبصر . قيل لما نزل قوله تعالى « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى » قال ابن أم مكتوم يارسول الله أنا فى الدنيا أعمى أفأكون فى الآخرة أعمى فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) كانوا منكرين لمجىء العذاب المتوعد به أشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى (ولن يخلف الله وعده) اما جملة حالية جىء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه فى ضمن استعجالهم به واظهار خطئهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجىء العذاب الموعود والحال أنه تعالى لا يخلف وعده أبدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما أو اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) جملة مستأنفة ان كانت الأولى حالية ومعطوفة عليها إن كانت اعتراضية سيقت لبيان خطئهم فى الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مددا طوالا عندهم حسبما ينطق به قوله تعالى (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترؤن على

الاستعجال به ولا يدرون أن معيار تقدير الأمور كلها وقوعاً واخبارها ما عنده تعالى من المقدار وقراءة يعدون على صيغة الغيبة أى يعده المستعجلون أوفق لهذا المعنى وقد جعل الخطاب فى القراءة المشهورة لهم أيضاً بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول عليه السلام ومن معه من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين وأجل مسمى كما فى قوله تعالى « ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب » فتكون الجملة الاولى حالية كانت أو اعتراضية مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الأخيرة بيانا لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذى مر بيانه فلا يكون فى النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذى دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم ويكتفى فى رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من أمثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة وجعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته أو عن أيام الآخرة الطويلة حقيقة أو المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب الدنيوى وأن الزمان الممتد هو الذى مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن له ألا يرى الى قوله تعالى (وكأين من قرية) الخ فانه كما سلف من قوله تعالى « فأمليت للكافرين ثم أخذتهم » صريح فى أن المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد أى وكم من أهل قرية فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل (أمليت لها) كما أمليت لهؤلاء حتى أنكروا مجىء ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء (وهى ظالمة) جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين أى أمليت لها والحال أنها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء (ثم أخذتها) بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والأمهال وقوله تعالى (والى المصير) اعتراض تذييلى مقرر لما قبله ومصرح بما أفاده ذلك بطريق التعريض من أن مآل أمر المستعجلين أيضا ما ذكر من الأخذ الوبيل أى الى حكمى مرجع الكل جميعا لا إلى أحد غيرى لا استقلالا ولا شركة فأفعل بهم ما أفعل مما يليق بأعمالهم (قل ياأيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) أنذركم انذارا بينا بما أوحى من أنباء الأمم المهلكة من غير أن يكون لى دخل فى إتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلونى به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما أشير اليه من أن مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة

فى غيظهم (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما بدر منهم من الذنوب (ورزق كريم) هى الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين) أى سابقين أو مسابقين فى زعمهم وتقديرهم طامعين أن كيدهم للاسلام يتم لهم وأصله من عاجزه وعجزه فأعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرىء معجزين أى مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة (أولئك) الموصوفون بما ذكر من السعى والمعاجزة (أصحاب الجحيم) أى ملازمو النار الموقدة وقيل هو اسم دركة من دركاتها (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كأنبياء بنى اسرائيل الدين كانوا بين موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكذلك شبه عليه السلام علماء أمته بهم فالنبى أعم من الرسول ويدل عليه أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن الأنبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا. قيل فكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع إلى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبى يقال له ولمن يوحى إليه فى المنام (إلا اذا تمنى) أى هيأ فى نفسه ما يهواه (ألقى الشيطان فى أمنيته) فى تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عليه السلام «وانه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة» (فينسخ الله ما يلقى الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه والارشاد إلى ما يزيحه (ثم يحكم الله آياته) أى يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى شئون الحق وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى واظهار الجلالة فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بأن الالوهية من موجبات أحكام آياته الباهرة (والله عليم) مبالغ فى العلم بكل ما من شأنه أن يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا أو خطأ (حكيم) فى كل ما يفعل والاظهار ههنا أيضا لما ذكر مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلى قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فأخذ يقرؤها فلما بلغ «ومناة الثالثة الأخرى» وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا إلى أن قال تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية

وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله تمنى كتاب الله أول ليلة تمنى داود الزبور على رسل وأمنيته قراءته والقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعاً صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي عليه السلام وقد رد بأنه أيضاً يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى «فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته» لأنه أيضاً يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم (ليجعل ما يلقى الشيطان) علة لما ينبىء عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك فى حق النبي عليه السلام خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما أن تمكينه تعالى إياه من الالقاء في حق سائر الأنبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتى وفيه دلالة على أن ما يلقيه أمر ظاهر يعرفه المحق والمبطل (فتنة للذين فى قلوبهم مرض) أى شك ونفاق كما فى قوله تعالى «فى قلوبهم مرض» الآية (والقاسية قلوبهم) أى المشركين (وأن الظالمين) أى الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة (لفى شقاق بعيد) أى عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه) أى القرآن (الحق من ربك) أى هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت به عادته فى جنس الانس من لدن آدم عليه السلام فحينئذ لاحاجة الى تخصيص التمكين فيما سبق بالالقاء فى حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى (فيؤمنوا به) أى بالقرآن أى يثبتوا على الايمان به أو يزدادوا إيمانا برد ما يلقى الشيطان (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الأوامر والنواهى ورجع الضميرين لاسيما الثانى الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له (وان الله لهادى الذين آمنوا) أى فى الأمور الدينية خصوصا فى المداحض والمشكلات التى من جملتها ما ذكر (الى صراط مستقيم) هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله (ولا يزال الذين كفروا فى مرية) أى فى شك وجدال (منه) أى من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول هو الأظهر بشهادة ما سبق من قوله تعالى «ثم يحكم الله آياته» وقوله تعالى «انه الحق من ربك» فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى «وكذبوا بآياتنا» وأما تجويز كون الضمير لما ألقى الشيطان فى أمنيته فلا مساغ

له لأن ذلك ليس من هنا تهم التي تستمر الى الأمد المذكور بل انما هي مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما أن مريتهم المستمرة كما انها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم (حتى تأتيهم الساعة) أي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى (بغتة) أي فجأة فانها الموصوفة بالاتيان كذلك لا أشراطها وقيل الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي يوم لا يوم بعده كأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة أيضا كأنه قيل او يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل الى حمل الساعة على أشراطها لما عرفته وأما ما قيل من أن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لان المقاتلين أبناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما أي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعا أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لايساعده سياق النظم الكريم أصلا كيف لاوان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الأخرويين يقضي بأن المراد به يوم القيامة قضاء بينا لا ريب فيه (الملك) أي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق (يومئذ لله) وحده بلا شريك أصلا بحيث لا يكون فيه لأحد تصرف من التصرفات في أمر من الأمور لاحقيقة ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا عما تدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من إيمانهم كما قيل لما أن القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة يجب أن يكون مدارا لحكمها أعني كون الملك لله عزوجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في أن إيمانهم أو زوال مريتهم ليس مما له تعلق ما بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شئ منهما مع اليوم قطعا وانما الذي يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور الملك الحق جل جلاله فاذن هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تأتيهم الساعة أو عذابها لله تعالى وقوله تعالى (يحكم بينهم) جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى (فالذين آمنوا) الخ تفسير للحكم المذكور

وتفصيل له أى فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه (وعملوا الصالحات) امتثالا بما أمروا فى تضاعيفه (فى جنات النعيم) أى مستقرون فيها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أى أصروا على ذلك واستمروا (فأولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر والفساد أى أولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم عذاب) جملة اسمية من مبتدا وخبر مقدم عليه وقعت خبراً لاولئك أو لهم خبر لأولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار فى الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا وأولئك خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على أن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة كما أن تجريد خبر الموصول الأول عنها للايذان بان إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى (مهين) صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى مالايخفى (والذين هاجروا فى سبيل الله) أى فى الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى (ثم قتلوا أو ماتوا) أى فى تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى (ليرزقنهم الله) جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدا يضمر قولا هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى (رزقا حسنا) إما مفعول ثان على أنه من باب الرعى والذبح أى مرزوقا حسنا أو مصدر مؤكد والمراد به مالا ينقطع أبدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما فى الوعد لاستوائهما فى القصد وأصل العمل على أن مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الأرزاق الحسنة وروى أن بعض أصحاب النبى عليه السلام قالوا يانبى الله هؤلاء الذين قتلوا فى سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فنزلت . وقيل نزلت فى طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب مع أن مايرزقه لا يقدر عليه أحد غيره والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله وقوله تعالى (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) بدل من قوله تعالى « ليرزقنهم الله » أو استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان أريد به الجنة فهو مفعول ثان للادخال أو مصدر ميمى أكد به فعله قال ابن عباس رضى الله عنهما إنما قيل يرضونه لانهم يرون فيها مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فيرضونه (وان الله لعليم) بأحوالهم وأحوال معاديهم (حليم) لا يعاجلهم بالعقوبه (ذلك) خبر مبتدأ محذوف أى

الأمر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على أن ما بعده كلام مستأنف [illegible]
بمثل ما عوقب به) أى لم يزد فى الاقتصاص وانما [illegible]
الجناية للمشاكلة أو لكونه سببا له (ثم بغى عليه) [illegible]
الله) على من بغى عليه لا محالة (ان الله لعفو غفور) [illegible]
فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من [illegible]
اليهما بقوله تعالى «ولمن صبر وغفر ان ذلك» [illegible]
فان فيه حثا بليغا على العفو والمغفرة فانه تعالى مع [illegible]
فغيره أولى بذلك وتنبيها على أنه تعالى قادر على [illegible]
على ضده (ذلك) اشارة الى النصر [illegible]
الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى (بأن الله يولج [illegible]
أى بسبب أنه تعالى من شأنه [illegible]
الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال [illegible]
عن الآخر أو بتحصيل أحدهما فى مكان الآخر [illegible]
الله سميع) بكل المسموعات التى من جملتها [illegible]
ومن جملتها أفعاله (ذلك) أى الاتصاف [illegible]
من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى [illegible]
لذاته الثابت فى نفسه وصفاته وأفعاله [illegible]
كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات عالما [illegible]
فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا (وأن ما يدعون [illegible]
البناء للمفعول على أن الواو لما فانه عبارة عن الآلهة [illegible]
(هو الباطل) أى المعدوم فى حد ذاته أو الباطل [illegible]
جميع الاشياء (الكبير) عن أن يكون له شريك [illegible]
(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استفهام [illegible]
تعالى (فتصبح الأرض مخضرة) بالعطف على [illegible]
بتجدد أثر الانزال واستمراره أولا [illegible]
يصل لطفه أو علمه الى كل ما جل ودق (خبير) [illegible]
السموات وما فى الأرض) خلقا وملكا [illegible]
(الحميد) المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله (ألم [illegible]

أي جعل مافيها من الأشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا أصلب من الحجر ولا أشد من الحديد ولا أهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم لتعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر (والفلك) عطف على ما أو على اسم أن . وقرئ بالرفع على الابتداء (تجري في البحر بأمره) حال من الفلك على الأول وخبر على الأخير (ويمسك السماء أن تقع على الأرض) أي من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على هيئة متداعية إلى الاستمساك (إلا بإذنه) أي بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فإنها مساوية في الجسمية لسائر الأجسام القابلة للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) حيث هيأ لهم أسباب معاشهم وفتح عليهم أبواب المنافع وأوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية (وهو الذي أحياكم) بعد أن كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة (ثم يميتكم) عند مجيء آجالكم (ثم يحييكم) عند البعث (إن الإنسان لكفور) أي لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض أفراده (لكل أمة) كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من أهل الأديان السماوية عن منازعته عليه السلام ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع وإظهار خطئهم في النظر أي لكل أمة معينة من الأمم الخالية والباقية (جعلنا) أي وضعنا وعينا (منسكا) أي شريعة خاصة لا لأمة أخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لأمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى (هم ناسكوه) صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل أمة باعتبار خصوصها أي تلك الأمة المعينة ناسكوه والعاملون به لا أمة أخرى فالأمة التي كانت من مبعث موسى عليه السلام إلى مبعث عيسى عليه السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى إلى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الإنجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم . وأما الأمة الموجودة عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين إلى يوم القيامة فهم أمة واحدة منسكهم الفرقان ليس إلا كما مر في تفسير قوله تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا . والفاء في قوله تعالى (فلا ينازعنك في الأمر) لترتيب النهي أو موجبه على ماقبلها فإن تعيينه تعالى لكل أمة من الأمم التي من جملتهم هذه الأمة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم إياه فى أمر الدين زعما منهم أن شريعتهم ماعين لآبائهم الأولين من التوراة والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الأمم قبل انتساخهما وهؤلاء أمة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب . والنهى إما على حقيقته أو كناية عن نهيه عليه السلام عن الالتفات إلى نزاعهم المبنى على زعمهم المذكور . وأما جعله عبارة عن نهيه عليه السلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام . وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه السلام والمبالغة فى تثبيته وأياما كان فمحل النزاع ماذكرناه وتخصيصه بأمر النسائك وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين مالكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ماقتله الله تعالى مما لا سبيل اليه أصلا كيف لا وأنه يستدعى أن يكون أكل الميتة وسائر مايدينونه من الأباطيل من جملة المناسك التى جعلها الله تعالى لبعض الأمم ولا يرتاب فى بطلانه عاقل (وادع) أى وادعهم أو وادع الناس كافة إلى أنهم داخلون فيهم دخولا أوليا (إلى ربك) إلى توحيده وعبادته حسبما بين لهم فى منسكهم وشريعتهم (إنك لعلى هدى مستقيم) أى طريق موصل الى الحق سوى والمراد إما الدين والشريعة أو أدلتها (وإن جادلوك) بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم (فقل) لهم على سبيل الوعيد (الله أعلم بما تعملون) من الأباطيل التى من جملتها المجادلة (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين (يوم القيامة) بالثواب والعقاب كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين (ألم تعلم) استئناف مقرر لمضمون ماقبله والاستفهام للتقرير أى قد علمت (أن الله يعلم مافى السماء والأرض) فلا يخفى عليه شىء من الأشياء التى من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه (ان ذلك) أى ما فى السماء والأرض (فى كتاب) هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك أمرهم مع علمنا به وحفظنا له (إن ذلك) أى ماذكر من العلم والاحاطة به وإثباته فى اللوح أو الحكم بينكم (على الله يسير) فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شىء ولا يعسر عليه مقدور (ويعبدون من دون الله)حكاية لبعض أباطيل المشركين وأحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء أمر دينهم على غير مبنى من دليل سمعى او عقلى واعراضهم عما ألقى عليهم من سلطان بين هو أساس الدين وقاعدته أشد اعراض أى يعبدون متجاوزين عبادة الله(مالم ينزل به) أى بجواز عبادته (سلطانا) أى حجة (وماليس لهم به) أى بجواز عبادته (علم) من ضرورة العقل او استدلاله (وما للظالمين) أى الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذى يقضى ببطلانه وكونه ظلما بديهة العقول (من نصير)

يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم أو بدفع العذاب الذى يعتريهم بسبب ظلمهم (وإذا تتلى عليهم آياتنا) عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض، وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى (بينات) أى حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والأحكام الصادقة أو على بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام أو على كونها من عند الله عز وجل (تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر) أى الإنكار كالمكرم بمعنى الإكرام أو الفظيع من التجهم والبسور أو الشر الذى يقصدونه بظهور مخايله من الأوضاع والهيآت وهو الأنسب بقوله تعالى (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أى يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لأباطيل أخذوها تقليدا وهل جهالة أعظم وأطم من أن يعبدوا ما لا يوهم صحة عبادته شىء ما أصلا بل يقضى ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا ولهذا وضع الذين كفروا موضع الضمير (قل) ردا عليهم وإقناطا عما يقصدونه من الإضرار بالمسلمين (أفأنبئكم) أى أأخاطبكم فأخبركم (بشر من ذلكم) الذى فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم أو مما تبغونهم من الغوائل أو مما أصابكم من الضجر بسبب ما تلوه عليكم (النار) أى هو النار على أنه جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (وعدها الله الذين كفروا) وقرىء النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة الفعلية استئنافا كالوجه الأول أو حالا من النار بإضمار قد (وبئس المصير) النار (يا أيها الناس ضرب مثل) أى بين لكم حال مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلا وتسير فى الأمصار والأعصار أو جعل لله مثل أى مثل فى استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم للأصنام (فاستمعوا له) أى للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر أو فاستمعوا لأجله ما أقول فقوله تعالى (إن الذين تدعون من دون الله) الخ بيان للمثل وتفسير له على الأول وتعليل لبطلان جعلهم الأصنام مثل الله سبحانه فى استحقاق العبادة على الثانى وقرىء بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الأولين محذوف (لن يخلقوا ذبابا) أى لن يقدروا على خلقه أبدا مع صغره وحقارته فإن لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه (ولو اجتمعوا له) أى لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على شرطية أخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها أى لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما فى موضع الحال كأنه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال (وإن يسلبهم الذباب

شيئاً) بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه أى أن يأخذ الذباب منهم شيئا (لا يستنقذوه منه) مع غاية ضعفه ولقد جهلوا غاية التجهيل فى اشراكهم بالله القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هى أعجز الاشياء وبين ذلك بأنها لا تقدر على أقل الاحياء وأذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) أى عابد الصنم ومعبوده أو الذباب الطالب لما يسلبه من الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك أو الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم أضعف من الذباب بدرجات وعابده أجهل من كل جاهل وأضل من كل ضال (ما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته حيث أشركوا به وسموا باسمه ما هو أبعد الاشياء منه مناسبة (إن الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها وافناء الموجودات عن آخرها (عزيز) غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال آلهتهم المقهورة لأذلها العاجزة عن أقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه تعالى وبين الانبياء عليهم السلام بالوحى (ومن الناس) وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحانى والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما أنزل عليهم ويعلمونهم شرائعه وأحكامه كأنه تعالى لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى أن يشاركه فيها شئ من الاشياء بين أن له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادته عز وجل وهو أعلى الدرجات وأقصى الغايات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لأنزل ملائكة وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من الاباطيل (إن الله سميع بصير) عالم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور) لا الى أحد غيره لا اشتراكا ولا استقلالا (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أى فى صلواتكم أمرهم بهما لما أنهم ما كانوا يفعلونهما أول الاسلام أو صلوا عبر عن الصلاة بهما لانهما أعظم أركانها أو اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا (واعبدوا ربكم) بسائر ما تعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ما هو

خير وأصلح في كل ما تأتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الأرحام ومكارم الأخلاق (لعلكم تفلحون) أي افعلوا هذه كلها وأنتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له واثقين بأعمالكم والآية آية سجدة عند الشافعي رحمه الله لظاهر ما فيها من الأمر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام «فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأها» (وجاهدوا في الله) أي لله تعالى ولأجله أعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام أنه رجع من غزوة تبوك فقال «رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر» (حق جهاده) أي جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس وأضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم وأضيف الجهاد الى الضمير اتساعا أو لأنه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه ومن أجله (هو اجتباكم) أي هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضي الجهاد ويدعو اليه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى أنه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه أو الى الرخصة في اغفال بعض ما أمرهم به حيث يشق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام «اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» وقيل ذلك بأن جعل لهم من كل ذنب مخرجا بأن رخص لهم في المضايق وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه والأروش والديات في حقوق العباد (ملة أبيكم ابراهيم) نصب على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف أي وسع عليكم دينكم توسعة ملة أبيكم أو على الاغراء أو على الاختصاص وانما جعله أباهم لأنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالأب لأمته من حيث انه سبب لحياتهم الأبدية ووجودهم على الوجه المعتد به في الآخرة أو لأن أكثر العرب كانوا من ذريته عليه الصلاة والسلام فغلبوا على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) في الكتب المتقدمة (وفي هذا) أي في القرآن والضمير لله تعالى ويؤيده أنه قرئ الله سماكم أو لابراهيم وتسميتهم بالمسلمين في القرآن وان لم تكن منه عليه الصلاة والسلام كانت بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم المسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بأنه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته أو بطاعة من أطاع وعصيان من عصى (وتكونوا شهداء على الناس) بتبليغ الرسل اليهم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي فتقربوا الى الله بأنواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما (واعتصموا بالله) أي ثقوا به في مجامع

أموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة إلا منه (هو مولاكم) ناصركم ومتولى أموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو. إذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا ولى ولا نصير فى الحقيقة سواه عز وجل. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

سورة المؤمنون مكية

وهى عند البصريين مائة وتسع عشرة آية

وعند الكوفيين مائة وثمانى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد أفلح المؤمنون) الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء فى الخير والأفلاح الدخول فى ذلك كالابشار الذى هو الدخول فى البشارة وقد يجىء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول. وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا لتوقع الاخبار به ضرورة أن المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم لا الاخبار بذلك فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعاً من حالهم فان إيمانهم وما تفرع عليه من أعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا أنه إن أريد بالافلاح حقيقة الدخول فى الفلاح الذى لا يتحقق إلا فى الآخرة فالاخبار به على صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت. وان أريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضى فى محلها. وقرىء أفلحوا على الابهام والتفسير أو على أكلونى البراغيث. وقرىء أفلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما فى قول من قال: ولو أن الاطبا كان حولى. والمراد بالمؤمنين إما المصدقون بما علم ضرورة أنه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) وما عطف عليه صفات مخصصة لهم وأما الآتون بفروعه أيضا كما تنبىء عنه إضافة الصلاة اليهم فهى صفات موضحة أو مادحة لهم بحسب اعتبار ما ذكر فى حيز الصلة من المعانى مع الايمان اجمالا أو تفصيلا كما مر فى أوائل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل أى خائفون من الله عز وجل متذللون له

ملزمون أبصارهم مساجدهم روى أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا صلى رفع بصره إلى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وأنه رأى مصلياً يعبث بلحيته فقال «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» (والذين هم عن اللغو) أى عما لا يعنيهم من الأقوال والأفعال (معرضون) أى فى عامة أوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلاة دخولا أوليا ومدار اعراضهم عنه ما فيه من الحالة الداعية الى الاعراض عنه لا مجرد الاشتغال بالجد فى أمور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم أن لا يكون فى اللغو نفسه ما يزجرهم عن تعاطيه وهو أبلغ من أن يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأساً مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان أصله أن يكون فى عرض غير عرضه (والذين هم للزكوة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلاة للدلالة على أنهم بلغوا الغاية القاصية من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع فى الصلاة والزكاة مصدر لأنه الأمر الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى «فان لم تفعلوا ولن تفعلوا» ويجوز أن يراد بها العين على تقدير المضاف (والذين هم لفروجهم حافظون) ممسكون لها فالاستثناء فى قوله تعالى (إلا على أزواجهم) من نفى الارسال الذى ينبئ عنه الحفظ أى لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم وفيه إيذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم إلى ما لا يخفى وأنهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز أن تكون على بمعنى من واليه ذهب الفراء كما فى قوله تعالى «اذا اكتالوا على الناس» أى حافظون لها من كل أحد إلا من أزواجهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير حافظون أى حافظون لها فى جميع الأحوال إلا حال كونهم والين أو قوامين على أزواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين كأنه قيل يلامون على كل مباشر إلا على ما أطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون فروجهم على الأزواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين إلا عليهن تأكيدا على تأكيد تكلف على تكلف (أو ما ملكت أيمانهم) أى سراريهم عبر عنهن بما اجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء أو لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى (فانهم غير ملومين) تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن أى فانهم غير ملومين على عدم حفظها

منهن (فمن ابتغى وراء ذلك) الذى ذكر من الحد المتسع وهو أربع من الحرائر وما شاء من الاماء (فأولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب أن لا تحل له أما إنها ليست زوجة له فلأنهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله تعالى «ولكم نصف ما ترك أزواجكم» فوجب أن لا تحل لقوله تعالى «إلا على أزواجهم» لان لهم ان يقولوا انها زوجة له فى الجملة وأما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها وأما ما قيل من انه ان أريد لو كانت زوجة حال الحياة لم يفد وان أريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى متحصل نعم لو عكس لكان له وجه (والذين هم لأماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق أو الخلق (راعون) أى قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم (والذين هم على صلواتهم) المفروضة عليهم (يحافظون) يواظبون عليها ويؤدونها فى أوقاتها. ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر فى جمعها وليس فيه تكرير لما أن الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بأن كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا فى الذكر لربما توهم أن مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة (أولئك) إشارة إلى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات، وإيثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليه حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم فى الفضل والشرف أى أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة (هم الوارثون) أى الأحقاء بأن يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب الأموال والذخائر وكرائمها (الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد ابهامها تفخيما لشأنها ورفعا لمحلها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس بأعمالهم حسبما يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل إنهم يرثون من الكفار منازلهم حيث فوتوها على أنفسهم لأنه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها) أى فى الفردوس. والتأنيث لأنه اسم للجنة أو لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لأصناف الثمر. روى أنه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر وفى رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان (خالدون) لا يخرجون منها أبدا والجملة إما مستأنفة مقررة لما قبلها وإما حال مقدرة من فاعل يرثون أو مفعوله إذ فيها ذكر كل منهما ومعنى الكلام لا يموتون ولا

تخرجون منها (ولقد خلقنا الانسان) شروع فى بيان مبدأ خلق الانسان ونقله فى أطوار الخلقة وأدوار الفطرة بيانا إجماليا إثر بيان حال بعض أفراده السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس أى وبالله لقد خلقنا جنس الانسان فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا حسبما تحققته فى سورة الحج وغيرها . وأما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار وأطوار فبعيد (من سلالة) السلالة ما سل من الشىء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل من الفعل فتارة تكون مقصودا منه كالخلاصة وأخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل . ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن فى قوله تعالى (من طين) بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة أى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز أن تتعلق بسلالة على أنها بمعنى مسلولة فهى ابتدائية كالاولى وقيل المراد بالانسان آدم عليه السلام فانه الذى خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق (ثم جعلناه) أى الجنس باعتبار أفراده المغايرة لآدم عليه السلام أو جعلنا نسله على حذف المضاف ان أريد بالانسان آدم عليه السلام (نطفة) بأن خلقناه منها أو ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر أو المسلول أو الماء (فى قرار) أى مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذى هو مصدر مبالغة وقوله تعالى (مكين) وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر أو بمكانتها فى نفسها فانها مكنت بحيث هى وأحرزت (ثم خلقنا النطفة علقة) أى دما جامدا بأن أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) أى قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها (فخلقنا المضغة) أى غالبها ومعظمها أو كلها (عظاما) بأن صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات وأوضاع مخصوصة تقتضيها الحكمة (فكسونا العظام) المعهودة (لحما) من بقية المضغة أو مما أنبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها أى كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات . وجمع العظام لاختلافها وقرىء على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثانى فحسب (ثم أنشأناه خلقا آخر) هى صورة البدن أو الروح أو القوى بنفخه فيه أو المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به أبو حنيفة رحمه الله على أن من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة والاشعار بأن ما ذكر من الأفاعيل العجيبة من أحكام الألوهية

وللايذان بان حق كل من سمع ما فصل من آثار قدرته عز وعلا أو لاحظه أن يسارع الى التكلم به اجلالا واعظاماً لشئونه تعالى (أحسن الخالقين) بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على أن الأضافة ليست لفظية وقيل خبر مبتدأ محذوف أى هو أحسن الخالقين خلقاً أى المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى « أذن للذين يقاتلون » لدلالة الصلة عليه أى أحسن الخالقين خلقاً فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عليه الصلاة والسلام « ان الله جميل يحب الجمال » أى جميل فعله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روى أن عبد الله بن أبى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى فلما انتهى عليه الصلاة والسلام الى قوله خلقاً آخر سارع عبد الله الى النطق به قبل املائه عليه الصلاة والسلام فقال « اكتبه هكذا نزلت » فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم أسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر رضى الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هكذا نزل يا عمر » وكان رضى الله عنه يفتخر بذلك ويقول « وافقت ربى فى أربع : الصلاة خلف المقام ، وضرب الحجاب على النسوة ، وقولى لهن أو ليبدله الله خيرا منكن » فنزل قوله تعالى « عسى ربه ان طلقكن أن يبدله » الآية . والرابع « فتبارك الله أحسن الخالقين » انظر كيف وقعت هذه الواقعة سبباً لسعادة عمر رضى الله عنه وشقاوة ابن أبى سرح حسبما قال تعالى « يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا » لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح فى اعجازه لما أن الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار أقصر السور على أن اعجاز هذه الآية الكريمة منوط بما قبلها كما تعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله (ثم إنكم بعد ذلك) أى بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما فى اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل والكمال وكونه بذلك ممتازا منزلا منزلة الامور الحسية (لميتون) لصائرون الى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذى تفيده صيغة الفاعل وقد قرىء لمائتون (ثم إنكم يوم القيامة) أى عند النفخة الثانية (تبعثون) من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب (ولقد خلقنا فوقكم) بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم أى خلقنا فى جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم (سبع طرائق) هى السموات السبع سميت بها لانها

طور فى بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقه أو لانها طرائق الملائكة أو الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات أو عن جميع المخلوقات التى هى من جملتها أو عن الناس (غافلين) مهملين أمرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ماقدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة ويصل الى ما فى الارض منافعها كما ينبىء عنه قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء) هو المطر أو الانهار النازلة من الجنة قيل هى خمسة أنهار : سيحون نهر الهند. وجيحون نهر بلخ. ودجلة. والفرات نهرا العراق. والنيل نهر مصر. أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر. والعدول عن الاضمار لان الانزال لايعتبر فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو (بقدر) بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم أو بمقدار ماعلمنا من حاجاتهم ومصالحهم (فأسكناه فى الارض) أى جعلناه ثابتا قارا فيها (وانا على ذهاب به) أى ازالته بالفساد أو التصعيد أو التغوير بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على إنزاله. وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الابعاد به ولذلك جعل أبلغ من قوله تعالى «قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين» (فأنشأنا لكم به) أى بذلك الماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) فى الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) من الجنات (تأكلون) تغذيا أو ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز أن يعود الضميران للنخيل والاعناب أى لكم فى ثمراتها أنواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) بالنصب عطف على جنات وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أى ومما أنشىء لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هى أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى (تخرج من طور سيناء) وهو جبل موسى عليه السلام بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما أن يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة أضيف اليها أو المركب منهما علم له كامرىء القيس ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة أو التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة أو بالقصر وهو النور أو ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لافعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء فانه فيعال ككيسان أو فعلاء

كصحراء اذ لا فعلال فى كلامهم وقرىء بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة. وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع أيضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلى لها وقوله تعالى (تنبت بالدهن) صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها أى تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية أى تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن. وقرىء تنبت من الافعال وهو اما من الانبات بمعنى النبات كما فى قول زهير:

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم ... قطينا لهم حتى اذا أنبت البقل

أو على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن. وقرىء على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على إعرابه عطف أحد وصفى الشىء على الآخر أى تنبت بالشىء الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز أى يغمس فيه للائتدام وقرىء وصباغ كدباغ فى دبغ (وان لكم فى الانعام لعبرة) بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان إثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين أنها مع كونها فى نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من أن يعتبروا بها ويستدلوا بأحوالها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان لما أن محل العبرة فيه أظهر مما فى النبات وقوله تعالى (نسقيكم مما فى بطونها) تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما فى بطونها عبارة إما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف أو عن العلف الذى يتكون منه اللبن فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها. وقرىء بفتح النون وبالتاء أى تسقيكم الانعام (ولكم فيها منافع كثيرة) غير ما ذكر من أصوافها وأشعارها (ومنها تأكلون) فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون بما يحصل منها (وعليها) أى على الانعام فان الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع أنواعها بل يتحقق بالحمل على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هى الابل خاصة لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة: سفينة برّ تحت خدى زمامها. فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن (وعلى الفلك تحملون) أى فى البر والبحر. وفى الجمع بينها وبين الفلك فى ايقاع الحمل عليها مبالغة فى تحملها للحمل وهو الداعى الى تأخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة بعينها (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه) شروع فى بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائضة

للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب تحذيرا للمخاطبين . وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه . وفى ايرادها اثر قوله تعالى « وعلى الفلك تحملون » من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف . وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها أى وبالله لقد أرسلنا نوحا الخ . ونسبة الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود (فقال) متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق (ياقوم اعبدوا الله) أى اعبدوه وحده كما يفصح عنه قوله تعالى فى سورة هود « أن لا تعبدوا الا الله » وترك التقييد به للايذان بانها هى العبادة فقط وأما العبادة بالاشراك فليست من العبادة فى شئ رأسا وقوله تعالى (مالكم من إله غيره) استئناف مسوق لتعليل العبادة المأمور بها أو تعليل الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على أنه فاعل أو مبتدأ خبره لكم أو محذوف ولكم للتخصيص والتبيين أى مالكم فى الوجود أو فى العالم إله غيره تعالى . وقرئ بالجر باعتبار لفظه (أفلا تتقون) أى أفلا تقون أنفسكم عذابه الذى يستوجبه ما أنتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى « انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » وقوله تعالى « عذاب يوم أليم » وقيل أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذى هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل أفلا تخافون أن يزيل عنكم نعمه الخ وفيه ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أتعرفون ذلك أى مضمون قوله تعالى مالكم من إله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به فى العبادة مالا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق مايوجبه أو ألا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ فى الكمية وفى الاول فى الكيفية (فقال الملأ) أى الاشراف (الذين كفروا من قومه) وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر وشدة شكيمتهم فيه أى قالوا لعوامهم (ما هذا الا بشر مثلكم) أى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه السلام بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة (يريد أن يتفضل عليكم) أى يريد أن يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عليه السلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى (ولو شاء الله لأنزل ملائكة) بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه السلام أى لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من

الملائكة وانما قيل لا نزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لانفس مضمونه كما فى قوله تعالى « ولو شاء لهداكم » ونظائره (ما سمعنا بهذا) أى بمثل هذا الكلام الذى هو الامر بعبادة الله خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام فى دعوى النبوة (فى آبائنا الاولين) أى الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوا إما لكونهم وآبائهم فى فترة متطاولة وإما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهماكهم فى الغى والفساد وأياما كان فقولهم هذا ينبغى أن يكون هو الصادر عنهم فى مبادى دعوته عليه السلام كما تنبئ عنه الفاء فى قوله تعالى « فقال الملأ » الخ وقيل معناه ماسمعنا به عليه السلام انه نبى فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه السلام وقولهم المذكور هو الذى صدر عنهم فى أواخر أمره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه السلام وقولهم (إن هو) أى ماهو (إلا رجل به جنة) أى جنون أو جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول (فتربصوا به) أى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا (حتى حين) لعله يفيق عما فيه فمحول بحينئذ على ترامى أحوالهم فى المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عليه السلام به من البشرية وإرادة التفضل إلى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون أنه عليه السلام أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا وعلى الأول على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله أنى يؤفكون (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عليه السلام بعدما سمع منهم هذه الأباطيل فقيل قال لما رآهم قد أصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا فى الغواية والضلال حتى يئس من إيمانهم بالكلية وقد أوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب انصرنى) باهلاكهم بالمرة فانه حكاية إجمالية لقوله عليه السلام « رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا » الخ (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم إياى أو بدل تكذيبهم (فأوحينا اليه) عند ذلك (أن اصنع الفلك) أن مفسرة لما فى الوحى من معنى القول (بأعيننا) ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه عليه السلام منه عز وعلا حفاظا وحراسا يكلئونه بأعينهم من التعدى أو من الزيغ فى الصنعة (ووحينا) وأمرنا وتعليمنا لكيفية صنعها والفاء فى قوله تعالى (فاذا جاء أمرنا) لترتيب مضمون مابعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالأمر العذاب كما فى قوله تعالى « لاعاصم اليوم من أمر الله » لاالأمر بالركوب كما قيل ومجيئه كمال اقترابه وابتداء ظهوره أى اذا جاء إثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى (وفار التنور) عطف بيان لمجئ الأمر روى انه قيل له عليه السلام إذا فار الماء من التنور اركب أنت ومن معك وكان تنور آدم عليه

السلام فصار إلى نوح عليه السلام فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان فى مسجد الكوفة أى فى موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم . وقيل كان فى عين وردة من الشام وقد مر تفصيله فى تفسير سورة هود عليه السلام (فاسلك فيها) أى ادخل فيها يقال سلك فيه أى دخل فيه وسلكه فيه أى أدخله فيه ومنه قوله تعالى «ما سلككم فى سقر» (من كل) أى من كل أمة (زوجين) أى فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى (اثنين) فانه نص فى الفردين دون الجمعين أو الفريقين . وقرىء بالاضافة على أن المفعول اثنين أى من كل أمتى زوجين وهما أمة الذكر وأمة الأنثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح فى أن الامر كان قبل صنعة الفلك وفى سورة هود «حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين» فالوجه أن يحمل إما على أنه حكاية لامر آخر تنجيزى ورد عند فوران التنور الذى نيط به الأمر التعليقى اعتناء بشأن المأمور به أو على أن ذلك هو الأمر السابق بعينه لكن لما كان الأمر التعليقى قبل تحقق المعلق به فى حق ايجاب المأمور به بمنزلة العدم جعل كأنه انما حدث عند تحققه فحكى على صورة التنجيز وقد مر فى تفسير قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (وأهلك) منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين أو اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى أى واسلك أهلك والمراد به امرأته وبنوه وتأخير الأمر بادخالهم عما ذكر من ادخال الأزواج فيها لكونه عريقاً فيما أمر به من الادخال فانه يحتاج الى مزاولة الأعمال منه عليه السلام بل إلى معاونة من أهله وأتباعه وأماهم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان فى المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدى إلى الاخلال بتجاوب أطراف النظم الكريم (إلا من سبق عليه القول منهم) أى القول باهلاك الكفرة وانما جىء بعلى لكون السابق ضارا كما جىء باللام فى قوله تعالى «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى» لكونه نافعاً (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) بالدعاء لانجائهم (انهم مغرقون) تعليل للنهى أو لما ينبىء عنه من عدم قبول الدعاء أى انهم مقضى عليهم بالاغراق لامحالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصى ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد أمر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى (فاذا استويت أنت ومن معك) أى من أهلك وأشياعك (على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين) على طريقة قوله تعالى «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» (وقل رب أنزلنى) فى السفينة أو منها (منزلا مباركا) أى انزالا أو موضع انزال يستتبع خيراً كثيراً

وقرىء منزلا اى موضع نزول (وانت خير المنزلين) أمر عليه السلام بان يشفع دعاه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا بهالى الاجابة و إفراده عليه السلام بالأمر مع شركة الكل فى الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان فى دعائه وثنائه مندوحة عما عداه (ان فى ذلك) الذى ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه (لآيات) جليلة يستدل بها أولو الأبصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار (و إن كنا لمبتلين) ان مخففة من ان واللام فارقة بينها و بين النافية وضمير الشان محذوف أى وان الشان كنا مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد أو مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله تعالى « ولقد تركناها آية فهل من مدكر » (ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد اهلاكهم (قرنا آخرين) هم عاد حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وعليه أكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود فى سائر السور الكريمة من إيراد قصتهم إثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود (فارسلنا فيهم) جعلوا موضعا للارسال كما فى قوله تعالى « كذلك أرسلناك فى أمة » ونحوه لا غاية له كما فى مثل قوله تعالى « ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه » للايذان من أول الأمر بان من أرسل اليهم لم يأتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين أظهرهم كما ينبىء عنه قوله تعالى (رسولا منهم) أى من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وأن فى قوله تعالى (أن اعبدوا الله) مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول أى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله تعالى وقوله تعالى (مالكم من إله غيره) تعليل للعبادة المأمور بها أو للامر بها أو لوجوب الامتثال به (أفلا تتقون) أى عذابه الذى يستدعيه ما أنتم عليه من الشرك والمعاصى والكلام فى العطف كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام (وقال الملأ من قومه) حكاية لقولهم الباطل إثر حكاية القول الحق الذى نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على أن المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا حكاية ماجرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبنى على السؤال كما ينبىء عنه ما سيأتى من حكاية سائر الامم أى وقال الاشراف من قومه (الذين كفروا) فى محل الرفع على أنه صفة للملأ وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم فى الكفر وتأخيره عن قومه لعطف قوله تعالى (وكذبوا بلقاء الآخرة) وما عطف عليه على الصلة الاولى أى كذبوا بلقاء مافيها من الحساب والثواب والعقاب أو بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث (وأترفناهم) ونعمناهم (فى الحياة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد أى قالوا لاعقابهم مضلين لهم (ما هذا الا بشر مثلكم) أى فى الصفات

والاحوال و إيثار مثلكم على مثلنا للمبالغة فى تهوين أمره عليه السلام وتوهينه (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف أو مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) أى فيما ذكر من الاحوال والصفات أى ان امتثلتم بأوامره (انكم إذا) أى على تقدير الاتباع (لخاسرون) عقولكم ومغبونون فى آرائكم حيث أذللتم أنفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذى يوصلهم إلى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الأصنام التى لا خسران وراءها قاتلهم الله أنى يؤفكون . واذا وقع بين اسم إن وخبرها لتأكيد مضمون الشرط والجملة جواب القسم محذوف فإن الشرطية المصدرة باللام الموطئة أى والله لئن أطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون (أيعدكم) استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده (أنكم اذا متم) بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت (وكنتم ترابا وعظاما) نخرة مجردة عن اللحوم والأعصاب أى كان بعض أجزائكم من اللحم ونظائره ترابا وبعضها عظاما . وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية أو كان متقدموكم ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى (أنكم) تأكيد للأول لطول الفصل بينه وبين خبره الذى هو قوله تعالى (مخرجون) أى من القبور أحياء كما كنتم وقيل أنكم مخرجون مبتدأ و إذا متم خبره على معنى إخراجكم إذا متم ثم أخبر بالجملة على أنكم وقيل رفع أنكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كأنه قيل إذا متم وقع اخراجكم ثم أوقعت الجملة الشرطية خبرا عن أنكم والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم هو الأول وقرئ أيعدكم إذا متم الخ (هيهات هيهات) تكرير لتأكيد البعد أى بعد الوقوع أو الصحة (لما توعدون) وقيل اللام لبيان المستبعد ما هو كما فى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لماذا هذا الاستبعاد فقيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على أنه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وإبدال التاء هاء (إن هى إلا حياتنا الدنيا) أصله ان الحياة إلا حياتنا فأقيم الضمير مقام الأولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما فى هى النفس تتحمل ما حملت وهى العرب تقول ما شاءت وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت إن النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى (نموت ونحيى) جملة مفسرة لما ادعوه

من أن الحياة هي الحياة الدنيا أى يموت بعضنا ويولد بعض إلى انقراض العصر (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت (إن هو) أى ماهو (إلا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من إرساله وفيما يعدنا من أن الله يبعثنا (وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين فيما يقوله (قال) أى هود عليه السلام عند يأسه من إيمانهم بعد ما سلك فى دعوتهم كل مسلك متضرعاً إلى الله عز وجل (رب انصرنى) عليهم وانتقم لى منهم (بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم اياى واصرارهم عليه (قال) تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول (عما قليل) أى عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد معنى القلة كما زيدت فى قوله تعالى «فبما رحمة من الله» أو نكرة موصوفة أى عن شيء قليل (ليصبحن نادمين) على ما فعلوه من التكذيب وذلك عند معاينتهم للعذاب (فأخذتهم الصيحة) لعلهم حين أصابتهم الريح العقيم أصيبوا فى تضاعيفها بصيحة هائلة أيضا وقد روى أن شداد بن عاد حين أتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هى العذاب المصطلم قال قائلهم:

صاح الزمان بآل برمك صيحة ... خروا لشدتها على الأذقان

(بالحق) متعلق بالاخذ أى بالامر الثابت الذى لادفاع له أو بالعدل من الله تعالى أو بالوعد الصدق (فجعلناهم غثاء) أى كغثاء السيل وهو حميله (فبعدا للقوم الظالمين) اخبار أو دعاء وبعدا من المصادر التى لايكاد يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا أى هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير للتعليل (ثم أنشأنا من بعدهم) أى بعد هلاكهم (قرونا آخرين) هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام وغيرهم (ما تسبق من أمة أجلها) أى ماتتقدم أمة من الامم المهلكة الوقت الذى عين لهلاكهم أى ما تهلك أمة قبل مجيء أجلها (وما يستأخرون) ذلك الاجل بساعة وقوله تعالى (ثم أرسلنا رسلنا) عطف على أنشأنا لكن لاعلى معنى أن ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى أن ارسال كل رسول متأخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين قد أرسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم أجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالى (تترى) أى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما فى تولج ويتقوا والالف للتأنيث باعتبار أن الرسل جماعة وقرىء بالتنوين

على أنه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى (كلما جاء أمة رسولها كذبوه) استئناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء إما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بأنهم كذبوه في أول الملاقاة واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق أن كل رسول جاء أمته الخاصة به لا أن كلهم جاءوا كالامم والاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها . وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم (فأتبعنا بعضهم بعضا) في الهلاك حسبما تبع بعضهم بعضا في مباشرة أسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي (وجعلناهم أحاديث) لم يبق منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث أو جمع أحدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كأعاجيب جمع أعجوبة وهي ما يتعجب منه أي جعلناهم أحاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا (فبعدا لقوم لا يؤمنون) اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا وأما القرون الأولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا) هي الآيات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الآيات التي كذبوها واستكبروا عنها (وسلطان مبين) أي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الآيات لما أنها أم آياته عليه الصلاة والسلام وأولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما أفكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه وأما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام و إما نفس الآيات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام ۔ الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي (الى فرعون وملئه) أي اشراف قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء أعقابهم (فاستكبروا) عن الانقياد وتمردوا (وكانوا قوما عالين) متكبرين متمردين (فقالوا) عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار أي كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد أي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة (أنؤمن لبشرين مثلنا) ثنى البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى « بشرا سويا » كما يطلق على الجمع كما في قوله

تعالى «فإما ترين من البشر أحدا» ولم يثن المثل نظراً الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على أن مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على أحوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شئون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في أعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في أسفل سافلين كأولئك الجهلة الذين هم كالانعام بل هم أضل سبيلا (وقومهما) يعنون بني اسرائيل (لنا عابدون) أي خادمون منقادون لنا كالعبيد وكأنهم قصدوا بذلك التعريض بشأنهما عليهما الصلاة والسلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة من وجه آخر غير البشرية . واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا (فكذبوهما) أي فتموا على تكذيبهما وأصروا واستكبروا استكبارا (فكانوا من المهلكين) بالغرق في بحر قلزم (ولقد آتينا) أي بعد اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكتهم (موسى الكتاب) أي التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه الصلاة والسلام اياها لارشاد قومه الى الحق كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كأنهم أوتوها فقيل (لعلهم يهتدون) أي الى طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرائع والاحكام. وقيل أريد آتينا قوم موسى فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى «على خوف من فرعون وملئهم» أي من آل فرعون وملئهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور أن التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل وأما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى «ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى» فمما لا سبيل اليه ضرورة أن ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) وأية آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية أمر واحد نسب اليهما أو جعلنا ابن مريم آية

بأن تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وأمه آية بأنها ولدته من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها. والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عليه الصلاة والسلام ابنها وكونها أمه عليه الصلاة والسلام للايذان من أول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عليه الصلاة والسلام اليها مع أن النسب الى الآباء دالة على أن لا أب له أي جعلنا ابن مريم وحدها من غير أن يكون له أب وأمه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الأب آية. وتقديمه عليه الصلاة والسلام لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما أن تقديم أمه في قوله تعالى «وجعلناها وابنها آية للعالمين» لاصالتها فيما نسب اليها من الاحصان والنفخ (وآويناهما الى ربوة) أي أرض مرتفعة قيل هي ايلياء أرض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض وأقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربا. وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم (ذات قرار) مستقر من أرض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها (ومعين) أي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى وأصله الابعاد في المشي أو من الماعون وهو النفع لانه نفاع أو مفعول من عانه اذا أدركه بالعين فانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات) حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى عليه السلام وأمه الى الربوة ايذانا بأن ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصائصه عليه السلام بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به أي وقلنا لكل رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز. وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى. وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وأمه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا. وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي رحمهم الله تعالى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجمع. وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم. والطيبات ما يستطاب ويستلذ من مباحات المآكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالأمر للترفيه (واعملوا

صالحاً) أى عملا صالحاً فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم (إنى بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والباطنة (عليم) فأجازيكم عليه (وإن هذه) استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على الوجه المذكور مسوق لبيان أن ملة الاسلام والتوحيد مما أمر به كافة الرسل عليهم السلام والامم. وانما أشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور أمرها فى الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك فى سلك الامور المشاهدة (أمتكم) أى ملتكم وشريعتكم أيها الرسل (أمة واحدة) أى ملة وشريعة متحدة فى أصول الشرائع التى لا تتبدل بتبدل الاعصار. وقيل هذه إشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى إن هذه جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد فى العبادة (وأنا ربكم) من غير أن يكون لى شريك فى الربوبية. وضمير المخاطب فيه وفى قوله تعالى (فاتقون) أى فى شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية بى للرسل والامم جميعاً على أن الامر فى حق الرسل للتهييج والالهاب وفى حق الامم للتحذير والايجاب. والفاء لترتيب الأمر أو وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما موجب للاتقاء حتما وقرىء وأن هذه بفتح الهمزة على حذف اللام أى ولان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون أى إن تتقوا فاتقون كما مر فى قوله تعالى «وإياى فارهبون» وقيل على العطف على ما أى انى عليم بأن أمتكم أمة الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه أى واعلموا أن هذه أمتكم الخ وقرىء وأن هذه على انها مخففة من أن (فتقطعوا أمرهم) حكاية لما ظهر من أمم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا. والضمير لما دل عليه الامة من أربابها أو لها على التفسيرين. والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم أى تقطعوا أمر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعاً متفرقة وأدياناً مختلفة (بينهم زبراً) أى قطعاً جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبراً بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من أمرهم أو من واو تقطعوا أو مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانياً أو حالا من أمرهم على تقدير المضاف أى مثل زبر وقرىء بتخفيف الباء كرسل فى رسل (كل حزب) من أولئك المتحزبين (بما لديهم) من الدين الذى اختاروه (فرحون) معجبون معتقدون انه الحق (فذرهم فى غمرتهم) شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها. وقرىء غمراتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان

انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم أى اتركهم على حالهم (حتى حين) هو حين قتلهم أو موتهم على الكفر أو عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والآخرة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تأخيره. وفى التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل (أيحسبون أنما نمدهم به) أى نعطيهم إياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى (من مال وبنين) بيان لها. وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه قدمر وجهه فى سورة الكهف لاخبر لأن وإنما الخبر قوله تعالى (نسارع لهم فى الخيرات) على حذف الراجع إلى الاسم أى أيحسبون أن الذى نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على أن الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى (بل لا يشعرون) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشىء أصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا أن ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار إلى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم فى الخيرات وقرىء يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل أن يكون فيهما ضمير الممد به وقرىء يسارع مبنيا للمفعول (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) استئناف مسوق لبيان من له المسارعة فى الخيرات إثر اقناط الكفار عنها وإبطال حسبانهم الكاذب أى من خوف عذابه حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لا يشركون) شركا جليا ولا خفيا ولذلك أخر عن الايمان بالآيات. والتعرض لعنوان الربوبية فى المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك (والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوه من الصدقات. وقرىء يأتون ما أتوا أى يفعلون ما فعلوه من الطاعات وأياما كان فصيغة الماضى فى الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الاولى للدلالة على الاستمرار (وقلوبهم وجلة) حال من فاعل يؤتون أو يأتون أى يؤتون ما آتوه أو يفعلون من العبادات مافعلوه والحال أن قلوبهم خائفة أشد الخوف (أنهم إلى ربهم راجعون) أى من أن رجوعهم اليه عز وجل على أن مناط الوجل أن لا يقبل منهم ذلك وأن لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لأن مرجعهم اليه تعالى والموصولات الأربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر فى حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كأنه قيل إن الذين هم من

خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ . وإنما كرر الموصول إيذانا باستقلال
كل واحدة من تلك الصفات بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال
الموصوف بها (أولئك) إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بها . وما فيه من معنى البعد للإشعار
ببعد رتبتهم في الفضل أي أولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم
(يسارعون في الخيرات) أي في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة
على الأعمال الصالحة كما في قوله تعالى «فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة»
وقوله تعالى «وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين» فقد أثبت لهم ما نفي
عن أضدادهم خلا أنه غير الاسلوب حيث لم يقل أولئك نسارع لهم في الخيرات بل
أسند المسارعة إليهم إيماء إلى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن أعمالهم . وإيثار
كلمة في على كلمة إلى للإيذان بأنهم متقلبون في فنون الخيرات لا أنهم خارجون عنها
متوجهون إليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة»
الآية (وهم لها سابقون) أي إياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى «هم لها
عاملون» أي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات
والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات أشد الرغبة وهم لأجلها فاعلون السبق أو لأجلها
سابقون الناس والأول هو الأولى (ولا نكلف نفسا إلا وسعها) جملة مستأنفة سيقت
للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدي إلى نيل الخيرات ببيان
سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة أي عادتنا جارية على أن لا نكلف نفسا
من النفوس إلا ما في وسعها على أن المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار
كما مر مرارا أو للترخيص فيما هو قاصر عن درجة أعمال أولئك الصالحين ببيان أنه
تعالى لا يكلف عباده إلا ما في وسعهم فإن لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين
فلا عليهم بعد أن يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم . قال مقاتل : من لم يستطع القيام
فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم إيماء وقوله تعالى (ولدينا كتاب) الخ تتمة
لما قبله ببيان أحوال ما كلفوه من الأعمال وأحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب
والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الأعمال التي يقرءونها عند الحساب حسبما يعرب عنه
قوله تعالى (ينطق بالحق) كقوله تعالى «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون» أي عندنا كتاب قد أثبت فيه أعمال كل أحد على ما هي عليه أو أعمال
السابقين والمقتصدين جميعا لا أنه أثبت فيه أعمال الأولين وأهمل أعمال الآخرين ففيه
قطع معذرتهم أيضا وقوله بالحق متعلق بينطق أي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو

عليه ذاتاً ووصفاً ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل أعمالهم ودقائقها ويرتب عليها أجزيتها إن خيراً فخير وإن شراً فشر وقوله تعالى (وهم لا يظلمون) بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال أي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب أو بزيادة عذاب بل يجزون بقدر أعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد يجوز أن يكون تقريراً لما قبله من التكليف وكتب الاعمال أي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض أعمالهم التي من جملتها أعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة أعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقاديرها وطبقاتها . والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع أن شيئاً منها ليس بظلم على ماتقرر من أن الأعمال الصالحة لاتوجب أصل الثواب فضلا عن إيجاب مرتبة معينة منه حتى تعد الاثابة بما دونها نقصاً وكذلك الأعمال السيئة لاتوجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا تكليف مافي الوسع وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها بصورة مايستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى (بل قلوبهم في غمرة من هذا) إضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله أي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من أن لديه تعالى كتاباً ينطق بالحق ويظهر لهم أعمالهم السيئة على رءوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبيء عنه ماسيأتي من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ . وقيل عما عليه أولئك الموصوفون بالأعمال الصالحة (ولهم أعمال) سيئة كثيرة (من دون ذلك) الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ماسيأتي من طعنهم في القرآن حسبما ينبيء عنه قوله تعالى « مستكبرين به سامراً تهجرون » وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الأعمال الصالحة المذكورة وفيه أنه لامزية في وصف أعمالهم الخبيثة بالتخطي للأعمال الحسنة للمؤمنين . وقيل متخطية عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره (هم لها عاملون) مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لايكادون يبرحونها (حتى اذا أخذنا مترفيهم) أي متنعميهم وهم الذين أمدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى مع كونها غاية لأعمالهم المذكورة مبدأ لما بعدها من مضمون الشرطية أي لايزالون يعملون أعمالهم إلى حيث اذا أخذنا رؤساءهم (بالعذاب) قيل هو القتل والاسر يوم بدر . وقيل هو الجوع الذي أصابهم حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

بقوله «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فقحطوا حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق أنه العذاب الأخروى اذ هو الذى يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر، وأما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبىء عنه قوله تعالى «ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون» فان المراد بهذا العذاب ماجرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما وأما عذاب الجوع فأن أبا سفيان وان تضرع فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روى أنه عليه الصلاة والسلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك (إذاهم يجأرون) أى فاجئوا الصراخ بالاستغاثة من الله عز وجل كقوله تعالى «فاليه تجأرون» وهو جواب الشرط، وتخصيص مترفيهم بماذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم أيضاً لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتكاس أمرهم وكون ذلك أشق عليهم ولانهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنعة والحشم حين لقوا مالقوا من الحالة الفظيعة فلأن يلقاها من عداهم من الحماة والخدم أولى وأقدم (لاتجأروا اليوم) على إضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم مما علقوا به أطماعهم الفارغة من الأغاثة والاعانة من جهته تعالى، وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط وأنت خبير بأن المقصود الأصلى فى الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدى ذلك إلى أن يكون مفاجأتهم إلى الجؤار غير مقصود أصلى وقوله تعالى (انكم منالا تنصرون)تعليل للنهى على الجؤار ببيان عدم إفادته ونفعه أى لايلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لاتغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سياق النظم الكريم لأن جؤارهم ليس إلى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى (قد كانت آياتى تتلى عليكم) الخ صريح فى أنه تعليل لما ذكرنا من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفى متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلة أو بعزةالله تعالى وقوته أى قد كانت آياتى تتلى عليكم فى الدنيا (فكنتم على أعقابكم تنكصون) أى تعرضون عن سماعها أشد الأعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها، والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) أى بالبيت الحرام أو بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدامه وقوامه أو بكتابى الذى عبر عنه بآياتى على تضمين الاستكبار معنى التكذيب أولأن استكبارهم على المسلمين قد حدث بسبب استماعه، ويجوز أن تتعلق الباء بقوله تعالى (سامرا) أى تسمرون بذكر القرآن وبالطعن

فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً . والسامر كالحاضر فى الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل . وقرئ سمراً وسماراً وان تتعلق بقوله تعالى (تهجرون) من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان أو الترك أى تهذون فى شأن القرآن أو تتركونه أو من الهجر بالضم وهو الفحش ويؤيده قراءة تهجرون من أهجر فى منطقه إذا أفحش فيه . وقرئ تهجرون من هجر الذى هو مبالغة فى هجر اذا هذى (أفلم يدبروا القول) الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أى أفعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا فى شأنه من القبائح وأم فى قوله تعالى (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بآخر . والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع أى بل أجاءهم من الكتاب مالم يأت آباءهم الأولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعنى أن مجىء الكتب من جهته تعالى إلى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى لا يكاد يتسنى انكاره وأن مجىء القرآن على طريقته فمن أين ينكرونه وقيل أم جاءهم من الأمن من عذابه تعالى مالم يأت آباءهم الأولين كاسماعيل عليه السلام وأعقابه من عدنان وقحطان ومضر وربيعة وقس والحرث بن كعب وأسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن أد فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله وأطاعوه (أم لم يعرفوا رسولهم) اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر إلى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع أيضاً أى بل ألم يعرفوه عليه السلام بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من أحد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالأنبياء عليهم السلام (فهم له منكرون) أى جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه عليه السلام ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بنى عليه أى فهم غير عارفين له عليه السلام فهو تأكيد لما قبله (أم يقولون به جنة) انتقال إلى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالأولى أى بل أيقولون به جنة أى جنون مع أنه أرجح الناس عقلا وأثقبهم ذهناً وأتقنهم رأياً وأوفرهم رزانة ولقد روعى فى هذه التوبيخات الأربعة التى اثنان منها متعلقان بالقرآن والباقيان به عليه السلام الترقى من الأدنى إلى الأعلى حيث وبخوا أولا بعدم التدبر وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشىء لو اتصف به القول

لكان سبباً لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول عليه الصلاة والسلام من عدم معرفتهم به عليه الصلاة والسلام وذلك يتحقق بعدم المعرفة بخير ولا شر ثم بما لو كان فيه عليه الصلاة والسلام ذلك لقدح فى رسالته عليه الصلاة والسلام (بل جاءهم بالحق) اضراب عما يدل عليه ماسبق أى ليس الأمر كما زعموا فى حق القرآن والرسول عليه الصلاة والسلام بل جاءهم عليه الصلاة والسلام بالحق أى الصدق الثابت الذى لا محيد عنه أصلا ولا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه (وأكثرهم للحق) من حيث هو حق أى حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبىء عنه الاظهار فى موقع الاضمار (كارهونْ) لما فى جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الأبلج وزاغوا عن الطريق الأنهج. وتخصيص أكثرهم بهذا الوصف لا يقتضى إلا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافى كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالأكثر لأن منهم من ترك الايمان استنكافاً من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهته الحق وأنت خبير بأن التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام أصلا (ولو اتبع الحق أهواءهم) استئناف مسوق لبيان أن أهواءهم الزائغة التى ما كرهوا الحق إلا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة أى لو كان ما كرهوه من الحق الذى من جملته ما جاء به عليه السلام موافقاً لأهوائهم الباطلة (لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لأن مناط النظام ليس إلا ذلك. وفيه من تنويه شأن الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى. وأما ما قيل لو اتبع الحق الذى جاء به عليه السلام أهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيامة ولأهلك العالم ولم يؤخر ففيه أنه لا يلائم فرض مجيئه عليه السلام به وكذا ما قيل لو كان فى الواقع إلاهان لا يناسب المقام. وأما ما قيل لو اتبع الحق أهواءهم لخرج عن الالهية فمما لا احتمال له أصلا (بل أتيناهم بذكرهم) انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذى به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذى هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق به قوله تعالى «وانه لذكر لك ولقومك» أى بل أتيناهم بفخرهم وشرفهم الذى كان يجب عليهم أن يقبلوا عليه أكمل اقبال (فهم) بما فعلوه من النكوص (عن ذكرهم) أى فخرهم وشرفهم خاصة (معرضون) لا عن غير ذلك مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به. وفى وضع الظاهر موضع الضمير مزيد تشنيع لهم وتقريع

والفاء لترتيب مابعدها من إعراضهم عن ذكرهم على ماقبلها من ايتاء ذكرهم لالترتيب الاعراض على الايتاء مطلقاً فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضاً عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لاالايتاء مطلقاً . وفى اسناد الاتيان بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عليه الصلاة والسلام تنويه لشأن النبى عليه الصلاة والسلام وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل . وفى إيراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه السلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية مالايخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذى يقتضيه مقام حكاية ماقاله المبطلون فى شأنه و إما التشريف فانما يليق به تعالى لاسيما رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد المشرفين . وقيل المراد بالذكر ماتمنوه بقولهم لو أن عندنا ذكراً من الأولين . وقيل وعظهم وأيد ذلك انه . قرىء بذكراهم والتشنيع على الأولين أشد فان الاعراض عن وعظهم ليس فى مثابة اعراضهم عن شرفهم أو عن ذكرهم الذى يتمنونه فى الشناعة والقباحة (أم تسألهم) انتقال من توبيخهم بما ذكر من قوله أم يقولون به جنة إلى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل أم يزعمون أنك تسألهم على أداء الرسالة (خرجا) أى جعلا فلاجل ذلك لايؤمنون بك وقوله تعالى (فخراج ربك خير) أى رزقه فى الدنيا وثوابه فى الآخرة تعليل لنفى السؤال المستفاد من الانكار أى لاتسألهم ذلك فان مارزقك الله تعالى فى الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تعليل الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام مالا يخفى . والخرج بازاء الدخل يقال لكل ماتخرجه إلى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض . وقيل الخرج ماتبرعت به والخراج مالزمك وقيل الخرج أخص من الخراج ففى النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم . وقرىء خرجا فخرج وخراجا فخراج (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه تعالى (و إنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توهم اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد ألزمهم الله عز وعلا وأزاح عللهم فى هذه الآيات حيث حصر أقسام مايؤدى الانكار والاتهام وبين انتفاء ماعدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم (وان الذين لايؤمنون بالآخرة) وصفوا بذلك تشنيعاً لهم بماهم عليه من الانهماك فى الدنيا وزعمهم أن لا حياة إلا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهى من أقوى الدواعى إلى طلب الحق وسلوك سبيله (عن الصراط) أى عن

جنس الصراط (لناكبون) لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم أو عن الصراط المستقيم الذى تدعوهم اليه والأول أدل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما أنه ينبىء عن كون ماذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أى قحط وجدب (للجوا) لتمادوا (فى طغيانهم) افراطهم فى الكفر والاستكبار وعداوة الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (يعمهون) أى عامهين عن الهدى روى أنه لما أسلم ثمامة بن اثال الحنفى ولحق باليمامة ومنع الميرة عن أهل مكة وأخذهم الله تعالى بالسنين حتى أكلوا العلهز جاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لوكشفنا عنهم ما أصابهم من القحط والهزال برحمتنا إياهم ووجدوا الخصب لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الأفراط فى الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى (ولقد أخذناهم بالعذاب) استئناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب مانالهم يوم بدر من القتل والاسر وما أصابهم من فنون العذاب التى من جملتها القحط المذكور. واللام جواب قسم محذوف أى وبالله لقد أخذناهم بالعذاب (فما استكانوا لربهم) بذلك أى لم يخضعوا ولم يتذللوا على أنه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون إلى كون أو افتعال من السكون قد أشبعت فتحته كمنتزاح فى منتزح بل أقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى (وما يتضرعون) اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أى وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) هو عذاب الآخرة كما ينبىء عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرىء فتحنا بالتشديد (إذا هم فيه مبلسون) أى متحيرون آيسون من كل خير أى محناهم بكل محنة من القتل والأسر والجوع وغير ذلك فما رؤى منهم لين مقادة وتوجه إلى الاسلام قط. وأما ما أظهره أبو سفيان فليس من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه تعالى فى شىء وانما هو نوع خنوع إلى أن يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا وإذا شبع طغا وأكثرهم مستمرون على ذلك إلى أن يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه أشد وأعم من القتل والاسر والمعنى أخذناهم أولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو أطم وأتم فأبلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاءك أعتاهم وأشدهم شكيمة فى العناد يستعطفك والوجه هو الاول

(وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار) لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية (والأفئدة) لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا اعتباراً لائقا (قليلا ما تشكرون) أى شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما أن العمدة فى الشكر صرف تلك القوى التى هي فى أنفسها نعم باهرة الى ما خلقت هى له وأنتم تخلون بذلك اخلالا عظيما (وهو الذى ذرأكم فى الارض) أى خلقكم وبثكم فيها بالتناسل (واليه تحشرون) أى تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم لا إلى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه (وهو الذى يحيى ويميت) من غير أن يشاركه فى ذلك شئ من الاشياء (وله) خاصة (اختلاف الليل والنهار) أى هو المؤثر فى اختلافهما أى تعاقبهما أو اختلافهما ازدياداً وانتقاصا أو لامره وقضائه اختلافهما (أفلا تعقلون) أى ألا تتفكرون فلا تعقلون أو أتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل أن الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التى من جملتها البعث. وقرئ يعقلون على أن الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل على أن الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك (بل قالوا) عطف على مضمر يقتضيه المقام أى فلم يعقلوا بل قالوا (مثل ما قال الاولون) أى آباؤهم ومن دان بدينهم (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث (من قبل) متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم أى وعد آباؤنا من قبل أو بمحذوف وقع حالا من آباؤنا أى كائنين من قبل (ان هذا) أى ما هذا (الا أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى سطروها جمع أسطورة كأحدوثة وأعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر (قل لمن الارض ومن فيها) من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم (ان كنتم تعلمون) جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه أى ان كنتم تعلمون شيئاما فأخبرونى به فان ذلك كاف فى الجواب. وفيه من المبالغة فى وضوح الامر وفى تجهيلهم ما لا يخفى أو ان كنتم تعلمون ذلك فأخبرونى وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك أخبر بجوابهم قبل أن يجيبوا حيث قيل (سيقولون لله) لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها (قل) أى عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم (أفلا تذكرون) أى أتعلمون ذلك أو تقولون ذلك فلا تذكرون أن من فطر الارض وما فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس بأهون من الاعادة بل الامر بالعكس فى قياس العقول. وقرئ تتذكرون على الاصل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) أعيد الرب تنويها لشأن

العرش ورفعا لمحله عن أن يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعى فى الامر بالسؤال الترقى من الادنى إلى الاعلى (سيقولون لله) باللام نظراً الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو فى معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظر الى لفظ السؤال (قل) الجاما لهم وتوبيخا (أفلا تتقون) أى أتعلمون ذلك ولا تتقون أنفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون لله شريكا فى الربوبية (قل من بيده ملكوت كل شىء) مما ذكر وما لم يذكر أى ملكه التام القاهر وقيل خزائنه (وهو يجير) أى يغيث غيره إذا شاء (ولا يجار عليه) أى ولا يغيث أحد عليه أى لا يمنع أحد منه بالنصر عليه (إن كنتم تعلمون) أى شيئا ما أو ذلك فأجيبونى على ما سبق (سيقولون لله) أى لله ملكوت كل شىء وهو الذى يجير ولا يجار عليه (قل فأنى تسحرون) أى فمن أين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به إلى ما أنتم عليه من الغى فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك (بل أتيناهم بالحق) الذى لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث (وانهم لكاذبون) فيما قالوا من الشرك وانكار البعث (ما اتخذ الله من ولد) كما يقوله النصارى والقائلون إن الملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا (وما كان معه من إله) يشاركه فى الألوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم (إذن لذهب كل إله بما خلق) جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط قد حذف لدلالة ما قبله عليه أى لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجارى فيما بين الملوك (ولعلا بعضهم على بعض) فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شىء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات إلى واجب الوجود واحد بالذات (سبحان الله عما يصفون) أى يصفونه به من أن يكون له أنداد وأولاد (عالم الغيب والشهادة) بالجر على أنه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف وأياما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم فى تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى (فتعالى عما يشركون) فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن أن يكون له شريك (قل رب إما تريني) أى إن كان لا بد من أن تريني (ما يوعدون) من العذاب الدنيوى المستأصل وأما العذاب الاخروى فلا يناسبه المقام (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين) أى قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب أن يستعيذ منه من لا يكاد يمكن أن يحيق به

ورد لانكارهم إياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل أمر به عليه الصلاة والسلام هضما لنفسه وقيل لأن شؤم الكفر قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » وروى أنه تعالى أخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بان له في أمته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء . وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال (وإنا على أن نريك ما نعدهم) من العذاب (لقادرون) ولكنا نؤخره لعلمنا بأن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون أو لانا لا نعذبهم وأنت فيهم وقيل قد أراه ذلك وهو ما أصابهم يوم بدر أو فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر أن يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه عليه الصلاة والسلام للحكمة الداعية اليه (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي إلى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو أبلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل . وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام (نحن أعلم بما يصفون) أي بما يصفونك به أو بوصفهم إياك على خلاف ما أنت عليه . وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد له عليه السلام الى تفويض أمره اليه تعالى (وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أي وساوسهم المغرية على خلاف ما أمرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة وأصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع أو الوثب والجمع للمرات أو لتنوع الوساوس أو لتعدد المضاف اليه (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أمر عليه السلام بأن يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما أمر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير من ملابستهم . واعادة الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء أي أعوذ بك من أن يحضروني ويحوموا حولي في حال من الاحوال . وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما وحال حلول الاجل كما روى عن عكرمة رحمه الله لانها أحرى الاحوال بالاستعاذة منها (حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين أن يزلوه عليه الصلاة والسلام عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى أنه العامل فيه لفساد

المعنى بل بمعنى أنه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون فى غاية البعد لفظا ومعنى أى يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء أحدهم أى أحد كان الموت الذى لامرد له وظهرت له أحوال الآخرة (قال) تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة (رب ارجعون) أى ردنى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعنى كما قيل فى قفانبك ونظائره (لعلى أعمل صالحا فيما تركت) أى فى الايمان الذى تركته لم ينظمه فى سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بأن يقول لعلى أومن فأعمل الخ للاشعار بأنه أمر مقرر الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه مرجو الوقوع أى لعلى أعمل فى الايمان الذى آتى به ألبتة عملا صالحا وقيل فيما تركته من المال أو من الدنيا وعنه عليه الصلاة والسلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تبارك وتعالى وأما الكافر فيقول ارجعونى (كلا) ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها (إنها) أى قوله رب ارجعون الخ (كلمة هو قائلها) لامحالة لتسلط الحسرة عليهم (ومن ورائهم) أى أمامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه فى حكم كلهم كما أن الافراد فى الضمائر الاول باعتبار اللفظ (برزخ) حائل بينهم وبين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة وهو اقناط كلى عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجعة يومئذ الى الحياة الاخروية (فاذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة وهى النفخة الثانية التى يقع عندها البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ فى الاجساد أرواحها على أن الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أو لا أنساب يفتخرون بها (يومئذ) كما هى بينهم اليوم (ولا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك (فمن ثقلت موازينه) موزونات حسناته من العقائد والاعمال أى فمن كانت له عقائد صحيحة وأعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله تعالى (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مهروب (ومن خفت موازينه) أى ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ماله وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقد مر تفصيل ما فى هذا المقام من الكلام فى سورة الاعراف

(فأولئك الذين خسروا أنفسهم) ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وأبطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة فى الموضعين عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين فى الصلتين باعتبار لفظه (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة أو خبر ثان لأولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها واللفح كالنفح الا أنه أشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها أشرف الاعضاء فبيان حالها أزجر عن المعاصى المؤدية الى النار وهو السر فى تقديمها على الفاعل (وهم فيها كالحون) من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرىء كلحون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) على إضمار القول أى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب ألم تكن آياتى تتلى عليكم فى الدنيا (فكنتم بها تكذبون) حينئذ (قالوا ربنا غلبت علينا) أى ملكتنا (شقوتنا) التى اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبىء عنه اضافتها الى أنفسهم وقرىء شقاوتنا بالفتح وشقاوتنا أيضا بالفتح والكسر (وكنا) بسبب ذلك (قوما ضالين) عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما يرى اعتراف منهم بان ما أصابهم قد أصابهم بسوء صنيعهم وأما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية فمع أنه باطل فى نفسه لما أنه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة أن العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى (ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) أى أخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا عليه من الكفر والمعاصى فانا متجاوزون الحد فى الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة بل قولهم فان عدنا صريح فى أنهم حينئذ على الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليهما لا احداثهما (قال اخسؤا فيها) أى اسكتوا فى النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ أى انزجر (ولا تكلمون) أى باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون فى رفع العذاب ويرده التعليل الآتى وقيل لا تكلمون رأسا وهو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الآتية فعلا وقوله تعالى (إنه) تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء أى ان الشأن وقرىء بالفتح أى لان الشأن (كان فريق من عبادى) وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل أهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

(يقولون) فى الدنيا (ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاتخذتموهم سخرياً)أى اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا الخ وتتشاغلون باستهزائهم (حتى أنسوكم)أى الاستهزاء بهم (ذكرى) من فرط اشتغالكم باستهزائهم (وكنتم منهم تضحكون) وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى (انى جزيتهم اليوم) استئناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم (بما صبروا) بسبب صبرهم على أذيتكم وقوله تعالى(انهم هم الفائزون)ثانى مفعولى الجزاء أى جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرىء بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه فى غاية ما يكون من الحسن (قال) أى الله عز وجل أو الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسؤا فيها الخ.وقرىء قل على الامر للملك (كم لبثتم فى الارض) التى تدعون أن ترجعوا اليها (عدد سنين) تمييز لكم (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) استقصارا لمدة لبثهم فيها(فاسأل العادين)أى المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك أو الملائكة العادين لاعمار العباد وأعمالهم وقرىء العادين بالتخفيف أى الظلمة فانهم أيضاً يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم بالاضلال وقرىء العاديين أي القدماء المعمرين فانهم أيضا يستقصرون مدة لبثهم (قال) أى الله تعالى أو الملك وقرىء قل كما سبق (إن لبثتم إلا قليلا) تصديقا لهم فى ذلك (لو أنكم كنتم تعلمون) أى تعلمون شيئا أولو كنتم من أهل العلم والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه أى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم تخلدوا اليها (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً)أى ألم تعلموا شيئاً فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم البعث فعبثاً حال من نون العظمة أى عابثين أو مفعول له أى انما خلقناكم للعبث (وانكم الينا لا ترجعون) عطف على انما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على أعمالكم وقرىء ترجعون بفتح التاء من الرجوع (فتعالى الله) استعظام له تعالى ولشئونه التى تصرف عليها عباده من البدء والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة أى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته وأحواله وأفعاله وعن خلو أفعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة (الملك الحق) الذى يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدأ واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته (لا إله إلا هو) فان كل ما عداه عبيده (رب العرش الكريم) فكيف

بما تحته ومحاط به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم أو الخير والبركة والرحمة أو لنسبته الى أكرم الاكرمين وقرىء الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد (ومن يدع مع الله إلها آخر) يعبده افرادا أو اشراكا (لا برهان له به) صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول بخلافه أو اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من أحسن الى زيد لا أحق منه بالاحسان فالله مثيبه (فانما حسابه عند ربه) فهو مجاز له على قدر ما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) أي ان الشأن الخ وقرىء بالفتح على انه تعليل أو خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه أنه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) ايذانا بأنهما من أهم الامور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي ان أولها وآخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وأفلح

(سورة النور مدنية)

وهي اثنتان أو أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة) خبر مبتدا محذوف أي هذه سورة وانما أشير اليها مع عدم سبق ذكرها لانها باعتبار كونها في شرف الذكر في حكم الحاضر الشاهد وقوله تعالى (أنزلناها) مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات وأما كونها مبتدأ محذوف الخبر على أن يكون التقدير فيما أوحينا اليك سورة أنزلناها فيأباه أن مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة لا أن في جملة ما أوحي الى النبي عليه

الصلاة والسلام سورة شأنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم أن غيرها من السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره أنزلناها فلا محل له حينئذ من الاعراب أو على تقدير اقرأ ونحوه أو دونك عند من يسوغ حذف أداة الاغراء فمحل أنزلنا النصب على الوصفية (وفرضناها) أي أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية مالا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتأكيد الايجاب أو لتعدد الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف (وأنزلنا فيها) أي في تضاعيف السورة (آيات بينات) ان أريد بها الآيات التي نيطت بها الأحكام المفروضة وهو الاظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالاتها على أحكامها لا على معانيها على الاطلاق فانها أسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير أنزلنا مع استلزام انزال السورة لانزالها لابراز كمال العناية بشأنها وأن أريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من أجزائه وتكرير أنزلنا مع أن جميع الآيات عين السورة وانزالها عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع إلى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعاً لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا (لعلكم تذكرون) بحذف أحدى التاءين وقرئ بادغام الثانية في الذال أي تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية إلى اجراء أحكامها وفيه إيذان بأن حقها أن تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها (الزانية والزاني) شروع في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرهاً وتقديمها على الزاني لانها الأصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط إذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وقيل الخبر محذوف أي فيما أنزلنا أو فيما فرضنا الزانية والزاني أي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا الخ بيان لذلك الحكم وكان هذا عاماً في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعاً ويكفينا في تعيين الناسخ القطع بانه عليه الصلاة والسلام قد رجم ماعزاً وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الايضاح الرجم حكم ثابت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب [illegible]

بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روى عن علي رضي الله عنه (ولا تأخذكم بهما رأفة) وقرىء بفتح الهمزة وبالمد أيضا على فعالة أي رحمة ورقة (في دين الله) في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) من باب التهييج والالهاب، فان الايمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في إجراء أحكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) أي لتحضره زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول شيء من الطوف وأقلها ثلاثة كما روي عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة الى أربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير والزجر (الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) حكم مؤسس على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان أنه من أفعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب الا في نكاح احداهما والزانية لا يرغب في نكاحها الا أحدهما فلا تحوموا حوله كي لا تنتظموا في سلكهما أو تتسموا بسمتهما فإيراد الجملة الاولى مع أن مناط التنفير هي الثانية إما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن أو لتأكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركة للتنبيه على أن مناط الزجر والتنفير هو الزنا لا مجرد الاشراك وانما تعرض لها في الاولى اشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة (وحرم ذلك) أي نكاح الزواني (على المؤمنين) لما أن فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن في النسب واختلال أمر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق بأحد من الاداني والاراذل فضلا عن المؤمنين ولذلك عبر عن التنزه به بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم إما مخصوص بسبب النزول أو منسوخ بقوله تعالى وأنكحوا الايامى منكم فانه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي انه صلى

الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال
وما قيل من أن المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان (والذين يرمون المحصنات)
بيان لحكم العفائف اذا نسبن الى الزنا بعد بيان حكم الزوانى ويعتبر فى الاحصان
ههنا مع مدلوله الوضعى الذى هو العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والاسلام وفى التعبير
عن التفوه بما قالوا فى حقهن بالرمى المنبئ عن صلابة الآلة وإيلام المرمى وبعده عن
الرامى إيذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا لا غير
وعدم التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزوانى ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع
على نزاهتهن عن الزنا خاصة فان ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة
فى ذلك الى الاستشهاد باعتبار الاربعة من الشهداء على أن فيه مؤنة بيان تأخر نزول
الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة ولا بعدم وجوب الحد بالرمى بغير الزنا على
أن فيه شبهة المصادرة كأنه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من الزنا (ثم لم يأتوا
بأربعة شهداء) يشهدون عليهن بما رموهن به وفى كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان بالشهود
كما أن فى كلمة لم إشارة إلى تحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا أن اجتماع
الشهود لا بد منه عند الاداء خلافا للشافعى رحمه الله تعالى فانه يجوز التراخى بين
الشهادات كما بين الرمى والشهادة ويجوز أن يكون أحدهم زوج المقذوفة خلافا
له أيضا وقرىء بأربعة شهداء (فاجلدوهم ثمانين جلدة) لظهور كذبهم وافترائهم
بعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم
الكاذبون وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن
بهذا الحكم مع أن حكم رمى المحصنين أيضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمى
فيهن (ولا تقبلوا لهم شهادة) عطف على اجلدوا داخل فى حكمه تتمة له لما فيه من
معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه فعوقب
باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام فى لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت
عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهاداتهم
الناشئة عن أهليتهم الثابتة لهم عند الرمى وهو السر فى قبول شهادة الكافر المحدود فى
القذف بعد التوبة والاسلام لأنها ليست ناشئة عن أهليته السابقة بل عن أهلية حدثت
له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من أن المسلمين لا يعبؤن بسب
الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف
المسلم فان ذلك بدون ما مر من الاعتبار تعليل فى مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى

لا تقبلوا منهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمى (أبدا) أى مدة حياتهم وإن تابوا وأصلحوا لما عرفت من أنه تتمة للحد كأنه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم أى فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كأصله (وأولئك هم الفاسقون) كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشر والفساد أي أولئك هم المحكوم عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لاطلاق اسم الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى (إلا الذين تابوا) استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتى ومحل المستثنى النصب لأنه عن موجب وقوله تعالى (من بعد ذلك) لتهويل المتوب عنه أى من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل (وأصلحوا) أى أصلحوا أعمالهم التى من جملتها ما فرط منهم بالتلافى والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف (فان الله غفور رحيم) تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كأنه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم فى سلك الفاسقين لأنه تعالى مبالغ فى المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعى رحمه الله الاستثناء بالنهى فمحل المستثنى حينئذ الجر على البدلية من الضمير فى لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهى بالتوبة فتقبل شهادته بعدها (والذين يرمون أزواجهم) بيان لحكم الرامين لأزواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا بأن يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء الآية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص أن لا يكون المخصص متراخى النزول بل بكونه ناسخا لعمومها ضرورة تراخى نزولها كما سيأتى فتبقى الآية السابقة قطعية الدلالة فيما بقى بعد النسخ لما بين فى موضعه أن دليل النسخ غير معلل (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتأنيث الفعل (الا أنفسهم) بدل من شهداء أو صفة لها على أن الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء إيذانا من أول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه فى سلك الشهادة فى الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم فى قوله تعالى (فشهادة أحدهم) أى شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى (أربع شهادات) خبره أى فشهادتهم المشروعة أربع شهادات (بالله) متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ أربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على أنه اما خبر لمبتدأ محذوف أى فالواجب شهادة أحدهم واما مبتدأ محذوف الخبر أى فشهادة أحدهم واجبة (انه لمن الصادقين) أى فيما رماها

به من الزنا وأصله على أنه الخ فحذف الجار وكسرت أن وعلق العامل عنها للتأكيد (والخامسة) أي الشهادة الخامسة للأربع المتقدمة أي الجاعلة لها خمسا بانضمامها إليهن وإفرادها عنهن مع كونها شهادة أيضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدأ خبره (أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم أو تلاعن (ويدرأ عنها العذاب) أي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على أحد الوجهين بالرجم الذي هو أشد العذاب (أن تشهد أربع شهادات بالله انه) أي الزوج (لمن الكاذبين) أي فيما رماني به من الزنا (والخامسة) بالنصب عطفا على أربع شهادات (أن غضب الله عليها ان كان) أي الزوج (من الصادقين) أي فيما رماني به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ أن بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ أن غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما أنها مادة الفجور ولأن النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي أن آية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم ابن عدي الانصاري رضي الله عنه فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فأخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك فقال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك ابن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فأنكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد رحمهما الله ولا تتأبد حكمها حتى اذا أكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك أبدا (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كأنه قيل ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته أنه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه لأنه أعرف بحال

ز وجته وأنه لايفترى عليها لاشتراكهما فى الفضاحة و بعد ماشرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب فى خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب أحدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلى الكاذب منهما فى تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو أتم مما درأته عنه وأطم وفى ذلك من أحكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة مالا يخفى أما على الصادق فظاهر وأما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه فى الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته سبحانه ما أعظم شأنه وأوسع رحمته وأدق حكمته (ان الذين جاؤا بالافك) أى بابلغ مايكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لاتشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ماأفك به الصديقة أم المؤمنين رضى الله عنها وفى لفظ المجىء اشارة الى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضى الله عنها فأقرع بيننا فى غزوة غزاها قبل غزوة بنى المصطلق فخرج سهمى فخرجت معه عليه السلام بعد نزول آية الحجاب فحملت فى هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودى بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلى فلمست صدرى فاذا عقدى من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسنى ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون أنى فيه لخفتى فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدى بعدما استمرت الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلى وظننت أنى سيفقدونى ويعودون فى طلبى فبينا أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى من وراء الجيش فلما رآنى عرفنى فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهى بجلبابى والله ماتكلمنا بكلمة ولاسمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين فى نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدنى الناس حين نزلوا وماج القوم فى ذكرى فبينا الناس كذلك إذ هجمت عليهم فخاض الناس فى حديثى فهلك من هلك وقوله تعالى (عصبة منكم) خبر ان أى جماعة وهى من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعة وحسان

ابن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى (لا تحسبوه شرا لكم) استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم تسلية لهم من أول الأمر والضمير للافك (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثمانى عشرة آية فى نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (لكل امرىء منهم) أى من أولئك العصبة (ما اكتسب من الاثم) بقدر ماخاض فيه (والذى تولى كبره) أى معظمه وقرئ بضم الكاف وهى لغة فيه (منهم) من العصبة وهو ابن أبى فانه بدأ به وأذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول حينئذ باعتبار الفوج أو الفريق أو نحوهما (له عذاب عظيم) أى فى الآخرة أو فى الدنيا أيضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن أبى مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان أعمى وأشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفى التعبير عنه بالذى وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب مالا يخفى (لولا إذ سمعتموه) تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه إلى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد مافى لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة فى قوله تعالى (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لابطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بمايوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بأنفسهم اى بابناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم كقوله تعالى ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وقوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم مما لاريب فيه فاخلالهم بموجبه فى غاية أقبح وأشنع والتوبيخ عليه أدخل مع ما فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الحقيقى فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل للظاهر والمنافقون أيضا فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن إظهار ما ينافى مدعاهم فالتوبيخ حينئذ عام للكل وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض بأول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به رأسا فى غاية ما يكون من القباحة والشناعة أى كان الواجب أن يظن المؤمنون

والمؤمنات أول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات أو بالواسطة من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا (وقالوا) فى ذلك الآن (هذا إفك مبين) أى ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق أم المؤمنين حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا جاؤا عليه بأربعة شهداء) اما من تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم أثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه أى هلا جاء الخائضون بأربعة شهداء يشهدون على ما قالوا (فاذ لم يأتوا) بهم وانما قيل (بالشهداء) لزيادة التقرير (فأولئك) اشارة الى الخائضين ومافيه من معنى البعد للايذان بغلوهم فى الفساد وبعد منزلتهم فى الشر أى أولئك المفسدون (عند الله) أى فى حكمه وشرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة (هم الكاذبون) الكاملون فى الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة وأما كلام مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ماقالوه قولا لايساعده الدليل أصلا (ولولا فضل الله عليكم) خطاب للسامعين والمسمعين جميعا (ورحمته فى الدنيا) من فنون النعم التى من جملتها الامهال للتوبة (والآخرة) من ضروب الآلاء التى من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة (لمسكم) عاجلا (فيما أفضتم فيه) بسبب ماخضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل أمره والاستهجان بذكره يقال أفاض فى الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى (عذاب عظيم) يستحقر دونه التوبيخ والجلد (إذ تلقونه) بحذف احدى التاءين ظرف للمس أى لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم إياه من المخترعين (بألسنتكم) والتلقى والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا أن فى الأول معنى الاستقبال وفى الثانى معنى الخطف والأخذ بسرعة وفى الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ تتلقونه على الأصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته إذا طلبته فوجدته وتقفونه أى تتبعونه (وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم) أى تقولون قولا مختصا بالافواه من غير أن يكون له مصداق ومنشأ فى القلوب لأنه ليس بتعبير عن علم به فى قلوبكم كقوله تعالى يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لاتبعة له أو ليس له كثير عقوبة (وهو عند الله) والحال أنه عنده عز وجل (عظيم) لايقادر قدره فى الوزر واستجرار العذاب (ولولا إذ سمعتموه) من المخترعين أو المشايعين لهم (قلتم) تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه (مايكون لنا) ما يمكننا (أن نتكلم بهذا)

وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده
على وجه الصحة والاستقامة والانبغاء وهذا إشارة إلى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا
وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض بأول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير
القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد أنه المحتمل للوقوع المفتقر إلى التحضيض على
على تركه وأما ترك القول نفسه رأساً فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام
على تركه وعلى هذا ينبغي أن يحمل ماقيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم أن يتفادوا
أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم وأما ماقيل
من أن ظروف الأشياء منزلة منزلة أنفسها لوقوعها فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع
فيها ما لا يتسع في غيرها فهي ضابطة ربما تستعمل فيما إذا وضع الظرف موضع المظروف
بأن جعل مفعولا صريحاً لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء
أو مقدر كعامة الظروف المنصوبة بإضمار اذكر وأما ههنا فلا حاجة إليها أصلا لما
تحققت أن مناط التقديم توجيه التحضيض إليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل
كما في قوله تعالى فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها (سبحانك) تعجب من تفوه
به وأصله أن يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من أن
يصعب عليه أمثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه أو تنزيه له تعالى من أن
تكون حرمة نبيه فاجرة فإن فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج فيكون تقريرا
لما قبله وتمهيداً لقوله تعالى (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه
فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها (يعظكم الله) أي ينصحكم (ان تعودوا
لمثله) أي كراهة أن تعودوا أو يزجركم من أن تعودوا أو في أن تعودوا من قولك
وعظته في كذا فتركه (أبدا) أي مدة حياتكم (إن كنتم مؤمنين) فإن الإيمان وازع
عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن
الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها أي ينزلها كذلك أي مبينة ظاهرة الدلالة على
معانيها لا أنه يبينها بعد أن لم تكن كذلك وهذا كما في قولهم سبحان من صغر البعوض
وكبر الفيل أي خلقهما صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع أسفلها
وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتفخيم شأن البيان (والله عليم) بأحوال
جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها (حكيم) في جميع تدابيره وأفعاله فأنى يمكن صدق
ماقيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه إلى كافة الخلق ليرشدهم إلى الحق
ويزكيهم ويطهرهم تطهيراً وإظهار الاسم الجليل ههنا لتأكيد استقلال الاعتراض

التذييل والاشعار بعلة الألوهية للعلم والحكمة (ان الذين يحبون) أى يريدون ويقصدون (أن تشيع الفاحشة) أى تنتشر الخصلة المفرطة فى القبح وهى الفرية والرمى بالزنا أو نفس الزنا فالمراد بشيوعها شيوع خبرها أى يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لامحالة (فى الذين آمنوا) متعلق بتشيع أى تشيع فيما بين الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم أو بمضمر هو حال من الفاحشة فالموصول عبارة عن المؤمنين خاصة أى يحبون أن تشيع الفاحشة كائنة فى حق المؤمنين وفى شأنهم (لهم) بسبب ماذكر (عذاب أليم فى الدنيا) من الحد وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن أبى وحسانا ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره (والآخرة) من عذاب النار وغير ذلك مما يعلمه الله عز وجل (والله يعلم) جميع الأمور التى من جملتها مافى الضمائر من المحبة المذكورة (وأنتم لاتعلمون) مايعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا أموركم على ماتعلمونه وعاقبوا فى الدنيا على ماتشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولى للسرائر فيعاقب فى الآخرة على ما تكنه الصدور هذا اذا جعل العذاب الأليم فى الدنيا عبارة عن حد القذف أو متناولا له كما أطبق عليه الجمهور أما اذا أبقى على اطلاقه يراد بالمحبة نفسها من غير أن يقارنها التصدى للاشاعة وهو الانسب بسياق النظم الكريم فيكون ترتيب العذاب عليها تنبيها على أن عذاب من يباشر الاشاعة ويتولاها أشد وأعظم ويكون الاعتراض التذييلى أعنى قوله تعالى والله يعلم وأنتم لا تعلمون تقريرا لثبوت العذاب الأليم لهم وتعليلا له (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه على كمال عظم الجريرة (وان الله رؤف رحيم) عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار باستتباع صفة الألوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما أن المراد بيان اتصافه تعالى فى ذاته بالرأفة التى هى كمال الرحمة والرحيمية التى هى المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما أن المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ماقبله عليه (يا أيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) أى لاتسلكوا مسالكه فى كل ماتأتون وماتذرون من الأفاعيل التى من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها أيضا (ومن يتبع خطوات الشيطان) وضع الظاهرين موضع ضميريهما

حيث لم يقل ومن يتبعها أو ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة فى التنفير والتحذير (فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دأبه المستمر أن يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما أفرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير أنه للشيطان وقيل للشأن على رأى من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم الشرط أو على ان الاصل يأمره وقيل هو عائد الى من أى فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لان شأن الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد إلى رتبة الاضلال والافساد (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (ما زكا) أى ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد أى ما طهر الله تعالى ومن فى قوله تعالى (منكم) بيانية وفى قوله تعالى (من أحد) زائدة وأحد فى حيز الرفع على الفاعلية على القراءة الأولى وفى محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية (أبدا) لا الى نهاية (ولكن الله يزكى) يطهر (من يشاء) من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم (والله سميع) مبالغ فى سمع الأقوال التى من جملتها ما أظهروه من التوبة (عليم) بجميع المعلومات التى من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص فى التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الألوهية للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلى (ولا يأتل) اى لا يحلف افتعال من الألية وقيل لا يقصر من الالو والأول هو الأظهر لنزوله فى شأن الصديق رضى الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتال (أولو الفضل منكم) فى الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضى الله تعالى عنه (والسعة) فى المال (أن يؤتوا) أى على ان لا يؤتوا وقرىء بتاء الخطاب على الالتفات (أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) صفات لموصوف واحد جىء بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات أقيمت هى مقامها وحذف المفعول الثانى لغاية ظهوره أى على ان لا يؤتوهم شيأ (وليعفوا) ما فرط منهم (وليصفحوا) بالاغضاء عنه وقد قرىء الأمران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) أى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من أساء اليكم (والله غفور رحيم) مبالغ فى المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم فى العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذا

من موجباته روى أنه عليه الصلاة والسلام قرأها على أبي بكر رضي الله عنه فقال بلى أحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا أنزعها أبدا (ان الذين يرمون المحصنات) أى العفائف مما رمين به من الفاحشة (الغافلات) عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ماليس في المحصنات أى السليمات الصدور والنقيات القلوب عن كل سوء (المؤمنات) أى المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها إيمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع أصالة وصف الايمان فانه للايذان بأن المراد بها المعنى الوصفي المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر أمهات المؤمنين لاشتراك الكل في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين ونظائره وقيل أمهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا أوليا وأما ما قيل من أن المراد هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الأمة فيأباه ان العقوبات المترتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في أن رمي غير أمهات المؤمنين ليس بكفر فيجب أن يكون المراد اياهن على أحد الوجهين فانهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة من أن يحوم حوله أحد بسوء حتى ان ابن عباس رضي الله عنهما جعله اغلظ من سائر أفراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من أذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في أمر عائشة رضي الله عنها وهل هو منه رضي الله عنه الا لتهويل أمر الافك والتنبيه على أنه كفر غليظ (لعنوا) بما قالوه في حقهن (في الدنيا والآخرة) حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة أبدا (ولهم) مع ماذكر من اللعن الابدي (عذاب عظيم) هائل لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية قوله تعالى (يوم تشهد عليهم) الخ اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا لعذاب وان أغضينا عن وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على أنه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة

والداهية العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم (ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) يكون من الاحوال والاهوال مالا يحيط به حيطة المقال على أن الموصول المذكور عبارة عن جميع أعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة لاعن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها أنه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من أفاعيل صاحبها لاان كلامنها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب والموصول المحذوف عبارة عنها وعن فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لاعن احداها خاصة ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل مالامزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين لامر الوازع والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها فى الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع مافيه من التشويق الى المؤخر كامر مرارا وقوله تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أى يوم اذتشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله تعالى جزاءهم الثابت الذى يحق أن يثبت لهم لامحالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز أن يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدلا منه وقيل هو منصوب على أنه مفعول لفعل مضمر أى اذكر يوم تشهد وقرىء يوم يشهد بالتذكير للفصل (ويعلمون) عند معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القرآن الكريم (أن الله هو الحق) الثابت الذى يحق أن يثبت لامحالة فى ذاته وصفاته وأفعاله التى من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التى يشاهدونها منطبقة عليها (المبين) المظهر للأشياء كما هى فى أنفسها أوالظاهر أنه هو الحق وتفسيره بظهور ألوهيته تعالى وعدم مشاركة الغيرله فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما أن تفسير الحق بذى الحق البين أى العادل الظاهر عدله كذلك ولو تدبرت ما فى الفرقان المجيد من آيات الوعيد الواردة فى حق كل كفار مريد وجبار عنيد لاتجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبى صلى الله عليه وسلم فى علو الشأن والنباهة وابراز رتبة الصديقة رضى الله عنها فى العفة والنزاهة وقوله تعالى (الخبيثات) الخ كلام مستأنف مسوق على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله تعالى ملكا يسوق الاهل الى الاهل أى الخبيثات من النساء (للخبيثين) من الرجال أى مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم

الى غيرهم على أن اللام للاختصاص (والخبيثون) أيضا (للخبيثات) لأن المجانسة من دواعي الانضمام (والطيبات) منهن (للطيبين) منهم (والطيبون) أيضا (للطيبات) منهن بحيث لا يكادون يجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب الاطيبين وخيرة الاولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى (أولئك مبرؤن مما يقولون) على أن الاشارة الى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاما أوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون بعلو الشأن مبرؤن مما تقوله أهل الافك في حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء أي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن تقال في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم أحقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلام أولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون في حقهم فمآله تنزيه الصديقة أيضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين أي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها أولئك الطيبون مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث أي لا يصدر عنهم مثل ذلك فمآله تنزيه القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم (لهم مغفرة) عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) إثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي الى أحدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل أحد في ملكه والا فالآجر والمعير أيضا منهيان عن الدخول بغير إذن وقرىء بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء لاجل الياء (حتى تستأنسوا) أي تستأذنوا من يملك الاذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فان المستأنس مستعلم للحال مستكشف أنه هل يؤذن له أو من

الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش خائف أن لا يؤذن له فاذا أذن له استأنس (وتسلموا على أهلها) عند الاستئذان روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل والارجع (ذلكم) أي الاستئذان مع التسليم (خير لكم) من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم اذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أستأذن على أمي قال له نعم قال ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت قال عليه الصلاة والسلام أتحب أن تراها عريانة قال لا قال عليه الصلاة والسلام فاستأذن (لعلكم تذكرون) متعلق بمضمر أي أمرتم به أو قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه (فان لم تجدوا فيها أحداً) أي ممن يملك الاذن على أن من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه كفقدانه أو أحدا أصلا على أن مدلول النص الكريم عبارة هو النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقا وأما حرمة دخول ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لأن الدخول حيث حرم مع ما ذكر من العلة فلأن يحرم عند انضمام ما هو أقوى منها اليه أعني الاطلاع على العورات أولى (فلا تدخلوها) واصبروا (حتى يؤذن لكم) أي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتي من يأذن لكم أو حتى تجدوا من يأذن لكم فقد أبرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار على الأبواب مطلقا بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أي ان أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الأمر ممن يملك الاذن أو لا فارجعوا ولا تلحوا بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول ولا تلجوا بالاصرار على الانتظار الى أن يأتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة أي قدح (هو) أي الرجوع (أزكى لكم) أي أطهر مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرذالة (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتونه وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا) أي بغير استئذان (بيوتا غير مسكونة) أي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير أن يتخذها سكنا كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما

عنه قوله تعالى (فيها متاع لكم) فانه صفة للبيوت أو استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح أى فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الامتعة والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها بغير استئذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى أمرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات والخانات وأصحاب الحوانيت ومتصرفى الحمامات ونحوهم وروى أن أبا بكر رضى الله عنه قال يارسول الله ان الله تعالى قد أنزل عليك آية فى الاستئذان وانا نختلف فى تجارتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها الا باذن فنزلت وقيل هى الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر أنها من جملة ما ينتظمه البيوت لا أنها المرادة فقط وقوله تعالى (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات (قل للمؤمنين) شروع فى بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا أوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما فى حيزه من الاوامر والنواهى الى رأيه عليه الصلاة والسلام لانها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدى لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الامر أمر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه أى قل لهم غضوا (يغضوا من أبصارهم) عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل (ويحفظوا فروجهم) الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما فى أمر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر (ذلك) أى ما ذكر من الغض والحفظ (أزكى لهم) أى أطهر لهم من دنس الريبة (ان الله خبير بما يصنعون) لا يخفى عليه شىء مما يصدر عنهم من الافاعيل التى من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه فى كل ما يأتون وما يذرون (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه (ويحفظن فروجهن) بالتستر أو التصون عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد (ولا يبدين زينتهن) كالحلى وغيرها مما يتزين به وفيه من المبالغة فى النهى عن ابداء مواضعها ما لا يخفى (الا ما ظهر منها) عند مزاولة الامور التى لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان فى سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضعها

الزينة بعد النهى عن إبدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء فعدى بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم (ولا يبدين زينتهن) كرر النهى لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثنى عنه بعض مواد الضرورة باعتبار المنظور (الا لبعولتهن) فانهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن) لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما أن الاحوط أن يتسترن عنهم حذارا من أن يصفوهن لابنائهم (أو نسائهن) المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن للرجال (أو ما ملكت أيمانهن) أى من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبى منها وقيل من الاماء والعبيد لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أتى فاطمة رضى الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه الصلاة والسلام انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلامك (أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال) أى أولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الهم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من أمور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع أو لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين) أى ما يخفينه من الرؤية (من زينتهن) أى ولا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم أنهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم أن لهن ميلا اليهم وفى النهى عن ابداء صوت الحلى بعد النهى عن ابداء عينها من المبالغة فى الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى (وتوبوا الى الله جميعا) تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما فى حيزه من أمر التوبة وأنها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط فى اقامة مواجب التكاليف كما ينبغى وناهيك بقوله عليه السلام شيبتنى

سورة هو دلنا فيها من قوله عز وجل فاستقم كما أمرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى (أيها المؤمنون) تأكيد للايجاب وإيذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما قرىء أيه المؤمنون (لعلكم تفلحون) تفوزون بذلك بسعادة الدارين (وانكحوا الايامى منكم) بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة أمر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقاء النوع خير مزجرة عن ذلك وأيامى مقلوب ايايم جمع أيم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان أو ثيبا يفصح عنه قول من قال

فان تنكحي أنكح وان تتأيمي وان كنت افتى منكم اتأيم

أي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر (والصالحين من عبادكم وإمائكم) أي ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه أن لا يستبقيه عنده وأما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر فلأن الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم وأموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة أو آجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر أحد الجانبين أي لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فان في فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب أو وعد منه سبحانه بالاغناء لقوله عليه الصلاة والسلام اطلبوا الغنى في هذه الآية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك (عليم) يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة (وليستعفف) ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح وأسبابها الى ما هو أولى لهم وأحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقراء أي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) أي أسباب نكاح أو لا يتمكنون مما ينكح به من المال (حتى يغنيهم الله من فضله) عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف لهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وإيذان بأن فضله تعالى أولى

بالاعفاء وأدنى من الصلحاء (والذين يبتغون الكتاب) بعد ما أمر بانكاح صالحى المماليك الاحقاء بالانكاح أمر بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة أى الذين يطلبون المكاتبة (مما ملكت أيمانكم) عبدا كان أو أمة وهى أن يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الى وتعتق ويقول المملوك قبلته أو نحو ذلك فان أداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسى أن تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك أن تفى بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق أن المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب فى أن ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما فى الحقيقة الا الاتيان بأحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا أن كلا من ذلك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه فى نفسه إلا منوطا بتحقق الآخر ضرورة أن التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله إلا بالتزام البدل من طرف العبد كما أن عقد البيع الذى هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه إلا بتملكه به من جانب المشترى لم يكن بد من تضمين أحدهما الآخر وفى الانشاء فكما أن قول البائع بعت انشاء لعقد البيع على معنى أنه إيقاع لما يتم من قبله إصالة ولما يتم من قبل المشترى ضمنا إيقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولى كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء لعقد الكتابة أى إيقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل إصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا إيقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره (فكاتبوهم) والفاء لتضمنه معنى الشرط أو النصب على أنه مفعول لمضمر يفسره هذا والأمر فيه للندب لأن الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز إلا مؤجلا منجما وقد فصل فى موضعه (إن علمتم فيهم خيرا) أى أمانة ورشدا وقدرة على أداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذى الناس بعد العتق واطلاق العنان (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) أمر للموالى ببذل شىء من أموالهم وفى حكمه حط شىء من مال الكتابة ويكفى فى ذلك أقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعى للوجوب ويرده قوله عليه

الصلاة والسلام المكاتب عبد ما بقي عليه درهم إذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وأيضاً لو وجب الحط لكان وجوبه معلقاً بالعقد فيكون العقد موجباً ومسقطاً معاً وأيضاً فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كالبيع وقيل معنى آتوهم أقرضوهم وقيل هو أمر لهم بأن ينفقوا عليهم بعد أن يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه بايتائه إياهم للحث على الامتثال بالأمر بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من أقوى الدواعي الى صرفه الى الجهة المأمور بها وقيل هو أمر باعطاء سهمهم من الصدقات فالأمر للوجوب حتماً والاضافة والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو أمر ندب لعامة المسلمين لاعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل ذلك للمولى وإن كان غنياً لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية (ولا تكرهوا فتياتكم) أي إمائكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والأمة وعلى ذلك مبنى قوله عليه الصلاة والسلام ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي ولهذه العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى (على البغاء) وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لأنهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالباً دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى (ان أردن تحصنا) ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ماعداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني أو لخصوص الزمان أو لخصوص المكان أو لغير ذلك من الأمور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الأمور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبائح فان عبد الله بن أبي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا عليه من القبائح مالايخفى فان من له أدنى مروءة لايكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من إمائه فضلا عن أمرهن به أو اكراههن عليه لاسيما عند ارادتهن التعفف فتأمل ودع عنك ماقيل من أن ذلك لان الاكراه لايتأتى الا مع ارادة التحصن وماقيل من أنه ان جعل شرطا للنهي لايلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه فانهما بمعزل من التحقيق وايثار كلمة أن على اذا مع تحقق الارادة في مورد

النص حتما للايذان بوجوب الانتهاء عن الاكراه عند كون ارادة التحصن فى حيز التردد والشك فكيف اذا كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الارادة المذكورة منهن فى حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها اباء ظاهرا وقوله تعالى (لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا) قيد للاكراه لكن لا باعتبار أنه مدار للنهى عنه بل باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير أى لاتفعلوا ما أنتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه (ومن يكرههن) الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة أى ومن يكرههن على ماذكر من البغاء (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) أى لهن كما وقع فى مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضى الله تعالى عنهم وكما ينبىء عنه قوله تعالى من بعد اكراههن أى كونهن مكرهات على أن الاكراه مصدر من المبنى المفعول فان توسيطه بين اسم أن وخبرها للايذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصرى رحمه الله اذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن والله وفى تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين أيضا فى الشرطية دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفى به عن العائد الى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا أو معهن اخلال بجزالة النظم الجليل وتهوين لامر النهى فى مقام التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبئة عن سابقة الاثم إما باعتبار أنهن وان كن مكرهات لا يخلون فى تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار أن الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل أمر الزنا وحث المكرهات على التثبت فى التجافى عنه والتشديد فى تحذير المكرهين ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة لولا أن تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر فى حقهن فما حال من يكرههن فى استحقاق العذاب (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) كلام مستأنف جيء به فى تضاعيف ماورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان جلالة شؤنها المستوجبة للاقبال الكلى على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذى تعرب عنه اللام لابراز كمال العناية بشأنه أى والله

لقد أنزلنا اليكم فى هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة الى بيانه من الحدود وسائر الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادى بيانها على أن اسناد التبيين اليها مجازى أو آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذى عينين وقرئ على صيغة المفعول أى التى بينت وأوضحت فى هذه السورة من معانى الاحكام والحدود وقد جوز أن يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) عطف على آيات أى وأنزلنا مثلا كائنا من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم فى الكتب السابقة والحكايات الجارية على ألسنة الانبياء عليهم السلام فينتظم قصة عائشة رضى الله عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام وقصة مريم رضى الله عنها وسائر الامثال الواردة فى السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات المبينات بالسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه تعقيب الكلام بما سيأتى من التمثيلات (وموعظة) تتعظون به وتنزجرون عما لا ينبغى من المحرمات والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب فهى عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنوانى المنزل منزلة التغاير الذاتى وقد خصت الآيات بما يبين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة فى شأن الآداب وانما قيل (للمتقين) مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى أنزلنا اليكم حثا للمخاطبين على الاعتناء بالانتظام فى سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من أنوارها فحسب وقيل المراد بالآيات المبينات والمثل والموعظة جميع ما فى القرآن المجيد من الآيات والامثال والمواعظ فقوله تعالى (الله نور السموات والارض) الخ حينئذ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مع الاشعار بكونه فى غاية الكمال على الوجه الذى ستعرفه وأما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس مقصورا على ما ورد فى السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحق بيانه من الاحكام والشرائع ومباديها وغاياتها المترتبة عليها فى الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل فى البيان وانه واقع منه تعالى على أتم الوجوه وأكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذى هو أقوى مراتب البيان وأجلاها وعبر عن المنور بنفس النور تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما أن النور نير بذاته

وما عداه مستنير به وأضيف النور إلى السموات والأرض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية شموله لكل مايليق به من الأمور التي لها مدخل فى أرشاد الناس بوساطة بيان شمول المستعار منه لجميع مايقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران للعالم الجسمانى الذى لامظهر للنور الحسى سواه أو على شمول البيان لاحوالهما وأحوال مافيهما من الموجودات اذ مامن موجود إلا وقد بين من أحواله مايستحق البيان أما تفصيلا أو اجمالا كيف لا ولاريب فى بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهداً بصحة البعث أو على تعلق البيان باهلهما كما قال ابن عباس رضى الله عنهما هادى أهل السموات والأرض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون هذا وأما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود إذ هو الأصل فى الاظهار كما أن الأعدام هو الأصل فى الاخفاء أو على تزيين السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض عنها من الانوار أو بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالأنبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين أو بالنبات والاشجار أو على تدبيره تعالى لامورهما وأمور مافيهما فمالا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام (مثل نوره) أى نوره الفائض منه تعالى على الأشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ماقبله من وصف آياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نوراً أيضاً فى قوله تعالى وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً وبه قال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن وزيد بن أسلم رحمهم الله تعالى وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يأباه مقام بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر فى مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شأن القرآن الكريم وأما الحق فالمعتبر فى مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة أى صفة نوره العجيبة (كمشكاة) أى كصفة كوة غير نافذة فى الجدار فى الانارة والتنوير (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح فى زجاجة) أى قنديل من الزجاج الصافى الأزهر وقرىء بفتح الزاى وكسرها فى الموضعين (الزجاجة كأنها كوكب درى) متلألىء وقاد شبيه بالدر فى صفائه وزهرته ودرارى الكواكب عظامها المشهورة وقرىء درىء بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدرء وهو الدفع أى مبالغ فى رفع الظلام بضوئه أو فى دفع بعض اجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرىء بضم الدال والباقى على حاله وفى إعادة

المصباح والزجاجة معرفين أثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كشكاة فيها مصباح فى زجاجة كأنها كوكب درى من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير أثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات مابعدهما لهما بطريق الأخبار المنبىء عن القصد الأصلى دون الوصف المبنى على الأشارة إلى الثبوت فى الجملة مالايخفى ومحل الجملة الأولى الرفع على أنها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على إنها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كأنه قيل فيها مصباح هو فى زجاجة هى كأنها كوكب درى (يوقد من شجرة) أى يبتدأ إيقادالمصباح من شجرة (مباركة) أى كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت فى الأرض التى بارك الله تعالى فيها للعالمين (زيتونة) بدل من شجرة وفى ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال منها تفخيم لشأنها وقرىء توقد بالتاء على أن الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضى من التفعل أى ابتداء ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف إحدى التاءين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة (لاشرقية ولاغربية) تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى على قلة أو صحراء واسعة فتقع الشمس عليها حالتى الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية وغربية أى تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وقيل لانابتة فى شرق المعمورة ولا فى غربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونها أجود ما يكون وقيل لا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ولا فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفى الحديث لاخير فى شجرة ولافى نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى (يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) أى هو فى الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار أصلا وكلمة لو فى أمثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الأحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على أبعدها منه أما لوجود المانع كما فى قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وأما لعدم الشرط كما فى هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته أو انتفائه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشئ

متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع أو عدم الشرط فلأن يتحقق بدون ذلك أولى و لذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الأحوال و يكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا أمر مطرد فى الخبر الموجب والمنفى فانك اذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا أو بخيلا لا يعطى ولو كان غنياً تريد بيان تحقق الاعطاء فى الاول وعدم تحققه فى الثانى فى جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطى لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا ولا يعطى لو لم يكن غنياً ولو كان غنياً فالجملة مع ما عطفت هي عليه فى حيز النصب على الحالية من المستمكن فى الفعل الموجب أو المنفى أى يعطى أولا يعطى كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار أى يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد فى الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة (نور) خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى (على نور) متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه أى ذلك النور الذى عبر به عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشان بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك لا على أنه عبارة عن نور واحد معين أو غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما مثل به من نور المشكاة بما ذكر لكونه أقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان فى مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى أصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل أعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة أخرى عادة هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل (يهدى الله لنوره) أى يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره فى مقام الاضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل (من يشاء) هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه إيذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وأن تظاهر الاسباب بدونها

بمعزل من الاهتداء الى المطالب (ويضرب الله الامثال للناس) فى تضاعيف الهداية حسبما يقتضى حالهم فان له دخلا عظيما فى باب الارشاد لانه ابراز للمعقول فى هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعانى بصورة المأنوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما أسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال الذى هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة (والله بكل شىء عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو باطنا ومن قضيته أن تتعلق مشيئته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وان تكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما تقتضيه أحوالهم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) لما ذكر شأن القرآن الكريم فى بيانه للشرائع والاحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من أحوال الآخرة وأهوالها وأشير الى كونه فى غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة وأشير الى أن ذلك النور مع كونه فى أقصى مراتب الظهور انما يهتدى بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض أعمالهم المعربة عن كيفية حالهم فى الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هى المساجد التى بناها نبى من أنبياء الله تعالى الكعبة التى بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن فى رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه من قبيل العطف التفسيرى وأياما كان ففى التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المأمور أن يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كأنه مستأذن فى ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع أذكاره تعالى وكلمة فى متعلقة بقوله تعالى (يسبح له) وقوله تعالى (فيها) تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع فى البيوت فقط وأصل التسبيح التنزيه والتقديس يستعمل باللام

و بدونها أيضا كما فى قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا أريد به الصلوات المفروضة كما ينبىء عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى (بالغدو والآصال) أى بالغدوات و العشايا على أن الغدو إما جمع غداة كقنى فى جمع قناة كما قيل أو مصدر أطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع أصيل وهو العشى وهو شامل لأوقات ماعدا صلاة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز أن يراد به نفس التنزيه على أنه عبارة عما يقع منه فى أثناء الصلوات وأوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر أفراده أو عما يقع فى جميع الاوقات وافراد طرفى النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين وكونهما أشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال و الاشتغال بالاشغال وقرىء والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقوله تعالى (رجال) فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فى وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرىء يسبح على البناء للمفعول باسناده الى أحد الظروف ورجال مرفوع بما ينبىء عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كأنه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرىء تسبح بتأنيث الفعل مبنياً للفاعل لأن جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنياً للمفعول على أن يسند الى أوقات الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحاً فيها أو يسند إلى ضمير التسبيحة أى تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده إلى الوقتين كما خرجوا قراءة أبى جعفر ليجزى قوماً أى ليجزى الجزاء قوماً بل هذا أولى من ذلك اذ ليس ههنا مفعول صريح (لا تلهيهم تجارة) صفة لرجال مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم إلى الله تعالى واستغراقهم فيما حكى عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها أقوى الصوارف عندهم وأشهرها أى لا يشغلهم نوع من أنواع التجارة (ولا بيع) اى ولا فرد من أفراد البياعات وان كان فى غاية الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر أنواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ماعداه متوقع فى ثانى الحال عند البيع فلم يلزم من نفى الهاء ماعداه نفى الهائه ولذلك كررت كلمة لا لتذكير النفى وتأكيده وقد نقل عن الواقدى أن المراد بالتجارة هو الشراء لانه أصلها ومبدؤها وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا أى جلبه (عن ذكر الله) بالتسبيح والتحميد (وإقام الصلاة) أى اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد أسقطت التاء المعوضة من العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها الاضافة كما فى قوله

.. وأخلفوك عند الأمر الذي وعدوا أي عند الأمر (وإيتاء الزكاة) أي المال الذي فرض إخراجه للمستحقين وإيراده ههنا وإن لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق إقامة الصلاة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على أن محاسن أعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد وكذلك قوله تعالى (يخافون) الخ فإنه صفة ثانية لرجال أو حال من مفعول لا تلهيهم وأياما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى (يوما) مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله تعالى (تتقلب فيه القلوب والأبصار) صفة ليوما أي تضطرب وتتغير في أنفسها من الهول والفزع وتشخص كما في قوله تعالى وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر أو تتغير أحوالها وتتقلب فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها وتبصر الأبصار بعد أن كانت عمياء أو تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف الهلاك والأبصار من أي ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم (ليجزيهم الله) متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكي من أعمالهم المرضية أي يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وإيتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله تعالى (أحسن ما عملوا) أي أحسن جزاء أعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) أي يتفضل عليهم بأشياء لم توعد لهم بخصوصياتها أو بمقاديرها ولم تخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل إنما وعدت بطريق الإجمال في مثل قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه الصلاة والسلام حكاية عنه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فإنه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم غير أجزية أعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب وأما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو إجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في سلك الثانية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كأنه قيل والله يرزقهم بغير حسابهم ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا أعمالهم المحكية كما أنها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا ظواهر الأسباب وللإيذان بأنهم ممن شاء الله تعالى أن يرزقهم كما أنهم ممن شاء الله تعالى أن يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من أعمالهم الحسنة فإن جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وخوف اليوم الآخر ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم الذي هو المعني بالنور وبه

يتم بيان أحوال من اهتدى بهداه على أوضح وجه وأجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هي صفة لمشكاة أي كائنة في بيوت وقيل لمصباح وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بيوقد والكل مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل كيف لا وان مابعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ماهو الحق أو مابعد قوله تعالى نور على نور على ماقيل الى قوله تعالى بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين أجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهديين لنور القرآن الكريم بطريق الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به في كلام الناس فضلا أن يحمل عليه الكلام المعجز (والذين كفروا) عطف على ماينساق اليه ماقبله كأنه قيل الذين آمنوا أعمالهم حالا ومآلا كما وصف والذين كفروا (أعمالهم) أي أعمالهم التي هي من أبواب البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت وإغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد الآية (كسراب) وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن أنه ماء يسرب أي يجري (بقيعة) متعلق بمحذوف هو صفة لسراب أي كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرىء بقيعات بتاء ممدودة كديمات على أنها جمع قيعة أو على ان الاصل قيعة قد أشبعت فتحة العين فتولد منها ألف (يحسبه الظمآن ماء) صفة أخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من رآه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه التشبيه الذي هو المطمع المطمع والمقطع المؤيس (حتى اذا جاءه) أي اذا جاء العطشان ماحسبه ماء وقيل موضعه (لم يجده) أي ماحسبه ماء وعلق به رجاءه (شيئا) أصلا لا محققا ولا متوهما كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى (ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر أنه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة أصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على مايفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عينا ولا أثرا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وأن الحكم بأن أعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بأنها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم

فى الآخرة حتى اذا جاءوها لم يجدوها شيئا كأنه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة أعمالهم التى كانوا فى الدنيا يحسبونها نافعة لهم فى الآخرة لم يجدوها شيئا و وجدوا الله أى حكمه وقضاءه عند المجئ وقيل عند العمل فوفاهم أى أعطاهم وافيا كاملا حسابهم أى حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا إما لارادة الجنس كالظمآن الواقع فى التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع إلى أعمالهم هذا وقد قيل نزلت فى عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد فى الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (أو كظلمات) عطف على كسراب وكلمة أو للتنويع أثر ما مثلت أعمالهم التى كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد و يفتخرون بها فى كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب و عقاب مثلت أعمالهم القبيحة التى ليس فيها شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة (فى بحر لجى) أى عميق كثير الماء منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر وقيل إلى اللجة وهى أيضا معظمه (يغشاه) صفة أخرى للبحر أى يستره و يغطيه بالكلية (موج) وقوله تعالى (من فوقه موج) جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على أنها صفة لموج أو الصفة هى الجار والمجرور وموج الثانى فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه كما مر فى قوله تعالى نور على نور أى يغشاه أمواج متراكمة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى (من فوقه سحاب) صفة لموج الثانى على أحد الوجهين المذكورين أى من فوق ذلك الموج سحاب ظلمانى ستر أضواء النجوم وفيه ايماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعفها حتى كأنها بلغت السحاب (ظلمات) خبر مبتدا محذوف أى هى ظلمات بعضها فوق بعض أى متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما أن قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا أن ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها (اذا أخرج) أى من ابتلى بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة (يده) وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه لينظر اليها (لم يكد يراها) وهى أقرب شئ منه فضلا عن أن يراها (و من لم يجعل الله له نورا) الخ اعتراض تذييلى جئ به لتقرير ما أفاده التمثيل من كون أعمال الكفرة كما فصل وتحقيق أن ذلك لعدم هدايته تعالى اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما فى حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم أى ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذى هو القرآن هداية خاصة مستتبعة

للاهتداء حتما ولم يوفقه للايمان به (فما له من نور) أى فما له هداية ما من أحد أصلا وقوله تعالى (ألم تر) الخ استئناف خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام للايذان بأنه تعالى قد أفاض عليه عليه الصلاة والسلام أعلى مراتب النور وأجلاها وبين له من أسرار الملك والملكوت أدقها وأخفاها والهمزة للتقرير أى قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة فى القوة والرصانة بالوحى الصريح والاستدلال الصحيح (ان الله يسبح له) أى ينزهه تعالى على الدوام فى ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص أو خلل (من فى السموات والارض) أى مافيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان أو بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان أو بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده وأحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشأن من شئونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذى هو أقوى مراتب التنزيه وأظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال وأكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شئ مما عز وهان وكل فرد من أفراد الاعراض والاعيان عاقل ناطق ومخبر صادق بعلو شأنه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى بنعوت الكمال أيضا لما أن مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة فى إخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له فى الالوهية ونسبتهم اياه الى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازى شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده أن بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التى يشاركهم فيها غير العقلاء أيضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير ببيان أنهم يسبحونه تعالى باعتبار أخس جهاتهم التى هى الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار أشرفها التى هى الانسانية (والطير) بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى جملة ما فى الارض لعدم استمرار اقرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها على كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى (صافات) أى تسبحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف فى الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة

والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة
المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدىء
المعيد وقوله تعالى (كل قد علم صلاته وتسبيحه) بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر
فى التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل فيفعلها
عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد أدمج فى تضاعيفه الاشارة الى أن لكل واحد
من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه
لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه أن كل واحد من الموجودات الممكنة فى حد ذاته
بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض عليه منه تعالى ما يليق بشأنه
من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار
فيفيض عليه فى كل آن من فيوض الفنون المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق
البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر
عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التى هى الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة
المزايا المذكورة فيما مر بتلك التفصيل وتقديمها على التسبيح فى الذكر لتقدمها عليه فى
الرتبة ههنا ويجوز أن يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه
التنوين فى كل أنواع الطير وافرادها وبالصلاة والتسبيح ما ألهمه الله تعالى كل واحد
منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على أن يكون الطير معطوفا على كلمة
من مرفوعا برافعها فانه يؤدى الى أن يراد بالتسبيح معنى مجازى شامل للتسبيح المقالى
والحالى من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر أريد به التسبيح المخصوص
بالطير معطوف على المذكور كما مر فى قوله تعالى وكثير من الناس أى وتسبح الطير
تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات أجنحتها وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه
أى دعاءه وتسبيحه اللذين ألهمهما الله عز وجل اياه بيان لكمال رسوخه فيهما وأن صدورهما
عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشىء منهما حسبما
ألهمه الله تعالى فان إلهامه تعالى لكل نوع من انواع الخلق علوما دقيقة لا يكاد يهتدى
اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره أصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه أبعد
الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل
الى جحره حتى روى انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامى رجل قد أثرى بسبب
أنه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك أمور سفائنهم وغيرها
وكان السبب فى ذلك انه كان يقتنى فى داره قنفذا يستدل باحواله على ما ذكر

وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما أن أصواتها أظهر وجوداً وأقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى (والله عليم بما يفعلون) أى ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الأول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسنداً إلى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثانى أما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا أو عن تسبيح الطير فقط فالفعل على حقيقته واسناده إلى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الأولين تسبيح الكل هذا وقد قيل أن الضمير فى قوله تعالى قد علم الله عز وجل وفى صلاته وتسبيحه لكل أى قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما فى السموات والأرض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمونه على الوجهين لكن لا على أن تكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع أحواله العارضة له وأفعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا أولياً (ولله ملك السموات والأرض) لا لغيره لأنه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف فى جميعها إيجاداً واعداماً بدأً واعادة وقوله تعالى (والى الله) أى اليه تعالى خاصة لا الى غيره (المصير) أى رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى فى المعاد أثر بيان اختصاصه به تعالى فى المبدأ وأظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم (ألم تر أن الله يزجى سحابا) الازجاء سوق الشئ برفق وسهولة غلب فى سوق شئ يسير أو غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى أن السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به (ثم يؤلف بينه) أى بين أجزائه بضم بعضها إلى بعض وقرئ يولف بغير همزة (ثم يجعله ركاما) أى متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) أى المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى (يخرج من خلاله) أى من فتوقه حال من الودق لأن الرؤية بصرية وفى تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا بخروجه من المبالغة فى سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده أنه قرئ من خلله (و ينزل من السماء) من الغمام فان كل ما علاك سماء (من جبال) أى من قطع عظام تشبه الجبال فى العظم كائنة (فيها) وقوله تعالى (من برد) مفعول ينزل على أن من تبعيضية و الأوليان لابتداء الغاية على أن الثانية بدل اشتمال من الأولى باعادة الجار أى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال أى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد برداً والأول أظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على أن من تبعيضية و من برد بيان

للجبال أي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد أي مشبهة بالجبال في الكثرة وأياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما أن في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور أن الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر أو الثلج وكل ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح (فيصيب به) أي بما ينزل من البرد (من يشاء) أن يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله (ويصرفه عن من يشاء) أن يصرفه عنه فينجو من غائلته (يكاد سنا برقه) أي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتأليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور أمره واستغنائه عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الباء وفتح الراء على أنه جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع لضمة الباء (يذهب بالابصار) أي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تأثيره فيها كأنه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من أقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما يترتب عليه (ان في ذلك) اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته (لعبرة) أي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشأنه العلي (لأولي الابصار) لكل من يبصر (والله خلق كل دابة) أي كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته أو ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة أو المشاكلة (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من

يمشى على أربع) كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشى على أكثر من أربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير فى منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ماهو أعرف فى القدرة (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان أو مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيآت والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتفخيم شأن الخلق المذكور والايذان بانه من أحكام الالوهية (ان الله على كل شىء قدير) فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال الاستئناف التعليلى (لقد أنزلنا آيات مبينات) أى لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية (والله يهدى من يشاء) أن يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التأمل فى مطاويها (الى صراط مستقيم) موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) شروع فى بيان أحوال بعض من لم يشأ الله هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت فى المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت فى بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودى يدعوه الى النبى عليه الصلاة والسلام وقيل فى المغيرة بن وائل خاصم عليا رضى الله عنه فى أرض وماء فابى أن يحاكم الى الرسول عليه الصلاة والسلام وأياما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل طائفة يساعدونه ويشايعونه فى تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم (وأطعنا) أى أطعناهما فى الامر والنهى (ثم يتولى) عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) أى من بعد ما صدر عنهم ما صدر من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما فى ذلك من معنى البعد للايذان بكونه أمرا معتدا به واجب المراعاة (وما أولئك) اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولى منهم فقط لعدم اقتضاء نفى الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين مقتض لنفيه عنهم على أبلغ وجه وآكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الكفر والفساد أى وما أولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم فى العقد والعمل (بالمؤمنين) أى المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام أى ليسوا بالمؤمنين المعهودين بالاخلاص فى الايمان والثبات عليه (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم) أى الرسول (بينهم) لانه المباشر حقيقة للحكم وان كان ذلك حكم الله حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام

والايذان بجلالة محله عنده تعالى (اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق عليهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وان يكن لهم الحق) لا عليهم (يأتوا اليه مذعنين) منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجىء يعديان بالى أو لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما فى قوله تعالى فأقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص (أفى قلوبهم مرض) انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشئية بينها فمدار الاستفهام ليس نفس ماوليته الهمزة وأم من الامور الثلاثة بل هو منشئيتها له كانه قيل أذلك أى اعراضهم المذكور لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم (أم) لانهم (ارتابوا) فى أمر نبوته عليه السلام مع ظهور حقيتها (أم) لانهم (يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) ثم أضرب عن الكل وأبطلت منشئيته وحكم بان المنشأ شئ آخر من شنائعهم حيث قيل (بل أولئك هم الظالمون) أي ليس ذلك الشئ مما ذكر أما الاولان فلانه لو كان لشئ منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما أتوا اليه عليه السلام مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا واما الثالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام فى الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام لعلمهم بانه عليه الصلاة والسلام يقضى عليهم بالحق فمناط النفى المستفاد من الاضراب فى الاولين هو وصف منشئيتهما للاعراض فقط مع تحققهما فى نفسهما وفى الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بماله منشأ مصحح لعروضه لهم فى الجملة والمعنى أم ارتابوا بان رأوا منه عليه الصلاة والسلام تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه الصلاة والسلام فمدار النفى حينئذ نفس الارتياب ومنشئيته معا فتأمل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل (انما كان قول المؤمنين) بالنصب على انه خبر كان وان مع مافى حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس والاول أقوى صناعة لان الاولى للاسمية ماهو أوغل فى التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اختزلت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع أقعد بحسب المعنى وأوفى لمقتضى المقام لما أن مصب الفائدة وموقع البيان فى الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو

أكثر افادة وأظهر دلالة على الحدوث وأوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع فى الخارج وفى ذهن السامع ولا ريب فى أن ذلك ههنا فى أن مع مافى حيزها أتم وأكمل فاذا هو أحق بالخبرية وأما ماتفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها أن تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن المؤمنين (اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم) أى الرسول عليه الصلاة والسلام (بينهم) أى وبين خصومهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أى خصوصية هذا القول المحكى عنهم لا قولا آخر أصلا وأما قراءة النصب فمعناها انما كان قول المؤمنين أى انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية قولهم المحكى عنهم ففيه من جعل أخص النسبتين وأبعدهما وقوعا وحضورا فى الاذهان وأحقهما بالبيان مفروغا عنها عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافها فى معرض القصد الاصلى مالا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل للمفعول مسندا الى مصدره مجاوبا لقوله تعالى اذا دعوا أى ليفعل الحكم كما فى قوله تعالى لقد تقطع بينكم أى وقع التقطع بينكم (وأولئك) اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل (هم المفلحون) أى هم الفائزون بكل مطلب والناجون من كل محذور (ومن يطع الله ورسوله) استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم فى الانتظام فى سلكهم اى ومن يطعهما كائنا من كان فيما أمرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل فى الفرائض والسنن والاول هو الانسب بالمقام (ويخش الله ويتقه) باسكان القاف المبنى على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر القاف والهاء وباسكان الهاء أى ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل (فأولئك) الموصوفون بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء (هم الفائزون) بالنعيم المقيم لا من عداهم (وأقسموا بالله) حكاية لبعض آخر من أكاذيبهم مؤكد بالايمان الفاجرة وقوله تعالى (جهد أيمانهم) نصب على انه مصدر مؤكد لفعله الذى هو فى حيز النصب على أنه حال من فاعل اقسموا اى اقسموا به تعالى يجهدون أيمانهم جهدا ومعنى جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وطاقتها أى جاهدين بالغين أقصى مراتب اليمين فى الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا اى اقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد فى

اليمين (لئن أمرتهم) اى بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم وأموالهم كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان أقمت أقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى (ليخرجن) جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة أمر عليه السلام بردها حيث قيل (قل) اى ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها (لا تقسموا) اى على ما ينبىء عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى (طاعة معروفة) خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهى اى لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدا او خبر او فعل مثل الذى يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية او طاعة معروفة أمثل أو لتكن طاعة معروفة أو أطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام (ان الله خبير بما تعملون) من الاعمال الظاهرة والباطنة التى من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه فى قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التى منها نفاقهم (قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول) كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول فى الاول نهى بطريق الرد والتقريع كما فى قوله تعالى اخسؤا فيها ولا تكلمون وفى الثانى أمر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المأمور بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من الطاعة فى شىء أصلا وقوله تعالى (فان تولوا) خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد الامر بها والمبالغة فى ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوك ينبىء عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع كما أشير اليه فى تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان فى خطابه تعالى اياهم بالذات بعد أمره تعالى اياهم بوساطته عليه السلام وتصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولى عنه اجمالا وتفصيلا من افادة

ما ذكر من التأكيد والمبالغة مالا غاية وراءه وتوهم انه داخل تحت القول المأمور بحكايته من جهته تعالى وانه أبلغ فى التبكيت تعكيس للامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه عليه السلام للمأمور به اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته عليه السلام الى تبليغ ما أمر به وعدم الحاجة الى الذكر أى أن تتولوا عن الطاعة اثر ما أمرتم بها (فانما عليه) أى فاعلموا انما عليه عليه السلام (ما حمل) أى أمر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله أطيعوا الله واطيعوا الرسول (وعليكم ما حملتم) أى ما أمرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية فى عهدتهم بعد كانه قيل وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة (وان تطيعوه) أى فيما أمركم به من الطاعة (تهتدوا) الى الحق الذى هو المقصد الاصلى الموصل الى كل خير والمنجى من كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولى لما فى تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى (وما على الرسول الا البلاغ المبين) اعتراض مقرر لما قبله من أن غائلة التولى وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا أو للعهد أى ما على جنس الرسول كائنا من كان أو ما عليه عليه السلام الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح أى الواضح على أن المبين من أبان بمعنى بان وقد علمتم أنه قد فعله بمالا مزيد عليه وانما بقى ما حملتم وقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم) استئناف مقرر لما فى قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما أجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية التى هى من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التى نيط بها الاهتداء والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من أى طائفة كان وفى أى وقت كان لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فحسب ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب فى منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية (وعملوا الصالحات) عطف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التى أمر بها ورتب عليها ما نظم فى سلك الوعد الكريم كما أشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار أصالة الايمان وعراقته فى استتباع الآثار والاحكام وللايذان بكونه أول مايطلب منهم وأهم ما يجب عليهم وأما تأخيره عنهما فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عليه السلام من خلص المؤمنين

ولا ريب فى أنهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليهما فلا بد من ورود بأنهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام للامة عموما على أن من تبعيضية أوله عليه السلام ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه بمنازل وأبعد عما يليق بشأنه عليه السلام بمراحل (ليستخلفنهم فى الارض) جواب للقسم اما بالاضمار أو بتنزيل وعده تعالى منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة أى ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك فى ممالكهم أو خلفا من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة (كما استخلف الذين من قبلهم) هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل فى مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة أو هم ومن قبلهم من الامم المؤمنة التى أشير اليهم فى قوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهى مؤكد للفعل بعد تأكيده بالقسم وما مصدرية أى ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرىء كما استخلف على البناء للمفعول فليس العامل فى الكاف حينئذ الفعل المذكور بل ما يدل هو عليه من فعل مبنى هو المفعول جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لامحالة كانه قيل ليستخلفنهم فى الارض فيستخلفن فيها استخلافا أى مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وأنبتها نباتا حسنا على أحد الوجهين أى فنبتت نباتا حسنا وعليه قول من قال

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت أو مجلف

أى فلم يبق الا مسحت الخ (وليمكنن لهم دينهم) عطف على ليستخلفنهم منتظم معه فى سلك الجواب وتأخيره عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها لما أن النفوس الى الحظوظ العاجلة أميل فتصدير المواعيد بها فى الاستمالة ادخل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه ويرجعون اليه فى كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذى هو جعل الشىء مكانا لآخر يقال مكن له فى الارض أى جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له فى الارض ونظائره وكلمة فى للايذان بأن ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على

كمال ثبات الدين ورصانة أحكامه وسلامته من التغيير والتبديل لابتنائه على تشبيهه بالارض في الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولان في توسيطها بينه وبين وصفه أعني قوله تعالى (الذى ارتضى لهم) وفي تأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه (وليبدلنهم) بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال (من بعد خوفهم) أي من الاعداء (أمنا) حيث كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل أكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال عليه الصلاة والسلام لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله عز وجل هذه الآية وأنجز وعده وأظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصاروا الى حال يخافهم كل من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة (يعبدونني) حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد أو استئناف لبيان المقتضى للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد (لا يشركون بي شيأ) حال من الواو أي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيأ (ومن كفر) أي اتصف بالكفر بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام (بعد ذلك) أي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها والسعي الجميل في حيازتها (فأولئك) البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال (هم الفاسقون) الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمأمورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولي بقوله تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم في الطاعة بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغائب الموعودة ووعيده على الكفر مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكأنه قيل فآمنوا واعملوا صالحا وأقيموا الخ فلا تكفروا وأقيموا الخ وعطفه على أطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم

(وأطيعوا الرسول) أمرهم الله سبحانه وتعالى بالذات بما أمرهم به بواسطة الرسول عليه الصلاة والسلام من طاعته التي هي طاعته تعالى في الحقيقة تأكيداً للأمر السابق وتقريراً لمضمونه على أن المراد بالمطاع فيه جميع الأحكام الشرعية المنتظمة للآداب المرضية أيضاً أي وأطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه أو تكميلا لما قبله من الأمرين الخاصين المتعلقين بالصلاة والزكاة على أن المراد بما ذكر ماعداهما من الشرائع أي وأطيعوه في سائر ما يأمركم به الخ وقوله تعالى (لعلكم ترحمون) متعلق على الأول بالأمر الأخير المشتمل على جميع الأوامر وعلى الثاني بالأوامر الثلاثة أي افعلوا ماذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين أن ترحموا (لاتحسبن الذين كفروا) لما بين حال من أطاعه عليه الصلاة والسلام وأشير إلى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عليه الصلاة والسلام ومآل أمره في الدنيا والآخرة بعد بيان تناهيه في الفسق تكميلا لأمر الترغيب والترهيب والخطاب أما لكل أحد ممن يصلح له كائناً من كان وأما للرسول عليه الصلاة والسلام على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بأن الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول النصب على أنه مفعول أول للحسبان وقوله تعالى (معجزين) ثانيهما وقوله تعالى (في الارض) ظرف لمعجزين لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج إلى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز لجميع أجزائها أي لاتحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من أقطار الارض بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب . وقرىء لايحسبن بياء الغيبة على أن الفاعل كل أحد والمعنى كما ذكر أي لايحسبن أحد الكافرين معجزين له سبحانه في الأرض أو هو الموصول والمفعول الأول محذوف لكونه عبارة عن أنفسهم كأنه قيل لايحسبن الكافرون أنفسهم معجزين في الارض وأما جعل معجزين مفعولا أول وفي الارض مفعولا ثانيا فبمعزل من المطابقة لمقتضى المقام ضرورة أن مصب الفائدة هو المفعول الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقد مر في قوله تعالى إني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى (ومأواهم النار) معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لأن المقصود بالنهي عن الحسبان تحقيق نفي الحسبان كأنه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم الخ أو على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهي كأنه قيل لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض فانهم مدركون ومأواهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم

مقهورون فتدبر (ولبئس المصير) جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف أي وبالله لبئس المصير هي أي النار والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما في قبله وفي إيراد النار بعنوان كونها مأوى ومصيرا لهم اثر نفي فوتهم بالهرب في الأرض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در شأن التنزيل (يا أيها الذين آمنوا) رجوع إلى بيان تتمة الأحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهي الواردة فيها وفي الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات في الحكم بدلالة النص أو للفريقين جميعا بطريق التغليب روى أن غلاما لاسماء بنت أبي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضي الله عنه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضي الله عنه لوددت أن الله تعالى نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) من العبيد والجواري (والذين لم يبلغوا الحلم) أي الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه بالحلم لكونه أظهر دلائله (منكم) أي من الاحرار (ثلاث مرات) أي ثلاثة أوقات في اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين بالمخاطبين لا أنفسها (من قبل صلاة الفجر) لظهور أنه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب على أنه بدل من ثلاث مرات أو الرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف أي أحدها من قبل الخ (وحين تضعون ثيابكم) أي ثيابكم التي تلبسونها في النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى (من الظهيرة) وهي شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر أعني وضع الثياب في هذا الحين دون الاول والآخر لما أن التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبئ عنها إيراد الحين مضافا الى فعل حادث منقض ووقوعها في النهار الذي هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما في الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما أمر معروف لا يحتاج الى التصريح به (ومن بعد صلاة العشاء) ضرورة أنه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق في الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما في قوله تعالى وان كنتم من

قبله لمن الغافلين وقوله تعالى من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى بل مايعرض منهما لطارفى ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلاتين الممتد ورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى (ثلاث عورات) خبر مبتدا محذوف وقوله (لكم) متعلق بمحذوف هو صفة لثلاث عورات أى كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة وجوب الاستئذان أى هن ثلاث أوقات يختل فيها التستر عادة والعورة فى الاصل هو الخلل غلب فى الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره أطلقت على الاوقات المشتملة عليها مبالغة كأنها نفس العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم) أى على المماليك والصبيان (جناح) أى اثم فى الدخول بغير استئذان لعدم مايوجبه من مخالفة الأمر والاطلاع على العورات (بعدهن) أى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهى الأوقات المتخللة بين كل اثنين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع أن كل وقت من تلك الأوقات قبل عورة من العورات كما أنها بعد أخرى منهن لتوفيه حق التكليف والترخيص الذى هو عبارة عن رفعه الرخصة انما تتصور فى فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها فى محل الرفع على أنها صفة أخرى لثلاث عورات وأما على القراءة الثانية فهى مستأنفة لا غير اذلو جعلت صفة لثلاث عورات وهى بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء فى ثلاث عورات لا اثم فى ترك الاستئذان بعدهن وحيث كان انتفاء الاثم حينئذ مما يعلمه السامع إلا بهذا الكلام لم يتسن ابرازه فى معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع فان انتفاء الاثم حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى (طوافون عليكم) استئناف لبيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهى المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا فى الفرق بين الأوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات (بعضكم على بعض) أى بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا أو بعضكم يطوف على بعض (كذلك) اشارة إلى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا أى مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) الدالة على الأحكام أى ينزلها بينة واضحة الدلالات عليها لا أنه تعالى يبينها بعد أن لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقيل يبين علل الأحكام وليس

بواضح مع أنه مؤد إلى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا (والله عليم) مبالغ فى العلم بجميع المعلومات فيعلم أحوالكم (حكيم) فى جميع أفاعيله فيشرع عليكم مافيه صلاح أمركم معاشاً ومعاداً (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) لمابين فيما مر آنفاً حكم الأطفال فى أنه لا جناح عليهم فى ترك الاستئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعاً لما عسى يتوهم أنهم وان كانوا أجانب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول أى إذا بلغ الأطفال الأحرار الأجانب (فليستأذنوا) إذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى (كما استأذن الذين من قبلهم) فى حيز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية وصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما أن المقصود بالتشبيه بيان كيفية استئذان هؤلاء وزيادة إيضاحه ولا يتسنى ذلك إلا بتشبيهه باستئذان المعهودين عند السامع ولاريب فى أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال أحد وان كان الأمر كذلك فى الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم أى فليستأذنوا استئذانا كائنا مثل استئذان المذكورين قبلهم بأن يستأذنوا فى جميع الأوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) الكلام فيه كالذى سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة فى الأمر بالاستئذان وإضافة الآيات إلى ضمير الجلالة لتشريفها (والقواعد من النساء) أى العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل (اللاتى لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه لكبرهن (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه والفاء فيه لأن اللام فى القواعد بمعنى اللاتى أو للوصف بها (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات لزينة مما أمر باخفائه فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن ، وأصل التبرج التكلف فى إظهار مايخفى من قولهم سفينة بارجة لاغطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطاً بسوادها كله الا أنه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال (وان يستعففن) بترك الوضع (خير لهن) من الوضع لبعده من التهمة (والله سميع) مبالغ فى سمع جميع مايسمع فيسمع مايجرى بينهن وبين الرجال من المقاولة (عليم) فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب مالا يخفى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون من مؤاكلة الأصحاء حذرا من استقذارهم إياهم وخوفا من تأذيهم بأفعالهم وأوضاعهم فان الأعمى ربما سبقت يده

إلى ما يفضله الصحيح أكلاً وهو لا يشعر به والأعرج يتفسح في مجلسه فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو إلى بعض من سماهم الله عز وجل في الآية الكريمة فيتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا إلى بيت غيره ولعل أهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الأكل من أموال الذين كانوا إذا خرجوا إلى الغزو خلفوا هؤلاء الضعفاء في بيوتهم ودفعوا إليهم مفاتيحها وأذنوا لهم أن يأكلوا مما فيها مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب نفس منهم وكان غير هؤلاء أيضاً يتحرجون من الأكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة (ولا على أنفسكم) أي عليكم وعلى من يماثلكم في الأحوال من المؤمنين حرج (أن تأكلوا) أنتم وهم معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة أيضاً يأباه ما قبله وما بعده فإن الخطاب فيهما لغير أولئك الطوائف حتماً (من بيوتكم) أي البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك وقوله عليه الصلاة والسلام إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم) وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الأولى وفتح الثانية (أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه) من البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها على الوجه الذي مر بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه (أو صديقكم) أي أو بيوت صديقكم وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أرضى بالتبسط وأسر به من كثير من الأقرباء وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط والقطين وأضرابهما وهذا فيما إذا علم رضا صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة عليه ولذلك خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبني ليث بن عمرو من كنانة يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفاً يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئاً وربما قعد الرجل والطعام بين يديه لا يتناوله من الصباح

الى الرواح و ربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشار به فاذا أمسى ولم يجد أحدا أكل وقيل كان الغنى منهم يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه الى طعامه فيقول انى اتحرج ان آكل معك وأنا غنى وأنت فقير وقيل كان قوم من الانصار لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم فى أن يأكلوا كيف شاءوا وقيل كانوا اذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى وأشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تأكلوا وأشتاتا عطف عليه داخل فى حكمه وهو جمع شت على انه صفة كالحق يقال أمر شت أى متفرق أو على انه فى الاصل مصدر وصف به مبالغة أى ليس عليكم جناح أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين (فاذا دخلتم) شروع فى بيان الآداب التى تجب رعايتها عند مباشرة ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه (بيوتا) أى من البيوت المذكورة (فسلموا على أنفسكم) أى على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه و يجوز أن يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التى هى من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم (مباركة) مستتبعة لزيادة الخير والثواب ودوامها (طيبة) تطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) تكرير لتأكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها (لعلكم تعقلون) أى ما فى تضاعيفها من الشرائع والاحكام وتعملون بموجبها وتحوزون بذلك سعادة الدارين وفى تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) استئناف جىء به فى أواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله ورسوله فى حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وايذانا بأنه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما منتظما فى سلكه فقوله تعالى (واذا كانوا معه على أمر جامع) الخ معطوف على آمنوا داخل معه فى حيز الصلة أى انما الكاملون فى الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما فى جميع الاحكام التى من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بعامة أحوالهم المطردة فى الوقوع وأحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق

كما إذا كانوا معه عليه الصلاة والسلام على أمر مهم يجب اجتماعهم فى شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الأمور الداعية إلى اجتماع أولى الآراء والتجارب ووصف الأمر بالجمع للمبالغة . وقرئ أمر جميع (لم يذهبوا) أى من المجمع مع كون ذلك الأمر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه (حتى يستأذنوه) عليه الصلاة والسلام فى الذهاب لا على أن نفس الاستئذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هى الأذن المنوط برأيه عليه الصلاة والسلام والاقتصار على ذكره لانه الذى يتم من قبلهم وهو المعتبر فى كمال الأيمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره فى ذلك لما أنه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما فى الذهاب بغير إذنه عليه الصلاة والسلام من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فقضى بأن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم فى الأول بان الكاملين فى الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستئذان وفى أولئك تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى (فاذا استأذنوك) بيان لما هو وظيفته عليه الصلاة والسلام فى هذا الباب إثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وأن الأذن عند الاستئذان ليس بأمر محتوم بل هو مفوض إلى رأيه عليه الصلاة والسلام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى بعد ما تحقق أن الكاملين فى الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك (لبعض شأنهم) أى لبعض أمرهم المهم وخطبهم الملم (فأذن لمن شئت منهم) لما علمت فى ذلك من حكمة ومصلحة (واستغفر لهم الله) فان الاستئذان وان كان لعذر قوى لا يخلو عن شائبة تقديم أمر الدنيا على أمر الآخرة (ان الله غفور) مبالغ فى مغفرة فرطات العباد (رحيم) مبالغ فى افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة فى ضمن الأمر بالاستغفار لهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشأنه أى لا تجعلوا دعوته عليه الصلاة والسلام اياكم فى الاعتقاد والعمل بها (كدعاء بعضكم بعضا) أى لا تقيسوا دعاءه عليه الصلاة والسلام اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى حال من الأحوال وأمر من الأمور التى من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عليه الصلاة والسلام بغير استئذان فان ذلك من المحرمات . وقيل لا تجعلوا دعاءه عليه الصلاة والسلام ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده أخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها أما من حيث ان استغفاره تعالى لهم عليه الصلاة والسلام مما يوجب

امتثالهم بأوامره عليه الصلاة والسلام ومتابعتهم له في الورود والصدور أكمل إيجاب وأما من حيث أنها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عليه الصلاة والسلام المؤدي إلى ما يوجب هلاككم من دعائه عليه الصلاة والسلام عليهم وأما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه الصلاة والسلام كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يارسول الله يانبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) الخ وعيد لمخالفي أمره عليه الصلاة والسلام فيما ذكر من قبل فتوسيط ماذكر بينهما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما أن رب تجيء للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر أي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية (لواذا) أي ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج أو بأن يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة أنه من أتباعه وقرىء بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون أي ملاوذين أو على أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة أي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) لترتيب الحذر أو الامر به على ما قبلها من علمه تعالى بأحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة أي يخالفون أمره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لما تضمنه معنى الاعراض أو حمله على معنى يصدون عن أمره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما أن المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة أو للرسول عليه الصلاة والسلام لانه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) أي محنة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي في الآخرة وكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على أن الامر للايجاب فان ترتيب العذابين على مخالفته كما يعرب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال به حتما (ألا إن لله ما في السموات والارض) من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدأ واعادة (قد يعلم ما أنتم عليه) أيها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق (ويوم يرجعون اليه) عطف على ما أنتم عليه أي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجوعهم لا برجوعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما أن العلم بوقت وقوع شيء مستلزم للعلم بوقوعه على أبلغ وجه وآكده وفيه اشعار بأن علمه تعالى لنفس رجوعهم من الظهور بحيث لا

محتاج إلى البيان قطعا ويجوز أن يكون الخطاب أيضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات ويوم يرجعون منصوب بالفاعل (فينبئهم بما عملوا) من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الأمر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم الآية (والله بكل شيء عليم) لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي والله سبحانه وتعالى أعلم

(سورة الفرقان مكية)

(وهي سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذي نزل الفرقان) البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وكثرة الخير ودوامه أيضا ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته إليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب إليه سبحانه إلا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتعذرها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين أي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه أو بين المحق والمبطل باعجازه أو لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه أو في انزاله (على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عليه الصلاة والسلام بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه عليه الصلاة والسلام في أقصى مراتب العبودية والتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبدا للمرسل

رداً على النصارى (ليكون) غاية للتنزيل أى نزله عليه ليكون هو عليه الصلاة والسلام أو الفرقان (للعالمين) من الثقلين (نذيراً) أى منذرا أو انذارا مبالغة أو ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على أحوال الكفرة وتقديم اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وابراز تنزيل الفرقان فى معرض الصلة التى من حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله أحد كقوله تعالى لاريب فيه (الذى له ملك السموات والأرض) أى له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلى فيهما وفيما فيهما إيجادا واعداما واحياء واماتة وأمرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها أو على أنه نعت للموصول الأول أو بيان له أو بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام صلته ومعلومية مضمونه للكفرة مما لاريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره أو مدح له تعالى بالرفع أو بالنصب (ولم يتخذ ولدا) كما يزعم الذين يقولون فى حق المسيح والملائكة مايقولون فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ماقبله من الجملة الظرفية ونظمه فى سلك الصلة للايذان بان مضمونه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لاسيما بعد تقرير ماقبله (ولم يكن له شريك فى الملك) أى ملك السموات والأرض وهو أيضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع أن ماذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد فى نحورهم وتوسيط نفى اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله وأصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول (وخلق كل شئ) أى أحدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص مختلفة الآثار والاحكام (فقدره) أى هيأه لما أراد به من الخصائص والافعال اللائقة به (تقديرا) بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر فى أمور المعاش والمعاد واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا أحوال سائر الانواع وقيل أريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه فى نفس الامر فالمعنى أوجد كل شئ فقدره

في ذلك الايجاد تقديرا وأما ما قيل من أنه سمي احداثه تعالى خلقا لانه تعالى لايحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه أن ارتكاب المجاز بحمل الخلق على مطلق الاحداث لتجريده من معنى التقدير فاعتباره فيه بوجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وأياما كان فالجملة جارية مجرى التعليل لما قبلها من الجمل المنتظمة معها في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضي انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ عنها شيء من ذلك قطعا ومن كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه أو شريكا في ملكه (واتخذوا من دونه آلهة) بعد ما بين حقيقة الحق في مطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله تعالى الفرقان العظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية أباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم لثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم أي اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله تعالى الذي ذكر بعض شؤونه الجليلة من اختصاص ملك السموات والارض به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الاشياء وتقديرها أبدع تقدير آلهة (لا يخلقون شيئا) أي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء أصلا (وهم يخلقون) كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على أن يختلقوا شيئا وهم يختلقون حيث تختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف في ضر ما ليدفعوه عن أنفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه أهم في نفسه أول مراتب النفع وأقدمها والتنصيص على قوله تعالى (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أي لا يقدرون على التصرف في شيء منها باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو أهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على أن الاله يجب أن يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كأنهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح

بذلك (وقال الذين كفروا ان هذا إلا إفك) شروع فى حكاية أباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول إما عبارة عن غلاتهم فى الكفر والطغيان وهم النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم وروى عن الكلبى ومقاتل أن القائل هو النضر بن الحرث والجمع لمشايعة الباقين له فى ذلك واما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة والايذان بأن ما تفوهوا به كفر عظيم وفى كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه أى ماهذا إلا كذب مصروف عن وجهه (افتراه) يريدون أنه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأعانه عليه) أى على اختلاقه (قوم آخرون) يعنون اليهود بأن يلقوا اليه أخبار الأمم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وقيل هو عابس وقد مر تفصيله فى سورة النحل (فقد جاؤا ظلما) منصوب بجاءوا فان جاء وأتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته أو بنزع الخافض أى بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم أى جاءوا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لايقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والأحكام المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية والأمور الغيبية بحيث لا يناله عقول البشر ولا يفى بفهمه القوى والقدر (وزورا) أى كذبا كبيرا لايبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه الصلاة والسلام ما هو برئ منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على أنهما أمران متغايران حقيقة يقع أحدهما عقيب الآخر أو يحصل بسببه بل على أن الثانى هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتبارى وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاءوه من الظلم والزور هو عين ما حكى عنهم لكنه لما كان مغايرا له فى المفهوم وأظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لأمره (وقالوا أساطير الاولين) بعد ما جعلوا الحق الذى لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بنوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع أسطار أو أسطورة كأحدوثة وهى ما سطره المتقدمون من الخرافات (اكتتبها) أى كتبها لنفسه على الاسناد المجازى أو استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه عليه الصلاة والسلام أمى وأصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمى بخصوصه وبنى الفعل للضمير المنفصل

فاستكتبها (فهي تملى عليه) أي تلقى عليه تلك الأساطير بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه أميا لا يقدر على أن يتلقاها منه بالقراءة أو تملى على الكاتب على أن معنى اكتتبها أراد اكتتابها أو استكتبها ورجع الضمير المجرور إلى إسناده عليه الصلاة والسلام لإسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب إليه عليه الصلاة والسلام (بكرة وأصيلا) أي دائما أو خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون إلى مساكنهم انظر إلى هذه الجراءة العظيمة قاتلهم الله أنى يؤفكون (قل) لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق (أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض) وصفه تعالى بإحاطة علمه بجميع المعلومات الخفية الجلية للإيذان بانطواء ما أنزله على أسرار مطوية عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى أي ليس ذلك مما يفترى ويفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأساطير الأولين بل هو أمر سماوي أنزله الله الذي لا يعزب عن علمه شيء من الأشياء وأودع فيه فنون الحكم والأسرار على وجه بديع لا تحوم حوله الأفهام حيث أعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته وأخبركم بمغيبات مستقبلة وأمور مكنونة لا يهتدى إليها ولا يوقف عليها إلا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه إفكا مفترى من قبيل الأساطير واستوجبتم بذلك أن يصب عليكم العذاب صبا فقوله تعالى (إنه كان غفورا رحيما) تعليل لما هو المشاهد من تأخير العقوبة أي إنه تعالى أزلا وأبدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعتين للتأخير فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابكم إياها وغاية قدرته تعالى عليها (وقالوا مال هذا الرسول) شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوص المنزل عليه وما استفهامية بمعنى إنكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفي هذا تصغير لشأنه عليه الصلاة والسلام وتسميته عليه الصلاة والسلام رسولا بطريق الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم وقوله تعالى (يأكل الطعام) حال من الرسول والعامل فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار أي أي شيء وأي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل (ويمشي في الأسواق) لابتغاء الأرزاق كما نفعله على توجيه الإنكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما أن كلا من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الأكل والمشي أمر محقق قد استبعد

تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا أن استبعاد المسبب وانكار السبب ونفيه فى عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفى الأكل والمشى بطريق التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وإنما الذى يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون أنه أن صح مايدعيه فما باله لم يخالف حاله حالنا وهل هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور أنظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأمور نفسانية كما أشير اليه بقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد (لولا أنزل اليه ملك) أى على صورته وهيئته (فيكون معه نذيرا) تنزل منهم من اقتراح أن يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح أن يكون معه ملك يصدقه ويكون ردأ له فى الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى (أو يلقى اليه كنز) تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح أن يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب المعاش ويكون دليلا على صدقه وقوله تعالى (أو تكون له جنة يأكل منها) تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو أيسر منه وأقرب من الوقوع وقرىء نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط تحكم (وقال الظالمون) هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوه لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى المسحورية أى قالوا للمؤمنين (أن تتبعون) أى ماتتبعون (الا رجلا مسحورا) قد سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهى الرئة أى بشرا لاملكا على أن الوصف لزيادة التقرير والاول هو الانسب بحالهم (أنظر كيف ضربوا لك الامثال) استعظام للاباطيل التى اجترؤا على التفوه بها وتعجيب منها أى انظر كيف قالوا فى حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع (فضلوا) أى عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشىء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتميز فبقوا متحيرين (فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح فى نبوتك بأن يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا فى نفسه أو فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال أمثال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدى الى استعمال المقدمات الحقة (تبارك الذى) أى تكاثر وتزايد خير الذى (ان شاء جعل لك) فى الدنيا عاجلا شيئا (خيرا) لك (من ذلك) الذى اقترحوه من أن يكون لك جنة تأكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك فى الآخرة وقوله تعالى (جنات تجرى

من تحتها الانهار) بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا لأن ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار (ويجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء الذى هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الرفع والجزم كما فى قول القائل

وان أتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالى ولا حرم

ويجوز أن يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على أنه جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذى له وجه فى الجملة هو الاقتراح الاخير فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوتوا فى الدنيا مع النبوة ملكا عظيما (بل كذبوا بالساعة) اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم فى الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) الخ أى أعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على مايشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم أو لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون فى زمرتهم دخولا أوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة فى التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ماجاء به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هى العلة القريبة لدخولهم السعير أشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على وقالوا ما لهذا الخ على معنى بل أتوا بأعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وأنكروها والحال أنا قد أعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما أعد لمن كذب بها من أنواع العذاب أعجب من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبنى على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات فى الآخرة مسوق لبيان أن ذلك لايجدى نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال

عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤى وأحجار

والمعنى أنهم لايؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ماوعدك فى الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت أنظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا أن الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى (اذا رأتهم) الخ صفة للسعير أى اذا كانت منهم بمرأى الناظر فى البعد كقوله

عليه الصلاة والسلام لاتتراءى ناراهما أي لاتتقاربان بحيث تكون احداهما بمرأى من الأخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بأن التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة أو تمثيلا ومن فى قوله تعالى (من مكان بعيد) إشعار بأن بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد فى المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) أى صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وأن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل أن ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه فى الأصل صفة له (ضيقا) صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما أن الروح مع السعة وهو السر فى وصف الجنة بأن عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله تعالى عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك فقال والذى نفسي بيده انهم ليستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء (مقرنين) حال من مفعول ألقوا أى اذا ألقوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت أيديهم الى أعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع الشياطين فى السلاسل كل كافر مع شيطان وفى أرجلهم الاصفاد (دعوا هنالك) أى فى ذلك المكان الهائل والحالة الفظيعة (ثبورا) أى يتمنون هلاكا وينادونه ياثبوراه تعال فهذا حينك وأوانك (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) على تقدير قول إما منصوب على أنه حال من فاعل دعوا أى دعوه مقولا لهم ذلك حقيقة بأن يخاطبهم الملائكة لتنبيههم على خلود عذابهم وأنهم لايجابون إلى مايدعونه ولا ينالون مايتمنونه من الهلاك المنجى أو تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون هناك قول ولا خطاب أى دعوه حال كونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك وأما مستأنف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به أطماعهم من الهلاك وتنبيها على أن عذابهم الملجئ لهم إلى استدعاء الهلاك بالمرة أبدى لاخلاص لهم منه أى لاتقتصروا على دعاء ثبور واحد (وادعوا ثبورا كثيرا) أى بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لابحسب كثرته فى نفسه

فإن ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الأدعية الكثيرة
صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه
أدعية كثيرة فإن ما أنتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير
الدعاء في كل آن وهذا أدل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده
لتعدد العذاب بتعدد أنواعه وألوانه أو لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى وأما ما قيل من
أن المعنى إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب
أنواع وألوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا
غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم إنما يدعون هلاكا ينهي عذابهم
وينجيهم منه فلا بد أن يكون الجواب إقناطا لهم من ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب
استدعاءه من العذاب الشديد وتقييد النهي والأمر باليوم لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه
على أنه ليس كسائر الأيام المعهودة (قل) تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم
(أذلك) إشارة إلى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الأحوال الهائلة
وما فيه من معنى البعد للإشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة أي قل
لهم أذلك الذي ذكر من السعير التي أعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت
وشأن أهلها ذيت وذيت (خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي وعدها المتقون
وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح . وقيل للتمييز من جنات الدنيا والمراد بالمتقين
المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية أو الثالثة منها فقط (كانت) تلك الجنة (لهم)
في علم الله تعالى أو في اللوح المحفوظ أو لأن ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكى
تحققه ووقوعه (جزاء) على أعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم (ومصيرا)
ينقلبون إليه (لهم فيها ما يشاؤون) أي ما يشاؤونه من فنون الملاذ والمشتهيات وأنواع
النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولعل كل فريق منهم
يقتنع بما أتيح له من درجات النعيم ولا تمتد أعناق هممهم إلى ما فوق ذلك من المراتب
العالية فلا يلزم الحرمان ولا تساوي مراتب أهل الجنان (خالدين) حال من الضمير
المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤون (كان) أي ما يشاؤونه
وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون (على ربك وعدا مسؤولا) أي موعودا حقيقا
بأن يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون أو مسؤولا يسأله الناس في دعائهم بقولهم
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أو الملائكة بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في
على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز فإن تعلق

الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والاشعار بانه عليه الصلاة والسلام هو الفائز بآثر ذى أثير بمغانم الوعد الكريم ما لا يخفى (ويوم يحشرهم) نصب على أنه مفعول لمضمر مقدم معطوف على قوله تعالى قل أذلك الخ أى واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وجهه غير مرة أو على أنه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه أى يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين أيضا (وما يعبدون من دون الله) أريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه أنك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو أو لانه أريد به الوصف لا الذات كأنه قيل ومعبوديهم أو لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على أنهم مثلها فى السقوط عن رتبة المعبودية أو باعتبار الغلبة عبدتها أو أريد به الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب أو الاصنام ينطقها الله تعالى أو تكلم بلسان الحال كما قيل فى شهادة الايدى والارجل (فيقول) أى الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) بان دعوتموهم الى عبادتكم كما فى قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله (أم هم ضلوا السبيل) أى عن السبيل بأنفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار وأوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدى السبيل والأصل الى السبيل أو للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لان المقصود بالسؤال هو المتصدى للفعل لا نفسه (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية السؤال كأنه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل قالوا (سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون أو جمادات لا قدرة لهم على شىء أو اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده أو تنزيها له تعالى عن الانداد (ما كان ينبغى لنا) أى ما صح وما استقام لنا (أن نتخذ من دونك) أى متجاوزين إياك (من أولياء) نعبدهم لما بنا من الحالة المنافية له فانى يتصور أن نحمل غيرنا على أن يتخذ وليا غيرك فضلا أن يتخذنا وليا أو أن نتخذ من دونك أولياء أى أتباعا فان الولى كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى والاسفل ومنه أولياء الشياطين أى أتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدى الى مفعولين كما فى قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من أولياء على أن من للتبعيض أى

أن نتخذ بعض أولياء وهي على الاول مزيدة وتنكير أولياء من حيث أنهم أولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام (ولكن متعتهم وآباءهم) استدراك مسوق لبيان أنهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم حيث جعلوا أسباب الهداية أسبابا للضلالة أي ما أضللناهم ولكنك متعتهم وآباءهم بأنواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها (حتى نسوا الذكر) أي غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية (وكانوا) أي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة (قوما بورا) أي هالكين على أن بورا مصدر وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى (فقد كذبوكم) حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على تقدير قول مرتب على الجواب أي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون أيها الكفرة (بما تقولون) أي في قولكم إنهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء أضلونا ويأباه أن تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر أصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم أنهم آلهتهم وناصروهم وأياما كان فالباء بمعنى في أو هي صلة للتكذيب على أن الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرىء بالياء أي كذبوكم بقولهم سبحانك الآية (فما تستطيعون) أي ما تملكون (صرفا) أي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير أي بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم أنه لا يتصرف في أموره أي يحتال فيها وقيل توبة (ولا نصرا) أي فردا من أفراد النصر لا من جهة أنفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى أنه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون أنهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرىء يستطيعون على صيغة الغيبة أي ما يستطيع آلهتكم أن يصرفوا عنكم العذاب أو يحتالوا لكم ولا أن ينصروكم وترتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه (ومن يظلم منكم) أيها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد (نذقه) في الآخرة (عذابا كبيرا) لا يقادر قدره وهو عذاب

النار وقرئ يذقه على أن الضمير لله سبحانه وتعالى وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في إذاقة العذاب الكبير فإن الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعا وبالعفو عندنا (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) جواب عن قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق والجملة الواقعة بعد إلا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه وأقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم والمعنى ما أرسلنا أحدا قبلك من المرسلين إلا آكلين وماشين وقيل هي حال والتقدير إلا وإنهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول أي يمشيهم حوائجهم أو الناس (وجعلنا بعضكم) تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الأمم فإن اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لأن يعدوا بعضا منهم وبما في قوله تعالى (لبعض) رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الأول (فتنة) أي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من أفراد البعض الأول فتنة لكل فرد من أفراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا مبهما من الأولين فتنة لبعض مبهم من الآخرين ضرورة أن مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الأمم ولا كل فرد منهم بكل فرد من الأمم ولا بعض مبهم من الأولين ببعض مبهم من الآخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الأمم فتنة لبعض معين من الرسل كأنه قيل وجعلنا كل أمة مخصوصة من الأمم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث إليها وإنما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا وأما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وإبقاء البعضين على العموم والإبهام على معنى وجعلنا بعضكم أيها الناس فتنة لبعض آخر منكم فيأباه قوله تعالى (أتصبرون) فإنه غاية للجعل المذكور ومن البين أن ليس ابتلاء كل أحد من آحاد الناس مغيا بالصبر بل بما يناسب حاله على أن الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما يقابله مما يدل على أن اللائق بحال المفتونين والمتوقع صدوره عنهم هو الصبر لا غير فلا بد أن يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته عليه الصلاة والسلام فالمعنى جرت سنتنا بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بأممهم وبمناصبتهم لهم العداوة وإيذائهم لهم وأقاويلهم الخارجة عن حدود الإنصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى (وكان ربك بصيرا) وعد كريم للرسول عليه الصلاة والسلام بالأجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له عليه الصلاة والسلام بالالتفات إلى اسم الرب

مضافا إلى ضمير ه صلى الله عليه وسلم (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) شروع في حكاية بعض آخر من أقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال أباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على أن ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير أن يمنع مانع من ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر أو لقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى انى ظننت أنى ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له أصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم أملهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار البعث والحساب رأسا أى وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا أو حسابنا المؤدى الى سوء العذاب الذى تستوجبه مقالتهم (لولا أنزل علينا الملائكة) أى هلا أنزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد عليه الصلاة والسلام وقيل هلا أنزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم (أو نرى ربنا) من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى (لقد استكبروا في أنفسهم) أى في شأنها حتى اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء (وعتوا) أى تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان (عتوا كبيرا) بالغا أقصى غاياته حيث أملوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التى تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم أنفسهم الخبيثة أمانى لا تكاد ترنو اليها أحداق الامم ولا تمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا أولو العزائم الماضية من الانبياء عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أى والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى (يوم يرون الملائكة) استئناف مسوق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون أن يقال يوم ينزل الملائكة إيذانا من أول الامر بان رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى (لا بشرى يومئذ للمجرمين) فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفى الجنس للمبالغة في نفى البشرى وما قيل من أنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع

البشرى وفقدانها مشعران بأن هناك بشرى يمنعونها أو يفقدونها وأين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن إثبات ضدها كما أن نفي المحبة فى مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى لهم على أبلغ وجه وآكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على أن لا غير نافية للجنس وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه أى اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتأكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بأن تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفى البشرى على ذلك الوقت فقط فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على أنه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ماهم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء فى اخراجهم عن الحرمان الكلى الى أن نفى البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه فى جميع الأوقات فيجوز أن يبشروا بالعفو والشفاعة فى وقت آخر بمعزل عن الحق بعيد (ويقولون) عطف على ماذكر من الفعل المنفى المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان أنهم يقولون عند مشاهدتهم له (حجرا محجورا) وهى كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما فى قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم اذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فظيع ومحجورا صفة لحجرا أوردت للتأكيد كما قالوا ذيل ذايل وليل أليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران أو الجنة أو البشرى أى جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) بيان لحال ما كانوا يعملونه فى الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التى لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال أعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى أشيائهم وقصد ماتحت أيديهم فأتى عليها بالافساد والتحريق ومزقها كل ممزق بحيث لم يدع لها عينا ولا أثرا أى عمدنا اليها وأبطلناها أى أظهرنا بطلانها بالكلية من غير أن يكون هناك قدوم ولا شئ يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به أعمالهم المحبطة فى الحقارة وعدم الجدوى

ثم بالمنثور منه فى الانتشار بحيث لا يمكن نظامه أو مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما فى قوله تعالى كونوا قردة خاسئين (أصحاب الجنة) هم المؤمنون المشار اليهم فى قوله تعالى قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون الخ (يومئذ) أى يوم اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل أعمالهم هباء منثورا (خير مستقرا) المستقر المكان الذى يستقر فيه فى أكثر الاوقات للتجالس والتحادث (وأحسن مقيلا) المقيل المكان الذى يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهم سمى بذلك لما أن التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب فى منتصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وفى وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى أنه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق أى هم فى أقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين فى الدنيا أو الى ما لهم فى الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر فى قوله تعالى قل أذلك خير الآية هذا وقد جوز أن يراد باحدهما المصدر أو الزمان اشارة الى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة (ويوم تشقق السماء) أى تتفتح وأصله تتشقق فحذفت احدى التاءين كما فى تلظى وقرىء بادغام التاء فى الشين (بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذى ذكر فى قوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام أبيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبنى اسرائيل (ونزل الملائكة تنزيلا) أى تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تنشق سماء سماء وينزل الملائكة خلال ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرىء ونزلت الملائكة وننزل وننزل على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل ونزل الملائكة وأنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذى هو فاء الفعل الذى من ينزل (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلى العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له أصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدا وفائدة التقييد أن ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون لغيره أيضا تصرف صورى فى الجملة وقيل الملك مبتدأ والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق أو بمحذوف على التبيين أو بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك وللرحمن على ما ذكر وأيا ما كان فالجملة بمعناها عاملة فى الظرف أى ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب بما ذكر فالجملة حينئذ استئناف مسوق لبيان

أحواله وأهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لايهون الخطب على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما فى قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى أن الملك الحقيقي يومئذ للرحمن (وكان) ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ فى الرحمة لعباده (يوما على الكافرين عسيرا) شديد الهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل وأما للمؤمنين فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء فى الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله (ويوم يعض الظالم على يديه) عض اليدين والانامل وأكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم اما عقبة بن أبى معيط على ما قيل من أنه كان يكثر مجالسة النبى صلى الله عليه وسلم فدعاه عليه الصلاة والسلام يوما الى ضيافته فابى عليه الصلاة والسلام أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبى بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستحييت منه فشهدت له فقال انى لا أرضى منك الا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فاتاه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فامر عليا رضى الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصارى وطعن عليه الصلاة والسلام أبيا يوم أحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات وأما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا أوليا وقوله تعالى (يقول) الخ حال من فاعل يعض وقوله تعالى (ياليتنى) الخ محكى به ويا امالمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه أو المنادى محذوف أى يا هؤلاء ليتنى (اتخذت مع الرسول سبيلا) أى طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات وهو طريق الحق ولم تتشعب بى طرق الضلالة أو حصلت فى صحبته عليه الصلاة والسلام طريقا ولم أكن ضالا لا طريق لى قط (ياويلتا) بقلب ياء المتكلم الفا كما فى صحارى ومدارى وقرىء على الاصل ياويلتى أى هلكتى تعالى واحضرى فهذا أوانك (ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا) يريد من أضله فى الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام كما أن الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة من غير العاقل ويختص فل بالنداء الا فى ضرورة كما فى قوله

فى لجة أمسك فلانا عن فل ، وقوله ، حدثاً عن فل وفلان ، وليس فل مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا فى لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان أريد بالظالم عقبة ففلان كناية

عن أبي وان أريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين الانس والجن وهذا التمني منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى (لقد أضلني عن الذكر) تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطئه واظهار ندمه وحسرته أي والله لقد أضلني عن ذكر الله تعالى أو عن القرآن أو عن موعظة الرسول عليه الصلاة والسلام أو كلمة الشهادة (بعد اذ جاءني) وتمكنت منه وقوله تعالى (وكان الشيطان للانسان خذولا) أي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى أو من تمام كلام الظالم على أنه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو أخص الاوصاف الشيطانية أو على انه أراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي عليه الصلاة والسلام بوسوسته واغوائه لكن وصفه بالخذلان يشعر بأنه كان يعده في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه في الآخرة وهو أوفق بحال ابليس (وقال الرسول) عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما حكى عنهم قدحا في رسالته عليه الصلاة والسلام أي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل (يا رب إن قومي) يعني الذين حكى عنهم ما حكى من الشنائع (اتخذوا هذا القرآن) الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة (مهجورا) أي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من تعلم القرآن وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى أي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بأن هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى كما جعلنا لك أعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبى من الانبياء الذين هم أصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمى قومهم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى (وكفى بربك هاديا ونصيرا) وعد كريم له عليه الصلاة والسلام بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على أعدائه أى كفاك مالك أمرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التى من جملتها تبليغ الكتاب أجله واجراء أحكامه فى أكناف الدنيا الى يوم القيامة ونصيرا لك على جميع من يعاديك (وقال الذين كفروا) حكاية لاقتراحهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اقتراحهم فى حقه عليه الصلاة والسلام والقائلون هم القائلون أولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار بعلة الحكم (لولا نزل عليه القرآن) التنزيل ههنا مجرد عن معنى التدريج كما فى قوله تعالى يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز أن يراد به الدلالة على كثرة المنزل فى نفسه أى هلا أنزل كله (جملة واحدة) كالكتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على أحد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها وأما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقى على مر الدهور المتحقق فى كل جزء من أجزائه المقدرة بمقدار أقصر السور حسبما وقع به التحدى ولا ريب فى أن ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على أن فيه فوائد جمة قد أشير الى بعض منها بقوله تعالى (كذلك لنثبت به فؤادك) فانه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة فى التنزيل التدريجى ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر مؤكد لمضمر معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم أى مثل ذلك التنزيل المفرق الذى قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوى بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيرا لحفظ النظم وفهم المعانى وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعى فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة على أنها منوطة بأسبابها الداعية إلى شرعها ابتداء أو تبديلا بالنسخ من أحوال المكلفين وكذلك عامة ما ورد فى القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بأمور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية إلى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم فى الآخرة على أنهم فى هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث أمروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل

فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكلمة
وقوله تعالى (ورتلناه ترتيلا) عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم أى
كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعاً لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية قاله
النخعي والحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت
وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلناه بعضه فى اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل
قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا . وقيل قرأناه عليك بلسان جبريل عليه السلام شيئاً فشيئاً
فى عشرين أو فى ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل (ولا يأتونك بمثل) من الامثال التى
من جملتها ما حكى من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية لذلك
مجرى الامثال أى لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل فى البطلان يريدون به القدح فى
حقك وحق القرآن (الا جئناك) فى مقابلته (بالحق) أى بالجواب الحق الثابت الذى
ينحي عليه بالابطال ويحسم مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق
أسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية وقوله تعالى (وأحسن تفسيرا) عطف على الحق
أى جئناك بأحسن تفسيرا أو على محل بالحق أى آتيناك الحق وأحسن تفسيرا أى بيانا
وتفصيلا على معنى أنه فى غاية ما يكون من الحسن فى حد ذاته لا أن ما يأتون به له حسن
فى الجملة وهذا أحسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية أى لا يأتونك
بمثل إلا حال إتياننا إياك الحق الذى لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة إلى أبطال
ما أتوا به وتثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان
جميع الاسئلة وبصحة جميع الاجوبة وباشارته منبىء عن بطلان السؤال الاخير وصحة
جوابه إذ لولا أن تنزيل القرآن على التدريج لما أمكن أبطال تلك الاقتراحات الشنيعة
ولما حصل تثبيت فؤاده عليه الصلاة والسلام من تلك الحيثية هذا وقد جوز أن
يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التى كانوا يقترحون كونه عليه الصلاة
والسلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل والشرب وحيازة الكنز
والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحال عجيبة يقترحون
اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا أعطيناك نحن من الاحوال الممكنة
ما يحق لك فى حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاه وما هو أحسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة
على صحته وهو الذى أنت عليه فى الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان
المتبادر منه أن يكون ما أعطاه الله تعالى من الحق مترتبا على ما أتوا به من الاباطيل
دامغا لها ولا ريب فى أن ما آتاه الله تعالى من الملكات السنية اللائقة بالرسالة قد أتاه

من أول الأمر لا بمقابلة ما حكى عنهم من الاقتراحات لأجل دمغها وإبطالها (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) أى يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون عليها ويجرون إلى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وأرجلهم إلى فوق روى عنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على أقدامهم ينسلون نسلا وأما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد لأن هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات أو توجه اليها فى الجملة ومحل الموصول أما النصب أو الرفع على الذم أو الرفع على الابتداء وقوله تعالى (أولئك) بدل منه أو بيان له وقوله تعالى (شر مكانا وأضل سبيلا) خبر له أو اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازى للمبالغة والمفضل عليه الرسول عليه الصلاة والسلام على منهاج قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كأنه قيل أن حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه عليه الصلاة والسلام بتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكانا وأضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا (ولقد آتينا موسى الكتاب) جملة مستأنفة سيقت لتأكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر فى قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبين قومهم حكاية إجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب القسم محذوف أى وبالله لقد آتينا موسى التوراة أى أنزلناها عليه بالآخرة (وجعلنا معه) الظرف متعلق بجعلنا وقوله تعالى (أخاه) مفعول أول له وقوله تعالى (هرون) بدل من أخاه أو عطف بيان له على عكس ما وقع فى سورة طه وقوله تعالى (وزيرا) مفعول ثان له وقد مر تمة معنى الوزير أى جعلناه فى أول الأمر وزيرا له (فقلنا) لهما حينئذ (اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) هم فرعون وقومه والآيات هى المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدى موسى عليه السلام ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تأخر تكذيب الآيات عن اظهارها المتأخر عن ذهابهما المتأخر عن الأمر بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكى بعده من التدمير أى فذهبا اليهم فأرياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا مستمرا (فدمرناهم) إثر ذلك التكذيب المستمر (تدميرا) عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتى القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا

بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة يعتد بها فى حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض فى مطلع القصة لايتاء الكتاب مع أنه كان بعد مهلك القوم ومن لم يكن له مدخل فى هلاكهم كسائر الآيات للايذان من أول الامر ببلوغه عليه الصلاة والسلام غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التى هى انجاء بنى اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما فى التوراة من الاحكام اذ به يحصل تأكيد الوعد بالهداية على الوجه الذى مر بيانه وقرئ فدمرتهم وفدمراهم وفدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح) منصوب بمضمر يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم أى ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى (لما كذبوا الرسل) أى نوحا ومن قبله من الرسل أو نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى (أغرقناهم) وانما يتسنى ذلك على تقدير كون كلمة لما ظرف زمان وأما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه حينئذ جواب لها وجواب لما لا يفسر ما قبله مع أنه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما أن اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه ما تقدم وقوله تعالى أغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم (وجعلناهم) أى جعلنا اغراقهم أو قصتهم (للناس آية) أى آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها أو سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له أو متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها (وأعتدنا للظالمين) أى لهم والاظهار فى موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد فى الكفر والتكذيب (عذابا أليما) هو عذاب الآخرة اذ لا فائدة فى الاخبار باعتبار العذاب الذى قد أخبر بوقوعه من قبل أو لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل فى زمرتهم قريش دخولا أوليا ويحتمل العذاب الدنيوى والاخروى (وعادا) عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل الظالمين اذ هو فى معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد (وثمود) الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحى أو على أنه اسم الاب الاقصى (وأصحاب الرس) هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينما هم حول الرس وهى البئر التى لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبى فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن

صفو ان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذى يقال له فتخ أو دمخ فتنقض على صبيانهم فتخطفهم ان أعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فأهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه أى دسوه فى بئر (وقرونا) أى أهل قرون قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) أى بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر أشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب (كثيرا) لايعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء فى شئون تلك القرون بهذا البيان الاجمالى لما أن كل قرن منها لم يكن فى الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة (وكلا) منصوب بمضمر يدل عليه مابعده فان ضرب المثل فى معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذى عوض عنه التنوين عبارة أما عن الامم التى لم يذكر أسباب اهلاكهم وأما عن الكل فان ماحكى عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم للآيات والرسل لاعدم التأثر من الامثال المضروبة أى ذكرنا وأنذرنا كل واحد من المذكورين (ضربنا له الامثال) أى بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصى بواسطة الرسل (وكلا) أى كل واحد منهم لابعضهم دون بعض (تبرنا تتبيرا) عجيبا هائلا لما أنهم لم يتأثروا بذلك ولم يرفعوا له رأسا وتمادوا على ماهم عليه من الكفر والعدوان وأصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شئ كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة (ولقد أتوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها أى وبالله لقد أتى قريش فى متاجرهم الى الشام (على القرية التى أمطرت) أى أهلكت بالحجارة وهى قرى قوم لوط وكانت خمس قرى مانجت منها الا واحدة كان أهلها لايعملون العمل الخبيث وأما البواقى فأهلكها الله تعالى بالحجارة وهى المرادة بقوله تعالى (مطر السوء) وانتصابه إما على أنه مصدر مؤكد بحذف الزوائد كما قيل فى أنبته الله تعالى نباتاً حسنا أى امطار السوء أو على أنه مفعول ثان اذ المعنى أعطيت أو أوليت مطر السوء (أفلم يكونوا يرونها) توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة مايوجبه والهمزة لانكار نفى استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار مايوجبها من اتيانهم عليها لالانكار استمرار نفى رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها فى الجملة والفاء لعطف مدخولها على مقدر يقتضيه المقام

أي ألم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها أو أكانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى (بل كانوا لا يرجون نشورا) إما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ماجرى على أهل القرى من العقوبة وبيان لكون عدم اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا أنها كتفي عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كني عن ذلك بعدم رجاء النشور أي عدم توقعه كأنه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من النفوس نشورا أصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو أعظم منه من عدم توقع النشور (واذا رأوك إن يتخذونك الا هزوا) أي ما يتخذونك الا هزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عليه الصلاة والسلام على اتخاذهم اياه عليه الصلاة والسلام هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كأنه قيل ما يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع الا ما يوحى الى من سورة الانعام وقوله تعالى (أهذا الذي بعث الله رسولا) محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك أي يستهزئون بك قائلين أهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عليه الصلاة والسلام مع كونهم في غاية النكير لبعثه عليه الصلاة والسلام بطريق التهكم والاستهزاء والا لقالوا أبعث الله هذا رسولا أو أهذا الذي يزعم أنه بعثه الله رسولا (ان كاد) ان مخففة من أن وضمير الشأن محذوف أي انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) أي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء أن عبادتها طريق سوي (لولا أن صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في أمثال هذا الكلام تجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما أشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بأنه عليه الصلاة والسلام قد بلغ من الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا أن يتركوا دينهم لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى أنه من قول أبي جهل

(وسوف يعلمون) جواب من جهته تعالى لآخر كلامهم ورد لما ينبىء عنه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى الضلال فى ضمن الاضلال أى سوف يعلمون البتة وان تراخى (حين يرون العذاب) الذى يستوجبه كفرهم وعنادهم (من أضل سبيلا) وفيه مالايخفى من الوعيد والتنبيه على أنه تعالى لايهملهم وان أمهلهم (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان مالهم من المصير والمآل وتنبيه على أن ذلك من الغرابة بحيث يجب أن يرى ويتعجب منه وإلهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذى يدور عليه أمر التعجيب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما فى التعريف فقد زل منه أن المفعول الثانى فى هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة أى أرأيت من جعل هواه إلها لنفسه من غير أن يلاحظه وبنى عليه أمر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى (أفأنت تكون عليه وكيلا) انكار واستبعاد لكونه عليه الصلاة والسلام حفيظا عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده إلى الحق طوعا أوكرها والفاء لترتيب الانكار على ماقبله من الحالة الموجبة له كأنه قيل أبعد ماشاهدت غلوه فى طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره على الايمان شاء أو أبى وقوله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون) إضراب وانتقال عن الانكار المذكور إلى إنكار حسبانه عليه الصلاة والسلام لهم ممن يسمع أو يعقل حسبما ينبىء عنه جده عليه الصلاة والسلام فى الدعوة واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لاعلى أنه لايقع كالاول بل على أنه لاينبغى أن يقع أى بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون ماتتلو عليهم من الآيات حق السماع أو يعقلون مافى تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية إلى المحاسن فتعتنى بشأنهم وتطمع فى إيمانهم وضمير أكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما أن الافراد فى الضمائر الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين لاكثر لالما أضيف هو اليه وقوله تعالى (ان هم إلا كالانعام) الخ جملة مستأنفة مسوقة لتقرير النكير وتأكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة أى ماهم فى عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل والمعجزات إلا كالبهائم التى هى مثل فى الغفلة وعلم فى الضلالة (بل هم أضل) منها (سبيلا) لما أنها تنقاد لصاحبها الذى يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها عن يسىء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب مايضرها وتهتدى لمراعيها ومشاربها وتأوى إلى معاطنها

وهؤلاء لا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذى هو أعدى عدوهم ولا يطلبون الثواب الذى هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذى هو المشرع الهنى والمورد العذب الروى ولانها إن لم تعتقد حقاً مستتبعاً لاكتساب الخير لم تعتقد باطلا مستوجباً لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها أحكام الشرور ولان أحكام جهالتها وضلالتها مقصورة على أنفسها لاتتعدى الى أحد وجهالة هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها فى طلب الكمال وأما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية التى فطر الناس عليها مستحقون بذلك أعظم العقاب وأشد النكال (ألم تر الى ربك) بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه عليه الصلاة والسلام وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته ورحمته تعالى أى ألم تنظر إلى بديع صنعه تعالى (كيف مد الظل) أى كيف أنشأ ظل أي مظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتداً لا أنه تعالى مده بعد أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار إلى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى وإحداثه يأباه سياق النظم الكريم وأما ما قيل من أن المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وأنه أطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فى قوله تعالى وظل ممدود فغير سديد إذ لاريب فى أن المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد أن يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها فى موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما فى جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وإن كان فى الحقيقة ظلا للافق الشرقى لكنهم لايعدونه ظلا ولا يصفونه بأوصافه المعهودة ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه وتعالى مع أن المراد تقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام لكيفية مد الظل للتنبيه على أن نظره عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح أنظاره معرفة شئون الصانع المجيد وقوله تعالى (ولو شاء لجعله ساكنا) جملة اعترضت بين المعطوفين للتنبيه من أول الأمر

على أنه لامدخل فيما ذكر من المد للأسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء أى ولو شاء سكونه لجعله ساكنا أى ثابتاً على حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما أن مقابله الذى هو تغير حاله حسب تغير الأوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأى العين حركة وانتقالا وحاصله أنه لايعتريه اختلاف حال بأن لاتنسخه الشمس وأما التعليل بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمداره الغفول عما سيق له النظم الكريم ونطق به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الأمور الحادثة اليه تعالى بالذات واسقاط الأسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة على وجود المسببات لابذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس فى مقام واحد على أنها أعظم من إبقاء الظل على حاله فى الدلالة على ماذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهى أولى وأحق بالايراد فى معرض البيان وقوله تعالى (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) عطف على مد داخل فى حكمه أى جعلناها علامة يستدل بأحوالها المتغيرة على أحواله من غير أن يكون بينهما سببية وتأثير قطعاً حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات إلى نون العظمة لما فى الجعل المذكور العارى عن التأثير مع مايشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبىء عن السببية من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر فى ايراد كلمة التراخى وقوله تعالى (ثم قبضناه) عطف على مد داخل فى حكمه وثم للتراخى الزمانى لما أن فى بيان كون القبض والمد مرتبين دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز أن تكون للتراخى الرتبى أى أزلناه بعد ما أنشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير أن يكون له تأثير فى ذلك أصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبىء عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه بالمد الذى هو البسط طولا وقوله تعالى (الينا) للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما أن حدوثه منه عز وجل (قبضا يسيرا) أى على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها ألقت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده تعالى إياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل أى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل فى الطريق فهو يزيد

بها وينقص ويمتد ويقلص ثم نسخه بها بقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير أو قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض أسبابه وهى الاجرام التى تلقى الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام أسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسر على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضى للدلالة على تحقيق الوقوع (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) بيان لبعض بدائع آثار قدرته تعالى وحكمته وروائع أحكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفى تعقيب بيان أحوال الظل ببيان أحكام الليل الذى هو ظل الارض من لطاف المسالك مالا مزيد عليه أى هو الذى جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس (والنوم سباتا) أى وجعل النوم الذى يقع فى الليل غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذى هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة فى انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها (وجعل النهار نشورا) أى زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أو نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى أن النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه السلام يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت وتنشر (وهو الذى أرسل الرياح) وقرئ بالتوحيد على أن المراد هو الجنس (بشرا) تخفيف بشر جمع بشور أى مبشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع نشور أى ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون أيضا على أنه مصدر وصف به مبالغة وقوله تعالى (بين يدى رحمته) استعارة بديعة أى قدام المطر والالتفات الى نون العظمة فى قوله تعالى (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ماذكر من ارسال الرياح أى أنزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا فى الطهارة وماقيل انه مايكون طاهرا فى نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته فى الطهارة كما ينبىء عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان الطهور فى العربية إما صفة كما تقول ماء طهور أو اسم كما فى قوله عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما فى قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوأ حسنا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لاصلاة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه مايزيل طهوريته وتنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغى أن يطهروها فبواطنهم

أحق بذلك وأولى (لنحيي به) أي بما أنزلنا من الماء الطهور (بلدة ميتا) بإنبات النبات والتذكير لأن البلدة بمعنى البلد ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجرى مجرى الجامد والمراد به القطعة من الأرض عامرة كانت أو غامرة (ونسقيه) أي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الأودية أو اجتماعه في الحياض والمناقع أو الآبار (مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيرا) أي أهل البوادي الذين يعيشون بالحياء ولذلك نكر الأنعام والأناسي وتخصيصهم بالذكر لأن أهل القرى والأمصار يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فيهم وبما لهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع أن مساق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام حيث كانت قنية للإنسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها إحياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه وأسقى وسقى لغتان وقيل أسقاه جعل له سقيا وأناسي جمع أنسي أو إنسان كظرابي في ظربان على أن أصله أناسين فقلبت نونه ياء وقرئ أناسي بالتخفيف بحذف ياء أفاعيل كأناعم في أناعيم (ولقد صرفناه) أي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر لما مر من الغايات الجليلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية (بينهم) أي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم إنزاله في بعض البلاد دون غيرها أو في بعض الأوقات دون بعض أو جعله تارة وابلا وأخرى طلا وحينا ديمة ووقتا رحمة والأول هو الأظهر (فأبى أكثر الناس) ممن سلف وخلف (إلا كفورا) أي لم يفعل إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو إلا جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الأمطار إلا من الأنواء فهو كافر بخلاف من يرى أن الكل بخلق الله تعالى والأنواء أمارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) نبيا ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الأمر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا إجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) أي فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق والتشدد معهم كأنه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما أنه عليه الصلاة والسلام كان يود أن يدخلوا في الإسلام ويجتهد في ذلك بتألفهم قابلهم أشد الاجتهاد (وجاهدهم به) أي بالقرآن بتلاوة

بما فى تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير أحوال الامم المكذبة (جهادا كبيرا) فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لايقادر قدره كما وكيفا. وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهى عن الطاعة. وأنت خبير بان مجرد ترك الطاعة يتحقق بلا دعوة أصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا أن تجعل الباء للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من أحكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كأنه قيل فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما فى قوله تعالى « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى «ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا» من كونه عليه الصلاة والسلام نذير كافة القرى لأنه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من أجل ذلك جهاده وعظم فقال له عليه الصلاة والسلام وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة. وأنت خبير بأن بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها فى الكيفية (وهو الذى مرج البحرين) أى خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لايتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش لغاية عذوبته (وهذا ملح أجاج) بليغ الملوحة. وقرئ ملح فلعله تخفيف مالح كبرد فى بارد (وجعل بينهما برزخا) حاجزا غير مرئى من قدرته كما فى قوله تعالى «بغير عمد ترونها» (وحجرا محجورا) وتنافرا مفرطا كأن كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالمالح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون أثر القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه فى الكيفية (وهو الذى خلق من الماء بشرا) هو الماء الذى خمر به طينة آدم عليه السلام أو جعله جزأ من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة أو هو النطفة (فجعله نسبا وصهرا) أى قسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر أى اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى «فجعل منه الزوجين الذكر والانثى» (وكان ربك قديرا) مبالغا فى القدرة حيث قدر على أن يخلق من مادة واحدة بشرا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة

توأمين ذكرا وأنثى (ويعبدون من دون الله) الذى شأنه ما ذكر (ما لا ينفعهم ولا يضرهم) أى ما ليس من شأنه النفع والضر أصلا وهو الاصنام أو كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر (وكان الكافر على ربه) الذى ذكرت آثار ربوبيته (ظهيرا) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس أو أبو جهل . وقيل هينا مهينا لااعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى «ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم» (وما أرسلناك إلا مبشراً) للمؤمنين (ونذيراً) للكافرين (قل) لهم (ما أسألكم عليه) أى على تبليغ الرسالة الذى ينبىء عنه الارسال (من أجر) من جهتكم (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) أى الافعل من يريد أن يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما أدعوهم اليهما فصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائدا اليهم عائدا اليه عليه الصلاة والسلام . وقيل الاستثناء منقطع أى لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا فليفعل (وتوكل على الحى الذى لايموت) فى الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن أجورهم فانه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه (وكفى به بذنوب عباده) ما ظهر منها وما بطن (خبيرا) أى مطلعا عليها بحيث لايخفى عليه شىء منها فيجزيهم جزاء وافيا (الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) قد سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على أنه صفة أخرى للحى وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التى هى من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده فان من أنشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين فى أوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لاتقف على تفاصيلها العقول أحق من يتوكل عليه وأولى من يفوض الأمر اليه (الرحمن) مرفوع على المدح أى هو الرحمن وهو فى الحقيقة وصف آخر للحى كما قرىء بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى وان لم يتبعه فى الاعراب لما تقرر من أن المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه

في الإعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة ألا يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع وما ذاك إلا لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى (فاسأل به) أي بتفاصيل ما ذكر إجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط إذ بعد بيانهما لا يبقى إلى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فائدة فإنها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول أمرا خطيرا مهتما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر أن نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من أن التقدير إن شككت فيه فاسأل به خبيرا على أن الخطاب له عليه الصلاة والسلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير إن شئت تحقق ما ذكر أو تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به (خبيرا) عظيم الشأن محيطا بظواهر الأمور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الأمر وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ إلى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبره وقوله تعالى (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) قالوه لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أو لأنهم ظنوا أن المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا (أنسجد لما تأمرنا) أي للذي تأمرناه بسجوده أو لأمرك إيانا من غير أن نعرف أن المسجود ماذا وقيل لأنه كان معربا لم يسمعوه وقيل يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض (وزادهم) أي الأمر بسجود الرحمن (نفورا) عن الإيمان (تبارك الذي جعل في السماء بروجا) هي البروج الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره (وجعل فيها سراجا) هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل وقرئ وقمرا أي ذا قمر وهي جمع قمراء ولعل أن الليالي بالقمر تكون قمراء أضيف إليها ثم حذف وأجري حكمه على المضاف إليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي الله عنه:

بردى يصفق بالرحيق السلسل أي ماء بردى ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه أو بأن يعتقبا كقوله تعالى

«واختلاف الليل والنهار» وهي اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس (لمن أراد أن يذكر) أى يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر فى بدائع صنعه فيعلم أنه لابد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد (أو أراد شكورا) أى أن يشكر الله تعالى على مافيهما من النعم أو ليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده فى أحدهما تداركه فى الآخر . وقرىء أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر (وعباد الرحمن) كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلص عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره مابعده من الموصول وما عطف عليه . وقيل هو مافى آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة . وقرىء عباد الرحمن أى عباده المقبولون (الذين يمشون على الارض هونا) أى بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على أنه حال من فاعل يمشون أو على أنه نعت لمصدر أى يمشون هينين لينى الجانب من غير فظاظة أو مشيا هينا وقوله تعالى (واذا خاطبهم الجاهلون) أى السفهاء كما فى قول من قال:

ألا لا يجهلن أحد علينا . فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(قالوا سلاما) بيان لحالهم فى المعاملة مع غيرهم إثر بيان حالهم فى أنفسهم أى اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسليما منكم ومتاركة لاخير بيننا وبينكم ولا شر . وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسخها آية القتال كما نقل عن أبى العالية وقوله تعالى (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) بيان لحالهم فى معاملتهم مع ربهم أى يكونون ساجدين لربهم وقائمين أى يحيون الليل كلا أو بعضا بالصلاة . وقيل من قرأ شيئا من القرآن فى صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء . وتقديم السجود على القيام لرعاية الفواصل (والذين يقولون) أى فى اعقاب صلواتهم أو فى عامة أوقاتهم (ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) أى شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان أنهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون إلى الله تعالى فى صرفه عنهم غير محتفلين بأعمالهم كقوله تعالى «والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون» (إنها ساءت مستقرا ومقاما) تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها فى نفسها إثر تعليله بسوء حال عذابها . وقد جوز أن يكون تعليلا للاولى وليس بذاك وساءت فى حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف [illegible] مستقرا ومقاما

هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم إن وجعلها خبرا لها قيل ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم إن ومستقرا حال أو تمييز وهو بعيد خال عما في الأول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا جعل التعليلين من جهته تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الإسراف هو الإنفاق في المعاصي والقتر منع الواجبات والقرب وقرئ بكسر التاء مع فتح الياء وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم الياء (وكان بين ذلك) أي بين ما ذكر من الإسراف والقتر (قواما) وسطا وعدلا سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي به سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان أو حال مؤكدة أو هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز أن يكون اسم كان على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فإنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان إتيانهم بالطاعات وذكر نفي الإسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والتصريح بوصفهم بنفي الإشراك مع ظهور إيمانهم لإظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والإخلاص وتهويل أمر القتل والزنا بنظمهما في سلكه والتعريض بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم أي لا يعبدون معه تعالى إلها آخر (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) أي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه مبالغة في التحريم (إلا بالحق) أي لا يقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أو لا يقتلونها قتلا ما إلا قتلا ملتبسا بالحق أو لا يقتلونها في حال من الأحوال إلا حال كونهم ملتبسين بالحق (ولا يزنون) أي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع إشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموءودة مكبين على الزنا لا يحجزون عنه أصلا (ومن يفعل ذلك) أي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين (يلق) في الآخرة ... (أثاما) وهو جزاء الإثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الإثم أي يلق جزاء الإثم ... وقيل أثاما أي شدائد يقال يوم ذو أثام أي صعب (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ... تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وقرئ بالرفع على الاستئناف أو على الحال وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف

ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب (ويخلد فيه) أى فى ذلك العذاب المضاعف (مهانا) ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسمانى والروحانى وقرىء يخلد ويخلد مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرىء تخلد بالتاء على الالتفات المنبىء عن شدة الغضب ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصى الى الكفر يفصح عنه قوله تعالى (الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة (فأولئك) اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما أن الافراد فى الافعال الثلاثة باعتبار لفظه أى أولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح (يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية ودواعيها فى النفس ملكة الطاعة بأن يزيل الاولى ويأتى بالثانية . وقيل بأن يوفقه لاضداد ما سلف منه أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا (وكان الله غفورا رحيما) اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من المحو والاثبات (ومن تاب) أى عن المعاصى بتركها بالكلية والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به ما فرط منه أو خرج من المعاصى ودخل فى الطاعات (فانه) بما فعل (يتوب الى الله) أى يرجع اليه تعالى (متابا) أى متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب أو يتوب متابا الى الله تعالى الذى يحب التوابين ويحسن اليهم أو فانه يرجع اليه تعالى أو الى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه (واذا مروا) على طريق الاتفاق (باللغو) أى ما يجب أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) المشتملة على المواعظ والاحكام (لم يخروا عليها صما وعميانا) أى أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين لها بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفى الضد تعريضا بما يفعله الكفرة والمنافقون . وقيل الضمير للمعاصى المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا ساعده أهله فى طاعة الله عز وجل وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم

عينه لما يشاهده من مشايعتهم له فى مناهج الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة حسبما وعد بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية أو بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد أعين المتقين ولا ريب فى قلتها نظرا الى غيرها (واجعلنا للمتقين إماما) أى اجعلنا بحيث يقتدون بنا فى إقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو لان المراد واجعل كل واحد منا اماما أو لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا قالوا . وأنت خبير بأن مدار التكلف صدور هذا الدعاء اما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم فى عصر واحد فما ظنك باجتماعهم فى مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك غيره فى استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء واجعلنى للمتقين اماما خلا أنه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وأبقى اماما على حاله وقيل الامام جمع آم بمعنى قاصد كصيام جمع صائم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم وإعادة الموصول فى المواقع السبعة مع كفاية ذكر الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بأن كل واحد مما ذكر فى حيز صلة الموصولات المذكورة وصف جليل على حياله له شأن خطير حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شئ من ذلك تتمة لغيره . وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنوانى منزلة الاختلاف الذاتى كما فى قوله:

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم

(أولئك) اشارة الى المتصفين بما فصل فى حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به . وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك أكمل تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (يجزون الغرفة) والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبينة لما لهم فى الآخرة من السعادة الابدية إثر بيان ما لهم فى الدنيا من الاعمال السنية والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع عال أى يثابون أعلى منازل الجنة وهى اسم جنس أريد به الجمع كقوله تعالى وهم فى الغرفات آمنون وقيل هى اسم من أسماء الجنة (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض

الشهوات وتحمل المجاهدات (و يلقون فيها) من جهة الملائكة (تحية وسلاما) أى تحييهم الملائكة و يدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة. و قيل يحيي بعضهم بعضا و يسلم عليه. وقرئ يلقون من لقى (خالدين فيها) لا يموتون ولا يخرجون (حسنت مستقرا ومقاما) الكلام فيه كالذى مر فى مقابله (قل) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين للناس أن الفائزين بتلك النعماء الجليلة التى يتنافس فيها المتنافسون انما نالوها بما عدد من محاسنهم ولولاها لم يعتد بهم أصلا أى قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر (ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم)أى أى عبء يعبأ بكم وأى اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما مر تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وسائر البهائم سواء. وقال الزجاج معناه أى وزن يكون لكم عنده. وقيل معناه مايصنع بكم ربى لولا دعاؤه إياكم الى الاسلام و قيل مايصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وجوز أن تكون ما نافية وقوله تعالى (فقد كذبتم) بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما أن ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم أى فقد كذبتم بما أخبرتكم به وخالفتموه وأبيتم الكفر فلم تعملوا عمل أولئك المذكورين وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون أى الكافرون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفائدته الايذان بان مناط فوز أحدهما وخسران الآخر مع الاشتراك فى الجنس المصحح للاشتراك فى الفوز ليس الا الاختلاف فى الأعمال (فسوف يكون لزاما) أى يكون جزاء التكذيب أو أثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم فى النار كما يعرب عنه الفاء الدالة على لزوم ما بعدها لما قبلها وإنما أضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل أمره للتنبيه على أنه لا يكتنهه البيان. وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد رحمه الله هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقى الله تعالى وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير حساب

(سورة الشعراء مكية)

(الا قوله والشعراء الى آخرها وهى مائتان وست أو سبع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) بتفخيم الألف وبإمالتها وإظهار النون وبادغامها فى الميم وهو إما مسرود
على نمط التعديد بطريق التحدى على أحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة
فلا محل له من الاعراب وإما اسم للسورة كما عليه اطباق الأكثر فمحله الرفع على أنه خبر
لمبتدا محذوف وهو أظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه فى مطلع سورة
يونس عليه السلام أو النصب بتقدير فعل لائق بالمقام نحو اذكر أو اقرأ وتلك فى قوله
تعالى (تلك آيات الكتاب المبين) اشارة الى السورة سواء كان طسم مسرودا
على نمط التعديد أو اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هناك وما فى اسم الاشارة من معنى
البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه فى الفخامة ومحله الرفع على أنه مبتدأ خبره ما بعده وعلى
تقدير كون طسم مبتدأ هو مبتدأ ثان أو بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن وبالمبين
الظاهر اعجازه على أنه من أبان بمعنى بان أو المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها أو الفاصل بين
الحق والباطل والمعنى هى آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها
بعضا منه وصفها بما اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة (لعلك باخع نفسك) أى قاتل
وأصل البخع أن يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد
الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق أى أشفق على نفسك أن
تقتلها حسرة على مافاتك من اسلام قومك (أن لا يكونوا مؤمنين) أى لعدم ايمانهم
بذلك الكتاب المبين أو خيفة أن لا يؤمنوا به وقوله تعالى (إن نشأ) الخ استئناف
مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهى عن التحسر المذكور ببيان أن ايمانهم ليس
مما تعلقت به مشيئة الله تعالى حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول
المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أعنى قوله تعالى (ننزل عليهم من السماء آية)
أى ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر (فظلت أعناقهم لها خاضعين) أى منقادين
وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك
الخبر على حاله وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم فى الصيغة أيضا
كما فى قوله تعالى رأيتهم لى ساجدين وقيل أريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا

عنق من الناس أي فوج منهم. وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على إسلامهم وقطع رجائه عنه. ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به. والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فإن الإعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل على الإطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم أشنع وأقبح أي ما يأتيهم من موعظة من المواعظ القرآنية أو من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم أكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة إلا جددوا إعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء وإصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أي ما يأتيهم من ذكر في حال من الأحوال إلا حال كونهم معرضين عنه (فقد كذبوا) أي كذبوا بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالإعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا وأخرى أساطير وأخرى شعرا. والفاء في قوله تعالى (فسيأتيهم) لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره أي فسيأتيهم البتة من غير تخلف أصلا (أنباء ما كانوا به يستهزئون) عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الإعراض والتكذيب للإيذان بأنهما كانا مقارنين للاستهزاء كما أشير إليه حسبما وقع في قوله تعالى «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون» والأنباء ما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك إما لكونها مما أنبأ بها القرآن الكريم وإما لأنهم بمشاهدتها يقفون على حقيقة حال القرآن كما يقفون على الأحوال الخافية عنهم باستماع الأنباء وفيه تهويل له لأن النبأ لا يطلق إلا على خبر خطير له وقع عظيم أي فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزئون به قبل من غير أن يتدبروا في أحواله ويقفوا عليها (أولم يروا) الهمزة للإنكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أفعلوا ما فعلوا من الإعراض عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم

ينظروا (الى الأرض) أى الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما أعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى (كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم) استئناف مبين لما فى الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج أى صنف تمييز والكريم من كل شئ مرضيه ومحموده أى كثيرا من كل صنف مرضى كثير المنافع أنبتنا فيها . وتخصيص النبات النافع بالذكر دون ماعداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل أن يراد به جميع أصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على أنه تعالى ما أنبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون (ان فى ذلك) اشارة الى مصدر أنبتنا أو الى كل واحد من تلك الازواج وأياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الفضل (لآية) أى آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر (وما كان أكثرهم) أى أكثر قومه عليه الصلاة والسلام (مؤمنين) قيل أى فى علم الله تعالى وقضائه حيث علم أزلا أنهم سيصرفون قواهم الى اختيارهم الذى عليه يدور أمر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون فى هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما أكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان عتوهم وغلوهم فى المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات الايمان من جهته تعالى وأما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين فيه بحسب الظاهر لان ما أشير اليه من التحقيق مما خفى على مهرة العلماء المتقنين كأنه قيل ان فى ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما أكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم فى الكفر والضلالة وانهماكهم فى الغى والجهالة . ونسبة عدم الايمان الى أكثرهم لان منهم من سيؤمن (وان ربك لهو العزيز) الغالب على كل ما يريده من الامور التى من جملتها الانتقام من هؤلاء (الرحيم) المبالغ فى الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترءوا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات . وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى (واذ نادى ربك موسى) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه

من الآيات التكوينية . وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام أي واذكر لأولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجراً لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيراً من أن يحيق بهم مثل ماحاق بأضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك أنهم لايؤمنون بما يأتيهم من الآيات لكن لابقياس حال هؤلاء بحال أولئك فقط بل بمشاهدة إصرارهم على ماهم عليه بعد سماع الوحي الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك كما يلوح به تكرير قوله تعالى «ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين» عقيب كل قصة وتوجيه الأمر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ماوقع فيه من الحوادث قد مر سره مراراً (أن ائت) بمعنى أي ائت على أن أن مفسرة أو بأن ائت على أنها مصدرية حذف منها الجار (القوم الظالمين) أي بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح أبنائهم وليس هذا مطلع ماورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى «إني أنا ربك إلى قوله لنريك من آياتنا الكبرى» وإيراد ماجرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى وأساليب مختلفة قد مر تحقيقه في أوائل سورة الاعراف عند قوله تعالى «قال أنظرني» (قوم فرعون) بدل من الاول أو عطف بيان له جيء به للايذان بأنهم علم في الظلم كأن معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة أن نفسه أول داخل في الحكم (ألا يتقون) استئناف جيء به إثر إرساله عليه الصلاة والسلام اليهم للانذار تعجيباً من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان . وقرىء بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المنبىء عن زيادة الغضب عليهم كأن ذكر ظلمهم أدى الى مشافهتهم بذلك وهم وإن كانوا حينئذ غيباً لكنهم قد أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم وإسماعه مبتدأ إسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتأمل . وقرىء بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم ويجوز أن يكون بمعنى ألا ياناس اتقون كقوله ألا يسجدوا (قال) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعاً الى الله عز وجل (رب اني أخاف أن يكذبون) من أول الأمر (ويضيق صدري ولا ينطلق لساني) معطوفان على أخاف (فأرسل) أي جبريل عليه السلام (الى هرون) ليكون معي وأتعاضد به في تبليغ الرسالة [illegible] عليه الصلاة والسلام استدعاء ذلك بل الأمور الثلاثة [illegible]

وازدياد ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من حبسة اللسان بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت تمس الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه إذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الأمر في شيء وإنما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذر فيه. وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفاً على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه (ولهم علي ذنب) أي تبعة ذنب فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنباً بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة إلى قصة مبسوطة في غير موضع (فأخاف) أي إن أتيتهم وحدي (أن يقتلون) بمقابلته قبل أداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا أيضاً تعللا وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى (قال كلا فاذهبا بآياتنا) حكاية لإجابته تعالى إلى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن الخوف . وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما بطريق التغليب فإنه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت ومن استدعيته وفي قوله بآياتنا رمز إلى أنها تدفع ما يخافه وقوله تعالى (إنا معكم مستمعون) تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى إنني معكما أسمع وأرى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر ههنا في المعية وقيل أجريا مجرى الجماعة ويأباه ما قبله وما بعده من ضمير التثنية أي سامعون ما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد أولياءه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة في الوعد بالإعانة أو استعير الاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والأصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تأكيد للأمر بالذهاب لأن معناه الوصول إلى المأتي لا مجرد التوجه إليه كالذهاب . وإفراد الرسول إما باعتبار رسالة كل منهما أو لاتحاد مطلبهما أو لأنه مصدر وصف به وأن في قوله تعالى (أن أرسل معنا بني إسرائيل) مفسرة لتضمن الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى إرسالهم تخليتهم وشأنهم ليذهبوا معهما إلى الشام (قال) أي فرعون لموسى عليه السلام بعدما أتياه وقالا له ما أمرا به يروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنساناً يزعم أنه رسول رب العالمين

فقال ائذن له لعلنا نضحك فأديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك (ألم نربك فينا) في حجرنا ومنازلنا (وليدا) أي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين وأقام بها عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن اثنتي عشرة سنة وفر منهم على إثر ذلك والله أعلم (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي بعد ما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقرىء فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل (وأنت من الكافرين) أي بنعمتي حيث عمدت الى قتل رجل من خواصي أو أنت حينئذ ممن تكفرهم الآن وقد افترى عليه عليه الصلاة والسلام أو جهل أمره عليه الصلاة والسلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فأين هو عليه الصلاة والسلام من مشاركتهم في الدين فالجملة حينئذ حال من إحدى التاءين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته أو ممن يكفرون في دينهم حيث كانت لهم آلهة يعبدونها أو من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه (قال) مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر (فعلتها اذا وانا من الضالين) أي من الجاهلين وقد قرىء كذلك لا من الكافرين كما زعمت افتراء أي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء أو من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل أراد تأديبه أو الذاهبين عما يؤدي اليه الوكز أو الناسين كقوله تعالى أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى (ففررت منكم) الى ربي (لما خفتكم) أن تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا أستحقه بجنايتي من العقاب (فوهب لي ربي حكما) أي حكمة أو نبوة (وجعلني من المرسلين) رد أولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على أن ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال (وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل) أي تلك التربية نعمة تمن بها علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك اياهم بذبح أبنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت بني اسرائيل ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة أو الجر باضمار الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل

نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملئه (قال فرعون) لما سمع منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالة المتينة وشاهد تصلبه في أمره وعدم تأثره بما قدمه من الابراق والارعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه الصلاة والسلام فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال (وما رب العالمين) حكاية لما وقع في عبارته عليه الصلاة والسلام أي أي شيء رب العالمين الذي ادعيت أنك رسوله منكرا لأن يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله أنا ربكم الأعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيري وينطق به وعيده عند تمام أجوبته عليه الصلاة والسلام (قال) موسى عليه السلام مجيبا له (رب السموات والأرض وما بينهما) عين ما أراد بالعالمين وفصله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته (ان كنتم موقنين) أي ان كنتم موقنين بالأشياء محققين لها علمتم ذلك أو ان كنتم موقنين بشيء من الأشياء فهذا أولى بالإيقان لظهوره وإنارة دليله (قال) أي فرعون عند سماع جوابه عليه الصلاة والسلام خوفا من تأثيره في قلوب قومه وإذعانهم له (لمن حوله) من أشراف قومه قال ابن عباس رضي الله عنهما كانوا خمسمائة عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة (ألا تستمعون) مغريا لهم أن ما سمعوه من جوابه عليه الصلاة والسلام مع كونه مما لا يليق بأن يسمع به أمر حقيق بأن يتعجب منه كأنه قال ألا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف أمر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عليه الصلاة والسلام تصريحا بما كان مندرجا تحت جوابيه السابقين (ربكم ورب آبائكم الأولين) مسقطا له من ادعاء الربوبية الى مرتبة المربوبية (قال) أي فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك وخاف من تأثر قومه منه فأراهم أن ما قاله عليه الصلاة والسلام مما لا يصدر عن العقلاء صدا لهم عن قبوله فقال مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التأكيد (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) ليفتنهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء وأضافه الى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسلا الى نفسه (قال) عليه الصلاة والسلام (رب المشرق والمغرب وما بينهما) قاله عليه الصلاة والسلام تكميلا لجوابه الأول وتفسيرا له وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والأرض وما بينهما وان كان متضمنا لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما فيها وتغيرات أحوالها وأوضاعها وكون

الأرض تارة مظلمة وأخرى منورة الى الله تعالى أرشدهم الى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب منبيء عن شروق الشمس وغروبها المنوطين بحركات السموات ومافيها على نمط بديع تترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك أمور حادثة مفتقرة الى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والأرض التى ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها استغناءها عن الموجد المتصرف (ان كنتم تعقلون) أى ان كنتم تعقلون شيئا من الأشياء أو ان كنتم من أهل العقل علمتم أن الأمر كما قلته. وفيه إيذان بغاية وضوح الامر بحيث لا يشتبه على من له عقل فى الجملة وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل وانهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون (قال) لما سمع اللعين منه عليه الصلاة والسلام تلك المقالات المبنية على أساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية أمره وانه ممن لا يجارى فى حلبة الحاورة ضرب صفحاً عن المقاولة بالانصاف ونأى بجانبه إلى عدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب (لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين) لم يقتنع منه عليه الصلاة والسلام بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عليه الصلاة والسلام أن يتخذه إلها لغاية عتوه وغلوه فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح فى أن تعجبه وتعجيبه من الجواب الأول ونسبته عليه الصلاة والسلام إلى الجنون فى الجواب الثانى كان لنسبته عليه الصلاة والسلام الربوبية إلى غيره. وأما ماقيل من أن سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتعجبه من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر أحواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا مقاله. واللام فى المسجونين للعهد أى لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم فى سجونى حيث كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لأسجننك (قال أولو جئتك بشيء مبين) أى أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشيء مبين أى موضح لصدق دعواى يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل قالوا الواو فى أو لو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام أى جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا أنها للعطف وأن كلمة لو ليست لانتفاء الشيء فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ماقبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد إلى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هى لبيان تحقق مايفيده الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على أبعدها منه

وأشدها منافاة له ليظهر ثبوته أو انتفاؤه معه ثبوته أو انتفاؤه مع ما عداه من الأحوال بطريق الأولوية لما أن الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره أولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الأحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الأحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر من تحقق الحكم على جميع الأحوال فإنك إذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الإعطاء منه على كل حال من أحواله المفروضة فتعلق الحكم بأبعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الأحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الأولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كأنك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا أو لو كان فقيرا أي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة فقط على أن الواو للحال وتصدير المجيء بما ذكر من كلمة لو دون إن ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة إلى فرعون والمعنى أتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال مجيئي به (قال فأت به إن كنت من الصادقين) أي فيما يدل عليه كلامك من أنك تأتي بشيء مبين موضح لصدق دعواك أو في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه (فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين) أي ظاهر ثعبانيته لا أنه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب أي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الأعراف وسورة طه (ونزع يده) من جيبه (فإذا هي بيضاء للناظرين) قيل لما رأى فرعون الآية الأولى وقال هل لك غيرها فأخرج يده فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الأبصار ويسد الأفق (قال للملأ حوله) أي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (إن هذا لساحر عليم) فائق في فن السحر (يريد أن يخرجكم) قسرا (من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية إلى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بأمرهم أو إلى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الإخراج والأرض إليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام (قالوا أرجه وأخاه) أخر أمرهما وقيل احبسهما (وابعث في المدائن حاشرين) أي شرطا يحشرون السحرة (يأتوك) أي الحاشرون (بكل سحار عليم) فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) هو ما عينه موسى عليه السلام بقوله موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى (وقيل

للناس هل أنتم مجتمعون) قيل لهم ذلك استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) أي نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى عليه السلام وليس مرادهم بذلك أن يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا) أي أجرا عظيما (ان كنا نحن الغالبين) لا موسى عليه السلام (قال نعم) لكم ذلك (وانكم) مع ذلك (اذا لمن المقربين) عندي قيل لهم تكونون أول من يدخل علي وآخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان (قال لهم موسى) أي بعد ما قال له السحرة إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (ألقوا ما أنتم ملقون) لم يرد به الأمر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه ألبتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا) أي وقد قالوا عند الالقاء (بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في أنفسهم واتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف) أي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف (ما يأفكون) أي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى أو افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة (فألقي السحرة ساجدين) أي إثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقيا ألقاهم لعلمهم بأن مثل ذلك خارج عن حدود السحر وأنه أمر إلهي قد ظهر على يده عليه الصلاة والسلام لتصديقه وفيه دليل على أن قصارى ما ينتهي اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له (قالوا آمنا برب العالمين) بدل اشتمال من ألقي أو حال باضمار قد وقوله تعالى (رب موسى وهرون) بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بأن الموجب لايمانهم به تعالى ما أجراه على أيديهما من المعجزة القاهرة (قال) أي فرعون للسحرة (آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي بغير أن آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي لا أن الاذن منه ممكن أو متوقع (انه لكبيركم الذي علمكم السحر) فتواطأتم على ما فعلتم أو علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم أراد بذلك التلبيس على قومه كي لا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين (فلسوف تعلمون) أي وبال ما فعلتم وقوله (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين) بيان لما يعدهم

ه (قالوا) أى السحرة (لا ضير) لا ضرر فيه علينا وقوله تعالى (انا إلى ربنا منقلبون) تعليل لعدم الضير أى لا ضير فى ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم أو لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل إنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهونها وأرجاها وقوله تعالى (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) أى لأن كنا (أول المؤمنين) أى من أتباع فرعون أو من أهل المشهد تعليل ثان لنفى الضير أى لا ضير علينا فى ذلك إذا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا أول المؤمنين . وقرئ إن كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة أو على طريقة قول المدل بأمره كقول العامل لمن يؤخر أجره ان كنت عملت لك فوفنى حقى (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) وذلك بعد بضع سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا عتوا وفسادا حسبما فصل فى سورة الأعراف بقوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين الآيات وقرئ بكسر النون ووصل الألف من سرى وقرئ أن سر من السير (إنكم متبعون) تعليل للأمر بالإسراء أى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ما أسريتم بهم حتى لا يدركوكم قبل الوصول إلى البحر فيدخلوا مداخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم (فأرسل فرعون) حين أخبر بمسيرهم (فى المدائن حاشرين) جامعين للعساكر ليتبعوهم (إن هؤلاء) يريد بنى اسرائيل (لشرذمة قليلون) مستقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا بالنسبة إلى جنوده إذ روى انه أرسل فى أثرهم ألف ألف وخمسمائة ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون فى جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خرج فرعون فى ألف ألف حصان سوى الاناث (وانهم لنا لغائظون) أى فاعلون ما يغيظنا (وانا لجميع حاذرون) يريد أنهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم فى الأمور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه . وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثانى على الثبات وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة أى أقوياء وأشداء وقيل مدججون فى السلاح قد كسبهم ذلك حدارة فى أجسامهم (فأخرجناهم) بأن خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم)

كانت لهم جملة ذلك (كذلك) إما مصدر تشبيهى لأخرجنا أى مثل ذلك الاخراج العجيب أخرجناهم أو صفة لمقام كريم أى من مقام كريم كائن كذلك (وأورثناها بنى اسرائيل) أى ملكناهم اياها على طريقة تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج أربابها منها قبل أن يقبضوها ويتسلموها (فأتبعوهم) أى فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس أى طلوعها (فلما تراءى الجمعان) تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) جاءوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرفى التأكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى أى لمتتابعون فى الهلاك على أيديهم (قال كلا) ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم (ان معى ربى) بالنصرة والهداية (سيهدين) ألبتة الى طريق النجاة منهم بالكلية. روى أن يوشع عليه السلام قال يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع عليه السلام الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان ما كان. وروى أن رجلا مؤمنا من آل فرعون كان بين يدى موسى عليه السلام فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال عليه السلام أمرت بالبحر ولعلى أومر بما أصنع فأمر بما أمر به وذلك قوله تعالى (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) القلزم أو النيل (فانفلق) الفاء فصيحة أى فضرب فانفلق فصار اثنى عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك (فكان كل فرق) حاصل بالانفلاق (كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب منها (وأزلفنا) أى قربنا (ثم الآخرين) أى فرعون وقومه حتى دخلوا على إثرهم مداخلهم (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى أن عبروا الى البر (ثم أغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (ان فى ذلك) أى فى جميع ما فصل مما صدر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال وما فى اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل أمر المشار اليه وتفظيعه كتكرير الآية فى قوله تعالى (لآية) أى آية آية أو آية عظيمة لاتكاد توصف موجبة لأن يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شأن النبى عليه الصلاة والسلام بشأن موسى عليه السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطى ما كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصى ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك أو أن فيما فصل من

القصة من حيث حكايته عليه الصلاة والسلام اياها على ما هي عليه من غير أن يسمعها من أحد لا سيما عظيمة دالة على أن ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسوله عليه الصلاة والسلام (وما كان أكثرهم) أي أكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عليه الصلاة والسلام (مؤمنين) لا بأن يقيسوا شأنه بشأن موسى عليهما السلام وحال أنفسهم بحال أولئك المكذبين المهلكين ولا بأن يتدبروا في حكايته عليه الصلاة والسلام لقصتهم من غير أن يسمعها من أحد مع كون كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى ما كان أكثرهم مؤمنين وما أكثرهم مؤمنين على أن كان زائدة كما هو رأي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ. وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه. ويجوز أن تجعل كان بمعنى صار كما قيل ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار أكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى أتى أمر الله الآية (وإن ربك لهو العزيز) الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين (الرحيم) المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظام الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لاريب فيه وأما ما قيل من أن ضمير أكثرهم لأهل مصر من قوم فرعون من القبط وغيرهم وأن المعنى وما كان أكثر أهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل ومريم ابنة ياموشا التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه السلام إنما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن أمر ربهم وعصوا رسله عليهم الصلاة والسلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بأعينهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان وأصروا على ما هم عليه من التكذيب فدمرهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية

فكيف يمكن أن يخبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم لا سيما بعد الإخبار بإهلاكهم وعلم المؤمنين من
جماعتهم أولا وإخراجهم منها آخرا مع عدم مشاركتهم لهم فى شىء مما حكى عنهم من الجنايات أصلا مما
يوجب تنزيه التنزيل عن أمثاله فتدبر (واتل عليهم) عطف على المضمر العامل فى إذ
نادى الخ أى واتل على المشركين (نبأ إبراهيم) أى خبره العظيم الشأن حسبما
أوحى إليك لتقف على ما ذكر من عدم إيمانهم بما يأتيهم من الآيات بأحد الطريقين
(إذ قال) منصوب إما على الظرفية لنبأ أى نبأه وقت قوله (لأبيه وقومه) أو على
المفعولية لاتل على أنه بدل من نبأ أى واتل عليهم وقت قوله لهم (ما تعبدون) على أن
المتلو ما قاله لهم فى ذلك الوقت سألهم عليه الصلاة والسلام عن ذلك ليبنى على جوابهم
أن ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين)
لم يقتصروا على الجواب الكافى بأن يقولوا أصناما كما فى قوله تعالى «ويسألونك ماذا
ينفقون قل العفو» وقوله تعالى «ماذا أنزل ربكم قالوا الحق» ونظائرهما بل أطنبوا فيه بإظهار
الفعل وعطف دوام عكوفهم على أصنامهم قصدا إلى إبراز ما فى نفوسهم من
الابتهاج والافتخار بذلك . والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
وصلة العكوف كلمة على . وإيراد اللام لإفادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لأجلها مقبلين
على عبادتها أو مستديرين حولها وهذا أيضا من جملة إطنابهم (قال) استئناف مبنى على
سؤال نشأ من تفصيل جوابهم (هل يسمعونكم) أى هل يسمعون دعاءكم على حذف
المضاف أو يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كذا [illegible]
[illegible] قوله تعالى (إذ تدعون) [illegible] هل يسمعونكم من الإسماع [illegible]
[illegible] من الأشياء أو الجواب [illegible] وهل يقدرون على [illegible]
[illegible]
[illegible] (أو ينفعونكم) [illegible]
[illegible] (أو يضرون) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

التنبيه على عدم علمهم بذلك أي فاعلموا أنهم أعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما أنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه أو لأن من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها هو الشيطان الذي هو أعدى عدو الإنسان لكنه عليه الصلاة والسلام صور الأمر في نفسه تعريضاً بهم فإنه أنفع في النصح من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون أدعى إلى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل (إلا رب العالمين) استثناء منقطع أي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من أحكام الولاية وقيل متصل وهو قول الزجاج بناء على أن في آلهتهم ما هو معبود وكان من آبائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى (الذي خلقني) صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وإنما وصفه تعالى بذلك وبما عطف عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحاً بالنعم الخاصة به عليه الصلاة والسلام وتفصيلاً لها لكونها أدخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى (فهو يهدين) أي هو يهديني وحده إلى كل ما يهمني ويصلحني من أمور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فإنه تعالى يهدي كل ما خلقه لما خلق له من أمور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار إما طبعاً وإما اختياراً مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم (والذي هو يطعمني ويسقين) عطف على الصفة الأولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الأول للإيذان بأن كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في إيجاب الحكم حقيق بأن يجري عليه تعالى استقلالاً ولا يجعل من روادف غيرها (وإذا مرضت فهو يشفين) عطف على يطعمني ويسقين نظمهما في سلك الصلة لموصول واحد لما أن الصحة والمرض من متبعات الأكل والشرب غالباً ونسبة المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى مع أنهما منه تعالى لمراعاة حسن الأدب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيبها وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما وأما الإماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالإحياء بداية وإعادة وقد نيطت أمور الآخرة جميعاً بها وبما

بعدها من البعث نظمهما فى سمط واحد فى قوله تعالى (والذى يميتنى ثم يحيين) على أن الموت لكونه ذريعة الى نيله عليه الصلاة والسلام للحياة الأبدية بمعزل من أن يكون غير مطموع عنده عليه الصلاة والسلام (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) ذكره عليه الصلاة والسلام هضما لنفسه وتعليما للامة أن يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عليه الصلاة والسلام من الصغائر وتنبيها لأبيه وقومه على أن يتأملوا فى أمرهم فيقفوا على أنهم من سوء الحال فى درجة لا يقادر قدرها فان حاله عليه الصلاة والسلام مع كونه فى طاعة الله تعالى وعبادته فى الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال أولئك المغمورين فى الكفر وفنون المعاصى والخطايا . وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله لساره هى أختى مما لا سبيل اليه لانها مع كونها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار انما صدرت عنه عليه الصلاة والسلام بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه أما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عليه الصلاة والسلام الى الشام وأما الأوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان فى مبادى الامر . وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع أنها انما تغفر فى الدنيا لان أثرها يومئذ يتبين ولان فى ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر (رب هب لى حكما) بعد ماذكر عليه الصلاة والسلام لهم فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التى هى الكمال فى العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق (وألحقنى بالصالحين) ووفقنى من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحنى للانتظام فى زمرة الكاملين الراسخين فى الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها أو واجمع بينى وبينهم فى الجنة ولقد أجابه تعالى حيث قال وانه فى الآخرة لمن الصالحين (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى أثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى أمة من الامم الا وهى محبة له ومثنية عليه أو صادقا من ذريتى يجدد أصل دينى ويدعو الناس الى ما كنت أدعوهم اليه من التوحيد وهو النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انا دعوة أبى ابراهيم (واجعلنى) فى الآخرة (من ورثة جنة النعيم) وقد مر معنى الوراثة فى سورة مريم (واغفر لأبى) بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله (انه كان من الضالين) أى طريق الحق وقد مر تحقيق المقام فى تفسير سورة التوبة

وسروره منهم بما لا مزيد عليه (ولا تخزني) بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبتي عن
بعض الوراث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا كل ذلك مبني على هضم
النفس منه عليه الصلاة والسلام أو بتعذيب والدي أو ببعثه في عداد الضالين بعدم
توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء (يوم يبعثون)
أي الناس كافة والاضمار قبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه
وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم (يوم لا ينفع مال ولا بنون) بدل من يوم
يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل وتمهيد لما يعقبه من الاستثناء وهو من أعم المفاعيل
أي لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا
صلحاء مستأهلين للشفاعة أحدا (الا من أتى الله بقلب سليم) أي عن مرض
الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان . وفيه تأييد لكون استغفاره
عليه الصلاة والسلام لأبيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته
بعد موته كافرا مع علمه عليه الصلاة والسلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل
هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف أي الا مال من أو بنو من أتى الله الآية
وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل بضرب من الاعتبار كما في
قوله تحية بينهم ضرب وجيع أي الا سلامة من أتى الله بقلب سليم على أنها عبارة عن
سلامة القلب كأنه قيل الا سلامة قلب من أتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف ما دل
عليه المال والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من أتى
الله الآية لأن غنى المرء في دينه بسلامة قلبه وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن
سلامة قلبه تنفعه (وأزلفت الجنة للمتقين) عطف على لا ينفع . وصيغة الماضي فيه وفيما
بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره كما أن
صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه
مقام التهويل والتفظيع أي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها
من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم المحشورون اليها
(وبرزت الجحيم للغاوين) الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى أي
جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع الأحوال الهائلة ويوقنون بأنهم
مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا (وقيل لهم أينما كنتم) في الدنيا (تعبدون من دون الله)
أي أين آلهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم شفعاؤكم في هذا الموقف (هل ينصرونكم)
بدفع العذاب عنكم (أو ينتصرون) بدفعه عن أنفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا

ينواقع له جواب ولذلك قيل (فكبكبوا فيها) أي ألقوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد أخرى إلى أن يستقروا في قعرها (هم) أي آلهتهم (والغاوون) الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر آلهتهم رمز إلى أنهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما إلى غمهم (وجنود إبليس) أي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون إليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الأصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والأول هو الوجه (أجمعون) تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى (قالوا) الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قال العبدة (وهم فيها يختصمون) أي قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضلالة متحسرين معيرين لأنفسهم والحال أنهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على أن الله تعالى يجعل الأصنام صالحة للاختصام بأن يعطيها القدرة على الفهم والنطق (تالله إن كنا لفي ضلال مبين) إن مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية أي إن الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للإشباع في إظهار ندمهم وتحسرهم وبيان خطئهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى (إذ نسويكم برب العالمين) ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام أي ضللنا وقيل للضلال المذكور وإن كان فيه ضعف صناعي من حيث إن المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية أي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا إياكم أيها الأصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي أنتم أدنى مخلوقاته وأذلهم وأعجزهم وقولهم (وما أضلنا إلا المجرمون) بيان لسبب ضلالهم بعدما اعترفوا بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الإضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب إضلالهم من غير أن يستقل في تحققه أو يكون بإضلال الغير كأنه قيل وما صدر عنا ذلك الضلال الفاحش إلا بسبب إضلالهم والمراد بالمجرمين الذين أضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا وعن السدي رحمه الله الأولون الذين اقتدوا بهم وأياما كان ففيه [illegible] الذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك [illegible] القبائح [illegible] (فما لنا من شافعين) [illegible]

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ولا صديق حميم) كما نرى لهم أصدقاء أو فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء على أن عدمهما كناية عن عدم نفعهما كما أن عدم الحب فى مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على أن المراد بعدمهما عدم أثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما أن افراد الصديق لقلته أو لصحة اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو فى قوله تعالى (فلو أن لنا كرة) للتمنى لما بين معنييهما من التلاقى فى معنى الفرض والتقدير كأنه قيل فليت لنا كرة أى رجعة الى الدنيا وقيل هى على أصلها من الشرطية وجوابها محذوف كأنه قيل فلو أن لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت وإياه قوله تعالى (فنكون من المؤمنين) لحصول كونه جوابا للتمنى مرتبا عليه إيمانهم على وقوع الكرة البتة لا للاختلاف كما هو مقتضى الجواب وعطفه على كرة بل على مجرد التمنى كما يستدعيه كون لو على أصلها إذ ليس تقدير الجواب على تقدير تحقق كرتهم وإيمانهم ولا دون تحقق خلافه بل المقام الكلام للايمان إعلامهم أنه مقصود حتما (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه أهل مكة من عبادة الأصنام مفصلا وما قاله أهلها يوم القيامة من اعترافهم بخطئهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الإيمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا من المؤمنين عند مشاهدتهم لما أزلفت لهم جنات النعيم وبرزت لأنفسهم الجحيم وغشيهم فيها من ألوان العذاب وأنواع العقاب (لآية) أى آية عظيمة لا تكاد توصف موجبة على عبدة الأصنام كافة لا سيما على أهل مكة الذين يدعون أنهم على ملة ابراهيم عليه السلام أن يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا أن يحيق بهم مثل ما حاق بأولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه وان فى ذكره وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير أن يسمعه من أحد لآية عظيمة دالة على أن ما يتلوه عليهم وحى صادق نازل من جهة الله تعالى موجب للإيمان به قطعا (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى أكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل أصروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال وأما أن يكون الضمير لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهموا فلا سبيل اليه أصلا لظهور أنهم ما آمنوا بما جاءهم به عليه الصلاة والسلام الا قليلا وكانوا ثابتين على ملته

العظيمة التي فعلوها به عليه الصلاة والسلام فكيف يعبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم وإنما آمن له لوط فنجاهما الله عز وجل إلى الشام وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) أي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم أو من ذرياتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنث ولذلك يصغر على قويمة وقيل القوم بمعنى الأمة وتكذيبهم للمرسلين إما باعتبار اجماع الكل على التوحيد وأصول الشرائع التي لا تختلف باختلاف الأزمنة والأعصار وإما لأن المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب الدواب ويلبس البرود وماله إلا دابة وبردة وإذ في قوله تعالى (إذ قال لهم) ظرف للتكذيب على أنه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين إلى تمام الأمر كما أن تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم من حين ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام إلى انتهائها (أخوهم) أي نسيبهم (نوح ألا تتقون) الله حيث تعبدون غيره (إني لكم رسول) من جهته تعالى (أمين) مشهور بالأمانة فيما بينكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى (وما أسألكم عليه) أي على ما أنا متصد له من الدعاء والنصح (من أجر) أصلا (إن أجري) فيما أتولاه (إلا على رب العالمين) والفاء في قوله تعالى (فاتقوا الله وأطيعون) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزهه عليه الصلاة والسلام عن الطمع كما أن نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على أمانته . والتكرير للتأكيد والتنبيه على أن كلا منهما مستقل في إيجاب التقوى والطاعة فكيف إذا اجتمعا . وقرئ إن أجري بسكون الياء (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) أي الأقلون جاها ومالا جمع الأرذل على الصحة فإنه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالأكبر والأكابر وقيل جمع أرذل جمع رذل كأكالب وأكلب وكلب وقرئ وأتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو جمع تبع كبطل وأبطال يعنون أنه لا عبرة باتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل ولا إصابة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي كما ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم أنظارهم على حطام الدنيا وكون الأشرف عندهم من هو أكثر منها حظا والأرذل من حرمها وجهلهم بأنها لا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة وأن النعيم هو نعيم الآخرة والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه (قال وما علمي بما كانوا يعملون) جواب عما أشير إليه من قولهم إنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة أي وما وظيفتي إلا اعتبار الظواهر وبناء الأحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم (إن حسابهم) أي ما محاسبة أعمالهم والتنقير عن كيفياتها البارزة والكامنة (إلا على ربي) فإنه المطلع

على السرائر والضمائر (لو تشعرون) أى بشيء من الأشياء أو لو كنتم من أهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ماتقولون (وما أنا بطارد المؤمنين) جواب عما أوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق إيمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعاً عنه وقوله (ان أنا الا نذير مبين) كالعلة له أى ما أنا إلا رسول مبعوث لأنذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصى سواء كانوا من الاعزاء أو الاذلاء فكيف يتسنى لى طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء أو ما على الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما على استرضاء بعضكم بطارد الآخرين (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المشتومين أو المرميين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى فى أواخر الأمر ومعنى قوله تعالى (قال رب ان قومى كذبون) تموا على تكذيبى وأصروا على ذلك بعد مادعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائى الا فراراً كما يعرب عنه دعاؤه بقوله (فافتح بينى وبينهم فتحا) أى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية إجمالية لدعائه المفصل فى سورة نوح عليه السلام (ونجنى ومن معى من المؤمنين) أى من قصدهم أو من شؤم أعمالهم (فأنجيناه ومن معه) حسب دعائه (فى الفلك المشحون) أى المملوء بهم وبما لابد لهم منه (ثم أغرقنا بعد) أى بعد إنجائهم (الباقين) أى من قومه (ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) الكلام فيه كالذى مر خلا ان حمل أكثرهم على أكثر قوم نوح أبعد من السداد وأبعد (كذبت عاد المرسلين) أنث عاد باعتبار القبيلة وهو اسم أبيهم الأقصى (اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) الكلام فى أن المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ماذا كما مر فى صدر قصة نوح عليه السلام أى ألا تتقون الله تعالى فتفعلون ماتفعلون (إنى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين) الكلام فيه كالذى مر وتصدير القصص به للتنبيه على أن مبنى البعثة هو الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب وأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا فى بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وأنهم متنزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية (أتبنون بكل ريع) أى مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارة (تعبثون) أى ببنائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم فى أسفارهم فلا يحتاجون اليها أو بروج الحمام أو بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم أو قصوراً عالية يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) أى مآخذ

الماء وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً (لعلكم تخلدون) أي راجين أن تخلدوا في الدنيا أي
عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها (وإذا بطشتم) بسوط أو سيف
(بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة
(فاتقوا الله) واتركوا هذه الأفعال (وأطيعون) فيما أدعوكم إليه فإنه أنفع لكم
(واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) من أنواع النعماء وأصناف الآلاء. أجملها أولاً ثم فصلها
بقوله (أمدكم بأنعام وبنين) بإعادة الفعل لزيادة التقرير فإن التفصيل بعد الإجمال والتفسير
إثر الإبهام أدخل في ذلك (وجنات وعيون إني أخاف عليكم) إن لم تقوموا بشكر هذه
النعم (عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة فإن كفران النعمة مستتبع للعذاب كما أن
شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد
(قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فإنا لن نرعوي عما نحن عليه
وتغيير الشق الثاني عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن
من أهل الوعظ ومباشريه أصلاً (إن هذا) ما هذا الذي جئتنا به (إلا خلق الأولين)
أي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين
وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة إلا عادة لم يزل الناس
عليها وقرئ خلق الأولين بفتح الخاء أي اختلاق الأولين كما قالوا أساطير الأولين أو
ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب (وما نحن
بمعذبين) على ما نحن عليه من الأعمال (فكذبوه) أي أصروا على ذلك (فأهلكناهم)
بسببه بريح صرصر (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز
الرحيم كذبت ثمود المرسلين إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون) الله تعالى (إني لكم
رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على
رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) إنكار ونفي لأن يتركوا فيما هم فيه من النعمة
أو تذكير للنعمة في تخلية الله تعالى إياهم وأسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى (في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين
للطف الثمر أو لأن النخل أنثى وطلع الإناث ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في
جوفه شماريخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل وإفراد النخل لفضله على سائر
أشجار الجنات أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار (وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين)
بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرئ فرهين
وهو أبلغ (فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين) استعير الطاعة التي هي

انقياد الآمر لامتثال الأمر وارتسامه أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازا (الذين
يفسدون في الأرض) وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون)
على يفسدون لبيان خلوص إفسادهم عن مخالطة الإصلاح (قالوا إنما أنت من المسحرين)
أي الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم أو من ذوي السحر أي الرئة أي من الأناسي
فيكون قوله تعالى (ما أنت إلا بشر مثلنا) تأكيدا له (فأت بآية إن كنت من الصادقين) أي
في دعواك (قال هذه ناقة) أي بعد ما أخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه
الصلاة والسلام كما مر تفصيله في سورة الأعراف وسورة هود (لها شرب) أي
نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب
يوم معلوم) فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموها على شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب
وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو أبلغ
من تعظيم العذاب (فعقروها) أسند العقر الى كلهم لما أن عاقرها عقرها برأيهم
ولذلك عمهم العذاب (فأصبحوا نادمين) خوفا من حلول العذاب لا توبة أو عند
معاينتهم له ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان بطريق التوبة (فأخذهم العذاب)
أي العذاب الموعود (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم) قيل في نفي الايمان عن أكثرهم في هذا المعرض ايماء الى أنه لو آمن أكثرهم
أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم
وأنت خبير بأن قريشا هم المشهورون بعدم ايمان أكثرهم (كذبت قوم لوط المرسلين
اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم
عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) أي
أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون
الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة النساء فيهم مع كونهن أليق بالاستمتاع
فالمراد بالعالمين على الأول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس (وتذرون
ما خلق لكم ربكم) لأجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى (من أزواجكم) للبيان
ان أريد بما جنس الإناث وهو الظاهر وللتبعيض ان أريد بها العضو المباح منهن
تعريضا بأنهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم أيضا (بل أنتم قوم عادون) متعدون
متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة
حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات (قالوا لئن لم تنته يا لوط) أي عن تقبيح
أمرنا أو نهينا عنه أو عن دعوى النبوة التي من جملة أحكامها التعرض لنا (لتكونن

من المخرجين) أى من المنفيين من قريتنا وكأنهم كانوا يخرجون من أخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال (قال إنى لعملكم من القالين) أى من المبغضين غاية البغض كأنه يقلى الفؤاد والكبد لشدته وهو أبلغ من أن يقال انى لعملكم قال لدلالته على انه عليه الصلاة والسلام من زمرة الراسخين فى بغضه المشهورين فى قلاه ولعله عليه الصلاة والسلام أراد اظهار الكراهة فى مساكنتهم والرغبة فى الخلاص من سوء جوارهم ولذلك أعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى قائلا (رب نجنى واهلى مما يعملون) أى من شؤم عملهم وغائلته (فنجيناه وأهله أجمعين) أى أهل بيته ومن اتبعه فى الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم (الاعجوزا) هي امرأة لوط استثنيت من أهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة فى الاهلية بحق الزواج (فى الغابرين) أى مقدرا كونها من الباقين فى العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد أصابها الحجر فى الطريق فأهلكها كما مر فى سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت فيمن بقى فى القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم أشد اهلاك وأفظعه (وأمطرنا عليهم مطرا) أى مطرا غير معهود قيل أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم (فساء مطر المنذرين) اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب لايكة المرسلين) الأيكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان أجنبيا منهم ولذلك قيل (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل أخوهم وقيل الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وإنما كتبت ههنا وفى ص بغير ألف اتباعا للفظ اللافظ (انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أوفوا الكيل) أى أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) أى حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا) أى الموزونات (بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال وقرئ بضم القاف (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى لاتنقصوا شيئا من حقوقهم أى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص بعض المواد بالذكر لغاية انهماكهم فيها (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى

خلقكم والجبلة الأولين) أي وذوي الجبلة الأولين وهم من تقدمهم من الخلائق
وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة (قالوا إنما أنت من المسحرين
وما أنت إلا بشر مثلنا) إدخال الواو بين الجملتين للدلالة على أن كلا من التسحير
والبشرية منافٍ للرسالة مبالغة في التكذيب (وإن نظنك لمن الكاذبين) أي فيما تدعيه
من النبوة (فأسقط علينا كسفا من السماء) أي قطعا وقرئ بسكون السين وهو أيضا
جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء إما
السحاب أو المظلة ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد (إن كنت من
الصادقين) في دعواك ولم يكن طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب وإلا لما
أخطروه ببالهم فضلا أن يطلبوه (قال ربي أعلم بما تعملون) من الكفر والمعاصي وبما
تستحقون بسببه من العذاب فسينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة (فكذبوه) أي فتموا
على تكذيبه وأصروا عليه (فأخذهم عذاب يوم الظلة) حسبما اقترحوا أما إن أرادوا
بالسماء السحاب فظاهر وأما إن أرادوا المظلة فلأن نزول العذاب من جهتها . وفي إضافة
العذاب إلى يوم الظلة دون نفسها إيذان بأن لهم يومئذ عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك
بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام ولياليها فأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب
فاضطروا إلى أن خرجوا إلى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا
تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روي أن شعيبا عليه السلام بعث إلى
أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت مدين بالصيحة والرجفة وأصحاب
الأيكة بعذاب يوم الظلة (إنه كان عذاب يوم عظيم) أي في الشدة والهول وفظاعة
ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن
ربك لهو العزيز الرحيم) هذا آخر القصص السبع التي أوحيت إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم لصرفه عليه الصلاة والسلام عن الحرص على إسلام قومه وقطع رجائه عنه
ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى
وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا بالحق الآية فإن
كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد أتاهم من جهته تعالى بموجب
رحمته الواسعة وما كان أكثرهم مؤمنين بعدما سمعوها على التفصيل قصة بعد قصة لا بأن
يتدبروا فيها ويعتبروا بما في كل واحدة منها من الدواعي إلى الإيمان والزواجر عن
الكفر والطغيان ولا بأن يتأملوا في شأن الآية الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما
هي عليه مع علمهم بأنه عليه الصلاة والسلام لم يسمع شيئا منها من أحد أصلا واستمروا على

ما كانوا عليه من الكفر والضلال كأن لم يسمعوا شيئاً يزجرهم عن ذلك قطعاً كما حقق في خاتمة قصة موسى عليه السلام (وإنه) أى ما ذكر من الآيات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية أو القرآن الذى هى من جملته (لتنزيل رب العالمين) أى منزل من جهته تعالى سمى به مبالغة. ووصفه تعالى بربوبية العالمين للإيذان بأن تنزيله من أحكام تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» (نزل به) أى أنزله (الروح الأمين) أى جبريل عليه السلام فإنه أمين وحيه تعالى وموصله إلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام. وقرئ بتشديد الزاى ونصب الروح والأمين أى جعل الله تعالى الروح الأمين نازلاً به (على قلبك) أى روحك وإن أريد به العضو فتخصيصه به لأن المعانى الروحانية تنزل أولاً على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة (لتكون من المنذرين) متعلق بنزل به أى أنزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة وإيثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عليه الصلاة والسلام فى سلك أولئك المنذرين المشهورين فى حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر (بلسان عربى مبين) واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو أيضاً متعلق بنزل به وتأخيره للاعتناء بأمر الإنذار وللإيماء إلى أن مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد إنزاله عليه عليه الصلاة والسلام لا إنزاله باللسان العربى وجعله متعلقاً بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى إلى أن غاية الإنزال كونه عليه الصلاة والسلام من جملة المنذرين باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب عليهم السلام ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى فى باب الإنذار ما أنذره نوح وموسى عليهما السلام وأشد الزواجر تأثيراً فى قلوب المشركين ما أنذره إبراهيم عليه السلام لانتمائهم إليه وادعائهم أنهم على ملته عليه الصلاة والسلام (وإنه لفى زبر الأولين) أى وإن ذكره أو معناه لفى الكتب المتقدمة فإن أحكامه التى لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الأعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا ما فى تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح (أو لم يكن لهم آية) الهمزة للإنكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل أغفلوا عن ذلك ولم يكن لهم آية دالة على أنه تنزيل من رب العالمين وأنه فى زبر الأولين على أن لهم متعلق بالكون قدم على اسمه وخبره للاهتمام به أو بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذى هو قوله تعالى

(أن يعلمه علماء بني إسرائيل) لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر أي أن يعرفوه بنعوته المذكورة في كتبهم ويعرفوا من أنزل عليه وقرئ تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تأنيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقرئ تعلمه بالتاء (ولو نزلناه) كما هو بنظمه الرائق المعجز (على بعض الأعجمين) الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الأعجميين . وفي لفظ البعض إشارة إلى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان (فقرأه عليهم) قراءة صحيحة خارقة للعادات (ما كانوا به مؤمنين) مع انضمام إعجاز القراءة إلى إعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فإنه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد (كذلك سلكناه) أي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه أي أدخلنا القرآن (في قلوب المجرمين) ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وأنه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الإخبار عن الغيب وقد انضم إليه اتفاق علماء أهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها للبشارة بإنزاله وبعثة من أنزل عليه بأوصافه فقوله تعالى (لا يؤمنون به) جملة مستأنفة مسوقة لبيان أنهم لا يتأثرون بأمثال تلك الأمور الداعية إلى الإيمان به بل يستمرون على ما هم عليه (حتى يروا العذاب الأليم) الملجئ إلى الإيمان به حين لا ينفعهم الإيمان (فيأتيهم بغتة) أي فجأة في الدنيا والآخرة (وهم لا يشعرون) بإتيانه (فيقولوا هل نحن منظرون) تحسرا على ما فات من الإيمان وتمنيا للإمهال لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحالة وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون في موقع الإيضاح والتلخيص له أو في موقع الحال أي سلكناه فيها غير مؤمن به والأول هو الأنسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد أدلة الإيمان وتآخذ مبادي الهداية والإرشاد وانقطاع أعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن ومجاهد رحمهما الله

تعالى أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين (أفبعذابنا يستعجلون) بقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقولهم فأتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار فالفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أيكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافي ما لا يخفى على أحد أو أيغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بأن مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل (أفرأيت) لما كانت الرؤية من أقوى أسباب الاخبار بالشيء وأشهرها شاع استعمال أرأيت في معنى أخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتأخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو رأي الجمهور أي فأخبرني (إن متعناهم سنين) متطاولة بطول الاعمار وطيب المعاش (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) من العذاب (ما أغنى عنهم) أي شيء أو أي اغناء أغنى عنهم (ما كانوا يمتعون) أي كونهم ممتعين ذلك التمتع المديد على أن ما مصدرية أو ما كانوا يمتعون به من متاع الحياة الدنيا على أنها موصولة حذف عائدها وأيا ما كان فالاستفهام للانكار والنفي وقيل ما نافية أي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه أوفق لصورة الاستخبار وأدل على انتفاء الاغناء على أبلغ وجه وآكده كأن كل من من شأنه الخطاب قد كلف أن يخبر بأن تمتيعهم ماذا أفادهم وأي شيء أغنى عنهم فلم يقدر أحد على أن يخبر بشيء من ذلك أصلا وقرئ يمتعون من الامتاع (وما أهلكنا من قرية) من القرى المهلكة (إلا لها منذرون) قد أنذروا أهلها إلزاما للحجة (ذكرى) أي تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لانها في معنى الانذار كأنه قيل مذكرون ذكرى أو على أنه مصدر مؤكد لفعل هو صفة لمنذرون أي إلا لها منذرون يذكرونهم ذكرى أو الرفع على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة أو خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفردها الواقع في حيز النفي على معنى أن لكل منذرين أعم من أن يكون لكل قرية منها منذر واحد أو أكثر (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع أن اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم أصلا على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره

بصورة ما [illegible] تعالى من الظلم وقدمر في سورة آل عمران عند قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين (وما تنزلت به الشياطين) رد لما زعمه الكفرة في حق القرآن الكريم من أنه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان أنه نزل به الروح الأمين (وما ينبغي لهم) أي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك (وما يستطيعون) أي وما يقدرون عليه أصلا (إنهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانتفاء المشاركة بينهم وبين الملائكة في صفاء الذوات والاستعداد لقبول فيضان أنوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل إلا ما لا خير فيه أصلا من فنون الشرور فمن أين لهم أن يسمعوا القرآن الكريم المنطوي على الحقائق الرائقة الغيبية التي لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة عليهم الصلاة والسلام (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام مع ظهور استحالة صدور المنهي عنه عليه الصلاة والسلام تهييجا وحثا على ازدياد الإخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان أن الإشراك من القبح والسوء بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف عن غيره (وأنذر) بالعذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي (عشيرتك الأقربين) الأقرب منهم فالأقرب فإن الاهتمام بشأنهم أهم روي أنه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئا (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أي لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فإنه إذا أراد أن ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لدين أو لغيره أو للتبعيض على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان فحسب (فإن عصوك) ولم يتبعوك (فقل إني بريء مما تعملون) أي مما تعملونه أو من أعمالكم (وتوكل على العزيز الرحيم) الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وفوض كل أمرك [illegible] (الذي يراك حين تقوم) أي إلى التهجد (وتقلبك في الساجدين) وترددك في تصفح أحوال المتهجدين كما روي أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف عليه الصلاة والسلام تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون

حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم . وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه الصلاة والسلام التي بها يستأهل ولايته بعد أن عبر عنه بما ينبئ عن قهر أعدائه ونصر أوليائه وهو عنوان العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتوطينا لقلبه عليه (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه وتعمله (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين) أى تتنزل بحذف إحدى التاءين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما أنها ليست موضوعة للاستفهام بل الأصل أمن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والأصل أهل وقوله تعالى (تنزل على كل أفاك أثيم) [illegible]

[illegible] على السؤال عنه ولا ريب في أن إلقاء السمع
إلى الملأ الأعلى [illegible] أن يقارن النزول أو يكون [illegible] عنه لتقدمه عليه
[illegible] على الإلقاء بالمعنى الأول فالمعنى على تقدير كونه حالا من الشياطين
على الإلقاء [illegible] من الملأ الأعلى وعلى تقدير كونه جوابا عن سؤال
[illegible] على استئناف
الإخبار [illegible] السابقة على نزول المذكور
[illegible] الأفاكين فهو
[illegible] أريد بإلقاء السمع الإصغاء إلى الشياطين أو
الإلقاء [illegible] على تلك التقادير لما
[illegible] يكون بعد النزول وأن يكون
[illegible] الأول فقد كانوا [illegible] الشياطين
[illegible] أكثرهم
[illegible] الطائفة [illegible] يلقون
[illegible] وأكثرهم كاذبون
[illegible] لإبطال ما قالوا في حق النبي أن
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء
[illegible] إبطال ما قالوا [illegible]
[illegible] أحوالهم [illegible]
[illegible] ويكون من
[illegible] ما يذرون [illegible]
[illegible] من أهل الرشد [illegible]
[illegible] قوله تعالى (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) [illegible]
[illegible] الغاوون [illegible]
[illegible]
أن [illegible] الوهم والخيال
[illegible] لا يهتدون إلى سبيل
[illegible]
[illegible]

والغزل والابتهار والتردد بين طرفى الافراط والتفريط فى المدح والهجاء (وانهم يقولون مالا يفعلون) من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم أن يتبعهم فى مسلكهم ذلك و يلتحق بهم و ينتظم فى سلكهم من تنزهت ساحته عن أن يحوم حولها شائبة الاتصاف بشىء من الامور المذكورة و اتصف بمحاسن الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل أمر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة بنظم رائق أعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل فى تنزيهه عليه الصلاة والسلام عن أن يكون من الشعراء أن أتباع الشعراء الغاوون وأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب فى أن تعليل عدم كونه عليه الصلاة والسلام منهم بكون أتباعه عليه الصلاة والسلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالى وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحى ومن ثقيف أمية بن أبى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وسلم وقرىء والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرىء يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد فى الدنيا والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم فى بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار عن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب ابن زهير بن أبى سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد ووعيد أكيد لما فى سيعلم من تهويل متعلقه وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قاله أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه

وقرئ أي منقلب ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان
ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات. عن النبي
عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى
وصدق بمحمد عليهما الصلاة والسلام

سورة النمل مكية

وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم (طس) بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في
نظائره من الفواتح الشريفة خلا أنه على تقدير كونه اسما للسورة فهو الاظهر الاشهر الرفع
على أنه خبر لمبتدا محذوف أي هذا طس أي مسمى به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر
وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على أن ما بعده خبره ضعيف
لما ذكر هناك (تلك) اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها لا الى
آياتها لعدم ذكرها صريحا ولان اضافتها اليها يأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتي وما في
اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل
والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره (آيات القرآن) والجملة مستأنفة مقررة لما أفاده
التسمية من نباهة شأن المسمى والقرآن عبارة عن الكل أو عن الجميع المنزل عند نزول
السورة حسبما ذكر في فاتحة فاتحة الكتاب أي تلك السورة آيات القرآن المعروف
بعلو الشأن أي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص (وكتاب) أي كتاب عظيم
الشأن (مبين) مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والأحكام وأحوال الآخرة التي
من جملتها الثواب والعقاب أو لسبيل الرشد والغي أو فارق بين الحق والباطل والحلال
والحرام أو ظاهر الاعجاز على أنه من أبان بمعنى بان ولقد فخم شأنه الجليل بما جمع
فيه من وصف القرآنية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما
يعرب عنه قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج ومن وصف الكتابية المعربة عن اشتماله
على صفات كمال الكتب الالهية فكأنه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا إلى تقدم
حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هناك من
الوجه وما قيل من أن الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته أنه خط فيه ما هو كائن فهو

يبينه للناظرين فيه لا يساعده إضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار إبانته فلا بد من اعتبارها بالنسبة إلى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا إلى الناظرين فيه وقرىء وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أى وآيات كتاب مبين (هدى وبشرى للمؤمنين) فى حيز النصب على الحالية من الآيات على أنهما مصدران أقيما مقام الفاعل للمبالغة كأنهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة أى هادية ومبشرة أو الرفع على أنهما بدلا من الآيات أو خبران آخران لتلك أو لمبتدا محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون أنها تزيدهم هدى قال تعالى «فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون» وأما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لسائر الأعمال الصالحة وقوله تعالى (وهم بالآخرة هم يوقنون) جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الإيقان لا من عداهم لأن تحمل مشاق العبادات لخوف العقاب ورجاء الثواب أو هي تتمة للصلة والواو حالية أو عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وأنهم أوحديون فيه (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) بيان لاحوال الكفرة بعد بيان أحوال المؤمنين أى لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الأعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن (زينا لهم أعمالهم) القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبىء عنه قوله عليه الصلاة والسلام «حفت النار بالشهوات» أو الاعمال الحسنة ببيان حسنها فى أنفسها حالا واستتباعها لفنون المنافع مآلا واضافتها اليهم باعتبار أمرهم بها وإيجابها عليهم (فهم يعمهون) يتحيرون ويترددون على الاستمرار فى الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من ضرر أو فى الضلال والاعراض عنها والفاء على الاول لترتيب المسبب على السبب وعلى الثانى لترتيب ضد المسبب على السبب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم فى الامور (أولئك) إشارة إلى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده أى أولئك الموصوفون بالكفر والعمه (الذين لهم سوء العذاب) أى فى الدنيا كالقتل والأسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الأخسرون) أى أشد الناس خسرانا لفوات

الثواب واستحقاق العذاب (وإنك لتلقى القرآن) كلام مستأنف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القرآن الكريم تمهيداً لما يعقبه من الأقاصيص . وتصديره بحرفي التأكيد لإبراز كمال العناية بمضمونه أي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين (من لدن حكيم عليم) أي أي حكيم وأي عليم . وفي تفخيمهما تفخيم لشأن القرآن وتنصيص على علو طبقته عليه الصلاة والسلام في معرفته والإحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فإن من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علماً في رصانة العلم والحكمة . والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على إتقان الفعل وللإشعار بأن ما في القرآن من العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والأخبار الغيبية وقوله تعالى (إذ قال موسى لأهله) منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بتلاوة بعض من القرآن الذي يلقاه عليه الصلاة والسلام من لدنه عز وجل تقريراً لما قبله وتحقيقاً له أي اذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام لأهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وصلد زنده فبدا له من جانب الطور نار (إني آنست ناراً سآتيكم منها بخبر) أي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد الوعد والجمع إن صح أنه لم يكن معه عليه الصلاة والسلام إلا امرأته لما كنى عنها بالأهل أو للتعظيم مبالغة في التسلية (أو آتيكم بشهاب قبس) بتنوينهما على أن الثاني بدل من الأول أو صفة له لأنه بمعنى مقبوس أي بشعلة نار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها . وقرئ بالإضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لأن من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلا الأمرين منه عليه الصلاة والسلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للإيذان بأنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بسنة الله تعالى فإنه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة (فلما جاءها نودي) من جانب الطور (أن بورك) معناه أي بورك على أن أن مفسرة لما في النداء من معنى القول أو بأن بورك على أنها مصدرية حذف عنها الجار جرياً على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا . أو قد أو السين . أو سوف . لما أن الدعاء يخالف غيره في كثير من الأحكام (من في النار ومن حولها) أي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه : نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة . ومن حول مكانها وقرئ : باركت الأرض

ومن حولها والظاهر عمومه لكل من فى ذلك الوادى وحواليه من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكفاتهم أحياء وأمواتا ولاسيما تلك البقعة التى كلم الله تعالى فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون. وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم دينى تنتشر بركاته فى أقطار الشام وهو تكليمه تعالى إياه عليه الصلاة والسلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يديه عليه الصلاة والسلام (وسبحان الله رب العالمين) تعجيب لموسى عليه الصلاة والسلام من ذلك وايذان بأن ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على أن الكائن من جلائل الامور وعظائم الشئون ومن أحكام تربيته تعالى للعالمين (ياموسى إنه أنا الله) استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة والضمير إما للشأن وأنا الله جملة مفسرة له وإما راجع الى المتكلم وأنا خبره والله بيان له وقوله تعالى (العزيز الحكيم) صفتان لله تعالى ممهدتان لما أريد اظهاره على يده من المعجزات أى أنا القوى القادر على ما لا تناله الاوهام من الامور العظام التى من جملتها أمر العصا واليد الفاعل كل ما أفعله بحكمة بالغة وتدبير رصين (وألق) عطف على بورك منتظم معه فى سلك تفسير النداء أى نودى أن بورك وأن ألق (عصاك) حسبما نطق به قوله تعالى وأن ألق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه أن حج وأن اعتمر وان شئت أن حج واعتمر والفاء فى قوله تعالى (فلما رآها تهتز) فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما فى قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كأنه قيل فألقاها فانقلبت حية تسعى فأبصرها فلما أبصرها متحركة بسرعة واضطراب وقوله تعالى (كأنها جان) أى حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية إما من مفعول رأى مثل تهتز كما أشير اليه أو من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرىء جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (ولى مدبرا) من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به كما ينبىء عنه قوله تعالى (ياموسى لا تخف) أى من غيرى ثقة بى أو مطلقا لقوله تعالى (انى لا يخاف لدى المرسلون) فانه يدل على نفى الخوف عنهم مطلقا لكن لا فى جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون فى مطالعة شئون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من أحد أصلا وأما فى سائر الاحيان فهم أخوف الناس منه سبحانه أو لا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه (إلا من ظلم ثم بدل

حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به ماعسى يختلج فى الخلد من نفى الخوف عن كلهم مع أن منهم من فرطت منه صغيرة ما مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم وان صدر عنهم شىء من ذلك فقد فعلوا عقيبه مايبطله و يستحقون به من الله تعالى مغفرة و رحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه الصلاة والسلام من وكزه القبطى والاستغفار وتسميتها ظلما لقوله عليه الصلاة والسلام رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له (وأدخل يدك فى جيبك) لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب أى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) أى آفة كبرص ونحوه (فى تسع آيات) فى جملتها أو معها على أن التسع هى الفلق و الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم و الطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق منها لانه لم يبعث به الى فرعون أو اذهب فى تسع آيات على أنه استئناف بالارسال فيتعلق به (الى فرعون وقومه) وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا أو مرسلا (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل للارسال أى خارجين عن الحدود فى الكفر والعدوان (فلما جاءتهم آياتنا) وظهرت على يد موسى (مبصرة) بينة اسم فاعل أطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كأنها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر أو ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا عن الهداية أو مبصرة كل من ينظر اليها ويتأمل فيها وقرىء مبصرة أى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) واضح سحريته (وجحدوا بها) أى كذبوا بها (واستيقنتها أنفسهم) الواو للحال أى وقد استيقنتها أى علمتها أنفسهم علما يقينيا (ظلما) أى للآيات كقوله تعالى «بما كانوا بآياتنا يظلمون» ولقد ظلموا بها أى ظلم حيث حطوها عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك (وعلوا) أى استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى «والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها» وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها أو على الحالية من فاعله أى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) من الاغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على أنه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين كل باد وحاضر (ولقد آتينا داود وسليمان علما) كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من أنه عليه الصلاة والسلام يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما الصلاة والسلام من جملة القرآن الكريم لقيه عليه الصلاة والسلام من لدنه

تعالى كقصة موسى عليه السلام. وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه أى آتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع و الأحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير أو علما سنيا عزيزا (وقالا) أى قال كل واحد منهما شكراً لما أوتيه من العلم (الحمد لله الذى فضلنا) بما آتانا من العلم (على كثير من عباده المؤمنين) على أن عبارة كل منهما فضلني الا أنه عبر عنهما عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير إيجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم أو عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى « ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » وقد مر فى سورة قد أفلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على إيتاء ما أوتى كل منهما لا على إيتاء ما أوتى نفسه فقط وقيل فى العطف بالواو اشعار بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما إيتاء العلم وشىء من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قيل ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الآية فتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما ويأباه تبيين الكثير بالمؤمنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفى تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى أن البعض مفضلون عليهما وفيه أوضح دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذى لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على أن يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم من فضله و يتواضعوا و يعتقدوا أنهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذى علم عليم ونعم ما قال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه كل الناس أفقه من عمر (وورث سليمان داود) أى النبوة والعلم أو الملك بأن قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر (وقال) تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التى أوتيها (ياأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شىء) المنطق فى المتعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان أو مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته والذى علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه ويحكى أنه مر على بلبل فى شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول قالوا الله ونبيه أعلم قال يقول اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فأخبر

أنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله يامذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح قمرى فأخبر أنه يقول سبحان ربى الأعلى وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربى الأعلى مل، سمائه وأرضه وقال الحدأة تقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله ياغافلين والنسر يقول يا ابن آدم عش ماشئت آخرك الموت والعقاب تقول في البعد عن الناس أنس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس وأراد عليه الصلاة والسلام بقوله علمنا وأوتينا بالنون التي يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لاتجبرا وتكبرا بل تمهيدا لما أراد منهم من حسن الطاعة والانقياد له في أوامره ونواهيه حيث كان على عزيمة المسير وبقوله من كل شيء كثرة ما أوتيه كما يقال فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى «وأوتيت من كل شيء» وقال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما يهمه من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح (ان هذا) اشارة الى ماذكر من النعليم والايتاء (لهو الفضل) والاحسان من الله تعالى (المبين) الواضح الذي لا يخفى على أحد أو ان هذا الفضل الذي أوتيه لهو الفضل المبين على أنه عليه الصلاة والسلام قاله على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» أي أقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه الصلاة والسلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى الغزو فان أخبارهم بايتاء كل شيء من الاشياء التي من جملتها آلات الحرب وأسباب الغزو مما ينبيء عن ذلك فمعنى قوله تعالى (وحشر لسليمان جنوده) جمع له عساكره (من الجن والانس والطير) بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم بتعميم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس في البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من أول الامر لما أن الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير (فهم يوزعون) أي يحبس أوائلهم على أواخرهم أي يوقف سلاف العسكر حتى يلحقهم التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز أن يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد في العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى السير وتخصيص حبس أوائلهم بالذكر دون سوق أواخرهم مع أن اللاحق يحصل بذلك أيضا لما أن أواخرهم

غير قادرين على ما يقدر عليه أوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح فى الجو . روى أن معسكره عليه الصلاة والسلام كان مائة فرسخ فى مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له عليه الصلاة والسلام ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك لا يتكلم أحد بشىء الا ألقته الريح فى سمعك فيحكى أنه مر بحراث فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود (حتى اذا أتوا على وادى النمل) حتى هى التى يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هى غاية لما قبلها كالتى فى قوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل الآية وهى ههنا غاية لما ينبىء عنه قوله تعالى «فهم يوزعون» من السير كأنه قيل فساروا حتى اذا أتوا الخ ووادى النمل واد بالشام كثير النمل على ماقاله مقاتل رضى الله عنه وبالطائف على ماقاله كعب رضى الله عنه وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم . وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم أتى على الشىء اذا أنفده وبلغ آخره ولعلهم أرادوا أن ينزلوا عند منتهى الوادى اذ حينئذ يخافهم مافى الارض لا عند سيرهم فى الهواء وقوله تعالى (قالت نملة) جواب اذا كأنها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعها فى الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فأجروا مجراهم حيث جعلت هى قائلة وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) مع أنه لايمتنع أن يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرىء نملة يا أيها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع فى السبع وقرىء بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجاء تمشى وهى تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام

كلامها من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى (لا يحطمنكم سليمان وجنوده) نهي في الحقيقة للنمل عن التأخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا له عليه الصلاة والسلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا أرينك ههنا فهو استئناف أو بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لاتقيمن عندنا لا جواب له فان النون لاتدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها وأصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) حال من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وأرادت بذلك الايذان بانها عارفة بشئون سليمان وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام من عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل هو استئناف أي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين أصناف المخلوقات التي هي أبعدها من ادراك أمثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها روى أنها أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن (وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك) أي اجعلني أزع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا أنفك عن شكرك أصلا وقرئ بفتح ياء أوزعني (التي أنعمت علي وعلى والدي) أدرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر (وأن أعمل صالحا ترضاه) اتماما للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين (وتفقد الطير) أي تعرف أحوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها (فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين) كأنه قال أولا مالي لا أراه لساتر ستره أو لسبب آخر ثم بدا له أنه غائب فأضرب عنه فأخذ يقول أهو غائب (لأعذبنه عذابا شديدا) قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه (أو لأذبحنه) ليعتبر به أبناء جنسه (أو ليأتيني بسلطان مبين) بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على أحد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني بنونين أولاهما مفتوحة مشددة قيل انه عليه الصلاة والسلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام بها ماشاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين

ألف شاة ثم عزم على السير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فتجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر وذلك قوله تعالى (فمكث غير بعيد) أي زمانا غير مديد وقرىء بضم الكاف وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا له فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمده اليه فقال يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته، وقرىء أحطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا خفاء في أنه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ماهو من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي تكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف أرباب العلم والحكمة لتوقفها على علم رصين وفضل مبين حتى يكون اثباتها لنفسه بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره ونفيها عنه عليه الصلاة والسلام جناية على جناية فيحتاج إلى الاعتذار عنه بأن ذلك كان منه بطريق الالهام فكافحه عليه الصلاة والسلام بذلك مع ما أوتي عليه الصلاة والسلام من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه الصلاة والسلام في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه تعالى وأضعفهم من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل أراد به ما هو من الأمور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الاعلى

مجرد احساس يستوى فيه العقلاء وغيرهم وقد علم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه الصلاة والسلام وترغيبه فى الاصغاء الى اعتذاره واستمالة قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المنبىء عن أمر بديع أقبل والى تلقى مالا تعلمه أميل ثم أيده بقوله (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) حيث فسر ابهامه نوع تفسير وأراه عليه الصلاة والسلام أنه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبأ الذى هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والافاذا صدر عنه عليه الصلاة والسلام مع ماحكى عنه من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع سمى لائق بالحكمة الالهية تنبيهه عليه الصلاة والسلام على تركه وسبأ منصرف على انه اسم لحى سموا باسم أبيهم الاكبر وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه أول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مأرب بسبأ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز أن يراد به القبيلة والمدينة وأما على القراءة الاولى فالمراد هو الحى لاغير وعدم وقوف سليمان عليه السلام على نبئهم قبل انباء الهدهد ليس بأمر بديع لابد له من حكمة داعية اليه ألبتة وان استحال خلو أفعاله تعالى من الحكم والمصالح لما أن المسافة بين محطه عليه الصلاة والسلام وبين مأرب وان كانت قصيرة لكن مدة مابين نزوله عليه الصلاة والسلام هناك وبين مجىء الهدهد بالخبر أيضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن أقوى منه مبنى على حكم بالغة يستأثر بها علام الغيوب وقوله تعالى (إنى وجدت امرأة تملكهم) استئناف لبيان ماجاء به من النبأ وتفصيل له اثر الاجمال وهى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها ورث الملك من أربعين أبا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس وايثار وجدت على رأيت لما أشير اليه من الايذان بكونه عند غيبه بصدد خدمته عليه الصلاة والسلام بابراز نفسه فى معرض من يتفقد أحوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبأ على أنه اسم الحى أو لاهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على انه اسم لها (وأوتيت من كل شىء) أى من الاشياء التى يحتاج اليها الملوك (ولها عرش عظيم) قيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان

عليه السلام إما بالنسبة الى حالها أو الى عروش أمثالها من الملوك وقد يجوز أن لا يكون لسليمان عليه السلام مثله وأياما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه الصلاة والسلام للمرمن ترغيبه عليه الصلاة والسلام فى الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه الصلاة والسلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) أى يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى (وزين لهم الشيطان أعمالهم) التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصى (فصدهم) بسبب ذلك (عن السبيل) أى سبيل الحق والصواب فان تزيين أعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالتهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق الى العوج (فهم) بسبب ذلك (لا يهتدون) اليه وقوله تعالى (ألا يسجدوا لله) مفعول له إما للصد أو للتزيين على حذف اللام منه أى فصدهم لان لا يسجدوا لله تعالى أو زين لهم أعمالهم لأن لا يسجدوا أو بدل على حاله من أعمالهم وما بينهما اعتراض أى زين لهم أن لا يسجدوا وقيل هو فى موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما فى قوله تعالى «لئلا يعلم أهل الكتاب» والمعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا لله تعالى وقرىء ألا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف أى ألا يا قوم اسجدوا كما فى قوله «ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى» ونظائره وعلى هذا يحتمل أن يكون استئنافا من جهة الله عز وجل أو من سليمان عليه السلام ويوقف على لا يهتدون ويكون أمرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه وأياما كان فالسجود واجب وقرىء هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرىء هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب (الذى يخرج الخبء فى السموات والارض) أى يظهر ما هو مخبوء ومخفى فيهما كائنا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك لما أنه أرسخ فى معرفته والاحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التى من جملتها ما أودعه الله تعالى فى نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض وأشار بعطف قوله (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) على يخرج الى أنه تعالى يخرج ما فى العالم الانسانى من الخفايا كما يخرج ما فى العالم الكبير من الخبايا لما أن المراد يظهر ما تخفونه من الاحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم أو للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهى وقرىء ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبء يعم اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء الذى هو اخراج ما فى الشىء بالقوة الى الفعل والابداع الذى هو اخراج ما فى الامكان والعدم

الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل . وقرىء الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرىء الخبا بتخفيفها بالقلب وقرئ ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون (الله لا إله الا هو رب العرش العظيم) الذى هو أول الاجرام وأعظمها وقرىء العظيم بالرفع على أنه صفة الرب واعلم أن ما حكى من الهدهد من قوله الذى يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف التى اقتبسها من سليمان عليه السلام أورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه فى الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه الصلاة والسلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال (سننظر) أى فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أى سنتعرف بالتجربة البتة (أصدقت أم كنت من الكاذبين) كان مقتضى الظاهر أم كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بأن كذبه فى هذه المادة يستلزم انتظامه فى سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فان مساق هذه الاقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلا لا سيما بين يدى نبى عظيم الشأن لا يكاد يصدر الا عمن له قدم راسخ فى الكذب والافك وقوله تعالى (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم) استئناف مبين لكيفية النظر الذى وعده عليه الصلاة والسلام وقد قاله عليه الصلاة والسلام بعد ما كتب كتابه فى ذلك المجلس أو بعده وتخصيصه عليه الصلاة والسلام إياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذر أصلا (ثم تول عنهم) أى تنح الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر) أى تأمل وتعرف (ماذا يرجعون) أى ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول . وجمع الضمائر لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام (قالت) أى بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه اليهم وتنحى عنهم حسبما أمر به وانما طوى ذكره ايذانا بكمال مسارعته الى اقامة ما أمر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روى أنه عليه الصلاة والسلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود

حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها
وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميرى كما مر فلما رأت الخاتم ارتعدت
وخضعت فعند ذلك قالت لأشراف قومها (ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم)
وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختوما أو
لغرابة شأنه ووصوله اليها على منهاج غير معتاد (إنه من سليمان) استئناف وقع
جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من سليمان (وانه)
أى مضمونه أو المكتوب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) وفيه اشارة الى سبب
وصفها اياه بالكرم وقرىء إنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه
بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى وقيل على انه بدل من كتاب وقرىء
أن من سليمان وأن بسم الله الرحمن الرحيم على أن أن المفسرة (أن لا تعلوا على)
أن مفسرة ولا ناهية أى لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية
ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على انها بدل من كتاب أو خبر لمبتدأ مضمر
يليق بالمقام أى مضمونه أن لا تعلوا أو النصب باسقاط الخافض أى بأن لا تعلوا
على وقرىء أن لا تغلوا بالغين المعجمة أى لا تتجاوزوا حدكم (وأتونى مسلمين)
أى مؤمنين وقيل منقادين والاول هو الأليق بشأن النبى عليه الصلاة والسلام على
أن الايمان مستتبع للانقياد حتما روى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود
الى بلقيس ملكة سبأ : السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا على وأتونى
مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء
للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالته دلالة
دلالة بينة (قالت) كررت حكاية قولها للايذان بغاية اعتنائها بما فى حيزه من قولها
(يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى) أى أجيبونى فى أمرى الذى حزبنى وذكرت لكم
خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذى هو الجواب فى الحوادث المشكلة غالبا تهويلا
للأمر ورفعا لمحلهم بالاشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات المهمة وقولها (ما كنت
قاطعة أمرا) أى من الامور المتعلقة بالملك (حتى تشهدون) أى إلا بمحضركم
وبموجب آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها فى الرأى والتدبير
(قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قولها كأنه قيل فماذا قالوا فى جوابها
فقيل قالوا (نحن أولوا قوة) فى الاجساد والآلات والعدد (وأولوا بأس شديد)
أى نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء فى الحرب (والأمر اليك) أى هو موكول اليك

(فانظري ماذا تأمرين) ونحن مطيعون لك فرينا بامرك نمتثل به ونتبع رأيك أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لامن أبناء الرأي والمشورة واليك الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نكن في الخدمة فلما أحست منهم الميل الى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية) من القرى على منهاج المقاتلة والحراب (أفسدوها) بتخريب عماراتها واتلاف مافيها من الاموال (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال (وكذلك يفعلون) تأكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بان ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله تعالى على طريقة قوله تعالى «ولو جئنا بمثله مددا» اثر قوله تعالى «لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي» (واني مرسلة اليهم بهدية) تقرير لرأيها بعد ما زيفت آراءهم وأتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف أي واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة (فناظرة بم يرجع المرسلون) حتى أعمل بما يقتضيه الحال روي أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان وألف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر إن نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبي فأقبل الهدهد فأخبر سليمان عليه السلام بذلك فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر بأحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال أين الحق وأخبره جبريل عليهما السلام بما فيه فقال لهم

إن فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة فجعل رزقها فى الشجرة وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فى الجزعة فجعل رزقها فى الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى (فلما جاء سليمان) أى الرسول (قال) أى مخاطباً للرسول والمرسل تغليباً للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده أنه قرىء فلما جاءوا والأول أولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ وتعميمها لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد فى قوله تعالى ارجع اليهم (أتمدونن بمال) وهو إنكار لامدادهم إياه عليه الصلاة والسلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله تعالى (فما آتانى الله) أى مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذى لا غاية وراءه (خير مما آتاكم) أى من المال الذى من جملته ما جئتم به فلا حاجة لى إلى هديتكم ولا وقع لها عندى تعليل للانكار ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قال لهم هذه المقالة إلى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكى من قصة الحق وغيرها كما أشير اليه لا أنه عليه الصلاة والسلام خاطبهم بها أول ما جاءوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرىء أتمدونى بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى (بل أنتم بهديتكم تفرحون) إضراب عماذكر من إنكار الامداد بالمال إلى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التى أهدوها اليه عليه الصلاة والسلام فرح افتخار وامتنان واعتداد بها كما ينبىء عنه ماذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زى الغلمان والجوارى وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على أن إمداده عليه الصلاة والسلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع أنه لا قدر له عنده عليه الصلاة والسلام مما يتنافس فيه المتنافسون أقبح والتوبيخ به ادخل . وقيل المضاف اليه المهدى اليه والمعنى بل أنتم بما يهدى اليكم تفرحون حباً لزيادة المال لما أنكم لاتعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا (ارجع) أفرد الضمير ههنا بعد جمع الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل أى ارجع أيها الرسول (اليهم) أى إلى بلقيس وقومها (فلنأتينهم) أى فوالله لنأتينهم (بجنود لا قبل لهم بها) أى لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها . وقرىء بهم (ولنخرجنهم) عطف على جواب القسم (منها) من سبأ (أذلة) أى حال كونهم أذلة بعد ما كانوا فيه من العز والتمكين وفى جمع القلة تأكيد لذلتهم وقوله تعالى (وهم صاغرون) أى أسارى مهانون حال أخرى مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاسر لا بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقاً

بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كأنه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ (قال ياأيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها) قاله عليه الصلاة والسلام لما دنا مجيء بلقيس اليه عليه الصلاة والسلام يروى أنه لما رجعت رسلها اليها بما حكى من خبر سليمان عليه السلام قالت قد علمت والله ماهذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت إلى سليمان عليه السلام انى قادمة اليك بملوك قومى حتى أنظر ماأمرك وما تدعو اليه من دينك ثم آذنت بالرحيل إلى سليمان عليه السلام فشخصت اليه فى اثنى عشر ألف قيل تحت كل قيل ألوف ويروى أنها أمرت فجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحى الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يريها بعض ماخصه الله عز سلطانه به من إجراء التعاجيب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى (قبل أن يأتونى مسلمين) لما أن ذلك أبدع وأغرب وأبعد من الوقوع عادة وأدل على عظم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه الصلاة والسلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات فى أول مجيئها . وقيل لأنها إذا أتت مسلمة لم يحل له أخذ مالها بغير رضاها (قال عفريت) أى مارد خبيث (من الجن) بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر لأقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخرا (أنا آتيك به) أى بعرشها (قبل أن تقوم من مقامك) أى من مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وآتيك إما صيغة المضارع أو الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لامحالة وأوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية أى أنا آت به فى تلك المدة ألبتة (وانى عليه) أى على الاتيان به (لقوى) لايثقل على حمله (أمين) لاأختزل منه شيئا ولا أبدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفيتى قدرتهما على الاتيان به من كمال التباين أو لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار قيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم الله الاعظم الذى اذا سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك أيده الله عز وجل به عليهم السلام وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لايخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة أو اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز إلى أنه علم غير معهود ومن ابتدائية (أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك) الطرف تحريك

الأجفان وفتحها للنظر إلى شيء وارتداده انضمامها ولكونه أمرا طبيعيا غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة ما كما في وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بأنه أمر متحقق غني عن الأخبار به وجيء بالفاء الفصيحة لا داخلة على جملة معطوفة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل «فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق» ونظائره بل داخلة على الشرطية حيث قيل (فلما رآه مستقرا عنده) أي رأى العرش حاضرا لديه كما في قوله عز وجل «فلما رأينه أكبرنه» للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحققه واستغنائه عن الاخبار به ببيان ظهور ما يترتب عليه من رؤية سليمان عليه السلام اياه واستغنائه أيضا عن التصريح بهذا التقدير فأتاه به فرآه فلما رآه الخ وفيه ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كأنه لم يقع بين الوعد به وبين رؤيته عليه الصلاة والسلام اياه شيء ما أصلا. وفي تقييد رؤيته باستقراره عنده عليه الصلاة والسلام تأكيد لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتداء الاتيان أيضا كأنه لم يزل موجودا عنده مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه (قال) أي سليمان عليه السلام تلقيا للنعمة بالشكر جريا على سنن أبناء جنسه من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وخلص عباده (هذا) أي حضور العرش بين يديه في هذه المدة القصيرة أو التمكن من احضاره بالواسطة أو بالذات كما قيل (من فضل ربي) أي تفضله علي من غير استحقاق له من قبلي (ليبلوني أأشكر) بأن أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة وأقوم بحقه (أم أكفر) بأن أجد لنفسي مدخلا في البين أو أقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على العباد (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران (ومن كفر) أي لم يشكر (فان ربي غني) عن شكره (كريم) بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر أيضا (قال) أي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه الصلاة والسلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما أن الأول من باب الشكر لله تعالى والثاني أمر لخدمه (نكروا لها عرشها) أي غيروا هيئته بوجه من الوجوه (ننظر) بالجزم على انه جواب الأمر وقرىء بالرفع على الاستئناف (أتهتدي) الى معرفته أو الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله تعالى ورسوله عند رؤيتها التقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب وبأيامه تعلق الانظار

المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير (أم تكون) أي بالنسبة إلى علمنا (من الذين لا يهتدون) أي إلى ما ذكر من معرفة عرشها أو الجواب الصواب فان كونها في نفس الأمر منهم وإن كان أمرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه أمر حادث يظهر بالاختبار (فلما جاءت) شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام أي فلما جاءت بلقيس سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه (قيل) أي من جهة سليمان عليه السلام بالذات أو بالواسطة (أهكذا عرشك) لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الأمر بالتنكير من ابراز العرش في معرض الأشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكر عنده عليه الصلاة والسلام بسخافة العقل (قالت كأنه هو) فأنبأت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا لما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الأدب في محاورته عليه الصلاة والسلام (وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه عليه الصلاة والسلام أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من إظهار ما ادعته من الاسلام إلى الآن أي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى (انها كانت من قوم كافرين) تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد أي إنها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم إلى أن دخلت تحت ملكة سليمان عليه السلام وقرئ أنها بالفتح على البدلية من فاعل صد أو على التعليل بحذف اللام هذا وأما ما قيل من أن قوله تعالى وأوتينا العلم إلى قوله تعالى من قوم كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملئه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها أصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من أمر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم الخ أي وأوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم إلى العلم بالله تعالى والاسلام قبلها وصدها عن التقدم إلى

الاسلام عبادة الشمس ونشوئها بين ظهراني الكفرة مما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف
(قيل لها ادخلي الصرح) الصرح القصر وقيل صحن الدار روي أن سليمان عليه السلام أمر قبل
قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه من دواب البحر
السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما
فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن
يتزوجها فتفضي اليه بأسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها
ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون من ملك سليمان عليه السلام الى ملك
هو أشد وأفظع فقالوا إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار
فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها (فلما رأته) وهو
حاضر بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها وأحاطت بتفاصيل أحواله خبرا (حسبته
لجة وكشفت عن ساقيها) وتشمرت لئلا تبتل أذيالها فاذا هي أحسن الناس ساقا
وقدما خلا أنها شعراء قيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها
واستنكحها عليه الصلاة والسلام وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها
في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على
اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد
على الجمع في سؤق وأسؤق (قال) عليه الصلاة والسلام حين رأى ما اعتراها من
الدهشة والرعب (إنه) أي ما توهمته ماء (صرح ممرد) أي مملس (من قوارير)
من الزجاج (قالت) حين عاينت تلك المعجزة أيضا (رب اني ظلمت نفسي) بما كنت
عليه الى الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حيث ظننت أنه يريد اغراقها
في اللجة وهو بعيد (وأسلمت مع سليمان) تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى (لله
رب العالمين) من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها
بألوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها
ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس (ولقد أرسلنا) عطف على قوله تعالى ولقد
آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير أنه عليه الصلاة والسلام يلقى
القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة أيضا من جملة القرآن الكريم الذي لقيه
عليه الصلاة والسلام واللام جواب قسم محذوف أي وبالله لقد أرسلنا (الى ثمود
أخاهم صالحا) وأن في قوله تعالى (أن اعبدوا الله) مفسرة لما في الارسال من
معنى القول أو مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون اتباعا لها للباء (فاذا هم

فريقان يختصمون) ففاجؤا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين (قال) عليه الصلاة والسلام للفريق الكافر منهم بعدما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى أن قالوا له عليه الصلاة والسلام ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) أى بالعقوبة السيئة (قبل الحسنة) أى التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون إن وقع ايعاده تبنا حينئذ والافنحن على ما كنا عليه (لولا تستغفرون الله) هلا تستغفرونه تعالى قبل نزولها (لعلكم ترحمون) بقبولها اذلا امكان للقبول عند النزول (قالوا اطيرنا) أصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما أنهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد أى تشاءمنا (بك وبمن معك) فى دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا أو لم نزل فى اختلاف وافتراق مذ اخترعتم دينكم (قال طائركم) أى سببكم الذى منه ينالكم ما ينالكم من الشر (عند الله) وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى (بل أنتم قوم تفتنون) أى تختبرون بتعاقب السراء والضراء أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة اضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه (وكان فى المدينة) وهى الحجر (تسعة رهط) أى أشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة وأسماؤهم حسبما نقل عن وهب: الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورئاب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط ابن صدقة وشمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا فى عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم (يفسدون فى الارض) لا فى المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه شىء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى (ولا يصلحون) أي لا يفعلون شيئا من الاصلاح أو لا يصلحون شيئا من الاشياء (قالوا) استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد أى قال بعضهم لبعض فى أثناء المشاورة فى أمر صالح عليه الصلاة والسلام وكان ذلك غب ما أنذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام الخ (تقاسموا بالله) إما أمر مقول لقالوا أو ماض وقع بدلا منه أو حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى (لنبيتنه وأهله) أى لنباغتن صالحا وأهله ليلا ولنقتلنهم وقرىء

بالتاء على خطاب بعضهم لبعض . وقرئ بياء الغيبة وضم التاء على أن تقاسموا فعل ماض (ثم لنقولن لوليه) أى لولى صالح وقرئ بالتاء والياء كما قبله (ما شهدنا مهلك أهله) أى ما حضرنا هلاكهم أو وقت هلاكهم أو مكان هلاكهم فضلا ان نتولى اهلاكهم . وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا (وانا لصادقون) من تمام القول أو حال أى نقول ما نقول والحال انا لصادقون فى ذلك لان الشاهد للشىء غير المباشر له عرفا أو لانا ما شاهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين (ومكروا مكرا) بهذه المواضعة (ومكرنا مكرا) أى أهلكناهم اهلاكا غير معهود (وهم لا يشعرون) أو جازيناهم مكرهم من حيث لا يحتسبون (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) شروع فى بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر . وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أى فتفكر فى أنه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى (أنا دمرناهم) إما بدل من عاقبة مكرهم على أنه فاعل كان وهى تامة وكيف حال أى فانظر كيف حصل أى على أى وجه حدث تدميرنا إياهم وإما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما فى عاقبة مكرهم من الابهام أى هى تدميرنا اياهم (وقومهم) الذين لم يكونوا معهم فى مباشرة التبييت (أجمعين) بحيث لم يشذ منهم شاذ وإما تعليل لما ينبىء عنه الامر بالنظر فى كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار أى لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان فالاوجه حينئذ أن يكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف روى أنه كان لصالح عليه السلام مسجد فى الحجر فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى أهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم فى مكانه ونجى صالحا ومن معه وقيل جاءوا بالليل شاهرى سيوفهم وقد أرسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا (فتلك بيوتهم) جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى (خاوية) أى خالية أو ساقطة متهدمة (بما ظلموا) أى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على أنه خبر لمبتدا محذوف (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم (لآية) لعبرة عظيمة (لقوم يعلمون) أى ما من

شأنه أن يعلم من الاشياء أو لقوم يتصفون بالعلم (وأنجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه من المؤمنين (وكانوا يتقون) أى الكفر والمعاصى اتقاء مستمرا فلذلك خصوا بالنجاة (ولوطا) منصوب بمضمر معطوف على أرسلنا فى صدر قصة صالح داخل معه فى حيز القسم أى وأرسلنا لوطا وقوله تعالى (اذ قال لقومه) ظرف للارسال على أن المراد به أمر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف على الذين آمنوا أى وأنجينا لوطا وهو بعيد (أتأتون الفاحشة) أى الفعلة المتناهية فى القبح والسماجة وقوله تعالى (وأنتم تبصرون) جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان تعاطى القبيح من العالم بقبحه أقبح وأشنع وتبصرون من بصر القلب أى أتفعلونها والحال انكم تعلمون علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها (أئنكم لتأتون الرجال شهوة) تثنية للانكار وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح . وتحلية الجملة بحرفى التأكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه أحد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التى عللت بها الاتيان (من دون النساء) متجاوزين النساء اللاتى هن محال الشهوة (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل الجاهلين بقبحه أو تجهلون العاقبة أو الجهل بمعنى السفاهة والمجون أى بل أنتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم فى حيز الخطاب (فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يتنزهون عن أفعالنا أو عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه استهزاء وقد مر فى سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذى صدر عنهم فى المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالأمر والنهى لانه لم يصدر عنهم كلام آخر غيره (فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها) أى قدرنا أنها (من الغابرين) أى الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) غير معهود (فساء مطر المنذرين) قد مر بيان كيفية ماجرى عليهم من العذاب غير مرة (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) إثر ماقص الله تعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام قصص الانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وأخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شأنه وبما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة أقدارهم وصحة أخبارهم وبين على ألسنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر

والاشراك وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن أعرض عنهم فقد تردى فى مهاوى الردى وشرح صدره عليه الصلاة والسلام بما فى تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بأنوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز وجل « وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » أمره عليه الصلاة والسلام بان يحمده تعالى على ما أفاض عليه من تلك النعم التى لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على كافة الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه أخبارهم التى هى من جملة المعارف التى أوحيت اليه عليه الصلاة والسلام أداء لحق تقدمهم واجتهادهم فى الدين. وقيل هو أمر للوط عليه السلام بأن يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده (آلله خير أم ما يشركون) أى آلله الذى ذكرت شئونه العظيمة خير أم ما يشركونه به تعالى من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما أشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن أن يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره وقرىء تشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه إلى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم المبنى على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فأنبتنا الخ فانه صريح فى أن التبكيت من قبله عز وجل بالذات وحمله على أنه حكاية منه عليه الصلاة والسلام لما أمر به بعبارته كما فى قوله تعالى «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم» تعسف ظاهر من غير داع اليه وأم فى قوله تعالى (أم من خلق السموات والارض) منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الأولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا إلى التصريح به خطابا على وجه أظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد وإما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الآتية والهمزة لتقريرهم أى حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك أحد ممن له أدنى تمييز ولا يقدر على أن لا يعترف بخيريه من خلق جميع المخلوقات وأفاض على كل منها ما يليق به من منافعه من أخس تلك المخلوقات وأدناها بل بأن لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا. ومن مبتدأ خبره محذوف مع أم المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق فى الاستفهام الأول خلا أن تشركون ههنا بتاء الخطاب على القراءتين معا وهكذا فى المواضع الأربعة الآتية والمعنى بل أمن خلق قطرى العالم الجسمانى ومبدأ منافع ما بينهما

(وأنزل لكم) التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الأولى لتشديد التبكيت والالزام أى أنزل لأجلكم ومنفعتكم (من السماء ماء) أى نوعاً منه هو المطر (فأنبتنا به حدائق) أى بساتين محدقة ومحاطة بالحوائط (ذات بهجة) أى ذات حسن ورونق يبتهج به النظار (ما كان لكم) أى ما صح وما أمكن لكم (أن تنبتوا شجرها) فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة خير أم ما تشركون وقرىء أمن بالتخفيف على أنه بدل من الله وتقديم صلتي الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات إلى التكلم فى قوله تعالى فأنبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بأن انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه إلا هو وحده حسبما ينبىء عنه تقييدها بقوله تعالى «ما كان لكم» الخ سواء كانت صفة لها أو حالا. وتوحيد وصفها الأول أعنى ذات بهجة لما أن المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء ذهبت وكذا الحال فى ضمير شجرها (أإله مع الله) أى أإله آخر كائن مع الله الذى ذكر بعض أفعاله التى لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى فى العبادة وهذا تبكيت لهم بنفى الألوهية عما يشركونه به تعالى فى ضمن النفى الكلى على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفى الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان أحدا ممن له تمييز فى الجملة كما لا يقدر على إنكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على إنكار انتفاء الالوهية عنه رأساً لاسيما بعد ملاحظة انتفاء أحكامها عما سواه تعالى وهكذا الحال فى المواقع الاربعة الآتية. وقيل المراد نفى أن يكون معه تعالى إله آخر فيما ذكر من الخلق وما عطف عليه لكن لا على أن التبكيت بنفس ذلك النفى فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به قوله تعالى «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله» بل باشراكهم به تعالى فى العبادة ما يعترفون بعدم مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الألوهية كأنه قيل أإله آخر مع الله فى خواص الألوهية حتى يجعل شريكا له تعالى فى العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا فى العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقيق المنكر دون النفى كما فى الوجهين السابقين والأول هو الأظهر الموافق لقوله تعالى «وما كان معه من إله» والأوفى بحق المقام لافادته نفى وجود إله آخر معه تعالى رأساً لا نفى معيته فى الخلق وفروعه فقط. وقرىء آإله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرىء أإلهاً باضمار فعل يناسب المقام مثل أتدعون أو أتشركون (بل هم

قوم يعدلون) إضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم أى بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة فى كل أمر من الامور فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح الذى هو التوحيد والعكوف على الباطل البين الذى هو الاشراك . وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة (أم من جعل الارض قرارا) قيل هو بدل من أم من خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد . والاظهر أن كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر أدخل فى الالزام بجهة من الجهات أى جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما تدور عليه منافعهم (وجعل خلالها)أو ساطها (أنهارا) جارية ينتفعون بها (وجعل لها رواسى) أى جبالا ثوابت تمنعها أن تميد بأهلها ويتكون فيها المعادن وينبع فى حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح مالا يحصى (وجعل بين البحرين) أى العذب والمالح أو خليجى فارس والروم (حاجزا) برزخا مانعا من الممازجة وقد مر فى سورة الفرقان . والجعل فى المواقع الثلاثة الاخيرة ابداعى . وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من التشويق (أإله مع الله) فى الوجود أو فى ابداع هذه البدائع على ما مر (بل أكثرهم لا يعلمون) أى شيئا من الاشياء ولذلك لايفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره (أم من يجيب المضطر اذا دعاه) وهو الذى أحوجته شدة من الشدائد وألجأته الى اللجا والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذى هو افتعال من الضرورة . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو المجهود . وعن السدى رحمه الله تعالى من لاحول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم إجابة كل مضطر (ويكشف السوء) وهو الذى يعترى الانسان مما يسوء (ويجعلكم خلفاء الارض) أى خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط (أإله مع الله) الذى يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام (قليلا ما تذكرون) أى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون . وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التى أريد بها العدم أو مايجرى مجراه فى الحقارة وعدم الجدوى . وفى تذييل الكلام بنفى التذكر عنهم ايذان بان مضمونه مركوز فى ذهن كل ذكى وغبى وأنه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره . وقرىء تتذكرون على الاصل ويذكرون ويذكرون

بالتاء والياء مع الادغام (أم من يهديكم فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليالى فيهما على أن الاضافة للملابسة أو فى مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لامنار بها (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) وهى المطر ولئن صح أن السبب الاكثرى فى تكون الريح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها للهواء فلا ريب فى أن الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وجل والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا (أإله مع الله) نفى لان يكون معه إله آخر وقوله تعالى (تعالى الله عما يشركون) تقرير وتحقيق له. واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم أى تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون أى عن وجود ما يشركونه به تعالى لامطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عند وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى أو عن اشراكهم (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) أى بل أمن يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث (ومن يرزقكم من السماء والارض) أى باسباب سماوية وأرضية قدرتها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التى عليها بنى أمر التكوين خير أم ما تشركونه به فى العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شىء ما أصلا (أإله) آخر موجود (مع الله) حتى يجعل شريكا له فى العبادة وقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم) أمر له عليه الصلاة والسلام بتبكيتهم اثر تبكيت أى هاتوا برهانا عقليا أو نقليا يدل على أن معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شىء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها فى الحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح دعواهم مما لا وجه له. وفى اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام أن لهم برهانا وأنى لهم ذلك (ان كنتم صادقين) أى فى تلك الدعوى (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) بعدما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقبه بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من أمر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من أهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كأنه قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب أو متصل على أن المراد بمن فى السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما فان ذلك معنى مجازى عام له تعالى ولأولى العلم من خلقه ومن موصولة أو موصوفة (وما يشعرون أيان يبعثون)

أى متى ينشرون من القبور مع كونه مما لابد لهم منه ومن أهم الامور عندهم وأيان مركبة من أى وآن . وقرىء بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك بينه وبين ما سيأتى من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل الكل لمن . واسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم (بل ادارك علمهم فى الآخرة) لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفى شعورهم بوقت ماهو مصيرهم لامحالة بولغ فى تأكيده وتقريره بأن أضرب عنه وبين أنهم فى جهل أفحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لايعلمون أحوال الآخرة مطلقا مع تعاضد أسباب معرفتها على أن معنى ادارك علمهم فى الآخرة تدارك وتتابع علمهم فى شأن الآخرة التى ماذكر من البعث حال من أحوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشىء مما سيكون فيها قطعا لكن لاعلى معنى أنه كان لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل أسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع ثم أضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو أسوأ منه وهو حيرتهم فى ذلك حيث قيل (بل هم فى شك منها) أى فى شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير فى أمر لا يجد عليه دليلا فضلا عن الامور التى ستقع فيها ثم أضرب عن ذلك الى بيان أن ما هم فيه أشد وأفظع من الشك حيث قيل (بل هم منها عمون) بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرىء بل أدرك علمهم بمعنى انتهى وفنى وقد فسره الحسن البصرى باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناهما الظاهر أى تكامل واستحكم أو تم أسباب علمهم بأن القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون فى ذلك وقوله تعالى «بل هم فى شك منها» اضراب وانتقال من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى «بل هم منها عمون» اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو أشد منه وأفظع من العمى وانت خبير بان تنزيل أسباب العلم منزلته مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضرابان على ما ذكر وأصل ادارك تدارك وبه قرأ أبى فأبدلت التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرىء بل ادرك وأصله افتعل وبل أأدرك بهمزتين وبل آأدرك بألف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح اللام وتشديد

الدال وأصله بل أدرك على الاستفهام وبلى أدرك وبلى أأدرك وأم تدارك وأم أدرك فهذه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فهو انكار ونفى وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذى هو أبلغ وجوه النفى والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى النفى ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل أنهم منها عمون أو رد وانكار لشعورهم (وقال الذين كفروا) بيان لجهلهم بالآخرة وعمهم منها بحكاية انكارهم للبعث. ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل فى قولهم (أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) أى أنخرج من القبور اذا كنا ترابا كما ينبىء عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل فى اذا لاجتماع موانع لو تفرد واحد منها لكفى فى المنع. وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج فى حالة منافية له وقوله تعالى وآباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتأكيد. وتكرير الهمزة فى أئنا للمبالغة والتشديد فى الانكار. وتحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى قوله تعالى «أفلا تعقلون» ونظائره على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرىء اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرىء انا لمخرجون على الخبر (لقد وعدنا هذا) أى الاخراج (نحن وآباؤنا من قبل) أى من قبل وعد محمد عليه الصلاة والسلام. وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث أخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التأكيد وقوله تعالى (إن هذا الا أساطير الأولين) تقرير اثر تقرير (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بسبب تكذيبهم للرسل عليهم الصلاة والسلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الآخر الذى تنكرونه فان فى مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لأولى الابصار. وفى التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين فى ترك الجرائم (ولا تحزن عليهم) لاصرارهم على الكفر والتكذيب (ولا تكن فى ضيق) فى حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم فان الله تعالى يعصمك من الناس وقرىء بكسر الضاد وهو أيضا مصدر يجوز أن يكون المفتوح مخففا من ضيق وقد قرىء كذلك أى لا تكن فى أمر ضيق (ويقولون

متى هذا الوعد) أي العذاب العاجل الموعود (ان كنتم صادقين) في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك (قل عسى أن يكون ردف لكم) أي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد كالباء في قوله تعالى «ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة» أو الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه (بعض الذي تستعجلون) وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهاراً للوقار واشعارا بأن الرمز من أمثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك مجرى وعد الله تعالى ووعيده. وايثار ماعليه النظم الكريم على أن يقال عسى أن يردفكم الخ لكونه أدل على تحقق الوعد (وان ربك لذو فضل على الناس) أي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تأخير عقوبة هؤلاء على مايرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب (ولكن أكثرهم لايشكرون) لايعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء (وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم) أي ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت الشيء اذا سترته (ومايعلنون) من الافعال والاقوال التي من جملتها ماحكي عنهم من استعجال العذاب . وفيه ايذان بأن لهم قبائح غير مايظهرونه وأنه تعالى يجازيهم على الكل . وتقديم السر على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى «أو لايعلمون أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون» (ومامن غائبة في السماء والارض) أي من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في الراوية أو اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية (الا في كتاب مبين) أي بين أو مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة (إن هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون) من جملته مااختلفوا في شأن المسيح وتحزبوا فيه أحزابا وركبوا متن العتو والغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه وقع بينهم التناكد في أشياء حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف (وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) على الاطلاق فيدخل فيهم من آمن من بني اسرائيل دخولا أوليا (ان ربك يقضي بينهم) أي بين بني اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته ويؤيده أنه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد حكمه وقضاؤه (العليم) بجميع الاشياء التي من جملتها مايقضي به والفاء في قوله تعالى (فتوكل على الله) لترتيب الامر على ماذكر من شئونه تعالى فانها موجبة للتوكل عليه وداعية إلى

الأمر به أى فتوكل على الله الذى هذا شأنه فانه موجب على كل أحد أن يتوكل عليه ويفوض جميع أموره اليه وقوله تعالى (إنك على الحق المبين) تعليل صريح للتوكل عليه تعالى بكونه عليه الصلاة والسلام على الحق البين أو الفاصل بينه وبين الباطل أو بين الحق والمبطل فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لامحالة وقوله تعالى (إنك لاتسمع الموتى) الخ تعليل آخر للتوكل الذى هو عبارة عن التبتل إلى الله تعالى وتفويض الأمر اليه والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل أولا بما يوجبه من جهته تعالى أعنى قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من جهته عليه الصلاة والسلام على أحد الوجهين أعنى كونه عليه الصلاة والسلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الآخر أعنى إعانته تعالى وتأييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة إيجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمى موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأسا وداع إلى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تأثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشىء من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر أشير إلى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعرى الاذن والعين كما فى قوله تعالى لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها والا فبعد تشبيه أنفسهم بالموتى لايظهر لتشبيههم بالصم والعمى مزيد مزية (ولا تسمع الصم الدعاء) أى الدعوة إلى أمر من الامور وتقييد النفى بقوله تعالى (إذا ولوا مدبرين) لتكميل التشبيه وتأكيد النفى فانهم مع صممهم عن الدعاء إلى الحق معرضون عن الداعى مولون على أدبارهم ولاريب فى أن الأصم لايسمع الدعاء مع كون الداعى بمقابلة صماخه قريبا منه فكيف إذا كان خلفه بعيدا منه وقرىء ولا يسمع الصم الدعاء (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) هداية موصلة إلى المطلوب كما فى قوله تعالى إنك لاتهدى من أحببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمى يقال عمى عن كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة فى نفى الهداية وقرىء وما أنت تهدى العمى (إن تسمع) أى ماتسمع سماعا يجدى السامع نفعا (الا من يؤمن بآياتنا) أى من من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع فى النفى والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدى الا من يؤمن الخ لما أن طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية (فهم مسلمون) تعليل لايمانهم بها كأنه قيل فانهم منقادون للحق وقيل

مخلصون لله تعالى من قوله تعالى «بلى من أسلم وجهه لله» (وإذا وقع القول عليهم) بيان لما أشير اليه بقوله تعالى «بعض الذى تستعجلون» من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق من الآيات الكريمة بمجىء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التى كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتأثيرها. وإسناده الى القول لما أن المراد بيان وقوعها من حيث إنها مصداق للقول الناطق بمجيئها وقد أريد بالوقوع دنوه واقترابه كما فى قوله تعالى «أتى أمر الله» أى إذا دنا وقوع مدلول القول المذكور الذى لا يكادون يسمعونه ومصداقه (أخرجنا لهم دابة من الأرض) وهى الجساسة وفى التعبير عنها باسم الجنس وتأكيد إبهامه بالتنوين التفخيمى من الدلالة على غرابة شأنها وخروج أوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد فى الحديث أن طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروى أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقى خلقها خلق الطير . وروى عن على رضى الله عنه أنه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير الى أنه رجل والمشهور أنها دابة وروى لا تخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضى الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن على رضى الله عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا تخرج كل يوم الا ثلثها . وعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه سئل من أين تخرج الدابة فقال «من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى» يعنى المسجد الحرام وروى أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس فى أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة . وقيل تخرج من الصفا وروى بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتضرب المؤمن فى مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضىء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار وروى عن

ابن عباس رضى الله عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاى هذه وروى أبو هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال « بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذاك يارسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتتكلم بالعربية بلسان ذلق » وذلك قوله تعالى (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) أى تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجىء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التى من جملتها تلك الآيات وقيل بآياته التى من جملتها خروجها بين يدى الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرىء بان الناس الآية واضافة الآيات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى وأثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف أى بآيات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع أنهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم أن يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرىء ان الناس بالكسر على اضمار القول أو اجراء الكلام مجراه والكلام فى الاضافة كالذى سبق . وقيل هو استئناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها أو تكليمها ويرده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فانه صريح فى كونه حكاية لعدم إيقانهم السابق فى الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق أو مشركو مكة وقد روى عن وهب أنها تخبر كل من تراها ان أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرىء تكلمهم من الكلم الذى هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة أيضا منه لمعنى التكثير ولا يخفى بعده (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) بيان اجمالى لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان بعض مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيان سره مرارا أى واذكر لهم وقت حشرنا أى جمعنا من كل أمة من أمم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل أمة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله تعالى (ممن يكذب بآياتنا) بيان للفوج أى فوجا مكذبين بها (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا فى موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد اطرافهم مالا يخفى وعن ابن عباس

رضى الله عنهما أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدى أهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار (حتى إذا جاؤا) إلى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب (قال) أى الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة (أكذبتم بآياتى) الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى (ولم تحيطوا بها علما) جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه مؤكدة للانكار والتوبيخ أى أكذبتم بها بادىء الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى إلى العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص فى أن المراد بالآيات فيما سلف فى الموضعين هى الآيات القرآنية لانها هى المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التى لم يحيطوا بها علما مع وجوب أن يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم أى أجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها (أم ماذا كنتم تعملون) أى أم أى شىء كنتم تعملون بها أو أم أى شىء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصى مع أنهم ماخلقوا إلا للايمان والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون فى النار وذلك قوله تعالى (ووقع القول عليهم) أى حل بهم العذاب الذى هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله (بما ظلموا) بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بآيات الله (فهم لاينطقون) لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الأليم (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) الرؤية قلبية لابصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات أى ألم يعلموا أنا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم والقرار (والنهار مبصرا) أى ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب فى أمور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذى هو حال الناس حالا له ووصفا من أوصافه التى جعل عليها بحيث لاينفك عنها ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما أن تأثير ظلام الليل فى السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار فى الابصار (ان فى ذلك) أى فى جعلهما كما وصفا وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته فى الفضل (لآيات) أى عظيمة كثيرة (لقوم يؤمنون) دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وأن من تأمل فى تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة تحار فى فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وجل وشاهد فى الآفاق تبدل ظلمة الليل المحاكية للموت بضياء النهار المضاهى للحياة وعاين فى نفسه تبدل النوم الذى هو

أخو الموت بالانتباه الذى هو مثل الحياة قضى بان الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور قضاء متقنا وجزم بانه تعالى قد جعل هذا أنموذجا له ودليلا يستدل به على تحققه وأن الآيات الناطقة به و بكون حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور) إما معطوف على يوم نحشر هم منصوب بناصبه أو بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره إلى العرش متى يؤمر قال قلت يارسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دارة فيه كعرض السماء والأرض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لايبقى عندها فى الحياة أحد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون » والذى يستدعيه سباق النظم الكريم وسياقه أن المراد بالنفخ ههنا هى النفخة الثانية وبالفزع فى قوله تعالى (ففزع من فى السموات ومن فى الأرض) ما يعترى الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الأمور الهائلة الخارقة للعادات فى الانفس والآفاق من الرعب والتهيب الضرورى الجبلى وإيراد صيغة الماضى مع كون المعطوف عليه أعنى ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه إثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفخة عن بيان مايقع بعدها من حشر المكذبين من كل أمة لتثنية التهويل بتكرير التذكير إيذانا بأن كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو روعى الترتيب الوقوعى لربما توهم أن الكل داهية واحدة قد أمر بذكرها كما مر فى قصة البقرة (إلا من شاء الله) أى أن لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة وحملة العرش (وكل) أى كل واحد من المبعوثين عند النفخة (أتوه) حضروا الموقف بين يدى رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرىء أتاه باعتبار لفظ الكل كما أن القراءة الأولى باعتبار معناه وقرىء آتوه أى حاضروه (داخرين) أى صاغرين وقرىء دخرين وقوله تعالى (وترى الجبال) عطف على ينفخ داخل فى حكم التذكير وقوله عز وجل (تحسبها جامدة) أى ثابتة فى أماكنها إمابدل منه أوحال من ضمير ترى أو من مفعوله

وقوله تعالى (وهى تمر مر السحاب) حال من ضمير الجبال فى تحسبها أو فى جامدة أى تراها رأى العين ساكنة والحال أنها تمر مر السحاب التى تسيرها الرياح سيراً حثيثاً وذلك أن الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال:

بارعن مثل الطود تحسب أنهم .. وقوف لحاج والركاب تهملج

قد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الأجزاء وانتفاشها كما فى قوله تعالى «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الأرض غير الأرض ويغير هيآتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى «ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعى» وقوله تعالى «يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» فان اتباع الداعى الذى هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا فى تفسير قوله تعالى «ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم» ان صيغة الماضى فى المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هى النفخة الاولى والفزع هو الذى يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما فى قوله تعالى «فصعق من فى السموات ومن فى الارض» الآية فيختص أثرها بمن كان حيا عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوز أن يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى أمره تعالى وانقيادهم له ولا ريب فى ان ذلك مما ينبغى أن ينزه ساحة التنزيل عن أمثاله وأبعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التى تكون قبل نفخة الصعق وهى التى أريدت بقوله تعالى «ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق» فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض بأهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة فى البحر أو كالقنديل المعلق ترججه الارواح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذى لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص فى الباب ما سيأتى من قوله تعالى «وهم من فزع يومئذ آمنون» (صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون ما قبله أى صنع الله ذلك صنعا على أنه عبارة عما ذكر من النفخ فى الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل أمرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد

أحوال الكائنات بالكلية من غير أن يدعو اليها داعية أو يكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادى الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى (الذى أتقن كل شىء) أى أحكم خلقه وسواه على ماتقتضيه الحكمة وقوله تعالى (انه خبير بما تفعلون) تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان أن علمه تعالى بظواهر أفعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هى عليه من الحسن والسوء وترتيب أجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا بمشاهدة ذلك أن وعد الله حق لا ريب فيه . وقرىء خبير بما يفعلون وقوله تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) بيان لما أشير اليه باحاطة علمه تعالى بأفعالهم من ترتيب أجزيتها عليها أى من جاء منكم أو من أولئك الذين أتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار أنه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها . وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة . عن ابن عباس رضى الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة (وهم) أى الذين جاءوا بالحسنات (من فزع) أى عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيآت وهو الذى فى قوله تعالى «لا يحزنهم الفزع الاكبر» وعن الحسن رحمه الله تعالى حين يؤمر بالعبد إلى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود فلا موت و يا أهل النار خلود فلا موت (يومئذ) أى يوم اذ ينفخ فى الصور (آمنون) لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره أصلا وأما الفزع الذى يعترى كل من فى السموات ومن فى الأرض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل فى ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهى والأهوال ولا يكاد يخلو منه أحد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر . والأمن يستعمل بالجار وبدونه كما فى قوله تعالى «أفأمنوا مكر الله» وقرىء من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها أيضا والمراد هو الفزع المذكور فى القراءة الأولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه أعظم الافزاع وأكبرها كأن ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه (ومن جاء بالسيئة) قيل هو الشرك (فكبت وجوههم فى النار) أى كبوا فيها على وجوههم منكوسين أو كبت فيها أنفسهم على طريقة «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) على الالتفات للتشديد أو على اضمار القول أى مقولا لهم ذلك (انما أمرت أن أعبد

رب هذه البلدة الذى حرمها) أمر عليه الصلاة والسلام أن يقول لهم ذلك بعد ما
بين لهم أحوال المبدأ و المعاد وشرح أحوال القيامة تنبيها لهم على أنه قد أتم أمر الدعوة
بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه الصلاة والسلام بعد ذلك شأن سوى الاشتغال بعبادة
الله عز وجل والاستغراق فى مراقبته غير مبال بهم ضلوا أم رشدوا صلحوا أو فسدوا
ليحملهم ذلك على أن يهتموا بأمور أنفسهم و لا يتوهموا من شدة اعتنائه عليه الصلاة
والسلام بأمر دعوتهم أنه عليه الصلاة والسلام يظهر لهم ما يلجئهم إلى الايمان لا محالة
و يشتغلوا بتدارك أحوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة
هى مكة المعظمة. وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شأنها واجلال مكانها. والتعرض لتحريمه
تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم إثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الأمر
وموجب الامتثال به كما فى قوله تعالى «فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من
جوع وآمنهم من خوف» ومن الرمز إلى غاية شناعة ما فعلوا فيها ألا يرى أنهم مع
كونها محرمة من أن تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة
الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطى أفجر أفراد الفجور وأشنع
آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الأوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم
الله أنى يؤفكون . وقرىء حرمها بالتخفيف وقوله تعالى (وله كل شىء) أى خلقا وملكا
وتصرفا من غير أن يشاركه شىء فى شىء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على أن افراد مكة
بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات (وأمرت أن
أكون من المسلمين) أى أثبت على ما كنت عليه من كونى من جملة الثابتين على ملة
الاسلام والتوحيد أى الذين أسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى «ومن أحسن
دينا ممن أسلم وجهه لله» (وأن أتلو القرآن) أى أواظب على تلاوته لتنكشف لى
حقائقه الرائعة المخزونة فى تضاعيفه شيئا فشيئا أو على تلاوته على الناس بطريق تكرير
الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته فى الهداية والارشاد من غير
حاجة الى اظهار معجزة أخرى فمعنى قوله تعالى (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) حينئذ
فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى
باتباعه اياى فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة
اليه لا إلى (ومن ضل) بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه أو بمخالفتى فيما
ذكر (فقل) فى حقه (إنما أنا من المنذرين) وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس
على من وبال ضلاله شىء وانما هو عليه فقط (وقل الحمد لله) أى على ما أفاض على

من نعمائه التى أجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقنى لتحمل أعبائها وتبليغ أحكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى (سيريكم آياته) من جملة الكلام المأمور به أى سيريكم ألبتة فى الدنيا آياته الباهرة التى نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى (فتعرفونها) أى فتعرفون أنها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم فى الآخرة وقوله تعالى (وما ربك بغافل عما تعملون) كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبىء عنه إضافة الرب الى ضمير النبى عليه الصلاة والسلام وتخصيص الخطاب أولا به عليه الصلاة والسلام وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا أى وما ربك بغافل عما تعمل أنت من الحسنات وما تعملون أنتم أيها الكفرة من السيآت فيجازى كلا منكم بعمله لا محالة وقرىء عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن أعمالهم فسيعذبهم ألبتة فلا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم الموجبة له والله تعالى أعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم الصلاة والسلام ومن كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله.

(سورة القصص مكية)

وقيل إلا قوله «الذين آتيناهم الكتاب» الى قوله «الجاهلين» وهى ثمان وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال والتفصيل فى أشباهه (نتلو عليك) أى نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام . ويجوز أن تكون التلاوة مجازا من التنزيل (من نبأ موسى وفرعون) مفعول نتلو أى بعض نبئهما (بالحق) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلو أو من مفعوله أو صفة لمصدره أى نتلو عليك بعض نبئهما ملتبسين أو ملتبسا بالحق أو تلاوة ملتبسة بالحق (لقوم يؤمنون) متعلق بنتلو . وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لأنهم المنتفعون به (ان فرعون علا فى الأرض) استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود . وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده أى أنه تجبر وطغا فى أرض مصر

وجاوز الحدود المعهودة فى الظلم والعدوان (وجعل أهلها شيعاً) أى فرقا يشيعونه فى كل مايريده من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضاً فى طاعته أو اصنافا فى استخدامه يستعمل كل صنف فى عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية. أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف وقوله تعالى (يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم) بدل منها وكان ذلك لما أن كاهنا قال له يولد فى بنى اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك الا لغاية حمقه اذ لو صدق فما فائدة القتل وان كذب فما وجهه (إنه كان من المفسدين) أى الراسخين فى الافساد ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ونريد أن نمن) أى نتفضل (على الذين استضعفوا فى الأرض) على الوجه المذكور بانجائهم من بأسه. وصيغة المضارع فى نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على إن فرعون علا الخ لتناسبهما فى الوقوع فى حيز التفسير للنبأ أو حال من يستضعف بتقدير المبتدأ أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما أن تعلق الارادة لامن تعلق استقبالى على أن منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت فى شرف الوقوع جاز إجراؤها مجرى الواقع المقارن له. ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة فى المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها (ونجعلهم أئمة) يقتدى بهم فى أمور الدين بعد ان كانوا أتباعا مسخرين لآخرين (ونجعلهم الوارثين) لجميع ما كان منتظما فى سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبىء عنه تعريف الوارثين. وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم أئمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الأمامة ولئلا ينفصل عنه مابعده مع كونه من روادفه أعنى قوله تعالى (ونمكن لهم فى الارض) الخ أى نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما كيفما يشاءون. وأصل التمكين أن تجعل للشىء مكانا يتمكن فيه (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم) أى من أولئك المستضعفين (ما كانوا يحذرون) ويجتهدون فى دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم على يد مولود منهم. وقرىء يرى بالياء ورفع مابعده على الفاعلية (وأوحينا إلى أم موسى) بالهام أو رؤيا (أن أرضعيه) ما أمكنك اخفاؤه (فاذا خفت عليه) بأن يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه (فألقيه فى اليم) فى البحر وهو النيل (ولا تخافى) عليه ضيعة بالغرق ولا شدة (ولا تحزنى انا

رادوه اليك) عن قريب بحيث تأمنين عليه (وجاعلوه من المرسلين) والجملة تعليل للنهي عن الخوف والحزن . وإيثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها أي إنا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روى أن بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني اسرائيل كانت مصافية لأم موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك الا لأقتل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لأحد فاحفظيه فلما خرجت جاءت عيون فرعون فلفته في خرقة فألقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون في طلب الولدان أوحى الله تعالى اليها ما أوحى . وقد روى انها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردى مطلي بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالالقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وإيذانا بكمال سرعة الامتثال أي فألقته في اليم بعد ما جعلته في التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أي أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس اليه وكان بها برص شديد عجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان ابن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بني اسرائيل من سبط موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كانت عمته حكاه السهيلي وأقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على شاطىء النيل فاذا بتابوت في النيل تضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروا بالسفن فأحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فأعياهم فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فألقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت الى وجهه برأت

فقالت الغواة من قوم فرعون إنا نظن أن هذا هو الذى نحذر منه رمى فى البحر فرقا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتى. واللام فى قوله تعالى (ليكون لهم عدوا وحزنا) لام العاقبة ابرز مدخولها فى معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له فى الترتب عليه بالغرض الحامل عليه وقرىء حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه الصلاة والسلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى فى كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو فى أن قتلوا الألوف لأجله ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون . روى أنه ذبح فى طلبه عليه الصلاة والسلام تسعون ألف وليد أو كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراضية لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به . وقرىء خاطين على أنه تخفيف خاطئين أو على انه بمعنى متعدين الصواب الى الخطأ (وقالت امرأة فرعون) أى لفرعون حين أخرجته من التابوت (قرة عين لى ولك) أى هو قرة عين لنا لما أنهما لما رأياه أحباه أو لما ذكر من برء بنته من البرص بريقه . وفى الحديث انه قال لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها (لا تقتلوه) خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده (عسى أن ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رأت فيه من العلامات المذكورة (أو نتخذه ولدا) أى نتبناه فانه خليق بذلك (وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبنى له وقوله تعالى ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم وقيل حال من أحد ضميرى نتخذه على ان الضمير للناس أى وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله تعالى «وأفئدتهم هواء» أى خلاء لا عقول فيها ويعضده أنه قرىء فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه وقرىء مؤسى بالهمز اجراء للضمة فى جارة الواو مجرى ضمتها فهمزت كما فى وجوه (ان كادت لتبدى به) أى انها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة أو الفرح بتبنيه (لولا أن ربطنا على قلبها) بالصبر والثبات (لتكون من المؤمنين) أى المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه (وقالت لأخته) مريم والتعبير عنها باخوته عليه الصلاة والسلام دون أن يقال لبنتها للتصريح

بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالأمر (قصيه) أي اتبعي أثره وتتبعي خبره (فبصرت به) أي أبصرته (عن جنب) عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى (وهم لا يشعرون) أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته (وحرمنا عليه المراضع) أي منعناه أن يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه أعني الثدي (من قبل) أي من قبل قصها أثره (فقالت) عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بأمره وطلبهم من يقبل ثديها (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أي لأجلكم (وهم له ناصحون) لا يقصرون في إرضاعه وتربيته روي أن هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من أنت منه فقد أبى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي الا قبلني فقرره في يدها وأجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى (فرددناه الى أمه كي تقر عينها) بوصول ولدها اليها (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم أن وعد الله) أي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين (حق) لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ان الامر كذلك فيرتابون فيه أو أن الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون (ولما بلغ أشده) أي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى أربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين (واستوى) أي اعتدل قده أو عقله (آتيناه حكما) أي نبوة (وعلما) بالدين أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لانه تعالى استنبأه بعد الهجرة في المراجعة (وكذلك) ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه (نجزي المحسنين) على احسانهم (ودخل المدينة) أي مصر من قصر فرعون وقيل منف أو حابين أو عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من أهلها) في وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) أي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل (وهذا من عدوه) أي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية (فاستغاثه الذي من شيعته) أي سأله ان يغيثه بالاعانة كما يدل عليه تعديته بعلى وقرئ استعانه (على الذي من عدوه فوكزه موسى) أي ضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه أي فضرب به

صدره (فقضى عليه) فقتله وأصله أنهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر (قال هذا من عمل الشيطان) لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار أو لانه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه جريا على سنن المقربين فى استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر (انه عدو مضل مبين) ظاهر العداوة والاضلال (قال) توسيطه بين كلاميه عليه الصلاة والسلام لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول (رب إنى ظلمت نفسى) أى بقتله (فاغفر لى) ذنبى (فغفر له) ذلك (إنه هو الغفور الرحيم) أى المبالغ فى مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم (قال رب بما أنعمت على) إما قسم محذوف الجواب أى أقسم بانعامك على بالمغفرة لأتوبن (فلن أكون) بعد هذا أبدا (ظهيرا للمجرمين) واما استعطاف أى بحق انعامك على اعصمنى فلن أكون معينا لمن تؤدى معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام لم يستثن فابتلى به مرة أخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما أنعمت على من القوة أعين أولياءك فلن أستعملها فى مظاهرة أعدائك (فأصبح فى المدينة خائفا يترقب) يترصد الاستقادة أو الاجناد (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) أى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ (قال له موسى انك لغوى مبين) أى بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما أن أراد) موسى (أن يبطش بالذى هو عدو لهما) أى لموسى وللاسرائيلى اذ لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء لبنى اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء (قال) أى الاسرائيلى ظانا انه عليه الصلاة والسلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه غويا (يا موسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) قالوا لما سمع القبطى قول الاسرائيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى فانطلق الى فرعون فأخبره بذلك وأمر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطى (إن تريد) أى ما تريد (الا أن تكون جبارا فى الارض) وهو الذى يفعل كل ما يريده من الضرب والقتل ولا ينظر فى العواقب وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس بالقول والفعل (وجاء رجل من أقصى المدينة) أى كائن من آخرها أو جاء من آخرها (يسعى) أى يسرع صفة لرجل أو حال منه على أن الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان (قال

يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) أى يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخرين ويأتمر (فاخرج) أى من المدينة (إنى لك من الناصحين) اللام للبيان لما أن معمول الصلة لا يتقدمها (فخرج منها) أى من المدينة (خائفا يترقب) لحوق الطالبين (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) أى نحو مدين وهى قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرائق فأخذ فى الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا فى الأخريين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين (ولما ورد ماء مدين) أى وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) أى فوق شفيرها (أمة) جماعة كثيرة (من الناس يسقون) أى مواشيهم (ووجد من دونهم) أى فى موضع أسفل منهم (امرأتين تذودان) أى تمنعان ما معهما من الأغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط بأغنامهم مع عدم الفائدة فى التقدم (قال) عليه السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود (ما خطبكما) ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقى كدأب هؤلاء (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) أى عادتنا أن لا نسقى حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا أنا لا نسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقى والذود والاصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفسها اذ هى التى دعت موسى عليه السلام الى ما صنع فى حقهما من المعروف فانه عليه الصلاة والسلام انما رحمهما لكونهما على الذياد للعجز والعفة وكونهم على السقى غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا . وقرئ لا نسقى من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال وأما الرعاء فجمع قياسى كصيام وقيام وقوله تعالى (وأبونا شيخ كبير) ابلاء منهما للعذر اليه عليه السلام فى توليهما للسقى بأنفسهما كأنهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير السن قد أضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقى الى أن يقضى الناس أوطارهم من الماء (فسقى لهما) رحمة عليهما والكلام فى حذف مفعوله كما مر آنفا روى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة

رجال وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه الصلاة والسلام زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فان الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام غب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روى أنه دفعهم عن الماء الى أن سقى لهما وقيل كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة وروى أنه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا أربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما (ثم تولى الى الظل) الذى كان هناك (فقال رب إني لما أنزلت الى) أى أى شيء أنزلته الى (من خير) جل أو قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام (فقير) أى محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما أنزلت الى من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه الصلاة والسلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك (فجاءته احداهما) قيل هي كبراهما واسمها صفوراء أو صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيراء أى جاءته عقيب ما رجعتا إلى أبيهما روى أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله تعالى (تمشي) حال من فاعل جاءت وقوله تعالى (على استحياء) متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي أى جاءته تمشي كائنة على استحياء ومعناه انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة أى شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها (قالت) استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قالت له عليه الصلاة والسلام فقيل قالت (ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) أى جزاء سقيك لنا أسندت الدعوة الى أبيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روى انه عليه الصلاة والسلام أجابها فانطلقا وهي امامه فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليهما السلام (فلما جاءه وقص عليه القصص) أى ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) الذى يلوح من ظاهر النظم الكريم أن موسى عليه السلام انما أجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برأيه لا لأخذ ثمرة وفه أجر احسانه صرحا به الا يرى الى ما روى أن تقدما للمقام

اليه طعاما فقال انا أهل بيت لانبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا نأخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب عليه السلام ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم لاسيما في دار نبي من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه الصلاة والسلام أن يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روى عن عطاء بن السائب أنه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر (قالت احداهما) وهي التي استدعته الى أبيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام (يا أبت استأجره) أي لرعي الغنم والقيام بأمرها (ان خير من استأجرت القوي الامين) تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة في ذلك جعل خير اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب روى أن شعيبا عليه السلام قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه (قال إني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني) أي تكون أجيرا لي أو تثيبني من أجرت كذا اذا أثبته اياه فقوله تعالى (ثماني حجج) على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف أي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال أجرت داري ومملوكي غير ممدود وآجرت ممدودا والاول أكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على أن تأجرني نفسك وقوله تعالى «ثماني حجج» ظرف كالوجه الاول (فان أتممت عشرا) في الخدمة والعمل (فمن عندك) أي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرأيه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل (وما أريد أن أشق عليك) بالزام اتمام العشر أو المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رأيك في مزاولته (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه الصلاة والسلام بالاستثناء التبرك به وتفويض أمره إلى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى (قال ذلك بيني وبينك) مبتدأ وخبر أي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على نفسك وقوله

تعالى (أيما الاجلين) أى أكثرهما أو أقصرهما (قضيت) أى وفيتك باداء الخدمة فيه (فلا عدوان على) تصريح بالمراد وتقرير لأمر الخيرة أى لا عدوان على بطلب الزيادة على ماقضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الاجلين بصدد المشارطة مع عدم تحقق العدوان فى أكثرهما رأسا للقصد الى التسوية بينهما فى الانتفاء أى كما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أوايما الاجلين قضيت فلا إثم على يعنى كما لا إثم على فى قضاء الاكثر لا اثم على فى قضاء الاقصر فقط وقرىء أى الاجلين ماقضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كما أنها فى القراءة الاولى مزيدة لتأكيد ابهام أى وشياعها وقرىء أيما بسكون الياء كقول من قال:

تنظرت نصرا والسما كين أيهما على من الغيث استهلت مواطره

(والله على مانقول) من الشرو ط الجارية بيننا (وكيل) شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه أصلا وليس ماحكى عنهما عليهما الصلاة والسلام تمام ماجرى بينهما من الكلام فى انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على إيقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين فى تلك الشريعة تفصيلا روى أنهما لما أتما العقد قال شعيب لموسى عليه السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى وكانت عنده عصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فأخذ عصا هبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع فى يده الاهى سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل أخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقى بها موسى عليه السلام ليلا وقيل أودعها شعيبا ملك فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضى الله تعالى عنه ماكانت الاعصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى رحمه الله الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها أكثر الا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها ومشى على إثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد أقبل فحاربته

العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشان ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودرعاء فأوحى اليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة الا وضعت أدرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء فى قوله تعالى (فلما قضى موسى الاجل) فصيحة أى فعقدا العقد وباشر موسى ماالتزمه فلما أتم الأجل (وسار بأهله) نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام روى أنه عليه الصلاة والسلام قضى أبعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى مصر فاستأذنه فى ذلك فأذن له فخرج بأهله (آنس من جانب الطور) أى أبصر من الجهة التى تلى الطور (نارا قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) أى بخبر الطريق وقد كانوا اضلوه (أو جذوة) أى عود غليظ سواء كانت فى رأسه نار أولا قال قائلهم:

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر

وقال: وألقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها

ولذلك بين بقوله تعالى (من النار) وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات (لعلكم تصطلون) أى تستدفؤن (فلما أتاها) أى النار التى آنسها (نودى من شاطئ الواد الايمن) أى اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عليه السلام (فى البقعة المباركة) متصل بالشاطئ أو صلة لنودى (من الشجرة) بدل اشتمال من شاطئ لانها كانت نابتة على الشاطئ (أن ياموسى إنى أنا الله رب العالمين) وهذا وان خالف لفظا لما فى طه والنمل لكنه موافق له فى المعنى المراد (وأن ألق عصاك) عطف على أن ياموسى وكلاهما مفسر لنودى والفاء فى قوله تعالى (فلما رآها تهتز) فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها أى فألقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جان) أى فى سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها (ولى مدبرا) أى منهزما من الخوف (ولم يعقب) أى لم يرجع (ياموسى) أى قيل ياموسى (أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) من المخاوف فانه لايخاف لدى المرسلون (اسلك يدك فى جيبك) أى أدخلها فيه (تخرج بيضاء من غير سوء) أى عيب (واضمم اليك جناحك) أى يديك المبسوطتين لتتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن أو بادخالهما فى الجيب فيكون

تكريراً لغرض آخر هو ان يكون ذلك فى وجه العدو واظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه (من الرهب) أى من أجل الرهب أى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك . وقرىء بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات (فذانك) اشارة الى العصا واليد . وقرىء بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك (برهانان) حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن فى قوله تعالى (من ربك) متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان أى كائنان منه تعالى (إلى فرعون وملئه) واصلان ومنتهيان اليهم (إنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن حدود الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين (قال رب إنى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون) بمقابلتها (وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردأ) أى معينا وهو فى الأصل اسم ما يعان به كالدفء وقرىء ردا بالتخفيف (يصدقنى) بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها وتزييف الشبهة (إنى أخاف أن يكذبون) ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند اليه إسناد الفعل إلى السبب وقرىء يصدقنى بالجزم على أنه جواب الأمر (قال سنشد عضدك بأخيك) أى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد (ونجعل لكما سلطانا) أى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك (فلا يصلون إليكما) باستيلاء أو محاجة (بآياتنا) متعلق بمحذوف قد صرح به فى مواضع أخر أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما بآياتنا أو بمعنى لا يصلون أى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون فى قوله تعالى (أنتما ومن اتبعكما الغالبون) بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) أى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد إذ هما اللتان أظهرهما موسى عليه السلام إذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد مر سره فى سورة طه (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) أى سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله أو سحر تعمله ثم تفتريه على الله تعالى أو سحر

موصوف بالافتراء كسائر أصناف السحر (وما سمعنا بهذا) أى السحر أو ادعاء النبوة (فى آبائنا الأولين) أى واقعا فى أيامهم (وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يريد به نفسه وقرىء قال بغير واو لأنه جواب عن مقالهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الأصلية هى الجنة لأنها خلقت مجازا إلى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسيآت الغواة وقرىء يكون بالياء التحتانية (انه لا يفلح الظالمون) أى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) قاله اللعين بعد ماجمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من أمرهم ما كان (فأوقد لى ياهامان على الطين) أى أصنع آجرا (فاجعل لى) منه (صرحا) قصرا رفيعا لعلى (أطلع إلى إله موسى) كأنه توهم أنه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الرقى اليه ثم قال (وانى لأظنه من الكاذبين) أو أراد أن يبنى له رصدا يترصد منه أوضاع الكواكب فيرى أهل فيها مايدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى «قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض» فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده فى الارض) أرض مصر (بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا أنهم الينا لا يرجعون) بالبعث للجزاء وقرىء بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو الانسب بالمقام (فأخذناه وجنوده) عقيب مابلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات (فنبذناهم فى اليم) قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين مالا يخفى كأنه تعالى أخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى البحر ونظيره قوله تعالى «وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه» (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) وبينها للناس ليعتبروا بها (وجعلناهم) أى صيرناهم فى عهدهم (أئمة يدعون) الناس (الى النار) الى ما يؤدى اليها من الكفر والمعاصى أى قدوة يقتدى بهم أهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم أئمة دعاة الى النار كما فى قوله تعالى «وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن

اناثا. فالانسب حينئذ أن يكون الجعل بعدهم فيما بين الامم وتكون الدعوة الى نفس النار
وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك (ويوم القيامة لا ينصرون)
بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) طردا وابعادا
من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال تلعنهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام
والمؤمنون خلفا عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين
المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه قاله ابن
عباس رضى الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال أبو عبيدة من
المقبوحين من المهلكين ويوم القيامة إما متعلق بالمقبوحين على أن اللام للتعريف
لا بمعنى الذى أو بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيامة نحو لعملكم
من القالين (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون
الاولى) هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام . والتعرض لبيان كون ايتائها
بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية
الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان اهلاك القرون الاولى
من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها المؤديين الى اختلال
نظام العالم وفساد أحوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر
الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير أحوال الامم الخالية الموجبة
للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة الى ايتائها (بصائر للناس)
أى أنوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم
والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين
الذى به تبصر (وهدى) أى هداية إلى الشرائع والاحكام التى هى سبل الله تعالى
(ورحمة) حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من
الكتاب على أنه نفس البصائر والهدى والرحمة أو على حذف المضاف أى ذا بصائر
الخ وقيل على العلة أى آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة (لعلهم يتذكرون)
ليكونوا على حال يرجى منها التذكر وقد مر تحقيق القول فى ذلك عند قوله تعالى لعلكم
تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى (وما كنت بجانب الغربى) شروع فى بيان أن
انزال القرآن الكريم أيضا واقع فى زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له
البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان أن الوقوف على
ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة أو التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين

أنه بوحي من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى «وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم
أيهم يكفل مريم» الآية أي وما كنت بجانب الجبل الغربي أو المكان الغربي الذي وقع
فيه الميقات على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أو الجانب الغربي على إضافة
الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع (إذ قضينا الى موسى الامر) أي عهدنا اليه وأحكمنا
أمر نبوته بالوحي وإيتاء التوراة (وما كنت من الشاهدين) أي من جملة الشاهدين
للوحي وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته
وكتبة التوراة له في الألواح فتخبره للناس (ولكنا أنشأنا قرونا) أي ولكنا خلقنا
بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة (فتطاول عليهم العمر) وتمادى الأمد فتغيرت
الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنباء لاسيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد
فأوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى (وما كنت ثاويا
في أهل مدين) نفي لاحتمال كون معرفته عليه الصلاة والسلام للقصة بالسماع ممن شاهدها أي
وما كنت مقيما في أهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى (تتلو عليهم) أي تقرأ على أهل
مدين بطريق التعلم منهم (آياتنا) الناطقة بالقصة إما حال من المستكن في ثاويا أو خبر ثان
لكنت (ولكنا كنا مرسلين) إياك وموحين اليك الآيات ونظائرها (وما كنت بجانب الطور
إذ نادينا) أي وقت ندائنا موسى إني أنا الله رب العالمين واستنبائنا إياه وإرساله الى
فرعون (ولكن رحمة من ربك) أي ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة
عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه
والالتفات الى اسم الرب للإشعار بعلة الرحمة وتشريفه عليه الصلاة والسلام
بالإضافة وقد اكتفي عن ذكر المستدرك ههنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفي
عنه في الأول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو
المقصود وإشعارا بأنه المراد فيهما أيضا ولله در شأن التنزيل وقوله تعالى (لتنذر قوما)
متعلق بالفعل المعلل بالرحمة فهو ما ذكرنا من إرساله عليه الصلاة والسلام بالقرآن
حتما لما أنه المعلل بالإنذار لا تعليمه ما ذكر . وقرئ رحمة بالرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف وقوله تعالى (ما أتاهم من نذير من قبلك) صفة لقوما أي لم يأتهم نذير
لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين اسمعيل
بناء على أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة ببني اسرائيل (لعلهم
يتذكرون) أي يتعظون بإنذارك . وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في أهل
مدين والنداء للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على أن حكايته عليه الصلاة

والسلام للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر أولا نفي ثوائه عليه الصلاة والسلام في أهل مدين ثم نفي حضوره عليه الصلاة والسلام عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد على ماذكر كما مر في قصة البقرة (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة (بما قدمت أيديهم) أي بما اقترفوه من الكفر والمعاصي (فيقولوا) عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكره في حيزها للايذان بأنه السبب الملجئ لهم الى قولهم (ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) أي هلا أرسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات (فنتبع آياتك) الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية (ونكون من المؤمنين) بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه أرسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية (فلما جاءهم) أي أهل مكة (الحق من عندنا) وهو القرآن المنزل عليه عليه الصلاة والسلام (قالوا) تعنتا واقتراحا (لولا أوتي) يعنون النبي عليه الصلاة والسلام (مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة وأما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق أي ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى (قالوا) استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى (سحران) خبر لمبتدأ محذوف أي هما يعنون ما أوتي محمد وما أوتي موسى عليهما السلام سحران (تظاهرا) أي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أنهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه الصلاة والسلام فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى (وقالوا انا بكل) أي بكل واحد من الكتابين (كافرون) تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم هذا هو الذي تستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل الا ترى الى قوله تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) مما أوتياه من التوراة والقرآن وسميتموهما سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى (أتبعه) جواب للامر أي ان تأتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط

عما يأتي به من بدله بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو أهدى من الكتابين أمر بين الاستحالة فوسع دائرة الكلام للتبكيت والافحام (ان كنتم صادقين) أي في انهما سحران مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم (فان لم يستجيبوا لك) أي فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب أهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بأنه عليه الصلاة والسلام على كمال أمن من أمره كأن أمره عليه الصلاة والسلام لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى أمر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) الزائغة من غير أن يكون لهم متمسك ما أصلا اذ لو كان لهم ذلك لأتوا به (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام انكاري للنفي أي لا أضل ممن اتبع هواه (بغير هدى من الله) أي هو أضل من كل ضال وان كان ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقريع والاشباع في التشنيع والتضليل والاشعار بانه لهدايته تعالى بينة الاستحالة (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية الى الحق المبين (ولقد وصلنا لهم القول) وقرئ بالتخفيف أي أنزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه إثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة أو متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون بما فيه (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أي من قبل إيتاء القرآن (هم به يؤمنون) وهم مؤمنو أهل الكتاب وقيل أربعون من أهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام (واذا يتلى) أي القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا) أي الحق الذي كنا نعرف حقيقته وهو استئناف لبيان ما أوجب ايمانهم وقوله تعالى (انا كنا من قبله) أي من قبل نزوله (مسلمين) بيان لكون ايمانهم به أمرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة وأنهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن (أولئك) الموصوفون بما ذكر من النعوت (يؤتون أجرهم مرتين) مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم على الايمانين أو على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم ومن المشركين (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» (ومما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو) من اللاغين (أعرضوا عنه) أي عن اللغو تكرما كقوله تعالى «واذا مروا

باللغو وراً كراماً (وقالوا لهم) (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) بطريق المتاركة والتوديع (لا نبتغي الجاهلين) لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم (إنك لا تهدي) هداية موصلة إلى البغية لا محالة (من أحببت) من الناس ولا تقدر على أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود (ولكن الله يهدي من يشاء) أن يهديه فيدخله في الإسلام (وهو أعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال له يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف (وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل ابن عبد مناف حيث أتى النبي عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى (أولم نمكن لهم حرماً آمناً) أي ألم نعصمهم ونجعل مكانهم حرماً ذا أمن لحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون (يجبى إليه) وقرئ تجبى أي يجمع ويحمل إليه (ثمرات كل شيء) من كل أوب والجملة صفة أخرى لحرماً دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة (رزقاً من لدنا) فإذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة أصنام فكيف يخافون التخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله تعالى إذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقاً على أنه مصدر مؤكد لمعنى يجبى أو حال من ثمرات على أنه بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة ثم بين أن الأمر بالعكس وأنهم أحقاء بأن يخافوا بأس الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أي وكثيراً من أهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الأمن وخفض العيش والدعة حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية بما ظلموا (لم تسكن من بعدهم) من بعد تدميرهم (إلا قليلاً) أي إلا زماناً قليلاً إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم أو لم يبق من يسكنها إلا قليلاً من شؤم معاصيهم (وكنا نحن الوارثين) منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر ذات أيديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو

باضمار زمان مضاف اليه أو بجعله مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت (وما كان ربك مهلك القرى) بيان للعناية الربانية إثر بيان إهلاك القرى المذكورة أى وماصح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة أو ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته أن لا يهلكها (حتى يبعث في أمها) أى في أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها لكون أهلها أفطن وأنبل (رسولا يتلو عليهم آياتنا) الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بأن يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك. والالتفات إلى نون العظمة لتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى (وما كنا مهلكي القرى) عطف على ما كان ربك وقوله تعالى (إلا وأهلها ظالمون) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما كنا مهلكين لأهل القرى بعد مابعثنا في أمها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في حال من الأحوال إلا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة بني إسرائيل (وما أوتيتم من شيء) من أمور الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أى فهو شيء شأنه أن يتمتع ويتزين به أياما قلائل (وما عند الله) وهو الثواب (خير) في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة عن شوائب الألم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم (وأبقى) لأنه أبدى (أفلا تعقلون) ألا تتفكرون فلا تعقلون هذا الأمر الواضح فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وقرىء بالياء على الالتفات المبنى على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أى وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقيه) أى مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جيء بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الأولى ترتيب إنكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله تعالى أى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كأنه قيل كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره أو أحضرناه يوم القيامة النار أو العذاب . وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتما . وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة وقرىء ثم

هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل (ويوم يناديهم) منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنواناً وان اتحدا ذاتاً أو باضمار اذكر (فيقول) تفسير للنداء (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمون شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (قال) استئناف مبنى على حكاية السؤال كأنه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال (الذين حق عليهم القول) وهم شركاؤهم من الشياطين أو رؤساهم الذين اتخذوهم أربابا من دون الله تعالى بأن أطاعوهم فى كل ما أمروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول أنه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع أيضاً لاصالتهم فى الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم» ومسارعتهم الى الجواب مع كون السؤال للعبدة إما لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بأن العبدة سيقولون هؤلاء أضلونا وإما لأن العبدة قد قالوه اعتذاراً وهؤلاء إنما قالوا ما قالوا رداً لقولهم الا أنه لم يحك قول العبدة ايجازاً لظهوره (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هم الذين أغويناهم فحذف الراجع الى الموصول ومرادهم بالاشارة بيان أنهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وأنهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله تعالى (أغويناهم كما غوينا) هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له أى ما أكرهناهم على الغى وانما أغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز أن يكون الذين صفة لاسم الاشارة وأغويناهم الخبر (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصى هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى (ما كانوا إيانا يعبدون) أى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا أى تبرأنا من عبادتهم إيانا (وقيل ادعوا شركاءكم) إما تهكما بهم أو تبكيتا لهم (فدعوهم) لفرط الحيرة (فلم يستجيبوا لهم) ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة (ورأوا العذاب) قد غشيهم (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمنى أى تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) عطف على ما قبله سئلوا أولاً عن اشراكهم وثانياً عن جوابهم للرسل الذين نهوهم عن ذلك (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) أى صارت كالعمى عليهم لا تهتدى اليهم وأصله فعموا عن الانباء وفيه عكس للمبالغة والدلالة على

أن ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا أخطأ لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعديه الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالانباء إما ما طلب منهم مما أجابوا به الرسل أو جميع الانباء وهي داخلة فيه دخولا أوليا واذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يفوضون العلم فى ذلك المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسئول فما ظنك بأولئك الضلال من الأمم (فهم لا يتساءلون) لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم بأن الكل سواء فى الجهل (فأما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا) أى جمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى أن يكون من المفلحين) أى الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام أو للترجى من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح (وربك يخلق ما يشاء) أن يخلقه (ويختار) ما يشاء اختياره من غير ايجاب عليه ولا منع له أصلا (ما كان لهم الخيرة) أى التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفى الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى أنه نزل فى قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذى كان لهم فيه الخير والصلاح (سبحان الله) أى تنزه بذاته تنزها خاصا به من أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم أو عن مشاركة ما يشركونه به (وربك يعلم ما تكن صدورهم) كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) أى المستحق للعبادة (لا إله إلا هو) لا أحد يستحقها إلا هو (له الحمد فى الأولى والآخرة) لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده (وله الحكم) أى القضاء النافذ فى كل شىء من غير مشاركة فيه لغيره (واليه ترجعون) بالبعث لا إلى غيره (قل) تقريرا لما ذكر (أرأيتم) أى أخبرونى (ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما فى دلامص من الدلاص يقال درع دلاص أى ملساء لينة (إلى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر (من إله غير الله) صفة لاله (يأتيكم بضياء) صفة أخرى له عليها يدور أمر التبكيت والالزام كما فى قوله

تعالى «قل من يرزقكم من السماء والأرض» وقوله تعالى «فمن يأتيكم بماء معين» ونظائرهما خلا أنه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل إله الخ لإيراد التبكيت والالزام على زعمهم وقرىء بضياء بهمزتين (أفلا تسمعون) هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة) باسكانها في وسط السماء أو بتحريكها على مدار فوق الافق (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة من متاعب الأشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع (أفلا تبصرون) هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى على من له بصر (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) في النهار بأنواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) ولكي تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل أو لكي تعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها (ويوم يناديهم) منصوب باذكر (فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) تقريع إثر تقريع للاشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى (ونزعنا) عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حال من فاعله باضمار قد والالتفات إلى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله أي أخرجنا (من كل أمة) من الامم (شهيدا) نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد» (فقلنا) لكل أمة من تلك الامم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) يومئذ (أن الحق لله) في الالهية لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم) أي غاب عنهم غيبة الضائع (ما كانوا يفترون) في الدنيا من الباطل (إن قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عليه السلام ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري وقال إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي وروي أنه لما جاوز بهم موسى عليه السلام البحر وصارت الرسالة والحبورة والقربان لهرون وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أصبر قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا أصدقك حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل إليه فيها فكانوا يحرسون

عصيهم بالليل فأصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر فقال قارون ماهو بأعجب مما تصنع من السحر وذلك قوله تعالى (فبغى عليهم) فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت أمره أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل وقيل حسدهم وذلك ماذكر منه فى حق موسى وهرون عليهما السلام (وآتيناه من الكنوز أى الاموال المدخرة (ماإن مفاتحه) أى مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو مايفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح (لتنوء بالعصبة أولى القوة) خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى وناء به الحمل اذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرىء لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه كما فى قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين (اذ قال له قومه) منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بأن البغى ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه ورد بأن الايتاء أيضا غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو أظهر الفرح ويجوز أن يكون منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال انما أوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه (لاتفرح) أي لاتبطر والفرح فى الدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بأن مافيها من اللذة مفارقة لامحالة يوجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا فقيل (ان الله لا يحب الفرحين) أى بزخارف الدنيا (وابتغ) وقرىء واتبع (فيما آتاك الله) من الغنى (الدار الآخرة) أى ثواب الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه (ولا تنس) أى لا تترك ترك المنسى (نصيبك من الدنيا) وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك (وأحسن) أى الى عباد الله تعالى (كما أحسن الله اليك) فيما أنعم به عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد فى الارض) نهى عما كان عليه من الظلم والبغى (ان الله لايحب المفسدين) لسوء أفعالهم (قال) مجيبا لناصحيه (انما أوتيته على علم عندى) كأنه يريد به الرد على قولهم كما أحسن الله اليك لانبائه عن أنه تعالى أنعم عليه بتلك الاموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله أى فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم فى موقع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندى صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى أو فى ظنى ورأيى (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة

وأكثر جمعا) توبيخ له من جهة الله تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة فى التوراة وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى ألم يقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتروا به أورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم منه فالمعنى أعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين (ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أن ذلك لم يكن مما يخص أولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة (فخرج على قومه) عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى (فى زينته) اما متعلق بخرج أو بمحذوف هو حال من فاعله أى فخرج عليهم كائنا فى زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وقيل فى تسعين ألفا عليهم المعصفر وهو أول يوم رؤى فيه المعصفر (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة فى السعة واليسار (ياليت لنا مثل ما أوتى قارون) وعن قتادة أنهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه فى سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا (انه لذو حظ عظيم) تعليل لتمنيهم وتأكيد له (وقال الذين أوتوا العلم) أى بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغى وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضى الاعراض عن الاولى والاقبال على الثانية حتما وأن تمنى المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغى (ويلكم) دعاء بالهلاك شاع استعماله فى الزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) فى الآخرة (خير) مما تتمنونه (لمن آمن وعمل صالحا) فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى (ولا يلقاها) أى هذه الكلمة التى تكلم بها العلماء أو الثواب فانه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة (الا الصابرون) أى على الطاعات وعن الشهوات (فخسفنا به وبداره الارض) روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى أن يفضح موسى عليه السلام بين بنى اسرائيل فجعل لبغى من بغايا بنى اسرائيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى وهو محصن

جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قالان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانةفأحضرت فناشدها عليه السلام أن تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على أن أرميك بنفسى فخر موسى ساجدا لربه يبكى ويقول يارب ان كنت رسولك فاغضب لى فاوحى اليه أن مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يابنى اسرائيل ان الله بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال ياأرض خذيهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه الصلاة والسلام بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا عليه موسى عليه الصلاة والسلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله (فما كان له من فئة) جماعة مشفقة (ينصرونه من دون الله) بدفع العذاب عنه (وما كان من المنتصرين) أى الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه فامتنع (وأصبح الذين تمنوا مكانه) منزلته (بالامس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أى يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضى القبض. وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما أشبه الامر أن الله يبسط الخ وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم أن الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطا والتندم والمعنى انهم قد تنبهوا على خطئهم فى تمنيهم وتندموا على ذلك (لولا أن من الله علينا) بعدم اعطائه ايانا ما تمنيناه واعطائنا مثل ما أعطاه اياه وقرى لولا من الله علينا (لخسف بنا) كما خسف به وقرى لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرى لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرى لتخسف بنا (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله تعالى أو المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب الآخرة (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم وتفخيم كأنه قيل تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها (نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) أى غلبة وتسلطا (ولا فسادا) اى ظلما وعدوانا على العباد كدأب فرعون وقارون. وفى تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بترك أنفسهما مزيد تحذير منهما وعن على رضى الله عنه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها (والعاقبة) الحميدة (للمتقين) أى الذين يتقون مالا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال (من جاء بالحسنة فله) بمقابلتها

(خير منها) ذاتا ووصفا وقدرا (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات)
وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير لتهجين حالهم بتكرير إسناد السيئة اليهم
(الا ما كانوا يعملون) أى الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا
يعملون مبالغة فى المماثلة (ان الذى فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته
وتبليغه والعمل به (لرادك الى معاد) أى معاد. معاد تمتد اليه أعناق الهمم وترنو اليه
أحداق الامم وهو المقام المحمود الذى وعدك أن يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة
على أنه تعالى قد وعده وهو بمكة فى أذية وشدة من أهلها أنه يهاجر به منها ثم يعيده
اليها بعز ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة فى مهاجره وقد اشتاق
الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له
أتشتاق الى مكة قال نعم فأوحاها اليه (قل ربى أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من
الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه أعلم أى يعلم وقيل بأعلم على أنه بمعنى
عالم (ومن هو فى ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى بذلك نفسه
والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك
الكتاب) أى سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه (الا رحمة
من ربك)ولكن ألقى اليك رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه
قيل وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة أى لاجل الترحم (فلا تكونن ظهيرا للكافرين)
بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم (ولا يصدنك) أى الكافرون (عن آيات
الله) أى عن قراءتها والعمل بها (بعد اذ أنزلت اليك) وفرضت عليك وقرئ
يصدنك من أصد المنقول من صد اللازم (وادع) الناس (الى ربك) الى عبادته
وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) بمساعدتهم فى الامور (ولا تدع مع الله الها
آخر) هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع أطماع المشركين عن مساعدته عليه
الصلاة والسلام لهم واظهار أن المنهى عنه فى القبح والشرية بحيث ينهى عنه من
لا يمكن صدوره عنه أصلا (لا اله الا هو) وحده (كل شئ هالك الا وجهه) الا ذاته
فان ما عداه كائنا ما كان ممكن فى حد ذاته عرضة للهلاك والعدم (له الحكم) أى القضاء
النافذ فى الخلق (واليه ترجعون) عند البعث للجزاء بالحق والعدل . عن النبى صلى الله
عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم
يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا .

﴿سورة العنكبوت مكية﴾

وهى تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم) الكلام فيه كالذى مر مرارا فى نظائره من الفواتح الكريمة خلا أن مابعده لا يحتمل أن يتعلق به تعلقا اعرابيا (أحسب الناس) الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعانى المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شىء لشىء أو انتفائه عن شىء بحيث يتحصل منها مفعولاه امابالفعل كما فى عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما فى الجمل المصدرة بأن والواقعة صلة للموصول الاسمى أو الحرفى فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى أحسب الناس (أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) فى قوة أن يقال أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أن يقولوا آمنا أو أن يقال أحسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ماتشتهيه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ فى الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب أعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود فى النار روى انها نزلت فى ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين جزعوا من أذية المشركين وقيل فى عمار قد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنهما رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبواه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل بقوله تعالى أحسب أو بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغى أن يتوقع خلافها والمعنى أن الامم الماضية قد أصابهم من ضروب الفتن والمحن ماهو أشد مما أصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى «وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا» الآيات وعن النبى عليه الصلاة والسلام «قد كان من قبلكم يؤخذ

فيوضع المنشار على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه» (فليعلمن الله الذين صدقوا) أي في قولهم آمنا (وليعلمن الكاذبين) في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ماقبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير أي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي أظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن أو ليجازين وقرىء وليعلمن من الاعلام أي وليعرفنهم الناس أو ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي أعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو أبطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم أن لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث أصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في قوله تعالى «يحسب أن ماله أخلده» (ساء ما يحكمون) أي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك أو بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك (من كان يرجو لقاء الله) أي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا أو عقابا أو ملاقاة حكمه يوم القيامة وقيل يرجو لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتي ويذر فاما أن يلقاه ببشر وكرامة لما رضي من أفعاله أو بضده لما سخطه (فان أجل الله) الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لامر من الامور وقد يطلق على كل ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال أي فان الوقت الذي عينه تعالى لذلك (لآت) لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان أجزاء الزمان على التقضي والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء أيضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما والجواب محذوف أي فليختر من الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله تعالى «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى

وقيل فليبادر ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو مايوجب القربة والزلفى (وهو السميع) لاقوال العباد (العليم) باحوالهم من الاعمال الظاهرة والعقائد (ومن جاهد) فى طاعة الله عز وجل (فانما يجاهد لنفسه) لعود منفعتها اليها (ان الله لغنى عن العالمين) فلا حاجة له الى طاعتهم وانما أمرهم بها تعريضاً لهم للثواب بموجب رحمته (والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الكفر بالايمان والمعاصى بما يتبعها من الطاعات (ولنجزينهم أحسن الذى كانوا يعملون) أى أحسن جزاء أعمالهم لاجزاء أحسن أعمالهم فقط (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) أى بايتاء والديه وايلائهما فعلا ذا حسن أو ما هو فى حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى «وقولوا للناس حسنا» ووصى يجرى مجرى أمر معنى وتصرفا غير أنه يستعمل فيما كان فى المأمور به نفع عائد الى المأمور أو غيره وقيل هو بمعنى قال فالمعنى وقلنا أحسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أى وقلنا أولهما أو افعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرىء حسنا واحسانا (وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم) أى بالاهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها للايذان بأن مالا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه (فلا تطعهما) فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفى تعليق النهى عن طاعتهما بمجاهدتهما فى التكليف اشعار بان موجب النهى فما دونها من التكليف ثابت بطريق الاولوية (الى مرجعكم) أى مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق (فأنبئكم بما كنتم تعملون) بأن أجازى كلا منكم بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر والآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه عند اسلامه حيث حلفت أمه حمنة بنت أبى سفيان بن أمية أن لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التى فى سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت فى عياش بن أبى ربيعة المخزومى وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل والحرث أخواه لامه أسماء فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لاتطعم ولاتشرب ولاتأوى بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه فى الذروة والغارب واستشار عمر رضى الله عنه فقال هما يخدعانك ولك على أن أقسم مالى بينى وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر رضى الله عنه فقال له عمر رضى الله عنه أما اذا عصيتنى فخذ ناقتى فليس فى الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهما ريب

فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال أبو جهل ان ناقتى قد كلت فاحملنى معك فنزل ليوطى بنفسه وله فأخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى أمه فقالت لا تزال فى عذاب حتى ترجع عن دين محمد (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين) أى فى زمرة الراسخين فى الصلاح والكمال فى الصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مأمول أنبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام «وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين» وقال فى حق ابراهيم عليه السلام «وانه فى الآخرة لمن الصالحين» أو فى مدخل الصالحين وهو الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله) أى فى شأنه تعالى بأن عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) أى ما يصيبه من أذيتهم (كعذاب الله) فى الشدة والهول فيرتد عن الدين مع أنه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى أصلا (ولئن جاء نصر من ربك) أى فتح وغنيمة (ليقولن) بضم اللام نظرا الى معنى من كما أن الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ به بالفتح (انا كنا معكم) أى مشايعين لكم فى الدين فأشركونا فى المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين) أى بأعلم منهم بما فى صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الاوفق لما سبق وللحق من قوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا) أى بالاخلاص (وليعلمن المنافقين) سواء كان كفرهم بأذية الكفرة أولا أى ليجزينهم بما لهم من الايمان والنفاق (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) بيان لحملهم للمؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالاذية والوعيد ووصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما أن مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من أضاوه واللام للتبليغ أى قالوا مخاطبين لهم (اتبعوا سبيلنا) أى اسلكوا طريقتنا التى نسلكها فى الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذى هو المشى خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه أو اتبعونا فى طريقتنا (ولنحمل خطاياكم) أى ان كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين له على أمرهم بالاتباع للمبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى (وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء) وقرئ من خطيئاتهم أى وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التى التزموا أن يحملوا كلها على أن من الاولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق والجملة اعتراض أو حال (انهم لكاذبون) حيث

أخبروا فى ضمن وعدهم بالحمل بأنهم قادرون على انجازه او عدوا فان الكذب كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه باعتبار مايلزم مدلوله كما مر فى قوله تعالى «أنبؤنى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين» (وليحملن أثقالهم) بيان لما يستتبعه قولهم ذلك فى الآخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم أصلا. والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر أى والله ليحملن أثقال أنفسهم كاملة (وأثقالا) أخر (مع أثقالهم) لما تسببوا بالاضلال والحمل على الكفر والمعاصى من غير أن ينتقص من أثقال من أضلوه شىء ما أصلا (وليسئلن يوم القيامة) سؤال تقريع وتبكيت (عما كانوا يفترون) أى يختلقونه فى الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التى من جملتها كذبهم هذا (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما) شروع فى بيان افتتان الانبياء عليهم الصلاة والسلام باذية أممهم اثر بيان افتتان المؤمنين باذية الكفار تأكيدا للانكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثا لهم على الصبر فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء أولى وأحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين عاما بعث على رأس أربعين سنة ودعا قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة. وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما فى ذكر الالف من تخييل طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأى الذين يحسبون أنهم يتركون بلا ابتلاء. واختلاف المميز لما فى التكرير من نوع بشاعة (فأخذهم الطوفان) أى عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشىء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء (وهم ظالمون) أى والحال أنهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه من الكفر والمعاصى هذه المدة المتمادية (فأنجيناه) أى نوحا عليه السلام (وأصحاب السفينة) أى ومن ركب فيها معه من اولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم اناث (وجعلناها) أى السفينة أو الحادثة والقصة (آية للعالمين) يتعظون بها (وابراهيم) نصب بالعطف على نوحا وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم (اذ قال لقومه) على الاول

ظرف الارسال أي أرسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال الى درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم (اعبدوا الله) أي وحده (واتقوه) أن تشركوا به شيئا (ذلكم) أي ما ذكر من العبادة والتقوى (خير لكم) أي مما أنتم عليه ومعنى التفضيل مع انه لاخيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل (إن كنتم تعلمون) أي الخير والشر وتميزون أحدهما من الآخر أو ان كنتم تعلمون شيئا من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى (انما تعبدون من دون الله أوثانا) بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة الى الدين الحق أي انما تعبدون من دونه تعالى أوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك (وتخلقون إفكا) أي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله أو تعملونها وتنحتونها للافك وقرىء تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرىء افكا على انه مصدر كالكذب واللعب أو نعت بمعنى خلقا ذا افك (إن الذين تعبدون من دون الله) بيان لشرية ما يعبدونه من حيث انه لا يكاد يجديهم نفعا (لا يملكون لكم رزقا) أي لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئا من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) كله فانه هو الرزاق ذو القوة المتين (واعبدوه وحده (واشكروا له) على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد (إليه ترجعون) أي بالموت ثم بالبعث لا الى غيره فافعلوا ما أمرتكم به وقرىء ترجعون من رجع رجوعا (وان تكذبوا) أي تكذبوني فيما أخبرتكم به من أنكم اليه ترجعون بالبعث (فقد كذب أمم من قبلكم) تعليل للجواب أي فلا تضرونني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضر أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم (وما على الرسول الا البلاغ المبين) أي التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه أن يصدقه قومه ألبتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك أصلا (أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق) كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر أي ألم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن

غير مادة أى قد علموا ذلك وقرىء بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرىء يبدأ وقوله تعالى (ثم يعيده) عطف على أولم يروا لا على يبدىء لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياسا على الابتداء وقد جوز العطف على يبدأ بتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ماأنشأه فى السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب (ان ذلك) أى ماذكر من الاعادة (على الله يسير) اذلا يفتقر فعله الى شىء أصلا (قل سيروا فى الارض) أمر لابراهيم عليه السلام أن يقول لهم ذلك أى سيروا فيها (فانظروا كيف بدأ الخلق) أى كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير فى الارض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق القاطنين فى أقطارها (ثم الله ينشىء النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى التى شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التى هى محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة أولى للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤن الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود ولافرق بينهما الابالاولية والآخرية وقرىء النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشىء بحذف الزوائد والاصل الانشاءة أو بحذف العامل أى ينشىء فينشئون النشأة الآخرة كما فى قوله تعالى « وأنبتها نباتا حسنا » والجملة معطوفة على جملة سيروا فى الارض داخلة معها فى حيز القول . و اظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره فى بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى (إن الله على كل شىء قدير) تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التى من جملتها الاعادة لايتصور أن يتردد فى قدرته عليها ولافى وقوعها بعد ما أخبر به (يعذب) أى بعد النشأة الآخرة (من يشاء) ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما (ويرحم من يشاء) أن يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما أن الترهيب أنسب بالمقام من الترغيب (واليه تقلبون) عند ذلك لاالى غيره فيفعل بكم مايشاء من التعذيب والرحمة (وماأنتم بمعجزين) له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم (فى الارض ولافى السماء) أى بالتوارى فى الارض أوالهبوط فى مهاويها ولابالتحصن فى السماء التى هى أفسح منها لواستطعتم الرقى فيها كما فى قوله تعالى « ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا » أوالقلاع الذاهبة فيها وقيل فى السماء صفة لمحذوف معطوف على

أنتم أي ولا من في السماء (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) يحرسكم مما يصيبكم
من بلاء يظهر من الارض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم (والذين كفروا بآيات الله)
أي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فيدخل فيها
النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا أوليا وتخصيصها
بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام (ولقائه) الذي تنطق به تلك الآيات (أولئك)
الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه (يئسوا من رحمتي) أي ييأسون
منها يوم القيامة، وصيغة الماضي للدلالة على تحققه أو يئسوا منها في الدنيا لانكارهم
البعث والجزاء (وأولئك لهم عذاب أليم) وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد
وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم مالا يخفى أي أولئك
الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن
سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام
(فما كان جواب قومه) بالنصب على أنه خبر كان واسمها قوله تعالى (الا أن قالوا
اقتلوه أو حرقوه) وقرىء بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره وليس المراد أنه
لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما
هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل أن ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا
والتي في المرة الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل مالا يحصى
(فأنجاه الله من النار) الفاء فصيحة أي فألقوه في النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها
عليه عليه الصلاة والسلام بردا وسلاما حسبما بين في موضع آخر وقد مر في سورة
الانبياء بيان كيفية القائه عليه الصلاة والسلام فيها وانجائه تعالى اياه منها قيل لم ينتفع
يومئذ بالنار في موضع أصلا (إن في ذلك) أي في انجائه منها (لآيات) بينة
عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها
(لقوم يؤمنون) وأما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها
محرومون (وقال) أي ابراهيم عليه السلام مخاطبا لهم (انما اتخذتم من دون الله
أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف أي أوثانا آلهة ويجوز أن تكون مودة هو
مفعول بتقدير المضاف أو بتأويلها بالمودودة أو بجعلها نفس المودة مبالغة أي اتخذتم
أوثانا سبب المودة بينكم أو مودودة أو نفس المودة وقرىء مودة منونة منصوبة ناصبة
للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على أنها خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة أو نفس

المودة أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أوثانا أو خبران على أن ما مصدرية أو موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول. وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرىء لقد تقطع بينكم على أحد الوجهين. وقرىء انما مودة بينكم والمعنى أن اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا فى الحياة وقد أجريتم أحكامه حيث فعلتم بى ما فعلتم لاجل مودتكم لها انتصارا منى كما ينبىء عنه قوله تعالى «وانصروا آلهتكم» (ثم يوم القيامة) تنقلب الامور ويتبدل التواد تباغضا والتلاطف تلاعنا حيث (يكفر بعضكم) وهم العبدة (ببعض) وهم الاوثان (ويلعن بعضكم بعضا) أى يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر (ومأواكم النار) أى هى منزلكم الذى تأوون اليه ولا ترجعون منه أبدا (ومالكم من ناصرين) يخلصونكم منها كما خلصنى ربى من النار التى ألقيتمونى فيها وجمع الناصر لوقوعه فى مقابلة الجمع أى ما لأحد منكم من ناصر أصلا (فآمن له لوط) أى صدقه فى جميع مقالاته لا فى نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغى أن يحمل على ماذكرنا أو على أن يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهى التى لا يرتقى اليها الا هم الافراد الكمل ولوط هو ابن أخيه عليهما السلام (وقال انى مهاجر) أى من قومى (الى ربى) الى حيث أمرنى ربى (انه هو العزيز) الغالب على أمره فيمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرنى الا بما فيه صلاحى روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا له اسحق ويعقوب) ولدا ونافلة حين أيس من عجوز عاقر (وجعلنا فى ذريته النبوة) فكثر منهم الانبياء (والكتاب) أى جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة (وآتيناه أجره) بمقابلة هجرته الينا (فى الدنيا) باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح (ولوطا) منصوب اما بالعطف على نوحا أو على ابراهيم والكلام فى قوله تعالى (اذ قال لقومه) كالذى مر فى قصة ابراهيم عليه السلام (إنكم لتأتون الفاحشة) أى الفعلة المتناهية فى القبح. وقرىء أئنكم (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع أفراد العالمين على التحاشى عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس (أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتتعرضون للسابلة أى بالفاحشة

حيث روى أنهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النساء بالاعراض عن الحرث واتيان ماليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل وأخذ المال (وتأتون فى ناديكم) أى تفعلون فى مجلسكم الجامع لاصحابكم (المنكر) كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لاخير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش فى المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة فى ناديهم بذلك العمل (فما كان جواب قومه الا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) أى فما كان جوابا من جهتهم شىء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة أى لم يصدر عنهم فى هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان أوعدهم فيها بالعذاب وأما مافى سورة الاعراف من قوله تعالى «وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم» الآية ومافى سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم» الآية فهو الذى صدر عنهم بعد هذه المرة وهى المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف (قال رب انصرنى) أى بانزال العذاب الموعود (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب عليهم (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) أى بالبشارة بالولد والنافلة (قالوا) أى لابراهيم عليه السلام فى تضاعيف الكلام حسبما فصل فى سورة هود وسورة الحجر (انا مهلكوا أهل هذه القرية) أى قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال (إن أهلها كانوا ظالمين) تعليل للاهلاك باصرارهم على الظلم وتماديهم فى فنون الفساد وأنواع المعاصى (قال إن فيها لوطا) فكيف تهلكونها (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله) أرادوا أنهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل عمن لم يتعرض له ابراهيم عليه السلام من أتباعه المؤمنين وأنهم معتنون بشأنهم أتم اعتناء حسبما ينبىء عنه تصدير الوعد بالتنجية بالقسم أى والله لننجينه وأهله (الا امرأته كانت من الغابرين) أى الباقين فى العذاب أو القرية (ولما أن جاءت رسلنا) المذكورون بعد مفارقتهم لابراهيم عليه السلام (لوطا سىء بهم) اعتراه المساءة بسببهم مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة أن صلة لتأكيد ما بين الفعلين من الاتصال (وضاق بهم ذرعا) أى ضاق بشأنهم وتدبير أمرهم ذرعه أى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه

رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك أن طويل الذراع ينال مالا يناله قصير الذراع (وقالوا) ربما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا أنه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي حتى آلت به الحال الى أن قال لو أن لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد (لا تخف) أي من قومك علينا (ولا تحزن) أي على شيء وقيل باهلاكنا إياهم (انا منجوك وأهلك) مما يصيبهم من العذاب (الا امرأتك كانت من الغابرين) وقرىء لننجينك ومنجوك من الانجاء وأياما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب اهلك باضمار فعل أو بالعطف على محلها باعتبار الاصل (انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء) استئناف مسوق لبيان ما أشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي يقلق المعذب أي يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرىء منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم المستمر (ولقد تركنا منها) أي من القرية (آية بينة) هي قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق إما بتركنا أو ببينة (والى مدين أخاهم شعيبا) متعلق بمضمر معطوف على أرسلنا في قصة نوح عليه السلام أي وأرسلنا الى مدين شعيبا (فقال ياقوم اعبدوا الله) وحده (وارجوا اليوم الآخر) أي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال ما تأمنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف (ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة الشديدة وفي سورة هود وأخذت الذين ظلموا الصيحة أي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب تموجها للهواء وما يجاورها من الارض (فأصبحوا في دارهم) أي بلادهم أو منازلهم . والافراد لامن اللبس (جاثمين) باركين على الركب ميتين (وعادا وثمود) منصوبان باضمار فعل ينبيء عنه ماقبله أي أهلكنا . وقرىء ثمودا بتأويل الحي (وقد تبين لكم من مساكنهم) أي وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من فنون الكفر والمعاصي (فصدهم عن السبيل) السوي الموصل الى الحق (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين أن العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا

مالقوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوف على عاد وقيل تقديم قارون لشرف نسبه (ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وماكانوا سابقين) مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه واقد أدركهم أمر الله عز وجل أى ادراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك (فكلا) تفسير لما ينبىء عنه عدم سبقهم بطريق الابهام أى فكل واحد من المذكورين (أخذنا بذنبه) أى عاقبناه بجنايته لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) تفصيل للاخذ أى ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) كمدين وثمود (ومنهم من خسفنا به الارض) كقارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من أنواع الكفر والمعاصى (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أى فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) فيما نسجته فى الوهن والخور بل ذلك أوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا فى الجملة أو مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص . والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب فى الاستعمال التأنيث وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات وأما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجموع (وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت) حيث لا يرى شىء يدانيه فى الوهى والوهن (لو كانوا يعلمون) أى شيئا من الاشياء لجزموا أن هذا مثلهم أو ان دينهم أوهى من ذلك ويجوز أن يجعل بيت العنكبوت عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان أوهن ما يعتمد به فى الدين دينهم (ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء) على اضمار القول أى قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين أو نافية ومن مزيدة وشىء مفعول يدعون أو مصدرية وشىء عبارة عن المصدر أو موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرىء تدعون بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتأكيد للمثل وعلى الاخيرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فان اثر الجماد لا يعد شيئا ومن هذا شأنه من فرط الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شىء البالغ فى العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم (وتلك الامثال) أى هذا المثل وأمثاله (نضربها للناس) تقريبا لما بعد من أفهامهم (وما يعقلها) على ما هى عليه من الحسن واستتباع الفوائد (الا

العالمون) الراسخون في العلم المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام أنه تلا هذه فقال «العالم من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه» (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي محقا مراعيا للحكم والمصالح على أنه حال من فاعل خلق أو ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على أنه حال من مفعوله فإنها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى (إن في ذلك لآية للمؤمنين) دالة لهم على ما ذكر من شؤونه سبحانه. وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لأنهم المنتفعون بذلك (اتل ما أوحي إليك من الكتاب) تقربا إلى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الاخلاق (وأقم الصلوة) أي داوم على اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره عليه الصلاة والسلام باقامتها متضمنا لأمر الأمة بها علل بقوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) كأنه قيل وصل بهم إن الصلاة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما أنها سبب للانتهاء عنهما لأنها مناجاة لله تعالى فلا بد أن تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى الا بعدا: وقال الحسن وقتادة: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه: وروي أنس رضي الله عنه أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له عليه الصلاة والسلام حاله فقال «إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله» (ولذكر الله أكبر) أي وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما في قوله تعالى «فاسعوا الى ذكر الله» للايذان بأن ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيآت وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته (والله يعلم ما تصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بأحسن المجازاة (ولا تجادلوا أهل الكتاب) من اليهود والنصارى (الا بالتي هي أحسن) أي بالخصلة التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والسورة بالأناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي

الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ بآية السيف (الا الذين ظلموا منهم) بالافراط فى الاعتداء والعناد أو باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم (وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا) من القرآن (وأنزل اليكم) أى وبالذى أنزل اليكم من التوراة والانجيل وقدمر تحقيق كيفية الايمان بهما فى خاتمة سورة البقرة وعن النبى عليه الصلاة والسلام «لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلالم تصدقوهم وان قالوا حقالم تكذبوهم» (والهنا والهكم واحد) لا شريك له فى الالوهية (ونحن له مسلمون) مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله (وكذلك) تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل أى مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب (أنزلنا اليك الكتاب) أى القرآن الذى من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى (فالذين آتيناهم الكتاب) من الطائفتين (يؤمنون به) أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتابين خاصة كأن من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا فى كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور (ومن هؤلاء) أى ومن العرب أو أهل مكة على الاول أو ممن فى عصره عليه الصلاة والسلام على الثانى (من يؤمن به) أى القرآن (وما يجحد بآياتنا) عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت الى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها (الا الكافرون) المتوغلون فى الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه (وما كنت تتلو من قبله) أى ما كنت قبل انزالنا اليك الكتاب تقدر على أن تتلو شيئا (من كتاب ولا تخطه) أى ولا تقدر على أن تخطه (بيمينك) حسبما هو المعتاد أو ما كانت عادتك أن تتلوه ولا أن تخطه (اذا لارتاب المبطلون) أى لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق فى شأنك منشأ ريب أصلا وتسميتهم مبطلين فى ارتيابهم على التقدير المفروض

لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك (بل هو) أي القرآن (آيات بينات) واضحات ثابتة راسخة (في صدور الذين أوتوا العلم) من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه (وما يجحد بآياتنا) مع كونها كما ذكر (إلا الظالمون) المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية (قل إنما الآيات عند الله) ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعا (وإنما أنا نذير مبين) ليس من شأني إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات (أولم يكفهم) كلام مستأنف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات (أنا أنزلنا عليك الكتاب) الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل عن مدارستها وممارستها (يتلى عليهم) في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان أو يتلى على اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك (إن في ذلك) الكتاب العظيم الشأن الباقي على مر الدهور (لرحمة) أي نعمة عظيمة (وذكرى) أي تذكرة (لقوم يؤمنون) أي لقوم همهم الإيمان لا التعنت كأولئك المقترحين وقيل إن أناسا من المؤمنين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال «كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم» فنزلت (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) بما صدر عني وعنكم (يعلم ما في السموات والأرض) أي من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيدا (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله تعالى (وكفروا بالله) مع تعاضد موجبات الإيمان به (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان بأن ضيعوا الفطرة الأصلية والأدلة السمعية الموجبة للإيمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي أحسن حيث لم يصرح بنسبة الإيمان بالباطل والكفر بالله والخسران إليهم بل ذكر على منهاج الإبهام كما في قوله تعالى «وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» (ويستعجلونك بالعذاب) على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ونحو ذلك (ولولا أجل مسمى) قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح (لجاءهم العذاب) المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالأجل يوم القيامة لما روي أنه تعالى وعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما أنهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به (وليأتينهم) جملة مستأنفة مبينة لما أشير اليه فى الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الاجل أى و بالله ليأتينهم العذاب الذى عين لهم عند حلول الاجل (بغتة) أى فجأة (وهم لا يشعرون) أى باتيانه ولعل المراد باتيانه كذلك أنه لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة إلى مسئولهم فان ذلك إتيان برأيهم وشعورهم لا أنه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الامم بياتاً وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن إتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل (يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه عذاب الآخرة أى يستعجلونك بالعذاب والحال أن محل العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وأن العذاب لمحيط بهم أى سيحيط بهم وإنما جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها أو تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل أن الكفر والمعاصى هى النار فى الحقيقة لكنها ظهرت فى هذه النشأة بهذه الصورة وقدمر تفصيله فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولام الكافرين إما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمضمر قد طوى ذكره إيذاناً بغاية كثرته وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذى أشير اليه باحاطة جهنم بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى به المقال وقيل ظرف للاحاطة (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أى من جميع جهاتهم (ويقول) أى الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة أو بعض ملائكته بأمره (ذوقوا ما كنتم تعملون) أى من جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من السيئات التى من جملتها الاستعجال بالعذاب (ياعبادى الذين آمنوا) خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة أمور الدين كما ينبغى لما نعة من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الاسلم (إن أرضى واسعة فاياى فاعبدون) أى اذا لم تسهل لكم العبادة فى بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتسنى لكم ذلك وعنه عليه الصلاة والسلام من فر بدينه من أرض الى أرض ولو كان شبرا استوجب الجنة

وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام » والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى إن أرضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في أرض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص (كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون) جملة مستأنفة جيء بها حثا على المسارعة في الامتثال بالامر أي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرىء يرجعون (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم) لننزلنهم (من الجنة غرفا) أي علالي وهو مفعول ثان للتبوئة وقرىء لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم أو نزع الخافض أو بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله تعالى « لأقعدن لهم صراطك المستقيم » (تجري من تحتها الانهار) صفة لغرفا (خالدين فيها) أي في الغرف أو في الجنة (نعم أجر العاملين) أي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرىء فنعم (الذين صبروا) اما صفة للعاملين أو نصب على المدح أي صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) أي ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) روى أن النبي عليه الصلاة والسلام لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أولا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها (الله يرزقها واياكم) ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة (وهو السميع) المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا (العليم) المبالغ في العلم فيعلم ضمائركم (ولئن سألتهم) أي أهل مكة (من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه (فأنى يؤفكون) انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه أي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير (الله يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (من عباده ويقدر له) أي يقدر لمن يشاء أن يقدر له منهم كائنا من كان على أن الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه أو يقدر لمن يبسطه له على التعاقب (إن الله بكل شيء عليم) فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن

يليق بقدره له فيقدره له أو فيعلم أن كلا من البسط والقدر فى أى وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما فى وقته (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله) معترفين بانه الموجد للممكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يكاد يتوهم منه القدرة على شىء ما أصلا (قل الحمد لله) على أن جعل الحق بحيث لا يجترىء المبطلون على جحوده وانه أظهر حجتك عليهم وقيل على أن عصمك من أمثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده (بل أكثرهم لا يعقلون) أى شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك (وما هذه الحيوة الدنيا) اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء» (الالهو ولعب) أى الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) أى لهى دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها أو هى فى ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حيى سمى به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحياة فى هذا المقام المقتضى للمبالغة (لو كانوا يعلمون) أى لما آثروا عليها الدنيا التى أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال (فاذا ركبوا فى الفلك) متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشىء المتحرك وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى «والخيل والبغال والحمير لتركبوها» واستعماله ههنا وفى أمثاله بكلمة فى للايذان بان المركوب فى نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر فى سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا فى البحر ولقوا شدة (دعوا الله مخلصين له الدين) أى كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو (فلما نجاهم الى البر اذاهم يشركون) أى فاجؤا المعاودة الى الشرك (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا) أى يفاجؤن الاشراك ليكونوا كافرين بما آتيناهم من نعمة الانجاء التى حقها أن يشكروها (فسوف يعلمون) أى عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب (أولم يروا) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا (أنا جعلنا) أى بلدهم (حرما آمنا) مصونا من النهب والتعدى سالما أهله من كل سوء (ويتخطف الناس من حولهم) أى والحال أنهم يختلسون من

حولهم قتلا وسبيا اذكانت العرب حوله فى تغاور وتناهب (أفبالباطل يؤمنون) أى أبعد ظهور الحق الذى لاريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق (وبنعمة الله يكفرون) وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة فى الموضعين لاظهار كمال شناعة ما فعلوا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بأن زعم أن له شريكا أى هو أظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفى الاظلم من غير تعرض لنفى المساوى وقد مر مرارا (أو كذب بالحق لما جاءه) أى بالرسول أو بالقرآن وفى لما تسفيه لهم بأنهم لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب آثر ذى أثير (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ، ألستم خير من ركب المطايا ، أى ألا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح . أو انكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أى ألم يعلموا أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترءوا هذه الجراءة (والذين جاهدوا فينا) أى فى شأننا ولوجهنا خالصا أطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة (لنهدينهم سبلنا) سبل السير الينا والوصول الى جنابنا أو لنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى «والذين اهتدوا زادهم هدى» وفى الحديث «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» (وإن الله لمع المحسنين) معية النصر والمعونة عنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

※ (سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله الآية) ※

(وهى ستون أو تسع وخمسون آية) ..

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) الكلام فيه كالذى مر فى أمثاله من الفواتح الكريمة (غلبت الروم فى أدنى الارض) أى أدنى أرض العرب منهم اذ هى الارض المعهودة عندهم وهى أطراف الشام أو فى أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي أرض الجزيرة وهى أدنى أرض الروم الى فارس . وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الاردن وفلسطين . وقرىء أدانى الارض (وهم) أى الروم (من بعد غلبهم) أى من بعد مغلوبيتهم وقرىء بسكون اللام وهى لغة كالجلب والجلب (سيغلبون) أى سيغلبون فارس (فى بضع سنين)

روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم بأذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وفارس أميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال أبو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فأخبر به أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات أبي من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان النصر للفريقين يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبر به عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير . وقرىء غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشأم وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل (لله الأمر من قبل ومن بعد) أي في أول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى أن كلا من كونهم مغلوبين أولا وغالبين آخرا ليس الا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرىء من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا (ويومئذ) أي يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم (يفرح المؤمنون بنصر الله) وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك قوة للمسلمين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك مالا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى (ينصر من يشاء) أي من يشاء

أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى «لله الأمر من قبل ومن بعد» (وهو العزيز) المبالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء أن ينصر عليه كائنا من كان (الرحيم) المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية أما على القراءة المشهورة فظاهر لما أن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية. وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كأنه قيل وعد الله وعدا (لا يخلف الله وعده) أي وعدا كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه. واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز أن تكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي ماسبق من شؤنه تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لأهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فانهما ليسا مما علموه منها بل من أفعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما توهم أي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا (وهم عن الآخرة) التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى (هم غافلون) لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من أحوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالبهائم المقصور ادراكها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون احوالها التي هي مبادي العلم بأمور الآخرة واشعارا بأن العلم المذكور وعدم العلم رأسا سيان (أولم يتفكروا) انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (في أنفسهم) ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه في غيرها لتحقيق أمره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما) الخ متعلق اما بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه أو بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى «ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا» أي

أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط أو أقصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر فى قلوبهم فيعلموا أنه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التى هم من جملتها ملتبسة بشىء من الاشياء (الا) ملتبسة (بالحق) أو يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموه والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق أن يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذى هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها وأحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التى من جملتها إحياؤهم بعد الفناء بالحياة الابدية ومجازاتهم بحسب أعمالهم غب ما تبين المحسن من المسىء وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب فى المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى «وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا» فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله «أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله» وقد مر تحقيقه فى أوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى (وأجل مسمى) عطف على الحق أى وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهى اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز أن يكون قوله تعالى فى أنفسهم صلة للتفكر على معنى أولم يتفكروا فى أنفسهم التى هى أقرب المخلوقات اليهم وهم أعلم بشئونها وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فيتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وأنه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذى دبر أمرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وأنت خبير بأن أمر معاد الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) تذييل مقرر لما قبله ببيان أن أكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث (أولم يسيروا) توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة أحوال أمثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى

أقعدوا فى أماكنهم ولم يسيروا (فى الارض) وقوله تعالى (فينظروا) عطف على يسيروا داخل فى حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا فى أقطار الارض وشاهدوا (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى (كانوا أشد منهم قوة) الخ بيان لمبدأ أحوالهم ومآلها يعنى أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة (وأثاروا الارض) أى قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك (وعمروها) أى عمرها أولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها (أكثر مما عمروها) أى عمارة أكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف لا وهم أهل واد غير ذى زرع لا تبسط لهم فى غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذمدار أمرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتقلب فى أكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجئون الى واد لا نفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) أى فكذبوهم فأهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن هلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم فى شىء على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه فى معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر فى سورة الانفال وسورة آل عمران (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بان اجترءوا على اقتراف ما يوجبه من المعاصى العظيمة (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) أى عملوا السيئات وضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم (السوأى) أى العقوبة التى هى أسوأ العقوبات وأفظعها التى هى العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث الاحسن أو مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوأى وهى مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبة وقرىء على العكس وهو أدخل فى الجزالة وقوله تعالى (أن كذبوا بآيات الله) علة لما أشير اليه من تعذيبهم الدنيوى والاخروى أي لان كذبوا أو بأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله تعالى (وكانوا بها يستهزئون) عطف على كذبوا داخل معه فى حكم العلية . وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل (الله يبدؤ الخلق) أي ينشئهم (ثم يعيده) بعد الموت بالبعث (ثم اليه ترجعون) الى موقف

الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة فى الترهيب وقرىء بالياء (ويوم تقوم الساعة) التى وهى وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه (يبلس المجرمون) أى يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وأيس من أن يحتج . وقرىء بفتح اللام من أبلسه اذا أفحمه وأسكته (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) يجيرونهم من عذاب الله كما كانوا يزعمونه . وصيغة الجمع لوقوعها فى مقابلة الجمع أى لم يكن لواحد منهم شفيع أصلا (وكانوا بشركائهم كافرين) أى بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه أمرهم وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وليس بذاك اذ ليس فى الاخبار به فائدة يعتد بها (ويوم تقوم الساعة) أعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى (يومئذ يتفرقون) تهويل له إثر تهويل وفيه رمز الى أن التفرق يقع فى بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريقى المؤمنين والكافرين كما فى قوله تعالى « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون) تفصيل وبيان لأحوال الفريقين والروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن بكر بن عياش التيجان على رءوسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يارسول الله هل فى الجنة من سماع قال عليه الصلاة والسلام « يا أعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوى فسألت أبا الدرداء رضى الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح » وروى أن فى الجنة لأشجارا عليها أجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل (ولقاء الآخرة) صرح بذلك مع اندراجه فى تكذيب الآيات للاعتناء بأمره وقوله تعالى (فأولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى

وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم فى سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر أى أولئك الموصوفون بما فصل من القبائح (فى العذاب محضرون) على الدوام لا يغيبون عنه أبدا (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون) إثر ما بين حال فريقى المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب أمروا بما ينجى من الثانى ويفضى إلى الأول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام . وتقديم الأول على الثانى لما أن التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى أى نزهوه عما ذكر سبحانه أى تسبيحه اللائق به فى هذه الأوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من أهل السموات والارض فى معنى الأمر به على أبلغ وجه وآكده وتوسيطه بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه والاشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما كما ينبىء عنه قوله تعالى « ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك » وقوله صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » وقوله عليه الصلاة والسلام « من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه » وقوله عليه الصلاة والسلام « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والأحاديث . وتخصيصها بتلك الأوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام رحمته ونعمته شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشياً عطف على حين تمسون . وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل . وتغيير الاسلوب لما أنه لا يجىء منه الفعل بمعنى الدخول فى العشى كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر فى ذلك أنه ليس من الاوقات التى تختلف فيها أحوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت تتغير فيه الأحوال تغيرا ظاهرا أما فى المساء والصباح فظاهر وأما فى الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر فى سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لاشتماله عليهما وقد روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاتا

المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشياً صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن الى أنها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في أي وقت اتفقتا وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على أنها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره هن خمس صلوات كل يوم وليلة عن النبي صلى الله عليه وسلم «من سره أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الآية» وعنه عليه الصلاة والسلام «من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله تعالى وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك مافاته في ليلته» وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون أي تمسون فيه وتصبحون فيه (يخرج الحي من الميت) كالانسان من النطفة والطير من البيضة (ويخرج الميت من الحي) النطفة والبيضة من الحيوان (ويحيي الارض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الاخراج (تخرجون) من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى «الله يبدأ الخلق ثم يعيده» (ومن آياته) الباهرة الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم أظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها (أن خلقكم) أي في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا من أن خلقه عليه الصلاة والسلام متضمن لخلق ذرياته انطواء اجماليا (من تراب) لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه في ذاتكم وصفاتكم (ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) أي فاجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا مجمل مافصل في قوله تعالى «يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة» الآية (ومن آياته) الدالة على ماذكر من البعث وما بعده من الجزاء (أن خلق لكم) أي لاجلكم (من أنفسكم أزواجا) فان خلق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من أنفسكم على ماعرفته من التحقيق أو من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله تعالى (لتسكنوا اليها) أي لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر (وجعل بينكم) أي بين الازواج اما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور أي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى «لانفرق بين أحد من رسله» وقيل أو بين افراد الجنس أي بين الرجال والنساء [illegible]

قوله تعالى (مودة ورحمة) فإن المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا أى جعل بينكم بالزواج الذى شرعه لكم توادا وتراحما من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة أو رحم قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا (إن فى ذلك) أى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلته (لآيات) عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها (لقوم يتفكرون) فى تضاعيف تلك الأفاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على أن ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبىء عنه قوله تعالى ومن آياته بل هى مشتملة على آيات شتى (ومن آياته) الدالة على ما ذكر من أمر البعث وما يتلوه من الجزاء (خلق السموات والأرض) إما من حيث إن القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها أظهر قدرة على إعادة ما كان حيا قبل ذلك وإما من حيث أن خلقهما وما فيهما ليس إلا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى «هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا وقوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا» (واختلاف ألسنتكم) أى لغاتكم بأن علم كل صنف لغته وألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنك لا تكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية من كل وجه (وألوانكم) ببياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما أو تخطيطات الأعضاء وهيآتها وألوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الأشخاص حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شىء من ذلك لا محالة وإن كانا فى غاية التشابه وإنما نظم هذا فى سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والأرض مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقة بالانتظام فى سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للإيذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم (إن فى ذلك) أى فيما ذكر من خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان (لآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها (للعالمين) أى المتصفين بالعلم كما فى قوله تعالى «وما يعقلها إلا العالمون» وقرىء بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق كافة (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية (وابتغاؤكم من فضله) فيهما فإن كلا من المنام وابتغاء الفضل يقع فى الملوين

وان كان الاغلب وقوع الاول فى الاول والثانى فى الثانى أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة فى ذلك خلا أنه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين لأنهما زمان والزمان مع ما وقع فيه كشىء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد (إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون فى تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شئونه تعالى (ومن آياته يريكم البرق) الفعل إما مقدر بأن كما فى قول من قال . ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى . أو أن أحضر أو منزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدى خير من أن تراه أو هو على حاله صفة لمحذوف أى آية يريكم بها البرق كقول من قال :

وما الدهر إلا تارتان فمنهما . أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

أى فمنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغى فيها أو ومن آياته شىء أو سحاب يريكم البرق (خوفاً) من الصاعقة أو المسافر (وطمعاً) فى الغيث أو المقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان إراءتهم البرق مستلزمة لرؤيتهم إياه والمذكور نفسه على تقدير مضاف نحو إرادة خوف وطمع أو على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغماً للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاهاً (وينزل من السماء ماء) وقرىء بالتخفيف (فيحيى به الأرض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) فانها من الظهور بحيث يكفى فى إدراكها مجرد العقل عند استعماله فى استنباط أسبابها وكيفية تكونها (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) أى بارادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادى والاسباب وليس المراد باقامتهما إنشاؤهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ، ومن آياته خلق السموات والارض» ولا إقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات إنشائهما وإن لم يصرح به تعويلاً على ما ذكر فى غير موضع من قوله تعالى «خلق السموات بغير عمد ترونها» الآية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه إلى أجلهما الذى نطق به قوله تعالى «ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى» وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث فى الوجود أخرت عنهن وجعلت متصلة به فى الذكر أيضاً فقيل (ثم إذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تخرجون) فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم فى سلكها

كما قيل كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والارض على هيآتهما بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم إذا دعاكم أى بعد انقضاء الاجل من الارض وأنتم فى قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجأتم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم إذ يكفى فى ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادى فطلع إلى لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها (وله) خاصة (من فى السموات والارض) من الملائكة والثقلين خلقاً وملكاً وتصرفا ليس لغيره شركة فى ذلك بوجه من الوجوه (كل له قانتون) أى منقادون لفعله لا يمتنعون عليه فى شأن من شئونه تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى (وهو أهون عليه) أى بالاضافة إلى قدركم والقياس على أصولكم والا فهما عليه سواء وقيل أهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه إلى الاعادة لما أنها مؤولة بان يعيد وقيل هو راجع إلى الخلق وليس بذاك وأما ماقيل من أن الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذى لابد من فعله حتما فكان أقرب إلى الحصول من الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل إذ ليس المراد باهونية الفعل أقربيته إلى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية للفاعل إلى إيجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل أسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت فى ذلك بين أن يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب أو بطريق الاختيار (وله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التى ليس لغيره مايدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقول لا اله الا الله أراد به الوصف بالوحدانية (فى السموات والارض) متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على ألسنة الخلائق وألسنة الدلائل وقيل متعلق بالأعلى وقيل بمحذوف هو حال منه أو من المثل أو من ضميره فى الأعلى (وهو العزيز) القادر الذى لا يعجز عن بدء ممكن واعادته (الحكيم) الذى يجرى الافعال على سنن الحكمة والمصلحة (ضرب لكم مثلا) يتبين به بطلان الشرك (من أنفسكم) أى منتزعا من أحوالها التى هى أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم وأظهرها دلالة على ماذكر من بطلان الشرك لكونها من طريق الأولوية وقوله تعالى (هل لكم) الخ تصوير للمثل أى هل لكم (مما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (من شركاء فيما

رزقناكم) من الأموال وما يجرى مجراها مما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية
والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفى المستفاد من الاستفهام فقوله تعالى (فأنتم
فيه سواء) تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركائهم متساوين فى التصرف فيما
ذكر من غير مزية لهم عليها على أن هناك محذوفا معطوفا على أنتم لا أنه عام للفريقين
بطريق التغليب أى هل ترضون لانفسكم والحال أن عبيدكم أمثالكم فى البشرية وأحكامها أن
يشاركوكم فيما رزقناكم وهو مستعار لكم فأنتم وهم فيه سواء شرعا يتصرفون فيه كتصرفكم
من غير فرق بينكم وبينهم (تخافونهم) خبر آخر لانتم أو حال من ضمير الفاعل فى
سواء أى تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم (كخيفتكم أنفسكم) أى
خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفى مضمون
مافصل من الجملة الاستفهامية أى لاترضون بأن يشارككم فيما هو معار لكم مماليككم
وهم أمثالكم فى البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه
فى المعبودية التى هى من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه
بأيديكم ثم تعبدونه (كذلك) أى مثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات)
أى نبينها ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فان التمثيل تصوير للمعانى المعقولة بصورة
المحسوس وابراز لأوابد المدركات على هيئة المأنوس فيكون فى غاية الايضاح
والبيان (لقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم فى تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع
عموم تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها (بل اتبع الذين ظلموا) اعراض عن
مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات
الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات
المفصلة بل اتبعوا (أهواءهم) الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بأنهم فى ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشىء فى غير موضعه أو ظالمون لانفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد (بغير علم) أى جاهلين ببطلان ما أتوا مكبين عليه لا يلويهم
عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه ببطلانه (فمن يهدى من أضل
الله) أى خلق فيه الضلال بصرف اختياره الى كسبه أى لا يقدر على هدايته أحد
(وما لهم) أى لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى (من ناصرين) يخلصونهم من
الضلال ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على
ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع (فأقم وجهك للدين) تمثيل لاقباله على الدين واستقامته
وثباته عليه واهتمامه بترتيب أسبابه فان من اهتم بشىء محسوس بالبصر عقد عليه

طرفه ويمدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه أى فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى (حنيفا) حال من المأمور أو من الدين (فطرت الله) الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء أى الزموا أو عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين والافراد فى أقم لما أن الرسول عليه الصلاة والسلام امام الامة فأمره عليه السلام مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين. وقيل على المصدر أى فطر الله فطرة وقوله تعالى (التى فطر الناس عليها) صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خالق الله الناس على فطرته التى هى عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه أو عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختار وا عليها دينا آخر ومن غوى منهم فبأغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن رب العزة «كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وأمروهم أن يشركوا بى غيرى» وقوله عليه الصلاة والسلام «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى (لا تبديل لخلق الله) تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب الامتثال به أى لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأسا ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمكن من إدراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة فى كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان (ذلك) إشارة إلى الدين المأمور باقامة الوجه له أو إلى لزوم فطرة الله المستفاد من الأغراء أو إلى الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر (الدين القيم) المستوى الذى لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيصدون عنه صدودا (منيبين اليه) حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله أو فى أقم لعمومه للامة حسبما أشير اليه وما بينهما اعتراض أى راجعين اليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى (واتقوه) أى من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى (وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف أهوائهم

وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء إلى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرىء فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وكانوا شيعاً) أى فرقا تشايع كل منها إمامها الذى أضلها (كل حزب بما لديهم) من الدين المعوج المؤسس على الرأى الزائغ والزعم الباطل (فرحون) مسرورون ظنا منهم أنه حق وأنى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز أن يكون فرحون صفة لكل على أن الخبر هو الظرف المقدم أعنى من الذين فرقوا ولا يخفى بعده (وإذا مس الناس ضر) أى شدة (دعوا ربهم منيبين إليه) راجعين إليه من دعاء غيره (ثم إذا أذاقهم منه رحمة) خلاصاً من تلك الشدة (إذا فريق منهم بربهم) الذى كانوا دعوه منيبين إليه (يشركون) أى فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما فى قوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد أى مقيم على الطريق القصد أو متوسط فى الكفر لانزجاره فى الجملة (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للأمر التهديدى كقوله تعالى (فتمتعوا) غير أنه التفت فيه للمبالغة وقرىء وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عاقبة تمتعكم وقرىء بالياء على أن تمتعوا ماض والالتفات إلى الغيبة فى قوله تعالى (أم أنزلنا عليهم) للايذان بالاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة (سلطانا) أى حجة واضحة وقيل ذا سلطان أى ملكا معه برهان (فهو يتكلم) تكلم دلالة كما فى قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق أو تكلم نطق (بما كانوا به يشركون) باشراكهم به تعالى أو بالأمر الذى بسببه يشركون (وإذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من صحة وسعة (فرحوا بها) بطرا وأشرا لا حمدا وشكرا (وإن تصبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) بشؤم معاصيهم (إذا هم يقنطون) فاجؤا القنوط من رحمته تعالى وقرىء بكسر النون (أو لم يروا) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة (فآت ذا القربى حقه) من الصلة والصدقة وسائر المبرات (والمسكين وابن السبيل) ما يستحقانه والخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام أو لمن بسط له كما تؤذن به الفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته أو جهته أى يقصدون بمعروفهم إياه تعالى خالصا أو جهة التقرب إليه لا جهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم (وما آتيتم من ربا) زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرىء أتيتم بالقصر

أى غشيتموه أو رهقتموه من اعطاء ربا (ليربو فى أموال الناس) ليزيد و يزكو فى أموالهم (فلا يربو عند الله) اى لا يبارك فيه وقرىء لتربوا أى لتزيدوا أو لتصيروا ذوى ربا (وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله) أى تبتغون به وجهه تعالى خالصا (فأولئك هم المضعفون) أى ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم بالبركة وقرىء بفتح العين. وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء) أثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها رأسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على مادل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد جوز أن يكون الموصوف صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من أفعاله ومن الأولى والثانية تفيد ان شيوع الحكم فى جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها مستقلة بالتأكيد وقرىء تشركون بصيغة الخطاب (ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور (بما كسبت أيدى الناس) بشؤم معاصيهم أو بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قابيل أخاه هابيل وفى البحر بأن جلندى كان يأخذ كل سفينة غصبا (ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى بعض جزائه فان تمامه فى الآخرة واللام للعلة أو للعاقبة وقرىء لنذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما كانوا عليه (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) ليشاهدوا آثارهم (كان أكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لفشو الشرك فيما بينهم أو كان الشرك فى أكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم (فأقم وجهك للدين القيم) أى البليغ الاستقامة (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له) لايقدر أحد على رده (من الله) متعلق بيأتى أو بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) أصله يتصدعون أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره وهو النار المؤبدة (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أى يسوون منزلا فى الجنة. وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) متعلق بيصدعون

وقيل يمهدون أى يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما بحسب أعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات أبرز ذلك فى معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما أن الاثابة بطريق التفضل لا الوجوب وأشير الى جزاء الفريق الاخر بقوله تعالى (انه لا يحب الكافرين) فان عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة (ومن آياته أن يرسل الرياح) أى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرىء الريح على ارادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم بها وليذيقكم أو بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لامر اخر لا تعلق له بمنافعكم (ولتجرى الفلك) بسوقها (بأمره ولتبتغوا من فضله) بتجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم) كما أرسلناك الى قومك (فجاؤهم بالبينات) أى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء فى قوله تعالى (فانتقمنا من الذين أجرموا) فصيحة أى فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفى قوله تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم واشعار بأن الانتقام من الكفرة لأجلهم وقد يوقف على حقا على أنه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ما سبق وما لحق من أحوال الرياح وأحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك الامم من الانتقام (الله الذى يرسل الرياح) استئناف مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح (فتثير سحابا فيبسطه) متصلا تارة (فى السماء) فى جوها (كيف يشاء) سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك (ويجعله كسفا) تارة أخرى (أى قطعا وقرىء بسكون السين على أنه مخفف جمع كسفة أو مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) فى التارتين (فاذا أصاب به من يشاء من عباده) أى بلادهم وأراضيهم (اذا هم يستبشرون) فاجؤا الاستبشار بمجىء الخصب (وان كانوا) ان مخففة من ان وضمير الشأن الذى هو اسمها

محذوف أى وأن الشأن كانوا (من قبل أن ينزل عليهم) أى المطر (من قبله) تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح وأقرب من ذلك أن يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل لتفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية (لمبلسين) خبر كانوا واللام فارقة أى آيسين (فانظر الى آثار رحمة الله) المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وأنواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرىء أثر بالتوحيد وقوله تعالى (كيف يحيى) أى الله تعالى (الارض بعد موتها) فى حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر أى فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وأياما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من أمر البعث وقرىء تحيى بالتأنيث على الاسناد الى ضمير الرحمة (ان ذلك) العظيم الشأن الذى ذكر بعض شؤونه (لمحيى الموتى) لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان فى مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية أو لمحييهم البتة وقوله تعالى (وهو على كل شىء قدير) تذييل مقرر لمضمون ماقبله أى مبالغ فى القدرة على جميع الاشياء التى من جملتها احياؤهم لما أن نسبة قدرته الى الكل سواء (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه) أى الاثر المدلول عليه بالآثار أو النبات المعبر عنه بالآثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير (مصفرا) بعد خضرته وقد جوز أن يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده واللام فى لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى فرأوه فصيحة واللام فى قوله تعالى (لظلوا) لام جواب القسم الساد مسد الجوابين أى والله لئن أرسلنا ريحا حارة أو باردة فضربت زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا ليظلن (من بعده يكفرون) من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعد تثبيتهم وسرعة تزلزلهم بين طرفى الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى فى كل حال ويلجأوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا أصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار وأن يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وأبوا ما يجديهم وأتوا بما يرديهم (فانك لا تسمع الموتى) لما أنهم مثلهم لانسداد مشاعرهم

عن الحق (ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتى السوء نبو أسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من أوضاعه وحركاته لشىء من كلامه وان لم يسمعه أصلا وأما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) سموا عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار أو لعمى قلوبهم وقرئ تهدى العمى (إن تسمع) أى ما تسمع (الا من يؤمن بآياتنا) فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول أو الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا (فهم مسلمون) منقادون لما تأمرهم به من الحق (الله الذى خلقكم من ضعف) مبتدأ وخبر أى ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى «وخلق الانسان ضعيفا» أى خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق الروح بأبدانكم (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) اذا أخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد فى الكل وهو أقوى لقول ابن عمر رضى الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرأنى من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر (يخلق ما يشاء) من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة (وهو العليم القدير) المبالغ فى العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) أى القيامة سميت بها لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة (يقسم المجرمون ما لبثوا) أى فى القبور أو فى الدنيا والاول هو الاظهر لأن لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتى وليس لبثهم فى الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفى الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل الساعة والايام والاعوام وقيل لا يعلم أهى أربعون سنة أو أربعون ألف سنة (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم نسيانا أو كذبا أو تخمينا (كذلك كانوا يؤفكون) مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون فى الدنيا عن الحق والصدق (وقال الذين أوتوا العلم والايمان) فى الدنيا من الملائكة والانس (لقد لبثتم فى كتاب الله) فى علمه أو قضائه وما كتبه وعينه أو فى اللوح أو القرآن وهو قوله تعالى «ومن ورائهم برزخ» (الى يوم البعث) ردوا بذلك ما قالوه وأيدوه باليمين كأنهم من فرط حيرتهم لم يعلموا أن ذلك هو البعث

الموعود الذى كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون أنه يكون بعد فناء الخلق كافة و يقدرون لذلك زمانا مديداً وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم على أنهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها و ينكرونها و يكتوهم بالاخبار بوقوعها حيث قالوا (فهذا يوم البعث) الذى كنتم توعدون فى الدنيا (ولكنكم كنتم لاتعلمون) أنه حق فتستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما فى قول من قال:

قالوا خراسان أقصى ما يرادبنا ،، ثم القفول فقد جئنا خراسانا

(فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم) أى عذرهم وقرىء تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وأن توسط بينهما فاصل (ولاهم يستعتبون) لايدعون الى مايقتضى اعتابهم أى ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه فى الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فأعتبته أى استرضانى فأرضيته (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها فى غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم ومايقولون ومايقال لهم و يفعل بهم من رد اعتذارهم (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن الناطقة بامثال ذلك (ليقولن الذين كفروا) لفرط عتوهم و عنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (ان أنتم الا مبطلون) أى مزورون (كذلك) مثل ذلك الطبع الفظيع (يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) لايطلبون العلم ولايتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق و يوجب تكذيب المحق (فاصبر) على ماتشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة (إن وعد الله حق) وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولابد من انجازه والوفاء به لامحالة (ولايستخفنك) لايحملنك على الخفة والقلق (الذين لايوقنون) بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التى من جملتها قولهم ان أنتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولايستبدع منهم أمثال ذلك وقرىء بالنون الخفيفة وقرىء ولايستحقنك من الاستحقاق أى لايفتننك فيملكوك و يكونوا أحق بك من المؤمنين وأياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه فى الحقيقة نهى له عليه السلام عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما فى قوله تعالى ،، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا ،، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله تعالى بين السماء والارض وأدرك ماضيع فى يومه وليلته

(سورة لقمان مكية)

وقيل الا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فان وجوبهما بالمدينة وهو ضعيف لانه ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا من قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام

(وهى أربع أو ثلاث وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تلك آيات الكتاب) سلف بيانه فى نظائره (الحكيم) أى ذى الحكمة لاشتماله عليها أو هو وصف له بنعته تعالى أو أصله الحكيم منزله أو قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن فى الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا أعقدت اللبن فهو عقيد أى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل (هدى ورحمة) بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئا بالرفع على انهما خبران آخران لاسم الاشارة أو لمبتدأ محذوف (للمحسنين) أى العاملين للحسنات فان أريد بها مشاهيرها المعهودة فى الدين فقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لما عملوه من الحسنات على طريقة قوله :

الألمعى الذى يظن بك الظن ۞ كأن قد رأى وقد سمعا

وان أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطرى العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال فى مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه (ومن الناس) محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف ومن فى قوله تعالى (من يشترى لهو الحديث) موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذى يشترى أو فريق يشترى على أن مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما فى حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين كما مر فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآيات ولهو الحديث ما يلهى عما يعنى من المهمات كالأحاديث التى لا أصل

لها والاساطير التى لا اعتداد بها والمضاحك وسائر مالا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى من التبيينية ان أريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية ان أريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الآية فى النضر بن الحرث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد عليه الصلاة والسلام يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الاسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) أى دينه الحق الموصل اليه تعالى أو عن قراءة كتابه الهادى اليه تعالى وقرىء ليضل بفتح الياء أى ليثبت ويستمر على ضلاله أو ليزداد فيه (بغير علم) أى بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض (ويتخذها) بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام أو القرآن أى ويتخذها (هزوا) مهزوا به وقرىء ويتخذها بالرفع عطفا على يشترى وقوله تعالى (أولئك) اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الشرارة أى أولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للاضلال (لهم عذاب مهين) لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه (واذا تتلى عليه) أى على المشترى أفرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الاول باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها (آياتنا) التى هى آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين (ولى) أعرض عنها غير معتد بها (مستكبرا) مبالغا فى التكبر (كأن لم يسمعها) حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبرا والاصل كأنه فحذف ضمير الشأن وخففت المثقلة أى مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز الى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال:

كأنك لم تجزع على ابن طريف (كأن فى أذنيه وقرا) حال من ضمير لم يسمعها أى مشبها حاله حال من فى أذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز أن يكونا استئنافين وقرىء فى أذنيه بسكون الذال (فبشره بعذاب أليم) أى فأعلمه بان العذاب المفرط فى الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى اثر بيان حال الكافرين بها أى الذين آمنوا بآياته تعالى وعملوا بموجبها (لهم) بمقابلة ما ذكر من ايمانهم وأعمالهم (جنات النعيم) أى نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر ان والاحسن ان يجعل

لهم هو الخبر لأن وجنات النعيم مرتفعاً به على الفاعلية وقوله تعالى (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم أو من جنات النعيم لاشتماله على ضميريهما والعامل ما تعلق به اللام (وعد الله حقا) مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لان قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد بالوعد وأما حقاً فدل على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعاً لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لايغلبه شيء ليمنعه من انجاز وعده أو تحقيق وعيده (الحكيم) الذي لايفعل الا ماتقتضيه الحكمة والمصلحة (خلق السموات بغير عمد) الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وابطال أمر الاشراك وتبكيت أهله والعمد جمع عماد كأهب جمع أهاب وهو مايعمد به أي يسند يقال عمدت الحائط إذا دعمته أي بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى (ترونها) استئناف جيء به للاستشهاد على ماذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أي خلقها بغير عمد مرئية على أن التقييد للرمز إلى أنه تعالى عمدها بعمد لاترونها هي عمد القدرة (وألقى في الارض رواسي) بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السماوات أي ألقى فيها جبالا ثوابت وقد مر مافيه من الكلام في سورة الرعد (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم فان بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص (وبث فيها من كل دابة) من كل نوع من أنواعها (وأنزلنا من السماء ماء) هو المطر (فأنبتنا فيها) بسبب ذلك الماء (من كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بأمرهما (هذا) أي ماذكر من السموات والارض وماتعلق بهما من الامور المعدودة (خلق الله) أي مخلوقه (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأروني متعلق به وقوله تعالى (بل الظالمون في ضلال مبين) إضراب عن تبكيتهم بما ذكر إلى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة أن يفهموا منها شيئاً فيهتدوا به إلى العلم ببطلان ما هم عليه أو يتأثروا من الالزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على أنهم باشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحدود وظالمون لأنفسهم

تعريضاً للعذاب الخالد (ولقد آتينا لقمان الحكمة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه السلام أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود عليه السلام شهوراً وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيماً وأن داود عليه السلام قال له يوماً كيف أصبحت فقال أصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتي بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضاً فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا ومعنى (أن اشكر لله) أي اشكر له تعالى على أن أن مفسرة فإن إيتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى (ومن يشكر) الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالأمر أي ومن يشكر له تعالى (فإنما يشكر لنفسه) لأن منفعته التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها (ومن كفر فإن الله غني) عن كل شيء فلا يحتاج إلى الشكر ليتضرر بكفر من كفر (حميد) حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكوراً لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فإثباته له تعالى إثبات للشكر له قطعاً (وإذ قال لقمان لابنه) أنعم وقيل أشكم وقيل ماثان (وهو يعظه يا بني) تصغير إشفاق وقرئ يا بني بإسكان الياء وبكسرها (لا تشرك بالله) قيل كان ابنه كافراً فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسماً (إن الشرك لظلم عظيم) تعليل للنهي أو للانتهاء عن الشرك (ووصينا الإنسان بوالديه) الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى (حملته أمه) إلى قوله في عامين اعتراض بين المفسَّر والمفسِّر وقوله تعالى (وهناً) حال من أمه أي ذات وهن أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أي تهن وهناً وقوله تعالى (على وهن) صفة للمصدر أي كائناً على وهن أي تضعف ضعفاً فوق ضعف فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهَناً على وهَن بالتحريك يقال وهن يهن وهناً ووهن

يوهن وهنا (وفصاله في عامين) أي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند أبي حنيفة رحمهما الله تعالى هي ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله (أن اشكر لي ولوالديك) تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من أبر أمك ثم أمك ثم أمك ثم قال بعد ذلك ثم أباك (إلي المصير) تعليل لوجوب الامتثال أي إلي الرجوع لا إلى غيري فأجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به) أي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة (علم فلا تطعهما) في ذلك (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروءة (واتبع سبيل من أناب إلي) بالتوحيد والإخلاص في الطاعة (ثم إلي مرجعكم) أي مرجعك ومرجعهما ومرجع من أناب إلي (فأنبئكم) عند رجوعكم (بما كنتم تعملون) بأن أجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى (يا بني) الخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمان إثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيده بالاعتراض (إنها إن تك مثقال حبة من خردل) أي إن الخصلة من الإساءة أو الإحسان إن تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على أن الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لإضافة المثقال إلى الحبة كما في قول من قال كما شرقت صدر القناة من الدم أو لأن المراد به الحسنة أو السيئة (فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض) أي فتكن مع كونها في أقصى غايات الصغر والقماءة في أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت في العالم العلوي أو السفلي (يأت بها الله) أي يحضرها ويحاسب عليها (إن الله لطيف) يصل علمه إلى كل خفي (خبير) بكنهه وبعد ما أمره بالتوحيد الذي هو أول ما يجب على الإنسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علمه تعالى وقدرته أمره بالصلاة التي هي أكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له (يا بني أقم الصلاة) تكميلا لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر) تكميلا لغيرك (واصبر على ما أصابك) من الشدائد والمحن لا سيما فيما أمرت به (إن ذلك) إشارة إلى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته في الفضل (من عزم الأمور) أي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الأمور لمزيد مزيتها مصدر أطلق على المفعول وقد يجوز أن يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فإذا عزم الأمر أي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الأمر والنهي وإيذان بأن ما بعدها ليس كذلك (ولا تصعر خدك

للناس) أي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه وأعلاه (ولا تمش في الارض مرحا) أي فرحا مصدر وقع موقع الحال أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أي تمرح مرحا أو لأجل المرح والبطر (إن الله لا يحب كل مختال فخور) تعليل للنهي أو موجبه وتأخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل (واقصد في مشيك) بعد الاجتناب عن المرح فيه أي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن» وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى أسرع فالمراد به مافوق دبيب المتماوت. وقرئ بقطع الهمزة من أقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية (واغضض من صوتك) وانقص منه واقصر (إن أنكر الاصوات) أي أوحشها (لصوت الحمير) تعليل للامر على أبلغ وجه وآكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير عنه. وافراد الصوت مع إضافته الى الجمع لما أن المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الاجناس وقوله تعالى (ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الارض) رجوع الى سنن ماسلف قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ماهم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة مافي الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان أولا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع مافي السموات من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا أو معادا وأما جعله منقادا للامر مذللا على أن معنى لكم لأجلكم فان جميع مافي السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ أصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنت الغين أو الخاء أو القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمة (ومن الناس من يجادل في الله) في توحيده وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا

هدى) من جهة الرسول عليه الصلاة والسلام (ولا كتاب منير) أنزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد (وإذا قيل لهم) أى لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى (اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) يريدون به عبادة الأصنام (أو لو كان الشيطان يدعوهم) أى آباءهم لا أنفسهم كما قيل فإن مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون أنفسهم كذلك أى أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك (إلى عذاب السعير) فهم متوجهون إليه حسب دعوته والجملة فى حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى « أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » من سورة البقرة بما لا مزيد عليه (ومن يسلم وجهه إلى الله) بأن فوض إليه جميع أموره وأقبل عليه بكليته وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد (وهو محسن) أى فى أعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتى والوصفى وقد مر فى آخر سورة النحل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد أن يترقى إلى شاهق جبل فتمسك بأوثق عرى الحبل المتدلى منه (وإلى الله) لا إلى أحد غيره (عاقبة الأمور) فيجازيه أحسن الجزاء (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فإنه لا يضرك فى الدنيا ولا فى الآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاى وليس بمستفيض (إلينا مرجعهم) لا إلى غيرنا (فننبئهم بما عملوا) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بالعذاب والعقاب والجمع فى الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الإفراد فى الأول باعتبار لفظها (إن الله عليم بذات الصدور) تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب (نمتعهم قليلا) تمتيعا أو زمانا قليلا فإن ما يزول وإن كان بعد أمد طويل بالنسبة إلى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ أو يضم إلى الإحراق الضغط والتضييق (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لغاية وضوح الأمر بحيث اضطروا إلى الاعتراف به (قل الحمد لله) على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضا (بل أكثرهم لا يعلمون) أن ذلك يلزمهم فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون أن ذلك يلزمهم (لله ما فى السموات والأرض) فلا يستحق العبادة فيهما غيره (إن الله هو الغنى) عن العالمين (الحميد) المستحق للحمد وإن لم يحمده أحد أو المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) أى لو أن الأشجار أقلام وتوحيد الشجرة لما أن المراد تفصيل

الاتحاد (و البحر يمده من بعده) أى من بعد نفاده (سبعة أبحر) أى والحال أن البحر المحيط بسعته تمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع أبدا و كتبت بتلك الاقلام و بذلك المداد كلمات الله (ما نفدت كلمات الله) ونفدت تلك الاقلام و المداد كما فى قوله تعالى «لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى» وقرىء يمده من الامداد بالياء والتاء و اسناد المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لأنها هى المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها ينصب الى البحر المحيط ثانيا و ايثار جمع القلة فى الكلمات للايذان بأن ما ذكر لا يفى بالقليل منها فكيف بالكثير (ان الله عزيز) لا يعجزه شىء (حكيم) لا يخرج عن علمه وحكمته أمر فلا تنفد كلماته المؤسسة عليهما (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أى الا كخلقها و بعثها فى سهولة التأتى اذ لا يشغله شأن عن شأن لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى «انما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون» (ان الله سميع) يسمع كل مسموع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق و البعث (ألم تر) قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه و سلم و قيل عام لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق و ما لحق أى ألم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية (أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى يدخل كل واحد منهما فى الآخر و يضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج و الاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج أحد الملوين فى الآخر متجدد فى كل حين واما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه و لا تجدد و انما التعدد و التجدد فى آثاره وقد أشير الى ذلك حيث قيل (كل يجرى) أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا (الى أجل مسمى) قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه الصلاة والسلام يجوز أن يكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى يوم القيامة من جملة ما فى حيز رؤيته عليه الصلاة والسلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما فى فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج أحد الملوين فى الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت

الرأس تزداد القوس التى هى فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا بانضمام بعض أجزاء الليل اليه الى أن يبلغ المدار الذى هو أقرب المدارات الى سمت الرأس وذلك عند بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسى التى هى فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض أجزائه الى الليل الى أن يبلغ المدار الذى هو أبعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى (وأن الله بما تعملون خبير) عطف على أن الله يولج الخ داخل معه فى حيز الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير الفائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل أعماله ودقائقها (ذلك) اشارة الى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأن الله هو الحق) أى بسبب بيان أنه تعالى هو الحق إلهيته فقط ولأجل كونها ناطقة بحقية التوحيد (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أى ولأجل بيان بطلان إلهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها بذلك [illegible] والتصريح بذلك مع أن الدلالة على اختصاص حقية الالهية به تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان إلهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد وللايذان بأن الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال أيضا (وأن الله هو العلى الكبير) أى ولبيان أنه تعالى المترفع عن كل شىء المتسلط عليه فان ما فى تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى أى بيان . هذا وقيل ذلك أى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارى تعالى بها بسبب أنه الثابت فى ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت إلهيته [illegible] من الاحكام المعدودة لكن بطلان ألوهية الاصنام لا دخل له فى العلة [illegible] فلا مساغ لانتظامه فى سلك الاسباب بل هو منعكس للأمر ضرورة أن الاحكام المذكورة هى المقتضية لبطلانها لا أن بطلانها مقتضيها (ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله) باحسانه فى تهيئة أسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه . والباء اما متعلقة بتجرى أو بمحذوف هو حال من فاعله أى ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله بسكون عين نعمات تجوز فيه الكسر والفتح والسكون (ليريكم من آياته) أى بعض دلائل وحدانيته وعلمه وقدرته وقوله تعالى (ان فى ذلك لآيات

لكل صبار شكور) تعليل لما قبله أي ان فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في
عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والآفاق
و يبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن (واذا غشيهم)
أي علاهم واحاط بهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرىء
كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ما ينازع الفطرة
من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد (فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد) أي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد أو متوسط في الكفر
لانزجاره في الجملة (وما يجحد بآياتنا الا كل ختار) غدار فانه نقض للعهد
الفطري أو رفض لما كان في البحر والختر أشد الغدر وأقبحه (كفور) مبالغ في
كفران نعم الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده)
أي لا يقضي عنه وقرىء لا يجزي من أجزأ اذا أغنى والعائد الى الموصوف محذوف أي
لا يجزي فيه (ولا مولود) عطف على والد أو هو مبتدأ خبره (هو جاز عن والده
شيئا) وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزي وقطع طمع من توقع من
المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة (ان وعد الله) بالثواب والعقاب (حق)
لا يمكن اخلافه أصلا (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أي الشيطان
المبالغ في الغرور بأن يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة (ان الله
عنده علم الساعة) علم وقت قيامها لما روي ان الحرث بن عمرو أتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد ألقيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل
امرأتي ذكر أم أنثى وما أعمل غدا وأين أموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح
الغيب خمس وتلا هذه الآية (وينزل الغيث) في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه
في علمه وقرىء ينزل من الانزال (ويعلم ما في الارحام) من ذكر أو أنثى تام أو ناقص
(وما تدري نفس) من النفوس (ماذا تكسب غدا) من خير أو شر وربما تعزم
على شيء منهما فتفعل خلافه (وما تدري نفس بأي أرض تموت) كما لا تدري في أي
وقت تموت . روي أن ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر الى رجل
من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر
الريح ان تحملني وتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام
نظري اليه تعجبا منه حيث كنت أمرت بان أقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم
الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بأنه إن أعمل حيله وبذل في التعرف وسعه لم

يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرىء بأية أرض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن (ان الله عليم) مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشياء التي من جملتها ماذكر (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيامة وأعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

(سورة السجدة مكية)

وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

(الم) إما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف أي هذا مسمى بالم والاشارة اليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الاول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا محذوف أي المؤلف من جنس ماذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم أي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى (لاريب فيه) خبر ثالث على الوجه الاول وثان على الأخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى (من رب العالمين) متعلق بمضمر هو حال من الضمير المجرور أي كائنا منه تعالى لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر . والاوجه حينئذ أنه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض والضمير في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لاريب في ذلك أي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى (أم يقولون افتراه) فان قولهم هذا انكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد أن يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وأبطل حيث جيء بأم المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم أضرب عنه الى بيان حقية ما أنكروه حيث قيل (بل هو الحق من ربك) باضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام بعد اضافته فيما سبق الى العالمين تشريفا له عليه الصلاة والسلام ثم أيد ذلك ببيان غايته حيث قيل (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) فان بيان غاية الشيء وحكمته لاسيما عند كونها غاية حميدة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده لا محالة ولقد كانت قريش أضل الناس وأحوجهم

إلى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله عليه الصلاة والسلام أى ما أتاهم من نذير من قبل انذارك أو من قبل زمانك والترجى معتبر من جهته عليه الصلاة والسلام أى لتنذرهم راجياً لاهتدائهم أو لرجاء اهتدائهم واعلم أن ماذكر من التأييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ وأما على سائر الوجوه فلا تأييد أصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر رابع على الوجه الأول وخبر ثالث على الوجهين الأخيرين وأيا ما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد لحكم آخر فتدبر (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش) مر بيانه فيما سلف (مالكم من دونه من ولى ولا شفيع) أى مالكم اذا جاوزتم رضاه تعالى أحد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه أى مالكم سواه ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن النصر على أن الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير (أفلا تتذكرون) أى ألا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها أو أتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الأول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثانى على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) قيل يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة آثارها وأحكامها إلى الأرض (ثم يعرج اليه) أى يثبت فى علمه موجودا بالفعل (فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أى فى برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر أمر الحوادث اليومية باثباتها فى اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم تعرج اليه فى زمان هو كألف سنة مما تعدون فان مابين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف لألف آخر وقيل يدبر أمر الدنيا جميعا إلى قيام الساعة ثم يعرج اليه الأمر كله عند قيامها وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء إلى الأرض بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصاً إلا فى مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخالص وأنت خبير بأن قلة الاعمال الخالصة لاتقتضى بطء عروجها إلى السماء بل قلته وقرىء يعدون بالياء (ذلك) اشارة إلى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير أمر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده أى ذلك العظيم الشأن (عالم الغيب والشهادة) فيدبر أمرهما حسبما تقتضيه

الحكمة (العزيز) الغالب على أمره (الرحيم) على عباده وهما خبران آخران وفيه ايماء إلى أنه تعالى متفضل فى جميع ما ذكر فاعل بالاحسان (الذى أحسن كل شىء خلقه) خبر آخر أو نصب على المدح أى حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة وأوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن أى يحسن معرفته أى يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وايقان. وقرئ خلقه على أنه بدل اشتمال من كل شىء والضمير للمبدل منه أى أحسن خلق كل شىء وقيل بدل الكل على أن الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق أى حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى أعطى أى أعطى كل شىء خلقه اللائق به بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شىء مفعوله الثانى والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى ألهم خلقه كل شىء مما يحتاجون اليه وقال أبو البقاء عرف مخلوقاته كل شىء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى (وبدأ خلق الانسان) من بين جميع المخلوقات (من طين) على وجه بديع تحار العقول فى فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما يلوح به قوله تعالى (ثم جعل نسله) الخ أى ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه (من سلالة من ماء مهين) هو المنى الممتهن (ثم سواه) أى عدله بتكميل أعضائه فى الرحم وتصويرها على ما ينبغى (ونفخ فيه من روحه) أضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بأنه خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأنا له مناسبة إلى حضرة الربوبية وأن أقصى ما تنتهى اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذى يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى وأخرى بالنسبة الى أمره تعالى كما فى قوله تعالى قل الروح من أمر ربى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) الجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم أى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها فى أنفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبأبصاركم الآيات التكوينية

الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيتهما وقوله تعالى (قليلا ماتشكرون) بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على أن القلة بمعنى النفى كما ينبىء عنه مابعده أى شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وفى حكاية أحوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبىء عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة مالا غاية وراءه (وقالوا) كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بأن ماذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة (أئذا ضللنا فى الأرض) أى صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لانتميز منه أو غبنا فيها بالدفن وقرىء ضللنا بكسر اللام من باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا أنتن وقيل من الصلة وهى الارض أى صرنا من جنس الصلة قيل القائل أبى بن خلف ولرضاهم بقوله أسند القول الى الكل والعامل فى اذا مايدل عليه قوله تعالى (أئنا لفى خلق جديد) وهو نبعث أو نجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتأكيده وقرىء إنا على الخبر وأياما كان فالمعنى على تأكيد الانكار لا انكار التأكيد كما هو المتبادر من تقدم الهمزة على أن فاءها مؤخرة عنها فى الاعتبار وإنما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة (بل هم بلقاء ربهم كافرون) اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ماهو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة ومايلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا (قل) بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل (يتوفاكم ملك الموت) لا كما تزعمون أن الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة أى يقبض أرواحكم بحيث لايدع فيكم شيئا أو لايترك منكم أحدا على أشد مايكون من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوهكم وأدباركم (الذى وكل بكم) أى بقبض أرواحكم واحصاء آجالكم (ثم الى ربكم ترجعون) بالبعث للحساب والجزاء (ولو ترى اذ المجرمون) وهم القائلون أئذا ضللنا فى الأرض الآية أو جنس المجرمين وهم من جملتهم (ناكسو رؤسهم عند ربهم) من الحياء والخزى عند ظهور قبائحهم التى اقترفوها فى الدنيا (ربنا) أى يقولون ربنا (أبصرنا وسمعنا) أى صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عميا وصما لاندرك شيئا (فارجعنا) الى الدنيا (نعمل) عملا (صالحا) حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى (إنا موقنون) ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معانى الآيات والعمل بموجبها كما أن ماقبله ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا

وكنا من قبل لا نعقل شيئاً أصلا وانما عدلوا فى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعا فى الاجابة الى ما سألوه من الرجعة وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصى على صورة منكرة هائلة وتخبرهم الملائكة بأن مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى أبصرنا قبح أعمالنا وكنا نراها فى الدنيا حسنة وسمعنا أن مردنا الى النار وهو الانسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك . وأنت خبير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون باظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالاخبار بأنهم صادقون حتى يسمعوه وقيل وسمعنا قول الرسل أى سمعناه سمع طاعة واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو تكون منك رؤية فى ذلك الوقت أو يقدر ما ينبىء عنه صلة اذ . والمضى فيها وفى لو باعتبار أن الثابت فى علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا فظيعا لا يقادر قدره . والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائنا من كان اذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة الى حيث لا تختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة والدواهى الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد الى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها ألبتة فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل فى هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه مسوق مساق المسلمات فتدبر (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى . ربنا أبصرنا الخ أى ونقول لو شئنا أى لو تعلقت مشيئتنا تعلقا فعليا بان نعطى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدى به الى الايمان والعمل الصالح لأعطيناها اياه فى الدنيا التى هى دار الكسب وما أخرناه الى دار الجزاء (ولكن حق القول منى) أى سبقت كلمتى حيث قلت لابليس عند قوله لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق اقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع ابليس الذين أنتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغى باغوائه ومشيئتنا لافعال العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة

لم نشأ اعطاءه لكم وانما أعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتى من قوله تعالى «انما يؤمن بآياتنا» الآية فيكون مناط عدم مشيئة اعطاء الهدى فى الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلى بأفعال العباد عند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم اجمالا متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطه علمه تعالى أزلا بصرف اختيارهم فيما سيأتى الى الغى وايثارهم له على الهدى فلو أريدت هى من تلك الحيثية لاستدرك بعدمها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى «ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم» فمن توهم أن المعنى ولو شئنا لأعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذى لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وايثاره فقد اشتبه عليه الشئون والفاء فى قوله تعالى (فذوقوا) لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفى الرجع الى الدنيا أو على الوعيد المحكى والباء فى قوله تعالى (بما نسيتم لقاء يومكم هذا) للايذان بأن تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد أيضا بسبب موجب له من قبلهم كأنه قيل لا رجع لكم الى الدنيا أو حق وعيدى فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية (انا نسيناكم) أى تركناكم فى العذاب ترك المنسى بالمرة وقوله تعالى (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوى للذوق والاشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصى التى كانوا مستمرين عليها فى الدنيا وعدم نظم الكل فى سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها فى استيجاب العذاب وفى ابهام المذوق أولا وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستئناف المنبىء عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد فى الانتقام منهم مالا يخفى وقوله تعالى (انما يؤمن بآياتنا) استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايمانهم لو أوتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل انكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى «ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه» وانما يؤمن بها (الذين اذا ذكروا بها) أى وعظوا (خروا سجدا) اثر ذى أثير من غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى معاودة ما ذكروا به من الوعد والوعيد أى سقطوا على وجوههم (وسبحوا بحمد ربهم) أى ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من

الامور التى من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التى أجلها
الهداية بايتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات
مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد وبأنهم يفعلونهما بملاحظة
ربوبيته تعالى لهم (وهم لايستكبرون) أى والحال أنهم خاضعون له تعالى
لايستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد (تتجافى جنوبهم) أى
ترتفع وتتنحى (عن المضاجع) أى الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية
محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال أنس رضى الله عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا
نصلى المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلى العشاء مع النبى عليه الصلاة والسلام
وعن أنس أيضا رضى الله عنه انه قال نزلت فى أناس من أصحاب النبى عليه الصلاة
والسلام كانوا يصلون من صلاة المغرب الى صلاة العشاء وهى صلاة الاوابين وهو
قول أبى حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال
عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر فى جماعة والمشهور أن المراد
منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعى وجماعة لقوله عليه
الصلاة والسلام أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد
الفريضة صلاة الليل وعن النبى عليه الصلاة والسلام فى تفسيرها قيام العبد من الليل
وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت
يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقم الذين
كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين
كانوا يحمدون الله فى السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة
ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى (يدعون ربهم) حال من ضمير جنوبهم أى
داعين له تعالى على الاستمرار (خوفا) من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته (وطمعا)
فى رحمته (ومما رزقناهم) من المال (ينفقون) فى وجوه البر والحسنات
(فلا تعلم نفس) من النفوس لاملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عمن عداهم
(ما أخفى لهم) أى لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة (من قرة أعين) مما
تقر به أعينهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل أعددت
لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتم
عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم وقرئ ما أخفى لهم وما نخفى
لهم وما أخفيت لهم على صيغة المتكلم وما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه

وقرئ قرات أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية علق عنها الفعل (جزاء بما كانوا يعملون) أي جزوا جزاء أو أخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله تعالى ثوابهم (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) أي أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت أحواله (لا يستوون) التصريح به مع افادة الانكار لنفي المشابهة بالمرة على أبلغ وجه وآكده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر أحوالهما في الدنيا وأضيفت الجنة الى المأوى لانها المأوى الحقيقي وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنات وأياما كان فلا يبعد أن يكون فيه رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأواهم في الدنيا (نزلا) أي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية (بما كانوا يعملون) في الدنيا من الاعمال الصالحة أو بأعمالهم (وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن الطاعة (فمأواهم) أي ملجؤهم ومنزلهم (النار) مكان جنات المأوى للمؤمنين (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى انه يضربهم لهب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا وكلمة في للدلالة على أنهم مستقرون فيها وانما الاعادة من بعض طبقاتها الى بعض (وقيل لهم) تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به) أي بعذاب النار (تكذبون) على الاستمرار في الدنيا (ولنذيقنهم من العذاب الادنى) أي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر (دون العذاب الاكبر) الذي هو عذاب الآخرة (لعلهم) لعل الذين يشاهدونه وهم في الحياة (يرجعون) يتوبون عن الكفر روي أن الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها) بيان اجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة:

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة ... يرى غمرات الموت ثم يزورها

أي هو أظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي

المساوى وقدم مرارا (انا من المجرمين) أى من كل من اتصف بالاجرام وإن هانت
جريمته (منتقمون) فكيف ممن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرما من كل مجرم (ولقد
آتينا موسى الكتاب) أى التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين
الفرقان والتنبيه على أن إيتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كإيتائها لموسى عليه السلام
(فلا تكن فى مرية من لقائه) من لقائك الكتاب الذى هو الفرقان كقوله وإنك لتلقى
القرآن والمعنى انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه من الوحى مثل ما لقيناك من
الوحى فلا تكن فى شك من أنك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقائه موسى الكتاب
أو من لقائك موسى وعنه عليه الصلاة والسلام رأيت ليلة أسرى بى موسى
رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة (وجعلناه) أى الكتاب الذى آتيناه موسى
(هدى لبنى اسرائيل) قيل لم يتعبد بما فى التوراة ولد اسمعيل (وجعلنا منهم أئمة يهدون)
بقيتهم بما فى تضاعيف الكتاب من الحكم والأحكام إلى طريق الحق أو يهدونهم إلى
ما فيه من دين الله وشرائعه (بأمرنا) إياهم أو بتوفيقنا له (لما صبروا) وقرئ لما صبروا
وهى على الأول حينية أو للتعليل والضمير للأئمة وقرئ لما صبروا أى لصبرهم
أو هى ظرف بمعنى الحين أى جعلناهم أئمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات
ومقاساة الشدائد فى نصرة الدين أو صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا أى لصبرهم
(وكانوا بآياتنا) التى فى تضاعيف الكتاب (يوقنون) لإمعانهم فيها النظر والمعنى
كذلك لنجعلن الكتاب الذى آتيناكه هدى لأمتك ولنجعلن منهم أئمة يهدون مثل
تلك الهداية (ان ربك هو يفصل) أى يقضى (بينهم) قيل بين الأنبياء وأممهم وقيل
بين المؤمنين والمشركين (يوم القيامة) فيميز بين المحق والمبطل (فيما كانوا فيه يختلفون)
من أمور الدين (أولم يهد لهم) الهمزة للانكار والواو للعطف على منوى يقتضيه
المقام وفعل الهداية إما من قبيل فلان يعطى فى أن المراد إيقاع نفس الفعل بلا ملاحظة
المفعول وإما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى (كم أهلكنا)
أى أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم أو ولم يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا (من قبلهم
من القرون) مثل عاد وثمود وقوم لوط [illegible]
الفاعل على الأول [illegible]
[illegible] (يمشون فى مساكنهم) أى يمرون فى متاجرهم على ديارهم
وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم [illegible]
(ان فى ذلك) أى فيما ذكر من كثرة إهلاكنا الأمم الخالية [illegible]

(لآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى عددها (أفلا يسمعون) هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ (أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الأرض الجرز) أى التى جرز نباتها أى قطع وأزيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن (فنخرج به) من تلك الأرض (زرعاً تأكل منه) أى من ذلك الزرع (أنعامهم) كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرىء يأكل بالياء (وأنفسهم) كالحبوب التى يقتاتها الانسان والثمار (أفلا يبصرون) أى ألا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله (ويقولون) كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين أو يفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء (متى هذا الفتح) أى النصر أو الفصل بالحكومة (ان كنتم صادقين) فى أن الله تعالى ينصركم أو يفصل بيننا وبينكم (قل) تبكيتاً لهم وتحقيقاً للحق (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون) يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على أنه ليس مما ينبغى أن يسأل عنه لكونه أمراً بيناً غنيا عن الأخبار به وهذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج إلى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كأنه قيل لا تستعجلوا فكأنى بكم قد آمنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر وأما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما فى الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناساً آمنوا يوم بدر (فأعرض عنهم) ولا تبال بتكذيبهم (وانتظر) النصرة عليهم وهلاكهم (انهم منتظرون) قيل أى الغلبة عليكم كقوله تعالى « فتربصوا انا معكم متربصون » والاظهر أن يقال إنهم منتظرون هلاكهم كما فى قوله تعالى « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام » الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا انهم منتظرون فان استعجالهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصى فى حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة . وقرىء على صيغة المفعول على معنى أنهم أحقاء بان ينتظر هلاكهم وأن الملائكة ينتظرونه عن النبى عليه الصلاة والسلام « من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الاجر كأنما أحيا ليلة القدر » وعنه عليه الصلاة والسلام « من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام »

(سورة الاحزاب)

(مدنية وهي ثلاث وسبعون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها النبى اتق الله) فى ندائه عليه الصلاة و السلام بعنوان النبوة تنويه بشأنه و تنبيه على سمو مكانه و المراد بالتقوى المأمور به الثبات عليه و الازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لاينال مداه (و لا تطع الكافرين) أى المجاهرين بالكفر (و المنافقين) المضمرين له أى فيما يعود بوهن فى الدين و اعطاء دنية فيما بين المسلمين روى أن أبا سفيان ابن حرب وعكرمة بن أبى جهل و أبا الاعور السلمى قدموا عليه عليه الصلاة و السلام فى الموادعة التى كانت بينه عليه الصلاة و السلام و بينهم و قام معهم عبد الله بن أبى و معتب بن قشير و الجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم ارفض ذكر آلهتنا و قل انها تشفع و تنفع و ندعك و ربك فشق ذلك على النبى عليه الصلاة و السلام و المؤمنين و هموا بقتالهم فنزلت أى اتق الله فى نقض العهد و نبذ الموادعة و لا تساعد الكافرين من أهل مكة و المنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك (ان الله كان عليما حكيما) مبالغا فى العلم و الحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح و المفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة و لا ينهاك الا عما فيه مفسدة و لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر و النهى مؤكد لوجوب الامتثال بهما (و اتبع) أى فى كل ما تأتى و تذر من أمور الدين (ما يوحى اليك من ربك) من الآيات التى من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة و المنافقين و التعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالامر (ان الله كان بما تعملون خبيرا) قيل الخطاب للرسول عليه الصلاة و السلام و الجمع للتعظيم و قيل له عليه الصلاة و السلام و للمؤمنين و قيل للغائبين بطريق الالتفات و لا يخفى بعده نعم يجوز أن يكون للكل على ضرب من التغليب و أياما كان فالجملة تعليل للامر و تأكيد لموجبه أما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب و الترهيب كأنه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال و تركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا و عقابا و أما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك و انتظام أمرك و يطلعك على ما يعملونه من المكايد و المفاسد و يأمرك بما ينبغى لك أن تعمله فى دفعها و ردها فلا بد من اتباع الوحى و العمل بمقتضاه حتما (و توكل على الله) أى فوض جميع أمورك اليه (و كفى

بالله وكيلا) حافظا موكولا اليه كل الامور (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) شروع في القاء الوحي الذي أمر عليه الصلاة والسلام باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم) وتنبيها على أن كون المظاهر منها أما وكون الدعي ابنا أي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من أن اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر أو لجميل بن أسيد الفهري ذو القلبين أي ما جمع الله تعالى قلبين في رجل. وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا زوجية ولا أمومة في امرأة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما في القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين أحكام الزوجية وأحكام الامومة ونفي الجمع بين أحكام الدعوة وأحكام البنوة على الاطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية وأحكام الامومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة وأحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء أحكام الامومة على المظاهر منها واجراء أحكام البنوة على الدعي. ومعنى الظهار أن يقول لزوجته أنت علي كظهر أمي مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذي هو عموده فان ذكره قريب من ذكر الفرج أو للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء وقرئ اللاي وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء الثانية في الظاء وتظهرون من أظهر بمعنى تظاهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من ظهر ظهورا وأدعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص أفعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتقي وأتقياء كأنه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء وأسراء (ذلكم) اشارة الى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء أو الى الاخير الذي هو المقصود من مساق الكلام أي دعاؤكم بقولكم هذا ابني (قولكم بأفواهكم) فقط من غير أن يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع أحكام البنوة كما زعمتم (والله يقول الحق) المطابق للواقع (وهو يهدي السبيل) أي سبيل الحق لا غير فدعوا أقوالكم وخذوا بقوله عز وجل (أدعوهم لآبائهم) أي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى (هو أقسط عند الله)

تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما فى قوله تعالى «اعدلوا هو أقرب للتقوى» وأقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل أى الدعاء لآبائهم بالغ فى العدل والصدق فى حكم الله تعالى وقضائه (فان لم تعلموا آباءهم) فتنسبوهم اليهم (فاخوانكم) فهم اخوانكم (فى الدين ومواليكم) وأولياؤكم فيه أى فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية (وليس عليكم جناح) أى اثم (فيما أخطأتم به) أى فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو أو النسيان او سبق اللسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أى ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهى أو ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفورا رحيما) لعفوه عن المخطئ وحكم التبنى بقوله هو ابنى اذا كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتبنى ولم يقر قبله بنسبه من غيره (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى فى كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم أن يكون عليه الصلاة والسلام أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها روى أنه عليه الصلاة والسلام أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال اناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت وقرئ وهو أب لهم أى فى الدين فان كل نبى أب لامته من حيث انه أصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة (وأزواجه أمهاتهم) أى منزلات منزلة الامهات فى التحريم واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسنا أمهات النساء (وأولو الارحام) أى ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين (فى كتاب الله) فى اللوح أو فيما أنزله وهو هذه الآية أو آية المواريث أو فيما فرض الله تعالى (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لاولى الارحام أو صلة لاولى أى أولو الارحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا) استثناء من أعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية أو منقطع (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) أى كان ما ذكر من الآيتين ثابتا فى اللوح أو القرآن وقيل فى التوراة (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) أى اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين الحق (ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) وتخصيصهم بالذكر مع اندراجهم فى النبيين اندراجا بينا للايذان

بمزيد مزيتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع وأساطين أولى العزم من الرسل. وتقديم نبينا عليهم عليهم الصلاة والسلام لابانة خطره الجليل (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) أى عهدا عظيم الشأن أو مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه وأخذه هو أخذه والعطف مبنى على تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى تفخيما لشأنه كما فى قوله تعالى «ونجيناهم من عذاب غليظ» اثر قوله تعالى «فلما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة» وقوله تعالى (ليسأل الصادقين عن صدقهم) متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ماهو داع الى ماذكر من أخذ الميثاق وغاية له لا بأخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة أى فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الانبياء. ووضع الصادقين موضع ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه أى ليسأل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم أو عن تصديقهم إياهم تبكيتا لهم كما فى قوله تعالى «يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم» أو المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق وأما ما قيل من أن المعنى ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى (وأعد للكافرين عذابا أليما) عطف على ما ذكر من المضمر لا على أخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل وأخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين أو بأن المعنى أن الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع أنه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على مادل عليه قوله تعالى «ليسأل الصادقين» كأنه قيل فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين الآية (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) ان جعل النعمة مصدر فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها أى كائنة عليكم (اذ جاءتكم جنود) ظرف لنفس النعمة أو لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على أنه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر ألفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسى ثم خرج فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذرارى والنساء فرفعوا فى الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنين كل ظن ونجم النفاق فى المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر أن نذهب إلى الغائط ومضى على الفريقين قريب من

شهر لا حرب بينهم الا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي جهل
وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب
قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت
بهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى
أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فأقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه
فقال له علي رضي الله عنه ياعمرو اني أدعوك الى الله ورسوله والاسلام قال لا حاجة لي اليه
قال فاني أدعوك إلى النزال قال يا ابن أخي والله لا أحب أن أقتلك قال علي لكني والله
أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه
فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتناولا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة
ذهبت فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو
رجلان منبه بن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله أيضا
علي رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله تعالى
النصر وذلك قوله تعالى (فأرسلنا عليهم ريحا) عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة
اجمالا وسيأتي بقيتها في آخر القصة (وجنودا لم تروها) وهم الملائكة عليهم السلام
وكانوا ألفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في
وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب وأطفأت النيران
وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت
الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي أما محمد فقد بدأكم
بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق
وترتيب مبادي الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء أي
بما يعمله الكفار أي من التحزب والمحاربة أو من الكفر والمعاصي (بصيرا) ولذلك
فعل ما فعل من نصركم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله (اذ جاؤكم) بدل من
اذ جاءتكم (من فوقكم) من أعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن
تابعهم من أهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم
اليهود من قريظة والنضير (ومن أسفل منكم) أي من أسفل الوادي من قبل
المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم
أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف (واذ زاغت الابصار) عطف على ما قبله داخل معه
في حكم التذكير أي حين مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة

وشخوصا وقيل عدلت عن كل شىء فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع (وبلغت القلوب الحناجر) لان الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب فى قوله تعالى (وتظنون بالله الظنونا) لمن يظهر الايمان على الاطلاق أى تظنون بالله تعالى أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب أن الله تعالى ينجز وعده فى إعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية أو يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم مما لاخير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير ألف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزاد فى القوافى (هنالك) ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أى فى ذلك الزمان الهائل أو المكان الدحض (ابتلى المؤمنون) أى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاى (واذ يقول المنافقون) عطف على اذ زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته (والذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من اعلاء الدين والظفر (الا غرورا) أى وعد غرور وقيل قولا باطلا والقائل معتب بن قشير وأضرابه راضون به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور (واذ قالت طائفة منهم) هم أوس ابن قيظى وأتباعه وقيل عبد الله ابن أبى واشياعه (يا أهل يثرب) هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة فى ناحية منها وقد نهى النبى عليه الصلاة والسلام أن تسمى بها كراهة لها وقال هى طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له عليه الصلاة والسلام ونداؤهم اياهم بعنوان أهليتهم لها ترشيح لما بعده من الامر بالرجوع اليها (لا مقام لكم) لا موضع اقامة لكم أو لا اقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم أى لا قيام أو لا موضع قيام لكم (فارجعوا) أى الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم فى دين محمد عليه الصلاة والسلام فارجعوا الى ما كنتم عليه من الشرك أو فارجعوا عما بايعتموه عليه وأسلموه الى

أعدائه أو لامقام لكم فى يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى (ويستأذن فريق منهم النبى) معطوف على قالت. وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة استأذنوه عليه الصلاة والسلام فى الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى (يقولون) بدل من يستأذن أو حال من فاعله أو استئناف مبنى على السؤال عن كيفية الاستئذان (إن بيوتنا عورة) أى غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة فى الاصل الخلل أطلقت على المختل مبالغة وقد جوز أن تكون تخفيف عورة من عورة الدار اذا اختلت وقد قرئ بها والأول هو الانسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق (وماهى بعورة) والحال انها ليست كذلك (إن يريدون) مايريدون بالاستئذان (الا فرارا) من القتال (ولودخلت عليهم) أسند الدخول الى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لافرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولافرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو أسند الى الجار والمجرور (من أقطارها) أى من جميع جوانبها لامن بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة والفساد (ثم سئلوا) من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة (الفتنة) أى الردة والرجعة الى الكفر مكان ماسئلوا الآن من الايمان والطاعة (لآتوها) لأعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لأتوها بالقصر أى لفعلوها وباشروها (وماتلبثوا بها) بالفتنة أى ما ألبثوها وماأخروها (الايسيرا) ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الايسيرا والاول هو اللائق بالمقام هذا وأما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان أنهم اذا دعوا الى الحق تعللوا بشئ يسير وإن دعوا الى الباطل وسارعوا اليه آثر ذى أثير من غير صارف يلويهم ولاعاطف يثنيهم ففرض دخلهم من جهة العساكر المذكورة واسناد سؤال الفتنة والدعوة الى الكفر الى طائفة أخرى مع أن العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون فى الدعاء الى الكفر والضلال بمعزل من التقريب (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل

لا يولون الادبار) فان بنى حارثة عاهدوا رسول الله على الله عليه وسلم يوم أحد حين فشلوا أن لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن (وكان عهد الله مسؤلا) مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسؤلا عن الوفاء به ومجازى عليه (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل) فانه لابد لكل شخص من حتف أنف أو قتل سيف فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم (واذن لا تمتعون الا قليلا) أى وان نفعكم الفرار مثلا فتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة) أى أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم الضرر (قد يعلم الله المعوقين منكم) أى المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من منافقى المدينة (هلم الينا) وهو صوت سمى به فعل متعد نحو أحضر أوقرب ويستوى فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون هلم يارجل وهلموا يارجال أى قربوا أنفسكم الينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة (ولا يأتون البأس) أى الحراب والقتال (الا قليلا) أى اتيانا أو زمانا أو بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله تعالى «ماقاتلوا الا قليلا» وقيل انه من تتمة كلامهم معناه ولا يأتى أصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا (أشحة عليكم) أى بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة فى سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون أو من المعوقين أو على الذم (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم) فى أحداقهم (كالذى يغشى عليه من الموت) صفة لمصدر ينظرون أو حال من فاعله أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم أى ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك أو ينظرون كائنين كالذى الخ أو تدور أعينهم دورانا كائنا كدوران عينه أو تدور أعينهم كائنة كعينه (فاذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بألسنة حداد) وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان وقرىء صلقوكم (أشحة

على الخير) نصب على الحالية أو الذم ويؤيده القراءة بالرفع (أولئك) الموصوفون بما ذكر من صفات السوء (لم يؤمنوا) بالاخلاص (فأحبط الله أعمالهم) أي أظهر بطلانها اذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلا (وكان ذلك) الاحباط (على الله يسيرا) هينا وتخصيص يسره بالذكر مع أن كل شيء عليه تعالى يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا) أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة (وان يأت الاحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون في الاعراب) تمنوا أنهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب وقرىء بدى جمع باد كغاز وغزى (يسألون) كل قادم من جانب المدينة وقرىء يساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الاعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فان صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسندت اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكور ونظائره (عن أنبائكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال (ما قاتلوا الا قليلا) رياء وخوفا من التعيير (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) خصلة حسنة حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرىء بكسر الهمزة وهي لغة فيها (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر من أيام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والأكثرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه (وذكر الله) أي وقرن بالرجاء ذكر الله (كثيرا) أي ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا فان المثابرة على ذكره تعالى تؤدي إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاط الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم (قالوا هذا) مشيرين إلى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من أحكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله إشارة إلى الخطب أو البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز

التذكير باعتبار الخبر الذي هو (ما وعدنا الله ورسوله) فإن ذلك العنوان أول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء» إلى قوله تعالى «ألا إن نصر الله قريب» وقوله عليه الصلاة والسلام «سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم» وقوله عليه الصلاة والسلام «إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر» وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة (وصدق الله ورسوله) أي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم (وما زادهم) أي ما رأوه (إلا إيمانا) بالله تعالى وبمواعيده (وتسليما) لأوامره ومقاديره (من المؤمنين) أي المؤمنين بالإخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول عليه الصلاة والسلام والمقاتلة لأعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقني إذا قال لك الصدق ومحل ما عاهدوا النصب إما بطرح الخافض عنه وإيصال الفعل إليه كما في قولهم صدقني سن بكره أي في سنه وإما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لكرمائه

تخرتني الأعداء إن لم تنجري   وقالوا لمستفني بك وحيث وفوا به فقد صدقوه

ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا (فمنهم من قضى نحبه) تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين والنحب النذر وهو أن يلتزم الإنسان شيئا من أعماله ويوجبه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى «ومن الناس من يقول آمنا بالله» الآية أي فبعضهم أو فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر عم أنس ابن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فإنهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية التي هي المقاتلة المغياة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا أو كان مستعارا لالتزامه على ما سيأتي (ومنهم) أي وبعضهم أو بعض منهم (من ينتظر) أي قضاء نحبه لكونه مؤقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فإنهم مستمرون على

نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال إلى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت شهيداً هذا ويجوز أن يكون النحب مستعاراً لالتزام الموت شهيداً إما بتنزيل التزام أسبابه التي هي أفعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه وإيراد الالتزام عليه وهو الأنسب بمقام المدح وأياما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبىء عن الرغبة في المنتظر شهادة حقة بكمال اشتياقهم إلى الشهادة وأما ما قيل من أن النحب استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فمسخ للاستعارة وذهاب برونقها وإخراج للنظم الكريم من مقتضى المقام بالكلية (وما بدلوا) عطف على صدقوا وفاعله فاعله أي وما بدلوا عهدهم وما غيروه (تبديلا) أي تبديلا ما أصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة . وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم للإيذان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز أن يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج إلى البيان حالهم وقد روي أن طلحة رضي الله عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام «أوجب طلحة الجنة» وفي رواية «أوجب طلحة» وعنه عليه الصلاة والسلام في رواية جابر رضي الله عنه «من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله» وفي رواية عائشة رضي الله عنها «من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة» وهذا يشير إلى أنه من الأولين حكما (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) متعلق بمضمر مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع إلى وقوع ما حكي من الأحوال والأقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى «ليسأل الصادقين عن صدقهم» كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا (ويعذب المنافقين) بما صدر عنهم من الأعمال والأقوال المحكية (إن شاء) تعذيبهم (أو يتوب عليهم) إن تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق وإثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما فهم من قوله تعالى «وما زادهم إلا إيمانا وتسليما» وقيل لما يستفاد من قوله تعالى «ولما رأى المؤمنون الأحزاب» كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية فتأمل وبالله التوفيق (إن الله كان غفورا رحيما) أي لمن

تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى (ورد الله الذين كفروا) رجوع الى حكاية بقية القصة وتفصيل تتمة النعمة المشار اليها اجمالا بقوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها معطوف اما على المضمر المقدر قبل قوله تعالى« ليجزى الله كانه قيل اثر حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ واما على أرسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تحيرت بها العقول والافهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الاقدام وتفصيل ماصدر عن فريقى أهل الايمان وأهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها أى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى (بغيظهم) حال من الموصول أى ملتبسين به وكذا قوله تعالى (لم ينالوا خيرا) بتداخل أو تعاقب أى غير ظافرين بخير أوالثانية بيان للاولى أو استئناف (وكفى الله المؤمنين القتال) بما ذكر من ارسال الريح والجنود (وكان الله قويا) على احداث كل ما يريد (عزيزا) غالبا على كل شىء (وأنزل الذين ظاهروهم) أى عاونوا الاحزاب المردودة (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة (من صياصيهم) من حصونهم جمع صيصة وهى مايتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف الشديد بحيث أسلموا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للاسر حسبما ينطق به قوله تعالى (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال« أتنزع لأمتك والملائكة ماوضعوا السلاح ان الله يأمرك أن تسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فأذن فى الناس أن لايصلوا العصر الا ببنى قريظة فحاصروهم احدى وعشرين أو خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى عليه الصلاة والسلام وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة الى تسعمائة وأسر سبعمائة«وقرىء تأسرون بضم السين كما قرىء الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول فى الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما فى قوله تعالى « فريقا كذبتم وفريقا تقتلون«وقوله تعالى«فريقا كذبوا وفريقا يقتلون»

لمراعاة الفواصل (وأورثكم أرضهم وديارهم) أى حصونهم (وأموالهم) نقودهم وأثاثهم ومواشيهم روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار فى ذلك فقال عليه الصلاة والسلام «إنكم فى منازلكم» فقال عمر رضى الله عنه أما تخمس كما خمست يوم بدر فقال عليه الصلاة والسلام «لا انما جعلت هذه لى طعمة دون الناس» قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضا لم تطؤها) أى وأورثكم فى علمه وتقديره أرضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وقيل خيبر (وكان الله على كل شىء قديرا) فقد شاهدتم بعض مقدوراته من إيراث الأراضى التى تسلمتموها فقيسوا عليها ماعداها (يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا) أى السعة والتنعم فيها (وزينتها) وزخارفها (فتعالين) أى أقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال أقبل يخاصمنى وذهب يكلمنى وقام يهددنى (أمتعكن) بالجزم جوابا للامر وكذا (أسرحكن) أى أعطكن المتعة وأطلقكن (سراحا جميلا) طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على الاستئناف روى أنهن سألنه عليه الصلاة والسلام ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف فى أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق إليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار أو لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم الى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما كان تخييرا لهن بين الارادتين على أنهن ان أردن الدنيا فارقهن عليه الصلاة والسلام كما ينبئ عنه قوله تعالى «فتعالين أمتعكن وأسرحكن» وذهب آخرون الى أنه كان تفويضا للطلاق إليهن حتى لو أنهن اخترن أنفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف فى حكم التخيير فقال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شىء أصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعى وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبى ليلى وسفيان وروى عن زيد بن ثابت أنها إن اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وإن اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروى عن على رضى الله عنه أنها ان اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة وروى عنه أيضا أنها ان اختارت زوجها لا يقع شىء أصلا وعليه إجماع فقهاء الأمصار وقد روى عن عائشة رضى الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم

التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الأمر . والمتعة فى المطلقة التى لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداهن مستحبة وهى درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار إلا أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك فحينئذ يجب لها الأقل منهما ولا ينقص عن خمسة دراهم (وان كنتن تردن الله ورسوله) أى تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان بجلالة محله عليه الصلاة والسلام عنده تعالى (والدار الآخرة) أى نعيمه الذى لاقدر عنده للدنيا وما فيها جميعا (فان الله أعد للمحسنات منكن) بمقابلة إحسانهن (أجراً عظيما) لايقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لأن كلهن محسنات وتجريد الشرطية الأولى عن الوعيد للمبالغة فى تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفى وصف السراح بالجميل (يانساء النبى) تلوين للخطاب وتوجيه له إليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن . ونداؤهن ههنا وفيما بعده بالاضافة اليه عليه الصلاة والسلام لأنها التى يدور عليها مايرد عليهن من الأحكام (من يأت منكن بفاحشة) بكبيرة (مبينة) ظاهر فالقبح من بين بمعنى تبين وقرىء بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هى عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه مايشق عليه أو مايضيق به ذرعه ويغتم لأجله وقرىء تأت بالفوقانية (يضاعف لها العذاب ضعفين) أى يعذبن ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه لأن الذنب منهن أقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لايعاتب به الأمم وقرىء يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لايمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى عليه الصلاة والسلام بل يدعوه اليه لمراعاة حقه (ومن يقنت منكن) وقرىء بالتاء أى ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) مرة على الطاعة والتقوى وأخرى على طلبهن رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرىء يعمل بالياء حملا لفظ على من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله تعالى (وأعتدنا لها) فى الجنة زيادة على أجرها المضاعف (رزقا كريما) مرضيا (يانساء النبى لستن كأحد من النساء) أصل أحد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفي مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل والشرف (إن اتقيتن) مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله أو ان اتصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن

(فلا تخضعن بالقول) عند مخاطبة الناس أى لا تجبن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى فجور وريبة وقرىء بالجزم عطفا على محل فعل النهى على أنه نهى لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كأنه قيل فلا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب (وقلن قولا معروفا) بعيدا عن الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنيث أو قولا حسنا مع كونه خشنا (وقرن فى بيوتكن) أمر من قر يقر من باب علم وأصله اقررن فحذفت الراء الأولى وألقيت فتحتها على ماقبلها كما فى قولك ظلن أو من قار يقار اذا اجتمع وقرىء بكسر القاف من وقر يقر وقارا اذا ثبت واستقر وأصله اوقرن ففعل به مافعل بعدن من وعد أو من قر يقر حذفت احدى راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن (ولا تبرجن) أى لا تتبخترن فى مشيكن (تبرج الجاهلية الأولى) أى تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية القديمة وهى مابين آدم ونوح وقيل مابين إدريس ونوح عليهما السلام وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما السلام والجاهلية الأخرى مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الأولى جاهلية الكفر والجاهلية الأخرى الفسوق فى الاسلام ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام لأبى الدرداء إن فيك جاهلية قال جاهلية كفر أو جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر » (وأقمن الصلاة وآتين الزكوة) أمرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما أصلى الطاعات البدنية والمالية (وأطعن الله ورسوله) أى فى كل ماتأتين وماتذرن لاسيما فيما أمرتن به ونهيتن عنه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث قيل بطريق النداء أو المدح (أهل البيت) مرادا بهم من حواهم بيت النبوة (ويطهركم) من أوضار الاوزار والمعاصى (تطهيرا) بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبى عليه الصلاة والسلام من أهل بيته قاضية ببطلان رأى الشيعة فى تخصيصهم أهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضوان الله عليهم وأما ما تمسكوا به من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر أسود وجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت» فانما يدل على كونهم من أهل البيت لا على أن من عداهم ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) أي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن (من آيات الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما أنعم عليهن حيث جعلهن أهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي بما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما الصلاة والسلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعلما وتعليما (إن الله كان لطيفا خبيرا) يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر والنهي أو يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته (ان المسلمين والمسلمات) أي الداخلين في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب أن يصدق به من الفريقين (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعات القائمين بها (والصادقين والصادقات) في القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم) بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة (مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة (وأجرا عظيما) على ما صدر عنهم من الطاعات والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة أم سلمة وروي أنه لما نزل في نساء النبي عليه الصلاة والسلام ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت. وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضروري واما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن مدار اعداد ما أعد لهم جمعهم بين هذه النعوت الجميلة (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي ما صح وما

استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين والمؤمنات (اذا قضى الله ورسوله أمرا) أى اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم أمره عليه الصلاة والسلام أو للاشعار بان قضاءه عليه الصلاة والسلام قضاء الله عز وجل لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله وقيل فى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وهبت نفسها للنبى عليه الصلاة والسلام فزوجها من زيد فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله فزوجنا عبده (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم ماشاءوا بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عليه الصلاة والسلام واختيارهم تلوا لاختياره. وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما فى سياق النفى وقيل الضمير الثانى للرسول عليه الصلاة والسلام والجمع للتعظيم وقرىء تكون بالتاء (ومن يعص الله ورسوله) فى أمر من الامور ويعمل فيه برأيه (فقد ضل) طريق الحق (ضلالا مبينا) أى بين الانحراف عن سنن الصواب (واذ تقول) أى واذكر وقت قولك (للذى أنعم الله عليه) بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته (وأنعمت عليه) بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التى من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من اظهار خلاف ما فى ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحياء أو الاحتشام وكلا هما مما لا يتصور فى حق زيد (أمسك عليك زوجك) أى زينب وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعد ما أنكحها اياه فوقعت فى نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال « سبحان الله مقلب القلوب » وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فأتى النبى عليه الصلاة والسلام وقال أريد أن أفارق صاحبتى فقال «مالك أرابك منها شىء قال لا والله مارأيت منها الاخيرا ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له أمسك عليك زوجك» (واتق الله) فى أمرها فلا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها (وتخفى فى نفسك ماالله مبديه) وهو نكاحها ان طلقها أوارادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم اياك به (والله أحق أن تخشاه) ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ماينافى اضماره فان الاولى فى امثال ذلك أن يصمت أو يفوض الامر الى ربه (فلما قضى زيد منها وطرا) بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل

قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك (زوجناكها) وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه عليه الصلاة والسلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبي عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى تولى نكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن. وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة ايمانه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) ضيق ومشقة (في أزواج أدعيائهم) أي في حق تزوجهن (اذا قضوا منهن وطرا) فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دلالة على أن حكمه عليه الصلاة والسلام وحكم الامة سواء الا ماخصه الدليل (وكان أمر الله) أي مايريد تكوينه من الامور أو مأموره الحاصل بكن (مفعولا) مكونا لامحالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله (ماكان على النبي من حرج) أي ماصح وما استقام في الحكمة أن يكون له ضيق (فيما فرض الله له) أي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لأعطياتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج أي سن الله ذلك سنة (في الذين خلوا) مضوا (من قبل) من الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقوله تعالى (وكان أمر الله قدرا مقدورا) أي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا أو مدح لهم بالنصب أو بالرفع وقرئ رسالة الله (ويخشونه) في كل ما يأتون ويذرون لاسيما في أمر تبليغ الرسالة حيث لايخرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم (ولا يخشون أحدا الا الله) في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه الصلاة والسلام من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » (وكفى بالله حسيبا) كافيا للمخاوف فينبغي أن لايخشى غيره أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى (ماكان محمد أبا أحد من رجالكم) أي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ماثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه الصلاة والسلام أبا للطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجاله عليه الصلاة والسلام لا لهم (ولكن رسول الله) أي كان رسول الله وكل رسول أبو أمته لكن لاحقيقة

بل بمعنى أنه شفيق ناصح لهم و سبب لحياتهم الابدية و ماز يد الا واحد من رجالكم الذين لاولاد بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام فحكمه حكمهم وليس للتبنى والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص (وخاتم النبيين) أى كان آخرهم الذى ختموا به وقرىء بكسر التاء أى كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وأياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين كما يروى أنه قال فى ابراهيم حين توفى «لو عاش لكان نبيا» ولايقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه خاتم النبيين أنه لاينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبىء قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كأنه بعض أمته (وكان الله بكل شىء عليما) ومن جملته هذه الاحكام والحكم التى بينها لكم وكنتم منها فى شك مريب (ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله) بما هو أهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس (ذكرا كثيرا) يعم الاوقات والاحوال (وسبحوه) ونزهوه عما لايليق به (بكرة وأصيلا) أى أول النهار وآخره على أن تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كأفراد التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة (هو الذى يصلى عليكم) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرين فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى (وملائكته) عطف على المستكن فى يصلى لمكان الفصل المغنى عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولا والاستغفار ثانيا فان استعمال اللفظ الواحد فى معنيين متغايرين مما لامساغ له بل على أن يراد بهما معنى مجازى عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقى له أو الترحم والانعطاف المعنوى المأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصورى الذى هو الركوع والسجود ولاريب فى أن استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم وأما أن ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابى الدعوة كما قيل فاعتباره ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر (ليخرجكم من الظلمات الى النور) متعلق بيصلى أى يعتنى بأموركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وقوله تعالى (وكان

بالمؤمنين رحيما)اعتراض مقرر لمضمون ماقبله أى كان بكافة المؤمنين الذين أنتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم مايفعل من الاعتناء باصلاحكم بالذات و بالواسطة ويهديكم الى الايمان و الطاعة أوكان بكم رحيما على أن المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) بيان للاحكام الآجلة لرحمة الله تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هى الاعتناء بأمرهم وهدايتهم الى الطاعة أى مايحيون به على أنه مصدر أضيف الى مفعوله يوم لقائه عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما فى قوله تعالى «و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم »أو اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى (وأعد لهم أجرا كريما) بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بأن يقال مثلا وأجرهم أجر كريم أو ولهم أجر كريم للمبالغة فى الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان أن الاجر الذى هو المقصد الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع مافيه من مراعاة الفواصل (ياأيها النبى انا أرسلناك شاهدا) على من بعثت اليهم تراقب أحوالهم وتشاهد أعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق و التكذيب وسائر ماهم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة أداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة (و مبشرا ونذيرا) تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار (و داعيا الى الله) أى الى الاقرار به و بوحدانيته و بسائر مايجب الايمان به من صفاته و أفعاله (باذنه) أى بتيسيره أطلق عليه مجازا لما أنه من أسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بأنها أمر صعب المنال وخطب فى غاية الاعضال لايتأتى الا بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق فى قلادة غير معهودة (وسراجا منيرا) يستضاء به فى ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية (وبشر المؤمنين) عطف على مقدر يقتضيه المقام و يستدعيه النظام كأنه قيل فراقب أحوال الناس و بشر المؤمنين منهم (بان لهم من الله فضلا كبيرا) أى على مؤمنى سائر الامم فى الرتبة والشرف أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل و الاحسان (و لاتطع الكافرين والمنافقين) نهى عن مداراتهم فى أمر الدعوة واستعمال لين الجانب فى التبليغ والمسامحة فى الانذار كنى عن ذلك بالنهى عن طاعتهم مبالغة فى الزجر و التنفير عن المنهى عنه بنظمه فى

سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد أبعد عن التحقيق بمراحل (ودع أذاهم) أي لاتبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار (وتوكل على الله) في كل ماتأتي وماتذر من الشئون التي من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيكهم (وكفى بالله وكيلا) موكولا اليه الامور في كل الاحوال. واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والموصف عليه الصلاة والسلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل المبشر عليه والامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما تحققته وقوبل الداعي الى الله باذنه بالأمر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من أيده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ماسواه (ياأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي تجامعوهن وقرىء تماسوهن بضم التاء (فما لكم عليهن من عدة) بايام يتربصن فيها بانفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله. والاسناد الى الرجال للدلالة على أن العدة حق الازواج كما أشعر به قوله تعالى «فما لكم» وقرىء تعتدونها على ابدال احدى الدالين بالتاء أو على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها. والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطفته ولا ينكح الامؤمنة وفائدة ثم ازاحة ماعسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب (فمتعوهن) أي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة عندنا في رواية وفي أخرى غير مستحبة (وسرحوهن) أخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة (سراحا جميلا) من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن (ياأيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن فانها أجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة أو تسميتها في العقد وأياما كان فتقييد الاحلال له عليه الصلاة والسلام به ليس لتوقف الحل عليه ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو المتعة على تقديري

الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى له عليه الصلاة والسلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية فى قوله تعالى (وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك) فان المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه فى قوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك) ويحتمل تقييد الحل بذلك فى حقه عليه الصلاة والسلام خاصة ويعضده قول أم هانىء بنت أبى طالب خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرنى ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لانى لم أهاجر معه كنت من الطلقاء (وامرأة مؤمنة) بالنصب عطفا على مفعول أحللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف أى أحللناها لك أيضا (ان وهبت نفسها للنبى) أى ملكته بعضها بأى عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبىء عنه تنكيرها لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه الصلاة والسلام استنكاحها كما نطق به قوله عز وجل (ان أراد النبى أن يستنكحها) أى أن يتملك بضعها كذلك أى بلا مهر فان ذلك جار منه عليه الصلاة والسلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا فى كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح أن يكون مناطا للخلاف فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا أو سلبا واختلف فى اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن عنده عليه الصلاة والسلام أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة الانصاريه وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم . وايراده عليه الصلاة والسلام فى الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به عليه الصلاة والسلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى (خالصة لك) أى خلص لك احلالها خالصة أى خلوصا فان الفاعلة فى المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة أو خلص لك احلال ما أحللنا لك من المذكورات على القيود المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى (من دون المؤمنين) على الاول أن الاحلال المذكور فى المادة المعهودة غير متحقق فى حقهم وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثانى أن احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق فى حقهم بل المتحقق فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود وقرىء خالصة بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ذلك خاوص لك وخصوص أوهى أى تلك المرأة أو الهبة خالصة لك لا تتجاوز المومنين حيث لا تحل لهم بغير مهر ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم) أى على المؤمنين (فى أزواجهم) أى فى حقهن اعتراض مقرر

لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه مالم يفرض عليه عليه الصلاة والسلام تكرمة له وتوسعة عليه أي قد علمنا ما ينبغي أن يفرض عليهم في حق أزواجهم (وما ملكت أيمانهم) وعلى أي حد وأي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص (لكيلا يكون عليك حرج) أي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وحصوله له عليه الصلاة والسلام لا باعتبار اختصاصه به عليه الصلاة والسلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) ولذلك وسع الامر في مواقع الحرج (ترجي من تشاء منهن) أي تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتؤوي اليك من تشاء) وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها أو تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرىء ترجىء بالهمزة والمعنى واحد (ومن ابتغيت) أي طلبت (ممن عزلت) طلقت بالرجعة (فلا جناح عليك) في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق أو يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق فاما أن يخلي المعزولة أو يبتغيها وروى أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب ابتداء وأرجى خمسا وآوى أربعا وروى أنه كان يسوي بينهن مع ما أطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنهن وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك (ذلك) أي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك (أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أي أقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرىء تقر بضم التاء ونصب أعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرىء بالنصب على أنه تأكيد لهن (والله يعلم ما في قلوبكم) من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها (وكان الله عليما) مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال لا اهمال (لا يحل لك النساء) بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقي ولوجود الفصل وقرىء بالتاء (من بعد) أي من بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران (ولا أن

تبدل)أي تتبدل بحذف احدى التاءين (بهن)أي بهؤلاء التسع (من ازواج) بأن تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق أراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على مااخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي عليه الصلاة والسلام عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحرث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لايحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي أحللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب أو من الكتابيات أو من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى «ولا أن تبدل بهن» فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد أن يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف البشرية (ولو أعجبك حسنهن) أي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من أزواج لتوغله في التنكير قيل تقديره مفروضا إعجابك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى «ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم» وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب أي هي ممن أعجبه عليه الصلاة والسلام حسنهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة قيل بقوله تعالى «ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء» وقيل بقوله تعالى «انا احللنا لك» وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضي الله عنها مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء وقال أنس رضي الله عنه مات عليه الصلاة والسلام على التحريم (الا ماملكت يمينك) استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شيء رقيبا) حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي)شروع في بيان مايجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان مايجب مراعاته عليه عليه الصلاة والسلام من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى (الا أن يؤذن لكم)استثناء مفرغ من أعم الاحوال أي لاتدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم وقيل من أعم الاوقات أي لاتدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت أن يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على أن الوقوع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لايقال آتيك أن يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى (الى طعام) متعلق بيؤذن

بتضمين معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغى أن يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر قوله تعالى (غير ناظرين اناه) أي غير منتظرين وقته أو ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه أو من المجرور فى لكم وقرىء بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هوله بلا ابراز الضمير ولا مساغ له عند البصريين وقرىء بالامالة لانه مصدر أنى الطعام أى أدرك (ولكن اذا دعيتم فادخلوا) استدراك من النهى عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالاذن إلى الطعام هو الدعوة اليه (فاذا طعمتم فانتشروا) فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبى عليه الصلاة والسلام فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد أن يدخل بيوته عليه الصلاة والسلام باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم (ولا مستأنسين لحديث) أي لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أى ولا تدخلوا أو لا تمكثوا مستأنسين الخ (ان ذلكم) أى الاستئناس الذى كنتم تفعلونه من قبل (كان يؤذى النبى) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه (فيستحيي منكم) أى من اخراجكم لقوله تعالى (والله لا يستحيي من الحق) فانه يستدعى أن يكون المستحيا منه أمرا حقا متعلقا بهم لا بانفسهم وما ذاك الا اخراجهم فينبغى أن لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وأمركم بالخروج. والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة. وقرىء لا يستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ماقبلها (واذا سألتموهن) الضمير لنساء النبى المدلول عليهن بذكر بيوته عليه الصلاة والسلام (متاعا) أى شيئا يتمتع به من الماعون وغيره (فاسألوهن) أى المتاع (من وراء حجاب) أى ستر روى أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة رضى الله عنها فكره النبى ذلك فنزلت (ذلكم) أى ماذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) أى أكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية (وما كان لكم) أى وما صح وما استقام لكم (أن تؤذوا رسول الله) أى ان تفعلوا فى حياته فعلا يكرهه ويتأذى به (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) أى من بعد وفاته أو فراقه (ان ذلكم) اشارة الى ماذكر من إيذائه عليه الصلاة والسلام ونكاح أزواجه من بعده. وما فيه من معنى البعد للايذان

ببعد منزلته في الشر والفساد (كان عند الله عظيما) أي أمرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره. وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله صلى الله عليه وسلم وإيجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال (ان تبدوا شيأ) مما لا خير فيه كنكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) في صدوركم (فان الله كان بكل شيء عليما) فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة. وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء اخواتهن) استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يارسول الله أو نكلمهن أيضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم أبا في قوله تعالى «واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق» أو لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر أبناء الاخوة وأبناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لما انهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة أن يصفاهن لابنائهما (ولا نسائهن) أي نساء المؤمنات (ولا ما ملكت أيمانهن) من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور (واتقين الله) في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما أمرتن به ونهيتن عنه (ان الله كان على كل شيء شهيدا) لا تخفى عليه خافية ولا تتفاوت في علمه الاحوال (ان الله وملائكته) وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأي البصريين (يصلون على النبي) قيل الصلاة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضي الله عنهما أراد أن الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه أيضا يصلون يبركون وقال أبو العالية صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه أيضا عند الملائكة وصلاتهم دعاؤهم له فينبغي أن يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا له أي يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أنتم أيضا بذلك فانكم أولى به (وسلموا تسليما) قائلين اللهم صل على محمد أو نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد أمره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي» وقوله

عليه الصلاة والسلام «من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله» ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال «وكل الله تعالى بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا أذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين» ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره عليه الصلاة والسلام كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه عليه الصلاة والسلام أن يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع وأما الصلاة عليه في الصلاة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلاة عندنا وعن ابراهيم النخعي رحمه الله ان الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطا وأما الصلاة على غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام فتجوز تبعا وتكره استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا (ان الذين يؤذون الله ورسوله) أريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تعالى وقيل في ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي ايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام هو قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون . وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما وأما ايذاؤه عليه الصلاة والسلام خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى وأن ايذاءه عليه الصلاة والسلام ايذاء له سبحانه (لعنهم الله) طردهم وأبعدهم من رحمته (في الدنيا والآخرة) بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها (وأعد لهم) مع ذلك (عذابا مهينا) يصيبهم في الآخرة خاصة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) يفعلون ما يتأذون به من قول أو فعل وتقييده بقوله تعالى (بغير ما اكتسبوا) أي بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان أذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق وأما أذى هؤلاء فمنه ومنه (فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا) أي ظاهرا بينا قيل انها نزلت في منافقين كانوا يؤذون عليا رضي الله عنه

و يسمعونه مالا خير فيه وقيل فى أهل الافك وقال الضحاك والكلبي فى زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لايتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر أيضا جهلا أو تجاهلا لاتحاد الكل فى الزى واللباس والظاهر عمومه لكل ماذكر ولما سيأتى من أراجيف المرجفين (ياأيها النبي) بعد مابين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الايذاء أمر النبى عليه الصلاة والسلام بان يامر بعض المتأذين منهم بما يدفع ايذاءهم فى الجملة من الستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل (قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الجلباب ثوب أوسع من الخمار و دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ماترسله على صدرها وقيل هى الملحفة وكل مايستتر به أى يغطين بها وجوههن وأبدانهن اذا برزن لداعية من الدواعى ومن للتبعيض لما مر من أن المعهود التلفع ببعضها وارخاء بعضها وعن السدى تغطى احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين (ذلك) أى ماذكر من التغطى (أدنى) أقرب (أن يعرفن) ويميزن عن الاماء والقينات اللاتى هن مواقع تعرضهم وايذائهم (فلا يؤذين) من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن (وكان الله غفورا) لما سلف منهن من التفريط (رحيما) بعباده حيث يراعى من مصالحهم أمثال هاتيك الجزئيات (لئن لم ينته المنافقون) عماهم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة للايذاء (والذين فى قلوبهم مرض) عماهم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لاخير فيه (والمرجفون فى المدينة) من الفريقين عماهم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الاراجيف الملفقة المستتبعة للاذية وأصل الارجاف التحريك من الرجفة التى هى الزلزلة وصفت به الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة (لنغرينك بهم) لنأمرنك بقتالهم واجلائهم أو بما يضطرهم الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك (ثم لايجاورونك) عطف على جواب القسم وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول عليه الصلاة والسلام أعظم مايصيبهم (فيها) أى فى المدينة الا قليلا زمانا أوجوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال على ان الاستثناء وارد عليه أيضا على رأى من يجوزه كما مر فى قوله تعالى غير ناظرين اناه ولاسبيل الى انتصابه عن قوله تعالى (أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) لان مابعد كلمة الشرط لايعمل فيما قبلها (سنة الله فى الذين خلوا من قبل) أى سن الله ذلك فى الامم الماضية سنة وهى أن يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وسعوا فى توهين أمرهم بالاجارف ونحوه أينما ثقفوا (ولن

تجد لسنة الله تبديلا) أصلا لابتنائها على أساس الحكمة التى عليها يدور ذلك التشريع (يسألك الناس عن الساعة) أى عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه الصلاة والسلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما أن الله تعالى عمى وقتها فى التوراة وسائر الكتب (قل إنما علمها عند الله) لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى (وما يدريك) خطاب مستقل له عليه الصلاة والسلام غير داخل تحت الامر مسوق لبيان أنها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب أى أى شيء يعلمك بوقت قيامها أى لا يعلمك به شيء أصلا (لعل الساعة تكون قريبا) أى شيئا قريبا أو تكون الساعة فى وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز أن يكون التذكير باعتبار أن الساعة فى معنى اليوم أو الوقت. وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين والاظهار فى حيز الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة كما أشير اليه (إن الله لعن الكافرين) على الاطلاق أى طردهم وأبعدهم من رحمته العاجلة والآجلة (وأعد لهم) مع ذلك (سعيرا) نارا شديدة الاتقاد يقاسونها فى الآخرة (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) يخلصهم منها (يوم تقلب وجوههم فى النار) ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر أى يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كلحم يشوى فى النار أو يطبخ فى القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة أو من حال الى حال أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرىء تقلب بحذف احدى التاءين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الاعضاء ففيه مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز أن تكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى (يقولون) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على مافاتهم (ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فلا نبتلى بهذا العذاب أو حال من ضمير وجوههم أو من نفسها أو هو العامل فى يوم (وقالوا) عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضى للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشفى بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم فى تلك الورطة وان علموا عدم قبوله فى حق خلاصهم منها (ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرىء ساداتنا للدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم فى مقام التحقير والاهانة (فأضلونا السبيلا)

بما زينوا لنا من الاباطيل والالف للاطلاق كما في وأطعنا الرسولا (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) أى مثلى العذاب الذى آتيناه لانهم ضلوا وأضلوا (والعنهم لعنا كبيرا) أى شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء مكرر للمبالغة فى الجؤار واستدعاء الاجابة (ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى) قيل نزلت فى شأن زيد وزينب وماسمع فيه من قالة الناس (فبرأه الله مما قالوا) أى فاظهر براءته عليه الصلاة والسلام مما قالوا فى حقه أى من مضمونه ومؤداه الذى هو الامر المعيب وذلك أن قارون أغرى مومسة على قذفه عليه الصلاة والسلام بنفسها بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تعالى نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك بان أقرت المومسة بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون مافعل كما فصل فى سورة القصص وقيل اتهمه ناس بقتل هرون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فأخبرهم ببراءته وقيل قذفوه بعيب فى بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة (وكان عند الله وجيها) ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى فى كل ماتأتون وماتذرون لاسيما فى ارتكاب مايكرهه فضلا عما يؤذى رسوله عليه الصلاة والسلام (وقولوا) فى كل شأن من الشؤن (قولا سديدا) قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد (يصلح لكم أعمالكم) يوفقكم للاعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والاثابة عليها (ويغفر لكم ذنوبكم) ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) فى الاوامر والنواهى التى من جملتها هذه التكليفات (فقد فاز) فى الدين (فوزا عظيما) لايقادر قدره ولايبلغ غايته (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن مايوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ماصدر عنهم من الطاعة وترك ماصدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير اخلال بشىء من حقوقها وعبر عن

اعتبارها بالنسبة الى استعداد ماذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة فى قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالأباء والاشفاق منها لتهويل أمرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التى يستعمل فيها القوى الجسمانية التى أشدها وأعظمها مافيهن من القوة والشدة والمعنى أن تلك الامانة فى عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التى هى مثل فى القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لأبين قبولها وأشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه (وحملها الانسان) أى عند عرضها عليه إما باعتبارها بالاضافة الى استعداده أو بتكليفه إياها يوم الميثاق أى تكلفها والتزمها مع مافيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو إما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطرى أو عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى (انه كان ظلوماً جهولا) اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من أول الامر بعدم وفائه بما عهده وتحمله أى انه كان مفرطا فى الظلم مبالغا فى الجهل أى بحسب غالب أفراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول أشير بقوله عز وجل (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى حملها الانسان ليعذب الله بعض أفراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة إلى بعض أفراده ترتب الاعراض على الافعال المعللة بها أبرز فى معرض الغرض أى كان عاقبة حمل الانسان لها أن يعذب الله تعالى هؤلاء من أفراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية وإلى الفريق الثانى أشير بقوله تعالى (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أى كان عاقبة حمله لها أن يتوب الله تعالى على هؤلاء من أفراده أى يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل أولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار فى موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامى الوعيد والوعد حقه والله تعالى أعلم وجعل الامانة التى شأنها أن تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التى هى من أفعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذى ينبىء عنه قوله تعالى « ومن

يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شأن الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشأن وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين بإباه وصفه بالظلم والجهل أولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعى والاختيارى وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن أدائها فيكون الاباء امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى أن هذه الاجرام مع عظمها وقوتها أبين الخيانة لأمانتها وأتين بما أمرناهن به كقوله تعالى «أتينا طائعين» وخانها الانسان حيث لم يأت بما أمرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعنى فيها ونارا لمن عصانى فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لانحتمل فريضة ولا نبغى ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عليه الصلاة عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله مايشق عليه جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباءهن الاباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وفى نبه ويتوب الله على الاستئناف (وكان الله غفورا رحيما) مبالغا فى المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم وأثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلاة والسلام «من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وماملكت يمينه أعطى الامان من عذاب القبر» والله أعلم

(سورة سبأ)

مكية وقيل الا ويرى الذين أوتو العلم الآية وهى أربع وخمسون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذى له مافى السموات ومافى الارض) أى له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والأماتة جميع ماوجد فيهما داخلا فى حقيقتهما أو خارجا عنهما متمكنا فيهما فكأنه قيل له جميع المخلوقات كما مر فى آية الكرسى ووصفه تعالى بذلك لتقرير ماأفاده تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من

اختصاص جميع أفراده به تعالى على ما بين فى فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ماسواه من الموجودات التى من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها فى حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذى مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى (وله الحمد فى الآخرة) بيان لاختصاص الحمد الاخروى به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوى به على أن الجار متعلق امابنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر مايشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه فى الآخرة عن التعيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه فى الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضافيها بل ليعم النعم الأخروية كما فى قوله تعالى « الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة » وقوله تعالى « الذى أحلنا دار المقامة من فضله » الآية ومايكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما فى قوله تعالى « الحمد لله الذى هدانا لهذا » أى لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتى الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الاول على نهج العبادة والثانى على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد فى الخبر أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة (الخبير) ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى (يعلم مايلج فى الارض) الخ تفصيل لبعض مايحيط به علمه من الامور التى نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية أى يعلم مايدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها (ومايخرج منها) كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها (وماينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرىء وماننزل بالتشديد ونون العظمة (ومايعرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والادخنة (وهو الرحيم) للحامدين على ماذكر من نعمه (الغفور) للمفرطين فى ذلك بلطفه وكرمه (وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة) أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لاأنفسهم أو معاصريهم فقط كما أرادوا بنفى اتيانها نفى وجودها بالكلية لاعدم حضورها مع تحققها فى نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لاسيما أجزاء الزمان لايكون الابالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد (قل بلى) رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الااتيانها وقوله تعالى (وربى لتأتينكم) تأكيد له على أتم الوجوه وأكملها وقرىء

ليأتينكم على تأويل الساعة باليوم أو الوقت وقوله تعالى (عالم الغيب) الخ امداد للتأكيد وتسديد له إثر تسديد وكسر لسورة نكيرهم واستبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الأطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثباته وصحته لما أن ذلك فى حكم الاستشهاد على الأمر ولا ريب فى أن المستشهد به كلما كان أجل وأعلى كانت الشهادة آكد وأقوى والمستشهد عليه أحق بالثبوت وأولى لاسيما اذا خص بالذكر من النعوت ماله تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم الغيب الذى أشهر أفراده وأدخلها فى الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه المرتبة من اليمين أن لا يبقى للمعاندين عذر ما أصلا فانهم كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه مكابرة وقرىء علام الغيب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح (لا يعزب عنه) أى لا يبعد وقرىء بكسر الزاى (مثقال ذرة) مقدار أصغر نملة (فى السموات ولا فى الارض) أى كائنة فيهما (ولا أصغر من ذلك) أى من مثقال ذرة (ولا أكبر) أى منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى (الا فى كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنفى العزوب وقرىء ولا أصغر ولا أكبر بفتح الراء على نفى الجنس ولا يجوز أن يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بأنه فتح فى حيز الجر لامتناع الصرف لما أن الاستثناء يمنعه الا أن يجعل الضمير فى عنه للغيب ويجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لبروزه للمطالعين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شىء الا مسطورا فى اللوح (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله تعالى لتأتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها (أولئك) اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف أى أولئك الموصوفون بالصفات الجليلة (لهم) بسبب ذلك (مغفرة) لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر (ورزق كريم) لا تعب فيه ولا من عليه (والذين سعوا فى آياتنا) بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها (معاجزين) أى مسابقين كى يفوتونا. وقرىء معجزين أى مثبطين عن الايمان من أراده (أولئك لهم عذاب) الكلام فيه كالذى مر آنفا ومن فى قوله تعالى (من رجز) للبيان قال قتادة رضى الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى (أليم) بالرفع صفة عذاب أى أولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرىء أليم بالجر صفة لرجز (ويرى الذين أوتوا العلم) أى يعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم من علماء الامة

أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما رضى الله عنهم (الذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن هو (الحق) بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثانى وهو ضمير الفصل وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثانى ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستأنف مسوق للاستشهاد بأولى العلم على الجهلة الساعين فى الآيات وقيل منصوب عطفا على يجزى أى وليعلم أولو العلم عند مجىء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن برهانا ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز ان يراد بأولى العلم من لم يؤمن من الاحبار أى ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما (ويهدى) عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه فى تأويله كما فى قوله تعالى «صافات ويقبضن» أى وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذى انزل اليك الحق وهاديا (الى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستأنف وقيل حال من الذى انزل على اضمار مبتدأ أى وهو يهدى كما فى قول من قال نجوت وأرهنهم مالكا (وقال الذين كفروا) هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون به النبى عليه الصلاة والسلام وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم الله تعالى (ينبئكم) أى يحدثكم بعجب عجاب وقرىء ينبئكم من الانباء (اذا مزقتم كل ممزق) أى إذا متم ومزقت أجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا (انكم لفى خلق جديد) أى مستقرون فيه عدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو تخلقون خلقا جديدا للاشباع فى الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه مادل عليه المذكور لانفسه لما أن ما بعدان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع (أفترى على الله كذبا) فيما قاله (أم به جنة) أى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو مالا يكون من الاخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء أخص من الكذب (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلائهم بما قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم فى كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك الذى هو الجنون حقيقة وفيما يؤدى اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون مايقولون. وتقديم العذاب على مايوجبه ويستتبعه للمسارعة

الى بيان ما يسوءهم ويفت فى أعضادهم . والاشعار بغاية سرعة ترتبه عليه كأنه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذى هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضمير هم للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن علة ما ارتكبوه واجترءوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) استئناف مسوق لتهويل ما اجترءوا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام وأنه من العظائم الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريث وتأخير . والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (ان نشأ) الخ بيان لما ينبىء عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به أى أفعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم (نخسف بهم الارض) كما خسفناها بقارون (أو نسقط عليهم كسفا) أى قطعا (من السماء) كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديد عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما أحاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم أشد خلقا أم هى وان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرىء يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى «أفترى على الله» وكسفا بسكون السين (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب أو فيما تلى من الوحى الناطق بما ذكر (لآية) واضحة (لكل عبد منيب) شأنه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما أو فى الوحى المذكور ينزجر عن تعاطى القبائح وينيب اليه تعالى ويبحث بابلغ على التوبة والانابة وقد أكد ذلك بقوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا) أى آتيناه لحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام أى نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عليه الصلاة والسلام أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما فى قوله تعالى «وآتيناه من لدنا علما» وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام

بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ماحقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فاذا وردها يتمكن عندها فضل تمكن (ياجبال أوبى معه) من التأويب أى رجعى معه التسبيح أوالنوحة على الذنب ذلك امابأن يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام فى الشجرة أوبأن يتمثل له ذلك وقرىء أوبى من الاوب أى رجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه الصلاة والسلام يسمع من الجبال مايسمع من المسبح معجزة له عليه الصلاة والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قلنا أو من فضلا باضمار قولنا (والطير) بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه الصلاة والسلام تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائى ولا الى تقدير مضاف أى تسبيح الطير كما نقل عنه فى رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى مالايخفى وقرىء بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على أنه مفعول معه والاول هو الوجه وفى تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بأنه مامن حيوان وجماد وصامت وناطق الاوهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه تعالى وكمال كبرياء سلطانه مالايخفى على أولى الالباب (وألنا له الحديد) أى جعلناه لينا فى نفسه كالشمع يصرفه فى يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة أو جعلناه بالنسبة الى قوته التى آتيناها اياه لينا كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية (أن اعمل) أمرناه أن اعمل على أن أن مصدرية حذف عنها الباء وفى حملها على المفسرة تكلف لايخفى (سابغات) واسعات وقرىء صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو عليه الصلاة والسلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه الصلاة والسلام حين ملك على بنى اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل الناس ماتقولون فى داوود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله عنها فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه أن يسبب له مايستغنى به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء (وقدر فى السرد) السرد نسج الدروع أى اقتصد فى نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر فى مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظا وورد بان دروعه عليه الصلاة والسلام لم

تكن مسمرة كما ينبىء عنه إلانة الحديد ، وقيل معنى قدر فى السرد لا تصرف جميع أوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقى فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى (واعملوا صالحا) عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه الصلاة والسلام ولأهله (انى بما تعملون بصير) تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح وقرىء برفع الريح أى ولسليمان الريح مسخرة وقرىء الرياح (غدوها شهر ورواحها شهر) أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك والجملة اما مستأنفة أو حال من الريح وقرىء غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو أى من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل وقيل كان يتغذى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى أن بعضهم رأى مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى (وأسلنا له عين القطر) أى النحاس المذاب أساله من معدنه كما ألان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمى عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه) إما جملة من مبتدا وخبر أو من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة (باذن ربه) بامره تعالى كما ينبىء عنه قوله تعالى (ومن يزغ منهم عن أمرنا) أى ومن يعدل منهم عما أمرناه به من طاعة سليمان وقرىء يزغ على البناء للمفعول من أزاغه (نذقه من عذاب السعير) أى عذاب النار فى الآخرة روى عن السدى رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى (يعملون له ما يشاء) تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى (من محاريب) الخ بيان لما يشاء أى من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هى المساجد (وتماثيل) وصور الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ فى المساجد ليراها الناس ويعبدوا مثل عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروى أنهم عملوا أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد أظله النسران بأجنحتهما (وجفان) جمع جفنة وهى الصحفة (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهى من الصفات الغالبة كالدابة وقرىء باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة ألف رجل (وقدور راسيات) ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكرا) حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له أو مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له أو لفعله المحذوف أى اشكروا

شكرا أو حال أى شاكرين أو مفعول به أى اعملوا شكرا (وقليل من عبادي الشكور) أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروى انه عليه الصلاة والسلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى (فلما قضينا عليه الموت) أى على سليمان عليه السلام (مادلهم) أى الجن أو آله (على موته الا دابة الارض) أى الأرضة أضيفت الى فعلها وقرىء بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال أرضت الارضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا مثل أكلت القوادح أسنانه أكلا فأكلت أكلا (تأكل منسأته) أى عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد وقرىء منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساءته على مفعالة كميضاءة فى ميضأة ومن سأته أى من طرف عصاه من سئة القوس وفيه لغتان كما فى قحة بالكسر والفتح وقرىء أكلت منساته (فلما خر تبينت الجن) من تبينت الشىء اذا علمته بعد التباسه عليك اى علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين) أى أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى أن خر أو من تبين الشىء اذا ظهر وتجلى أى ظهرت الجن وأن مع مافى حيزها بدل اشتمال من الجن أى ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرىء تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين فى الحقيقة هو أن مع مافى حيزها لانه بدل وقرىء تبينت الانس والضمير فى كانوا للجن فى قوله تعالى « ومن الجن من يعمل » وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أن داود عليه السلام أسس بنيان بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى فتوفى قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان أجله وعلم به سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكىء عليها فبقى كذلك وهم فيما أمروا به من الاعمال حتى أكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى عليه الصلاة والسلام فلم يكن ينظر اليه شيطان فى صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا عصاه قد

أكلتها الارضة فارادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقى فى ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه (لقد كان لسبأ) بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان أحوال الشاكرين لها أى لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرىء بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرىء بقلب الهمزة ألفا ولعله اخراج لها بين بين (فى مسكنهم) وقرىء بكسر الكاف كالمسجد وقرىء بلفظ الجمع أى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال (آية) دالة بملاحظة أحوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الأمور البديعة المجازى للمحسن والمسىء معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان عليهما السلام (جنتان) بدل من آية أو خبر لمبتدأ محذوف أى هى جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين فى تقاربهما وتضامهما كأنهما جنة واحدة أو بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بان يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به أى بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرىء الكل بالنصب على المدح قيل كان أطيب البلاد هواء وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلىء المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من مؤذيات الهوام شىء (فأعرضوا) عن الشكر بعد ابانة الآيات الداعية لهم اليه قيل أرسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أى سيل الامر العرم أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذى يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذى يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذى بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه فى سقيهم وقيل العرم الجرذ الذى نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الأعمى

الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرىء العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام (وبدلناهم بجنتيهم) أي أذهبنا جنتيهم وآتيناهم بدلهما (جنتين ذواتي أكل خمط) أي ثمر بشع فان الخمط كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحامض والمر من كل شيء وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك أو كل شجر ذي شوك والتقدير أكل أكل خمط فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقرىء أكل خمط بالاضافة و بتخفيف أكل (وأثل وشيء من سدر قليل) معطوفان على أكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه أعظم منه ولا ثمر له وقرىء وأثلا وشيئا عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما أن جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره و ينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد ههنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم وتسمية البدل جنتين لمشاكلة والتهكم (ذلك) اشارة الى مصدر قوله تعالى (جزيناهم) أو إلى ماذكر من التبديل ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مفعول ثان له أي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر أو ذلك التبديل جزيناهم لا غيره (بما كفروا) بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم و وضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسل (وهل نجازي الا الكفور) أي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران أو الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول و رفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول أيضا وهذا بيان ما أوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم ومافعلوا بها من الكفران و مافعل بهم من الجزاء وقوله تعالى (و جعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها) حكاية لما أوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم و مافعلوا بها من الكفران و ماحاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التثنية و التكرير من زيادة تنبيه و تذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على مابعده من الجمل الناطقة بأفعالهم أو بأجزيتها أي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم أي بين بلادهم و بين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين أهلها أو راكبة متن

الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم (وقدرنا فيها السير) أى جعلناها فى نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادى من قرية يقيل فى أخرى والرائح منها يبيت فى أخرى الى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيرا لها فى الحضر والسفر (سيروا فيها) على ارادة القول أى وقلنا لهم سيروا فى تلك القرى (ليالى وأياما) أى متى شئتم من الليالى والايام (آمنين) من كل ماتكرهونه لايختلف الامن فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالى وأياما كثيرة أو سيروا فيها ليالى أعماركم وأيامها لاتلقون فيها الا الأمن لكن لاعلى الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) وقرىء يا ربنا بطروا النعمة وسئموا أطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد لكان اجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لايسمع فيها داع ولامجيب وقرىء بعد وربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرىء ربنا باعد بين اسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم مع قصرها أودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم يتشاجون على الله تعالى ويتحازنون عليه (وظلموا أنفسهم) حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة أوغمطوها (فجعلناهم أحاديث) أى جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفى عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير والايلام مالايخفى أى مزقناهم تمزيقا لاغاية وراءه بحيث يضرب به الامثال فى كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان وأصل قصتهم على مارواه الكلبى عن أبى صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبأ وبينهما اثناعشر أباوهو الذى يقال له مزيقيا بن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب

وتغريق سيل العرم الجنتين وعن أبى زيد الانصارى ان عمراً رأى جرذا يحفر السد فعلم أنه لابقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فباع أملاكه وسار بقومه وهم ألوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى اسمعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل اليهم ثعلبة بن عمرو ابن عامر يسألهم المقام معهم الى أن يرجع اليه رواده الذين أرسلهم الى أصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلاثة أيام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حولها فى قومه وعساكره حولا فأصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الأزد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشأم وانخزعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمر بن عامر وهو لحى تولى أمر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم أولاد اسمعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم فى ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فروة بن مسيك الغطيفى سأل النبى عليه الصلاة والسلام عن سبأ فقال عليه الصلاة والسلام «هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وأنمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيدى سبا شذر مذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الأوس والخزرج بيثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الأوس والخزوج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف أخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها» والجمهور على أن جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر . وأما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله تعالى أعلم (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم (لآيات) عظيمة (لكل صبار شكور) أى شأنه الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم. وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) أى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وقرىء بالتخفيف أى صدق فى ظنه أوصدق بظن ظنه. ويجوز تعدية

الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرىء بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له اغواؤهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهما كهم فى الشهوات أو ببنى آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى الى وسوسته قال ان ذريته أضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لاضلنهم ولاغوينهم (فاتبعوه) أى أهل سبا أو الناس (الا فريقا من المؤمنين) الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على أن من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار أو الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون (وما كان له عليهم من سلطان) أى تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) استثناء مفرغ من أعم العلل ومن موصولة أى وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو فى شك منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء أو الا ليتميز المؤمن من الشاك أو ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة (وربك على كل شىء حفيظ) أى محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متآخيتان (قل) أى للمشركين اظهارا لبطلان ماهم عليه وتبكيتا لهم (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتوهم آلهة وهما مفعولا زعم ثم حذف الاول تخفيفا لطول الموصول بصلته والثانى لقيام صفته أعنى قوله تعالى (من دون الله) مقامه ولا سبيل الى جعله مفعولا ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما وكذا لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم أجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون مثقال ذرة) من خير وشر ونفع وضر (فى السموات ولا فى الارض) أى فى أمر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أو لان الاسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (وما لهم) أى لآلهتهم (فيهما من شرك) أى شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا (وما له) أى لله تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) يعينه فى تدبير أمرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) أى لا توجد رأسا كما فى قوله:

ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى «من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه»

وانما علق النفى بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفى ماهو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى

(الا لمن أذن له) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لاتقع الشفاعة فى حال من الاحوال الا كائنة لمن أذن له فى الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية أما من جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ضرورة استحالة الأذن فى الشفاعة لجماد لايعقل ولاينطق وأما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان إذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى «لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا» ومن البين أن الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب أولاتنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها فى حال من الاحوال الا كائنة لمن أذن له أى لاجله وفى شأنه من المستحقين للشفاعة وأما من عداهم من غير المستحقين لها فلاتنفعهم أصلا وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء إذ لم يؤذن لهم فى شفاعتهم بل فى شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حيث حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها أولى وقرىء أذن له مبنيا للمفعول (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف منزل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع وأسند الفعل الى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبىء عنه ماقبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن أذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعى للترقب والانتظار للجواب كانه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون فى موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا أزيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتى وظهرت لهم تباشير الاجابة (قالوا) أى المشفوع لهم اذ هم المحتاجون الى الاذن والمهتمون بأمره (ماذا قال ربكم) أى فى شأن الاذن (قالوا) أى الشفعاء لانهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة (الحق) أى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرىء الحق مرفوعا أى ماقاله الحق (وهو العلى الكبير) من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه أى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لأحد من اشراف الخلائق أن يتكلم الا باذنه وقرىء فزع مخففا بمعنى فزع وقرىء فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرىء فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة أى نفى الوجل عنها وأفنى من فرغ الزاد اذا لم يبق منه شىء وهو من الاسناد المجازى لان الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فأسند اليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء وأصله

فرغ الوجل عنها أى انتفى عنها وفى ثم حذف الفاعل وأسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرىء ارتفع من قلوبهم بمعنى انكشف عنها (قل من يرزقكم من السموات والارض) أمر عليه الصلاة والسلام بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وأن الرزاق هو الله تعالى فانهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى «قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله» وحيث كانوا يتلعثمون احيانا فى الجواب مخافة الالزام قيل له عليه الصلاة والسلام (قل الله) اذ لاجواب سواه عندهم أيضا (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) أى وان أحد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به فى العبادة الجماد النازل فى أدنى المراتب الأمكانية لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ماسبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى الضلال أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الألد وقرىء وانا أواياكم إما على هدى أوفى ضلال مبين . واختلاف الجارين للايذان بان الهادى كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها والضال كأنه منغمس فى ظلام لايرى شيئا أومحبوس فى مطمورة لايستطيع الخروج منها (قل لاتسئلون عما أجرمنا ولانسئل عما تعملون) وهذا أبلغ فى الانصاف وأبعد من الجدل والاعتساف حيث أسند فيه الاجرام وان أريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل إلى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة عند الحشر والحساب (ثم يفتح بيننا بالحق) أى يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفيصل فى القضايا المنغلقة (العليم) بما ينبغى أن يقضى به (قل أرونى الذين ألحقتم) أى ألحقتموهم (به شركاء) اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمرأى منه عليه الصلاة والسلام اظهار خطئهم العظيم واطلاعهم على بطلان رأيهم أى أرونيها لأنظر بأى صفة ألحقتموها بالله الذى ليس كمثله شىء فى استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد الزام الحجة عليهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة (بل هو الله العزيز الحكيم) أى الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التى هى أخس الاشياء وأذلها من هذه الرتبة العالية والضمير إما لله عز وعلا أو للشان كما فى قل هو الله أحد (وما أرسلناك الا كافة للناس) أى الا ارسالة عامة لهم فانها اذ عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها أحد منهم

أو الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف . والتاء للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور (بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغى والضلال (ويقولون) من فرط جهلهم وغاية غيهم (متى هذا الوعد) بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا (ان كنتم صادقين) مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به (قل لكم ميعاد يوم) أى وعد يوم أو زمان وعد والاضافة للتبيين وقرىء ميعاد يوم منونين على البدل ويوما باضمار أعنى للتعظيم (لا تستأخرون عنه)عند مفاجأته (ساعة ولا تستقدمون) صفة لميعاد وفى هذا الجواب من المبالغة فى التهديد مالا يخفى حيث جعل الاستئخار فى الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا . ويجوز أن يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه وتقريره (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) أى من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروهم أنهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيامة (ولو ترى اذ الظالمون) المنكرون للبعث (موقوفون عند ربهم) أى فى موقف المحاسبة (يرجع بعضهم الى بعض القول) أى يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) بدل من يرجع الخ أى يقول الاتباع (للذين استكبروا) فى الدنيا واستتبعوهم فى الغى والضلال (لولا أنتم) أى لولا إضلالكم وصدكم لنا عن الايمان (لكنا مؤمنين) باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الايمان مثبتين أنهم هم الصادون بأنفسهم بسبب كونهم راسخين فى الاجرام (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) إضرابا عن إضرابهم وابطالا له (بل مكر الليل والنهار) أى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه وأقيم مقامه الظرف اتساعا أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى . وقرىء بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين أى بل صدنا مكركم فى الليل والنهار على أن التنوين عوض عن المضاف اليه أو مكر عظيم على أنه للتفخيم . وقرىء بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الاغواء مكرا دائبا

لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية أى بل صدنا مكركم الاغواء فى الليل والنهار على ماسبق من الاتساع فى الظرف باقامته مقام المضاف اليه والنصب على المصدرية أى بل تمكرون الاغواء مكر الليل والنهار أى مكراً دائماً وقوله تعالى (إذ تأمروننا) ظرف للمكر أى بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا (أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) على أن المراد بمكرهم إما نفس أمرهم بما ذكر كما فى قوله تعالى «ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا» فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى وأى نعمة وإما أمور أخر مقارنة لأمرهم داعية الى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أى أضمر الفريقان الندامة على مافعلا من الضلال والاضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعيير أو أظهروها فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم (وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم. والاظهار فى موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب اغلالهم (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) أى لا يجزون إلا جزاء ما كانوا يعملون أو إلا بما كانوا يعملونه على نزع الجار (وما أرسلنا فى قرية) من القرى (من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أى الفريقين خير مقاماً وأحسن نديا بأنه لم يرسل قط الى أهل قرية من نذير إلا قال مترفوهم مثل ما قال مترفو أهل مكة فى حقه عليه الصلاة والسلام وكادوا به نحو ما كادوا به عليه الصلاة والسلام وقاسوا أمور الآخرة الموهومة والمفروضة عندهم على أمور الدنيا وزعموا أنهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا أن المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهموها وعلى ذلك الرأى الركيك بنوا أحكامهم (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) إما بناء على انتفاء العذاب الأخروى رأساً أو على اعتقاد أنه تعالى أكرمهم فى الدنيا فلا يهينهم فى الآخرة على تقدير وقوعها (قل) رداً عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقاً للحق الذى عليه يدور أمر التكوين (ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (ويقدر) على من يشاء أن يقدره عليه من غير أن يكون لأحد من الفريقين داع الى مافعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصى ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معاً وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه أخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية

على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرىء ويقدر بالتشديد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون أن الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثانى بطريق الابتلاء ورفع الدرجات (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) كلام مستأنف من جهته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة فى تحقيق الحق وتقرير ما سبق أى وما جماعة أموالكم وأولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التأنيث أو بالخصلة التي تقربكم وقرىء بالذى أو بالشىء الذى (الا من آمن وعمل صالحا) استثناء من مفعول تقربكم أى وما الاموال والاولاد تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أى الا أموال من الخ (فأولئك) اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد فى الفعلين باعتبار لفظها . وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى فأولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح (لهم جزاء الضعف) أى ثابت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لأولئك . وفيه تأكيد لتكرر الاسناد أو يثبت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية . واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرىء جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء (بما عملوا) من الصالحات (وهم فى الغرفات) أى غرفات الجنة (آمنون) من جميع المكاره وقرىء بفتح الراء وسكونها وقرىء فى الغرفة على ارادة الجنس (والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطعن فيها (معاجزين) سابقين لانبيائنا أو زاعمين أنهم يفوتوننا (أولئك فى العذاب محضرون) لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا (قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) أى يوسعه عليه تارة (ويقدر له) أى يضيقه عليه تارة أخرى فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه) عوضا إما عاجلا واما آجلا (وهو خير الرازقين) فان غيره واسطة فى ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته (ويوم يحشرهم جميعا) أى المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله . ويوم ظرف لمضمر متأخر

سيأتى تقديره أو مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر (ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى «أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى» الخ وافناطا لهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم من رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون (قالوا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فاذا يقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون منزهين عن ذلك (سبحانك أنت ولينا من دونهم) والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على التحقق أى أنت الذى نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله سبحانه وتعالى وقيل كانوا يتمثلون لهم و يخيلون لهم أنهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الاول للانس أو للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثانى للجن (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ مما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الأشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذى هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه فى سلك عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم فى الاستحالة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع أنه لا بحث عنه أصلا إما لتعميم العجز أو لحمل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها أو لان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل (ونقول للذين ظلموا) عطف على تقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل فانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على جوابهم المحكى وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة أى يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) يكون

من الاهوال والاحوال مالا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) بيان لبعض آخر من كفرانهم أى اذا تتلى عليهم بلسان الرسول عليه الصلاة والسلام آياتنا الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك (قالوا ماهذا) يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستتبعكم بما يستدعيه من غير أن يكون هناك دين الهى واضافة الآباء الى المخاطبين لا الى أنفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة فى تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد (وقالوا ماهذا) يعنون القرآن الكريم (الا افك) أى كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له فى الواقع (مفترا) باسناده الى الله تعالى (وقال الذين كفروا للحق) أى لامر النبوة أو الاسلام أو القرآن على أن العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثانى نظمه المعجز (لما جاءهم) من غير تدبر ولا تأمل فيه (ان هذا الا سحر مبين) ظاهر سحريته. وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فيها دليل على صحة الاشراك كما فى قوله تعالى «أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون» وقوله تعالى «أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون» وقرئ يدرسونها ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فمن أين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى (وكذب الذين من قبلهم) من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أى ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسلى) عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى «كذبت قبلهم قوم نوح» فكذبوا عبدنا الخ (فكيف كان نكير) أى انكارى لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك (قل إنما أعظكم بواحدة) أى ما أرشدكم وأنصح لكم الا بخصلة واحدة هى مادل عليه قوله تعالى (أن تقوموا لله) على أنه بدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أى هى أن تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تنتصبوا للأمر خالصاً لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد (مثنى وفرادى) أى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالأوهام وفى تقديم مثنى ايذان بأنه أوثق وأقرب الى الاطمئنان (ثم تتفكروا)

فى أمره عليه الصلاة والسلام وما جاء به لتعلموا حقيقته وحقيته وقوله تعالى (ما بصاحبكم من جنة) استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والآخرة لايتصدى لادعائه الامجنون لايبالى بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم أنه عليه الصلاة والسلام أرجح العالمين عقلا وأصدقهم قولا وأزههم نفسا وأفضلهم علما وأحسنهم عملا وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه فى دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان تكون ما استفهامية على معنى ثم تتفكروا أى شىء به من آثار الجنون (إن هو إلا نذير لكم) بين يدى عذاب شديد هو عذاب الآخرة فانه عليه الصلاة والسلام مبعوث فى نسم الساعة (قل ما سألتكم من أجر) أى أى شىء سألتكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفى السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان أعطيتنى شيئا فخذه. وقيل ما موصولة أريد بها ماسألهم بقوله تعالى «ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا» وقوله تعالى «لاأسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى» واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه الصلاة والسلام أقرباهم (ان أجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد) مطلع يعلم صدقى وخلوص نيتى وقرىء ان أجرى بسكون الياء (قل ان ربى يقذف بالحق) أى يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده أو يرمى به الباطل فيدمغه أو يرمى به فى أقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق (علام الغيوب) صفة محمولة على محل ان واسمها أو بدل من المستكن فى يقذف أو خبر ثان لان أو خبر مبتدا محذوف وقرىء بالنصب صفة لربى أو مقدرا بأعنى وقرىء بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب (قل جاء الحق) أى الاسلام والتوحيد (وما يبدىء الباطل وما يعيد) أى زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلا مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا فى الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد: أقفر من أهله عبيد فليس يبدىء ولا يعيد وقيل الباطل ابليس أو الصنم والمعنى لاينشىء خلقا ولا يعيد أو لا يبدىء خيرا لاهله ولايعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها (قل إن ضللت) عن الطريق الحق (فانما أضل على نفسى) فان وبال ضلالى عليها لانه بسببها اذ هى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى (وان اهتديت فبما يوحى

الى ربى) لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرىء ربى بفتح الياء (انه سميع قريب) يعلم قول كل من المهتدى والضال وفعله وان بالغ فى إخفائهما (ولو ترى اذ فزعوا) عند الموت أو البعث أو يوم بدر . وعن ابن عباس رضى الله عنهما « ان ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم » وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا هائلا (فلا فوت) فلا يفوتون الله عز وجل بهرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الارض أو من الموقف الى النار أو من صحراء بدر الى قليبها أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرىء وأخذ بالعطف على محله أى فلا فوت هنا وهناك أخذ (وقالوا آمنا به) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مر ذكره فى قوله تعالى «ما بصاحبكم» (وأنى لهم التناوش) التناوش التناول السهل أى ومن أين لهم أن يتناولوا الايمان تناولا سهلا (من مكان بعيد) فانه فى حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم فى الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشىء من غلوة تناوله من ذراع فى الاستحالة وقرىء بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشىء اذا طلبته وعن أبى عمرو والتناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم ناشت إذا أبطأت وتأخرت ومنه قول من قال :

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى ... وقد حدثت بعد الأمور أمور

(وقد كفروا به) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالعذاب الشديد الذى أنذرهم اياه (من قبل) أى من قبل ذلك فى أوان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم فى حق الرسول عليه الصلاة والسلام من المطاعن أو العذاب المذكور من بت القول بنفيه (من مكان بعيد) من جهة بعيدة من حاله عليه الصلاة والسلام حيث ينسبونه صلى الله عليه وسلم إلى الشعر والسحر والكذب وان أبعد شىء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شىء من عادته المعروفة فيما بين الدانى والقاصى الكذب ولعله تمثيل لحالهم فى ذلك بحال من يرمى شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للوهم فى لحوقه وقرىء ويقذفون على أن الشيطان يلقى اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف فى تحصيل ما ضيعوه من الايمان فى الدنيا (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان والنجاة من النار وقرىء بإشمام الضم للحاء (كما فعل بأشياعهم من قبل) أى بأشباههم من كفرة الأمم الدارجة (انهم كانوا فى شك مريب) أى موقع فى الريبة أوذى ريبة والأول منقول

ممن يصح أن يكون مريبا من الأعيان إلى المعنى والثانى من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله أعلم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا .

(سورة الملائكة مكية)

(وهى خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كأنه شق العدم باخراجهما منه واضافته محضة لانه بمعنى الماضى فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل فى المشتق (جاعل الملائكة) الكلام فى إضافته وكونه نعتا أو بدلا كما قبله وقوله تعالى (رسلا) منصوب به على الوجه الثانى من الاضافة بالاتفاق وأما على الوجه الأول فكذلك عند الكسائى وأما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضى لا يعمل عندهم إلا معرفا باللام وقال أبو سعيد السيرافى اسم الفاعل المتعدى إلى اثنين يعمل فى الثانى لأن باضافته الى الأول تعذرت اضافته الى الثانى فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بأنه بالاضافة أشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرىء جاعل بالرفع على المدح وقرىء الذى فطر السموات والأرض وجعل الملائكة أى جاعلهم وسايط بينه تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة أو بينه تعالى وبين خلقه أيضا حيث يوصلون اليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا أما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرىء رسلا بسكون السين (أولى أجنحة) صفة لرسلا وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم جمع لذا ونظيرهما فى الأسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) صفات لاجنحة أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة فى العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى أن من الملائكة خلقا لكل واحد منهم جناحان وخلقا أجنحة كل منهم ثلاثة وخلقا أخر لكل منهم أربعة أجنحة ويروى أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة بجناحين منها يلقون أجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من جهته تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول

الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أنه سأله عليهما السلام أن يتراءى له فى صورة فقال انك لن تطيق ذلك قال انى أحب أن تفعل فخرج عليه الصلاة والسلام فى ليله مقمرة فأتاه جبريل عليهما السلام فى صورته فغشى عليه عليه الصلاة والسلام ثم أفاق وجبريل مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنى عشر جناحاً جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وأن العرش على كاهله وانه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير (يزيد فى الخلق مايشاء) استئناف مقرر لما قبله من تفاوت أحوال الملائكة فى عدد الأجنحة ومؤذن بأن ذلك من أحكام مشيئته تعالى لا لأمر راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلى ناطق بأنه تعالى يزيد فى أى خلق كان كل ما يشاء أن يزيده بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الامور التى لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام من تخصيص بعض المعانى بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى (إن الله على كل شىء قدير) تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء مما يوجب قدرته تعالى على أن يزيد كل مايشاؤه إيجاباً بينا (مايفتح الله للناس من رحمة) عبر عن ارسالها بالفتح إيذاناً بأنها أنفس الخزائن التى يتنافس فيها المتنافسون وأعزها منالا وتنكيرها للاشاعة والابهام أى أى شىء يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة وصحة وأمن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به (فلاممسك لها) أى لا أحد يقدر على إمساكها (وما يمسك) أى أى شىء يمسك (فلا مرسل له) أى لا أحد يقدر على إرساله. واختلاف الضميرين لما أن مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثانى مطلق يتناولها وغيرها كائناً ما كان. وفيه إشعار بأن رحمته سبقت غضبه (من بعده) أى من بعد إمساكه (وهو العزيز) الغالب على كل ما يشاء من الامور التى من جملتها الفتح والامساك (الحكيم) الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التى عليها يدور أمر التكوين وبعد مابين سبحانه أنه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير أن يكون لأحد فى ذلك دخل ما بوجه من الوجوه أمر الناس قاطبة أو أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال (ياأيها الناس اذكروا

نعمة الله عليكم) أى انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدراً أو كائنة عليكم ان جعلت اسما أى راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها. ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة فى نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى أن يكون فى الوجود شىء غيره تعالى يصدر عنه إحدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكارى المنادى باستحالة أن يجاب عنه بنعم فقال (هل من خالق غير الله) أى هل خالق مغاير له تعالى موجود على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة من لتأكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما أنه نعت له فى قراءة الجر باعتبار لفظه وقرىء بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى (يرزقكم من السماء والأرض) أى بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الاعراب داخل فى حيز النفى والانكار ولا مساغ لما قيل من أنه صفة أخرى لخالق مرفوعة المحل أو مجرورته لأن معناه نفى وجود خالق موصوف بوصفى المغايرة والرازقية معاً من غير تعرض لنفى وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من أنه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من أنه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية أى هل يرزقكم من خالق الخ لما أن معناهما نفى رازقية خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفى وجوده رأساً مع أنه المراد حتما ألا يرى الى قوله تعالى (لا إله إلا هو) فانه استئناف مسوق لتقرير النفى المستفاد منه قصداً وجار مجرى الجواب عما يوهم الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقاً بنفي الوجود تعين أن يكون ذلك أيضاً كذلك قطعاً والفاء فى قوله تعالى (فأنى تؤفكون) لترتيب إنكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كأنه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالألوهية والخالقية والرازقية فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين خطابى الناس مسارعة الى تسليته عليه الصلاة والسلام بعموم البلية أولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا أى وإن استمروا على أن يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما أقمت عليهم الحجة وألقمتهم الحجر فتأس بأولئك الرسل فى المصابرة على ما أصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ماذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب. وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة أى رسل أولو شأن خطير وذوو عدد كثير (والى الله ترجع الامور) لا الى غيره فيجازى كلا منك ومنهم بما أنتم عليه من الاحوال التى من جملتها صبرك وتكذيبهم. وفى الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة فى الوعد والوعيد مالا يخفي. وقرىء ترجع بفتح

التاء من الرجوع والاول أدخل فى التهويل (ياأيها الناس) رجوع إلى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير (إن وعد الله) المشار اليه برجع الأمور اليه تعالى من البعث والجزاء (حق) ثابت لامحالة من غير خلف (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بمتاعها و يلهيكم التلهى بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وإن توجه النهى صورة اليها كما فى قوله تعالى «لايجرمنكم شقاقى» (ولا يغرنكم بالله) وعفوه وكرمه تعالى (الغرور) أى المبالغ فى الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصى قائلا اعملوا ماشئتم إن الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان أمكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة. وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية وقرىء الغرور بالضم على أنه مصدر أوجمع غار كقعود جمع قاعد (ان الشيطان لكم عدو) عداوة قديمة لاتكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام به (فاتخذوه عدوا) بمخالفتكم له فى عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه فى مجامع أحوالكم وقوله تعالى (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على أن غرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين فى الدنيا عند سعى بعضهم فى حاجة بعض بل هو توريطهم وإلقاؤهم فى العذاب المخلد من حيث لايحتسبون (الذين كفروا لهم) بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته (عذاب شديد) لايقادر قدره مديد لايبلغ مداه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم) بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته عداوة الشيطان (مغفرة) عظيمة (وأجر كبير) لاغاية لهما (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتيب مابعدها على ماقبلها أى أبعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لاتكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ماحذف لدلالة ماسبق عليه وقوله تعالى (فان الله يضل) الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان أن الكل بمشيئته تعالى أى فأنه تعالى يضل (من يشاء) أن يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده أسفل سافلين (و يهدى من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى أعلى عليين و إما تمهيد لما يعقبه من نهيه عليه الصلاة والسلام عن التحسر و التحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان أنهم ليسوا بأهل لذلك بل لان يضرب

عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا أى أبعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) دلالة بينة و إما تمهيد لصرفه عليه الصلاة والسلام عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم و المبالغة فى دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه فى غاية الحسن عندهم أى أبعد ماذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع فى اسلامه وتتعب نفسك فى دعوته فحذف ما حذف لدلالة مامر من قوله تعالى «فان الله يضل من يشاء» الخ على أنه ممن شاء الله تعالى أن يضله فمن يهدى من أضل الله وما لهم من ناصرين وقرىء فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات اما مفعول له أى فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عليه الصلاة والسلام على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كأن كلها صارت حسرات وقوله تعالى (ان الله عليم بما يصنعون) أى من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت فى أبى جهل ومشركى مكة (والله الذى أرسل الرياح) مبتدأ وخبر وقرىء الريح . وصيغة المضارع فى قوله تعالى (فتثير سحابا) لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك أسند اليها أو للدلالة على استمرار الاثارة (فسقناه الى بلد ميت) وقرىء بالتخفيف (فأحيينا به الارض) أى بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما فى الذهن كما فى الخارج أو بالسحاب فانه سبب السبب (بعد موتها) أى يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضى للدلالة على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبىء عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين احياء الارض وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى (كذلك النشور) فى كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف فى حيز الرفع على الخبرية أى مثل ذلك الاحياء الذى تشاهدونه احياء الاموات فى صحة المقدور بة وسهولة التأتى من غير تفاوت بينهما أصلا سوى الالف فى الاول دون الثانى وقيل فى كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء فينبت منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة) هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا»

والذين كانوا يتعززون بهم من الذين آمنوا بألسنتهم كما فى قوله تعالى «الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة» والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرارها (فلله العزة جميعا) أى له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة أى فيطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى « وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » أى اليه يصل الكلم الطيب الذى به يطلب العزة لا إلى الملائكة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطى طلبته بالذات والمستكن فى يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل أو للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا تنال الدرجات العالية الا به . وقرىء يصعد من الاصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه الصلاة والسلام « أنه سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر اذا قالها العبد عرج بها الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم تقبل » وعن ابن مسعود رضى الله عنه « ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فما يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب العالمين» ومصداقه قوله عز وجل «اليه يصعد الكلم الطيب » الخ (والذين يمكرون السيئات) بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء وأهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح . وانتصاب السيئات على أنها صفة للمصدر المحذوف أى يمكرون المكرات السيئات وهى مكرات قريش بالنبى عليه الصلاة والسلام فى دار الندوة وتداورهم الرأى فى إحدى الثلاث التى هى الاثبات والقتل والاخراج (لهم) بسبب مكراتهم (عذاب شديد) لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون (ومكر أولئك) وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامى أمرهم فى الطغيان وبعد منزلتهم فى العدوان أى ومكر أولئك المفسدين الذين أرادوا أن يمكروا به عليه الصلاة والسلام (هو يبور)

أى هو يهلك و يفسد خاصة لا من مكروا به ولقد أبارهم الله تعالى بعد إبارة مكراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاثة التى اكتفوا فى حقه عليه الصلاة والسلام بواحدة منهن (والله خلقكم من تراب) دليل آخر على صحة البعث والنشور أى خلقكم ابتداء منه فى ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً اجماليا كما مر تحقيقه مرارا (ثم من نطفة) أى ثم خلقكم منها خلقاً تفصيلياً (ثم جعلكم أزواجا) أى أصنافا أو ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض (وماتحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه) الا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته (وما يعمر من معمر) أى من أحد وانما سمى معمرا باعتبار مصيره أى وما يمدفى عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أى من عمر أحد على طريقة قولهم لايثيب الله عبداً ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص فى عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت فى اللوح مثل أن يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فأربعون واليه أشار عليه الصلاة والسلام بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الأعمار وقيل المراد بالنقص مايمر من عمره وينقص فانه يكتب فى الصحيفة عمره كذا و كذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى يأتى على آخره وقرىء ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم (الا فى كتاب) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل انسان (ان ذلك) أى ماذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام (على الله يسير) لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذى يحرق بملوحته وقرىء سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف و ملح ككتف وقوله تعالى (ومن كل) أى من كل واحد منهما (تأكلون لحما طريا وتستخرجون) أى من المالح خاصة (حلية تلبسونها) إما استطراد فى صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع وإما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا فى بعض الفوائد لايتساويان من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط أحدهما ماأفسده وغيره عن كمال فطرته لايساوى الكافر المؤمن وان شاركه فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية وحيازته لكماله اللائق دون الآخر أو تفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب فى منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع

بالكلية على طريقة قوله تعالى «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله» والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) أى فى كل منهما و إفراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لأن الخطاب فى كل واحد تتأتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط (مواخر) شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما تدل عليه الأفعال المذكورة أى فعل ذلك لتبتغوا من فضله (ولعلكم تشكرون) أى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضياً عند الله تعالى (يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل) بزيادة أحدهما ونقص الآخر باضافة بعض أجزاء كل منهما الى الآخر (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن إيلاج أحد الملوين فى الآخر متجدد حيناً فحيناً وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه و إنما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير اليه بقوله تعالى (كل يجرى) أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جرياناً مستمراً (لأجل مسمى) قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن حركتيهما الخاصتين بهما فى فلكيهما والأجل المسمى هو منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله فى سورة لقمان (ذلكم) إشارة الى فاعل الأفاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أى ذلكم العظيم الشأن الذى أبدع هذه الصنائع البديعة (الله ربكم له الملك) وفيه من الدلالة على أن ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الأخبار له ما لا يخفى و يجوز أن يكون الأخير كلاماً مبتدأ فى مقابلة قوله تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) للدلالة على تفرده تعالى بالألوهية والربوبية وقرىء يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل فى القلة والحقارة (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) استئناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعونه بأنه جماد ليس من شأنه السماع (ولو سمعوا) على الفرض والتقدير (ما استجابوا لكم) لعجزهم عن الافعال بالمرة لا لما قيل من أنهم متبرؤن منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم فى الدنيا (و يوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم إياهم بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك بالأمر مثل خبير

أخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الأمور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) في أنفسكم وفيما يعن بكم من أمر مبهم أو خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب وأن افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى «وخلق الانسان ضعيفا» (والله هو الغني الحميد) أي المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وماذلك) أي ماذكر من الاذهاب بهم والاتيان بآخرين (على الله بعزيز) بمتعذر ولا متعسر (ولا تزر وازرة) أي لا تحمل نفس آثمة (وزر أخرى) إثم نفس أخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها وأما ما في قوله تعالى «وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم» من حمل المضلين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال ضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من أوزار غيرهم شيء (وان تدع مثقلة) أي نفس أثقلتها الأوزار (الى حملها) لحمل بعض أوزارها (لا يحمل منه شيء) لم تجب بحمل شيء منه (ولو كان) أي المدعو المفهوم من الدعوة (ذا قربى) ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والأول نفي له إجبارا (إنما تنذر) استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر أي إنما تنذر بهذه الانذارات (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أو عن الناس في خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم (وأقاموا الصلاة) أي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا أي انما ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل التمرد والعناد (ومن تزكى) أي تطهر من أوضار الأوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الانذارات (فانما يتزكى لنفسه) لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس إلا عليها. وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم وإقامتهم الصلاة لانها من معظم مبادي التزكي (والى الله المصير) لا الى أحد غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازيهم على تزكيهم أحسن الجزاء (وما يستوي الأعمى والبصير) أي الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) أي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع إفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق (ولا الظل ولا الحرور) أي ولا الثواب ولا العقاب وادخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على

السموم وقيل السموم ما يهب نهاراً والحرور مايهب ليلا (ومايستوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة الجمع فى الطرفين تحقيقاً للتباين بين أفراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة (ان الله يسمع من يشاء) أن يسمعه و يوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته (وما أنت بمسمع من فى القبور) ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات وإشباع فى اقناطه عليه الصلاة و السلام من ايمانهم (ان أنت إلا نذير) ماعليك إلا الانذار وأماالاسماع ألبتة فليس من وظائفك ولاحيلة لك إليه فى المطبوع على قلوبهم (اناأرسلناك بالحق) أى محقين أو محقاً أنت أو ارسالا مصحوباً بالحق و يجوز أن يتعلق بقوله (بشيراً ونذيراً) أي بشيراً بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق (وان من أمة) أى أى مامن أمة من الأمم الدارجة فى الازمنة الماضية (الا خلا) أى مضى (فيها نذير) من نبى أو عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا آنفا ولان الانذار هوالأنسب بالمقام (وان يكذبوك) أى تموا عن تكذيبك فلاتبال بهم وبتكذيبهم (فقد كذب الذين من قبلهم) من الأمم العاتية (جاءتهم رسلهم بالبينات) أى المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم (وبالزبر) كصحف ابراهيم (و بالكتاب المنير) بالتوراة والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع و يجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين (ثم أخذت الذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة والأشعار بعلة الأخذ (فكيف كان نكير) أى انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تشديد وتهويل لها (ألم تر) استئناف مسوق لتقرير ماقبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف والتفاوت أمر مطرد فى جميع المخلوقات من الجماد والنبات والحيوان والرؤية قلبية أى ألم تعلم (أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) بذلك الماء والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبىء عن كمال القدرة والحكمة (ثمرات مختلفاً ألوانها) أى أجناسها وأصنافها على أن كلا منها ذو أصناف مختلفة أو هيآتها وأشكالها أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الأوفق لما فى قوله تعالى (ومن الجبال جدد) أىذو جدد أى خطط وطرائق و يقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرىء جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح (بيض وحمر مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرابيب سود) عطف على بيض أوعلى جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد و منها ماهو على

نون واحد غرابيب وهو تأكيد لمضمر يفسره مابعده فأن الغربيب تأكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقانىء للأحمر ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره فى الصفة قول النابغة : والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفى مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الاضمار والأظهار (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) أى ومنهم بعض مختلف ألوانه أو وبعضهم مختلف ألوانه على مامر فى قوله تعالى « ومن الناس من يقول آمنا بالله » وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما ما قبلهما من الجملة الفعلية فى الاستشهاد بمضمونهما على تباين الناس فى الأحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار وأما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان أمرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية ثم بطريق الاستفهام التقريري المنبىء عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف أحوال الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى (كذلك) مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف أى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا كائنا كذلك أى كاختلاف الثمار والجبال . وقرىء ألوانا وقرىء والدواب بالتخفيف مبالغة فى الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) تكملة لقوله تعالى « إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب » بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما فى الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما فى الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أى انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشئونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عزوجل كما قال عليه الصلاة والسلام « أنا أخشاكم لله وأتقاكم له » ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كانت الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية . وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الأمر وقرىء برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا (ان الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه (ان الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءته أو متابعة مافيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من

الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذاك فان صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتى من توفية الاجور و زيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل إليه كيف لا والمقصود الترغيب فى دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشباع فى ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة فى تلاوتها والاقبال على العمل بها . وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما أن الباقى مشروعا ليس الا حكمها لكن لا من حيث إنه حكمها بل من حيث إنه حكم القرآن وأما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الأجر بالمرة فتدبر (وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) كيفما اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى (لن تبور) أى لن تكسد ولن تهلك بالخسران أصلا صفة لتجارة جيء بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله تعالى (ليوفيهم أجورهم) متعلق بلن تبور على معنى أنه ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليوفيهم أجور أعمالهم (ويزيدهم من فضله) على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من أفعالهم المرضية أى فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل بيرجون على أن اللام للعاقبة (انه غفور شكور) تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم أى مجازيهم عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو أنفقوا (والذى أوحينا اليك من الكتاب) وهو القرآن ومن للتبيين أو الجنس أو للتبعيض وقيل اللوح [ومن للابتداء (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أى أحقه مصدقا لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه فى العقائد وأصول الاحكام (ان الله بعباده لخبير بصير) محيط ببواطن أمورهم وظواهرها فلو كان فى أحوالك ماينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الحق المعجز الذى هو عيار على سائر الكتب . وتقديم الخبير للتنبيه على أن العمدة هى الامور الروحانية (ثم أورثنا الكتاب) أى قضينا بتوريثه منك أو نورثه والتعبير عنه بالماضى لتقرره وتحققه وقيل أورثناه من الامم السالفة أى أخرناه عنهم وأعطيناه (الذين اصطفينا من عبادنا) وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير سيرتهم أو الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس

واختصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسله عليهم الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى « فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب » الآية (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير فى العمل به وهو المرجأ لأمر الله (ومنهم مقتصد) يعمل به فى أغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء (ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم المداومون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفى قوله تعالى « بإذن الله » أى بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيء والسابق الذى رجحت حسناته بحيث صارت سيآته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام « أما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما المقتصدون فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته » وقد روى أن عمر رضى الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له » (ذلك) اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته فى الشرف (هو الفضل الكبير) من الله عز وجل لا ينال الا بتوفيقه تعالى (جنات عدن) اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب أو مبتدأ خبره (يدخلونها) وعلى الاول هو مستأنف . وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس . وتخصيص حال السابقين وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذير لهما من التقصير وتحريضا على السعى فى ادراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول (يحلون فيها) خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية (من أساور) هى جمع أسورة جمع سوار (من ذهب) من الاولى تبعيضية والثانية بيانية أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه أفضل من سائر أفرادها (ولؤلؤا) بالنصب عطفا على محل من أساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب فى صفاء اللؤلؤ (ولباسهم فيها حرير) وتغيير الاسلوب قد مر سره فى سورة الحج (وقالوا) أى يقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضى الله عنهما حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل

هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر أنه الجنس المنتظم لجميع أحزان الدين والدنيا وقرىء الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكأني بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن» (إن ربنا لغفور) أي للمذنبين (شكور) للمطيعين (الذي أحلنا دار المقامة) أي دار الاقامة التي لا انتقال عنها أبداً (من فضله) من انعامه وتفضله من غير أن يوجبه شيء من قبلنا (لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) كلال والفرق بينهما أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) ويستريحوا ونصبه بأضمار أن. وقرىء فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى «ولا يؤذن لهم فيعتذرون» (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد اسعارها (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى كل كفور) مبالغ في الكفر أو الكفران لا جزاء أخف وأدنى منه وقرىء يجزى على البناء للمفعول واسناده الى الكل وقرىء يجازى (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) بأضمار القول. وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة أي ألم نمهلكم أولم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر أي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو أربعون سنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ستون سنة وروى ذلك عن على رضى الله عنه وهو العمر الذي أعذر الله فيه الى ابن آدم قال عليه الصلاة والسلام « أعذر الله الى امرىء أخر أجله حتى بلغ ستين سنة » وقوله تعالى (وجاءكم النذير) عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى « ألم نشرح لك صدرك ووضعنا » الخ لانه في معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه

الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى (فذوقوا) لترتيب الامر بالذوق على ماقبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى (فما للظالمين من نصير) للتعليل (إن الله عالم غيب السموات والارض) بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية أي لايخفى عليه خافية فيهما فلاتخفى عليه أحوالهم (إنه عليم بذات الصدور) قيل إنه تعليل لماقبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى أنه تعالى جعلكم خلفاءه في أرضه وألقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على مافيها وأباح لكم منافعها أو جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم وأورثكم مابأيديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها (فعليه كفره) أي وبال كفره لايتعداه الى غيره وقوله تعالى (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا) بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم أي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي مابعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة (قل) تبكيتا لهم (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير أن يكون له أصل ما أصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق النظم الكريم وسباقه (أروني ماذا خلقوا من الارض) بدل اشتمال من أرأيتم كانه قيل أخبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا من الارض (أم لهم شرك في السموات) أي أم لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية (أم آتيناهم كتابا) ينطق بأنا اتخذناهم شركاء (فهم على بينة منه) أي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز أن يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات وفيه ايماء الى أن الشرك أمر خطير لابد في اثباته من تعاضد الدلائل (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الاغرورا) لما نفى أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الأسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب اليه (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله أي يمسكهما كراهة زوالهما أو يمنعهما ان تزولا لان

الامساك منع (ولئن زالتا ان أمسكهما) أي ما أمسكهما (من أحد من بعده) من بعد امساكه تعالى أو من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء (انه كان حليما غفورا) غير معاجل بالعقوبة التى تستوجبها جناياتهم حيث أمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرىء ولو زالتا (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم) بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم أو من الامة التى يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة (فلما جاءهم نذير) وأي نذير أشرف الرسل عليهم الصلاة والسلام (ما زادهم) أي النذير أو مجيئه (الا نفورا) تباعدا عن الحق (استكبارا فى الارض) بدل من نفورا أو مفعول له (ومكر السيء) أصله وأن مكروا السيء أي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء وقرىء بسكون الهمزة فى الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا أو وقفة خفيفة وقرىء مكرا سيئا (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله فهل ينظرون) أي ما ينتظرون (الا سنة الاولين) أي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنت الله تبديلا) بان يضع موضع العذاب غير العذاب (ولن تجد لسنت الله تحويلا) بأن ينقله من المكذبين الى غيرهم والفاء لتعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفى وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفى وجودهما بالطريق البرهانى وتخصيص كل منهما بنفى مستقل لتأكيد انتفائهما (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه فى مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الأمم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام أي أقعدوا فى مساكنهم ولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم (وكانوا أشد منهم قوة) وأطول أعمارا فما نفعهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى (وما كان الله ليعجزه من شيء) أي ليسبقه ويفوته (فى السموات ولا فى الارض) اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى (انه كان عليما قديرا) أي مبالغا فى العلم والقدرة ولذلك علم بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك (ولو يؤاخذ الله الناس)

جميعا (بما كسبوا) من السيآت كما فعل بأولئك (ماترك على ظهرها) أى على ظهر الارض (من دابة) من نسمة تدب عليها من بنى آدم وقيل ومن غيرهم أيضا من شؤم معاصيهم وهو المروى عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما ويعضد الاول قوله تعالى (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (فأذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم إن خيرا فخير وان شرا فشر . عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت والله تعالى أعلم

(سورة يس مكية)

وعنه عليه الصلاة والسلام تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة وآيها ثلاث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

(يس) اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب أو اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة يس بالرفع والنصب أى هذه يس أو اقرأ يس ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان مابعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين قسمين على شئ واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف فى فاتحة سورة البقرة من أن ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون أو كانت موازنة لمفرد نحو طس ويس وحم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيها الاعراب اللفظى ذكره سيبويه فى باب أسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما فى حيث وأين حسبما يشهد بذلك قراءة يس بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد فى الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه ياإنسان فى لغة طيئ قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل أصله ياأنيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله فى أيمن الله (والقرآن) بالجر على أنه مقسم به ابتداء وقد جوز أن يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم (الحكيم) أى المتضمن للحكمة أو الناطق بها بطريق الاستعارة أو المتصف بها على الاسناد المجازى

وقد جوز أن يكون الاصل الحكيم قائله لحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن فى الصفة المشبهة كما مر فى صدر سورة لقمان (انك لمن المرسلين) جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما أشير اليه بقوله تعالى فى جوابهم قل كفى بالله شهيدا بينى و بينكم وفى تخصيص القرآن بالاقسام به أولا و بوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشأنه وتنبيه على أنه كما يشهد برسالته عليه الصلاة والسلام من حيث نظمه المعجز المنطوى على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الحيثية أيضا لما أن الاقسام بالشئ استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى (على صراط مستقيم) خبر آخر. لان أو حال من المستكن فى الجار والمجرور على أنه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان أن شريعته عليه الصلاة والسلام أقوم الشرائع وأعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمى والوصف اثر بيان أنه عليه الصلاة والسلام من جملة المرسلين بالشرائع (تنزيل العزيز الرحيم) نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف و بالجر على أنه بدل من القرآن وأياما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال عراقته فى كونه منزلا من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل واظهار الفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة . وفى تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعار بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وقيل النصب على أنه مصدر مؤكد لفعله المضمر أى نزل تنزيل العزيز الرحيم على أنه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية (لتنذر) متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامله المضمر على الوجه الاخير أى لتنذر به كما فى صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين أى انك مرسل لتنذر (قوما ما أنذر آباؤهم) أى لم ينذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة على أن ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم إلى الانذار أو الذى أنذره أو شيئا أنذره آباؤهم الأبعدون على أنها موصولة أو موصوفة فتكون مفعولا ثانيا لتنذر أو انذار آبائهم الأقدمين على أنها مصدرية فيكون نعتا لمصدر مؤكد أى لتنذر إنذارا كائنا مثل إنذارهم (فهم غافلون) على الوجه الأول متعلق بنفى الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين أى لم تنذر آباؤهم فهم جميعا لأجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق

بقوله تعالى لتنذر أو بما يفيده إنك لمن المرسلين وارد لتعليل إنذاره عليه السلام أو ارساله بغفلتهم المحوجة إليهما على أن الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه أى عما أنذر آباؤهم الأقدمون لامتداد المدة واللام فى قوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم) جواب القسم أى والله لقد ثبت وتحقق عليهم ألبتة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختيارى على الكفر والانكار وعدم تأثره من التذكير والانذار وغلوهم فى العتو والطغيان وتماديهم فى اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لأغوينهم أجمعين« لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين»وهو المعنى بقوله تعالى « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد أوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع إبليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعاً وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم إنما هو لكونهم من جملة أولئك المصرين على تبعية إبليس أبداً وإذ قد تبين أن مناط ثبوت القول وتحققه عليهم إصرارهم على الكفر إلى الموت ظهر أن قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) متفرع فى الحقيقة عن ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى (إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم (فهى إلى الأذقان) أى فالأغلال منتهية إلى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رءوسهم له (فهم مقمحون) رافعون رءوسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق أو ينظرون إلى جهته (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) إما تتمة للتمثيل وتكميل له أى تكميل أى وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سداً عظيماً ومن ورائهم سداً كذلك فغطينا بهما أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شىء ما أصلا وإما تمثيل مستقل فان ماذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون شيئاً قطعاً كاف فى الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين فى مطمورة الغى والجهالات محرومين عن النظر فى الأدلة والآيات وقرىء سداً بالضم وهى لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فبالضم وقرىء فأعشيناهم من العشا وقيل الآيتان فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو عليه الصلاة والسلام يصلى ومعه حجر

ليدمغه فلما رفع يده انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم بذلك فقال مخزومي آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله تعالى بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بيان لشأنهم بطريق التصريح إثر بيانه بطريق التمثيل أي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى (لا يؤمنون) استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء أو حال مؤكدة له أو بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل (إنما تنذر) أي إنذارا مستتبعا للأثر (من اتبع الذكر) أي القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان (وخشي الرحمن بالغيب) أي خاف عقابه وهو غائب عنه على أنه حال من الفاعل أو المفعول أو خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى «نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الاليم» (فبشره بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة أو الامر بها على ما قبلها من اتباع الذكر والخشية (انا نحن نحيي الموتى) بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير انطواء اجماليا أي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به (ونكتب ما قدموا) أي ما أسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها (وآثارهم) التي أبقوها من الحسنات كعلم علموه أو كتاب ألفوه أو حبيس وقفوه أو بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيآت كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي أحدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد أنها من جملة الآثار وقرىء ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم (وكل شيء) من الاشياء كائنا ما كان (أحصيناه في امام مبين) أصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرىء كل شيء بالرفع (واضرب لهم مثلا أصحاب القرية) ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما في قوله تعالى «ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط» وأخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى «وضربنا لكم الامثال» على أحد الوجهين أي بينا لكم أحوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول جعل أصحاب القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على

تكذيب الرسل أى طبق حالهم بحالهم على أن مثلا مفعول ثان لاضرب . أصحاب القرية مفعوله الاول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثانى اذكر وبين لهم قصة هي فى الغرابة كالمثل وقوله تعالى «أصحاب القرية» بدل منه بتقدير المضاف أو بيان له والقرية انطاكية (إذ جاءها المرسلون) بدل اشتمال من أصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام الى أهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى فى قوله (إذ أرسلنا اليهم اثنين) بناء على أنه كان بأمره تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يوحنا وبولس وقيل غيرهما (فكذبوهما) أى فأتياهم فدعواهم الى الحق فكذبوهما فى الرسالة (فعززنا) أى قوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرىء بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصد ذكر المعزز به (بثالث) هو شمعون (فقالوا) أى جميعا (انا اليكم مرسلون) مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما أن تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فأخبراه قال أمعكما آية فقالا نشفى المريض ونبرىء الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفى على أيديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما بلغنى أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بينى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قالا الله الذى خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قال ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فأخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع وهم يحسبون أنه منهم ثم قال ان قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال انى أدخلت فى سبعة أودية من النار وانى أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب

الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم فى العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة فى الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن أحد سوى حبيب ولو أن الملك وقوما من حواشيه آمنوا لكان الظاهر أن يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا فى ذلك أو قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا أن يكون إيمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملئه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الأعذار (قالوا) أى أهل أنطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة (ما أنتم إلا بشر مثلنا) من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفى المقتضى لاعمال ما بالا (وما أنزل الرحمن من شىء) مما تدعونه من الوحى والرسالة (إن أنتم الا تكذبون) فى دعوى رسالته (قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار (وما علينا) أى من جهة ربنا (الا البلاغ المبين) أى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهراً بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا أو ما علينا شىء نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فأى شىء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك (قالوا) لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (انا تطيرنا بكم) تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بأنفسهم وأهليهم وأموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روى أنه حبس عنهم القطر فقالوه (لئن لم تنتهوا) أى عن مقالتكم هذه (لنرجمنكم) بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) لا يقادر قدره (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم وقرئ طيركم (أئن ذكرتم) أى وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أى تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بألف بين الهمزتين وبفتح أن بمعنى أتطيرتم لأن ذكرتم وأن ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام وأين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ (بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم أو مصححا للتوعد أى

ليس الامر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك أتاكم الشؤم أو في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان ينحت أصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره عليه الصلاة والسلام أحد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام أظهر دينه (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كأنه قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال (ياقوم اتبعوا المرسلين) تعرض لعنوان رسالتهم حثالهم على اتباعهم كما أن خطابهم بياقوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) تكرير للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي والاهتداء الى خير الدنيا والدين (ومالي لاأعبد الذي فطرني) تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث أراهم انه اختارلهم مايختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبيء عنه قوله (واليه ترجعون) مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال (أأتخذ من دونه آلهة) انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله (إن يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا) أي لاتنفعني شيئا من النفع (ولاينقذون) من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك وقرىء ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا أي يجعلني موردا للضر (إني اذا) أي اذا اتخذت من دونه آلهة (لفي ضلال مبين) فان اشراك ماليس من شأنه النفع ولادفع الضر بالخالق المقتدر الذي لاقادر غيره ولاخير الاخيره ضلال بين لايخفى على أحد ممن له تمييز في الجملة (اني آمنت بربكم) خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لمانصح قومه بماذكر هموا برجمه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك وانما أكده لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط وأضاف الرب الى ضميرهم روما لزيادة التقرير واظهارا للاختصاص والاقتداء بهم كأنه قال بربكم الذي أرسلكم أو الذي تدعوننا الى الايمان به (فاسمعون) أي اسمعوا ايماني واشهدوا لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ماهم عليه من اتخاذ الاصنام أربابا وقيل للناس جميعا (قيل ادخل الجنة) قيل

له ذلك المقتول اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة فى المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى (قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة جريا على سنن الأولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم فى أمره وأنه كان على الحق وأن عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية وردت على الأصل والباء متعلقة بغفر أى بأى شىء غفر لى ربى يريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على أذيتهم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء إلى تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم (وما كنا منزلين) وما صح فى حكمتنا أن ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما أنا قدرنا لكل شىء سببا حيث أهلكنا بعض من أهلكنا من الأمم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالأغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند أى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وأمطار شديدة وغيرها (ان كانت) أى ما كانت الأخذة أو العقوبة (الا صيحة واحدة) صاح بها جبريل عليه السلام وقرىء الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرىء الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح (فاذاهم خامدون) ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى أن الحى كالنار الساطعة فى الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد:

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ... يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

(ياحسرة على العباد) تعالى فهذه من الاحوال التى حقها أن تحضرى فيها وهى ما دل عليه قوله تعالى (ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فان المستهزئين بالناصحين الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون

أو قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز أن يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة ياحسرتا لأن المعنى ياحسرتى ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ ياحسرة العباد بالاضافة الى الفاعل أو المفعول وياحسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) أى ألم يعلموا وهو معلق عن العمل فى قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك ألم تر أن زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى أى ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ ألم يروا من أهلكنا والبدل حينئذ بدل اشتمال (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على أن ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ (وآية لهم الارض الميتة) بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم إما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة أو بمضمر هو صفة لها والارض مبتدا والميتة صفتها وقوله تعالى (أحييناها) استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض الميتة مبتدأ موصوف وأحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدأ وأحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها هو الارض وأحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هى الارض (وأخرجنا منها حبا) جنس الحب (فمنه يأكلون) تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أى من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع (وفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى (من العيون) أى بعضا من العيون فحذف الموصول وأقيمت الصفة

مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأى الاخفش (ليأكلوا من ثمره) متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لانه من مبادى الاثمار أى وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادى أثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لأن الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهي لغة فيه أوجمع ثمار وبضمة وسكون (وما عملته أيديهم) عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل مانافية والمعنى أن الثمر بخلق الله تعالى لابفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤكد الأول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها (أفلا يشكرون) إنكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيرون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرونها (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على آلائه المذكورة واستعظام ما ذكر فى حيز الصلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجيب من إخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقاداً وقولا أى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح فى الأرض والماء اذا أبعد فيهما وأمعن ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى أسبح سبحانه أى أنزهه عما لا يليق به عقداً وعملا تنزيهاً خاصاً به حقيقاً بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلى عن السوء ففيه مبالغة من جهة إسناد التنزه إلى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزهاً خاصاً به فالجملة على هذا إخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الأول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالأزواج الأصناف والأنواع (مما تنبت الأرض) بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة وغيرها (ومن انفسهم) أى خلق الأزواج من أنفسهم أى الذكر والأنثى (ومما لا يعلمون) أى والأزواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من

مصالحهم الدينية والدنيوية وإنما أطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى « ويخلق مالا تعلمون » لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه (وآية لهم الليل) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر كما مر وقوله تعالى (نسلخ منه النهار) جملة مبينة لكيفية كونه آية أى نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من السلخ وهو إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب فى الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة (فاذاهم مظلمون) أى داخلون فى الظلام مفاجأة وفيه رمز إلى أن الأصل هو الظلام والنور عارض (والشمس تجرى لمستقر لها) لحد معين ينتهى اليه دورها فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو لكبد السماء فان حركتها فيه توجد أبطأ بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال

والشمس حيرى لها بالجو تدويم

أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما إلى العام القابل أو لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرىء إلى مستقر لها وقرىء لا مستقر لها أى لا سكون لها فانها متحركة دائما وقرىء لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) إشارة إلى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته أى ذلك الجرى البديع المنطوى على الحكم الرائعة التى تحار فى فهمها العقول والأفهام (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط علمه بكل معلوم (والقمر قدرناه) بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرىء بالرفع على الابتداء أى قدرنا له (منازل) وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهى ثمانية وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس (حتى عاد كالعرجون) كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرىء كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون (القديم) العتيق وقيل هو مامر عليه حول فصاعدا (لا الشمس ينبغى لها) أى يصح ويتسهل (أن تدرك القمر) فى سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو فى الآثار والمنافع أو فى المكان بأن تنزل فى منزله أو فى سلطانه فتطمس نوره . وإيلاء حرف النفى الشمس للدلالة على

أنها مسخرة لا يتيسر لها الا ماقدر لها (ولا الليل سابق النهار) أى يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكساً للأول . وإيراد السبق مكان الادراك لأنه الملائم لسرعة سيره (وكل) أى وكلهم على أن التنوين عوض عن المضاف إليه الذى هو الضمير العائد إلى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الأحوال يوجب تعددا إما فى الذات أو إلى الكواكب فان ذكرها مشعر بها (فى فلك يسبحون) يسيرون بانبساط وسهولة (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لاسيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم فى السفن أشق واستمساكهم فيها أبدع (فى الفلك المشحون) أى المملوء وقيل هو فلك نوح عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الأقدمين وفى أصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص أعقابهم بالذكر دونهم لأنه أبلغ فى الامتنان وأدخل فى التعجيب الذى عليه يدور كونه آية (وخلقنا لهم من مثله) مما يماثل الفلك (مايركبون) من الابل فانها سفائن البر أو مما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم باقدار الله تعالى وإلهامه بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل «واصنع الفلك بأعيننا ووحينا » والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما أن التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار (وان نشأ نغرقهم) الخ من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى « واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين » وقرىء نغرقهم بالتشديد وفى تعليق الأغراق بمحض المشيئة اشعار بانه قد تكامل مايوجب اهلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به أى إن نشأ نغرقهم فى اليم مع ماحملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الأبل حينئذ كلام جىء به فى خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الأبل والفلك فكأنها نوع منه أو مع مايركبون من السفن والزوارق (فلا صريخ لهم) اى فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاهم الصريخ (ولاهم ينقذون) أى ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى (إلا رحمة منا ومتاعا) استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة أى لا يغاثون ولا ينقذون لشىء من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية إلى الأغاثة والانقاذ

وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز أن يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ أى لنوع من الرحمة وتمتيع (إلى حين) أى إلى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل:

ولم أسلم لكى أبقى ولكن ... سلمت من الحمام إلى الحمام

(وإذا قيل لهم اتقوا) بيان لاعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التى كانوا يشاهدونها أو عدم تأملهم فيها أى إذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات أو بغيره اتقوا (ما بين أيديكم وما خلفكم) من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون أو من الوقائع النازلة على الأمم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم فى الآخرة أو من نوازل السماء ونوائب الأرض أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترحمون) اما حال من واو اتقوا أو غاية له أى راجين أن ترحموا أو كى ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله تعالى وجواب إذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) انفهاما بينا أما إذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص وأما إذا كان بغيرها فبدلالته لانهم حيث أعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الأولوية كأنه قيل وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددى ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه فى حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها إلا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء وإما ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التى من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحى وظهور تلك الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التى من جملتها ما ذكر من شئونه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالألوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى إلى الايمان به تعالى وايثاره على أن يقال إلا أعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى «وان يروا آية

يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة فى حيز النصب على أنها حال من مفعول تأتى أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال أى ماتأتيهم من آية من آيات ربهم فى حال من أحوالهم الا حال أعراضهم عنها أو ماتأتيهم آية منها فى حال من أحوالها الا حال اعراضهم عنها (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أى أعطاكم بطريق التفضل والانعام من أنواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا فى الانفاق على منهاج قوله تعالى «وأحسن كما أحسن الله اليك » وتنبيها على عظم جنايتهم فى ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية أى إذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ماأعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره (قال الذين كفروا) بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة (للذين آمنوا) تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى (أنطعم) حسبما تعظوننا به (من لو يشاء الله أطعمه) أى على زعمكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة إذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من أموالهم التى زعموا أنهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون أنه تعالى لما لم يشأ اطعامهم وهو قادر عليه فنحن أحق بذلك وماهو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده بأسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك (ان أنتم إلا فى ضلال مبين) حيث تأمروننا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز أن يكون جوابا لهم من جهته تعالى أو حكاية لجواب المؤمنين لهم (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) أى فما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما أنهم أيضا كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى القرب فى هذا إما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد (ماينظرون) جواب من جهته تعالى أى ماينتظرون (إلا صيحة واحدة) هى النفخة الاولى (تأخذهم) مفاجأة (وهم يخصمون) أى يتخاصمون فى متاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم شىء من مخايلها كقوله تعالى « فأخذتهم الصاعقة بغتة وهم لايشعرون » فلايغتروا بعدم ظهور علائمها ولا يزعموا أنها لاتأتيهم وأصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وأدغمت فى الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرىء

بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرىء على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثانى مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرىء يخصمون من خصمه اذا جاد له (فلا يستطيعون توصية) فى شىء من أمورهم ان كانوا فيما بين أهليهم (ولا الى أهلهم يرجعون) ان كانوا فى خارج أبوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية بينها وبين الاولى أربعون سنة أى ينفخ فيه وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع (فاذا هم من الاجداث) أى القبور جمع جدث وقرىء بالفاء (الى ربهم) مالك أمرهم على الاطلاق (ينسلون) يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرىء بضم السين (قالوا) أى فى ابتداء بعثهم من القبور (ياويلنا) احضر فهذا أوانك وقرىء ياويلتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرىء من أهبنا من هب من نومه إذا انتبه وقرىء من هبنا بمعنى أهبنا وقيل أصله هب بنا فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير فيل فيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وأبى بن كعب وقتادة رحمهم الله تعالى ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من أهوال القيامة ماشاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبر فى جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرىء من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر أى من رقادنا أو اسم مكان أريد به الجنس فينتظم مراقد الكل (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة العائد أو مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على أن الذى يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون الباعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم ذلك فى كتبه وأرسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الأمر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ماسمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف أى ماوعد الرحمن وصدق المرسلون حق (ان كانت) أى ما كانت النفخة التى حكيت آنفا (إلا صيحة واحدة) حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام فى الصور (فاذاهم جميع) أى مجموع (لدينا محضرون)

من غير لبث ماطرفة عين. وفيه من تهوين أمر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب مالايخفى (فاليوم لاتظلم نفس) من النفوس برة كانت أو فاجرة (شيئا) من الظلم (ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى الاجزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شىء واحد أو الا بما كنتم تعملونه أى بمقابلته أو بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده أنه تعالى يوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله أضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون) من جملة ماسيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الأخبار بحسن حال أعدائهم أثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفى هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عماهم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هوالشأن الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه أهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة أو كمال المساءة والغم والمراد ههنا هو الاول ومافيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ماهم فيه من فنون الملاذ التى تلهيهم عما عداهم بالكلية وأما ان المراد به افتضاض الابكار أو السماع وضرب الاوتار أو التزاور أو ضيافة الله تعالى أو شغلهم عما فيه أهل النار على الاطلاق أو شغلهم عن أهاليهم فى النار لايهمهم أمرهم ولايبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص فى نعيمهم كما روى كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيماذكروه فقط بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره خبر لأن وفاكهون خبر آخر لها أى انهم مستقرون فى شغل وأى شغل فى شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرىء فى شغل بسكون الغين وفى شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات وقرىء فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهى لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن فى الظرف وقوله تعالى (هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكؤن) استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلهما بمايزيدهم بهجة وسرورا من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على أن هم مبتدأ وأزواجهم

عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل أو هو والجاران بما تعلقا به من الاستقرار أخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على أنه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدا محذوف وقيل على أنه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بلا همز نصبا على الحال من المستكن في الظرفين أو أحدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبران ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال أو هذا بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع أريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لاتكون أريكة حتى تكون عليها حجلة وقوله تعالى (لهم فيها فاكهة) الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان مالهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ماهم فيه من الشغل والبهجة أي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من أنواع الفواكه وما في قوله تعالى (ولهم مايدعون) موصولة أو موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشأن معين أو مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ماعداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه أو هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وأياما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف مايدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ماعبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم مايدعون به لأنفسهم من مدعو عظيم الشأن أو كل مايدعون به كائنا ما كان من أسباب البهجة وموجبات السرور وأياما كان ففيه دلالة على أنهم في أقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما أشير اليه مثل اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع على ماشئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء أي مايدعو به أهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى (سلام) على التقدير الاول بدل من ما يدعون أو خبر لمبتدا محذوف وقوله تعالى (قولا) مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام أو ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا (من) جهة (رب رحيم) أي يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك أو بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من

رب العالمين وأما على التقدير الثانى فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على أن الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك أى مايدعون سالم لهم خالص لاشوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة أى عدة من رب رحيم والاوجه أن ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر أى لهم سلام أى تسليم قولا من رب رحيم أوسلامة من الآفات فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرىء سلاما بالنصب على الحالية أى لهم مرادهم سالما خالصا وقرىء سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين (وامتازوا اليوم) عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لاعلى أن المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما مر فى قوله تعالى «وبشر الذين آمنوا «الآية وكأن تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال أهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم فى شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم (أيها المجرمون) الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لايرى ولايرى وأما ماقيل من أن المضمر فليمتازوا فبمعزل من السداد لما أن المحكى عنهم ليس مصيرهم الى ماذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الامر المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لايجدى نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما مر بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدى لاضمار شىء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان) من جملة مايقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى «اصلوها اليوم «الخ والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ماكلفهم الله تعالى على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام من الاوامر والنواهى التى من جملتها قوله تعالى «يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة «الآية وقوله تعالى « ولاتتبعوا خطوات الشيطان انه

لكم عدو مبين» وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بني آدم وأشهدوا على أنفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم يزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرىء اعهد بكسر الهمزة واعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين واحد بالادغام وهي لغة بني تميم (انه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي (وأن اعبدوني) عطف على أن لا تعبدوا على أن أن فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر أو مصدرية حذف عنها الجار أي ألم أعهد اليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الامر لما ان حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى (هذا صراط مستقيم) فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى «هذا صراط علي مستقيم» والمقصود بقوله تعالى «لاقعدن لهم صراطك المستقيم» والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ببيان أن جناياتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب طاعتهم الشيطان فالخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرىء بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرىء جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرىء جيلا بالياء وهو الصنف من الناس أي وبالله لقد أضل منكم خلقا كثيرا أو صنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي أمرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى (أفلم تكونوا تعقلون) للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم أو فلم تكونوا تعقلون شيئا أصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كي لا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى (هذه جهنم التي كنتم توعدون) استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم على شفير جهنم أي كنتم توعدونها على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين»

و قوله تعالى « قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا » وقوله تعالى «قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين » وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) أمر تنكيل و اهانة كقوله تعالى « ذق انك أنت العزيز » الخ أى ادخلوها وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر فى الدنيا وقوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم) أى نمنعها عن الكلام التفات الى الغيبة للايذان بان ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكى أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع مافيه من الايماء الا أن ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرىء تختم (وتكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم و تكلم أيديهم و أرجلهم وفى الحديث « يقول العبد يوم القيامة انى لاأجيز على شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل » وقيل تكلم الاركان وشهادتها دلالتها على أفعالها وظهور آثار المعاصى عليها وقرىء وتتكلم أيديهم وقرىء ولتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كى والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرىء ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الامر والجزم (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التى هى وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء أى لونشاء أن نطمس على أعينهم لفعلناه و ايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضى لافادة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشيئة فان المضارع المنفى الواقع موقع الماضى ليس بنص فى افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر فى قوله تعالى « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير » (فاستبقوا الصراط) أى فارادوا أن يستبقوا الى الطريق الذى اعتادوا سلوكه على أن انتصابه بنزع الجار أو هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو بالظرفية (فأنى يبصرون) الطريق وجهة السلوك (ولو نشاء لمسخناهم) بتغيير صورهم وابطال قواهم (على مكانتهم) أى مكانهم الا أن المكانة اخص كالمقامة والمقام وقرىء على مكاناتهم اى لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لايقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى (فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون) اى ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضى الله عنهما قردة وخنازير وقيل

حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على ارجلهم وازمناهم وقرىء مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ماذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان انهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار امثالهم احقاء بان يفعل بهم في الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم في الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس الاعدم تعلق المشيئة الالهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم (ومن نعمره) اى نطل عمره (ننكسه في الخلق) أي نقلبه فيه ونخلقه على عكس ماخلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والادراك وقرىء ننكسه من الثلاثي المجرد وننكسه من الانكاس (أفلا يعقلون) أي يرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ماذكر من الطمس والمسخ وأن عدم ايقاعها لعدم تعلق مشيئته تعالى بها وقرىء تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله (وما علمناه الشعر) رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه الصلاة والسلام من أنه شاعر وما يقوله شعر أي ماعلمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فان الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام واهية فأين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبهت عليهم الشئون واختلطت بهم الظنون قاتلهم الله أنى يؤفكون (وما ينبغي له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه أي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه أميا لا يهتدى للخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله عليه الصلاة والسلام «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب» وقوله عليه الصلاة والسلام «هل أنت الا اصبع دميت وفي سبيل الله مالقيت» فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن أي وما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا (ان هو) أي ما القرآن (الا ذكر) أي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى «ان هو الا ذكر للعالمين» (وقرآن مبين) أي كتاب سماوي بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ماقالوا (لينذر) أي القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرىء لينذر من نذر به أي علمه ولينذر مبنيا

للمفعول من الانذار (من كان حيا) أي عاقلا متأملا فان الغافل بمنزلة الميت أو مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان. وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به (ويحق القول) أي تجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصرين على الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بأنهم لخلوهم عن آثار الحياة وأحكامها التي هي المعرفة أموات في الحقيقة (أولم يروا) الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف أي ألم يتفكروا أو ألم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينيا متاخما للمعاينة (انا خلقنا لهم) أي لأجلهم وانتفاعهم (مما عملت أيدينا) أي مما تولينا إحداثه بالذات وذكر الأيدى وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به (أنعاماً) مفعول خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع أن حقه التقدم عليها لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فان ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لاسيما عند كون المقدم منبئاً عن كون المؤخر أمرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الأول المعرب عن كون المؤخر من منافعه والثاني المفصح عن كونه من الأمور الخطيرة يزيد ان النفس شوقا إليه ورغبة فيه ولأن في تأخيره جمعا بينه وبين أحكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى (فهم لها مالكون) الآيات الثلاث أي فملكناها إياهم وإيثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية لعمله أي فهم مالكون لها بتمليكنا إياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم أو قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا إياها لهم كما في قول من قال:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا . أملك رأس البعير ان نفرا

والأول هو الأظهر ليكون قوله تعالى (وذللناها لهم) تأسيسا لنعمه على حيالها لا تتمة لما قبلها أي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصى عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى (فمنها ركوبهم) الخ الفاء فيه لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها أي فبعض منها ركوبهم أي مركوبهم أي معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرىء ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرىء ركوبهم أي ذو ركوبهم (ومنها يأكلون) أي وبعض منها يأكلون لحمه (ولهم فيها) أي في الأنعام بكلا قسميها (منافع) أخر غير الركوب والأكل كالجلود

والأصواف والأوبار وغيرها وكالحراثة بالثيران (ومشارب) من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل مافصل في سورة النحل (أفلا يشكرون) أي أيشاهدون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها (واتخذوا من دون الله)أي متجاوزين الله تعالى الذى شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة (آلهة)من الأصنام وأشركوها به تعالى فى العبادة (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الأمور أو يشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى (لا يستطيعون نصرهم)الخ استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم أى لا تقدر آلهتهم على نصرهم (وهم) أى المشركون (لهم) أى لآلهتهم (جند محضرون)يشيعونهم عند مساقهم إلى النار وقيل معدون فى الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فان الفاء فى قوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) لترتيب النهى على ماقبله فلا بد أن يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطماعهم الفارغة وانعكاس الأمر عليهم بترتيب الشر على مارتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة وأما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك والنهى وإن كان بحسب الظاهر متوجها إلى قولهم لكنه فى الحقيقة متوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى له عليه السلام من التأثر منه بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده فان النهى عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب ويراد النهى عن السبب كما فى قوله لا أرينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ماينبىء عنه ماذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وانهم شركاء لله سبحانه فى المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرىء يحزنك بضم الياء وكسر الزاى من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى (انا نعلم مايسرون وما يعلنون)تعليل صريح للنهى بطريق الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا أى انا نجازيهم بجميع جناياتهم الخافية والبادية التى لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر على العلن اما للمبالغة فى بيان شمول علمه بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما فى الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال

بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ مامن شيء يعلن الا وهو أو مباديه مضمر فى القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ماشاهدوا فى أنفسهم أوضح دلائله و أعدل شواهده كما أن ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ماعاينوا فيما بايديهم مايوجب التوحيد والاسلام و أما ماقيل من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين مايقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هى مستتبعة للمعطوف كما مر فى الجملة الانكارية السابقة أى ألم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الخ أوهي عين الجملة السابقة أعيدت تأكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ماهو أحق منه بالانكار والتعجيب لما أن المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق بخلق أسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق أنفسهم ولا ريب فى أن علم الانسان باحوال نفسه أهم واحاطته بها أسهل و أكمل فالانكار والتعجيب من الاخلال بذلك أدخل كانه قيل ألم يعلموا اخلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا اخلقه تعالى لأنفسهم أيضا مع كون العلم بذلك فى غاية الظهور و نهاية الاهمية على معنى أن المنكر الاول بعيد قبيح والثانى أبعد وأقبح ويجوز أن تكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على أنها متقدمة فى الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة فى الكلام كما هو رأى الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق بأحواله من حيث هو انسان كما فى قوله تعالى « أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا » وقوله تعالى (فاذا هو خصيم مبين) أى شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتعجيب كانه قيل أولم ير أنا خلقناه من أخس الاشياء وأمهنها ففاجأ خصومتنا فى أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره فى الخصومة واستمراره عليها روى أن جماعة من كفار قريش منهم أبى بن خلف الجمحى وأبو جهل والعاص ابن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا فى ذلك فقال لهم أبى بن خلف ألا ترون الى مايقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لأصيرن اليه ولاخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد مارم قال صلى الله عليه وسلم « نعم ويبعثك ويدخلك جهنم » فنزلت وقيل معنى قوله تعالى « فاذا هو خصيم مبين » فاذا هو بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما فى نفسه فصيح فهو

حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الأنكار والتعجيب بل هو من متممات شواهد صحة البعث فقوله تعالى (وضرب لنا مثلا) معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل فى حيز الانكار والتقبيح وأما على التقدير الأول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى فناجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا أى أورد فى شأننا قصة عجيبة فى نفس الامر هى فى الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهى انكار احيائنا العظام أو قصة عجيبة فى زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وأنكرها أشد الانكار وهى احياؤنا اياها وجعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى (ونسى خلقه) أى خلقنا إياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه إما عطف على ضرب داخل فى حيز الانكار والتعجيب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه وقوله تعالى (قال) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كانه قيل أى مثل ضرب أو ماذا قال فقيل (قال من يحيى العظام) منكرا له أشد النكير مؤكدا له بقوله تعالى (وهى رميم) أى بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الأول هو انكار احيائه تعالى للعظام فأنه أمر عجيب فى نفس الامر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلا ضرورة جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل أهون منه فى قياس العقل وعلى الثانى هو احياؤه تعالى لها فأنه أمر عجيب فى زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وأنكره أشد الانكار مع أنه فى نفس الامر أقرب شىء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء أو أهون منه وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الانكار أو المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبر المؤنث لانه اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وأما أصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة فى بدن حى حساس (قل) تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وارشاده إلى طريقة الاستشهاد بها (يحييها الذى أنشأها أول مرة) فان قدرته كما هى لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها (وهو بكل خلق عليم) مبالغ فى العلم بتفاصيل كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص أصولها وفروعها وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التى كانت قبل والجملة اما

اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على أن علمه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس كانشائه للمنشئات وقوله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً) بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما فى كيفية الدلالة أى خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على أن الجعل ابداعى والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرىء الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى (فاذا أنتم منه توقدون) فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع مافيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان أقدر على اعادة الغضاضة الى ما كان غضا تطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى (أو ليس الذى خلق السموات والارض) الخ استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذى أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أليس الذى أنشأها أول مرة وليس الذى جعل لهم من الشجر الاخضر ناراً وليس الذى خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسى أقدر كما قال تعالى «لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس» وقرىء يقدر وقوله تعالى (بلى) جواب من جهته تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الانكارى من تقرير مابعد النفى وايذان بتعين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى (وهو الخلاق العليم) عطف على مايفيده الايجاب اى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ فى الخلق والعلم كيفا وكما (انما أمره) أى شأنه (إذا أراد شيئا) من الاشياء (أن يقول له كن) أى أن يعلق به قدرته (فيكون) فيحدث من غير توقف على شئ آخر أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما أراده بأمر الآمر المطاع المأمور المطيع فى سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرىء فيكون بالنصب عطفا على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء) تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا فى شأنه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة إلى أن ما فصل من شئونه تعالى موجبة

لتنزهه وتنزيهه أكمل ايجاب، كما أن وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة للاشعار بأنها مقتضية لذلك أتم اقتضاء. والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والرهبوت وقرىء ملكة كل شىء ومملكة كل شىء وملك كل شىء (واليه ترجعون) لا إلى غيره وقرىء ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد مالايخفى عن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا أعلم ماروى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا أنه لهذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل شىء قلباً وإن قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأيما مسلم قرىء عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث فى قبره وهو ريان ولايحتاج الى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان» وقال صلى الله عليه وسلم «أن فى القرآن سورة تشفع لقارئها وتستغفر لمستمعها ألا وهى سورة يس»

(سورة والصافات مكية)

وآيها مائة واحدى أو اثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(والصافات صفا) اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على أن المراد ايقاع نفس الفعل من غير قصد إلى المفعول أو الصافات أنفسها أى الناظمات لها فى سلك الصفوف بقيامها فى مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى «ومامنا إلا له مقام معلوم» وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى «وإنا لنحن الصافون» وقيل الصافات أقدامها فى الصلاة وقيل أجنحتها فى الهواء (فالزاجرات زجراً) أى الفاعلات للزجر أو الزاجرات لما نيط به زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصى وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتى وصفاً وزجراً مصدران مؤكدان

لما قبلهما أى صفا بديعاً و زجراً بليغاً وأما ذكرا فى قوله تعالى (فالتاليات ذكراً) فمفعول التاليات أى التاليات ذكراً عظيم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو أيضاً مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم أن هذه الصفات ان أجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها فى الفضل اما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة أو على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتب الموصوفات فى مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات أنفسها فى صفوف الجماعات وأقدامها فى الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات أنفسهم فى مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص أوطوائف قوادهم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو فى المعارك طرداً التاليات آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه فى تضاعيف ذلك والكلام فى العطف ودلالته على ترتب الصفات فى الفضل أو ترتب موصوفاتها فيه كالذى سلف وأما الدلالة على الترتب فى الوجود كما فى قوله:

يالهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآيب

فغير ظاهرة فى شيء من الطوائف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر فى الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصى والتاليات كل من يتلوكتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرىء بادغام التاء فى الصاد والزاى والذال (إن إلهكم لواحد) جواب للقسم والجملة تحقيق للحق الذى هو التوحيد بما هو المألوف فى كلامهم من التأكيد القسمى وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به أعنى قوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما مر فى قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ورب خبر ثان لأن أو خبر لمبتدأ محذوف أى مالك السموات والأرض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها إلى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم

من مشرق منها و بحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم فى مغرب منها وأما قوله تعالى« رب المشرقين و رب المغربين» فهما مشرقا الصيف و الشتاء ومغرباهما (إنا زينا السماء الدنيا) أى القربى منكم (بزينة) عجيبة بديعة (الكواكب) بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أى ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها وأوضاع بعضها من بعض زينة وأى زينة وقرىء بالاضافة على أنها بيانية لما أن الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز أن يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوءها و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا . وأما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها إلى الفاعل بأن زانت الكواكب إياها وأصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها إلى المفعول بأن زان الله الكواكب وحسنها وأصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين فى رأى العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة فى سطح سماء الدنيا بصور بديعة وأشكال رائعة ولا يقدح فى ذلك ارتكاز الثوابت فى الفلك الثامن وما عدا القمر فى الستة المتوسطة ان ثبت ذلك (وحفظا) منصوب إما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا (من كل شيطان مارد) أى خارج عن الطاعة برمى الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كأنه قيل وحفظا من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى« ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين» وقوله تعالى (لا يسمعون إلى الملإ الأعلى) كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم فى أثناء ذلك من العذاب ولا سبيل إلى جعله صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على أن يكون الأصل لئلا يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت من قولك جئتك أن تكرمنى فبقى أن لا يسمعوا ثم يحذف أن و يهدر عملها كما فى قول من قال ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى . لما أن كل واحد من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده فاما اجتماعهما فمن أنكر المنكرات التى يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن أمثالها وأصل يسمعون يتسمعون والملأ الأعلى الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعنه أشراف الملائكة عليهم الصلاة والسلام أى لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرىء يسمعون بالتخفيف (ويقذفون) يرمون (من كل جانب) من جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها (دحورا) علة للقذف

أي للدحور وهو الطرد أو حال بمعنى مدحورين أو مصدر مؤكد له لانهما من واد واحد وقرىء دحورا بفتح الدال أي قذفا دحوراً مبالغاً في الطرد وقد جوز أن يكون مصدراً كالقبول والولوع (ولهم عذاب واصب) أي ولهم في الآخرة غير مافي الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد ثم غير منقطع كقوله تعالى وأعتدنا لهم عذاب السعير (إلا من خطف الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرىء بكسر الخاء والطاء المشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها وأصلهما اختطف (فأتبعه شهاب) أي تبعه ولحقه وقرىء فاتبعه والشهاب مايرى منقضا من السماء (ثاقب) مضيء في الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم أو يخبلهم قالوا وإنما يعود من يسلم منهم حيا طمعاً في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة (فاستفتهم) فاستخبر مشركي مكة (أهم أشد خلقاً) أي أقوى خلقة وأمتن بنية أو أصعب خلقاً وأشق إيجاداً (أم من خلقنا) من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه إطلاقه ومجيئه بعد ذلك لاسيما قراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى (إنا خلقناهم من طين لازب) فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد إثبات المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه بالاضافة اليهم وإلى من قبلهم سواء وقرىء لازم ولاتب (بل عجبت) أي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وإنكارهم للبعث (ويسخرون) من تعجبك وتقريرك للبعث وقرىء بضم التاء على معنى أنه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي إلى حيث عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تعالى إما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء وقيل أنه مقدر بالقول أي قل يامحمد بل عجبت (واذا ذكروا) أي ودأبهم المستمر أنهم إذا وعظوا بشيء من المواعظ (لايذكرون) لايتعظون واذا ذكر لهم مايدل على صحة البعث لاينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم (واذا رأوا آية) أي معجزة تدل على صدق القائل به (يستسخرون) يبالغون في السخرية ويقولون أنه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها (وقالوا إن هذا) أي مايرونه من الآيات الباهرة (الا سحر مبين) ظاهر سحريته (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما) أي كان بعض أجزائنا ترابا وبعضها

عظاما ما وتقديم التراب لانه منقلب من الأجزاء البادية ، والعامل فى إذا مادل عليه مبعوثون فى قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) أى نبعث لانفسه لأن دونه خطوبالو تفرد واحد منها لكفى فى المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه إلى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة فى أئنا للمبالغة و التشديد فى ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم الكريم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله تعالى « أفلا تعقلون » على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرىء بطرح الهمزة الأولى و بطرح الثانية فقط (أو آباؤنا الأولون) رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه أى وآباؤنا الأولون أيضاً مبعوثون وقيل عطف على محل إن واسمها وقيل على الضمير فى مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفى فى قوله تعالى ماأشركنا و لا آباؤنا و أياما كان فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زعمهم وقرىء أوآباؤنا (قل) تبكيتاً لهم (نعم) و الخطاب فى قوله تعالى (وأنتم داخرون) لهم و لآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل مادل عليه نعم أى كلكم مبعوثون والحال أنكم صاغرون أذلاء وقرىء نعم بكسر العين وهى لغة فيه (فانما هى زجرة واحدة) هى إما ضمير مبهم يفسره خبره أو ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر أوتعليل لنهى مقدر أى إذا كان كذلك فانما هى الخ أو لاتستصعبوه فانما هى الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعى غنمه إذا صاح عليها وهى النفخة الثانية (فاذا هم) قائمون من مراقدهم أحياء (ينظرون) يبصرون كما كانوا أو ينتظرون مايفعل بهم (وقالوا) أى المبعوثون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرير (ياويلنا) أى هلا كنا احضر فهذا أوان حضورك ، وقوله تعالى (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم الويل بطريق الاستئناف أى اليوم الذى نجازى فيه بأعمالنا و إنما علموا ذلك لانهم كانوا يسمعون فى الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون و يجزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضا وقوله تعالى (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) كلام الملائكة جواباً لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أوالفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا) خطاب من الله عز وجل للملائكة أو من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف وقيل من الموقف إلى الجحيم (وأزواجهم) أى أشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته

وعابد الكواكب مع عبدته كقوله تعالى «وكنتم أزواجا ثلاثة» وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتى على دينهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الاصنام ونحوها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى» الآية الكريمة وأنت خبير بأن الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء بها لتعليل الحكم بما فى حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه تهكم بهم (وقفوهم) احبسوهم فى الموقف كأن الملائكة سارعوا إلى ما أمروا به من حشرهم إلى الجحيم فأمروا بذلك وعلل بقوله تعالى (إنهم مسئولون) ايذانا من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا بتأخير العذاب فى الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم وأعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم إلى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى (مالكم لا تناصرون) بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم أى لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون فى الدنيا وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعا وتأثيرا وقرىء لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم أو أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر (وأقبل) حينئذ (بعضهم على بعض) هم الاتباع والرؤساء أو الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال (قالوا) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا أى الاتباع للرؤساء أو الكل للقرناء (إنكم كنتم تأتوننا) فى الدنيا (عن اليمين) عن أقوى الوجوه وأمتنها أو على الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو أشرف الجانبين وأقواهما وأنفعهما ولذلك سمى يمينا ويتيمن بالسانح أو عن القوة والقسر فتقسروننا على الغى وهو الأوفق للجواب أو عن الحلف حيث كانوا يحلفون أنهم على الحق (قالوا) استئناف كما سبق أى قال الرؤساء أو القرناء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر عليه (وما كان لنا عليكم من سلطان) من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم (بل كنتم قوما طاغين) مختارين للطغيان مصرين عليه (فحق علينا) أى لزمنا وثبت علينا (قول ربنا) وهو قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين (انا لذائقون) أى

العذاب الذى ورد به الوعيد (فأغويناكم) فدعوناكم إلى الغى دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغى على الرشد (إنا كنا غاوين) فلا عتب علينا فى تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا أمثالنا فى الغواية (فانهم) أى الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) حسبما كانوا مشتركين فى الغواية (إنا كذلك) أى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية (نفعل بالمجرمين) المتناهين فى الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم) بطريق الدعوة والتلقين (لا إله إلا الله يستكبرون) عن القبول (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين) رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ماجاء به من التوحيد هو الحق الذى قام به البرهان وأجمع عليه كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام فأين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة (إنكم) بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام والاستكبار (لذائقو العذاب الاليم) والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرىء بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولاذاكر والله إلا قليلا . وقرىء لذائقون العذاب على الاصل (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى الاجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات أو إلا بما كنتم تعملونه منها (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من ضمير ذائقو وما بينهما اعتراض جىء به مسارعة إلى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس إلا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلا. وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون إلا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون أضعافاً مضاعفة مما لا وجه له أصلا لاسيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب فى تجزون لجميع المكلفين فانه ليس فى حيز الاحتمال فالمعنى انكم لذائقو العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى (أولئك) اشارة اليهم للايذان بأنهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص فى عبادة الله تعالى عمن عداهم امتيازا بالغا منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم) إما خبر له وقوله تعالى (رزق) مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار أو مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لأولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما أفاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على أنه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى (معلوم) أى معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة

الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى «ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا» وقوله تعالى (فواكه) أما بدل من رزق أو خبر مبتدأ مضمر أى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لان أرزاق أهل الجنة كلها فواكه أى ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج إلى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها مغن عن ذكرها (وهم مكرمون) عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم المثوبات وأليقها بأولى الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وقرىء مكرمون بالتشديد (فى جنات النعيم) أى فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن فى مكرمون أو خبر ثان لاولئك وقوله تعالى (على سرر) محتمل للحالية والخبرية فقوله تعالى (متقابلين) حال من المستكن فيه أو فى مكرمون وقوله تعالى (يطاف عليهم) اما استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس أنسهم أو حال من الضمير فى متقابلين أو فى أحد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون (بكأس) باناء فيه خمر أو بخمر فان الكأس تطلق على نفس الخمر كما فى قول من قال:

وكأس شربت على لذة . وأخرى تداويت منها بها

(من معين) متعلق بمضمر هو صفة لكأس أى كائنة من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض الظاهر للعيون أو الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف به الخمر وهو للماء لانها تجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء قال تعالى «وأنهار من خمر» (بيضاء لذة للشاربين) صفتان أيضا لكأس ووصفها بلذة أما للمبالغة كأنها نفس اللذة أو لأنها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال:

ولذ كطعم الصرخدى تركته . بأرض العدا من خيفة الحدثان

يريد به النوم (لا فيها غول) أى غائلة كما فى خمور الدنيا من غاله إذا أفسده وأهلكه ومنه الغول (ولا هم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله افرد هذا بالنفى مع اندراجه فيما قبله من نفى الغول عنها لما أنه من معظم مفاسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من أنواع الفساد من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو لغو أو تأثيم ولا هم يسكرون وقرىء ينزفون بكسر الزاى من أنزف الشارب إذا نفد عقله أو شرابه وقرىء ينزفون بضم الزاى من نزف ينزف بضم الزاى فيهما (وعندهم

قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفا إلى غيرهم (عين) نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين (كأنهن بيض مكنون) شبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فان ذلك أحسن ألوان الأبدان (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) معطوف على يطاف أى يشربون فيتحادثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال:

و مابقيت من اللذات الا أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم فى الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضى للتأكيد و الدلالة على تحقق الوقوع حتما (قال قائل منهم فى تضاعيف محاوراتهم (إنى كان لى) فى الدنيا (قرين) مصاحب (يقول) لى على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق أى بالبعث (أئنك لمن المصدقين) أى بالبعث وقرىء بتشديد الصاد من التصدق والأول هو الأوفق لقوله تعالى (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) أى لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء أو لمسوسون يقال دانه أى ساسه ومنه الحديث «العاقل من دان نفسه» وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض إخوانه فقال ابن مالك قال تصدقت به ليعوضنى الله تعالى فى الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئاً فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد إنكار الجزاء المبنى على إنكار البعث (قال) أى ذلك القائل بعد ماحكى لجلسائه مقالة قرينه فى الدنيا (هل أنتم مطلعون) أى إلى أهل النار لأريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل القائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لأريكم ذلك القرين فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم قيل إن فى الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى أهل النار (فاطلع) أى عليهم (فرآه) أى قرينه (فى سواء الجحيم) أى فى وسطها وقرىء فأطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرىء مطلعون فأطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضى والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع وأطلع بمعنى واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فأطلع أنا أيضاً أو عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وإن جعل الاطلاع متعديا فالمعنى أنه لما شرط فى اطلاعه إطلاعهم كما هو ديدن الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرىء مطلعون بكسر النون أراد مطلعون إياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله : هم الفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل

بالمضارع لما بينهما من التآخي (قال) أي القائل مخاطباً القرينه (تالله إن كدت لتردين) أي لتهلكني بالاغواء وقرىء لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف واللام فارقة أي تالله ان الشأن كدت لتردين (ولولا نعمة ربى) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) أي من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأضرابك وقوله تعالى (أفما نحن بميتين) رجوع الى محاورة جلسائه بعد إتمام الكلام مع قرينه تبجحاً وابتهاجاً بما أتاح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أي أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين أي بمن شأنه الموت وقرىء بمائتين (إلا موتتنا الأولى) التي كانت في الدنيا وهي متناولة لما في القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقاً لقوله تعالى لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وقيل ان أهل الجنة أول ما دخلوا الجنة لايعلمون أنهم لايموتون فاذا جيء بالموت على صورة كبش أملح فذبح ونودى يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلاموت يعلمونه فيقولون ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى واغتباطاً بها (وما نحن بمعذبين) كالكفار فان النجاة من العذاب أيضاً نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها (ان هذا) أي الأمر العظيم الذى نحن فيه (لهو الفوز العظيم) وقيل هو من قول الله عز وجل تقريراً لقولهم وتصديقاً له وقرىء لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى (لمثل هذا فليعمل العاملون) أي لنيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا أيضاً يحتمل أن يكون من كلام رب العزة (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) أصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز أي أذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير نزلاً أم شجرة الزقوم التي حاصلها الألم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر النازل فانتصابه على الحالية والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلا والزقوم إسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة كريهة الرائحة تكون فى تهامة سميت به الشجرة الموصوفة (انا جعلناها فتنة للظالمين) محنة وعذاباً لهم فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا أنها فى النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويتلذذ بها أقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق (أنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها وقرىء نابتة فى أصل الجحيم

(طلعها) أي حملها الذي يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل والطلوع من الشجر قالوا أول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر (كأنه رؤس الشياطين) في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين الحيات الهائلة القبيحة المنظر لها أعراف وقيل أن شجراً يقال له الاستن خشناً منتناً مراً منكر الصورة يسمى ثمره رؤس الشياطين (فانهم لآكلون منها) أي من الشجرة أو من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه (فمالئون منها البطون) لغلبة الجوع أو للقسر على أكلها وان كرهوها ليكون ذلك باباً من العذاب (ثم ان لهم عليها) على الشجرة التي ملؤا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبىء عنه كلمة ثم ويجوز أن تكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة (لشوبا من حميم) لشراباً من غساق أو صديد مشوباً بماء من حميم يقطع أمعاءهم وقرىء بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمي به (ثم ان مرجعهم) أي مصيرهم وقد قرىء كذلك (لالى الجحيم) لالى دركاتها أو إلى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى «هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن» يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم إلى شجرة الزقوم فيأكلون منها إلى أن يمتلئوا ثم يسقون من الحميم ثم يردون إلى الجحيم ويؤيده أنه قرىء ثم أن منقلبهم (أنهم ألفوا آباءهم ضالين) تعليل لاستحقاقهم ماذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير أن يكون لهم ولا لآبائهم شيء يتمسك به أصلا أي وجدوهم ضالين في نفس الأمر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل (فهم على آثارهم يهرعون) من غير أن يتدبروا أنهم على الحق أولا مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون حثاً على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة (ولقد ضل قبلهم) أي قبل قومك قريش (أكثر الاولين) من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أي أنبياء أولى عدد كثير وذوي شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وأنذروهم عاقبته الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا إلى الانذار ولم يرفعوا له رأساً والخطاب إما للرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى أنهم أهلكوا اهلاكاً فظيعاً استثنى منهم المخلصون بقوله تعالى (إلا عباد

الله المخلصين) أى الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرىء المخلصين بكسر اللام أى الذين أخلصوا دينهم لله تعالى (ولقد نادانا نوح) نوع تفصيل لما أجمل فيما قبل ببيان أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما أشير اليه بقوله تعالى «فانظر كيف كان عاقبة المنذرين» كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم إلياس ولبيان حسن عاقبة بعضهم الذين أخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما أشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما فى قوله تعالى (فلنعم المجيبون) أى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعدما دعاهم اليه أحقابا ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فأجبناه أحسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أى من الغرق وقيل من أذية قومه (وجعلنا ذريته هم الباقين) فحسب حيث أهلكنا الكفرة بموجب دعائه «رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا» وقد روى انه مات كل من كان معه فى السفينة غير أبنائه وأزواجهم أوهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيامة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة أولاد سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق الى المغرب ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (وتركنا عليه فى الآخرين) من الامم (سلام على نوح) أى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة أنزلناها والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام أمة بعد أمة وقيل ثمة قول مقدر أى قلنا وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقوله تعالى (فى العالمين) متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها أبدا فى العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى (إنا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لما فعل به عليه الصلاة والسلام من التكرمة السنية من إجابة دعائه أحسن إجابة وإبقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وأن ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك إشارة إلى ما ذكر من الكرامات السنية التى وقعت جزاء له عليه الصلاة والسلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها أى مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى

الكاملين فى الاحسان لاجزاء أدنى منه وقوله تعالى (إنه من عبادنا المؤمنين) تعليل لكونه من المحسنين بخاوص عبوديته وكمال إيمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما مالا يخفى (ثم أغرقنا الآخرين) أى المغايرين لنوح وأهله وهم كفار قومه أجمعين (وإن من شيعته) أى ممن شايعه فى اصول الدين (لابراهيم) وان اختلف فروع شرائعهما ويجوز أن يكون بين شريعتيهما اتفاق كلى أو أكثرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما من أهل دينه وعلى سنته أو ممن شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وما كان بينهما الانبيان هود وصالح عليهما السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة وأربعون سنة (إذ جاء ربه) منصوب باذكر أو متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة (بقلب سليم) أى من آفات القلوب أو من العلائق الشاغلة عن التبتل إلى الله عز وجل ومعنى المجىء به ربه إخلاصه له كأنه جاء به متحفا إياه بطريق التمثيل (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الاولى أو ظرف لجاء أو لسليم أى أى شىء تعبدونه (أئفكا آلهة دون الله تريدون) أى أتريدون آلهة من دون الله إفكا أى للافك فقدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به لأن الأهم مكافحتهم بأنهم على إفك وباطل فى شركهم ويجوز أن يكون إفكا مفعولا به بمعنى أتريدون افكا ثم يفسر الأفك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك فى نفسها للمبالغة أو يرادبها عبادتها بحذف المضاف ويجوزان يكون حالا بمعنى آفكين (فما ظنكم برب العالمين) أى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة وأشركتم به أخس مخلوقاته أو فما ظنكم به أى شىء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له أندادا أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد مافعلتم من الاشراك به (فنظر نظرة فى النجوم) قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حمى لهانوبة معينة فى بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هى تلك الساعة فاذا هى قد حضرت (فقال إنى سقيم) وكان صادقا فى ذلك فجعله عذرا فى تخلفه عن عيدهم وقيل أراد أنى سقيم القلب لكفركم وقيل نظر فى علمها أو فى كتبها أو فى أحكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به عليه الصلاة والسلام إلى معيدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فأوهمهم انه قد استدل بأمارة فى علم النجوم على انه سقيم اى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى معيدهم وتركوه فى بيت الأصنام وذلك قوله تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أى هاربين

مخافة العدوى (فراغ إلى آلهتهم) أى ذهب اليها فى خفية وأصله الميل بحيلة (فقال) للاصنام استهزاء (ألا تأكلون) أى من الطعام الذى كانوا يصنعونه عندها لتبرك عليه (مالكم لا تنطقون) أى بجوابى (فراغ عليهم) فمال مستعليا عليهم وقوله تعالى (ضربا باليمين) مصدر مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم أولفعل مضمر هو حال من فاعله أى فراغ عليهم يضربهم ضربا أو هو الحال منه على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى فراغ عليهم ضاربا باليمين اى ضربا شديدا قويا و ذلك لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضى قوة الفعل وشدته و قيل بالقوة والمتانة كما فى قوله :

إذا ما راية رفعت لمجد . تلقاها عرابة باليمين

اى بالقوة وعلى ذلك مدار تسمية الحلف باليمين لانه يقوى الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله تعالى «وتالله لأكيدن أصنامكم» (فاقبلوا اليه) أى المأمورون باحضاره عليه الصلاة والسلام بعدما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا أنه عليه الصلاة والسلام فعله فقيل فأتوا به (يزفون) حال من واو أقبلوا أي يسرعون من زفيف النعام وقرىء يزفون من أزف اذا دخل فى الزفيف أو من أزفه أى حمله على الزفيف أى يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء للمفعول أى يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا أسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عليه الصلاة والسلام (قال) أى بعد ما أتوا به عليه الصلاة والسلام وجرى بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى «قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى قوله تعالى لقد علمت ماهؤلاء ينطقون» (أتعبدون ما تنحتون) ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ أى والحال أنه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر أصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد والاسباب وما تعملون إما عبارة عن الاصنام فوضعه ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل ليس من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر أعمالهم أيضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها وأما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما أوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية أى عملكم على أنه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم)

أي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض من المضاف اليه أي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم في سورة الانبياء (فأرادوا به كيدا) فانه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ما قصدوا لئلا يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الاسفلين) الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه عليه الصلاة والسلام بجعل النار عليه بردا وسلاما (وقال اني ذاهب الى ربي) أي مهاجر الى حيث أمرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام أو الى حيث أتجرد فيه لعبادته تعالى (سيهدين) أي الى ما فيه صلاح ديني أو الى مقصدي وبث القول بذلك لسبق الوعد أو لفرط توكله أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال «عسى ربي أن يهديني سواء السبيل» ولذلك أتى بصيغة التوقع (رب هب لي من الصالحين) أي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى «ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا» ولقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) فانه صريح في أن المبشر به عين ما استوهبه عليه الصلاة والسلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة أنه غلام وأنه يبلغ أوان الحلم وأنه يكون حليما وأي حلم يعادل حلمه عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه أبوه الذبح فقال «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين» وقيل ما نعت الله الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعد أعدل بينة بذلك والفاء في قوله تعالى (فلما بلغ معه السعي) فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما مر في قوله تعالى فلما رأينه أكبرنه وفي قوله تعالى «فلما رآه مستقرا عنده» أي فوهبناه له فنشأ فلما بلغ رتبة أن يسعى معه في أشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف ينبيء عنه والسعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا يبلغ لان بلوغهما لم يكن معا كأنه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب أكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل أوانه أو لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة (قال) أي ابراهيم عليه السلام (يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك) أي أرى هذه الصورة بعينها أو ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما أمسى رأى

مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى فمن ثمة سمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعى معه قيل له أوف بنذرك . والا ظهر الاشهر أن المخاطب اسماعيل عليه السلام اذ هو الذى وهب أثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه الصلاة والسلام «أنا ابن الذبيحين» فأحدهما جده اسماعيل عليه السلام والآخر أبوه عبد الله فان عبد المطلب نذر أن يذبح ولدا ان سهل الله تعالى له حفر بئر زمزم أو بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا فى أيام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل أى النسب أشرف فقال «يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله» فالصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى من أن يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرىء انى بفتح الياء فيهما (فانظر ماذا ترى) من الرأى وانما شاوره فيه وهو أمر محتوم ليعلم ماعنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرىء ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول (قال ياأبت افعل ماتؤمر) أى تؤمر به فحذف الجار أولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصاله الى الفعل أوحذفا دفعة أوافعل أمرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به أمرا وقرىء ماتؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على أن الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به (ستجدنى إن شاء الله من الصابرين) على الذبح أو على قضاء الله تعالى (فلما أسلما) أى استسلما لامر الله تعالى وانقاد اوخضعاله يقال سلم لامر الله وأسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرىء بهن جميعا وأصلها من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من أن ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله وأسلم له منقولان منه ومعناهما أخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رضى الله عنه فى أسلما أسلم ابراهيم ابنه واسمعيل نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهوأحد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه

باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل فى الموضع المشرف على مسجد منى وقيل فى المنحر الذى ينحر اليوم فيه (وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا) بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وروى أنه أمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء. وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله فانه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحد لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك (انا كذلك نجزى المحسنين) تعليل لتفريج تلك الكربة باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى «افعل ما تؤمر» ولم يحصل (ان هذا لهو البلاء المبين) الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص عن غيره أو المحنة البينة الصعوبة. اذ لا شيء أصعب منها (وفديناه بذبح) بما يذبح بدله فيتم به الفعل (عظيم) أى عظيم الجثة سمين أو عظيم القدر لانه يفدى به الله نبيا ابن نبي وأي نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه الكبش الذى قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسمعيل عليه السلام وقيل فدى بوعل أهبط عليه من ثبير وروى انه هرب من ابراهيم عليه السلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقى سنة فى الرمى وروى انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله اكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله أكبر ولله الحمد فبقى سنة والفادى فى الحقيقة هو ابراهيم وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطى له والآمر به على التجوز فى الفداء أو الاسناد (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم) قد سلف بيانه فى خاتمة قصة نوح عليه السلام (كذلك نجزى المحسنين) ذلك اشارة الى ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما أشير اليه فيما سبق فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بانا للاكتفاء بما مر آنفا (انه من عبادنا المؤمنين) الراسخين فى الايمان على وجه الايقان والاطمئنان (وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) أى مقضيا بنبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود

اسحق أى بأن يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لايصير نظير قوله تعالى «فادخلوها خالدين» فان الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول واسحق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حينما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه الصلاة والسلام وفى ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وايماء الى أنه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق (وباركنا عليه) على ابراهيم فى أولاده (وعلى اسحق) بان أخرجنا من صلبه أنبياء بنى اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام وأفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرىء وبركنا (ومن ذريتهما محسن) فى عمله أو لنفسه بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على أن النسب لاتأثير له فى الهداية والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لايعود اليهما بنقيصة ولا عيب (ولقد مننا على موسى وهرون) أى أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية (ونجيناهما وقومهما) وهم بنو اسرائيل (من الكرب العظيم) هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بالوان الغشم والعذاب كما فى قوله تعالى « واذ أنجيناكم من آل فرعون» وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة (ونصرناهم) أى اياهما وقومهما على عدوهم (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم غلبة لاغاية وراءها بعد أن كان قومهما فى أسرهم وقسرهم مقهورين تحت أيديهم العادية ويسومونهم سوء العذاب وهذه التنجية وان كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص من المكروه بدىء بها ثم بالنصر الذى يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه ومن غير تغليبه عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها (وآتيناهما) بعد ذلك (الكتاب المستبين) أى البالغ فى البيان والتفصيل وهو التوراة (وهديناهما) بذلك (الصراط المستقيم) الموصل إلى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الأحكام (وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون) أى أبقينا فيما بين الامم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل (إنا كذلك) الجزاء الكامل (نجزى المحسنين) الذين هما من جملتهم لاجزاء قاصرا عنه (إنهما من عبادنا المؤمنين) سبق بيانه (وإن إلياس لمن المرسلين) هو الياس بن ياسين من سبط هرون اخى موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرىء مكانه ادريس وادراس وقرىء ايليس وقرىء الياس بحذف

الهمزة (اذ قال لقومه الا تتقون)أى عذاب الله تعالى (أتدعون بعلا) أتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أى أتعبدون بعض البعول (وتذرون أحسن الخالقين)أى وتتركون عبادته وقد اشير الى المقتضى للانكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين وقرىء بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لآبائهم لتأكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان آراء آبائهم أيضا (فكذبوه فانهم) بسبب تكذيبهم ذلك (لمحضرون)أى العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على أن الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا (الا عباد الله المخلصين) استثناء من ضمير محضرون (وتركنا عليه فى الآخرين سلام على الياسين)هو لغة فى الياس كسيناء فى سينين وقيل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلبين والخبيبين وفيه أن العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرىء باضافة آل الى ياسين لانهما فى المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا الياس (انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين) مر تفسيره (وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه) أى اذكر وقت تنجيتنا اياه (وأهله اجمعين الا عجوزا فى الغابرين) أى الباقين فى العذاب أو الماضين الهالكين (ثم دمرنا الآخرين)فان فى ذلك شواهد على جلية أمره وكونه من جملة المرسلين (وانكم)ياأهل مكة (لتمرون عليهم) على منازلهم فى متاجركم الى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فان سدوم فى طريق الشام (مصبحين) داخلين فى الصباح (وبالليل)أى ومساء أونهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء (أفلا تعقلون)أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن يصيبكم مثل ماأصابهم (وان يونس لمن المرسلين)وقرىء بكسر النون (إذ أبق) أى هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى الفلك المشحون)أى المملوء (فساهم) فقارع أهله (فكان من المدحضين) فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه فى الماء (فالتقمه الحوت)فابتلعه من اللقمة (وهو مليم) داخل

فى الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرىء مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب فى مشوب (فلولا انه كان من المسبحين) الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو فى بطن الحوت وهو قوله لااله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين و قيل من المصلين فانه عليه الصلاة و السلام كان كثير الصلاة فى الرخاء (للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) حيا و قيل ميتا و فيه حث على اكثار الذكر و تعظيم لشأنه ومن أقبل عليه فى السراء أخذ بيده عن الضراء (فنبذناه بالعراء) بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالى عما يغطيه من شجر أو نبت و روى أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عليه السلام و يسبح و لم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شىء فاسلموا و روى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف فى مقدار لبثه فقيل أربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة و قيل لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذى التقم فيه روي عطاء أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى إلى الحوت إنى جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما (و هو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه) أى فوقه مظلة عليه (شجرة من يقطين) وهو كل ماينبسط على الارض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به و الاكثرون على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فانه لايقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال «أجل هى شجرة أخى يونس» وقيل هى التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل باغصانه وأفطر على ثماره و قيل كان يستظل بالشجرة و كانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها (وأرسلناه إلى مائة ألف) هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به إرساله السابق أخبر أولا بأنه من المرسلين على الاطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى أمة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه إلى الفلك و ما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ماجرى بينه عليه الصلاة و السلام و بين قومه من إنذاره اياهم عذاب الله تعالى و تعيينه لوقت حلوله و تعللهم و تعليقهم لايمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله فى سورة يونس ليعلم أن إيمانهم الذى سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا و التى وقيل هو ارسال آخر اليهم وقيل الى غيرهم و ليس بظاهر (أو يزيدون) أى فى مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال انهم مائة ألف أو يزيدون و المراد هو الوصف بالكثرة وقرىء بالواو (فآمنوا) أى بعد ماشاهدوا علائم حلول العذاب إيمانا خالصا (فمتعناهم) أى بالحياة الدنيا (الى حين) قدره

الله سبحانه لهم قيل و لعل عدم ختم هده القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين فى آخر السورة (فاستفتهم) أمر الله عز وجل فى صدر السورة الكريمة رسوله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش و إبطال مذهبهم فى إنكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل مالهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الاولين وأنه تعالى أرسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبيناً فى كل قصة منها أنهم من عباده تعالى و اصفاً لهم تارة بالاخلاص و أخرى بالايمان ثم أمره عليه الصلاة و السلام ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية و هى القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ماسبق من كون أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق عليهم الصلاة و السلام عباده تعالى فان ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل أصل كفرهم المنطوى على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه و تعالى عن ذلك علوا كبيراً ولم ينظمه فى سلك التبكيت لمشاركتهم النصارى فى ذلك أى فاستخبرهم (ألربك البنات) اللاتى هن أوضع الجنسين (ولهم البنون) الذين هم أرفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له أدنى شىء من العقل وقوله تعالى (أم خلقنا الملائكة إناثا) اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما أشير اليه أى بل أخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق و ابعدهم من صفات الاجسام والرذائل الطبائع اناثاً و الأنوثة من أخس صفات الحيوان وقوله تعالى (وهم شاهدون) استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى «أشهدوا خلقهم» وقوله تعالى «ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم» فان أمثال هذه الأمور لا تعلم إلا بالمشاهدة إذ لا سبيل إلى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل عما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بانوثتهم شاهدا عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا أى بل أخلقناهم أناثا و الحال أنهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أى بل أهم شاهدون وقوله تعالى (ألا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله) استئناف من جهته غير داخل تحت

الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال أصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مبناه ليس إلا الأفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعاً (وإنهم لكاذبون) فى قولهم ذلك كذباً بيناً لاريب فيه وقرىء ولد الله على انه خبر مبتدأ محذوف أى الملائكة ولده تعالى عن ذلك علواً كبيراً فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على البنين) اثبات لأفكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لأمر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشيء لنفسه وقرىء بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول أى لكاذبون فى قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد (ما لكم كيف تحكمون) بهذا الحكم الذى يقضى ببطلانه بديهة العقل (أفلا تذكرون) بحذف احدى التاءين من تتذكرون وقرىء تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر أى ألا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون ببطلانه فانه مركوز فى عقل كل ذكى وغبى (أم لكم سلطان مبين) اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر إلى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلا أى بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسى أو عقلى وحيث انتفى كلاهما فلابد من سند نقلى (فأتوا بكتابكم) الناطق بصحة دعواكم (ان كنتم صادقين) فيها وفى هذه الآية من الأنباء عن السخط العظيم والانكار الفظيع لأقاويلهم والاستبعاد الشديد لأباطيلهم وسفه أحلامهم وتركيك عقولهم وأفهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم مالا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) التفات إلى الغيبة للايذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شراً كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم وتقصيراً بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق أن يبلغوا منزلة المناسبة التى أضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وإنما أعيد ذكره تمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) أى وبالله لقد علمت الجنة التى عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم فى قولهم ذلك والمراد به المبالغة فى التكذيب ببيان ان الذين يدعى هؤلاء لهم تلك

النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم فى ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكما مؤكداً وقيل ان قوماً من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس أخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا » قال الامام الرازى وهذا القول عندى أقرب الأقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله فقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن فى استحقاق العبادة فعلى هذه الأقاويل يجوز أن يكون الضمير فى انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء فى استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الاول فان قوله (سبحان الله عما يصفون) حكاية لتنزيه الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم فى ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى (الا عباد الله المخلصين) شهادة منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم فى زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برءاء من ذلك الوصف وقوله تعالى (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين) تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات إلى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين أغووهم وفيه ايذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته اى افسدها عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده واضلالهم (إلا من هو صال الجحيم) منهم أى داخلها لعلمه تعالى بأنه يصير على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار لا محالة وأما المخلصون منهم فأنتم بمعزل من افسادهم واضلالهم فهم لا جرم برءاء من أن يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم فى وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرىء صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) تبيين لجلية أمرهم وتعيين لحيزهم فى موقف العبودية بعد ماذكر من تكذيب الكفرة

فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه واظهار لقصور شأنهم وقماءتهم أي وما منا أحد الا له مقام معلوم فى العبادة والانتهاء الى أمر الله تعالى مقصور عليه لايتجاوزه ولايستطيع أن يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روى فمنهم راكع لايقيم صلبه وساجد لايرفع رأسه قال ابن عباس رضى الله عنهما ما فى السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أنه عليه الصلاة والسلام قال «أطت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى» وقال السدى الا له مقام معلوم فى القربة والمشاهدة (وانا لنحن الصافون) فى مواقف الطاعة ومواطن الخدمة (وانا لنحن المسبحون) المقدسون لله سبحانه عن كل ما لايليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز أن صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط هذا هو الذى تقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر فى تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه أخر فتأمل والله الموفق (وإن كانوا ليقولون) ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة أى ان الشأن كانت قريش تقول (لو أن عندنا ذكراً من الاولين) أى كتابا من كتب الأولين من التوراة والانجيل (لكنا عباد الله المخلصين) أى لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم «لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من احدى الامم» والفاء فى قوله تعالى (فكفروا به) فصيحة كما فى قوله تعالى «ان اضرب بعصاك البحر فانفلق» أى فجاءهم ذكر وأى ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار فكفروا به (فسوف يعلمون) أى عاقبة كفرهم وغائلته (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه أى وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة وهو قوله تعالى (إنهم لهم المنصورون وإن جندنا) وهم أتباع المرسلين (لهم الغالبون) على أعدائهم فى الدنيا والآخرة ولايقدح فى ذلك انهزامهم فى بعض المشاهد فان قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وإن وقع فى تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لم ينصروا فى الدنيا نصروا فى الآخرة وقرىء على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع أنها كلمات لانتظامها فى معنى واحد وقرىء كلماتنا (فتول عنهم) فاعرض عنهم واصبر (حتى حين) الى مدة يسيرة وهى مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح (وأبصرهم) على أسوأ حال وأفظع نكال حل بهم من القتل والأسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه

كأنه بين يديه (فسوف يبصرون) مايقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد (أفبعذابنا يستعجلون) روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل (فاذا نزل بساحتهم) أى فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فأناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرىء نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرىء نزل مبنيا للمفعول من التنزيل أى نزل العذاب (فساء صباح المنذرين) فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة فى الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عليه الصلاة والسلام «الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» (وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع مافى اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان مايبصره عليه الصلاة والسلام حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من أنواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل أريد بالاول عذاب الدنيا وبالثانى عذاب الآخرة (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) تنزيه لله سبحانه عن كل مايصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر فى السورة الكريمة ومالم يذكر من الامور التى من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لاسيما فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام أولا والى العزة ثانيا كانه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى (وسلام على المرسلين) تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بأنهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى (والحمد لله رب العالمين) اشارة الى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التى من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بأن ماوعده عليه الصلاة والسلام من

النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسايط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد. عن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ والصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرىء من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين »

(سورة ص مكية)

(وآيها ست أو ثمان وثمانون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(ص) بالسكون على الوقف وقرىء بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصباً باضمار أذكر أو اقرأ لاقتحاماً كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب أو التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر أمر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الأجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم إن جعل إسماً للحرف مسروداً على منهاج التحدي أو الرمز إلى كلام مثل صدق الله أو صدق محمد كما نقل عن أكابر السلف أو اسما للسورة خبراً لمبتدأ محذوف أو نصباً على إضمار اذكر أو اقرأ أو أمراً من المصاداة فالواو وفي قوله تعالى (والقرآن ذي الذكر) للقسم وإن جعل مقسماً به فهي للعطف عليه فان أريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان أريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وأياما كان ففي التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى « وانه لذكر لك ولقومك » أو الذكر والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه

فى أمر الدين من الشرائع والأحكام وغيرها من أقاصيص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار الأمم الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الأول والرابع والخامس محذوف هو ماينبىء عنه التحدى والأمر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجباً وكون المقسم به حقيقاً بالاعظام أى أقسم بالقرآن أو بصاد وبه أنه لمعجز أو لواجب العمل به أو لحقيق بالاعظام وأما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فان التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبيه على عظم خطره أى انه لصادق والقرآن ذى الذكر أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الاجوبة منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية انباء بينا كان قوله تعالى (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) اضرابا عن ذلك كأنه قيل لاريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب ما فيه بل هم فى استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لايذعنون له وقيل الجواب مادل عليه الجملة الاضرابية أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ وقرىء فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم التنبيه له من مبادى الايمان ودواعيه (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ماأصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى وقرنا كثيرا أهلكنا من القرون الخالية (فنادوا) عند نزول بأسنا أو حلول نقمتنا استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى (ولات حين مناص) حال من ضمير نادوا أى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة والحال أن ليس الحين حين مناص أى فوت ونجاة من ناصه أى فاته لامن ناص بمعنى تأخر ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفى الاحيان ولم يبرز الا أحد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هى النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان وحين مناص منصوب على انه اسمها أى ولاحين مناص لهم أو بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص وقرىء بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف أى وليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثانى مبتدأ محذوف الخبر أى ولاحين مناص كائن لهم وقرىء بالكسر كما فى قوله :

طلبوا صلحنا ولات أوان .. فأجبنا أن لات حين بقاء

أما لان لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر فى نحو قوله :

لولاك هذا العام لم أحجج . أو لأن أوان شبه باذ فى قوله ·

نهيتك عن طلابك أم عمرو بعافية وأنت اذ صحيح

فى أنه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لأن أصله أو انصلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بنى الحين لاضافته إلى غير متمكن وقرىء لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالأسماء والبصريون بالتاء كالأفعال وما قيل من أن التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الأمام مما لاوجه له فان خط المصحف خارج عن القياس (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) حكاية لأباطيلهم المتفرعة على ماحكى من استكبارهم وشقاقهم أى عجبوا من أن جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم فى الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك أمراً عجيباً خارجاً عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الانكار لاأنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه (وقال الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضباً عليهم وايذاناً بأنه لايتجاسر على مثل مايقولونه الا المتوغلون فى الكفر وفى الفسوق (هذا ساحر) فيما يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال (أجعل الآلهة إلها واحدا) بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد (ان هذا لشيء عجاب) بليغ فى العجب وذلك لانه خلاف ماألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم و واظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل مايأتون وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون مايخالف مااعتادوه عجيبا بل محالا وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة فلا وجه له لما أنهم لايدعون أن لآلهتهم علماً وقدرة ومدخلا فى حدوث شيء من الأشياء حتى يلزم من نفى ألوهيتهم بقاء الآثار بلامؤثر وقرىء عجاب بالتشديد وهو أبلغ ككرام وكرام روى أنه لما أسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وقد جئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال صلى الله عليه وسلم أرأيتم إن أعطيتكم ماسألتم أمعطي أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشراً فقال قولوا لااله إلا الله. فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملأ منهم) أى وانطلق الأشراف من قريش عن مجلس أبى طالب بعد مابكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عليه

الصلاة والسلام فى الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط أبى طالب من المصالحة على الوجه المذكور (أن امشوا) أى قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا (واصبروا على آلهتكم) أى واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه فى حقها من القدح وأن هى المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل أى اجتمعوا وأكثروا وقرىء امشوا بغير أن على اضمار القول وقرىء يمشون أن اصبروا (ان هذا الشىء يراد) تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به أى هذا الذى شاهدناه من محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد ونفى آلهتنا وأبطال أمرها لشىء يراد أى من جهته عليه الصلاة والسلام امضاؤه وتنفيذه لامحالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لاقول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة أبى طالب وشفاعته وحسبكم أن لاتمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه فى حقها من القدح وسوء القالة وقيل أن هذا الأمر لشىء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل أن هذا الامر لشىء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل إن دينكم لشىء يراد أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل إن هذا الذى يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشىء يتمنى ويريده كل أحد منهم فتأمل فى هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل (ماسمعنا بهذا) الذى يقوله (فى الملة الآخرة) أى الملة النصرانية التى هى آخر الملل فانهم مثلثة أو فى الملة التى أدركنا عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا أى ماسمعنا بهذا من أهل الكتاب ولا الكهان كائناً فى الملة المترقبة ولقد كذبوا فى ذلك أقبح كذب فان حديث البعثة والتوحيد كان أشهر الامور قبل الظهور (إن هذا) أى ماهذا (الااختلاق) أى كذب اختلقه (أأنزل عليه الذكر) أى القرآن (من بيننا) ونحن رؤساء الناس وأشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرادهم إنكار كونه ذكرا منزلا من عند الله عز وجل كقولهم لو كان خيراً ماسبقونا اليه وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوى (بل هم فى شك من ذكرى) أى من القرآن أو الوحى لميلهم إلى التقليد وإعراضهم

عن النظر فى الادلة المؤدية إلى العلم بحقيته و ليس فى عقيدتهم مايبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة إلى السحر و أخرى إلى الاختلاق (بل لما يذوقوا عذاب) أى بل لم يذوقوا بعد عذابى فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال و فى لما دلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع و المعنى أنهم لايصدقون به حتى يمسهم العذاب و قيل لم يذوقوا عذابى الموعود فى القرآن و لذلك شكوا فيه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاءون حتى يصيبوا بها من شاؤا و يصرفوها عمن شاؤا و يتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم و المعنى أن النبوة عطية من الله عز و جل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لامانع له فانه العزيز أى الغالب الذى لايغالب الوهاب الذى له أن يهب كل مايشاء لكل من يشاء و فى إضافة اسم الرب المنبىء عن التربية والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره عليه الصلاة والسلام من تشريفه واللطف به مالا يخفى و قوله تعالى (أم لهم ملك السموات والأرض و مابينهما) ترشيح لما سبق أى بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية و السفلية حتى يتكلموا فى الامور الربانية و يتحكموا فى التدابير الالهية التى يستأثر بها رب العزة والكبرياء و قوله تعالى (فليرتقوا فى الأسباب) جواب شرط محذوف أى إن كان لهم ماذكر من الملك فليصعدوا فى المعارج والمناهج التى يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه و يدبروا أمر العالم و ينزلوا الوحى إلى من يختارون و يستصوبون و فيه من التهكم بهم مالا غاية وراءه والسبب فى الأصل هو الوصلة و قيل المراد بالاسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) أى هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل و التحقير نحو قولك أكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء و هنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم و قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) الخ إستئناف مقرر لمضمون ماقبله ببيان أحوال العتاه الطغاه الذين هؤلاء جند مامن جنودهم مما فعلوا من التكذيب و فعل بهم من العقاب وذو الأوتاد معناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده فاستعير لثبات الملك و رسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الأسود بن يعفر:

و لقد غنوا فيها بانعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الاوتاد

أوذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضاً كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها أوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) أصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى (أولئك الأحزاب) اما بدل من الطوائف المذكورة كما أن ذلك الكتاب بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فضل تأكيد وتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى (إن كل الا كذب الرسل) استئناف جيء به تقريراً لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه أى ما كل أحد من آحاد أولئك الأحزاب أو ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وأياما كان فالاستثناء مفرغ من أعم العام فى خبر المبتدا أى ما كل أحد منهم محكوما عليه بحكم الا محكوم عليه بأنه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبر عنه بأنه كذب الرسل وفى اسناد التكذيب إلى الطوائف المذكورة على وجه الابهام أولا والايذان بأن كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى (فحق عقاب) أى ثبت ووقع على كل منهم عقابى الذى كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة فى مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد أى ان كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى ان الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر وأما ما قيل من أنه خبر والمبتدأ قوله تعالى وعاد الخ أو قوله وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله (وما ينظر هؤلاء) شروع فى بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب اضرابهم من الأحزاب الذين اخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفى الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وأما جعله اشارة الى الأحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم فى علم الله عز وجل فليس فى حيز الاحتمال أصلا كيف لا و الانتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء إنما يتصور فى حق من لم يترتب على أعماله نتائجها بعد

وبعدما بين عقاب الأحزاب واستئصالهم بالمرة لم يبق مما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر وإنما الذين فى مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظائم الجرائم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات مثل ماارتكب الاحزاب أو أشد منه ولم يلاقوا بعد شيأ من غوائلها أى ومايتنظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلكة فى الكفر والتكذيب (الاصيحة واحدة)هى النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بما فيها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الأمم برها وفاجرها بل بمعنى أنه ليس بينهم و بين حلول ماأعد لهم من العقاب الفظيع الاهي حيث أخرت عقوبتهم الى الآخرة لما أن تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه و النبى عليه الصلاة والسلام بين أظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من انها النفخة الأولى فمما لا وجه له أصلا لما انه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها الامن كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم (مالها من فواق) اى من توقف مقدار فواق وهو مابين الحلبتين وقرىء بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم الى الآخرة أى قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذى توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذى مبدؤه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أى عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزؤ به عجل لنا نصيبنا منها و تصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان فى الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال (اصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة (واذكر) لهم (عبدنا داود) أى قصته تهويلا لأمر المعصية فى أعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصى فانه عليه الصلاة والسلام مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين من كل ذليل المرتكبين لأكبر الكبائر المصرين على أعظم المعاصى أو تذكر قصته عليه الصلاة والسلام وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كى لا يلقاك ما لقيه من المعاتبة (ذا الأيد) أى ذا القوة

يقال فلان أيد وذوأيد وآد بمعنى واياد كل شيء ما يتقوى به (إنه أواب) رجاع إلى مرضاة الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على أن المراد به القوة فى الدين فانه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل (إنا سخرنا الجبال معه) استئناف مسوق لتعليل قوته فى الدين وأوابيته إلى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وإيثارها على اللام لما أشير اليه فى صورة الأنبياء من أن تسخير الجبال له عليه الصلاة والسلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلى فيها اليه عليه الصلاة والسلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه الصلاة والسلام والاقتداء به فى عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو أقرب بالنسبة إلى ما فى سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (يسبحن) أى يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو بخلق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال أو استئناف مبين لكيفية التسخير (بالعشى والاشراق) أى ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضىء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانىء رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال «هذه صلاة الاشراق» وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية (والطير) عطف على الجبال (محشورة) حال من الطير والعامل سخرنا أى وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرىء والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية (كل له أواب) استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه إجمالا من تسبيح الطير أى كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح ووضع الأواب موضع المسبح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع وإما لأن الأواب هو التواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى ومن دأبه إكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرىء بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله تعالى اليه فى المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحى فى اليقظة فأعلمه الرجل فقال إن الله تعالى لم يأخذنى بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت

أبا هذا غيلة فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته فى القلوب (وآتيناه الحكمة) النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) أى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملخص الذى ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاظهار والاضمار والحذف والتكرار وإنما سمى به أما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيداً له كالحمد والصلاة وقيل هو الخطاب الفصل الذى ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء فى نعت كلام النبوة فصل لانزر ولا هذر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجيب والتشويق إلى استماع مافى حيزه لايذانه بأنه من الانباء البديعة التى حقها أن تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم فى الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد ومافوقه كالضيف ومعنى خصمان فريقان (إذ تسوروا المحراب) إذ تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه إذا علا ذروته وإذ متعلقة بمحذوف أى نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا أو بالنبأ على أن المراد به الواقع فى عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف أى قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا بأتى لان اتيانه الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن حينئذ وقوله تعالى (إذ دخلوا على داود) بدل مما قبله أو ظرف لتسوروا (ففزع منهم) روى أنه تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله فى غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضى الله عنهما إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخاصة نفسه ويوماً للوعظ والتذكير (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا ازالة لفزعه (لاتخف خصمان) أى نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما (بغى بعضنا على بعض) هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) أى لا تجر فى الحكومة وقرىء ولا تشطط أى لا تبعد عن الحق وقرىء ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد

وتخطى الحق (واهدنا إلى سواء الصراط) إلى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وارشاده الى منهاج العدل (ان هذا أخي) استئناف لبيان مافيه الخصومة أي اخي في الدين أو في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) هي الأنثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ في المقصود وقرىء تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرىء ولى نعجة بسكون الياء (فقال أكفلنيها) أي ملكنيها وحقيقته اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلي أي نصيبي (وعزني في الخطاب) أي غلبني في مخاطبته اياى محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده أو في مغالبته اياى في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا أي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرىء وعازني أي غالبني وعزني بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) جواب قسم محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها مع أن له قطيعا منها ولعله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه أو بناء على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بإلى لتضمنه معنى الاضافة والضم (وإن كثيرا من الخلطاء) أي الشركاء الذين خلطوا أموالهم (ليبغى) ليتعدى وقرىء بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة (بعضهم على بعض) غير مراع لحق الصحبة والشركة (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فانهم يتحامون عن البغى والعدوان (وقليل ماهم) أي وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض (وظن داود أنما فتناه) الظن مستعار للعلم الاستدلالى لا لما بينهما من المشابهة الظاهرة أي علم بما جرى في مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك ثم صعدا إلى السماء حيال وجهه فعلم عليه الصلاة والسلام أنه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه الصلاة والسلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفى فيه والاثبات فيها كما في مثل قولك إنما ضربت زيدا وإنما ضربته تأديبا بل على تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام بالفتنة بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى مايغايره من الافعال

لكن لا باعتبار النفي والاثبات معاً في خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معني مخصوص يقارنه ويقيده وهو أثره في الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داوود عليه السلام أنما فعلنا به الفتنة لاغير قيل ابتليناه بامرأة أوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لأنه أبلغ في التوبيخ فان التأمل فيه اذا أداه إلى الشعور بما هو الغرض كان أوقع في نفسه واعظم تأثيراً في قلبه وادعى إلى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه الصلاة والسلام بترك المجاهرة والاشعار بأنه أمر يستحي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه الصلاة والسلام إلى التصريح بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه الصلاة والسلام على أن اوريا بصدد الخصام (فاستغفر ربه) إثر ماعلم أن ماصدر عنه ذنب (وخر راكعاً) اي ساجدا على تسمية السجود ركوعا لأنه مبدؤه أو خر للسجود راكعا أى مصليا كأنه أحرم بركعتي الاستغفار (وأناب) أى رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داوود عليه السلام راى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزا في شريعته معتادا فيما بين أمته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا أنه عليه الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داوود عليه السلام فآثره عليه السلام اهلها فكان ذنبه عليه الصلاة والسلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا وأما ما يذكر من انه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت

فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لايحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئس مامكروه تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع وويل لمن ابتدعه وأشاعه وتبا لمن اخترعه وأذاعه ولذلك قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك حد الفرية على الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه الصلاة والسلام فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده أقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه الصلاة والسلام غرضهم فهم بان ينتقم منهم فظن أن ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به وأناب (فغفرنا له ذلك) أي ما استغفر منه وروى أنه عليه الصلاة والسلام بقي ساجدا أربعين يوما وليلة لايرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو لما لابد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه أهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه (وان له عندنا لزلفى) لقربة وكرامة بعد المغفرة (وحسن مآب) حسن مرجع في الجنة (ياداود انا جعلناك خليفة في الارض) اما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول قول مقدر هو معطوف على غفرنا أو حال من فاعله أي وقلنا له أو قائلين له ياداود الخ أي استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عليه الصلاة والسلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييها مقتضية له حتما (ولاتتبع الهوى) أي هوى النفس في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا (فيضلك عن سبيل الله) بالنصب على أنه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين أي فيكون الهوى أو اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله تعالى (ان الذين يضلون عن سبيل الله) تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان

بكمال شناعة الضلال عنه (لهم عذاب شديد) جملة من خبر ومبتدا وقعت خبراً لأن أو الظرف خبر لأن وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من معنى الاستقرار (بما نسوا) بسبب نسيانهم وقوله تعالى (يوم الحساب) اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه أعنى الضلال عن سبيل الله تعالى فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من أفراده أو ظرف لقوله تعالى لهم أى لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذى هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته أن يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السرى قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) كلام مستأنف مقرر لما قبله من أمر البعث والحساب والجزاء أى وما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذى تحار فى فهمه العقول خلقاً باطلا أى خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا أودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكناها من التصرفات العلمية والعملية فى استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفاقية وأنفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل أرسلنا اليها رسلا وأنزلنا عليها كتبا بينا فيها كل دقيق وجليل وأزحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالها (ذلك) اشارة الى ما نفى من خلق ماذكر باطلا (ظن الذين كفروا) أى مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذى عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ماذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا (فويل للذين كفروا) مبتدأ وخبر والفاء لافادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما أن وضع الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما فى حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافى بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن فى قوله تعالى (من النار) تعليلية كما فى قوله تعالى «فويل لهم مما كتبت أيديهم» ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدى اليها من ظنهم وكفرهم أى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض) أم منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالى عن تقرير أمر البعث

والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده أى بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين فى أقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين فى التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى أعلى عليين والآخرين الى أسفل سافلين وقوله تعالى (أم نجعل المتقين كالفجار) أضراب وانتقال عن اثبات ماذكر بلزوم المحال الذى هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الاطلاق الى اثباته بلزوم ماهو أظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لايساعده المقام ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الاولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل فى انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى فى الآخرة من الخير ماتعطون فنزلت (كتاب) خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة وقوله تعالى (أنزلناه اليك) صفته وقوله تعالى (مبارك) خبر ثان للمبتدأ أو صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرىء مباركا على أنه حال من مفعول أنزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى (ليدبروا آياته) متعلق بأنزلناه أى أنزلناه ليتفكروا فى آياته التى من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع فيعرفوا مايدبر ظاهرها من المعانى الفائقة والتأويلات اللائقة وقرىء ليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب أى أنت وعلماء أمتك بحذف احدى التاءين (وليتذكر أولو الالباب) أى وليتعظ به ذوو العقول السليمة أو ليستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية مبينة لما لايعرف الا بالشرع ومرشدة الى مالا سبيل للعقل اليه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) وقرىء نعم العبد أى سليمان كما ينبىء عنه تأخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى (انه أواب) أى رجاع الى الله تعالى بالتوبة أو الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما أن الضمير المجرور فى قوله تعالى (إذ عرض عليه) راجع اليه عليه الصلاة والسلام قطعا وإذ منصوب باذكر أى أذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه (بالعشى) هو من الظهر الى آخر النهار (الصافنات) فانه يشهد بأنه أواب وقيل ظرف لأواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات

عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يتفق الا فى العراب الخلص وقيل هو الذى يجمع يديه ويسويهما وأما الذى يقف على سنبكه فهو المتخيم (الجياد) جمع جواد وجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية أى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وقيل هو جمع جيد روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعدما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقى مائة فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهى الريح تجرى بأمره (فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) قاله عليه الصلاة والسلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار أواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر وأصل أحببت أن يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدى تعديته وحب الخير مفعوله كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربى ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته عليه الصلاة والسلام ويحتمل أنه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه الصلاة والسلام «الخير معقود بنواصى الخيل الى يوم القيامة» وقرىء انى (حتى توارت بالحجاب) متعلق بقوله أحببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض أي أنبت حب الخير عن ذكر ربى واستمر ذلك حتى توارت أى غربت الشمس تشبيها لغروبها فى مغربها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها وقيل الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل أى بظلامه (ردوها على) من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم أنه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كأن سائلا قال فماذا قال سليمان عليه السلام فقيل قال ردوها فتأمل والفاء فى قوله تعالى (فطفق مسحا) فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالأمر أى فردوها

عليه فأخذ يمسح السيف مسحاً (بالسوق والاعناق) أى بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته أى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبالها واعجاباً بها وليس بذاك وقرىء بالسؤق على همز الواو لضمتها كما فى أدؤر وقرىء بالسؤوق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرىء بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) أظهر ما قيل فى فتنته عليه الصلاة والسلام ماروى مرفوعا أنه قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغدوه فى السحاب فما شعر به إلا أن ألقى على كرسيه ميتاً فتنبه لخطئه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل أنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب بنتاً له تسمى جرادة من أحسن الناس فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكان لا يرقأ دمعها جزعا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فأخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائباً إلى الله تعالى باكياً متضرعاً وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها يوماً فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شىء إلا فى نسائه وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ماعبد الوثن فى بيته فأنكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو الخاتم فتختم به وخر ساجداً وعاد اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به وهو جسم لا روح فيه لأنه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه الصلاة والسلام عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لايضره (قال) بدل من أناب وتفسير

له (رب اغفر لى) أى ما صدر عنى من الزلة (وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى) لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى فانه عليه الصلاة والسلام لما نشأ فى بيت الملك والنبوة ورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما أو لا ينبغى لأحد أن يسلبه منى بعد هذه السلبة أو لا يصح لأحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جريا على سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين وكون ذلك أدخل فى الاجابة وقرىء لى بفتح الياء (انك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا لا بالأخيرة فقط فان المغفرة أيضاً من أحكام وصف الوهابية قطعاً (فسخرنا له الريح) أى فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد أمره عليه الصلاة والسلام إلى ما كان عليه قبل الفتنة وقرىء الرياح (تجرى بأمره) بيان لتسخيرها له (رخاء) أى لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمأمور المنقاد (حيث أصاب) أى حيث قصد وأراد حكى الأصمعى عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) عطف على كل بناء داخل فى حكم البدل كأنه عليه الصلاة والسلام فصل الشياطين إلى عملة استعملهم فى الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل أجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرون على الأعمال الصعبة وقد جوز أن يكون الاقران فى الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصفد القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه على عكس وعد وأوعد وقوله تعالى (هذا) الخ إما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مبينة لعظم شأن ما أوتى من الملك وأنه مفوض اليه تفويضا كليا وأما مقول لقول مقدر وهو معطوف على سخرنا او حال من فاعله كما مر فى خاتمة قصة داود عليه السلام اى وقلنا له او قائلين له هذا الامر الذى اعطيناكه من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك (عطاؤنا) الخاص بك (فامنن أو أمسك) فاعط من شئت وامنع من شئت) بغير حساب حال من المستكن فى الامر أى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطاء اى هذا عطاؤنا ملتبسا بغير

حساب لغاية كثرته اوصلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد (و إن له عندنا لزلفى)فى الآخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا (وحسن مآب) هو الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه أبو حنيفة أحمد بن داود الدينورى فى تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه فى عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام إلى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشأم ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها ماذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم (واذكر عبدنا ايوب) عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب هو ابن عيص بن اسحق عليه السلام (اذ نادى ربه) بدل اشتمال من عبدنا وأيوب عطف بيان له (انى) بانى (مسنى الشيطان) بفتح ياء مسنى وقرىء باسكانها واسقاطها (بنصب) اى تعب وقرىء بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل (وعذاب) اى ألم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر فى قوله إنى مسنى الضر وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به بعبارته والاقيل أنه مسه الخ والأسناد إلى الشيطان أما لأنه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل أنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يغثه أو كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه أو لامتحان صبره فيكون اعترافا بالذنب أو مراعاة للادب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه فى مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه الصلاة والسلام بل من جملته قوله وأنت أرحم الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما فى سورة الأنبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى (اركض برجلك) الخ إما حكاية لما قيل له أو مقول لقول مقدر معطوف على نادى أى فقلنا له اركض برجلك أى اضرب بها الأرض وكذا قوله تعالى (هذا مغتسل بارد وشراب) فانه أيضا إما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء أو مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ

ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى (ووهبنا له أهله) معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما فى سورة الانبياء ووهبنا له أهله إما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروى عن الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل (ومثلهم معهم) عطف على أهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل (رحمة منا) أى لرحمة عظيمة عليه من قبلنا (وذكرى لأولي الألباب) ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم مافعل به من حسن العاقبة (وخذ بيدك ضغثاً) معطوف على اركض أو على وهبنا بتقدير قلنا أى وقلنا خذ بيدك الخ والأول أقرب لفظاً وهذا أنسب معنى فان الحاجة إلى هذا الأمر لاتمس إلا بعض الصحة فان امرأته رحمة بنت افرايم بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فأبطأت فحلف ان برىء ليضربنها مائة ضربة فأمره الله تعالى بأخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر وقال (فاضرب به) أى بذلك الضغث (ولا تحنث) فى يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهى باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب (إنا وجدناه صابراً) فيما أصابه فى النفس والأهل والمال وليس فى شكواه إلى الله تعالى إخلال بذلك فانه لايسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على أنه قال ذلك خيفة الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس إلى قومه بأنه لو كان نبياً لما ابتلى بمثل ماابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال فى مناجاته إلهى قد علمت أنه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهنى ماملكت يمينى ولم آكل إلا ومعى يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسياً ومعى جائع أو عريان فكشف الله تعالى عنه (نعم العبد) أى أيوب (انه أواب) تعليل لمدحه أى رجاع إلى الله تعالى (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا وقرىء عبدنا إما على أن ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار أعنى والباقيان عطف على عبدنا وأما على أن عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع (أولى الأيدى والأبصار) أولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين أو أولى الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالأيدى عن الأعمال

لأن أكثرها تباشر بها وبالأبصار عن المعارف لأنها أقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة البطالين أنهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما وقرىء أولى الأيد بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرىء أولى الأيادى على جمع الجمع (انا أخلصناهم بخالصة) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة فى العلم والعمل أى جعلناهم خالصين لهم بخصلة خالصة عظيمة الشأن كما ينبىء عنه التنكير التفخيمى وقوله تعالى (ذكرى الدار) بيان للخالصة بعد ابهامها للتفخيم أى تذكر للدار الآخرة دائماً فان خلوصهم فى الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم فى كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى ذلك إلا فى الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى اختيارها و يعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار فى الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرىء باضافة خالصة إلى ذكرى أى بما خلص من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر أصلا أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم (وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار) لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم فى الخير والأخيار جمع خير كشر وأشرار وقيل جمع خير أو خير مخفف منه كأموات فى جمع ميت وميت (واذكر اسماعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للاشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بالتذكير (واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبىء واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما فى قول من قال . رأيت الوليد بن اليزيد مباركا . وقرىء والليسع كان أصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم أعجمى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع (وذا الكفل) هو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من بنى اسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة (وكل) أى وكلهم (من الأخيار) المشهورين بالخيرية (هذا) اشارة الى ماتقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم (ذكر) أى شرف لهم وذكر جميل يذكرون به أبدا أو نوع من الذكر الذى هو القرآن و باب منه مشتمل على أنباء الأنبياء عليهم السلام وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذا ذكر من مضى من الأنبياء وقوله تعالى (وان للمتقين لحسن مآب) شروع فى بيان أجرهم الجزيل فى الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل فى العاجل وهو باب

آخر من أبواب التنزيل والمراد بالمتقين إما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا وإما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال. (جنات عدن) عطف بيان لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصب على المدح وقوله تعالي (مفتحة لهم الأبواب) حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل والابواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها إما ضمير مقدر كما هو رأى البصريين أي الأبواب منها أو الالف واللام القائمة مقامه كما هو رأى الكوفيين اذ الاصل أبوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو على أنهما خبران لمحذوف أى هي جنات عدن هي مفتحة (متكئين فيها) حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو أيضاً حال مما ذكر أو من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذى فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة (وعندهم قاصرات الطرف) أى على أزواجهن لا ينظرون الى غيرهم (أتراب) لدات لهم فان التحاب بين الاقران أرسخ أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) أى لأجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرىء بالياء ليوافق ماقبله والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم (ان هذا) أى ماذكر من ألوان النعم والكرامات (لرزقنا) أعطيناكموه (ماله من نفاد) انقطاع أبدا (هذا) أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله تعالى (وان للطاغين لشر مآب) شروع في بيان أضداد الفريق السابق (جهنم) اعرابه كما سلف (يصلونها) أى يدخلونها حال من جهنم (فبئس المهاد) وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى «لهم من جهنم مهاد» (هذا فليذوقوه) أى ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى «واياى فارهبون» أو العذاب هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأ خبره (حميم وغساق) وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتدأ محذوف أى هو حميم والغساق مايغسق من صديد أهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لتنتنت أهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لتنتنت أهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى وقرىء بتخفيف السين (وآخر من شكله) أى ومذوق آخر أو عذاب آخر من مثل هذا المذوق أو العذاب

في الشدة والفظاعة وقرىء وأخر أي ومذوقات أخر أو انواع عذاب أخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر أو الشراب الشامل للحميم والغساق أو هو راجع الى الغساق (أزواج) أي اجناس وهو خبر لآخر لانه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم (هذا فوج مقتحم معكم) حكاية مايقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى (لا مرحبا بهم) من إتمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو صفة للفوج أو حال منه أي مقول أو مقولا في حقهم لا مرحبا بهم أي لا أتوا مرحباً أو لا رحبت بهم الدار مرحباً (انهم صالوا النار) تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحباً بهم إلى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجراً من مقارنتهم وتنفراً من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع (قالوا) أي الاتباع عند سماعهم ماقيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم (بل أنتم لا مرحباً بكم) الخ على الوجهين الآخيرين ظاهر وأما على الوجه الاول فلعلهم إنما خاطبوهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزنة بل هم لا مرحباً بهم الخ قصداً منهم إلى إظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم إلى الخزنة طمعاً في قضائهم بتخفيف عذابهم أو تضعيف عذاب خصمائهم أي بل أنتم أحق بما قيل لنا أو قلتم وقوله تعالى (أنتم قدمتموه لنا) تعليل لأحقيتهم بذلك أي أنتم قدمتم العذاب أو الصلي لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي اليه من العقائد الزائغة والاعمال السيئة وتزيينها في أعيننا واغرائنا عليها لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا (فبئس القرار) أي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم (قالوا) أي الاتباع أيضاً وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتاً وخطاباً أي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين إلى الله تعالى (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار) كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار أي عذاباً مضاعفاً أي ذا ضعف وذلك بأن يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والأفاعي (وقالوا) أي الطاغون (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم (أتخذناهم سخرياً) بهمزة استفهام سقطت لأجلها

همزة الوصل والجملة استئناف لامحل لها من الاعراب قالوه إنكاراً على أنفسهم وتأنيباً لها في الاستسخار منهم (أم زاغت عنهم الابصار) متصل باتخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم وأن أبصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخاً لها أو على أنها منقطعة والمعنى اتخذناهم سخرياً بل أزاغت عنهم أبصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرىء اتخذناهم بغير همزة على أنه صفة أخرى لرجالا فقوله تعالى «أم زاغت» متصل بقوله مالنا لا نرى والمعنى مالنا لا نراهم في النار أليسوا فيها فلذلك لا نراهم أم زاغت عنهم أبصارنا وهم فيها وقد جوز أن تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرىء سخريا بضم السين (ان ذلك) أى الذى حكى من أحوالهم (لحق) لابد من وقوعه ألبتة وقوله تعالى (تخاصم أهل النار) خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لذلك وفى الابهام أولا والتبيين ثانياً مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق أو عطف بيان له وقرىء بالنصب على أنه بدل من ذلك وماقيل من أنه صفة له فقد قيل عليه أن اسم الاشارة لايوصف إلا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولايقال بهذا غلام الرجل (قل) أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين (إنما أنا منذر) من جهته تعالى أنذركم عذابه (وما من إله) في الوجود (إلا الله الواحد) الذى لا يقبل الشركة والكثرة أصلا (القهار) لكل شىء سواه (رب السموات والارض وما بينهما) من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها (العزيز) الذى لايغلب فى أمره من أموره (الغفار) المبالغ فى المغفرة يغفر مايشاء لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين مالا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفى القهر والعزة وتقديمهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه (قل) تكرير الأمر للايذان بان المقول أمر جليل له شأن خطير لابد من الاعتناء به أمراً وائتماراً (هو) أى ما أنبأتكم به من أنى منذر من جهته تعالى وانه تعالى واحد لا شريك له وانه متصف بماذكر من الصفات الجليلة والاظهر أنه القرآن وماذكر داخل فيه دخولا أوليا كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة (نبأ عظيم) وارد من جهته تعالى وقوله تعالى (أنتم عنه معرضون) استئناف نَاعٍ عليهم سوء صنيعهم به ببيان أنهم لا يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجباً للاقبال الكلى عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة أخرى

النبأ وقوله تعالى (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى) الخ استئناف مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة بينه دالة على أن ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وان سائر أنبائه أيضا كذلك .والملأ الأعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى (اذ يختصمون) متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد نفي علمه عليه الصلاة والسلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الأعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فان علمه عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال فقط بل عام لها وللافعال أيضا من سجود الملائكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلابد من اعتبار العموم في نفيه أيضا لا محالة وقوله تعالى (ان يوحى الى الا انما أنا نذير مبين) اعراض وسط بين اجمال اختصامهم وتفصيله تقريرا لثبوت علمه عليه الصلاة والسلام وتعيينا لسببه الا أن بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبأ عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملابسته عليه الصلاة والسلام بشيء من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق الوحي حتما فجعل ذلك أمرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود اخبار ماهو داع الى الوحي ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى « انما أنا منذر » في ضمن تحقيق علمه عليه الصلاة والسلام بقصة الملأ الأعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى إما ضمير عائد الى الحال المقدر او ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى الى حال الملأ الأعلى او ما يوحى الى ما يوحى من الامور الغيبية التي من جملتها حالهم الا لانما أنا نذير مبين من جهته تعالى فان كونه عليه الصلاة والسلام كذلك من دواعي الوحي إليه ومن موجباته حتما وإما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور او هو انما انا نذير مبين بلا تقدير الجار وان المعنى مايوحي الى الا للانذار او ما يوحى الى الا ان انذر وابلغ .ولا أفرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للانذار في الاول وقصره على الانذار في الثاني فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون أجنبيا مما توسط بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرىء انما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى (اذ قال ربك للملائكة) شروع في تفصيل ما أجمل من الاختصام الذي هو ماجرى بينهم من التقاول وحيث كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملائكة واذ بدل من اذ الاولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه

فان القصة ناطقة بذلك تفصيلا. والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه والايذان بان وحي هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه الصلاة والسلام والكاف واردة باعتبار حال الآمر لكونه أدل على كونه وحيا منزلا من عنده تعالى كما فى قوله تعالى «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» الخ دون حال المأمور والا لقيل ربى لأنه داخل فى حيز الامر (إني خالق) أي فيما سيأتي وفيه ماليس فى صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له ألبتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه (بشرا) قيل أي جسما كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية (من طين) لم يتعرض لأوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر فى مواقع أخر (فاذا سويته) أي صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه (ونفخت فيه من روحي) النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أي فاذا كملت استعداده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح التي هي من أمري (فقعوا له) أمر من وقع. وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له (ساجدين) تحية له وتكريما (فسجد الملائكة) أي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة (كلهم) بحيث لم يبق منهم أحد الا سجد (أجمعون) أي بطريق المعية بحيث لم يتأخر فى ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد أيضا وقيل أكد بتأكيدين مبالغة فى التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الامر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي فى سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما تفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح أو على الامر التنجيزي كما يقتضيه ما فى سورة البقرة وما فى سورة الاعراف وما فى سورة بني اسرائيل وما فى سورة الكهف وما فى سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل فى سورة البقرة وسورة الاعراف (الا ابليس) استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بألوف من الملائكة موصوفا بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد منهم أو لان من الملائكة جنسا يتوالدون وهو منهم أو منقطع وقوله تعالى (استكبر) على الأول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم

من الاستثناء فان تركه يحتمل أن يكون للتأمل والتروى و به يتحقق أنه للاباء والاستكبار وعلى الثانى يجوز اتصاله بما قبله أى لكن ابليس استكبر (وكان من الكافرين) أى وصار منهم بمخالفته للامر واستكباره عن الطاعة أو كان منهم فى علم الله عز وجل (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى) أى خلقته بالذات من غير توسط أب وأم والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه الصلاة والسلام المستدعى لاجلاله واعظامه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ (أستكبرت) بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل أى أتكبرت من غير استحقاق (أم كنت من العالين) المستحقين للتفوق وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل مذ كنت من المستكبرين وقرىء بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة أم عليها وقوله تعالى (قال أنا خير منه) ادعاء منه لشىء مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق أن يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله «لم أكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون» وقوله تعالى (خلقتنى من نار وخلقته من طين) تعليل لما ادعاه من فضله عليه الصلاة والسلام ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى «لما خلقت بيدى» وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى «ونفخت فيه من روحى» وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك أمر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة فى الارض وأن له خواص ليست لغيره (قال فاخرج منها) الفاء لترتيب الامر على ماظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل أى فاخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وهو المراد بالامر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته فى سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التى كنت فيها وانسلخ منها فأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى (فانك رجيم) تعليل للامر بالخروج أى مطرودا من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة أو شيطان يرجم بالشهب (وإن عليك لعنتى) أى ابعادى عن الرحمة وتقييدها بالاضافة مع إطلاقها فى قوله تعالى «وإن عليك اللعنة» لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضا من جهته تعالى وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وابعاده من الرحمة (الى يوم الدين) أى يوم الجزاء والعقوبة .وفيه إيذان بأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هى أنموذج

لما سيلقاه مستمرا إلى ذلك اليوم لكن لا على أنها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على أنه سيلقي يومئذ من ألوان العذاب وأفانين العقاب ماينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل ألا يرى الى قوله تعالى «فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين» وقوله تعالى «ويلعن بعضهم بعضا» (قال رب فأنظرني) أي أمهلني وأخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي اذا جعلتني رجيما فأمهلني ولا تمتني (إلى يوم يبعثون) اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت بالكلية اذ لا موت بعد البعث (قال فانك من المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ماسأله الآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم فى ذلك دليل واضح على انه اخبار بالانظار المقدر لهم أزلا لا انشاء لانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وأن استنظاره كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم إلى الدين أى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين (إلى يوم الوقت المعلوم) الذى قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا إلى وقت البعث الذى هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما فى قول من قال: «فان ترحم فأنت لذاك أهل» فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ماله تعالى من الاهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت فى سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ماذكرههنا وفى سورة الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لابد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ماحكى من اللعين إنما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع إلا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى أحد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز واما ماعداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه فى سورة الاعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه (قال فبعزتك) الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى «فبما أغويتني» وقوله «رب بما اغويتني» فان اغواءه تعالى اياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بأحدهما واخرى بالآخر اى فأقسم بعزتك (لأغوينهم اجمعين) اى ذرية آدم بتزيين المعاصى لهم (الا عبادك منهم المخلصين) وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرىء المخلصين على صيغة الفاعل أي الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى (قال)

أي الله عز وجل (فالحق والحق أقول) برفع الاول على أنه مبتدا محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدا ونصب الثانى على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر أى لا أقول إلا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى فالحق قسمى (لأملأن جهنم) على أن الحق إما اسمه تعالى أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به أو فأنا الحق أو فقولى الحق وقوله تعالى « لأملأن جهنم » الخ حينئذ جواب لقسم محذوف أى والله لأملأن الخ وقوله تعالى « والحق أقول » على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة أعنى فقولى الحق وقرئا منصوبين على أن الاول مقسم به كقولك الله لأفعلن وجوابه لأملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرىء بجر الاول على إضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية (منك) أى من جنسك من الشياطين (وممن تبعك) فى الغواية والضلال (منهم) من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف عليه أى لأملأنها من المتبوعين والاتباع أجمعين كقوله تعالى « لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين » وهذا القول هو المراد بقوله تعالى « ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة فى قوله تعالى « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها » اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر (قل ما أسألكم عليه) على القرآن أو على تبليغ ما يوحى إلى (من أجر) دنيوى (وما انا من المتكلفين) أى المتصنعين بما ليسوا من أهله حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن (إن هو) أى ماهو (إلا ذكر) من الله عز وجل (للعالمين) أى للثقلين كافة (ولتعلمن نبأه) أى ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو صحة خبره وأنه الحق والصدق (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصم أن يصر على ذنب صغير أو كبير وقال أبو أمامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير والله أعلم

﴿سورة الزمر مكية﴾

(الا قوله قل لعبادى الآية وآيها خمس وسبعون أو ثنتان وسبعون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تنزيل الكتاب) خبر لمبتدا محذوف هو اسم إشارة أشير به إلى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر فى قوله تعالى «إن هو إلا ذكر للعالمين» وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل أو خبر ثان أو حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة أو من الكتاب الذى هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول أوفى بمقتضى المقام الذى هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الأخير وقرىء تنزيل الكتاب بالنصب على إضمار فعل نحو أقرأ أو الزم والتعرض لوصفى العزة والحكمة للإيذان بظهور أثريهما فى الكتاب بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وبابتناء جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) شروع فى بيان شأن المنزل اليه وما يجب عليه إثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن وإظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول أيضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء إما متعلقة بالانزال أى بسبب الحق وإثباته وإظهاره أو بداعية الحق واقتضائه للانزال وإما بمحذوف هو حال من نون العظمة أو من الكتاب أى أنزلناه اليك محقين فى ذلك أو أنزلناه ملتبسا بالحق والصواب أى كل ما فيه حق لاريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء فى قوله تعالى (فاعبد الله مخلصا له الدين) لترتيب الأمر بالعبادة على انزال الكتاب اليه عليه الصلاة والسلام بالحق أى فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل اليك وقرىء برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للأمر باخلاص العبادة وقوله تعالى (ألا لله الدين الخالص) استئناف مقرر لما قبله من الأمر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الأخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى أى ألا هو الذى يجب أن يخص باخلاص الطاعة له لأنه المتفرد بصفات

الألوهية التي من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذي هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذي هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتي من الجملة المصدرة بان والاولياء عبارة عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والأصنام وقوله تعالى (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية إشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من أعم العلل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ الصدر ملاق له في المعنى أي والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشيء من الأشياء إلا ليقربونا إلى الله تعالى تقريباً (ان الله يحكم بينهم) أي وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى « لا نفرق بين أحد من رسله » على أحد الوجهين أي بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة :

فما كان بين الخير لو جاء سالما ، أبو حجر الاليال قلائل

أي بين الخير وبيني وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعاً (فيما هم فيه يختلفون) من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق منهم صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم. وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله ان الله يحكم بينهم أي بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجوا العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا إلى الحكم والفصل وانما ذاك ما بين فريق الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف في الدين الباقي إلى يوم القيامة وقرىء قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس في الأخبار بذلك مزيد مزية وقرىء ما نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرىء نعبدهم اتباعا للباء (ان الله لا يهدي) أي لا يوفق للاهتداء إلى الحق الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب (من هو كاذب كفار) أي راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما تعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الأصلية بالتمرن في الضلالة

من الامور المهمة المشوقة الى ماأنزل لامحالة وقوله تعالى (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى (خلقا من بعد خلق) مصدر مؤكد أى يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق أى خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة (فى ظلمات ثلاث) متعلق بيخلقكم وهى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) اشارة اليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته تعالى فى العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء أى ذلكم العظيم الشان الذى عددت أفعاله (الله) وقوله تعالى (ربكم) خبر آخر أى مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به (له الملك) على الاطلاق فى الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة فى ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى (لا إله الا هو) والفاء فى قوله تعالى (فأنى تصرفون) لترتيب مابعدها على ماذكر من شؤونه تعالى أى فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف عنها (إن تكفروا) به تعالى بعد مشاهدة ماذكر من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للايمان والشكر (فان الله غنى عنكم) أى فاعلموا أنه تعالى غنى عن إيمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما (ولا يرضى لعباده الكفر) أى عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به (وان تشكروا يرضه لكم) أى يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وإنما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرىء باسكان الهاء (ولا تزر وازرة وزر أخرى) بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره أصلا أى لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى (ثم الى ربكم مرجعكم) بالبعث بعد الموت (فينبئكم) عند ذلك (بما كنتم تعملون) أى كنتم تعملونه فى الدنيا من أعمال الكفر والايمان أى يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا (انه عليم بذات الصدور) أى بمضمرات القلوب فكيف بالأعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة (واذا مس الانسان ضر) من مرض وغيره (دعا ربه منيبا اليه) راجعا اليه مما كان يدعوه فى حالة الرخاء لعلمه بأنه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض أفراده كقوله تعالى «ان الانسان لظلوم كفار» (ثم اذا خوله نعمة منه) أى أعطاه

نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعهد أي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به أو من الخول وهو الافتخار أي جعله يخول أي يختال ويفتخر (نسي ما كان يدعو اليه) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق الى كشفه (من قبل) أي من قبل التخويل أو نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه إما بناء على أن ما بمعنى من كما في قوله تعالى «وما خلق الذكر والأنثى» وقوله تعالى «ولا أنتم عابدون ما أعبد» وإما إيذانا بأن نسيانه بلغ إلى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن أن يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى «عما أرضعت» (وجعل لله أندادا) شركاء في العبادة (ليضل) الناس بذلك (عن سبيله) الذي هو التوحيد وقرىء ليضل بفتح الياء أي يزداد ضلالا أو يثبت عليه والا فأصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا» خلا أن هذا أقرب إلى الحقيقة لأن الجاعل ههنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله أنهما إضلال وضلال وأما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة أصلا (قل) تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله ومآله (تمتع بكفرك قليلا) أي تمتعا قليلا أو زمانا قليلا (إنك من أصحاب النار) أي من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته (أمن هو قانت آناء الليل) الخ من تمام الكلام المأمور به وأم إما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له تأكيدا للتهديد وتهكما به أأنت أحسن حالا ومآلا أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه (ساجدا وقائما) أي جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة وقرىء كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر (يحذر الآخرة) حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الاضافة إلى ضمير الراجي لا أنه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط وإما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال من التهديد إلى التبكيت بتكليف الجواب

الملجيء إلى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل أمن هو قانت الخ أفضل أم من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف (قل) بياناً للحق وتنبيهاً على شرف العلم والعمل (هل يستوى الذين يعلمون) حقائق الأحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور (والذين لا يعلمون) أى ماذكر أو شيئاً فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على أن كون الاولين فى أعلى معارج الخير وكون الآخرين فى أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون وقوله تعالى (إنما يتذكر أولو الألباب) كلام مستقل غير داخل فى الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر بماذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصى لبيان عدم تأثيرها فى قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما فى قول من قال :

عوجوا لخيو النعمى دمنة الدار . ماذا تحيون من نؤى وأحجار

أى إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرىء إنما يذكر بالادغام (قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة إثر تخصيص التذكر بأولى الالباب ايذانا بأنهم هم كما سيصرح به أى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم إلى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين أمر الله أدخل فى ايجاب الامتثال به وقوله تعالى (للذين أحسنوا) تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به. وايراد الاحسان فى حيز الصلة دون التقوى للايذان بأنه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر فى قوله تعالى «ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون» وفى قوله تعالى« انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين» وقوله تعالى (فى هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا أى عملوا الأعمال الحسنة فى هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذى عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله عليه السلام« ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك» (حسنة) أى أى حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهى الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على أنه بيان لمكانها أو حال من ضميرها فى الظرف فالمراد بها حينئذ الصحة والعافية (وأرض الله واسعة) فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء والصالحين

فانه لاعذر له فى التفريط أصلا وقوله تعالى (انما يوفى الصابرون) الخ ترغيب فى التقوى المأمور بها. وايثار الصابرين على المتقين للايذان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما أشير اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة فى تحمل مشاق المهاجرة ومتاعبها أى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا فى مراعاة حقوقه لما اعتراهم فى ذلك من فنون الآلام والبلايا التى من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الأوطان (أجرهم) بمقابلة ما كابدوا من الصبر (بغير حساب) أى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وفى الحديث «انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيؤتون بها أجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل» (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما أمر به نفسه من الاخلاص فى عبادة الله الذى هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة فى حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا لما يعقبه مما خوطب به المشركون (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) أى وأمرت بذلك لاجل أن أكون مقدمهم فى الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق فى الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقييده بالعلة والاشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضى الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق فى الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما فى أردت لان أقوم بدليل قوله تعالى «وأمرت أن أكون أول من أسلم» فالمعنى وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زمانى أو من قومى أو أكون أول من دعا غيره الى مادعا اليه نفسه (قل انى أخاف ان عصيت ربى) بترك الاخلاص والميل الى ما أنتم عليه من الشرك (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة وصف بالعظمة لعظمة مافيه من الدواهى والاهوال (قل الله أعبد) لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا (مخلصا له دينى) من كل شوب أمر عليه الصلاة والسلام أولا ببيان كونه مأمورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على أبلغ وجه وآكده اظهارا لتصلبه فى الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى (فاعبدوا ماشئتم) أن تعبدوه (من دونه) تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم مالا يخفى

كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كى يحل بهم العقاب (قل ان الخاسرين) أى الكاملين فى الخسران الذى هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف مالا بد منه (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) باختيارهم الكفر لها أى أضاعوهما وأتلفوهما (يوم القيامة) حين يدخلون النار حيث عرضوها للعذاب السرمدى وأوقعوهما فى هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا أهليهم لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب مالو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير متصور فى الشق الأخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم أهل فى الجنة وخسروا أهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وأياما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين فى الخسران بما ذكر بل بيان أنهم هم إما بجعل الموصول عبارة عنهم أو عماهم مندرجون فيه اندراجا أوليا وما فى قوله تعالى (ألا ذلك هو الخسران المبين) من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك إلى بعد منزلة المشار اليه فى الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وأنه لا خسران وراءه مالا يخفى وقوله تعالى (لهم من فوقهم ظلل من النار) الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على أن لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف قيل هو حال من ظلل والأظهر أنه حال من الضمير فى الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل أى لهم كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار (ومن تحتهم) أيضاً (ظلل) أى أطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلل للآخرين بل لهم أيضاً عند ترديهم فى دركاتها (ذلك) العذاب الفظيع هو الذى (يخوف الله به عباده) ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا مايوقعهم فيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرىء ياعبادى (والذين اجتنبوا الطاغوت) أى البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة فى النعت والمراد به هو الشيطان (أن يعبدوها) بدل الاشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان إذ هو الآمر بها والمزين لها (وأنابوا إلى الله) وأقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا (لهم البشرى) بالثواب على ألسنة الرسل أو الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) هم الموصوفون بالاجتناب

والانابة بأعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفاً لهم بالاضافة ودلالة على أن مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقاداً فى الدين يميزون الحق من الباطل و يؤثرون الأفضل فالأفضل (أولئك) إشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم و بعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده من الموصول أى أولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة (الذين هداهم الله) للدين الحق (وأولئك هم أولو الألباب) أى هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار) بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» وقوله تعالى «لمن اتبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين» وأصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه على أنها شرطية دخلت عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معا أى أأنت مالك أمر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من فى النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع فى النار وأن اجتهاده عليه الصلاة والسلام فى دعائهم إلى الايمان سعى فى انقاذهم من النار . ويجوز أن يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى أفأنت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد فى دعائه إلى الايمان بصورة الانقاذ من النار كأنه قيل أولا أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل فأنت تنقذ من النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذى يقدر على الانقاذ لاغيره وحيث كان المراد بمن فى النار الذين قيل فى حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك منهم بقوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون و وصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضا فيما سبق بقوله تعالى « ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم » الآية و بين أن لها درجات عالية فى جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة فى الجحيم أى لهم علالى بعضها فوق بعض (مبنية) بناء المنازل

المبنية المؤسسة على الأرض في الرصانة والأحكام (تجري من تحتها) من تحت تلك الغرف (الأنهار) من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد وأي وعد (لا يخلف الله الميعاد) لاستحالته عليه سبحانه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استئناف وارد إما لتمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى «إنما مثل الحياة الدنيا» الآية أو للاستشهاد على تحقق الموعود من الأنهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى وإحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع في الأرض) أي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الجار أي في ينابيع (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة أو الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة (ثم يهيج) أي يتم جفافه ويشرف على أن ينور من منابته (فتراه مصفرا) من بعد خضرته ونضرته وقرىء مصفارا (ثم يجعله حطاما) فتاتا متكسرة كأن لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج (إن في ذلك) إشارة إلى ما ذكر تفصيلا. وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على على ما قصد بيانه (لذكرى) لتذكيرا عظيما (لأولي الالباب) لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها أو يجزمون بأن من قدر على إنزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على إجراء الانهار من تحت الغرف هذا وأما ماقيل إن في ذلك لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأنه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وإنما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير إسنادها إلى مؤثر ما فحيث ذكرت مسندة إلى الله عز وجل تعين أن يكون متعلق التذكير والتنبيه شؤونه تعالى أو شؤون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله تعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي

تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام قال «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عليه الصلاة والسلام الانابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله» والكلام فى الهمزة والفاء كالذى مر فى قوله تعالى «أفمن حق عليه كلمة العذاب» وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره أى خلقه متسع الصدر مستعداً للاسلام فبقى على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها (فهو) بموجب ذلك مستقر (على نور) عظيم (من ربه) وهو اللطف الالهى الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغى والضلالة فأعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لايتذكر بها ولا يغتنمها (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى من أجل ذكره الذى حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب أى اذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته اشمأزوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى «فزادتهم رجسا» وقرىء عن ذكر الله أى عن قبوله (أولئك) البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب (فى ضلال) بعد عن الحق (مبين) ظاهر كونه ضلالا لكل أحد قيل نزلت الآية فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وأبى لهب وولده وقيل فى عمار بن ياسر رضى الله عنه وأبى جهل وذويه (ألله نزل أحسن الحديث) هو القرآن الكريم روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له عليه الصلاة والسلام حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفى إيقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم أحسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيد استناده اليه تعالى وأنه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على أنه وحى معجز مالا يخفى (كتابا) بدل من أحسن الحديث أو حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا أولا فان مساغ مجىء الحال من النكرة المضافة اتفاقى ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة اما لاتصافه بقوله تعالى (متشابها) أو لكونه فى قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه فى الصحة والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق فى المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه فى الفصاحة وتجاوب نظمه فى الاعجاز (مثانى) صفة أخرى لكتابا أو حال أخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه

وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى فى التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما فى قوله تعالى «فارجع البصر كرتين» أي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رأيت رجلا حسنا شمائل أى شمائله والمعنى متشابهة مثانيه (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) قيل صفة لكتابا أو حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر أنه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة فى سامعيه بعد بيان أوصافه فى نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى أنهم اذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أى ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى (ذلك) أى الكتاب الذى شرح أحواله (هدى الله يهدى به من يشاء) أن يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما فى تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى (ومن يضلل الله) أى يخلق فيه الضلالة بصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده أصلا أو ومن يخذل (فما له من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذى ذكر من الخشية والرجاء أثر هداه تعالى يهدى بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل أى ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشىء قط (أفمن يتقي بوجهه) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالى المهتدى والضال والكلام فى الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذى مر فى نظيريه والتقدير أكل الناس سواء فمن شأنه أنه يقى نفسه بوجهه الذى هو أشرف أعضائه (سوء العذاب) أي العذاب السيء الشديد (يوم القيامة) لكون يده التى بها كان يتقى المكاره والمخاوف مغلولة إلى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت فى أبى جهل (وقيل للظالمين) عطف على يتقي أى ويقال لهم

من جهة خزنة النار وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقى باضمار قد ووضع المظاهر فى مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر فى قوله تعالى (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أى وبال ما كنتم تكسبونه فى الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصى (كذب الذين من قبلهم) استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوى إثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروى أى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة (فأتاهم العذاب) المقدر لكل أمة منهم (من حيث لا يشعرون) من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها (فأذاقهم الله الخزى) أى الذل والصغار (فى الحياة الدنيا) كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال (ولعذاب الآخرة) المعد لهم (أكبر) لشدته وسرمديته (لو كانوا يعلمون) أى لو كان من شأنهم أن يعلموا شيئاً لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) يحتاج اليه الناظر فى أمور دينه (لعلهم يتذكرون) كى يتذكروا به ويتعظوا (قرآناً عربيا) حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيد هو الوصف كقولك جاءنى زيد رجلا صالحاً أو مدح له (غير ذى عوج) لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعانى وقيل المراد بالعوج الشك (لعلهم يتقون) علة أخرى مترتبة على الاولى (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) ايراد لمثل من الامثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة فى ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر فى سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول أخر عن الثانى للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التى هى العمدة فى التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان أنه فى الاصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة فى حيز النصب على أنه وصف لرجلا أو الوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقود اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبدا يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهماتهم المتباينة فى تحيره وتوزع قلبه (ورجلا) أى وجعل للموحد مثلا رجلا (سلما) أى خالصاً (لرجل) فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلا وقرئ سلما بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا أى خلص نعت بها مبالغة أو حذف منها ذو وقرئ سالما وسالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه أفطن لما يجرى عليه من الضر

والنفع (هل يستويان مثلا) انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على أبلغ وجه وآكده وايذان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لايقدر أحد أن يتفوه باستوائهما أو يتلعثم فى الحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما فى أعلى عليين والآخر فى أسفل سافلين وهو السر فى ابهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلا على التمييز أى هل يستوى حالاهما وصفتاهما والاقتصار فى التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرىء مثلين كقوله تعالى «أكثر أموالا وأولادا» للاشعار باختلاف النوع أولان المراد هل يستويان فى الوصفين على أن الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى (الحمد لله) تقرير لما قبله من نفى الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على أن مالهم من المزية بتوفيق الله تعالى وأنها نعمة جليلة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وعبادته أو على أن بيانه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الأعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لايعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون فى ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة وقرىء مائت و مائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته أى إنكم جميعا بصدد الموت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم) أى مالك أموركم (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الاحكام والمواعظ التى من جملتها مافى تضاعيف هذه الآيات واجتهدت فى الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا فى المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجارى فى الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فانه الى آخره مسوق لبيان كل من طرفى الاختصام الجارى فى شأن الكفر والايمان لاغير أى أظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه و تعالى بأن أضاف اليه الشريك والولد (وكذب بالصدق) أى الامر الذى هو عين الحق ونفس الصدق وهو ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) أى فى أول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من أول الامر والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرة وهم داخلون فى الحكم دخولا أوليا (والذى جاء بالصدق وصدق به) الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه كما أن المراد

في قوله تعالى «ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون» هو عليه الصلاة والسلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم و يؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق (أولئك) الموصوفون بما ذكر من المجيء بالصدق والتصديق به (هم المتقون) المنعوتون بالتقوى التي هي أجل الرغائب وقرىء وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس فأداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا به أي بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه عليه الصلاة والسلام وقرىء صدق به على البناء للمفعول (لهم ما يشاؤن عند ربهم) بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب بعد بيان مالهم في الدنيا من محاسن الاعمال أي لهم كل ما يشاءونه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما أن بعض ما يشاءونه من تكفير السيآت والأمن من الفزع الاكبر وسائر أهوال القيامة انما يقع قبل دخول الجنة (ذلك) الذي ذكر من حصول كل ما يشاءونه (جزاء المحسنين) أي الذين أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى (ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا) الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاءون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاءون لهم في الآخرة كيف لا وهو بعض ما يثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى بل بما سيثبت لهم فيما سيأتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله تعالى «وعد الله» فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى «لهم غرف من فوقها غرف» فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كأنه قيل وعدهم الله جميع ما يشاءونه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا دفعا لمضارهم (ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) اعطاء لمنافعهم واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوأ والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان خلا أن الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيآتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان أمكن في الاول

بناء على أن تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير مادونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ لتكفير السيء لكن لما لم يكن ذلك فى الاحسن كان الاحسن نظمهما فى سلك واحد من الاعتبار . والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فى صلة الموصول الثانى دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة (أليس الله بكاف عبده) انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدمها أو يتلعثم فى الجواب بوجودهما والعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم أو الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما أوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة يكافى عباده على الاضافة ويكافى عباده على صيغة المغالبة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف أن تخبلك آلهتنا ويصيبك مضرتها لعيبك اياها وفى رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون كما قال قوم هود «ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء» وذلك قوله تعالى (ويخوفونك بالذين من دونه) أى الاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال (ومن يضلل الله) حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه الصلاة والسلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلا (فماله من هاد) يهديه الى خير ما (ومن يهد الله فماله من مضل) يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى (أليس الله بعزيز) غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه لاوليائه وإظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربيه المهابة (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) لوضوح الدليل وسنوح السبيل (قل) تبكيتا لهم (أفرأيتم ماتدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره) أى بعد ما تحققتم أن خالق العالم العلوى والسفلى هو الله عز وجل فاخبرونى أن آلهتكم ان أرادنى الله بضر هل يكشفن عنى ذلك الضر (أو أرادنى برحمة) أى أو ارادنى بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمنعنها عنى وقرىء كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه الصلاة والسلام للرد فى نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بإمحاض النصيحة (قل حسبى الله) أى فى جميع أمورى من اصابة الخير ودفع الشر . روى أنه عليه الصلاة والسلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك (عليه يتوكل المتوكلون) لا على غيره أصلا لعلمهم بان كل ماسواه

تحت ملكوته تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) على حالتكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرىء على مكاناتكم (إني عامل) أي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بأن حاله لاتزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فان خزي أعدائه دليل غلبته عليه الصلاة والسلام وقد عذبهم الله تعالى وأخزاهم يوم بدر (ويحل عليه عذاب مقيم) أي دائم هو عذاب النار (انا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد (بالحق) حال من فاعل أنزلنا أو من مفعوله (فمن اهتدى) بأن عمل بما فيه (فلنفسه) أي انما نفع به نفسه (ومن ضل) بأن لم يعمل بموجبه (فانما يضل عليها) لما أن وبال ضلاله مقصور عليها (وما أنت عليهم بوكيل) لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك إلا البلاغ وقد بلغت أي بلاغ (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) أي يقبضها من الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهرا وباطناً كما عند الموت أو ظاهراً فقط كما عند النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت) ولا يردها إلى البدن وقرىء قضى على البناء للمفعول ورفع الموت (ويرسل الأخرى) أي النائمة إلى بدنها عند اليقظة (إلى أجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الأرسال الواقع بعد الامساك لالفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفساً وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر (إن في ذلك) أي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في أحدهما والارسال في الآخر (لآيات) عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لاتفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وارسالها حيناً بعد حين إلى انقضاء آجالها (أم اتخذوا) أي بل اتخذ قريش (من دون الله) من دون إذنه تعالى (شفعاء) تشفع لهم عنده تعالى (قل أولو كانوا لايملكون شيئاً ولا يعقلون) الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه أي قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لايملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن أن يملكوا الشفاعة عند الله تعالى

أو هى لانكار الوقوع ونفيه على أن المراد بيان أن مافعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء في شيء لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك أظهر المحالات فالمقدر حينئذ غير ماقدر أولا وعلى أى تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها أى أيشفعون لو كانوا يملكون شيئاً ولو كانوا لايملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مراراً (قل) بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقاً للحق (لله الشفاعة جميعاً) أى هو مالكها لايستطيع أحد شفاعة ما الا أن يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذوناً له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى (له ملك السموات والارض) تقرير له وتأكيد أى له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لايملك أحد أن يتكلم فى أمر من أموره بدون إذنه ورضاه (ثم اليه ترجعون) يوم القيامة لا إلى أحد سواه لااستقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ مايريد (واذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم (اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة) أى انقبضت ونفرت كما فى قوله تعالى «وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً» (واذا ذكر الذين من دونه) فرادى أو مع ذكر الله تعالى (إذاهم يستبشرون) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ فى بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فأن الاستبشار هو أن يمتلىء القلب سروراً حتى تنبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز أن يمتلأ غيظا وغما ينقبض منه أديم الوجه والعامل فى اذا الاولى اشمأزت وفى الثانية ماهو العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) أى التجىء اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت فى أمر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم فى المكابرة والعناد فانه القادر على الأشياء بجملتها والعالم بالأحوال برمتها (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أى حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوى أو الاخروى وقوله تعالى (ولو أن للذين ظلموا مافى الارض جميعاً) الخ كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذى استدعاه النبى صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته أى لو أن لهم جميع مافى الدنيا من الأموال والذخائر (ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أى لجعلوا كل ذلك فدية لأنفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلى لهم من الخلاص (وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم من فنون العقوبات مالم يكن فى حسابهم وهذه غاية من الوعيد لاغاية وراءها ونظيره فى الوعد قوله تعالى «فلا تعلم نفس

ماأخفى لهم من قرة أعين» (وبدا لهم سيئات ماكسبوا) سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم جزاؤه (فاذا مس الانسان ضر دعانا) إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده والفاء لترتيب مابعدها من المناقضة والتعكيس على مامر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم أى أنهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره (ثم إذا خولناه نعمة منا) أعطيناه إياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ماأعطي جزاء (قال إنما أوتيته على علم) أى على علم منى بوجوه كسبه أو بأنى سأعطاه لما لى من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي. والهاء لما إن جعلت موصولة والافلنعمة. والتذكير لما أن المراد شيء من النعمة (بل هي فتنة) أى محنة وابتلاء له أيشكر أم يكفر وهو رد لما قاله. وتغيير السبك للمبالغة فيه والايذان بأن ذلك ليس من باب الايتاء المنبيء عن الكرامة وإنما هو أمر مباين له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرىء بالتذكير (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك وفيه دلالة على أن المراد بالانسان هو الجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله إنما أوتيته على علم لأنها كلمة أو جملة وقرىء بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال إنما أوتيته على علم عندى وهم راضون به (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (فأصابهم سيئات ما كسبوا) جزاء سيئات أعمالهم أو أجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات لأنها فى مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا من هؤلاء) المشركين ومن للبيان أو للتبعيض أى أفرطوا فى الظلم والعتو (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) من الكفر والمعاصى كما أصاب اولئك والسين للتأكيد وقد أصابهم أى اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر (وما هم بمعجزين) أى فائتين (أو لم يعلموا) أى أقالوا ذلك ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (ويقدر) لمن يشاء أن يقدره له من غير أن يكون لأحد مدخل مافى ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسطه لهم سبعا (إن فى ذلك) الذى ذكر (لآيات) دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل (لقوم يؤمنون) اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) أى أفرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى وإضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ماهو عرف القرآن الكريم (لا تقنطوا من رحمة الله) أى لا تيأسوا من

مغفرته أولا وتفضله ثانيا (ان الله يغفر الذنوب جميعا) عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب فى الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى «ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» ظاهر فى الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى (انه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم مايستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بأنفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روى من أسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لايقتضى اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد فى كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص فى قوله تعالى (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون) اذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن الامر بها وتنافى الوعيد بالعذاب (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) أى القرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا له (أن تقول نفس) أى كراهة أن تقول والتنكير للتكثير كما فى قوله تعالى «علمت نفس ما أحضرت» فانه مسلك ربما يسلك عند ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه فى مطلع سورة الحجر (يا حسرتا) بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرىء ياحسرتاه بهاء السكت وقفا وقرىء ياحسرتاى بالجمع بين العوضين وقرىء ياحسرتى على الاصل أى احضرى فهذا أوان حضورك (على مافرطت) أى على تفريطى وتقصيرى (فى جنب الله) أى جانبه وفى حقه وطاعته وعليه قول من قال :

أما تتقين الله فى جنب وامق … له كبد حرى وعين ترقرق

وهو كناية فيها مبالغة وقيل فى ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله تعالى «والصاحب بالجنب» وقرىء فى ذكر الله (وان كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحل الجملة النصب على الحال أى فرطت وأنا ساخر

(أو تقول لو أن الله هداني) بالارشاد الى الحق (لكنت من المتقين) الشرك والمعاصي (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة) رجعة الى الدنيا (فأكون من المحسنين) في العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا وتحيرا وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لما أن تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا مافيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد (وجوههم مسودة) بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قد اكتفى فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية بصرية أو مفعول ثان لها على أنها عرفانية (أليس في جهنم مثوى) أي مقام (للمتكبرين) عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك (وينجي الله الذين اتقوا) الشرك والمعاصي أي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء (بمفازتهم) مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب أي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيد لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب أي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) إما حال أخرى من الموصول أو من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم أو فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن وإما من فاز منه أي نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لا يمسهم الى آخره تفسير وبيان لمفازتهم أي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم أي بنفي السوء والحزن عنهم أو للسببية اما على حذف المضاف أي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا (الله خالق كل شيء) من خير وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها (وهو على كل شيء وكيل) يتولى التصرف فيه كيفما يشاء (له مقاليد السموات والأرض) لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لأن الخزائن لا يدخلها

ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد أو مقلاد من قلدته اذا ألزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضى الله عنه أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال عليه الصلاة والسلام تفسيرها «لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله و بحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير» والمعنى على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) متصل بما قبله والمعنى أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوى والسفلى والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة فى الآفاق والأنفس والتنزيلية التى من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسار وراء هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجى الله وما بينهما اعتراض فتدبر (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون) أى أبعد مشاهدة هذه الآيات غير الله أعبد وتأمرونى اعتراض للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز أن ينتصب غير بما يدل عليه تأمرونى أعبد لانه بمعنى تعبدوننى وتقولون لى اعبد على أن أصله تأمرونى أن أعبد فحذف أن ورفع ما بعدها كما فى قوله :

ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى ... وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى

ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرىء تأمروننى باظهار النونين على الأصل وبحذف الثانية (ولقد أوحى اليك وإلى الذين من قبلك) أى من الرسل عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم والأخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل أن يكون من خصائصهم عند الاشراك منهم لان الاشراك منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيدا بالموت كما صرح به فى قوله تعالى «ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم» وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك (وكن من الشاكرين) انعامه عليك وفيه اشارة إلى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه (وما قدروا الله حق قدره) ما قدروا واعظمته تعالى فى أنفسهم

حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤنه الجليلة وقرىء بالتشديد (والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الأفعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالنسبة إلى قدرته تعالى ودلالة على أن تخريب العالم أهون شىء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرىء بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتأكيد الأرض بالجميع لأن المراد بها الارضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرىء مطويات على أنها حال والسموات معطوف على الأرض منظومة فى حكمها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو عما يشركونه من الشركاء (ونفخ فى الصور) هى النفخة الاولى (فصعق من فى السموات ومن فى الأرض) أى خروا أمواتا أو مغشيا عليهم (إلا من شاء الله) قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى) نفخة أخرى هى النفخة الثانية وأخرى يحتمل النصب والرفع (فاذا هم قيام) قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرىء بالنصب على أن الخبر (ينظرون) وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم فى الجوانب كالمبهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرقت الارض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل استعير له النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفى الحديث «الظلم ظلمات يوم القيامة» ولذلك أضيف الاسم الجليل الى ضمير الارض أو بنور خلقه فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف إلى الأسم الجليل (ووضع الكتاب) الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الاعمال فى أيدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجىء بالنبيين والشهداء) للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ماجرى به الوعد (ووفيت كل نفس ماعملت) أى جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شىء من أفعالهم وقوله تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها أى سيقوا اليها بالعنف والاهانة أفواجا متفرقة بعضها فى إثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم فى الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه (حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها) ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرىء

بالتشديد (وقال لهم خزنتها) تقريعا وتوبيخا (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم وقرىء نذر منكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب (قالوا بلى) قد أتونا وأنذرونا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) حيث قال الله تعالى لابليس «لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم الا تكذبون (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أي مقدرا خلودكم فيها وإبهام القائل لتهويل المقول (فبئس مثوى المتكبرين) اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفاً أي فبئس مثواهم جهنم ولا يقدح ما فيه من الاشعار بأن كون مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في أن دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة) مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين (زمراً) متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة (حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها) وقرىء بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها (وقال لهم خزنتها سلام عليكم) من جميع المكاره والآلام (طبتم) طهرتم من دنس المعاصي أو طبتم نفساً بما أتيح لكم من النعيم (فادخلوها خالدين) كان ما كان مما يقصر عنه البيان (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده) بالبعث والثواب (وأورثنا الارض) يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أي يتبوأ كل واحد منا في أي مكان أراده من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محدقين (من حول العرش) أي حوله ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية أو مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله واكرامه تلذذاً به وفيه اشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤنه عز وجل (وقضى بينهم بالحق) أي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل

الحمد لله رب العالمين) أى على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلا منا منزلته التى هى حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم أو الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

﴿ سورة المؤمن مكية ﴾

﴿ وآيها خمس أو ثمان وثمانون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(حم) بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرىء بأمالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتأنيث أو للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفى قوله تعالى (تنزيل الكتاب) كالذى سلف فى ألم السجدة وقوله تعالى (من الله العزيز العليم) كما فى مطلع سورة الزمر فى الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتى العزة والعلم ماذكرهناك (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) اما صفات أخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ماهو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو أبدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين اذربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لان الغفرهو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها (لا إله الا هو) فيجب الاقبال الكلى على طاعته فى أوامره ونواهيه (اليه المصير) فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازى كلا من المطيع والعاصى (ما يجادل فى آيات الله) أى بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى « وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق » (الا الذين كفروا) بها وأما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها وأما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق فى مضايق الافهام ومزالق الاقدام وابطال شبه أهل الزيغ والضلال فمن أعظم الطاعات

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « ان جدالا فى القرآن كفر » بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء فى قوله تعالى (فلا يغررك تقلبهم فى البلاد) لترتيب النهى أو وجوب الانتهاء على ماقبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذى لا شيء أمقت منه عند الله تعالى ولا أجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لايكاد يغتر بمالهم من حظوظ الدنيا وزخرفها فانهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم) أى الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم (وهمت كل أمة) من تلك الامم العاتية (برسولهم) وقرىء برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه فيصيبوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الاخذ بمعنى الاسر (وجادلوا بالباطل) الذى لا أصل ولا حقيقة له أصلا (ليدحضوا به الحق) الذى لامحيد عنه كما فعل هؤلاء (فأخذتهم) بسبب ذلك أخذ عزيز مقتدر (فكيف كان عقاب) الذى عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء أيضا لاتحادهم فى الطريقة واشتراكهم فى الجريرة كما ينبىء عنه قوله تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك) أى كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب أيضا (على الذين كفروا) أى كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبىء عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عليه الصلاة والسلام فان ذلك للاشعار بأن وجوب كلمة العذاب عليهم من أحكام تربيته التى من جملتها نصرته عليه الصلاة والسلام وتعذيب أعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى (انهم أصحاب النار) فى حيز النصب بحذف لام التعليل أى لانهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التى هى عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على الرسول عليه الصلاة والسلام كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقا وأحق استيجابا وقيل هو فى محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أى كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار فى الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف (الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله

مجاز عن حفظهم و تدبيرهم له و كناية عن زلفاهم من ذى العرش جل جلاله و مكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره (يسبحون بحمد ربهم) والجملة استئناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء مايسعدهم فى الدارين أى ينزهونه تعالى عن كل مالا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التى لا تتناهى (ويؤمنون به) ايمانا حقيقا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف أهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى (ويستغفرون للذين آمنوا) فان المشاركة فى الايمان أقوى المناسبات وأتمها وادعى الدواعى الى النصح والشفقة وفى نظم استغفارهم لهم فى سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى فى موقع القبول روى أن حملة العرش أرجلهم فى الارض السفلى ورءوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم «لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع» وفى الحديث «ان الله امر جميع الملائكة أن يغدوا و يروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم» وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء و بين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا أيمانهم على الشمائل مامنهم أحد إلا وهو يسبح بمالا يسبح به الآخر (ربنا) على إرادة القول أى يقولون ربنا على أنه إما بيان لاستغفارهم أو حال (وسعت كل شىء رحمة وعلما) أى وسعت رحمتك وعلمك فأزيل عن أصله للاغراق فى وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا والفاء فى قوله تعالى (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ماقبلها من سعة الرحمة والعلم (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد (ربنا وأدخلهم) عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة فى الجؤار (جنات عدن التى وعدتهم) أى

وعدتهم إياها وقرىء جنة عدن (و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم) أي صلاحا مصححا لدخول الجنة فى الجملة و إن كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الأول أى و أدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضاعف ابتهاجهم أو على الثانى لكن لابناء على الوعد العام للكل كما قيل إذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى «ألحقنا بهم ذريتهم» بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبى أين ولدى أين زوجى فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول إنى كنت أعمل لى ولهم فيقال أدخلوهم الجنة. وسبق الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعى حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والأول هو الأولى لأن الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى و قرىء صلح بالضم وذريتهم بالافراد (إنك أنت العزيز الحكيم) أى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) أى الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها إنجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها (وقهم السيئات) أى العقوبات لأن جزاء السيئة سيئة مثلها أو جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصوص بالاتباع أو المعاصى فى الدنيا فمعنى قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ومن تقه المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب (وذلك) إشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته أو اليها والى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الأشعار ببعد درجة المشار اليه (هو الفوز العظيم) الذى لا مطمع وراءه لطامع (إن الذين كفروا) شروع فى بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق أنهم أصحاب النار (ينادون) اى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا انفسهم الأمارة بالسوء التى وقعوا فيها و قعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضاً من الأحباب كقوله تعالى «يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا» أى أبغضوها اشد البغض وانكروها أبلغ الأنكار و اظهروا ذلك على رءوس الأشهاد فيقال لهم عند ذلك (لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم) اى لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته إياكم فى الدنيا (إذ تدعون) من جهة الانبياء (إلى الايمان) فتأبون قبوله (فتكفرون) اتباعا لانفسكم الامارة و مسارعة الى هواها أو اقتداء بأخلائكم المضلين واستحبابا لآرائهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة أو من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذا ظرف للمقت الأول وان توسط بينهما الخبر لما فى الظروف

من الاتساع و قيل لمصدر آخر مقدر اى مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلام المتقين فى الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقتكم أنفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بأنفسهم أضرابهم مما لا داعى اليه (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين أى اماتتين واحياءتين أو موتتين وحياتين على أنهما مصدران لهما أيضا بحذف الزوائد أولفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما كانه قيل أمتنا فمتنا موتتين اثنتين وأحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال :

وعضة دهريا ابن مروان لم تدع ☆ من المال الامسحت أو مجلف

أى لم تدع فلم يبق الامسحت الخ قيل أرادوا بالاماتة الاولى خلقهم أمواتا وبالثانية إماتتهم عند انقضاء آجالهم على أن الاماتة جعل الشيء عادم الحياة أعم من أن يكون بانشائه كذلك كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أو بجعله كذلك بعد الحياة وبالاحياءين الاحياء الاول واحياء البعث. وقيل أرادوا بالاماتة الاولى مابعد حياة الدنيا وبالثانية مابعد حياة القبر وبالاحياءين مافى القبر وماعند البعث وهو الانسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم (فاعترفنا بذنوبنا) والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به أطماعهم الفارغة من الرجع الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذي أرادوه بقولهم (فهل الى خروج من سبيل) مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا أنهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب فى أن الذى كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد الموت وأما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه فى سلك ما اعترفوا به وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها فى الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتيبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا. وتنكير سبيل للابهام أى من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى (ذلكم) الخ

جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من أعمالهم السيئة أى ذلكم الذى أنتم فيه من العذاب مطلقا لامقيدا بالخلود كما قيل (بأنه) أى بسبب أن الشان (اذا دعى الله) فى الدنيا أى عبد (وحده) أى منفرداً (كفرتم) أى بتوحيده (وان يشرك به تؤمنوا) أى بالاشراك به وتسارعوا فيه . وفى ايراد اذا وصيغة الماضى فى الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع فى الثانية مالا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك (فالحكم لله) الذى لايحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما تقتضيه الحكمة (العلى الكبير) الذى ليس كمثله شيء فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بأنه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لانهاية لشناعته فلاسبيل لكم الى الخروج أبدا (هو الذى يريكم آياته) الدالة على شئونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة (وينزل) بالتشديد وقرىء بالتخفيف من الانزال (لكم من السماء رزقا) أى سبب رزق وهو المطر . وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر . وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار المجرور على المفعول لما مر غير مرة (وما يتذكر) بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها (الا من ينيب) الى الله تعالى ويتفكر فيما أودعه فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به (ولو كره الكافرون) ذلك وغاظهم اخلاصكم (رفيع الدرجات) نحو بديع السموات على أنه صفة مشبهة أضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد فى الاستعمال أى رفيع درجات ملائكته أى معارجهم ومصاعدهم الى العرش (ذو العرش) أى مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو أخبر عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى بكون علو شأنه وعظم سلطانه

في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيدا لما يعقبهما من قوله تعالى (يلقى الروح من أمره) فانه خبر آخر لما ذكر منبيء عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان انزال الرزق الجسماني الذي هو المطر أي ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى «من أمره» بيان للروح الذي أريد به الوحي فانه أمر بالخير أو حال منه أي حال كونه ناشئا ومبتدأ من أمره أو صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته أي الروح الكائن من أمره أو متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى «مما خطيئاتهم» أي يلقي الوحي بسبب أمره (على من يشاء من عباده) وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ أحكامه اليهم (لينذر) أي الله تعالى أو الملقي عليه أو الروح وقرىء لتنذر على أن الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام أو الروح لانها قد تؤنث (يوم التلاق) اما ظرف للمفعول الثاني أي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لانه يتلاقى فيه الارواح والاجسام وأهل السموات والارض أو هو المفعول الثاني اتساعا أو أصالة فان من شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار أصالة وقرىء لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم (يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق أي خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لكون الارض يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث «يحشرون عراة حفاة غرلا» وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان أو أعمالهم وسرائرهم (لا يخفى على الله منهم شيء) استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من الاستتار توهما باطلا أو خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون أي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة أو مستأنف يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم كانه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ أي ينادي مناد لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روى أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد في أرض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما يتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع أسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت)

الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى و نتيجته التى هى الحكم السوى و القضاء الحق أو حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب أى تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير أو شر (لاظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب (ان الله سريع الحساب) أى سريع حسابه تماما اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة فى أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تعالى اذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاقى ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه أو سريع مجيئا فيكون تعليلا للانذار (وأنذرهم يوم الآزفة) أى القيامة سميت بها لأزوفها وهو القرب غير أن فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهى مشارفة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما فى قوله تعالى «فلولا اذا بلغت الحلقوم» وقوله كلا اذا بلغت التراقى و قوله تعالى (اذ القلوب لدى الحناجر) بدل من يوم الآزفة فانها ترفع من أماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت (كاظمين) على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم أو من ضميرها فى الظرف وجمعه جمع السلامة باعتبار أن الكظم من أحوال العقلاء كقوله تعالى «فظلت أعناقهم لها خاضعين» أو من مفعول أنذرهم على أنها حال مقدرة أى أنذرهم مقدرا كظمهم أو مشارفين الكظم (ما للظالمين من حميم) أى قريب مشفق (ولا شفيع يطاع) أى لا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله ، على لاحب لا يهتدى بمناره ، والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به (يعلم خائنة الاعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الي غير المحرم واستراق النظر اليه أو خيانة الاعين على أنها مصدر كالعافية (وما تخفى الصدور) من الضمائر والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقى الروح للدلالة على أنه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء (و الله يقضى بالحق) لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشيء الا وهو حق وعدل (والذين يدعون) يعبدونهم (من دونه) تعالى (لا يقضون بشيء) تهكم بهم لان الجماد لا يقال فى حقه يقضى أولا يقضى . وقرىء تدعون على الخطاب التفاتا أو على اضمار قل (ان الله هو السميع البصير) تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه (أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف

كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى مآل حال من قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم (كانوا هم أشد منهم قوة) قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة أفعل من للمعرفة فى امتناع دخول اللام عليه وقرىء أشد منكم بالكاف (وآثارا فى الارض) مثل القلاع الحصينة والمدائن المتينة وقيل المعنى وأكثر آثارا كقوله .. متقلدا سيفا ورمحا .. (فأخذهم الله بذنوبهم) أخذا وبيلا (وما كان لهم من الله من واق) أى من واق يقيهم عذاب الله (ذلك بـ) سبب (أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات أو بالاحكام الظاهرة (فكفروا فأخذهم الله انه قوى) متمكن مما يريد غاية التمكن (شديد العقاب) لا يؤبه عند عقابه بعقاب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى معجزاته (وسلطان مبين) أى وحجة قاهرة وهى اما عين الآيات والعطف لتغاير العنوانين واما بعض مشاهيرها كالعصا أفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها افراد جبريل وميكائيل به مع دخولهما فى الملائكة عليهم السلام (الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب) أى فيما أظهره من المعجزات وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين (فلما جاءهم بالحق من عندنا) وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) كما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم أى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه أولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث عليه الصلاة والسلام وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليه غيظا وحنقا وزعما منه أنه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم أنه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده (وما كيد الكافرين إلا فى ضلال) أى فى ضياع وبطلان لا يغنى عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جيء به فى تضاعيف ما حكى عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما أظهروه من الابراق والارعاد واضمحلاله بالمرة (وقال فرعون ذرونى أقتل موسى) كان ملؤه اذاهم بقتله عليه الصلاة والسلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذى تخافه فانه أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه كان قد استيقن انه نبى وان ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا

تمويها على قومه وايهاما أنهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذى يكفه الا ما فى نفسه من الفزع الهائل وقوله (وليدع ربه) تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه أخوف ما يخافه (إنى أخاف) ان لم أقتله (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه من الدين الذى هو عبارة عن عبادته وعبادة الاصنام لتقربهم اليه (أو أن يظهر فى الارض الفساد) ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرىء بالواو الجامعة وقرىء بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرىء يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أى تتابع وتعاون (وقال موسى) أى لقومه حين سمع بما تقوله اللعين من حديث قتله عليه الصلاة والسلام (انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) صدر عليه الصلاة والسلام كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبىء عن الحفظ والتربية لانهما الذى يستدعيه وأضافه اليه واليهم حثا لهم على موافقته فى العياذ به تعالى والتوكل عليه فان فى تظاهر النفوس تأثيرا قويا فى استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرىء عدت بالادغام (وقال رجل مؤمن من آل فرعون) قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا أو غريبا موحدا (يكتم ايمانه) أى من فرعون وملئه (أتقتلون رجلا) أتقصدون قتله (أن يقول) لان يقول أو كراهة أن يقول (ربى الله) أى وحده من غير روية وتأمل فى أمره (وقد جاءكم بالبينات) والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التى شاهدتموها وعهدتموها (من ربكم) أضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (وان يك كاذبا فعليه كذبه) لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه الى قتله (وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم) أى ان لم يصبكم كله فلا أقل من اصابة بعضه لاسيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقى الترديد كونه كاذبا أو يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد : ترّاك أمكنة اذا لم أرضها ... أو يرتبط بعض النفوس حمامها

مردود لما ان مراده بالبعض نفسه (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما أيده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم

إلى قتله و لعله أراهم المعنى الثانى و هو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لايهديه الله سبيل الصواب و منهاج النجاة (ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين) غالبين عالين على بنى إسرائيل (فى الأرض) أى أرض مصر لا يقاومكم أحد فى الوقت (فمن ينصرنا من بأس الله) من أخذه و عذابه (إن جاءنا) أى فلا تفسدوا أمركم و لا تتعرضوا لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه أحد و إنما نسب مايسرهم من الملك والظهور فى الأرض اليهم خاصة و نظم نفسه فى سلكهم فيما يسوءهم من مجىء بأس الله تعالى تطييباً لقلوبهم و إيذاناً بأنه مناصح لهم ساع فى تحصيل ما يجديهم و دفع ما يرديهم سعيه فى حق نفسه ليتأثروا بنصحه (قال فرعون) بعد ماسمع نصحه (ماأريكم) أى ماأشير عليكم (إلا ماأرى) و أستصوبه من قتله (وما أهديكم) بهذا الرأى (إلاسبيل الرشاد) أى الصواب أولاأعلمكم إلا ماأعلم و لا أسر عنكم خلاف ماأظهره و لقد كذب حيث كان مستشعراً للخوف الشديد و لكنه كان يتجلد و لولاه لمااستشار أحداً ابدا وقرىء بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد كعبادلا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصور على السماع أو للنسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه إلى فعل (و قال الذى آمن) مخاطباً لقومه (ياقوم إنى أخاف عليكم) فى تكذيبه و التعرض له بالسوء (مثل يوم الأحزاب) مثل أيام الأمم الماضية يعنى وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم (مثل دأب قوم نوح و عاد و ثمود) أى مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر و إيذاء الرسل (و الذين من بعدهم) كقوم لوط (وما الله يريد ظلماً للعباد) فلا يعاقبهم بغير ذنب و لا يخلى الظالم منهم بغير انتقام و هو أبلغ من قوله تعالى «و ما ربك بظلام للعبيد» لما أن المنفى فيه إرادة ظلم ما فينتفى الظلم بطريق الأولوية (و ياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد) خوفهم بالعذاب الأخروى بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوى و يوم التناد يوم القيامة لأنه ينادى فيه بعضهم للاستغاثة أو يتصايحون بالويل و الثبور أو يتنادى أصحاب الجنة و اصحاب النار حسبما حكى فى سورة الأعراف و قرىء بتشديد الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى «يوم يفر المرء من أخيه» و عن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هرباً فلايأتون قطراً من الأقطار إلا و جدوا ملائكة صفوفاً فبينماهم يموج بعضهم فى بعض إذ سمعوا منادياً أقبلوا إلى الحساب (يوم تولون مدبرين) بدل من يوم التناد أى منصرفين عن الموقف إلى النار اوفارين منها حسبما

نقل آنفا (ما لكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضلل الله فماله من هاد) يهديه إلى طريق النجاة (ولقد جاءكم يوسف) هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات الواضحة (فما زلتم فى شك مما جاءكم به) من الدين (حتى إذا هلك) بالموت (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضما إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك فى رسالته وقرىء ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث (كذلك) مثل ذلك الاضلال الفظيع (يضل الله من هو مسرف) فى عصيانه (مرتاب) فى دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك فى التقليد (الذين يجادلون فى آيات الله) بدل من الموصول الأول أو بيان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين (بغير سلطان) متعلق بيجادلون أى بغير حجة صالحة للتمسك بها فى الجملة (أتاهم) صفة سلطان (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفى كبر ضمير يعود الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون (كذلك) أى مثل ذلك الطبع الفظيع (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والمجادلة بالباطل وقرىء بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما (وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا) أى بناء مكشوفا عاليا من صرح الشىء اذا ظهر (لعلى أبلغ الاسباب) أى الطرق (أسباب السموات) بيان لها وفى ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها (فأطلع الى إله موسى) بالنصب على جواب الترجى وقرىء بالرفع عطفا على أبلغ ولعله أراد أن يبنى له رصدا فى موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التى هى أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه أو أن يرى فساد قوله عليه الصلاة والسلام بأن اخباره من الله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذاك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه (وإنى لاظنه كاذبا) فيما يدعيه من الرسالة (وكذلك) أى ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط (زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه انهماكا لا يرعوى عنه بحال (وصد عن السبيل) أى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح

وبالتوسط الشيطان وقرىء وصد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى (وما كيد فرعون الا فى تباب) أى خسار وهلاك أو على أنه من صد صدودا أى أعرض وقرىء بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرىء وصد على انه عطف على سوء عمله وقرىء وصدوا أى هو وقومه (وقال الذى آمن) أى مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام (يا قوم اتبعون) فيما دللتكم عليه (أهدكم سبيل الرشاد) أى سبيلا يصل سالكه الى المقصود . وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغى والضلال (يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أى تمتع يسير لسرعة زوالها أجمل لهم أولا ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها رأس كل شر ومنه تتشعب فنون ما يؤدى الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال (وان الآخرة هى دار القرار) لخلودها ودوام ما فيها (من عمل) فى الدنيا (سيئة فلا يجزى) فى الآخرة (الا مثلها) عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بأمثالها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أى بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بأنه لا عبرة بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك (ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار) كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذى يلوح به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كأنه قيل أخبرونى كيف هذه الحال أدعوكم الى الخير وتدعوننى الى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل مالى أراك حزينا أى مالك تكون حزينا وقوله تعالى (تدعوننى لأكفر بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام (وأشرك به ما ليس لى به) بشركته له تعالى فى المعبودية وقيل بربوبيته (علم) والمراد نفى المعلوم والاشعار بأن الالوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها (وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار) الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (لا جرم) لارد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى (أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) أى حق ووجب عدم دعوة آلهتكم إلى عبادتها أصلا أو عدم دعوة مستجابة أو عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب

و فاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما أن بد من لا بد فعل من التبديد أى التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الأصنام أى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقاً ويؤيده قولهم لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد (وأن مردنا إلى الله) أى بالموت عطف على أن ما تدعوننى داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى (وأن المسرفين) أى فى الضلال والطغيان كالاشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أى ملازموها (فستذكرون) وقرىء فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضاً عند معاينة العذاب (ما أقول لكم) من النصائح (وأفوض أمرى إلى الله) قاله لما أنهم كانوا توعدوه (إن الله بصير بالعباد) فيحرس من يلوذ به من المكاره (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قيل نجا مع موسى عليه السلام (وحاق بآل فرعون) أى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما أنه فر إلى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعباً فقتلهم (سوء العذاب) الغرق والقتل والنار (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب أو النار خبر مبتدأ محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها أو من الآل ولا يشترط فى الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد أن آل فرعون لم يهموا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها من قولهم عرض الأسارى على السيف إذا قتلوا به وذلك لأرواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه أن أرواحهم فى أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا إلى يوم القيامة وذكر الوقتين اما للتخصيص وأما فيما بينهما فالله تعالى أعلم بحالهم واما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال للملائكة (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أى عذاب جهنم فانه أشد مما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم فان عذابها ألوان بعضها أشد من بعض وقرىء أدخلوا من الدخول أى يقال لهم أدخلوا يا آل فرعون أشد العذاب (وإذ يتحاجون فى النار) أى واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها

(فيقول الضعفاء) منهم (للذين استكبروا) وهم رؤساؤهم (إنا كنا لكم تبعا) أتباعا كخدم فى جمع خادم أو ذوى تبع أى أتباع على إضمار المضاف أو تبعاً على الوصف بالمصدر مبالغة (فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار) بالدفع أو بالحمل ونصيباً منصوب بمضمر يدل عليه مغنون أى دافعون عنا نصيباً الخ أو بمغنون على تضمينه معنى الحمل أى مغنون عنا حاملين نصيباً الخ أو نصب على المصدرية كشيئا فى قوله تعالى «لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً» فانه فى موقع غناء فكذلك نصيباً (قال الذين استكبروا إنا كل فيها) أى نحن وأنتم فكيف نغنى عنكم ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا وقرىء كلا على التأكيد لاسم أن بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من المستكن فى الظرف فانه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب (إن الله قد حكم بين العباد) وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار) من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم (لخزنة جهنم) أى للقوم بتعذيب أهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع أو لبيان محلهم فيها بان تكون جهنم أبعد دركات النار وفيها أعتى الكفرة وأطغاهم أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما) أى مقدار يوم أو فى يوم ما من الايام على أنه ظرف لا معيار شيأ (من العذاب) واقتصارهم فى الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأسا أو تخفيف قدر كثير منه فى زمان مديد لأن ذلك عندهم مما ليس فى حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت أمانيهم (قالوا) أى الخزنة (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) أى ألم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا» أرادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعاء وتعطيل أسباب الأجابة (قالوا بلى) أي أتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى «بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير» والفاء فى قوله تعالى (قالوا فادعوا) فصيحة كما فى قول من قال:

* فقد جئنا خراسانا *

أى إذا كان الأمر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الأذن فيه

مع عرائه عن بيان أن سببه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يوهم أن الأذن فى حيز الأمكان وأنهم لو أذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء إطماعهم فى الأجابة بل إقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به فى قولهم (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) أى ضياع و بطلان وقوله تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لبيان أن ما أصاب الكفرة من العذاب المحكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو أن شأننا المستمر أننا ننصر رسلنا وأتباعهم (فى الحيوة الدنيا) بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبى وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح فى ذلك ماقد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحاناً إذ العبرة إنما هى بالعواقب وغالب الأمر (ويوم يقوم الأشهاد) أى يوم القيامة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية النصرة وأنها تكون عند جميع الأولين والآخرين بشهادة الأشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب (يوم لاينفع الظالمين معذرتهم) بدل من الأول وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة وقرىء لاتنفع بالتاء (ولهم اللعنة) أى البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) أى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) ما يهتدون به من المعجزات والصحف والشرائع (وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم من بعده التوراة (هدى وذكرى) هداية وتذكرة أو هادياً ومذكراً (لأولى الألباب) لذوى العقول السليمة العاملين بما فى تضاعيفه (فاصبر) على ما نالك من أذية المشركين (ان وعد الله) أي وعده الذى ينطق به قوله تعالى «ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون» أو وعده الخاص بك أو جميع مواعيده التى من جملتها ذلك (حق) لايحتمل الاخلاف أصلا واستشهد بحال موسى وفرعون (واستغفر لذنبك) تداركا لما فرط منك من ترك الأولى فى بعض الأحايين فانه تعالى كافيك فى نصرة دينك واظهاره على الدين كله (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) أى ودم على التسبيح ملتبساً بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين إذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشياً وقيل صل شكراً لربك بالعشى والأبكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر (ان الذين يجادلون فى آيات الله) ويجحدونها (بغير سلطان أتاهم) فى ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه للايذان بأن التكلم فى أمر الدين لابد من استناده إلى سلطان مبين ألبتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل فى مشركى مكة وقوله تعالى (ان فى صدورهم إلا كبر) خبر لان أى مافى قلوبهم الاتكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم

أو الإرادة الرياسة والتقدم على الاطلاق أو الإرادة أن تكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لو نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لأن فيها موقع جدال ما أو أن لهم شيئا يتوهم أن يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى (ماهم ببالغيه) صفة لكبر قال مجاهد ماهم ببالغيه صفة لكبر أي ماهم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله تعالى فسيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) أي فالتجيء اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى أنه من همزات الشياطين (انه هو السميع البصير) لاقوالكم وأفعالكم وقوله تعالى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) تحقيق للحق وتبيين لاشهر مايجادلون فيه من أمر البعث على منهاج قوله تعالى «أو ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم» (ولكن أكثر الناس لايعلمون) لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم (وما يستوى الاعمى والبصير) أي الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) أي والمحسن والمسيء فلا بد أن تكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة والتمثيل (قليلا ما تتذكرون) على الخطاب بطريق الالتفات أي تذكرا قليلا تتذكرون وقرىء على الغيبة والضمير للناس أو الكفار (ان الساعة لآتية لاريب فيها) أي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس لايؤمنون) لايصدقون بها لقصور أنظارهم على ظواهر ما يحسون به (وقال ربكم ادعوني) أي اعبدوني (استجب لكم) أي أثبكم لقوله تعالى (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة أو المراد بالعبادة الدعاء فأنه من أفضل أبوابها وقرىء سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الادخال (الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) بأن

خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف الحركات وهذه الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرار (والنهار مبصرا) أي مبصرا فيه أو به (ان الله لذو فضل) عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل (على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم (ذلكم) المتفرد بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو) أخبار مترادفة تخصص اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرىء خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله إلا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة غيره (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أي مثل ذلك الافك العجيب الذي هو لا وجه له ولا مصحح أصلا يؤفك كل من جحد بآياته تعالى أي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة (الله الذي جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء) بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية فان الاحسان عين التصوير أي صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصبي القامة بادي البشرة متناسبي الاعضاء والتخطيطات متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) أي اللذائذ (ذلكم) الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة (الله ربكم) خبران لذلكم (فتبارك الله) أي تعالى بذاته (رب العالمين) أي مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر أحواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية (هو الحي) المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية (لا اله الا هو) اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله (فادعوه) فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى (مخلصين له الدين) أي الطاعة من الشرك الجلي والخفي (الحمد لله رب العالمين) أي قائلين ذلك. عن ابن عباس رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي) من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرات للآيات التكوينية الآفاقية والأنفسية (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أي بان أنقاد له وأخلص له ديني (هو الذي خلقكم من تراب) أي في ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه حسبما مر تحقيقه مرارا (ثم من نطفة) أي ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة أي مني (ثم

من علقة ثم يخرجكم طفلا) أى اطفالا والافراد لارادة الجنس أو لارادة كل واحد من أفراده (ثم لتبلغوا أشدكم) علة ليخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل وكذا الكلام فى قوله تعالى (ثم لتكونوا شيوخا) ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرىء شيخا كقوله تعالى طفلا (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد أو قبله أيضاً (ولتبلغوا) متعلق بفعل مقدر بعده أى ولتبلغوا (أجلا مسمى) هو وقت الموت أو يوم القيامة يفعل ذلك (ولعلكم تعقلون) ولكى تعقلوا ما فى ذلك من فنون الحكم والعبر (هو الذى يحيى) الاموات (ويميت) الاحياء أو الذى يفعل الاحياء والأماتة (فاذا قضى أمرا) أى أراد أمرا من الامور (فأنما يقول له كن فيكون) من غير توقف على شىء من الاشياء أصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فى المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه (ألم تر إلى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون) تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى «إن الذين يجادلون فى آيات الله» الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الأمنية الفارغة فلا تكرير فيه أى انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى إلى الأقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية وقوله تعالى (الذين كذبوا بالكتاب) اى بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على أنه بدل من الموصول الأول أو فى حيز النصب أو الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثانى بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة فى بعض المواد لا فى الكل . وصيغة الماضى للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها (وبما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب أو مطلق الوحى والشرائع (فسوف يعلمون) كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته (إذ الأغلال فى أعناقهم) ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الأغلال والجار فى نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره للدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى (يسحبون) بحذف العائد أى يسحبون بها

وهو على الاولين حال من المستكن فى الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون (فى الحميم) وقرىء السلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى « اذ الاغلال فى اعناقهم » فى معنى أعناقهم فى الاغلال أو اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون من سجر التنور إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب أى ملىء والمراد بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب إلى باب (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا) أى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن (كذلك) أى مثل ذلك الضلال الفظيع (يضل الله الكافرين) حيث لا يهتدون الى شىء ينفعهم فى الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال (بما كنتم تفرحون فى الارض) أى تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطغيان (وبما كنتم تمرحون) تتوسعون فى البطر والاشر والالتفات للمبالغة فى التوبيخ (أدخلوا أبواب جهنم) أى أبوابها السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدرا خلودكم فيها (فبئس مثوى المتكبرين) أى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود (فاصبر) الى أن يلاقوا ما أعد لهم من العذاب (ان وعد الله) بتعذيبهم (حق) كائن لا محالة (فأما نرينك) أى فأن نرك وما مزيدة لتأكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع أن وحدها (بعض الذى نعدهم) وهو القتل والاسر (أو نتوفينك) قبل ذلك (فالينا يرجعون) يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز أن يكون جوابا لهما بمعنى أن نعذبهم فى حياتك أو لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة أشد العذاب وأفظعه كما ينبىء عنه الاقتصار على ذكر الرجوع فى هذا المعرض (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم أفراد معدودة وقيل أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) أى وما صح وما استقام لرسول منهم (أن يأتى بآية الا بأذن الله) فان

المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح منها (فأذا جاء أمر الله) بالعذاب فى الدنيا والآخرة (قضى بالحق) بانجاء المحقق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه (وخسر هنالك) أى وقت مجيء أمر الله اسم مكان استعير للزمان (المبطلون) أى المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا أوليا (الله الذى جعل لكم الانعام) قيل هى الابل خاصة أى خلقها لاجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى (لتركبوا منها ومنها تأكلون) تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها أى تعلقهما بها وقيل للتبعيض أى لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على أن كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم فى الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار بأصالة الركوب (ولكم فيها منافع) أخر غير الركوب والأكل كألبانها وأوبارها وجلودها (ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم) بحمل أثقالكم من بلد إلى بلد (وعليها وعلى الفلك تحملون) لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر فى فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك فى الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر . وقيل هى الأزواج الثمانية فمعنى الركوب والأكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على أن كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن بعضها يتعلق به الأكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر (ويريكم آياته) دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته (فأى آيات الله) أى فأى آية من تلك الآيات الباهرة (تنكرون) فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترىء على إنكارها من له عقل فى الجملة وهو ناصب لأى وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل إنكارها وتذكير أى هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه (أفلم يسيروا) أى أقعدوا فلم يسيروا (فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم المهلكة وقوله تعالى (كانوا أكثر منهم وأشد قوة) الخ استئناف مسوق لبيان مبادىء أحوالهم وعواقبها (وآثاراً فى الأرض) باقية بعدهم من الأبنية والقصور والمصانع وقيل هى آثار أقدامهم فى

الارض لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة أى لم يغن عنهم أو أى شىء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو بالآيات الواضحة (فرحوا بما عندهم من العلم)أى أظهروا الفرح بذلك وهو مالهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علماً للتهكم بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الأنبياء الذى أظهره رسلهم على أن معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به و يؤيده قوله تعالى (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وقيل الفرح أيضاً للرسل فانهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم المؤدى إلى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا ومنه قوله تعالى «بعذاب بئيس» (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الاصنام (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) أى عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الأولى لبيان عاقبة كثرتهم ومدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعماً منهم أن ذلك يغنى عنهم فلم يترتب عليه إلا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وإن كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الاغناء وقد كثر فى الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على أن التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل مابعدها تابعاً لماقبلها واقعاً عقيبه لأن مضمون قوله تعالى فلماجاءتهم الخ هو أنهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الايمان الاختيارى (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فى العباد وهو من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) أى وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفاً ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنون لم يبق روح نبى ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له

(سورة السجدة مكية)

(وآيها ثلاث أو أربع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حـم) ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدا محذوف وهو الاظهر لما مر سره مرارا أو مبتدأ خبره (تنزيل) وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدا محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى (من الرحمن الرحيم) متعلق به مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره (كتاب) وهو على الوجوه الاول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبىء عنه قوله تعالى « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (فصلت آياته) ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل فى أساليب مختلفة ومعان متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعيد وقرىء فصلت أى فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعانى من قولك فصل من البلد فصولا (قرآنا عربيا) نصب على المدح أو الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة أو من آياته (لقوم يعلمون) أى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة أخرى لقرآنا أى كائنا لقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم ليست بصفة له أو بفصلت (بشيرا ونذيرا) صفتان أخريان لقرآنا أى بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لأهل المعصية أو حالان من كتاب أو من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن تدبره مع كونه على لغتهم (فهم لا يسمعون) سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به (وقالوا) اى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما فى القرآن (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية متكاثفة (مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر) أى صمم وأصله الثقل وقرىء بالكسر وقرىء بفتح القاف (ومن بيننا وبينك حجاب) غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك

الحق و قبوله و مج أسماعهم له كان بها صما وامتناع مواصلتهم و موافقتهم للرسول عليه الصلاة والسلام (فاعمل) أى على دينك وقيل فى ابطال أمرنا (اننا عاملون) أى على ديننا و قيل فى ابطال أمرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي إنما الهكم اله واحد) تلقين للجواب عنه أى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى و بينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبيء عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب فى إلهكم محكى منتظم للكل لانه خطاب منه عليه الصلاة والسلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقى منه ولا أدعوكم الى ما تنبو عنه العقول و الاسماع وانما أدعوكم الى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل و شواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحي الي دونكم فصحت بالوحي الى وأنا بشر نبوتى واذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فتأمل والفاء فى قوله تعالى (فاستقيموا اليه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد فى الاعمال (و استغفروه) مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى (وويل للمشركين) ترهيب وتنفير لهم عن الشرك إثر ترغيبهم فى التوحيد و وصفهم بقوله تعالى (الذين لا يؤتون الزكوة) لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين و قرن بالكفر بالآخرة حيث قيل (و هم بالآخرة هم كافرون) و هو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم ايتائها متجدد والكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر لا يأتون الزكاة بقوله لا يقولون لا إله إلا الله فانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى «ونفس وما سواها» وقال الضحاك و مقاتل لا ينفقون فى الطاعة و لا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى لا يمن به عليهم من المن وأصله الثقل أو لا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون (قل أئنكم لتكفرون) انكار و تشنيع لكفرهم وان واللام إما لتأكيد الانكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لانكار التأكيد وإما للاشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد وانما

علق كفرهم بالموصول حيث قيل (بالذى خلق الأرض فى يومين) لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين أوفى نوبتين على أن ما يوجد فى كل نوبة يوجد بأسرع مايكون والا فاليوم الحقيقى انما يتحقق بعدوجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها وترتيب حركاتها (وتجعلون له أنداداً) عطف على تكفرون داخل فى حكم الانكار والتوبيخ وجمع الأنداد باعتبار ماهو الواقع لابان يكون مدار الانكار هو التعدد أى تجعلون له أنداداً والحال أنه لايمكن أن يكون له ند واحد (ذلك) اشارة إلى الموصوف باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى العظمة . وافراد الكاف لما مر مراراً من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره مابعده أى ذلك العظيم الشأن الذى فعل ماذكر (رب العالمين) أى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الأرض خاصة فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته نداله وقوله تعالى (وجعل فيها رواسى) عطف على خلق داخل فى حكم الصلة والجعل ابداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف عليه كاف فى تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف إذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر أى خلقها وجعل إلى الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياما كان فالمراد تقدير الجعل لاالجعل بالفعل وقوله تعالى (من فوقها) متعلق بجعل أو بمضمر هو صفة لرواسى أى كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لأهلها ويظهر للناظر مافيها من مراصد الاعتبار ومطارح الأفكار (وبارك فيها) أى قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التى من جملتها الانسان وأصناف النبات التى منها معايشهم (وقدر فيها أقواتها) أى حكم بالفعل بأن يوجد فيها سيأتى لأهلها من الانواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرىء وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام) متعلق بحصول الأمور المذكورة لابتقديرها أى قدر حصولها فى يومين وانما قيل فى أربعة أيام أى تتمة أربعة تصريحاً بالفذلكة (سواء) مصدرمؤكد لمضمر هو صفة لأيام أى استوت سواء أى استواء كما تنبىء عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى أقواتها أوفى فيها وقرىء بالرفع أى هى سواء (للسائلين) متعلق

بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر أي قدر فيها أقواتها لأجل السائلين أي الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) شروع في بيان كيفية التكوين إثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادىء معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان أي ثم قصد نحوها قصداً سوياً لا يلوى على غيره (وهي دخان) أي أمر ظلماني عبر به عن مادتها أو عن الأجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها أو دخان مرتفع من الماء كما سيأتي وانما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى (فقال لها وللأرض) اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير مافيها كأنه قيل فقال لها وللأرض التي قدر وجودها و وجود مافيها (ائتيا) أي كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون آمر ومأمور كما في قوله تعالى كن وقوله تعالى (طوعا أو كرهاً) تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا لإثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال أي طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى (قالتا أتينا طائعين) أي منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كماهما عليه جاريا على مقتضى الحكمة البالغة فان الطوع منبىء عن ذلك والكره موهم لخلافه وإنما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالأمر وجوابه لا انه فعل مترتب على تكوينها أي خلقهن خلقا إبداعيا وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير إما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول تمييز على الثاني (في يومين) في وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق مافيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة أيام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل (وأوحى في كل سماء أمرها) عطف على قضاهن أي خلق في كل منها مافيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله تعالى كما قاله قتادة والسدي فالوحي عبارة عن التكوين كالامر مقيدا بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى إلى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأياما كان فعلى ما قرر من التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب

بين إيجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد وأما على تقدير كون الخلق وماعطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهى وما فى سورة البقرة من قوله تعالى « هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات » تدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش العظيم كان قبل السموات والارض على الماء ثم إنه تعالى أحدث فى الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها فخلق مافيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق مافيها مؤخر عنه لقوله تعالى « والارض بعد ذلك دحاها » ولما روى عن الحسن رحمه الله من أنه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى « كانتا رتقا ففتقناهما » الآية وليس المراد بنظمها مع السماء فى سلك الأمر بالاتيان انشاءها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه ائتى ياأرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائتى ياسماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه كما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهى الموافقة وأنت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق جرم الأرض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق مافيها أيضاً من الأمور المتأخرة عن دحوها قطعاً فالأظهر أن يسلك مسلك الأولين ويحمل الأمر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مترتباً على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب فى أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف فى حصوله ولا يقدح فى ذلك تكوين الأرض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يجعل الأرض فى قوله تعالى « والأرض بعد ذلك دحاها » منصوباً بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك اشارة إلى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها وتحمل البعدية إما على أنه قاصر عن الأول فى الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل وإما على أنه أدخل فى الالزام لما أن المنافع

المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيلها أكمل وليس ما روي عن الحسن رضي الله عنه نصاً في تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعاً وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلا عن دحوها فلا بد من حمل الأمر بإتيانهما حينئذ أيضاً على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الأرض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الأرض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني وأما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الأكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول وعلى ذلك بني الكلام في تفسير قوله تعالى « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » الآية وإنما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) من الكواكب فإنها كلها ترى متلألئة عليها كأنها فيها والالتفات إلى نون العظمة لإبراز مزيد العناية بالأمر وقوله تعالى (وحفظا) مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (ذلك) الذي ذكر بتفاصيله (تقدير العزيز العليم) المبالغ في القدرة والعلم (فإن أعرضوا) متصل بقوله تعالى قل أئنكم الخ أي فإن أعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الأمور الداعية إلى الايمان أو عن الايمان بعد هذا البيان (فقل) لهم (أنذرتكم) أي أنذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبيء عن تحقق المنذر به (صاعقة) أي عذاباً هائلا شديد الوقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرىء صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (إذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لأنذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة لصاعقة عاد أي الكائنة إذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته (من بين أيديهم ومن خلفهم) متعلق بجاءتهم أي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أو من جهة الزمان الماضي للانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجيء كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء أنفسهم فإن هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين

أيديهم أي من قبلهم ومن يجيء من خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقوله تعالى (أن لاتعبدوا الا الله) أي بأن لاتعبدوا على أن أن مصدرية أو أي لاتعبدوا على أنها مفسرة (قالوا لو شاء ربنا) أي ارسال الرسل لانزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما أرادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف (لأنزل ملائكة) أي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال قيل لأنزل (فانا بما أرسلتم به) أي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم (كافرون) لما انكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عاملا بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال أنت يامحمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ماتستغنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال عليه الصلاة والسلام «بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود» فأمسك عتبة على فيه عليه الصلاة والسلام وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا مانرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا ياعتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ماهو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب (فاما عاد فاستكبروا في الارض) شروع في حكاية ما يخص كل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب إثر حكاية مايعم الكل من الكفر المطلق أي فتعظموا فيها على أهلها أو استعلوا فيها واستولوا على أهلها (بغير الحق) أي بغير استحقاق للتعظم والولاية (وقالوا) مدلين بشدتهم وقوتهم (من أشد منا قوة) حيث كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده (أو لم يروا) أي أغفلوا أو ألم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان (ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لايتناهى قوي على ما لايقدر عليه غيره مفيض للقوى والقدر على كل قوي وقادر وإنما أورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والأرض

لادعائهم الشدة فى القوة وفيه ضرب من التهكم بهم (وكانوا بآياتنا) المنزلة على الرسل (يجحدون) أى ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) أى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع ويقبض أى عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير (فى ايام نحسات) جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً وقرىء بالسكون على التخفيف أو على أنه نعت على فعل أو وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الأربعاء إلى الاربعاء وما عذب قوم إلا فى يوم الاربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) وقرىء لتذيقهم على إسناد الاذاقة إلى الريح أو إلى الايام وأضيف العذاب إلى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله سبحانه (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو فى الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة (وهم لاينصرون) بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وإرسال الرسل وإنزال الآيات التشريعية وأزحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى فى تفسير قوله تعالى «هدى للمتقين» وقرىء ثمود بالنصب بفعل يفسره مابعده ومنوناً فى الحالين وبضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) أى اختاروا الضلالة على الهداية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدل منه (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة (ويوم يحشر أعداء الله) شروع فى بيان عقوباتهم الآجلة إثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم بأعداء الله تعالى لذمهم والايذان بعلة مايحيق بهم من ألوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده ما سيأتى من قوله تعالى «فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرىء يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله بنون العظمة وضم الشين وكسرها (إلى النار) أى إلى موقف الحساب إذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لابعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار والتعبير عنه بالنار إما للايذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها وإما لأن حسابهم يكون على شفيرها ويوم إما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف إيهاماً لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى «يوم يجمع الله الرسل» وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل

يساقون ويدفعون إلى النار وقوله تعالى (حتى اذا ما جاؤها) أى جميعاً غاية ليحشر أو ليوزعون أى حتى اذاحضروها ومامزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوابها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها فى قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) فان ماتشهد به من الزنا أعظم جناية وقبحاً وأجلب للخزى والعقوبة مما تشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح أى سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم قالوالها فعنكن كنا نناضل وفى رواية بعداً لكن وسحقاً عنكن كنت أجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء) لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أى أنطقنا الله الذى أنطق كل ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وليس بذاك لما فيه من إيهام الاضطرار فى الاخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حى (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) فان من قدر على خلقكم وانشائكم أولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لايتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل مايعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود أى ما كنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا (ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيرا مما تعملون) من القبائح المخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على مافعلتم وفيه إيذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لابانها كانت عالمة بماشهدت به عندصدوره عنهم .. عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى أوقرشيان وثقفى فقال أحدهم أترون أن الله يسمع مانقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع إن أخفينا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه

وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكى حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازى يعم معناه الحقيقى وما يجرى مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما فى قوله تعالى «يحسب أن ماله أخلده» ليعم ما حكى من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر (وذلكم) اشارة الى ماذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته فى الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى (ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبرا (فأصبحتم) بسبب ذلك الظن السوء الذى أهلككم (من الخاسرين) اذ صار ما منحوا لنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) أى محل ثواء واقامة أبدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم أو للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم فى غاية دركات النار (وان يستعتبوا) أى يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه (فما هم من المعتبين) المجابين اليها ونظيره قوله تعالى «سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» وقرىء وان يستعتبوا فما هم من المعتبين أى ان يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة (وقيضنا لهم) أى قدرنا وقرنا للكفرة فى الدنيا (قرناء) جمع قرين أى أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة (فزينوا لهم ما بين أيديهم) من أمور الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط (وحق عليهم القول) أى ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهو قوله تعالى لابليس «فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» وقوله تعالى «لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين» كما مر مرارا (فى أمم) حال من الضمير المجرور أى كائنين فى جملة أمم وقيل فى بمعنى مع وهذا كما ترى صريح فى أن المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين كما قيل (قد خلت) صفة لأمم أى مضت (من قبلهم من الجن والانس) على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأولين والآخرين (وقال الذين كفروا) من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قال بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن) أى لا تنصتوا له (والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارىء وقرىء بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى

يلغى كلقى يلقى ولغا يلغو اذا هذى (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا) أى فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أوليا (عذابا شديدا) لايقادر قدره (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى جزاء سيآت أعمالهم التى هى فى أنفسها أسوأ وقيل انه لايجازيهم بمحاسن أعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنهما عذابا شديدا يوم بدر وأسوأ الذى كانوا يعملون فى الآخرة (ذلك) مبتدأ وقوله تعالى (جزاء أعداء الله) خبره أى ماذكر من الجزاء جزاء معد لاعدائه تعالى وقوله تعالى (النار) عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدا محذوف أى الامر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هى خبره أى هى بعينها دار اقامتهم على أن فى للتجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال فى البيضة عشرون منا حديد وقيل هى على معناها والمراد أن لهم فى النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) منصوب بفعل مقدر أى يجزون جزاء أو بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى «فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا» والباء الأولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل أى بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سببا للغو (وقال الذين كفروا) وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس) يعنون فريقى شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرىء أرنا تخفيفا كفخذ فى فخذ وقيل معناه اعطناهما وقرىء باختلاس كسرة الراء (نجعلهما تحت أقدامنا) أى ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الأسفل (ليكونا من الأسفلين) أى ذلا ومهانة ومكانا (إن الذين قالوا ربنا الله) شروع فى بيان حسن أحوال المؤمنين فى الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أى قالوه اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) أى ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على أن ثم للتراخى فى الزمان أو فى الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روى عن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم فى معناها من الثبات على الايمان واخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها (تتنزل عليهم الملائكة) من جهته تعالى يمدونهم

فيما يعن لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما أن الكفرة يغويهم ماقيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى فى مواطن ثلاثة عند الموت وفى القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه (أن لاتخافوا) ماتقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه (ولاتحزنوا) على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وأن إما مفسرة أو مخففة من الثقيلة والاصل بانه لاتخافوا والهاء ضمير الشأن وقرىء لاتخافوا أى يقولون لاتخافوا على انه حال من الملائكة أو استئناف (وأبشروا) أى سروا (بالجنة التى كنتم توعدون) فى الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشاراتهم فى أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا) الخ من بشاراتهم فى الدنيا أى أعوانكم فى أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام (وفى الآخرة) نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى والخصام (ولكم فيها) أى فى الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من فنون الطيبات (ولكم فيها ما تدعون) ماتتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب أى تدعون لانفسكم وهو أعم من الأول ولكم فى الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى للاشباع فى البشارة والايذان باستقلال كل منهما (نزلا من غفور رحيم) حال مما تدعون مفيدة لكون ماتمنوه بالنسبة إلى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أى إلى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المؤذنين والحق أن حكمها عام لكل من جمع مافيهما من الخصال الحميدة وإن نزلت فيمن ذكر (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه (وقال إننى من المسلمين) ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان أى مذهبه لا أنه تكلم بذلك وقرىء إنى بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العباد إثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فى الصبر على أذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان أى لاتستوى الخصلة الحسنة والسيئة فى الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى وقوله تعالى (ادفع بالتى هى أحسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض اعاديك بالتى هى أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من أساء فانه أحسن من العفو. واخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) بيان لنتيجة الدفع المأمور به أى فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق (وما يلقاها) أى مايلقى هذه الخصلة والسجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان (الا الذين صبروا) أى شأنهم الصبر (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لانها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أى وان صرفك للشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره ولا تطعه (انه هو السميع) باستعاذتك (العليم) بنيتك أو بصلاحك وفى جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه (ومن آياته) الدالة على شؤنه العظيمة (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم (واسجدوا لله الذى خلقهن) الضمير للاربعة لان حكم جماعة مالا يعقل حكم الانثى أو الاناث أو لانها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما فى المخلوقية فى سلك الاعراض التى لا قيام لها بذاتها وهو السر فى نظم الكل فى سلك آياته تعالى (ان كنتم اياه تعبدون) فان السجود أقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع السجود عند الشافعى رحمه الله وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى (فان استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ربك)من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) أى دائما (وهم لا يسأمون) لا يفترون ولا يملون وقرىء لايسامون بكسر الياء (ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل (فاذا

أنزلنا عليها الماء)أى المطر (اهتزت وربت) أى تحركت بالنبات وانتفخت لان النبت إذا دنا ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرىء ربأت أى ارتفعت (ان الذى أحياها) بما ذكر بعد موتها (لمحى الموتى) بالبعث (انه على كل شىء) من الاشياء التى من جملتها الاحياء (قدير) مبالغ فى القدرة (ان الذين يلحدون) يميلون عن الاستقامة وقرىء يلحدون (فى آياتنا) بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة (لا يخفون علينا) فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى (أفمن يلقى فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة) تنبيه على كيفية الجزاء (اعملوا ماشئتم) من الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء فى النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد (انه بما تعملون بصير) فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى (ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون الخ وخبران هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائى سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى (وانه لكتاب عزيز) أى كثير المنافع عديم النظير أو منيع لا تتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى (تنزيل من حكيم حميد) خبر لمبتدا محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى (ما يقال لك) الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أى ما يقال فى شأنك وشأن ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك (الا ما قد قيل للرسل من قبلك) أى الا مثل ما قد قيل فى حقهم مما لا خير فيه (ان ربك لذو مغفرة) لانبيائه (وذو عقاب أليم) لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضاً (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) أى بينت بلسانه نفقهه وقوله تعالى (أأعجمى وعربى) انكار مقرر للتحضيض . والاعجمى يقال لكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة فى الوصف كأحمرى . والمعنى أكلام أعجمى ورسول أو مرسل اليه عربى على أن الافراد مع كون المرسل اليهم أمة جمة لما ان المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا أو جمعا وقرىء أعجمى أى أكلام منسوب الى أمة العجم وقرىء أعجمى

على الاخبار بان القرآن أعجمى والمتكلم والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب وأياما كان فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به (قل هو للذين آمنوا هدى) يهديهم الى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من شك وشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ خبره (فى آذانهم وقر) على أن التقدير هو أى القرآن فى آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر وفى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق لقوله تعالى (وهو عليهم عمى) وقيل خبر الموصول فى آذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر . ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الاول أى هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم (أولئك) اشارة الى الموصول الثانى باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الشر مع ما فيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعونه والتعامى عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها (ينادون من مكان بعيد) تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى « ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك » أى وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك فى شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى حق أمتك المكذبة وهى العدة بتأخير عذابهم و فصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيامة بنحو قوله تعالى « بل الساعة موعدهم » وقوله تعالى « ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى » (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبى الامم السالفة (وانهم) أى كفار قومك (لفى شك منه مريب) أى من القرآن وجعل الضمير الاول لليهود والثانى للتوراة مما لا وجه له (من عمل صالحا) بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها (فلنفسه) أى فلنفسه يعمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره (ومن أساء فعليها) ضرره لا على غيره (وما ربك بظلام للعبيد) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله أو اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة أو باساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه

وتعالى وقدمر ما فى المقام من التحقيق والتفسير فى سورة آل عمران وسورة الانفال (اليه يرد علم الساعة) أى اذا سئل عنها يقال الله يعلم أولا يعلمها الا الله تعالى (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) أى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرىء من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قرىء بجمع الضمير أيضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون ما موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد (وما تحمل من أنثى ولا تضع) أى حملها وقوله تعالى (الا بعلمه) استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط (ويوم يناديهم أين شركائى) أى بزعمكم كما نص عليه فى قوله تعالى «أين شركائى الذين زعمتم» وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر فى قوله تعالى «يوم يجمع الله الرسل» (قالوا آذناك) أى أخبرناك (ما منا من شهيد) من أحد يشهد لهم بالشركة اذا تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا أحد الا وهو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أى ما منا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أولان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه أولان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) أى يعبدون (من قبل) أى غابوا عنهم أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم (وظنوا) أى أيقنوا (ما لهم من محيص) مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى (لا يسأم الانسان) أى لا يمل ولا يفتر (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة وأسباب المعيشة وقرىء من دعاء بالخير (وان مسه الشر) أى العسر والضيقة (فيؤس قنوط) فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره فى الشخص فيتضاءل وينكسر أى مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب أفراده لما أن اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى إلا من الكافر وسيصرح به (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لى) أى حقي استحقه لما لى من الفضل والعمل أولى لا لغيرى فلا يزول عنى أبدا (وما أظن الساعة قائمة) أى تقوم فيما سيأتى (ولئن رجعت إلى ربى) على تقدير قيامها (ان لى عنده للحسنى) أى للحالة الحسنى من

الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وأن نعم الآخرة كذلك (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أى لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه فى سورة الاعراف عند قوله تعالى «والوزن يومئذ الحق» وفى قوله تعالى «إنما بغيكم على أنفسكم» من سورة يونس (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) لايقادر قدره ولا يبلغ كنهه (وإذا أنعمنا على الانسان أعرض) أى عن الشكر (ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى «فى جنب الله» ويجوز أن يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) أى كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل فى بعض الأوقات (قل أرأيتم) أى أخبرونى (إن كان) أى القرآن (من عند الله ثم كفرتم به) مع تعاضد موجبات الايمان به (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا) الدالة على حقيته وكونه من عند الله (فى الآفاق) هو ما أخبرهم به النبى صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة (وفى أنفسهم) هو ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى الآفاق أى منازل الأمم الخالية وآثارهم وفى أنفسهم أى يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى فى الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفى أنفسهم فتح مكة وقيل فى الآفاق أى فى أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والأضواء والظلال والظلمات ومن النبات والأشجار والأنهار وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى تكوين الأجنة فى ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» واعتذر بأن معنى السين مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما (حتى يتبين لهم) بذلك (أنه الحق) أى القرآن أو الاسلام والتوحيد

(أولم يكف بربك) استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم فى شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم بأخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزاد إلا مع كفى وقوله تعالى (إنه على كل شىء شهيد) بدل منه أى ألم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم فى ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه أن هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شىء شهيد أى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حامليه هذه النصرة فتأمل وأما ماقيل من أن المعنى أولم يكفك أنه تعالى على كل شىء شهيد محقق له فيحقق أمرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بمالا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى (ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح فى أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرىء مرية بالضم وهو لغة فيها (ألا انه بكل شىء محيط) عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لامحالة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله أعلم

﴿ سورة حم عسق وتسمى الشورى مكية ﴾

(وهى ثلاث وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم عسق) اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرىء حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق أو أن ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر

اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف فى حيز النصب على أنه مفعول ليوحى على الاول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثانى وذلك على الاول اشارة الى مافيها وعلى الثانى الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل أى مثل ما فى هذه السورة من المعانى أوحى اليك فى سائر السور والى من قبلك من الرسل فى كتبهم على أن مناط المماثلة ما أشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد أو مثل ايحائها أوحى اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا إيحاء مغايرا له كما فى قوله تعالى «انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح» الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك. وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحى وأن ايحاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة أو ايحائها مشبها به من تفخيمها مالا يخفى وكذا فى وصفه تعالى بوصفى العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع مافيه من التشويق وقرىء يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره أو مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما فى قراءة نوحى والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم) خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرىء بالياء (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد له كما فى سورة مريم وقرىء ينفطرن والاول أبلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرىء تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر (من فوقهن) أى يبتدأ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثانى للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة فى الارض حيث أثرت فى جهة الفوق فلأن تؤثر فى جهة التحت أولى وقيل الضمير للارض فانها فى معنى الارضين (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده (ويستغفرون لمن فى الارض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعاً فى إيمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما فى قوله

تعالى « و يستغفرون للذين آمنوا » فالمراد به الشفاعة (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) إذ ما من مخلوق إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثانى بيان لكمال تقدسه عما نسب إليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز إلى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة (والذين اتخذوا من دونه أولياء) شركاء وأنداداً (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم فيجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) بموكل بهم أو بموكول إليك أمرهم وإنما وظيفتك الإنذار (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربيا) ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرآناً عربيا مفعول لأوحينا أى ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك قرآناً عربياً لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآناً عربياً حال من المفعول به أى أوحيناه إليك وهو قرآن عربى بين (لتنذر أم القرى) أى أهلها وهى مكة (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) أى يوم القيامة لأنه يجمع فيه الخلائق قال تعالى « يوم يجمعكم ليوم الجمع » وقيل تجمع فيه الأرواح والأشباح وقيل الأعمال والعمال والإنذار يتعدى إلى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف هنا ثانى مفعولى الأول وأول مفعولى الثانى للتهويل وإيهام التعميم وقرىء لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن (لا ريب فيه) اعتراض مقرر لما قبله (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف فإنهم يجمعون فيه أولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم) أى فى الدنيا (أمة واحدة) قيل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أنه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب فى أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعاً فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وإنما قيل (والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير) للإيذان بأن الإدخال فى العذاب

من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما فى الادخال فى الرحمة لا لما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ماقاله مقاتل على دين الاسلام كما فى قوله تعالى «ولو شاء الله لجمعهم على الهدى» وقوله تعالى «ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها» والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على مايختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تعالى «يدخل من يشاء» وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وأنت خبير بأن فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم فى رحمته إذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه أن يراد الاتحاد فى الكفر كما فى قوله تعالى «كان الناس أمة واحدة» فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم فى فترة ادريس أو فى فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ماذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الأهوال فيبقوا على ماهم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته أى شأنه ذلك فيرسل إلى الكل من ينذرهم ماذكر فيتأثر بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون فى الآخرة إلى السعير من غير ولى يلى أمرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب (أم اتخذوا من دونه أولياء) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولى أو نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها إلى بيان مابعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل إذ المراد بيان أن مافعلوا ليس من اتخاذ الأولياء فى شيء لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أى بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى (فالله هو الولى) جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوه أولياء ان أرادوا وليا فى الحقيقة فالله هو الولى لا ولى سواه (وهو يحيى الموتى) أى ومن شأنه ذلك (وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء (وما اختلفتم فيه من شيء) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم فحكمه

راجع (إلى الله) وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين (ذلكم) الحاكم العظيم الشأن (الله ربي) مالكي (عليه توكلت) في مجامع أموري خاصة لا على غيره (واليه أنيب) أرجع في كل مايعن لي من معضلات الامور لا الى أحد سواه وحيث كان التوكل أمرا واحداً مستمراً والانابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر في الاول صيغة الماضي وفي الثاني صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم في شيء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لاتتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول عليه الصلاة والسلام (فاطر السموات والارض) خبر آخر لذلكم أو خبر لمبتدا محذوف أو مبتدأ خبره (جعل لكم) وقرىء بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف (من أنفسكم) من جنسكم (ازواجا) نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مرسره غير مرة (ومن الأنعام) أي وجعل للانعام من جنسها (أزواجا) أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكورا وإناثا (يذرؤكم) يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذر و والذر (فيه) أي فيما ذكر من التدبير فان جعل الناس والأنعام أزواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثله شيء) أي ليس مثله شيء في شأن من الشئون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه فانه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته أي ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر (له مقاليد السموات والأرض) أي خزائنهما (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة (انه بكل شيء عليم) مبالغ في الاحاطة به فيفعل كل مايفعل على ماينبغي أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) وايذان بأن ماشرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه دينا قديما أجمع عليه الرسل والخطاب لامته

عليه الصلاة والسلام أى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزائم من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمراً مؤكداً على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى فى حق عيسى عليه السلام والافما من نبي الا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام وما لايختلف باختلاف الامم وتبدل الاعصار من أصول الشرائع والاحكام كما ينبىء عنه التوصية فأنها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بايحائه اليه عليه الصلاة والسلام اما ماذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو مايعمهما وغيرهما مما وقع فى سائر المواقع التى من جملتها قوله تعالى «ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا» وقوله تعالى «قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما إلهكم إله واحد» وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية . وايثار الايحاء على ماقبله وما بعده من التوصية لمراعاة ماوقع فى الآيات المذكورة ولما فى الايحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لانكار الكفرة. والالتفات إلى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر فى تقديمه على مابعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عليه السلام للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (أن أقيموا الدين) أى دين الاسلام الذى هو توحيد الله تعالى وطاعته والايمان بكتبه ورسله ويوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد بأقامته تعديل أركانه وحفظه من ان يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه والتشمر له ومحل أن أقيموا اما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كانه قيل وماذاك فقيل هو اقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع افضائه الى خروجه عن حيز الايحاء الى النبى عليه الصلاة والسلام مستلزم لكون الخطاب فى قوله تعالى (ولاتتفرقوا فيه) للانبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهى الى أممهم تمحل ظاهر مع أن الاظهر أنه متوجه الى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا أى لاتتفرقوا فى الدين الذى هو عبارة عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة

حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله تعالى «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا» وقوله تعالى (كبر على المشركين) شروع فى بيان أحوال بعض من شرع لهم ماشرع من الدين القويم أى عظم وشق عليهم (ماتدعوهم اليه) من التوحيد ورفض عبادة الاصنام واستبعدوه حيث قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا لشيء عجاب وقوله تعالى (الله يجتبي اليه من يشاء) استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة أى الله يجتبى الى ماتدعوهم اليه من يشاء أن يجتبيه اليه وهو من صرف اختياره الى مادعي اليه كما ينبىء عنه قوله تعالى (ويهدى اليه من ينيب) أى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى (وما تفرقوا) شروع فى بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الاشارة الاجمالية الى أحوال أهل الشرك قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى «وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة» أى وما تفرقوا فى الدين الذى دعوا اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم (الا من بعد ماجاءهم العلم) بحقيته بما شاهدوا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه فى كتابهم أو العلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال أو من أعم الاوقات أى وما تفرقوا فى حال من الاحوال أو فى وقت من الاوقات الا حال مجيء العلم أو الا وقت مجيء العلم (بغيا بينهم) وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم فى ذلك شبهة (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهى العدة بتأخير العقوبة (الى أجل مسمى) هو يوم القيامة (لقضى بينهم) لاوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن إثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرىء ورثوا وورثوا أى وان المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ماأورث أهل الكتاب كتابهم (لفى شك منه) من القرآن (مريب) موقع فى القلق أو فى الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة بعدما علموا بحقيته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ما قيل من أن ضمير تفرقوا لامم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان المراد تفرق كل أمة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى «ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم» وكذا ما قيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعدما أهلك الله تعالى أهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم فان مشاهير الامم

المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار وامهال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق أن ما شرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الاعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيداً لوجوب اقامته وتشديداً للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق أممهم عنه ربما يوهم الاخلال بذلك المرام (فلذلك) أى فلاجل ما ذكر من التفرق والشك المريب أو فلاجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون (فادع) أى الناس كافة الى اقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فان كلا من تفرقهم وكونهم فى شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة اليه والامر بها وليس المشار اليه ماذكر من التوصية والامر بالاقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار اليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى الى كما فى قوله تعالى «بان ربك أوحى لها» أى فالى ذلك الدين فادع (واستقم) عليه وعلى الدعوة اليه (كما أمرت) وأوحى اليك (ولاتتبع أهواءهم) الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الاصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الايمان بها فى خاتمة سورة البقرة (وامرت لاعدل بينكم) فى تبليغ الشرائع والاحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لأسوى بينى وبينكم ولا آمركم بمالا أعمله ولا أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ولا أفرق بين أكابركم وأصاغركم واللام اما على حقيقتها والمأمور به محذوف أى أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أى أمرت ان أعدل والباء محذوفة (الله ربنا وربكم) أى خالقنا جميعا ومتولى أمورنا (لنا اعمالنا) لا يتخطانا جزاؤها ثوابا كان أو عقابا (ولكم أعمالكم) لا تجاوزكم آثارها لانستفيد بحسناتكم ولا نتضرر بسيآتكم (لا حجة بيننا وبينكم)أى لا محاجة ولا خصومة لان الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (واليه المصير) فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة فى مواقف المجاوبة لا متاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار الى النسخ بآية القتال (والذين يحاجون فى الله) أى فى دينه (من بعد ما استجيب له)من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم اليه أومن بعدما استجاب الله لرسوله عليه الصلاة والسلام وأيده بنصره أومن بعد ما استجاب له أهل الكتاب بان أقروا بنبوته عليه الصلاة

و السلام و استفتحوا به قبل مبعثه عليه الصلاة و السلام و ذلك أن اليهود و النصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم و نبينا قبل نبيكم و نحن خير منكم و أولى بالحق (حجتهم داحضة عند ربهم) زائلة باطلة بل لا حجة لهم أصلا و انما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل (و عليهم غضب) عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره (و لهم عذاب شديد) لا يقادر قدره (الله الذى أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) ملتبسا به فى أحكامه و أخباره أو بما يحق انزاله من العقائد و الاحكام (و الميزان) و الشرع الذى يوزن به الحقوق و يسوى بين الناس أو نفس العدل بان انزل الامر به أو آلة الوزن (و ما يدريك أى أى شىء يجعلك عالما (لعل الساعة) التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق (قريب) أى شىء قريب أو قريب مجيئها و قيل القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث و المعنى أنها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب و اعمل به و واظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال و يوفى جزاؤها (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) استعجال انكار و استهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذى نحن عليه أم الذى عليه محمد و أصحابه (و الذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب (و يعلمون أنها الحق) أى الكائن لا محالة (ألا ان الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة (لفى ضلال بعيد) عن الحق فان البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه أبعد و أبعد (الله لطيف بعباده) أى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون ألطافه ما لا يكاد يناله أيدى الافكار و الظنون (يرزق من يشاء) أى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة (و هو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شىء (العزيز) المنيع الذى لا يغلب (من كان يريد حرث الآخرة) الحرث فى الاصل إلقاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه و يستعمل فى ثمرات الاعمال و نتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالاغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور أى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة (نزد له فى حرثه) نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها (و من كان يريد) بأعماله (حرث الدنيا) و هو متاعها و طيباتها (نؤته منها) أى شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده و يبتغيه (و ما له فى الآخرة من نصيب) اذ كانت همته مقصورة على

الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء (أم لهم شركاء) أى بل ألهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع (شرعوا لهم) بالتسويل (من الدين مالم يأذن به الله) كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى «انهن أضللن كثيرا» أو تماثيل من سن الضلالة لهم (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم (وان الظالمين لهم عذاب أليم) وقرىء بالفتح عطفا على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة (ترى الظالمين) يوم القيامة والخطاب لكل أحد ممن يصلح له للقصد الى أن سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) أى وباله لاحق بهم لامحالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين أو اعتراض (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) مستقرون فى أطيب بقاعها وأنزهها (لهم مايشاؤن عند ربهم) أى مايشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاءون (ذلك) اشارة الى ماذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه (هو الفضل الكبير) الذى لايقادر قدره ولايبلغ غايته (ذلك) الفضل الكبير هو (الذى يبشر الله عباده) أى يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما فى قوله تعالى «أهذا الذى بعث الله رسولا» أو ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقرىء يبشر من أبشر (قل لاأسئلكم عليه) روى أنه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون أن محمدا يسأل على مايتعاطاه أجرا فنزلت أى لاأطلب منكم على ماأنا عليه من التبليغ والبشارة (أجرا) نفعا (الا المودة فى القربى) أى الا أن تودونى لقرابتى منكم أو تودوا أهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لاأسألكم أجرا قط ولكن أسألكم المودة وفى القربى حال منها أى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى أهلها أو فى حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى أنها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال «على وفاطمة وابناهما» وعن النبى صلى الله عليه وسلم «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازيه عليها

غدا اذا لقيني يوم القيامة » وقيل القربى التقرب الى الله أى الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرىء إلا مودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب أى حسنة كانت فتتناول مودة ذى القربى تناولا أوليا وعن السدى أنها المرادة وقيل نزلت فى الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم (نزد له فيها) أى فى الحسنة (حسنا) بمضاعفة الثواب وقرىء يزد أى يزد الله وقرىء حسنى (إن الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (أم يقولون) بل أيقولون (افترى) محمد (على الله كذبا) بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمزة للانكار التوبيخى كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو إلى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها وقوله تعالى (فان يشأ الله يختم على قلبك) استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعاً وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لا يشاء صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعاً فكأنه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وإن يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحى حينا فحينا تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى إن يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترىء على الافتراء عليه تعالى إلا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لأنساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) استئناف مقرر لنفى الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبىء عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله تعالى «ويدع الانسان بالشر» أى ومن عادته تعالى أنه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه» فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذى لا مرد له بنصرته عليهم (إنه عليم بذات الصدور) فيجرى عليها أحكامها اللائقة بها

من المحو والاثبات (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) التوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم على أن لايعاودها أبدا وروى جابر رضى الله عنه أن أعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى استغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له علي رضى الله عنه ياهذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال ياأمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم مايفعلون) كائنا ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرىء ماتفعلون بالتاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى «واذا كالوهم» أى كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عليه السلام «أفضل الدعاء الحمد لله» أو يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام (ويزيدهم من فضله) على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ماللمؤمنين من الثواب والفضل المزيد (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض) لتكبروا وأفسدوا فيها بطرا أو لعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية (ولكن ينزل بقدر) أى بتقدير (ما يشاء) أن ينزله مما تقتضيه مشيئته (انه بعباده خبير بصير) محيط بخفايا أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم فى كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وروي أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب كانوا اذا أخصبوا تحاربوا واذا أجدبوا انتجعوا (وهو الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرىء ينزل من الانزال (من بعد ماقنطوا) يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضا لتذكر كمال النعمة وقرىء بكسر النون (وينشر رحمته) أى بركات

الغيث ومنافعه فى كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما أوليا (وهو الولى) الذى يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة (الحميد) المستحق للحمد على ذلك لاغيره (ومن آياته خلق السموات والارض) على ماهما عليه من تعاجيب الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤنه العظيمة (ومابث فيهما) عطف على السموات أو الخلق (من دابة) من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الارض فان ما يختص بأحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته اليهما كما فى قوله تعالى «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» وانما يخرج من الملح وقد يجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وأن يخلق الله فى السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبيء عنه قوله تعالى «ويخلق مالا تعلمون» وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم» (وهو على جمعهم) أى حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى (اذا يشاء) متعلق بما قبله لا بقوله تعالى (قدير) فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لاقدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضى تدخل المضارع (وما أصابكم من مصيبة) أى مصيبة كانت (فبما كسبت أيديكم) أى فهى بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها والفاء لان ماشرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرىء بدونها اكتفاء بما فى الباء من معنى السببية (ويعفو عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ماأصاب غيرهم لاسباب أخر منها تعريضه للثواب بالصبر عليه (وماأنتم بمعجزين فى الارض) فائتين ماقضى عليكم من المصائب وان هربتم من أقطارها كل مهرب (وما لكم من دون الله من ولى) يحميكم منها (ولانصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر) وقرىء الجوارى (كالاعلام) أى كالجبال على الاطلاق لاالتي عليها النار للاهتداء خاصة (ان يشأ يسكن الريح) التي تجرى بها وقرىء الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر أى غير جاريات لاغير متحركات أصلا (ان فى ذلك) الذى ذكر من السفن اللاتى يجرين تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته تعالى (لآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى العدد دالة على ماذكر من شؤنه تعالى (لكل صبار شكور) لكل من حبس نفسه عن التوجه الى مالا ينبغى ووكل همته بالنظر فى آيات الله تعالى والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر (أو يوبقهن بما كسبوا) عطف على يسكن والمعنى ان يشأ

يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن بعصفها وإيقاع الإيباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى (ويعف عن كثير) لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرىء ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما في قوله تعالى «ولنجعله آية للناس» وقوله «ولنعلمه من تأويل الاحاديث» ونظائرهما وقرىء بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم (مالهم من محيص) أي من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل (فما أوتيتم من شيء) مما ترغبون وتتنافسون فيه (فمتاع الحياة الدنيا) أي فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير) ذاتا لخلوص نفعه (وأبقى) زمانا حيث لا يزول ولا يفنى (الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره أصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه انه تصدق أبو بكر رضي الله عنه بما له كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت و قوله تعالى (والذين يجتنبون كبائر الاثم) أي الكبائر من هذا الجنس (والفواحش واذا ماغضبوا هم يغفرون) مع مابعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرىء كبير الاثم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كبير الاثم الشرك (والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة) نزل في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له (وأمرهم شورى بينهم) أي ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا (ومما رزقناهم ينفقون) أي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أي ينتقمون ممن بغى عليهم على ما جعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل وهذا لاينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم فانه إغراء على البغي وعليه قول من قال :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى
وقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه فى نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى أن البادىء هو الذى فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدى و اطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من نزلت به (فمن عفا) على المسىء اليه (وأصلح) بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما فى قوله تعالى« فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم »(فأجره على الله) عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود (انه لايحب الظالمين)البادئين بالسيئة والمعتدين فى الانتقام (ولمن انتصر بعدظلمه) أى بعد ماظلم وقد قرىء به (فأولئك) اشارة الى من باعتبار المعنى كما أن الضميرين لها باعتبار اللفظ (ماعليهم من سبيل) بالمعاتبة أو المعاقبة (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالاضرار أو يعتدون فى الانتقام (ويبغون فى الارض بغير الحق) أى يتكبرون فيها تجبراً وفساداً (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق (لهم عذاب أليم) بسبب ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الاذى (وغفر)لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره الى الله تعالى (ان ذلك) الذى ذكر من الصبر والمغفرة (لمن عزم الامور) أى ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وهذا فى المواد التى لايؤدى العفو الى الشر كما أشير اليه (ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) أى حين يرونه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (يقولون هل الى مرد) أى الى رجعة الى الدنيا (من سبيل) حتى نؤمن ونعمل صالحا (وتراهم يعرضون عليها)أى على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية (خاشعين من الذل) متذللين متضائلين مما دهاهم (ينظرون من طرف خفي) أى يبتدىء نظرهم الى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين) أى المتصفين بحقيقة الخسران (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) بالتعريض للعذاب الخالد (يوم القيامة) إما ظرف لخسروا فالقول فى الدنيا أو لقال فالقول يوم القيامة أى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تعالى(ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم)اما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم) برفع

العذاب عنهم (من دون الله) حسبما كانوا يرجون ذلك فى الدنيا (ومن يضلل الله فماله من سبيل) يؤدى سلوكه الى النجاة (استجيبوا لربكم) اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه (من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله) أى لا يرده الله بعد ما حكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتى من الله يوم لا يمكن رده (مالكم من ملجأ يومئذ) أى مفر تلتجؤن اليه (ومالكم من نكير) أى انكار لما اقترفتموه لانه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم (فان اعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا) تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلاة والسلام أى فان لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم اليه فما أرسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم (ان عليك الا البلاغ) وقد فعلت (وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة) أى نعمة من الصحة والغنى والامن (فرح بها) أريد بالانسان الجنس لقوله تعالى (وان تصبهم سيئة) أى بلاء من مرض وفقر وخوف (بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور) بليغ الكفر ينسى النعمة رأسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها واسناد هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها بأعمالهم للايذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام فى سلك الادارة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم (لله ملك السموات والارض) فمن قضيته أن يملك التصرف فيهما وفى كل مافيهما كيفما يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريده (يخلق ما يشاء) مما تعلمه ومما لا تعلمه (يهب لمن يشاء إناثا) من الاولاد (ويهب لمن يشاء الذكور) منهم من غير أن يكون فى ذلك مدخل لاحد (أو يزوجهم) أى يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا (ذكرانا وإناثا) قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاما ثم جارية أو جارية ثم غلاما أو تلد ذكرا وانثى توأمين (ويجعل من يشاء عقيما) والمعنى يجعل أحوال العباد فى حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر أو أنثى واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها أكثر لتكثير النسل أو لان مساق الآية للدلالة على أن الواقع ما تتعلق به مشيئته تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الانسان والاناث كذلك أو لان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن أعظم البلايا أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل

ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين (انه عليم قدير) مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة (وما كان لبشر) أى وما صح لفرد من أفراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (الا وحيا) أى الابأن يوحى اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده وقد روى عن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره أو بأن يسمعه كلامه الذى يخلقه في بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى (أو من وراء حجاب)فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى (أو يرسل رسولا) أى ملكا (فيوحى) ذلك الرسول الى المرسل اليه الذى هو الرسول البشرى (باذنه) أى بأمره تعالى وتيسيره (ما يشاء) أن يوحيه اليه وهذا هو الذى يجرى بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى «أو من وراء حجاب» ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح أن يكلم الاموحيا أومسمعا من وراء حجاب أو مرسلا وقرىء أو يرسل بالرفع على اضمار مبتدا وروى أن اليهود قالت للنبي عليه الصلاة والسلام ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام «لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى» فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها «من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت رضي الله عنها أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية» (إنه على) متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة (حكيم) يجرى أفعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها إما الهاما وإما خطابا (وكذلك) أى ومثل ذلك الايحاء البديع (أوحينا اليك روحا من أمرنا) هو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حياة أبدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام إرساله اليه بالوحى (ما كنت تدرى) قبل الوحى (ما الكتاب) أى أى شيء هو (ولا الايمان) أى

الايمان بتفاصيل مافى تضاعيف الكتاب من الأمور التي لاتهتدى اليها العقول لا الايمان بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه الصلاة والسلام له مما لا ريب فيه قطعاً (ولكن جعلناه) أى الروح الذى أوحيناه اليك (نوراً نهدى به من نشاء) هدايته (من عبادنا) وهو الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى (وانك لتهدى) تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور أى وانك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته (إلى صراط مستقيم) هو الأسلام وسائر الشرائع والأحكام وقرىء لتهدى أى ليهديك الله وقرىء لتدعو (صراط الله) بدل من الأول واضافته إلى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى (الذى له مافى السموات وما فى الارض) لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع مافيهما من الموجودات له تعالى خلقاً وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك أتم إيجاب (ألا إلى الله تصير الأمور) أى أمور مافيهما قاطبة لا إلى غيره ففيه من الوعد للمهتدين إلى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه مالا يخفى . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له

﴿ سورة الزخرف مكية ﴾

﴿ وقيل الا قوله واسأل من أرسلنا وآيها تسع وثمانون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم) الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير اسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم (والكتاب) بالجر على أنه مقسم به إما ابتداء أو عطفاً على حم على تقدير كونه مجروراً بأضمار باء القسم على أن مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى تأكيد مضمون الجملة القسمية (المبين) أى البين لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل مايحتاج اليه فى أبواب الديانة (انا جعلناه قرآناً عربياً) جواب للقسم لكن لا على أن مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل ماهو غايته التى يعرب عنها قوله تعالى (لعلكم تعقلون) فانها المحتاجة إلى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم واتمام النعمة عليهم وازاحة أعذارهم

أى جعلنا ذلك الكتاب قرآناً عربياً لكى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على مايتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية (وإنه فى أم الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ فانه أصل الكتب السماوية وقرىء أم الكتاب بالكسر (لدينا) أى عندنا (لعلى) رفيع القدر بين الكتب شريف (حكيم) ذو حكمة بالغة أو محكم وهما خبران لأن وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا فى أم الكتاب ولدينا والجملة إما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة فى حكمها ففى الأقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وإيذان بأنه من علو الشأن بحيث لايحتاج فى بيانه إلى الاستشهاد عليه بالأقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى الشهادة على ذلك من حيث الأقسام به كما أنه كان فيها من حيث إعجازه ورمزه إلى أنه لايخطر بالبال عند ذكره شىء آخر أولى منه بالاقسام به وإما مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذى أنبأ عنه الأقسام به على منهاج الاعتراض فى قوله تعالى «وإنه لقسم لو تعلمون عظيم» وبعدمابين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن انزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار أن يكون الأمر بخلافه فقيل (أفنضرب عنكم الذكر) أى ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام أى أنهملكم فننحى الذكر عنكم (صفحاً) أى اعراضا عنكم على أنه مفعول له للمذكور أو مصدر مؤكد لما دل هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كأنه قيل أفنصفح عنكم صفحا أو بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية أى أفننحيه عنكم جانبا (ان كنتم قوما مسرفين) أى لأن كنتم منهمكين فى الاسراف مصرين عليه على معنى أن حالكم وان اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لانفعل ذلك بل نهديكم إلى الحق بارسال الرسول الأمين وانزال الكتاب المبين وقرىء إن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة بدلالة ماقبله عليه وقوله تعالى (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزئون) تقرير لما قبله ببيان أن اسراف الأمم السالفة لم يمنعه تعالى من إرسال الأنبياء اليهم وتسلية لرسول الله

صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلاة والسلام ووعيد لهم بمثل ماجرى على الأولين ووصفهم بأشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الأولوية (ومضى مثل الأولين) أى سلف فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها أن تسير مسير المثل (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم) أى ليسندن خلقها إلى من هذا شأنه فى الحقيقة وفى نفس الأمر لا أنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بأن اتصافه تعالى بماسرد من جلائل الصفات والأفعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر بين لا ريب فيه وأن الحجة قائمة عليهم شاءوا أو أبوا وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى (الذى جعل لكم الارض مهادا) استئناف من جهته تعالى أى بسطها لكم تستقرون فيها (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها فى أسفاركم (لعلكم تهتدون) أى لكى تهتدوا بسلوكها إلى مقاصدكم أو بالتفكر فيهما إلى التوحيد الذى هو المقصد الأصلى (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (فأنشرنا به) أى أحيينا بذلك الماء (بلدة ميتا) خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرىء ميتا بالتشديد وتذكيره لأن البلدة فى معنى البلد والمكان والالتفات إلى نون العظمة لاظهار كمال العناية بأمر الأحياء والأشعار بعظم خطره (كذلك) أى مثل ذلك الاحياء الذى هو فى الحقيقة إخراج النبات من الارض (تخرجون) أى تبعثون من قبوركم احياء وفى التعبير عن اخراج النبات بالانشار الذى هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لأمر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس (والذى خلق الأزواج كلها) أى أصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الأزواج الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والانثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار إلى غير ذلك (وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون) أى ماتركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز إلى مكانيتها وكون حركتها غير إرادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها (لتستووا على ظهوره) أى لتستعلوا على ظهور ماتركبونه من الفلك والأنعام والجمع باعتبار المعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه) أى تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها

بألسنتكم (وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا) متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا (وما كنا له مقرنين) أي مطيقين من أقرن الشيء اذا أطاقه وأصله وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرىء بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم بها (وانا الى ربنا لمنقلبون) أي راجعون وفيه ايذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى فيبني أموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذر امره ينافيها ومن ضرورته أن يكون ركوبه لامر مشروع (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله تعالى «ولئن سألتهم» الخ أي وقد جعلوا له سبحانه بألسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرىء جزأ بضمتين (ان الانسان لكفور مبين) ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى (وأصفاكم بالبنين) اما عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار والتعجيب أو حال من فاعله باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ أي بل اتخذ من خلقه أخس الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه أما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء أنه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم أن أحدهم اذا بشر به اغتم والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيبا منها أي اذا أخبر أحدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لابد أن يجانس الوالد

ويماثله (ظل وجهه مسوداً) أى صار أسود فى الغاية من سوء ما بشر به (وهو كظيم) مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرىء مسود ومسواد على أن فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبراً له (او من ينشأ فى الحلية) تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا أى أو جعلوا من شأنه أن يربى فى الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما فى أم المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف للتغاير العنوانى أى أو اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته (وهو) مع ما ذكر من القصور (فى الخصام) أى الجدال الذى لا يكاد يخلو عنه الانسان فى العادة (غير مبين) غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه واضافة غير لا تمنع عمل ما بعده فى الجار المتقدم لانه بمعنى النفى وقرىء ينشأ وينا شأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد ونظيره غلاه وأغلاه وغالاه (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله عز وجل أنقصهم رأيا وأخسهم صنفاً وقرىء عبيد الرحمن وقرىء عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرىء انثا وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بأنوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرىء أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما (ستكتب شهادتهم) هذه فى ديوان أعمالهم (ويسئلون) عنها يوم القيامة وقرىء سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرىء شهاداتهم وهى قولهم ان لله جزأ وان له بنات وانها الملائكة وقرىء يساءلون من المساءلة للمبالغة (وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم) بيان لفن آخر من كفرهم أى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضى عنده تعالى وأنهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بأنه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما أن عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد أخطؤا فى الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا أو السخط فى شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى (مالهم بذلك) أى بما

أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة (من علم) يستند إلى سند ما (ان هم إلا يخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز أن يشار بذلك إلى أصل الدعوى كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفي أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه إلى ابطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقيل (أم آتيناهم كتابا من قبله) من قبل القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه (فهم به) بذلك الكتاب (مستمسكون) وعليه معولون (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والأمة الدين والطريقة التى تأم أى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرىء إمة بالكسر وهى الحالة التي يكون عليها الآم أى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبر إن والظرف صلة لمهتدون (وكذلك) أى والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى (ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظر إلى التقليد (قال) حكاية لما جرى بين المنذرين وبين أممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم أى قال كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم (أو لو جئتكم) أى أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم (باهدى) بدين أهدى (مما وجدتم عليه آباءكم) من الضلالة التى ليست من الهداية فى شىء وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرىء قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ إلى كل نذير لا على أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم كما قيل لقوله تعالى (قالوا انا بما أرسلتم به كافرون) فانه حكاية عن الامم قطعا أي قال كل أمة لنذيرها انا بما أرسلت به الخ وقد أجمل عند الحكاية للايجاز كما مر فى قوله تعالى « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات » وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم إلى ما أرسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما فى نظائر قوله تعالى « كذبت عاد المرسلين » تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى (فانتقمنا منهم) أى بالاستئصال (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك (واذ قال ابراهيم) أى واذكر لهم

وقت قوله عليه الصلاة والسلام (لابيه وقومه) المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله (انى براء مما تعبدون) وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال أو ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه أشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرىء برىء وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما إما مصدرية أو موصولة حذف عائدها أى انى برىء من عبادتكم أو معبودكم (الا الذى فطرنى) استثناء منقطع أو متصل على أن ما تعم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والاصنام أو صفة على أن ما موصوفة أى انى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى (فانه سيهدين) أى سيثبتنى على الهداية أو سيهدين الى ماوراء الذى هدانى اليه الى الآن والاوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها) أى جعل ابراهيم كلمة التوحيد التى ماتكلم به عبارة عنها (كلمة باقية فى عقبه) أى فى ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب » الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرىء كلمة وفى عقبه على التخفيف (لعلهم يرجعون) علة للجعل أى جعلها باقية فى عقبه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد (بل متعت هؤلاء) اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه بان وصى بها بنيه رجاء أن يرجع اليها من أشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل مارجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة (وآباءهم) بالمدفى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا فى الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم) أى هؤلاء (الحق) أى القرآن (ورسول) أى رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرىء متعنا ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى « وجعلها كلمة باقية » الخ مبالغة فى تعييرهم فان التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعله سببا لزيادة الكفران أقصى مراتب الكفر والضلال (ولما جاءهم الحق) لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث (قالوا هذا سحر وانا به كافرون) فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أى من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى « يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان » (عظيم) أى بالجاه والمال كالوليد بن

المغيرة المخزومى وعروة بن مسعود الثقفى وقيل حبيب بن عمر بن عمير الثقفى وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآنا لنزل الى أحد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة روحانية لا يترقى اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية وأما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل وقوله تعالى (أهم يقسمون رحمة ربك) انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) أى أسبـــاب معيشتهم (فى الحياة الدنيا) قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية (ورفعنا بعضهم فوق بعض) فى الرزق وسائر مبادى المعاش (درجات) متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) ليصرف بعضهم بعضا فى مصالحهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا فى تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنيئة وهو فى طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم فى تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها (ورحمة ربك) أى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا الدنيئة الفانية وقوله تعالى (ولولا ان يكون الناس أمة واحدة) استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا أن يرغب الناس لحبهم الدنيا فى الكفر اذا رأوا أهله فى سعة ونعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة وذلك قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) أى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن افراد المستكن فى يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كأنه لغة فى سقف وسقوفا (ومعارج) أى جعلنا لهم معارج من فضة أى مصاعد

جمع معرج وقرىء معاريج جمع معراج (عليها يظهرون) أى يعلون السطوح والعلالى (ولبيوتهم) أى وجعلنا لبيوتهم (أبوابا وسررا) من فضة (عليها) أى على السرر (يتكؤن) ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير (وزخرفا) أى زينة عطف على سقفا أوذهبا عطف على محل من فضة (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أى وما كل ماذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شىء يتمتع به فى الحياة الدنيا وفى معناه ماقرىء وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وقرىء بتخفيف ما على أن ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرىء بكسر اللام على انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها أى للذى هو متاع الخ كما فى قوله تعالى «تماما على الذى أحسن» (والآخرة) بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان (عند ربك للمتقين) أى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم فى الآخرة لافى الدنيا (ومن يعش) أى يتعام (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن واضافته الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرىء يعش بالفتح أى يعم يقال عشى يعشى اذا كان فى بصره آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرىء يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه فى حظوظها الفانية والشهوات (نقيض له شيطانا فهو له قرين) لايفارقه ولايزال يوسوسه ويغويه وقرىء يقيض بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه أن يرفع يقيض (وإنهم) أى الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو (ليصدونهم) أى قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار افراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها (عن السبيل) المستبين الذى يدعو اليه القرآن (ويحسبون) أى العاشون (انهم) أى الشياطين (مهتدون) أى الى السبيل المستقيم والا لما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدا أو من فاعله أو منهما لاشتمالها على ضميريهما أى وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم مهتدون اليه وصيغة المضارع فى الافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تعالى (حتى اذا جاءنا) فان حتى وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتما أن تكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا وافراد الضمير فى جاء وما بعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ماذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا جاءنا كل واحد منهم

مع قرينه يوم القيامة (قال) مخاطبا له (ياليت بينى وبينك) فى الدنيا (بعد المشرقين) أى بعد المشرق والمغرب أى تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد اليهما (فبئس القرين) أى أنت وقوله تعالى (ولن ينفعكم) الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخا وتقريعا أى لن ينفعكم (اليوم) أى يوم القيامة تمنيكم لمباعدتهم (اذ ظلمتم) أى لاجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم اياهم فى الكفر والمعاصى وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم أى اذتبين عندكم وعند الناس جميعا أنكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة . أى تبين أنى لم تلدنى لئيمة بل كريمة وقوله تعالى (انكم فى العذاب مشتركون) تعليل لنفى النفع أى لان حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا ويجوز أن يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم فى تحمل أعبائها وتقسمهم لعنائها لان لكل منهم مالا تبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى) وهو انكار تعجيب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا فى الكفر واستغرقوا فى الضلال بحيث صار مابهم من العشى عمى مقرونا بالصمم (ومن كان فى ضلال مبين) عطفا على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار هو التمكن والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادى ففيه رمز الى أنه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء (فاما نذهبن بك) أى فان قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفى بذلك صدرك وصدور المؤمنين (فانا منهم منتقمون) لامحالة فى الدنيا والآخرة فما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى أنها لا تفارق النون المؤكدة (أو نرينك الذى وعدناهم) أى أو أردنا أن نريك العذاب الذى وعدناهم (فانا عليهم مقتدرون) بحيث لا مناص من تحت ملكنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بالذى أوحى اليك) من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أو

أخرناه الي يوم الآخرة وقرىء أوحى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (انك على صراط مستقيم) تعليل للاستمساك أو للامر به (وانه لذكر) لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسئلون) يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا) أى واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى «فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك» وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسئول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء عليهم الصلاة والسلام (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) ملتبساً بها (إلى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين) أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد إثر ما أشير إلى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه (فلما جاءهم بآياتنا اذاهم منها يضحكون) أى فاجؤا وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية) من الآيات (إلا هى أكبر من أختها) إلا وهى بالغة أقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها أنها أكبر من كل ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور فى شىء منها أو إلا وهى مختصة بضرب من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (وأخذناهم بالعذاب) كالسنين والطوفان والجراد وغيرها (لعلهم يرجعون) لكى يرجعوا عماهم عليه من الكفر (وقالوا يا أيها الساحر) نادوه بذلك فى مثل تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرىء أيه الساحر بضم الهاء (ادع لنا ربك) ليكشف عنا العذاب (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة (اننا لمهتدون) أي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (فلما كشفنا عنهم العذاب) بدعوته (اذاهم ينكثون) فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله فى الأعراف (ونادى فرعون) بنفسه أو بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار) أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر

نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس (تجرى من تحتى) أى من تحت قصرى او أمرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك مصر فتجرى حال منها أو للحال فهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجرى خبر للمبتدأ (أفلا تبصرون) ذلك يريد به استعظام ملكه (أم أنا خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير من المهانة وهي القلة (ولا يكاد يبين) أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصاً له عليه السلام فى أعين الناس باعتبار ما كان فى لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى «قد أوتيت سؤلك» وأم إما منقطعة والهمزة للتقرير كانه قال إثر ماعدد أسباب فضله ومبادى خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أنا خير وهذه حال من هذا الخ وإما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لانهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فان إبصارهم لما ذكر من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) أى فهلا ألقي اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما أنهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرىء أساور جمع أسورة وقرىء أساورة جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير وقد قرىء كذلك وقرىء ألقي عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أو جاء معه الملائكة مقترنين) مقترنين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن (فاستخف قومه) فاستفزهم وطلب منهم الخفة فى مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فأطاعوه) فيما أمرهم به (انهم كانوا قوما فاسقين) فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوى (فلما آسفونا) أى أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف إذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) فى اليم (فجعلناهم سلفا) قدوة لما بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم فى استيجاب مثل ماحل بهم من العذاب وهو إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرىء بضم السين واللام على أنه جمع سليف أى فريق قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرىء سلفا بابدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة أى ثلة قد سلفت (و مثلا للآخرين) أى عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أى ضربه

ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» حيث قال أهذا لنا و لآلهتنا أو لجميع الأمم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيراً وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى (إذا قومك منه) أى من ذلك المثل (يصدون) أى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرىء يصدون أى من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أى يثبتون على ما كانوا عليه من الأعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضاً من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الأنسب بمعنى المفاجأة (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيداً لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء أى ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو فى النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن مانقل عنهم من الفرح ورفع الأصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند ذلك إلى أن نزل قوله تعالى «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى» الآية فان ذلك مع ابهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الافحام من أول الأمر خلاف الواقع كيف لاوقد روى أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الأمر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام «ماأجهلك بلغة قومك أما فهمت أن مالما لا يعقل» وانما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لأن اخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة فى عبادته فى الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله «بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك إن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى «سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن» الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى» الآية بل انما كان ماأظهروه من الأحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى (ماضربوه لك الا جدلا) أى ماضربوا لك ذلك المثل إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند

ظهوره ببيانك (بل هم قوم خصمون) أى لد شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى«ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب» قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم أآلهتنا خير أم هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى ماضربوه الخ ماقالوا هذا القول إلا للجدل وقيل لما نزلت «ان مثل عيسى » الآية قالوا ما يريد محمد بهذا إلا أن نعبده وانه يستأهل أن يعبد وان كان بشراً كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير فى أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ماقلنا بدعاً من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن أشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقوله تعالى (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) أى بالنبوة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) اى أمرا عجيباً حقيقاً بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن أن ينسب اليه ما نسب إلى الأصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى« ان الذين سبقت لهم منا الحسنى»الآية وفيه تنبيه على بطلان رأي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم فى شأن الملائكة وعلى الثانى والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو بأبطل على زعمهم وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدى منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف أو أخف من حالهم وأما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم فى افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى فى الحقيقة وفيما أوحى إلى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس إلا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته أوكيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى (ولو نشاء) الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله وأنه تعالى قادر على أبدع من ذلك وأبرع مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضاً من درجة المعبودية أى قدرتنا بحيث لو نشاء (لجعلنا) أى لخلقنا بطريق التوالد (منكم) وأنتم رجال ليس

من شأنكم الولادة (ملائكة) كما خلقناهم بطريق الابداع (فى الأرض) مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين فى السماء (يخلفون) أى يخلفونكم مثل أولادكم فيما تأتون وماتذرون و يباشرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح والتقديس فى السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة إلى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو انتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا (وإنه) وأن عيسى (لعلم للساعة) أى أنه بنزوله شرط من أشراطها وتسميته علما لحصوله به أو بحدوثه بغير أب أو باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الأمور الواقعة فى الساعة وقرىء لعلم أى علامة وقرىء للعلم وقرىء لذكر على تسمية مايذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفى الحديث «إن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به» قيل الضمير للقرآن لما أن فيه الاعلام بالساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فى وقوعها (واتبعون) أى واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى وقيل هو قول الرسول مأمورا من جهته تعالى (هذا) أى الذى أدعوكم اليه أو القرآن على أن الضمير فى أنه له (صراط مستقيم) موصل إلى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) عن اتباعى (انه لكم عدو مبين) بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبلية (ولما جاء عيسى بالبينات) أى بالمعجزات أو بآيات الانجيل أو بالشرائع الواضحات (قال) لبنى اسرائيل (قد جئتكم بالحكمة) أى الانجيل أو الشريعة (ولأبين لكم) عطف على مقدر ينبىء عنه المجىء بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولأبين لكم (بعض الذى تختلفون فيه) وهو ما يتعلق بأمور الدين وأما ما يتعلق بالدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام «أنتم أعلم بأمور دنياكم» (فاتقوا الله) فى مخالفتى (وأطيعون) فيما أبلغه عنه تعالى (ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما أمرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا) أى التوحيد والتعبد بالشرائع (صراط مستقيم) لايضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عليه السلام أو استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام (فاختلف الاحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) أى من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا من المختلفين (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون) أى ما ينتظر

الناس (الا الساعة أن تأتيهم) أى الا اتيان الساعة (بغتة) أى فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى (وهم لا يشعرون الأخلاء) المتحابون فى الدنيا على الاطلاق أو فى الامور الدنيوية (يومئذ) يوم إذ تأتيهم الساعة (بعضهم لبعض عدو) لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها أسبابا للعذاب (الا المتقين) فان خلتهم فى الدنيا لما كانت فى الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع (يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للمنادى أو نصب على المدح (وكانوا مسلمين) أى مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا وعن مقاتل اذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد يا عبادى فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس أهل الاديان الباطلة رؤسهم (أدخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة أو تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم) بعد دخولهم الجنة حسبما أمروا به (بصحاف من ذهب وأكواب) كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له (وفيها) أى فى الجنة (ما تشتهيه الانفس) من فنون الملاذ وقرىء ما تشتهى (وتلذ الاعين) أى تستلذه وتقر بمشاهدته وقرىء وتلذه (وأنتم فيها خالدون) اتمام للنعمة واكمال للسرور فان كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف (وتلك الجنة) مبتدأ وخبر (التى أورثتموها) وقرىء ورثتموها (بما كنتم تعملون) فى الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتعلق الباء بمحذوف لا بأورثتموها كما فى الاولين (لكم فيها فاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط (منها تأكلون) أى بعضها تأكلون فى كل نوبة وأما الباقى فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت من ثمرها لحظة فهى مزينة بالثمار أبدا موقرة بها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها (ان المجرمين) أى

الراسخين فى الاجرام وهم الكفار حسبما ينبى عنه ايرادهم فى مقابلة المؤمنين بالآيات (فى عذاب جهنم خالدون) خبران أو خالدون هو الخبر وفى متعلقة به (لا يفتر عنهم) أى لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف (وهم فيه) أى فى العذاب وقرىء فيها أى فى النار (مبلسون) آيسون من من النجاة (وماظلمناهم) بذلك (ولكن كانوا هم الظالمين) لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد (ونادوا) خازن النار (يا مالك) وقرىء يامال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز إلى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه (ليقض علينا ربك) أى ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا أماته والمعنى سل ربك أن يقضى علينا وهذا لا ينافى ماذكر من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة (قال انكم ماكثون) أى فى العذاب أبداً لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لا يجيبهم الا بعد ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد أربعين سنة (لقدجئناكم بالحق) فى الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى (ولكن أكثركم للحق) أى حق كان (كارهون) لا يقبلونه وينفرون عنه وأما الحق المعهود الذى هو التوحيد أو القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه (أم أبرموا أمرا) كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ أهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان أريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهى للانكار الواقع واستقباحه أى أأبرم مشركو مكة أمرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا حقيقة لاهم أو فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى «أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون» وكانوا يتناجون فى أنديتهم ويتشاورون فى أموره عليه الصلاة والسلام (أم يحسبون) أى بل أيحسبون (انا لا نسمع سرهم) وهو ما حدثوا به أنفسهم أو غيرهم فى مكان خال (ونجواهم) أى ماتكلموا به فيما بينهم بطريق التناجى (بلى) نحن نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلازمونهم أينما كانوا (لديهم) عندهم (يكتبون) أى يكتبونهما أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التى من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى أو حال أى نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبون (قل) أى للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من

الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم أو لمعبوديهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم و بنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى (ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين) أى له وذلك لانه عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بشؤنه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وأولاهم بمراعات حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم فى باب التوحيد مالا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فأنا أول الآنفين اى المستنكفين منه أو من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية أى ما كان للرحمن ولد فانا أول من قال بذلك وقرىء ولده (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) اى يصفونه به من أن يكون له ولد وفى اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيهما من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزأ منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش (فذرهم) حيث لم يذعنوا للحق بعد ماسمعوا هذا البرهان الجلى (يخوضوا) فى اباطيلهم (ويلعبوا) فى دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم فى الفعل لجواب الأمر (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) من يوم القيامة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم (وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله) الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبىء عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة كانه قيل وهو الذى مستحق لان يعبد فيهما وقد مر تحقيقه فى سورة الأنعام وقرىء وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله والراجع إلى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبراً مقدماً واله مبتدأ مؤخراً للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول واله خبرا لمبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه فى السماء على سبيل الألهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والأرضية وتخصيص لاستحقاق الألهية به تعالى وقوله تعالى (وهو الحكيم العليم) كالدليل على ما قبله (وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما) إما على الدوام كالهواء أو فى بعض الاوقات كالطير (وعنده علم الساعة) أى العلم بالساعة التى فيها تقوم القيامة (واليه ترجعون) للجزاء و الالتفات للتهديد وقرىء

على الغيبة وقرىء تحشرون بالتاء (ولا يملك الذين يدعون) أى يدعونهم وقرىء بالتاء مخففا ومشدداً (من دونه الشفاعة) كما يزعمون (الا من شهد بالحق) الذى هو التوحيد (وهم يعلمون) بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الافراد أولا باعتبار لفظها والاستثناء إما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالاصنام (ولئن سألتهم من خلقهم) أى سألت العابدين والمعبودين (ليقولن الله) لتعذر الانكار لغاية بطلانه (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى (وقيله) بالجر اما على أنه عطف على الساعة أى عنده علم الساعة وعلى قوله عليه الصلاة والسلام (يارب) الخ فان القول والقيل والقال كلها مصادر أو على أن الواو بالقسم وقوله تعالى (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) جوابه وفى الاقسام به من رفع شأنه عليه الصلاة والسلام وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرىء بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل الساعة أو باضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم واقنط من إيمانهم (وقل سلام) أى أمرى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) حالهم ألبتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرىء تعلمون على أنه داخل فى حيز قل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أدخلوا الجنة بغير حساب.

﴿سورة الدخان مكية﴾

الا قوله إنا كاشفوا العذاب الآية

(وهى سبع أو تسع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم والكتاب المبين) الكلام فيه كالذى سلف فى السورة السابقة (انا انزلناه) أى الكتاب المبين الذى هو القرآن (فى ليلة مباركة) هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدىء فيها انزاله أو أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا من اللوح وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما أن نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية

والدنيوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية و فضيلة العبادة و اعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة (انا كنا منذرين) استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب قيل جواب للقسم وقوله تعالى انا أنزلنا الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف (فيها يفرق كل أمر حكيم) استئناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة أو المتلبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي أن ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على أنها ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرىء يفرق بالتشديد وقرىء يفرق على البناء للفاعل أي يفرق الله تعالى كل أمر حكيم وقرىء يفرق بنون العظمة (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص أي أعني بهذا الامر أمراً حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل أمر لتخصصه بالوصف أو من ضميره في حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الامر والفرقان في المعنى أو لفعله المضمر لما أن الفرق به أو حالا من أحد ضميري أنزلناه أي آمرين أو مأموراً به (انا كنا مرسلين) بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله تعالى (رحمة من ربك) غاية للارسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد وباعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أي انا أنزلنا القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل افاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمراً على أن قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى «وما يمسك فلا مرسل له» أي يفرق فيها كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا ولا ريب ان كلا من قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم

للمنافع وقرىء رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى (انه هو السميع العليم) تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لاتحق الا لمن هذه نعوته (رب السموات والارض ومابينهما) بدل من ربك أو بيان أو نعت وقرىء بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على اضمار مبتدا (ان كنتم موقنين) أى ان كنتم من أهل الايقان فى العلوم أو ان كنتم موقنين فى اقراركم بأنه تعالى رب السموات والارض ومابينهما اذا سئلتم من خالقها فقلتم الله علمتم أن الامر كما قلنا أو ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك (لا إله الا هو) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض (يحي و يميت) مستانفة كما قبلها وكذا قوله تعالى (ربكم ورب آبائكم الاولين) باضمار مبتدا أو بدل من رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعت له وقيل فاعل ليميت وفى يحى ضمير راجع الى رب السموات وقرىء بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر (بل هم فى شك) مما ذكر من شؤنه تعالى غير موقنين فى اقرارهم (يلعبون) لايقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء فى قوله تعالى (فارتقب) لترتيب الارتقاب أوالامر به على ما قبلها فان كونهم فى شك مما يوجب ذلك حتما أى فانتظر لهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) أى يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره أو لان فى عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار أو لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم «اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى (يغشى الناس) أى يحيط بهم (هذا عذاب أليم) أى قائلين ذلك فمشى اليه عليه الصلاة والسلام أبوسفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فيدخل فى اسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق

الناس إلى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره والأول هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم قطعاً فان قوله تعالى (أنى لهم الذكرى) الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم فى الوعد بالايمان المنبىء عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية أى كيف يتذكرون أو من أين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم (وقد جاءهم رسول مبين) أى والحال أنهم شاهدوا من دواعى التذكر وموجبات الاتعاظ ماهو أعظم منه فى إيجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال (ثم تولوا عنه) عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوه من العظائم الموجبة للاقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولى (وقالوا) فى حقه (معلم مجنون) أى قالوا تارة يعلمه غلام أعجمى لبعض ثقيف وأخرى مجنون او يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم إلا كمثل الكلب إذا جاع ضغا وإذا شبع طغى وقوله تعالى (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد ومابينهما اعتراض اى إنا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفاً قليلا أو زماناً قليلا إنكم تعودون إثر ذلك إلى ما كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل فى الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فما لبثوا أن عادوا إلى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال إذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يوماً وريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى (إنا منتقمون) لا لمنتقمون لأن إن مانعة من ذلك أى يوم نبطش ننتقم إنا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتى الخ وقرىء نبطش أى نحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة أو نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرىء نبطش بضم الطاء وهى لغة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) أى امتحناهم بارسال موسى عليه السلام أو أوقعناهم فى

الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرىء بالتشديد للمبالغة أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله تعالى أو على المؤمنين أو فى نفسه لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا إلى عباد الله) أى بأن ادوا إلى بني اسرائيل وأرسلوهم معي أو بأن أدوا إلى يا عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن مجيء الرسول لا يكون إلا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أى جاءهم بأن الشأن أدوا إلى الخ وقوله تعالى (إنى لكم رسول أمين) تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أى رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة (وأن لا تعلوا على الله) أى لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وأن كالتى سلفت وقوله تعالى (انى آتيكم) أى من جهته تعالى (بسلطان مبين) تعليل للنهى أى آتيكم بحجة واضحة لا سبيل إلى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل أو المضارع وفى ايراد الاداء مع الامين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى (وانى عذت بربى وربكم) أى التجأت اليه وتوكلت عليه (أن ترجمون) من أن ترجمونى أى تؤذونى ضربا أو شتما أو أن تقتلونى قيل لما قال وأن لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرىء بأدغام الذال فى التاء (وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون) أى وإن كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا إلى فخلونى كفافا لا على ولا لى ولا تتعرضوا لى بشر ولا أذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم إلى ما فيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة عنى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن يأباه المقام (فدعا ربه) بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام(إن هؤلاء) أى بأن هؤلاء (قوم مجرمون)هو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمى دعاء وقرىء بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه بأجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين (فأسر بعبادى ليلا) باضمار القول اما بعد الفاء أى فقال ربه أسر بعبادى واما قبلها كأنه قيل قال ان كان الأمر كما تقول فأسر بعبادى أى ببنى اسرائيل فقد دبر الله تعالى أن تتقدموا وقرىء بوصل الهمزة من سرى (انكم متبعون)أى يتبعكم فرعون وجنوده بعد ماعلموا بخروجكم (واترك البحر رهوا) مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكنا على هيئته بعد ما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط (انهم جند مغرقون) وقرىء انهم بالفتح أى لانهم (كم تركوا) أى كثيرا تركوا بمصر (من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) محافل مزينة ومنازل محسنة(ونعمة) أى تنعم (كانوا فيها فاكهين)متنعمين وقرىء فكهين

(كذلك) الكاف فى حيز النصب وذلك اشارة إلى مصدر فعل يدل عليه تركوا أى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها (وأورثناها قوماً آخرين) وقيل مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها وقيل فى حيز الرفع على الخبرية أى الأمر كذلك فحينئذ يكون أورثناها معطوفا على تركوا وعلى الأولين على الفعل المقدر (فما بكت عليهم السماء والأرض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بها وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والأرض ومنه ما روى أن المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره فى الأرض وقيل تقديره أهل السماء والأرض (وما كانوا) لما جاء وقت هلاكهم (منظرين) ممهلين إلى وقت آخر أو إلى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا (ولقد نجينا بنى اسرائيل) بأن فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا (من العذاب المهين) من استعباد فرعون اياهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم (من فرعون) بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراط فيه واما على حذف المضاف أى عذاب فرعون أو حال من المهين أى كائنا من فرعون وقرىء من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وتفرعنه وفى ابهام أمره أولا وتبيينه بقوله تعالى (انه كان عاليا من المسرفين) ثانيا من الافصاح عن كنه أمره فى الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان لكان أى كان متكبرا مسرفا أو حال من الضمير فى عاليا أى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم بليغا فى الاسراف (ولقد اخترناهم) أى بنى اسرائيل (على علم) أى عالمين بانهم أحقاء بالاختيار أو عالمين بأنهم يزيغون فى بعض الأوقات ويكثر منهم الفرطات (على العالمين) جميعاً لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمي زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التى لم يعهد مثلها فى غيرهم (مافيه بلاء مبين) نعمة جلية أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم فى الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ماحل بهم (ليقولون ان هى إلا موتتنا الأولى) أى ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه إلى اثبات موتة أخرى كما فى قولك حج زيد الحجة الأولى ومات وقيل لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ماهى الا موتتنا الأولى أى ما الموتة التى تعقبها حياة إلا الموتة الأولى وقيل المعنى ليست الموتة إلا

هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حياة القبر كما تزعمون (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (ان كنتم صادقين) فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم فى المهمات والملمات (أهم خير) رد لقولهم وتهديد لهم أى أهم خير فى القوة والمنعة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك (أم قوم تبع) هو تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبني سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب فى عنوان كتابه بسم الله الذى ملك بحراً وبحراً أى بحاراً كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم «لاتسبوا تبعاً فانه كان قد أسلم» وعنه عليه الصلاة والسلام ماأدرى أكان تبع نبياً أو غير نبي وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان نبياً وقيل لملوك اليمن التبعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقبلون (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد أولى بأس شديد والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى (أهلكناهم) استئناف لبيان عاقبة أمرهم وقوله تعالى (انهم كانوا مجرمين) تعليل لاهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب اجرامهم مع ما كانوا فى غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم فى الأجرام أضعف منهم فى الشدة والقوة أولى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما) أى ما بين الجنسين وقرىء وما بينهن (لاعبين) لاهين من غير أن يكون فى خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة (وما خلقناهما) وما بينهما (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو أعم الأسباب أى ماخلقناهما ملتبساً بشىء من الأشياء إلا ملتبساً بالحق أو ماخلقناهما بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق الذى هو الأيمان والطاعة والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم لايعلمون) أن الأمر كذلك فينكرون البعث والجزاء (ان يوم الفصل) أى فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه (ميقاتهم) وقت موعدهم (أجمعين) وقرىء ميقاتهم بالنصب على أنه اسم ان ويوم الفصل خبرها أى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل (يوم لايغنى) بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لالنفسه (مولى) من قرابة أو غيرها (عن مولى) أى مولى كان (شيئاً) أى شيئاً من الأغناء (ولاهم ينصرون) الضمير لمولى الأول باعتبار المعنى لأنه عام

(إلا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فى حقه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) الذى لاينصر من أراد تعذيبه (الرحيم) لمن أراد أن يرحمه (ان شجرة الزقوم) وقرىء بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم فى سورة الصافات (طعام الأثيم) أى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ماقبله وما بعده عليه (كالمهل) وهو مايمهل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت (يغلى فى البطون) وقرىء بالتاء على اسناد الفعل إلى الشجرة (كغلى الحميم) غليانا كغليه (خذوه) على إرادة القول والخطاب للزبانية (فاعتلوه) أى جروه والعتل الأخذ بمجامع الشىء وجره بقهر وعنف وقرىء بضم التاء وهى لغة فيه (الى سواء الجحيم) أى وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان الاصل يصب من فوق رءوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رءوسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع (ذق انك انت العزيز الكريم) أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي أن ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم مابين جبليها اعز ولا اكرم منى فوالله ماتستطيع انت ولا ربك ان تفعل بى شيئا وقرىء بالفتح اى لانك اوعذاب أنك (ان هذا) أى العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم (ان المتقين) اى عن الكفر والمعاصى (فى مقام) فى موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم وقرىء بضم الميم وهو موضع اقامة (أمين) يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الأمن الذى هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كأن المكان المخيف يخون صاحبه لما يلقى فيه من المكاره (فى جنات وعيون) بدل من مقام جىء به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب (يلبسون من سندس وإستبرق) اما خبر ثان اوحال من الضمير فى الجار أو استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ماغلظ منه معرب (متقابلين) فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أى الامر كذلك أو كذلك أثبناهم (وزوجناهم بحور عين) على الوصف وقرىء بالاضافة أى قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى أنهن نساء الدنيا أو غيرها (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطلبون ويأمرون باحضار مايشتهونه من الفواكه لا يتخصص شىء منها بمكان ولا زمان (آمنين) من كل مايسوءهم (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) بل يستمرون على الحياة أبدا

والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الاطلاق كأنه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا أمكن ذوق الموتة الاولى حينئذ (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرىء مشدداً للمبالغة في الوقاية (فضلا من ربك)أي أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرىء بالرفع أي ذلك فضل (ذلك الفوز العظيم) الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل لكل المطالب وقوله تعالى (فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) فذلكة للسورة الكريمة أي انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذا لم يفعلوا ذلك (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) ما يحل بك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له .

(سورة الجاثية مكية)

وهي سبع أوست وثلاثون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(حم)الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف أي هذا مسمي بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدا مضمر يلوح به ماقبله اي المؤلف من جنس ماذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لاعهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على أصله اى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن افادة فائدة يعتد بها تمحل على تمحل وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) كما مر في صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى (ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين) وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما انفس السموات والارض فانهما منطويتان من فنون الآيات على مايقصر عنه البيان واما خلقهما كما

فى قوله تعالى « ان فى خلق السموات والارض » وهو الاوفق بقوله تعالى (وفى خلقكم) أى من نطفة ثم من علقة متقلبة فى اطوار مختلفة الى تمام الخلق (وما يبث من دابة) عطف على المضاف دون المضاف اليه أى وفيما ينشره ويفرقه من دابة (آيات) بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ماقبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ماقبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرىء آية بالتوحيد وقرىء آيات بالنصب عطفا على ماقبلها من اسم ان والخبر هو الخبر كانه قيل وان فى خلقكم وما يبث من دابة آيات (لقوم يوقنون) أى من شأنهم أن يوقنوا بالاشياء على ماهى عليه (واختلاف الليل والنهار) بالجر على اضمار الجار المذكور فى الآيتين قبله وقد قرىء بذكره والمراد باختلافهما اما تعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصرا (وما أنزل الله من السماء) عطف على اختلاف (من رزق) أى من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتى القدرة والرحمة (فأحيى به الارض) بان أخرج منها أصناف الزروع والثمرات والنبات (بعد موتها) وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار (وتصريف الرياح) من جهة الى أخرى ومن حال الى حال وقرىء بتوحيد الريح . وتأخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعى الترتيب الوجودى لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى من جملتها سوق السفن فى البحار (آيات لقوم يعقلون) بالرفع على انه مبتدأ خبره ماتقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ماقبلها وقرىء بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما ان وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف والنصب فى آيات وتنكير آيات فى المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلاء (تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (نتلوها عليك) حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل أو عطف بيان (بالحق) حال من فاعل نتلو ومن مفعوله أى نتلوها محقين أو متلبسة بالحق (فبأى حديث) من الأحاديث (بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم أعجبنى زيد وكرمه أو بعد حديث الله الذى هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى « الله نزل أحسن الحديث » وهو المراد بآياته أيضا ومناط العطف التغاير العنوانى (يؤمنون) بصيغة الغيبة وقرى بالتاء (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم) كثير

الآثام (يسمع آيات الله) صفة أخرى لأفاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في أثيم (تتلى عليه) حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا ليسمع لأن شرطه أن يكون مابعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ (ثم يصر) أي يقيم على كفره وأصله من اصرار الحمار على العانة (مستكبرا) عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحرث وكان يشترى من أحاديث الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ماهم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها أن تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال «يرى غمرات الموت ثم يزورها» (كأن لم يسمعها) أي كأنه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر أي يصر شبيها بغير السامع (فبشره بعذاب أليم) على اصراره واستكباره (وإذا علم من آياتنا شيأ) أي إذا بلغه من آياتنا شيء وعلم أنه من آياتنا لا أنه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل إذا علم منها شيئا يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوصل به إلى الطعن والغميزة (اتخذها) أي الآيات كلها (هزوا) أي مهزوا بها لا ماسمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتأنيث لانه في معنى الآية (أولئك) اشارة إلى كل أفاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى «كل حزب بما لديهم فرحون» كما أن الأفراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد (لهم) بسبب جناياتهم المذكورة (عذاب مهين) وصف العذاب بالإهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى (من ورائهم جهنم) أي من قدامهم لانهم متوجهون إلى ما أعد لهم أو من خلفهم لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام (ولا يغني عنهم) ولا يدفع (ما كسبوا) من الأموال والأولاد (شيأ) من عذاب الله تعالى شيئا من الاغناء (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أي الأصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع أن عدم اغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم إغناء الأموال والأولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم (ولهم) فيما وراءهم من جهنم (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (هذا) أي القرآن (هدى) في غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها (والذين كفروا) أي بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى (بآيات ربهم) لزيادة تشنيع كفرهم

به وتفظيع حالهم (لهم عذاب من رجز) أى من أشد العذاب (أليم) بالرفع صفة عذاب وقرىء بالجر على أنه صفة رجز وتنوين عذاب فى المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على على الابتداء واما على الفاعلية (الله الذى سخر لكم البحر) بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالأخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه (لتجرى الفلك فيه بأمره) وأنتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) ولكى تشكروا النعم المترتبة على ذلك (وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض) من الموجودات بأن جعلها مدارا لمنافعكم (جميعاً) اما حال من مافى السموات والأرض أو توكيد له (منه) متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا أوحال من ماأى جميعا كائنا منه تعالى أو سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى أو خبر لمحذوف أى هى جميعا منه تعالى وقرىء منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الاسناد المجازى أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك منه (إن فى ذلك) أى فيما ذكر من الأمور العظام (لآيات) عظيمة الشأن كثيرة العدد (لقوم يتفكرون) فى بدائع صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها (قل للذين آمنوا) حذف المقول لدلالة (يغفروا) عليه فانه جواب للأمر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط أى قل لهم اغفروا يغفروا (للذين لا يرجون أيام الله) أى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الأوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم بالفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه غفارى فهم أن يبطش به وقيل حين قال ابن أبى ماقال وذلك أنهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل ابن أبى غلامه يستقى فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر فقال ابن أبى ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فأنزلها الله تعالى (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) تعليل للأمر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم أى أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوما أيما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا فى الدنيا من الاعمال الحسنة من جملتها الصبر على أذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومايقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز أن

يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيآتهم التى من جملتها ما حكى من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه أن مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقديرى المغفرة وعدمها فلابد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه فى الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذات وفى ذلك من التكلف مالا يخفى وأن يراد كلا الفريقين وهو أكثر تكلفا وأشد تمحلا وقرىء ليجزى قوم وليجزى قوما أى ليجزى الجزاء قوما وقرىء لنجزى بنون العظمة (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها) لا يكاد يسرى عمل الى غير عامله (ثم الى ربكم) مالك أموركم (ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان أو شرا (ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب) أى التوراة (والحكم) أى الحكمة النظرية والعملية الفقه فى الدين أو فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم (والنبوة) حيث كثر فيهم الانبياء مالم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم مالم نؤت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات من الأمر) دلائل ظاهرة فى أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو العلم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب (فما اختلفوا) فى ذلك الأمر (الا من بعد ما جاءهم العلم) بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه (بغيا بينهم) أى عداوة وحسدا لاشكا فيه (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة) بالمؤاخذة والجزاء (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (ثم جعلناك على شريعة) أى سنة وطريقة عظيمة الشان (من الامر) أى أمر الدين (فاتبعها) باجراء أحكامها فى نفسك وفى غيرك من غير اخلال بشىء منها (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) أى آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع الى دين آبائك (انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ) مما أراد بك ان اتبعتهم (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض) لا يوالیهم ولا يتبع أهواءهم الا من كان ظالما مثلهم (والله ولى المتقين) الذين أنت قدوتهم فدم على ما أنت عليه من تولية خاصة والاعراض عما سواه بالكلية (هذا) أو القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر للناس) فان مافيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب (وهدى) من ورطة الضلالة (ورحمة) عظيمة (لقوم يوقنون) من شأنهم الايقان بالامور (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) استئناف مسوق لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين إثر بيان تباين حالى الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الأول الى الثانى والهمزة لانكار الحسبان لكن

لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما فى قوله تعالى «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار» بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب (أن نجعلهم) أى نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على ماهم عليه من مساوى الاحوال (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم فى الكرامة ورفع الدرجة وقوله تعالى (سواء محياهم ومماتهم) أى محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير فى الظرف والموصول معا لاشتماله على ضميريهما على ان السواء بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون فى شىء منهما فان هؤلاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى المحيا وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى المحيا وفى لعنة الله والعذاب الخالد فى الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقرىء محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله أى حال كونهم مستوين فى محياهم ومماتهم وقد ذكر فى الآية الكريمة وجوه أخر من الاعراب والذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرىء سواء بالرفع على أنه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وأياما كان فنسبة حسبان التساوى اليهم فى ضمن الانكار التوبيخى مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة فى الانكار والتشديد فى التوبيخ فان انكار حسبان التساوى والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده (ساء ما يحكمون) أى ساء حكمهم هذا أو بئس شيئا حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والارض بالحق) استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضى للعدل يستدعى لا محالة تفضيل المحسن على المسىء فى المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك فى المحيا فهو بعد الممات حتما (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لاجل ذلك ولتجزى الخ أو على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى (وهم) أى النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بنقص ثواب أو بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذى يستحيل

صدوره عنه تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه عبده أي أنظرت فرأيته فان ذلك مما يقضى منه العجب وقرىء آلهته هواه لان أحدهم كان يستحسن حجراً فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه اليه فكأنه اتخذ آلهة شتى (وأضله الله) وخذله (على علم) أى عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها (وختم على سمعه وقلبه) بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر فى الآيات والنذر (وجعل على بصره غشاوة) مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرىء بفتح الغين وضمها وقرىء غشوة (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد إضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى الغى (أفلا تذكرون) أى ألا تلاحظون فلا تذكرون وقرى تتذكرون على الاصل (وقالوا) بيان لاحكام ضلالهم المحكى أى قالوا من غاية غيهم وضلالهم (ماهى) أى ما الحياة (إلا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيى) أى يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفا وماقبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فانه عقيدة أكثر عبدة الاوثان وقرى نحيى (ومايهلكنا الا الدهر) الامرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره أى غلبه وقرىء الا دهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر فى هلاك الانفس هو مرور الايام والليالى وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر» أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر (ومالهم بذلك) أى بماذكر من اقتصار الحياة على مافى الدنيا واستناد الحياة والموت الى الدهر (من علم) ما مستند الى عقل او نقل (انهم الا يظنون) ما هم الاقوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شىء يصح ان يتمسك به فى الجملة هذا معتقدهم الفاسد فى أنفسهم (واذا تتلى عليهم آياتنا) الناطقة بالحق الذى من جملته البعث (بينات) واضحات الدلالة على مانطقت به أو مبينات له (ماكان حجتهم) بالنصب على انه خبر كان أى ما كان متمسكا لهم شىء من الاشياء (الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) فى أنا نبعث بعد الموت أى الا هذا القول الباطل الذى يستحيل أن يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم أو لانه من قبيل « تحية بينهم ضرب وجيع » وقرىء برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شىء من الاشياء الا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم

يميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) بعد الموت (الى يوم القيامة) للجزاء (لاريب فيه) أى فى جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لامحالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استدراك من قوله تعالى «لا ريب فيه» وهو اما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على أن ارتيابهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما (ولله ملك السموات والارض) بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل إثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) العامل فى يوم يخسر ويومئذ بدل منه (وترى كل أمة) من الامم المجموعة (جاثية) باركة على الركب مستوفزة وقرىء جاذية أى جالسة على أطراف الاصابع والجذو أشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهى الجماعة (كل أمة تدعى الى كتابها) الى صحيفة أعمالها وقرىء كل بالنصب على أنه بدل من الاول وتدعى صفة أو حال أو مفعول ثان (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك وقوله تعالى (هذا كتابنا) الخ من تمام ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوبا بامر الله تعالى أضيف الى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدا وكتابنا خبره وقوله تعالى (ينطق عليكم) أى يشهد عليكم (بالحق) من غير زيادة ولانقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى (انا كنا نستنسخ) الخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير اخلال بشىء منها أى انا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الاعمال حسنة كانت أو سيئة وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) أى فى جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد (ذلك) أى الذى ذكر من الادخال فى رحمته تعالى (هو الفوز المبين) الظاهر كونه فوزا لافوز وراءه (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) أى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم يكن تأتيكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه (فاستكبرتم) عن الايمان بها (وكنتم قوما مجرمين) أى قوما عادتهم الاجرام (واذا قيل ان وعد الله) أى ما وعده من الامور

الآتية أو وعده بذلك (حق) أي واقع لامحالة أو مطابق للواقع (والساعة) التي هي أشهر ما وعده (لاريب فيها) أي في وقوعها وقرىء والساعة بالنصب عطفا على اسم إن وقراءة الرفع للعطف على محل ان واسمها (قلتم) لغاية عتوكم (ماندري ماالساعة) أي أي شيء هي استغرابا لها (ان نظن الاظنا) أي مانفعل الا ظنا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى «ان أتبع الامايوحى الي» وقيل ما نعتقد الاظنا أي لاعلما وقيل مانحن الا نظن ظنا وقيل مانظن الا ظنا ضعيفا ويرده قوله تعالى (وما نحن بمستيقنين) أي لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ماهي الا حياتنا الدنيا (وبدالهم) أي ظهر لهم حينئذ سيئات ماعملوا على ماهي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاء السيئة سيئة (وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن) من الجزاء والعقاب (وقيل اليوم ننساكم) نترككم في العذاب ترك المنسي (كما نسيتم) في الدنيا (لقاء يومكم هذا) أي كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) أي ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها (ذلكم) العذاب (بانكم) بسبب أنكم (اتخذتم آيات الله هزوا) مهزوا بها ولم ترفعوا لها رأسا (وغرتكم الحياة الدنيا) فحسبتم أن لا حياة سواها (فاليوم لايخرجون منها) أي من النار وقرىء يخرجون من الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة النار (ولاهم يستعتبون) أي يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أي يرضوه لفوات أوانه (فلله الحمد) خاصة (رب السموات ورب الارض رب العالمين) فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الاصالة وقرىء برفع الثلاثة على المدح باضمار هو (وله الكبرياء في السموات والارض) لظهور آثارها وأحكامها فيهما واظهارهما في موقع الاضمار لتفخيم شأن الكبرياء (وهو العزيز) الذي لا يغلب (الحكيم) في كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه وأطيعوه * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأحم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب *

(سورة الاحقاف مكية وآيها أربع أو خمس وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة (ما خلقنا السموات والارض) بما فيهما من

وزيم او جمع مقدر بمضاف أى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الاولى ايضاً على أنه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة و يسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بديعا من الرسل قادرا على مالم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ماتقترحونه وأخبركم بكل ماتسألون عنه من الغيوب فان من قبلى من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يأتون إلا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم الا بما اوحى اليهم وما أدرى ما يفعل بى والابكم أى أى شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا يقدر لنا من قضايا وعن الحسن رضى الله عنه ما أدرى ما يصير اليه أمرى وأمركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مايفعل بى وبكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله تعالى «ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر» وقيل يجوز أن يكون المنفى هي الدراية المفصلة والاظهر الاوفق لما ذكر من سبب النزول أن ما عبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ماسيقع فى الآخرة فان العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحى الناطق بتفاصيل مايفعل بالجانبين هذا وقد روى عن الكلبي أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متي نكون على هذا فقال «ماأدرى مايفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض ذات نخيل و شجر قد رفعت لى ورأيتها» يعنى فى منامه وجوز أن تكون ما موصولة والاستفهامية أقضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفى المنسحب اليه وتأكيده وقرىء مايفعل على اسناد الفعل إلى ضميره تعالى (ان أتبع إلا مايوحى إلى) أى ماأفعل إلا اتباع مايوحى إلى على معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحى لاقصر اتباعه على الوحى كما هو المتسارع إلى الأفهام وقد مر تحقيقه فى سورة الأنعام وقرىء يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا عن أذية المشركين والأول هو الأوفق لقوله تعالى (وما أنا إلا نذير) أنذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى إلى (مبين) بين الأنذار بالمعجزات الباهرة (قل أرأيتم ان كان) أى مايوحى إلى من القرآن (من عند الله) لاسحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى (وكفرتم به) حال بأضمار قد من الضمير فى الخبر وسطت بين أجزاء الشرط مسارعة إلى التسجيل عليهم بالكفر أوعطف على كان كما فى قوله تعالى «قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به» لكن لا على أن نظامه فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار

حاله أى نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به أمر محقق عندهم به أيضاً وانما ترددهم فى أن ذلك كفر بما من عندالله تعالى أم لا وكذا الحال فى قوله تعالى (وشهد شاهد من بنى إسرائيل) وما بعده من الفعلين فان الكل أمور محققة عندهم وانما ترددهم فى أنها شهادة وايمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه أولا والمعنى أخبرونى ان كان ذلك فى الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بنى اسرائيل الواقفين على شؤون الله تعالى وأسرار الوحى بما أوتوا من التوراة (على مثله) أى مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التوراة المطابقة لما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه فى الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى «وانه لفى زبر الأولين» وقوله تعالى «إن هذا لفى الصحف الأولى» والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات أخر أو على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء فى قوله تعالى (فآمن) للدلالة على أنه سارع إلى الايمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال له إنى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقاً فقام ثم قال يارسول الله ان اليهود قوم بهت فان علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يارسول الله وأحذر قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على الارض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته بما فى التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبى وقال مسروق والله ما نزلت فى عبد الله بن سلام فان آل حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبى بأن الآية مدنية وإن كانت السورة مكية (واستكبرتم)

عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك أعلم بني اسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الايمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى «قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد» وقوله تعالى (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) فان عدم الهداية مما ينبىء عن الضلال قطعا. ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدا يتهم لظلمهم (وقال الذين كفروا) حكاية لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به أي قال كفار مكة (للذين آمنوا) أي لاجلهم (لو كان) أي ما جاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين (خيرا ما سبقونا اليه) فان معالي الأمور لا ينالها أيدي الأراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم أن الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم أنها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف الدنيا الدنية والاقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فماله منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية ولا بد حينئذ من الالتجاء الى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة (وإذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده أي واذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا (فسيقولون) غير مكتفين بنفي خيريته (هذا إفك قديم) كما قالوا أساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك (ومن قبله) أي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى (كتاب موسى) قيل والجملة حالية أو مستأنفة وأياما كان فهو لرد قولهم هذا إفك قديم وإبطاله فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا (إماما ورحمة) حالان من كتاب موسى أي إماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه (وهذا) الذي يقولون في حقه ما يقولون (كتاب) عظيم الشأن (مصدق) أي لكتاب موسى الذي هو إمام ورحمة أو لما بين يديه من جميع الكتب الالهية وقد قرىء كذلك (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب في مصدق أو من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي (لينذر الذين ظلموا) متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول

عليه الصلاة والسلام ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب (وبشرى للمحسنين) فى حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل فى محل الرفع على أنه خبر مبتدا مضمر أى وهو بشرى وقيل على أنه عطف على مصدق (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى أمور الدين التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد (فلا خوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفى الحزن لا بيان نفى دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين (أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من المستكن فى أصحاب وقوله تعالى (جزاء) منصوب إما بعامل مقدر أى يجزون جزاء أو بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى أولئك أصحاب الجنة فى معنى جازيناهم (بما كانوا يعملون) من الحسنات العلمية والعملية (ووصينا الانسان) بان يحسن (بوالديه احسانا) وقرىء حسنا أى بأن يفعل بهما حسنا أى فعلا ذا حسن أو كأنه فى ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرىء بضم السين أيضا وبفتحهما أى بان يفعل بهما فعلا حسنا أو وصيناه ايصاء حسنا (حملته أمه كرها ووضعته كرها) أى ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة وقرىء بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) أى مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرىء وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما أراد بالامد المدة من قال :

كل حى مستكمل مدة العمـ ... ـر ومود اذا انتهى أمده

(ثلاثون شهرا) تمضى عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان أقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى «حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة» يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما (حتى اذا بلغ اشده) اى اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث نبى قبل اربعين وقرىء حتى اذا استوى وبلغ اشده (قال رب أوزعني) اى ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) أى نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها (وان أعمل صالحا ترضاه) التنكير للتفخيم والتكثير (وأصلح لى فى ذريتى) أى واجعل الصلاح ساريا فى ذريتى راسخا

فيهم كما فى قوله يجرح فى عراقيبها نصلى قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبى بكر رضى الله عنهم فأعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانة الله تعالى عليه ودعا أيضا فقال وأصلح لى فى ذريتي فاجابه الله عزوجل فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (انى تبت اليك) عما لا ترضاه أو عما يشغلنى عن ذكرك (وانى من المسلمين) الذين أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) اشارة الى الانسان والجمع لان المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات فان المباح حسن ولا يثاب عليه (ونتجاوز عن سيئاتهم) وقرىء الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع أحسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور (فى أصحاب الجنة) أى كائنين فى عدادهم منتظمين فى سلكهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز (الذى كانوا يوعدون) على ألسنة الرسل (والذى قال لوالديه) عند دعوتهما له الى الايمان (أف لكما) هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما فى هيت لك وقرىء أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث. وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما روى من انها نزلت فى عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما قبل اسلامه يرده ما سيأتى من قوله تعالى «أولئك الذين حق عليهم القول» الآية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها من قال ذلك (أتعدانني ان أخرج) ابعث من القبر بعد الموت وقرىء أخرج من الخروج (وقد خلت القرون من قبلى) ولم يبعث منهم احد (وهما يستغيثان الله) يسألانه ان يغيثه ويوفقه للايمان (ويلك) اى قائلين له ويلك وهو فى الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (آمن ان وعد الله حق) أى البعث أضافاه اليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطئه فى اسناد الوعد اليهما وقرىء أن وعد الله

أى من آمن بأن وعدالله حق (فيقول) مكذبا لهما (ماهذا) الذى تسميانه وعد الله (الا أساطير الاولين) أباطيلهم التى سطروها فى الكتب من غير أن يكون لها حقيقة (أولئك) القائلون هذه المقالات الباطلة (الذين حق عليهم القول) وهو قوله تعالى لابليس «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» كما ينبىء عنه قوله تعالى (فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس) وقد مر تفصيله فى سورة آلم السجدة (انهم) جميعا (كانوا خاسرين) قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رءوس أموالهم باتباعهم الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقى (ولكل) من الفريقين المذكورين (درجات مما عملوا) مراتب من أجزية ماعملوا من الخير والشر والدرجات غالبة فى مراتب المثوبة وايرادها ههنا بطريق التغليب (وليوفيهم أعمالهم) أى أجزية أعمالهم وقرىء بنون العظمة (وهم لا يظلمون) بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة اما حال مؤكدة للتوفية أو استئناف مقرر واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل مافعل من تقدير الاجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف أى قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة (أذهبتم طيباتكم) اى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرىء أأذهبتم بهمزتين وبألف بينهما على الاستفهام التوبيخى أى أصبتم وأخذتم ماكتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها (فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) فلم يبق لكم بعد ذلك شىء منها (فاليوم تجزون عذاب الهون) أى الهوان وقد قرىء كذلك (بما كنتم) فى الدنيا (تستكبرون فى الارض بغير الحق) بغير استحقاق لذلك (وبما كنتم تفسقون) أى تخرجون عن طاعة الله عز وجل أى بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرىء تفسقون بكسر السين (واذكر) أى لكفار مكة (أخا عاد) أى هودا عليه السلام (إذ أنذر قومه) بدل اشتمال منه أى وقت انذاره اياهم (بالأحقاف) جمع حقف وهو رمل مستطيل فيه مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشىء اذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) أى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر (من بين يديه) أى من قبله (ومن خلفه) أى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين أنذر قومه وبين قوله (أن لا تعبدوا الا الله) مسارعة الى ماذكر من التقرير

والتأكيد وايذانا باشتراكهم فى العبارة المحكية والمعنى اذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وأما جعلها حالا من فاعل أنذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام أنذرهم وقال لهم لا تعبدوا الا الله (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره فمع ما فيه من تكلف تقدير الاعلام لا بد فى نسبة الخلو الى من بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الخالى (قالوا أجئتنا لتأفكنا) أى تصرفنا (عن آلهتنا) عن عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب العظيم (ان كنت من الصادقين) فى وعدك بنزوله بنا (قال انما العلم) أى بوقت نزوله أو العلم بجميع الاشياء التى من جملتها ذلك (عند الله) وحده لا علم لى بوقت نزوله ولا مدخل لى فى اتيانه وحلوله وانما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به فى وقته المقدر له وأبلغكم ما أرسلت به من واجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرىء أبلغكم من الابلاغ (ولكنى أراكم قوما تجهلون) حيث تقترحون على ما ليس من وظائف الرسل من الاتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى (فلما رأوه) فصيحة والضمير امامبهم يوضحه قوله تعالى (عارضا) اما تمييزا أو حالا أو راجع الى ما استعجلوه بقولهم فائتنا بما تعدنا أى فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض فى افق السماء (مستقبل أوديتهم) أى متوجه أوديتهم والاضافة فيه لفظية كما فى قوله تعالى (قالوا هذا عارض ممطرنا) ولذلك وقعا وصفين للنكرة (بل هو) أى قال هود وقد قرىء كذلك وقرىء قل وهو رد عليهم أى ليس الامر كذلك بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب (ريح) بدل من ما أو خبر لمبتدا محذوف (فيها عذاب أليم) صفة لريح وكذا قوله تعالى (تدمر) أى تهلك (كل شىء) من نفوسهم وأموالهم (بأمر ربها) وقرىء يدمر كل شىء من دمر دمارا اذا هلك فالعائد الى الموصوف محذوف أو هو الهاء فى ربها ويجوز أن يكون استئنافا واردا لبيان أن لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بأمر بارئه وتكون الهاء لكل شىء لكونه بمعنى الاشياء وفى ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء فى قوله تعالى (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) فصيحة أى فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى الا مساكنهم وقرىء ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها الا مساكنهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الفظيع

(نجزى القوم المجرمين) وقد مر تفصيل القصة فى سورة الاعراف وقد روى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها فى الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى أن أول ماعرفوا به أنه عذاب ما رأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم انين ثم كشف الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة (ولقد مكناهم) أى قررنا عادا أو أقدرناهم وما فى قوله تعالى (فيما ان مكناكم فيه) موصولة أو موصوفة وان نافية أى فى الذى أو فى شىء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادى التصرفات كما فى قوله تعالى « ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الارض مالم نمكن لكم » ومما يحسن موقع ان ههنا التفصى عن تكرر لفظة ما وهو الداعى الى قلب ألفها هاء فى مهما وجعلها شرطية أو زائدة مما لا يليق بالمقام (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة) ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شئون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره (فما أغنى عنهم سمعهم) حيث لم يستعملوه فى استماع الوحى ومواعظ الرسل (ولا أبصارهم) حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة فى صحائف العالم (ولا أفئدتهم) حيث لم يستعملوها فى معرفة الله تعالى (من شىء) أى شيئا من الاغناء ومن مزيدة لا للتأكيد وقوله تعالى (اذ كانوا يجحدون بآيات الله) متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما أضيف اليه فأن قولك أكرمته اذا أكرمنى فى قوة قولك اكرمته لاكرامه لانك اذا أكرمته وقت اكرامه فانما أكرمته فيه لوجود اكرامه فيه وكذا الحال فى حيث (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين (ولقد أهلكنا ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) كررناها لهم (لعلهم يرجعون) لكى يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) القربان ما يتقرب به إلى

الله تعالى وأحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثانى آلهة وقرباناً حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قرباناً مفعولا ثانياً وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لابد فى غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب فى أن قولنا اتخذوهم من دون الله قرباناً أى متقرباً به مما لاصحة له قطعاً لأنه تعالى متقرب اليه لامتقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قرباناً متجاوزين الله فى ذلك وقرىء قرباناً بضم الراء (بل ضلوا عنهم) أى غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرهم لغيبتهم أوضاعوا عنهم أى ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور (وذلك) أى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم (إفكهم) أى أثر افكهم الذى هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة شركهم وقرىء افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرىء أفكهم على صيغة الماضى فذلك إشارة حينئذ إلى الاتخاذ أى وذلك الاتخاذ الذى هذه ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرىء افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال أى جعلهم آفكين وقرىء آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا إلى ضميرهم أى قولهم الآفك أى ذو الأفك كما يقال قول كاذب (وما كانوا يفترون) عطف على افكهم أى وأثر افترائهم على الله تعالى أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرىء وذلك افك مما كانوا يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الأفك (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك وقرىء صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو السر فى جمع الضمير فى قوله تعالى (يستمعون القرآن) وما بعده وهو حال مقدرة من نفراً لتخصصه بالصفة أو صفة أخرى له أى واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفراً كائنا من الجن مقدراً استماعهم القرآن (فلما حضروه) أى القرآن عند تلاوته أو الرسول عند تلاوته له على الالتفات والأول هو الأظهر (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أى اسكتوا لنسمعه (فلما قضى) أتم وفرغ من تلاوته وقرىء على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد عود ضمير حضروه اليه عليه الصلاة والسلام (ولوا إلى قومهم منذرين) مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم . روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ماهذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو ستة نفر من أشراف جن نصيبين أو نينوى

منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف . وعن سعيد بن جبير ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولارآهم وانما كان يتلوا فى صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لايشعر بهم فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفراً منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام « إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثاً فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال فانطلقنا حتي اذا كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون خط لى خطا فقال لاتخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديداً حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه حتى ماأسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئاً قلت نعم رجالا سودا مستشعرى ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثنى عشر ألفا » والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (قالوا) أى عند رجوعهم إلى قومهم (يا قومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) قيل قالوه لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقا لما بين يديه) أرادوا به التوراة (يهدى إلى الحق) من العقائد الصحيحة (وإلى طريق مستقيم) موصل اليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة (ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به) أرادوا به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة إلى الله تعالى بعد ما وصفوه بالهداية إلى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما دعوهم إلى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيبا لهم فى الاجابة ثم أكدوه بقولهم (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى خالص حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان (ويجركم من عذاب أليم) معد للكفرة واختلف فى أن لهم أجرا غير هذا أولا والاظهر أنهم فى حكم بنى آدم ثواباً وعذاباً وقوله تعالى (ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الأرض) ايجاب للاجابة بطريق الترهيب إثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين واظهار داعى الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين للمبالغة فى الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه فى الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى أعماقها وقوله تعالى (وليس له من دونه أولياء) بيان لاستحالة

نجاته بواسطة الغير إثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد كما أن الجمع فى قوله تعالى (أولئك) بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم اجابة داعى الله (فى ضلال مبين) أى ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن اجابة من هذا شأنه (أولم يروا) الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أى ألم يتفكروا ولم يعلموا علماً جازماً متاخماً للمشاهدة والعيان (أن الله الذى خلق السموات والأرض) ابتداء من غير مثال يحتذيه ولاقانون ينتحيه (ولم يعي بخلقهن) أى لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلا أو لم يعجز عنه يقال عييت بالأمر إذا لم يعرف وجهه وقوله تعالى (بقادر) فى حيز الرفع لأنه خبر أن كما ينبىء عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها فى القراءة الأولى اشتمال النفى الوارد فى صدر الآية على أن وما حيزها كأنه قيل أوليس الله بقادر (على أن يحيى الموتى) ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى (بل انه على كل شىء قدير) تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) ظرف عامله قول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) على أن الاشارة إلى ما يشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه إذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر فى سورة الأحزاب وقيل هى إلى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (قالوا بلى وربنا) أكدوا جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون فى الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما فى الدنيا وأنى لهم ذلك (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بها فى الدنيا ومعنى الأمر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء فى قوله تعالى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) جواب شرط محذوف أى إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولو الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد بأولى العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعادات الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة

صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين (ولا تستعجل لهم) أي لكفار مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم (كأنهم يوم يرون ما يوعدون) من العذاب (لم يلبثوا) في الدنيا (إلا ساعة) يسيرة (من نهار) لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى (بلاغ) خبر مبتدا محذوف أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرئ بلغ وقرئ بلاغا أي بلغوا بلاغا (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أي الخارجون عن الاتعاظ به أو عن الطاعة وقرىء بفتح الياء وكسر اللام وبفتحها من هلك وهلك وبنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا .

﴿ سورة محمد صلى الله عليه وسلم ﴾

﴿ وتسمى سورة القتال وهي مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ وآيها تسع أو ثمان وثلاثون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أي أعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدوداً أو منعوا الناس عن ذلك من صده صداً كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من أهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أي أبطلها واحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلا لكن لا بمعنى أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها فان ما كانوا يعملون من أعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها للايمان أو بطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سيأتي من قوله تعالى «فتعسا لهم وأضل أعمالهم» وقوله تعالى فاذا لقيتم الخ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قيل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنو أهل الكتاب وقيل عام للكل (وآمنوا بما نزل على محمد) خص بالذكر الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشأنه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وأنه الاصل في الكل

ولذلك اكد بقوله تعالى (وهو الحق من ربهم) بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل وأياما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرىء نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيآتهم) أى سترها بالايمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أى حالهم فى الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق (ذلك) اشارة إلى مامر من اضلال الاعمال وتكفير السيآت واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أى ذلك كائن بسبب أن الاولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا مافعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه أصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذى لامحيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا مافعلوا من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الأشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلاتدافع بين الاشعار والتصريح فى شيء من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل على مايقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذى لا أصل له أصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال أعمالهم وابطالها لبيان أن ابطالها لبطلان مبناها وزوالها واما حمله على مالا ينتفع به فليس كما ينبغى لما أن الكفر والصد أفحش منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من اضلال أعمالهم بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها فى الموقعين (كذلك) أى مثل ذلك الضرب البديع (يضرب الله) أى يبين (للناس أمثالهم) أى أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية فى الغرابة مجرى الامثال وهى اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء فى قوله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا) لترتيب مافى حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام أى فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم فى المحاربة (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له بأشنع صورة وتهويل

لامره وارشاد للغزاة الى أيسر ما يكون منه (حتى اذا أثخنتموهم) أى أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرىء بذلك (فأمامنا بعد واما فداء) أي فاما تمنون منا بعدذلك أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفدا وهذا ثابت عند الشافعي رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام أو ضرب العنق وقرىء فدا كعصا (حتى تضع الحرب أوزارها) أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى لا تقوم الا بها من السلاح والكراع وأسند وضعها اليها وهو لاهلها إسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي لاحد الامور الاربعة أو للمجموع والمعنى أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا تبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عليه السلام وأما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فان حمل الحرب على حرب بدر فهى غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وان حملت على الجنس فهى غاية للضرب والشد والمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثامها أى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلموا (ذلك) أى الامر ذلك أو افعلوا ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم ببعض أسباب الهلكة والاستئصال (ولكن) لم يشأ ذلك (ليبلو بعضكم ببعض) فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم على الكفر (والذين قتلوا فى سبيل الله) أى استشهدوا وقرىء قاتلوا اى جاهدوا وقتلوا وقتلوا (فلن يضل أعمالهم) أى فلن يضيعها وقرىء يضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت فى يوم أحد (سيهديهم) فى الدنيا الى أرشد الامور وفى الآخرة الى الثواب أو سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم) فى الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا اليها أو بينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله ويهتدى اليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أو حددها لهم وأفرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستأنفة

أو حال بإضمار قد أو بدونه (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله) أى دينه ورسوله (ينصركم) على أعدائكم و يفتح لكم (ويثبت أقدامكم) فى مواطن الحرب ومواقفها أو على محجة الاسلام (والذين كفروا فتعساً لهم) التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعاً أى فقال تعساً لهم أو فقضى تعساً لهم وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية الموصول (ذلك) أى ما ذكر من التعس و إضلال الأعمال (بأنهم) بسبب أنهم (كرهوا ما أنزل الله) من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم الأمارة بالسوء (فأحبط) لأجل ذلك (أعمالهم) التى لو كانوا عملوها مع الايمان لأثيبوا عليها (أفلم يسيروا فى الأرض) أى أقعدوا فى أماكنهم فلم يسيروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم المكذبة فان آثار ديارهم تنبىء عن أخبارهم وقوله تعالى (دمر الله عليهم) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به (وللكافرين) أى ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم (أمثالها) أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لا على أن لهؤلاء أمثال ما لأولئك وأضعافه بل مثله وإنما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الأمم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الأولين وقد قتلوا وأسروا بأيدى من كانوا يستخفونهم و يستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد ألماً من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة أمثالها (ذلك) إشارة إلى ثبوت أمثال عقوبة الأمم السالفة لهؤلاء (بأن الله مولى الذين آمنوا) أى ناصرهم على أعدائهم وقرىء ولي الذين (وأن الكافرين لا مولى لهم) فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى « ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق » فان المولى هناك بمعنى المالك (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الأنهار) بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الأخروية (والذين كفروا يتمتعون) أى ينتفعون فى الدنيا بمتاعها (ويأكلون كما تأكل الأنعام) غافلين عن عواقبهم (والنار مثوى لهم) أى منزل ثواء و إقامة والجملة إما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف (وكأين) كلمة مركبة من الكاف وأى بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى (من

قرية) تمييز لها وقوله تعالى (هى أشد قوة من قريتك) صفة لقرية كما ان قوله تعالى (التى أخرجتك) صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف وأجرى أحكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذى هو قوله تعالى (أهلكناهم) أى وكم من أهل قرية هم اشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم و وصف القرية الأولى بشدة القوة للايذان بأولوية الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما أن وصف الثانية باخراجه عليه الصلاة والسلام للايذان بأولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة :

لعمرى كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرج بالدم

وقوله تعالى (فلا ناصر لهم) بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الأعوان والأنصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية (أفمن كان على بينة من ربه) تقرير لتباين حالى فريقى المؤمنين والكافرين وكون الأولين فى أعلى عليين والآخرين فى اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين وجعلها عبارة عن النبى عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير أليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة و برهان نير من مالك أمره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية (كمن زين له سوء عمله) من الشرك وسائر المعاصى مع كونه فى نفسه أقبح القبائح (واتبعوا) بسبب ذلك التزيين (أهواءهم) الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ماهم عليه فضلا عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من كما أن افراد الاولين باعتبار لفظها (مثل الجنة التى وعد المتقون) استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية أنهارها التى أشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بأن الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذى هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيآت عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى (فيها أنهار) الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب لصدر النظم الكريم وقيل المثل زائدة كزيادة الاسم فى قول من قال : الى الحول ثم اسم السلام عليكما : والجنة مبتدأ خبره فيها

أنهار الخ (من ماء غير آسن) أى غير متغير الطعم والرائحة وقرىء غير أسن (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) بأن صار قارصا ولا خازرا كألبان الدنيا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هى تلذذ محض ولذة اما تأنيث بمعنى لذيذ أو مصدر نعت به مبالغة وقرىء لذة بالرفع على أنها صفة انهار وبالنصب على العلة أى لاجل لذة الشاربين (وانهار من عسل مصفى) لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى هذا تمثيل لما يجرى مجرى الاشربة فى الجنة بأنواع ما يستطاب منها ويستلذ فى الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها (ولهم فيها) مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات أى صنف من كل الثمرات (ومغفرة) أى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى (من ربهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى كائنة من ربهم وقوله تعالى (كمن هو خالد فى النار) خبر لمبتدا محذوف تقديره أمن هو خالد فى هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى «والنار مثوى لهم» وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن فى الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد فى النار فعرى عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار (وسقوا ماء حميما) مكان تلك الاشربة (فقطع أمعاءهم) من فرط الحرارة وقيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رءوسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم (ومنهم من يستمع اليك) هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظ من كما أن جمعه فيما سيأتى باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يرعونه حق رعايته تهاونا منهم (حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضى الله عنهم (ماذا قال آنفا) أى ما الذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا أو حال من الضمير فى قال وقرىء أنفا (أولئك) الموصوفون بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) لعدم توجههم نحو الخير أصلا (واتبعوا أهواءهم) الباطلة فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه (والذين اهتدوا) الى طريق الحق (زادهم) أى الله تعالى (هدى) بالتوفيق والالهام

(وآتاهم تقواهم) أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم مايتقون (فهل ينظرون الا الساعة) أى القيامة وقوله تعالى (أن تأتيهم بغتة) أى تباغتهم بغتة وهى المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى أنهم لا يتذكرون بذكر أحوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وماينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرىء بغتة بفتح الغين وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على معنى أنه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوالها رأسا ولم يعدوها من مبادى اتيانها فيكون اتيانها بطريق المفاجأة لامحالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهى العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم) حكم بخطئهم وفساد رأيهم فى تأخير التذكر الي اتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى « يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى » اى وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم على أن أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغته لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرى أن تأتيهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهرت أماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم (فاعلم أنه لااله الاالله) أى اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو الذى ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الاولى عبر عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيآت المقربين وارشاد له عليه الصلاة والسلام الي التواضع وهضم النفس واستقصار العمل (وللمؤمنين والمؤمنات) أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفى حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار (والله يعلم متقلبكم)فى الدنيا فانها مراحل لابد من قطعها لامحالة (ومثواكم) فى العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيها فبادروا الي الامتثال بما أمركم به فانه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها (ويقول الذين آمنوا) حرصا منهم على الجهاد (لولا نزلت سورة) أى هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) بطريق الامر به أى سورة مبينة لاتشابه ولا احتمال

فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال » عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرىء فاذا نزلت سورة وقرىء وذكر على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال (رأيت الذين في قلوبهم مرض) أي ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا كدأب من أصابته غشية الموت (فاولى لهم) أي فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه أو يؤل اليه أمرهم وقيل هو مشتق من الويل وأصله أويل نقلت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي أمرهم طاعة الخ اى طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبي يقولون طاعة وقول معروف اى امرنا ذلك (فاذا عزم الامر) أسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا كما في قوله تعالى « ان ذلك من عزم الامور » وعامل الظرف محذوف أي خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله) على طريقة قولك اذا احضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك أي فلو صدقوه تعالى فيما قالوه من الكلام المنبىء عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجبه (لكان) أي الصدق (خيرا لهم) وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه في الايمان وواطأت قلوبهم في ذلك ألسنتهم وأياما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى (فهل عسيتم) الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع أي أهل يتوقع منكم (ان توليتم) أمور الناس وتأمرتم عليهم (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا أطلقت أعنتكم وصرتم آمرين ماذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان أعرضتم عن الاسلام أن ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه أن الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لابد أن تكون محذوريته باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولاريب في ان الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه أن يجعل عمدة في التوبيخ لاوسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرىء وليتم على البناء للمفعول أي جعلتم ولاة وقرىء توليتم أي تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرىء

وتقطعوا من التقطع بحذف احدى التاءين فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار أى فى أرحامكم وقرىء وتقطعوا من القطع والحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن نفعل وعسى أن تفعلوا (أولئك) اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات ايذانا بأن ذكر هناتهم أوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره (الذين لعنهم الله) أى أبعدهم من رحمته (فأصمهم) عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم (وأعمى أبصارهم) لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الانفس والآفاق (أفلا يتدبرون القرآن) أى ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه ومافيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات (أم على قلوب أقفالها) فلا يكاد يصل اليها ذكر أصلا وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بابهام أمرها فى القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها فى القساوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرىء أقفلها وإقفالها على المصدر (ان الذين ارتدوا على أدبارهم) أى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الأفعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام (من بعد ما تبين لهم الهدى) بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين جميعا كفروا به عليه الصلاة والسلام بعد ما وجدوا نعته فى كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى (الشيطان سول لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لان أى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤل لاستمرار القلب فمعنى سول له أمرا حينئذ أوقعه فى أمنيته فأن السؤل الامنية وقرىء سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف أى كيد الشيطان (وأملى لهم) ومدلهم فى الامانى والآمال وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرى واملى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم قالوا وللحال أو للاستئناف وقرىء أملى لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد فى عمرهم (ذلك) إشارة إلى ماذكر من ارتدادهم لا إلى الأملاء كما نقل عن الواحدى ولا إلى التسويل كما قيل لأن شيئاً منهما ليس مسبباً عن القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أى بسبب أنهم (قالوا) يعنى المنافقين المذكورين لا اليهود

الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ماوجدوا نعته في التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين أو المشركين على رأى القائل بل من حين بعثته عليه الصلاة والسلام (للذين كرهوا مانزل الله) أى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسداً وطمعاً فى نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى (سنطيعكم فى بعض الأمر) عبارة قطعاً عما حكى عنهم بقوله تعالى «ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وان قوتلتم لننصرنكم» وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويوادونهم وأرادوا بالبعض الذى أشاروا إلى عدم إطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية اليه لما كان لهم فى اظهار الأيمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم مايقولون سراً كما يعرب عنه قوله تعالى (والله يعلم أسرارهم) أى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرىء أسرارهم أى جميع أسرارهم التي من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة والفاء فى قوله تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة) لترتيب مابعدها على ما ماقبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل فى الظرف كأنه قيل يفعلون فى حياتهم مايفعلون من الحيل فكيف يفعلون إذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى فكيف حالهم أو حيلتهم إذا توفتهم الخ وقرىء توفاهم على أنه إما ماض أو مضارع قد حذف إحدى تاءيه (يضربون وجوههم وأدبارهم) حال من فاعل توفتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على أهول الوجوه وأفظعها وعن ابن عباس رضى الله عنهما لايتوفى أحد على معصية إلا يضرب الملائكة وجهه ودبره (ذلك) التوفى الهائل (بأنهم) أى بسبب أنهم (اتبعوا ماأسخط الله) من الكفر والمعاصى (وكرهوا رضوانه) أى مايرضاه من الأيمان والطاعة حيث كفروا بعد الأيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود (فأحبط) لأجل ذلك (أعمالهم) التى عملوها حال ايمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التى لو عملوها حال الأيمان لانتفعوا بها (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مداراً لما نعى عليهم بقوله تعالى (أن لن يخرج الله أضغانهم)

فأم منقطعة وأن مخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف ولن بما فى حيزها خبرها. والأضغان جمع ضغن وهو الحقد أي بل أحسب الذين فى قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين أنه لن يخرج الله أحقادهم ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك مما لايكاد يدخل تحت الاحتمال (ولو نشاء) اراءتهم (لأريناكهم) لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات إلى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة (فلعرفتهم بسيماهم) بعلاماتهم التى نسمهم بها وعن أنس رضى الله عنه ماخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت فى المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الأراءة وأما مافى قوله تعالى (ولتعرفنهم فى لحن القول) فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو امالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطىء لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وإيذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنبلونكم) بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء (ونبلو أخباركم) مايخبر به عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرىء ويبلو بالياء وقرىء نبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو (إن الذين كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) بما شاهدوا نعته عليه الصلاة والسلام فى التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر (لن يضروا الله) بكفرهم وصدهم (شيأ) من الاشياء أو شيئاً من الضرر أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئاً وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط أعمالهم) أي مكايدهم التى نصبوها فى ابطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه الصلاة والسلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم)

حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله فى أصحاب القليب (فلا تهنوا) أى لا تضعفوا (وتدعوا الى السلم) أى ولا تدعوا الكفار الى الصلح خسورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار أن على جواب النهى وقرىء ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه تراءوا الهلال فان صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى «عما يتساءلون» على أحد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى (وأنتم الأعلون) جملة حالية مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجود الانتهاء وكذا قوله تعالى (والله معكم) فان كونهم الاعلين وكونه عز وجل ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لأجور الاعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ولن يتركم أعمالكم) أى ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فافردته عنه من الوتر الذى هو الفرد وعبر عن ترك الاثابة فى مقابلة الاعمال بالوتر الذى هو اضاعة شىء معتد به من الانفس والاموال مع أن الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة منزلة اضاعة أعظم الحقوق واتلافها وقد مر فى قوله تعالى « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم » (انما الحياة الدنيا لعب ولهو) لاثبات لها ولا اعتداد بها (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التى يتنافس فيها المتنافسون (ولا يسئلكم أموالكم) بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم (ان يسألكموها) أى أموالكم (فيحفكم) أى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج أضغانكم) أى أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة أو للبخل لانه سبب الاضغان وقرىء يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان (هاأنتم هؤلاء) أى أنتم أيها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين أى هاأنتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والانفاق فى سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) أى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على الشرطية السابقة (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى (والله الغنى) دون من عداه (وأنتم الفقراء) فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم

وان توليتم فعليكم وقوله تعالى (وان تتولوا) عطف على أن تؤمنوا أى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى (يستبدل قوما غيركم) يخلف مكانكم قوما آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم) فى التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن القوم وكان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة *

(سورة الفتح مدنية)

(نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية)

(وآيها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا فتحنا لك) فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحا بحراب أو بدونه فانه مالم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد أفعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروى عن أنس رضى الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما أتيح له عليه الصلاة والسلام فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام حين بلغه أن رجلا قال ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى الامان وقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبى نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة مالم يصب فى غزوة حيث أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم

من ذنبه وما تأخر وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة وهى أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عليه الصلاة والسلام من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عليه الصلاة والسلام من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله عنه وأياما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح (فتحا مبينا) بينا ظاهر الامر مكشوف الحال أو فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى (ليغفر لك الله) غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام فى اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بأن كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أي جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل (ويتم نعمته عليك) بأعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبيل الحق واستقامة مناهجه مالم يكن حاصلا قبل (وينصرك الله) اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى (نصرا عزيزا) أى نصرا فيه عزة ومنعة أو قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة أو عزيزا صاحبه (هو الذى أنزل السكينة) بيان لما أفاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمأنينة أى أنزلها (فى قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والأمن اظهارا لفضله تعالى عليهما بتيسير الأمن بعد الخوف (ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) أى يقينا منضما إلى يقينهم أو أنزل فيها السكون إلى ما جاء به عليه الصلاة السلام من الشرائع ليزدادوا ايمانا بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبى صلى الله عليه

وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا إيمانا مع ايمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله تعالى ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) يدبر أمرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم بجميع الامور (حكيما) فى تقديره وتدبيره وقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) متعلق بما يدل عليه ماذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أى دبر مادبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة (ويكفر عنهم سيآتهم) أى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة إلى ماهو المطلب الاعلى (وكان ذلك) أي ماذكر من الادخال والتكفير (عند الله فوزا عظيما) لايقادر قدره لانه منتهى مايمتد اليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفة فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا أى كائنا عند الله أى فى علمه تعالى وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطفا على يدخل وفى تقديم المنافقين على المشركين مالا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب (الظانين بالله ظن السوء) أى ظن الامر السوء وهو أن لاينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) أى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم وقرىء دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه مايراد ذمه من كل شىء وأما المضموم فجار مجرى الشر (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم) عطف على مااستحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع أن حقهما الفاء المفيدة لسببية ماقبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منهما فى الوعيد وأصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض (وساءت مصيرا) أى جهنم (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما) اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبىء عنه التعرض لوصف العزة (انا أرسلناك شاهدا) أى على أمتك لقوله تعالى «ويكون الرسول عليكم شهيدا» (ومبشرا) على الطاعة (ونذيرا) على المعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولامته (وتعزروه) وتقووه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه أو تصلوا له من السبحة (بكرة وأصيلا) غدوة

وعشيا عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرىء الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرىء وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاي المكسورة وقرىء بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره (ان الذين يبايعونك) أي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى (انما يبايعون الله) خبر ان يعني أن مبايعتك هي مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعني ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى «من يطع الرسول فقد أطاع الله» وقرىء انما يبايعون لله أي لاجله ولوجهه (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أي فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرىء بكسر الكاف (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) بضم الهاء فانه أبقي بعد حذف الواو توسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرىء بكسرها أي ومن وفى بعهده (فسيؤتيه أجرا عظيما) هو الجنة وقرىء بما عهد وقرىء فسنؤتيه بنون العظمة (سيقول لك المخلفون من الاعراب) هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام وساق معه الهدى ليعلم أنه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله تعالى اليه عليه الصلاة والسلام بأنهم سيعتلون ويقولون (شغلتنا أموالنا وأهلونا) ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرىء شغلتنا بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم في الاعتذار والاستغفار (قل) رداً لهم عند اعتذارهم اليك بأباطيلهم (فمن يملك لكم من الله شيئاً) أي فمن يقدر لأجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شيء من النفع (إن أراد بكم ضراً) أي ما يضركم من هلاك الأهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرىء ضراً بالضم (أو أراد بكم نفعا) أي ومن يقدر على شيء من الضرر إن أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فأي حاجة إلى التخلف لأجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق

للحق وردهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى (بل كان الله بما تعملون خبيرا) فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه أى ليس الأمر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الأعمال التى من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى (بل ظننتم) الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام أى بل ظننتم (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) بأن يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلأجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على تقدير تاء التأنيث وأما الأهالى فاسم جمع كالليالى وقرىء إلى أهلهم (وزين ذلك فى قلوبكم) وقبلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مبالين بهم وقرىء زين على البناء للفاعل باسناده إلى الله سبحانه أو إلى الشيطان (وظننتم ظن السوء) المراد إما الظن الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التى من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال (وكنتم قوما بورا) أى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع بائر كعائذ وعوذ أو فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته أى ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين (فانا أعتدنا للكافرين سعيرا) أى لهم وإنما وضع موضع الضمير الكافرون إيذاناً بأن من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيراً للتهويل أو لأنها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والأرض) وما فيهما يتصرف فى الكل كيف يشاء (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له (ويعذب من يشاء) أن يعذبه من غير دخل لأحد فى شىء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لأطماعهم الفارغة فى استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم (وكان الله غفوراً رحيما) مبالغاً فى المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء إلا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعاً (سيقول المخلفون) أى المذكورون وقوله تعالى (إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها) ظرف لما قبله لا شرط لما بعده أى سيقولون عند انطلاقكم إلى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما

وعدكم إياها وخصكم بها عوضاً مما فاتكم من غنائم مكة (ذرونا نتبعكم) إلى خيبر ونشهد معكم قتال أهلها (يريدون أن يبدلوا كلام الله) بأن يشاركوا في الغنائم التي خصها بأهل الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية في ذي الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالا كثيرة فخصها بهم حسبما أمره الله عز وجل وقرىء كلم الله وهو جمع كلمة وأياما كان فالمراد ماذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لأهل الحديبية خاصة لاقوله تعالى لن تخرجوا معي أبدا فان ذلك في غزوة تبوك (قل) اقناطا لهم (لن تتبعونا) أي لا تتبعونا فانه نفي في معنى النهي للمبالغة (كذلكم قال الله من قبل) أي عند الانصراف من الحديبية (فسيقولون) للمؤمنين عند سماع هذا النهي (بل تحسدوننا) أي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم في الغنائم وقرىء تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون) أي لا يفهمون (الا قليلا) أي الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دلقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل المفرط وسوء الفهم في أمور الدين (قل للمخلفين من الاعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم (ستدعون الى قوم أولي بأس شديد) هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون لقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) أي يكون أحد الامرين اما المقاتلة أبدا أو الاسلام لاغير كما يفصح عنه قراءة أو يسلموا وأما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل على امامة أبي بكر رضي الله عنه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح أنهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوة فيخص دوام نفي الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية (فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا) هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة (وان تتولوا) عن الدعوة (كما توليتم من قبل) في الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الأعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) أي في التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة (ومن يطع الله ورسوله) فيما ذكر من الاوامر والنواهي (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) وقرىء ندخله بنون العظمة (ومن يتول) أي عن الطاعة (يعذبه) وقرىء بالنون

(عذابا أليما) لايقادر قدره (لقد رضي الله عن المؤمنين) هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى (اذ يبايعونك تحت الشجرة) منصوب برضي. وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو بمحذوف هو حال من مفعوله روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعي رسولا الى أهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فأخبرهم انه عليه الصلاة والسلام لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال عليه الصلاة والسلام «لانبرح حتى نناجز القوم» ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على أن يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروى على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنتم اليوم خير أهل الارض» وكانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة وقوله تعالى (فعلم ما في قلوبهم) عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى بايعوك لاعلى رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فأنزل السكينة عليهم) عطف على رضي أي فأنزل عليهم الطمأنينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح (وأثابهم فتحا قريبا) هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرىء وآتاهم (ومغانم كثيرة يأخذونها) أي مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب على قراءة الاعمش وطلحة ونافع لتشريفهم في مقام الامتنان (وكان الله عزيزا) غالبا (حكيما) مراعيا لمقتضى الحكمة في أحكامه وقضاياه (وعدكم الله مغانم كثيرة) هي مايفيئه على المؤمنين الى يوم القيامة (تأخذونها) في أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها (فعجل لكم هذه) أي غنائم خيبر (وكف أيدي الناس عنكم) أي أيدي أهل خيبر وحلفائهم من بني أسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح (ولتكون آية للمؤمنين) أمارة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعده إياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة إما بمحذوف مؤخر أي ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو بما تعلق به علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أي فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس لتغتنموها ولتكون الخ قالوا وعلى الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة (ويهديكم) بتلك الآية (صراطا مستقيما) هو الثقة بفضل الله

تعالى والتوكل عليه فى كل ما تأتون وما تذرون (وأخرى) عطف على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد أحاط الله بها) صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة إلى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر إلى قدرتهم أى قد قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل ان أخرى منصوب بمضمر يفسره قد أحاط الله بها أى وقضى الله أخرى ولاريب فى أن الأخبار بقضاء الله إياها بعد اندراجها فى جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها » ليس فيه مزيد فائدة وإنما الفائدة فى بيان تعجيلها (وكان الله على كل شىء قديرا) لأن قدرته تعالى ذاتية لاتختص بشىء دون شىء (ولو قاتلكم الذين كفروا) أى أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر (لولوا الأدبار) منهزمين (ثم لايجدون ولياً) يحرسهم (ولا نصيراً) ينصرهم (سنة الله التى قد خلت من قبل) أى سن الله غلبة أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الأمم (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى تغييراً (وهو الذى كف أيديهم) أى أيدى كفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) أى فى داخلها (من بعد أن أظفركم عليهم) وذلك ان عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لاصلحاً (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم وهزمهم أولا والكف عنهم ثانياً لتعظيم بيته الحرام وقرىء بالياء (بصيرا) فيجازيكم بذلك أو يجازيهم (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى) بالنصب عطفاً على الضمير المنصوب فى صدوكم وقرىء بالجر عطفاً على المسجد بحذف المضاف أى ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى (معكوفاً) حال من الهدى أى محبوساً وقوله تعالى (أن يبلغ محله) بدل اشتمال من الهدى أو منصوب بنزع الخافض أى محبوساً من أن يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره وبه استدل أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروى أن خيامه صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهناك نحرت هداياه صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال ونساء وقوله تعالى (أن

تطؤهم) أي توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم منهم) أى من جهتهم (معرة) أى مشقة ومكروه كوجوب الدية أو الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والاثم بالتقصير فى البحث عنهم وهى مفعلة من عره إذا عراه ودهاه ما يكرهه (بغير علم) متعلق بأن تطؤهم أى غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى (ليدخل الله فى رحمته) متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى الى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعة بقسميها (من يشاء) وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها الأمن مستضعفين تحت أيدى الكفرة وأما الرحمة الأخروية فهم وإن كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين فى إقامة مراسم العبادة كما ينبغى فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الأتم إدخال لهم فى الرحمة الأخروية وقد جوز أن يكون من يشاء عبارة عمن رغب فى الاسلام من المشركين ويأباه قوله تعالى (لو تزيلوا) الخ فان فرض التنزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التنزيل حتما أى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرىء لو تزايلوا (لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) بقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها (اذجعل الذين كفروا) منصوب باذكر على المفعولية أو بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو أحسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى (فى قلوبهم الحمية) أى الانفة والتكبر متعلق به أو بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له أى جعلوها ثابتة راسخة فى قلوبهم (حمية الجاهلية) بدل من الحمية أى حمية الملة الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثانى على ما يدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتزايلوا فلم نعذب فأنزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسير له والسكينة الثبات والوقار روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام

ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ما هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم إنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) أي كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها أو كلمة أهلها (وكانوا أحق بها) متصفين بمزيد استحقاق لها على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل أحق بها من الكفار (وأهلها) أي المستأهل لها (وكان الله بكل شيء عليما) فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه (لقد صدق الله رسوله الرؤيا) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رءوسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت أي صدقه صلى الله عليه وسلم في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى (بالحق) اما صفة لمصدر مؤكد محذوف أي صدقا ملتبسا بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه أو حال من الرؤيا أي ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من أسماء الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف أي والله لتدخلن الخ وقوله تعالى (ان شاء الله) تعليق للعدة بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة او غير ذلك او هي حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لاصحابه (آمنين) حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى (محلقين رؤسكم ومقصرين) أي محلقا بعضكم ومقصرا آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة (لا تخافون) حال مؤكدة من فاعل لتدخلن أو آمنين أو محلقين أو مقصرين أو استئناف أي لا تخافون بعد ذلك (فعلم ما لم تعلموا) عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا (فجعل) لاجله (من دون ذلك) اي من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول

المسجد الحرام الخ (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف
ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما فى قوله تعالى مالم تعلموا عبارة
عن الحكمة فى تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فتأباه الفاء فان علمه تعالى بذلك
متقدم على اراءة الرؤيا قطعا (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى ملتبسا به أو
بسببه ولاجله (ودين الحق) وبدين الاسلام (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جنس
الدين بجميع أفراده التي هى الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة
بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الاديان
اذ ما من أهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين
لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم
ما يستقلون اليه فتح مكة (وكفى بالله شهيدا) على أن ما وعده كائن لا محالة أو على
نبوته عليه الصلاة والسلام باظهار المعجزات (محمد) خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى
(رسول الله) بدل أو بيان أو نعت أى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد
رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى
(والذين معه) مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأشداء جمع شديد
ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم
فى الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين» وقرىء
أشداء ورحماء بالنصب على المدح أو على الحال من المستكن فى معه لوقوعه صلة
فالخبر حينئذ قوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) أى تشاهدهم حال كونهم راكعين
ساجدين لمواظبتهم على الصلاة وهو على الاول خبر آخر واستئناف وقوله تعالى
(يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى ثوابا ورضا اما خبر آخر أو حال من ضمير
تراهم أو من المستتر فى ركعا سجدا أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم
على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ
(سيماهم) أى سمتهم وقرىء سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة
هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره (فى وجوههم) أى فى جباههم وقوله تعالى (من
أثر السجود) حال من المستكن فى الجار أى من التأثير الذى يؤثره كثرة السجود وما
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام «لا تعلبوا صوركم» أى
لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك
محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا

لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما يقال لهما ذوا الثفنات لما أحدثت كثرة سجودهما فى مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير قال قائلهم ديار على والحسين وجعفر، وحمزة والسجاد ذى الثفنات وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» وقرىء من آثار السجود ومن إثر السجود بكسر الهمزة (ذلك) اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شأنه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشأن الجارى فى الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى (فى التوراة) حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى (ومثلهم فى الانجيل) عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم فى التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى (كزرع أخرج شطأه) الخ تمثيل مستأنف أى هم كزرع أخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على أنه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى «ومثلهم فى الانجيل» على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم فى التوراة وقرىء شطأه بفتحات وقرىء شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الايزاء وهى الاعانة وقرىء فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد اى شد أزره وقوله تعالى (فاستغلظ) فصار غليظا بعد ما كان دقيقا (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقرىء سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه عليه الصلاة والسلام قلوا فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى (ليغيظ بهم الكفار) علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لما بعده من قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) فان الكفار اذا سمعوا بما أعد للمؤمنين فى الآخرة مع ما لهم فى الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ . ومنهم للبيان . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة .

(سورة الحجرات مدنية)
(وآيها ثماني عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها الذين آمنوا) تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن مافى حيزه أمر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به (لاتقدموا) أى لاتفعلوا التقديم على أن ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطى ويمنع أى يفعل الاعطاء والمنع أو لاتقدموا أمرا من الامور على أن حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول أوفى بحق المقام لافادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهانى وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرألا تقدموا بحذف احدى التاءين من تتقدموا وقرىء لاتقدموا من القدوم وقوله تعالى (بين يدى الله ورسوله) مستعار عمابين الجهتين المسامتتين ليدى الانسان تهجينالماهواعنه والمعنى لاتقطعوا أمرا قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكرالله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لدى النبى صلى الله عليه وسلم فى تأمير الاقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد (واتقوا الله) فى كل ماتأتون وماتذرون من الاقوال والافعال التى من جملتها مانحن فيه (ان الله سميع) لاقوالكم (عليم) بافعالكم فمن حقه أن يتقى ويراقب (ياأيها الذين آمنوالاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبى عليه الصلاة والسلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة فى الايقاظ والتنبه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أى لاتبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرىء لاترفعوا باصواتكم على أن الباء زائدة (ولاتجهروا له بالقول) اذا كلمتموه (كجهر بعضكم لبعض) أى جهرا كائنا كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هوالدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أبهة النبوة

وجلالة مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يا رسول الله والله لا أكلمك الا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كأخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أن تحبط أعمالكم) اما علة للنهى أى لا تجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما فى قوله تعالى «يبين الله لكم ان تضلوا» أو للمنهى اى لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكأنه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى «ليكون لهم عدواً وحزناً» وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم أن يؤدى اليه مما يجرى بينهم فى أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى «كجهر بعضكم لبعض» خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكرا محضا لم يقيد بشىء ولا ما يقع منهما فى حرب أو مجادلة معاند أو ارهاب عدو أو نحو ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس رضى الله عنه انه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه الصلاة والسلام فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وإنى رجل جهير الصوت فاخاف أن يكون عملى قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وأما ما يروى عن الحسن من أنها نزلت فى بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص (وأنتم لا تشعرون) حال من فاعل تحبط أى والحال أنكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الخ ترغيب فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به أى يخفضونها مراعاة للادب أو خشية من مخالفة النهى (أولئك) اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة

لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف أو للفعل باعتبار الأصل أو ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى فانها لاتظهر إلا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إبريزه من خبثه وعن عمر رضى الله عنه أذهب عنها الشهوات (لهم) فى الآخرة (مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر عظيم) لايقادر قدره والجملة إما خبر آخر لأن كالجملة المصدرة باسم الأشارة أو استئناف لبيان جزائهم إحماداً لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات) أى من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف مالو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرىء الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الأرض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات أمهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الأبعاض إلى الكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التى كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت اجلالا له عليه الصلاة والسلام وقيل إن الذى ناداه عيينة بن حصن الفزارى والأقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين رجلا من بنى تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يامحمد اخرج الينا وانما أسند النداء إلى الكل لانهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لانه وجد فيما بينهم (أكثرهم لايعقلون) إذلو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم) أى ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان أن وان دلت بما فى حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغنى قيامك وبلغنى أنك قائم وحتى تفيد أن الصبر ينبغى أن يكون مغيا بخروجه عليه الصلاة والسلام فانها مختصة بما هو غاية للشىء فى نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف إلى فانها عامة وفى اليهم إشعار بأنه لو خرج لالأجلهم ينبغى أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه اليهم (لكان) أى الصبر المذكور (خيراً لهم) من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الأدب

وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والأسعاف بالمسؤول إذ روى أنهم وفدوا شافعين فى أسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف (والله غفور رحيم) بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا وأصلحوا (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أى فتعرفوا وتفحصوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد بن عقبة أخا عثمان رضى الله عنه لأمه مصدقا إلى بنى المصطلق وكان بينه وبينهم أحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد ابن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفى ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل فى بعض المواد وقرىء فتثبتوا أى توقفوا الى أن يتبين لكم الحال (أن تصيبوا) حذار أن تصيبوا (قوما بجهالة) ملتبسين بجهالة حالهم (فتصبحوا) بعد ظهور براءتهم عما أسند اليهم (على مافعلتم فى حقهم (نادمين) مغتمين غما لازما متمنين أنه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام (واعلموا أن فيكم رسول الله) أن بما فى حيزها ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى (لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم) فانه حال من أحد الضميرين فى فيكم والمعنى أن فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة الخ وهى أنكم تريدون أن يتبع عليه الصلاة والسلام رأيكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهد والهلاك وفيه ايذان بأن بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق تصديقا لقول الوليد وأنه عليه الصلاة والسلام لم يطع رأيهم وأما صيغة المضارع فقد قيل إنها للدلالة على أن امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال أمر الايالة وانقلاب الرئيس مرءوسا لا من اطاعته فى بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على أن امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم فى ذلك فان المضارع المنفى قد يدل على استمرار النفى بحسب المقام كما فى نظائر قوله تعالى «ولاهم يحزنون» والتحقيق أن الاستمرار الذى تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بأن يعتبر الاستمرار فى نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به بيانا لما فيه الاستمرار وأخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد

وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولا ثم اعتبر استمراره فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان فان أريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التى يفصح عنها قوله تعالى «فى كثير من الامر» فالحق هو الاول ضرورة أن مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة فى أمر ما من تلك الامور الكثيرة أصلا أو بعدم وقوعها فى كلها مع وقوعها فى بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الامر فى وقت من الاوقات وقع العنت قطعا وان أريد به استمرار الطاعة الواقعة فى الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثانى فان مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة فى تلك الامور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة فى وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم أن الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه أوفق بالقياس المقتضى لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على أن اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه إذا تعذر الجريان على موجب القياس أو لم يكن فيه مزيد مزية كما فى مثل قوله تعالى «ولاهم يحزنون» حيث حمل على استمرار نفى الحزن عنهم اذ ليس فى نفى استمرار الحزن مزيد فائدة وأما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان) الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم عن أوصاف الاولين واحمادا لأفعالهم أى ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم (وزينه فى قلوبكم) حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال (وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من آثارها وأحكامها ولما كان فى التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كأنه قيل لم يكن ما صدر عنكم فى حق بنى المصطلق من خلل فى عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أى السالكون الى الطريق السوى الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذى فى قوله تعالى «وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله

فأولئك هم المضعفون» (فضلا من الله ونعمة) أن انعاماً تعليل لما حبب أو كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر أى جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا (والله عليم) مبالغ فى العلم فيعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أى تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى (فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء إلى حكم الله تعالى (فان بغت) أى تعدت (إحداهما على الأخرى) ولم تتأثر بالنصيحة (فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء) أى ترجع (إلى أمر الله) إلى حكمه أو إلى ما أمر به (فان فاءت) اليه وأقلعت عن القتال حذرا من قتالكم (فأصلحوا بينهما بالعدل) بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى يكون بينهما قتال فى وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد أكد ذلك حيث قيل (وأقسطوا) أى واعدلوا فى كل ما تأتون وما تذرون (إن الله يحب المقسطين) فيجازيهم أحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الأوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على أن الباغى لا يخرج بالبغى عن الايمان وأنه إذا أمسك عن الحرب ترك لأنه فىء إلى أمر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعي فى المصالحة (إنما المؤمنون إخوة) استئناف مقرر لما قبله من الأمر بالاصلاح أى انهم منتسبون إلى أصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الأبدية والفاء فى قوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) للايذان بأن الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافاً إلى المأمورين للمبالغة فى تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرىء بين إخوتكم وإخوانكم (واتقوا الله) فى كل ما تأتون وما تذرون من الأمور التي من جملتها ما أمرتم به من الاصلاح (لعلكم ترحمون) راجين أن ترحموا على تقواكم (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم) أى منكم (من قوم) آخرين أيضاً منكم وقوله تعالى (عسى أن يكونوا خيراً منهم) تعليل للنهى أو لموجبه أى عسى أن يكون المسخور منهم خيراً عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لأنهم القوام على النساء وهو فى الأصل إما جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر أو مصدر نعت به فشاع فى الجمع وأما تعميمه للفريقين فى مثل قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب أو لأنهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية فى المجامع

والتنكير إما للتعميم أو للقصد إلى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجرى بين بعض وبعض (ولا نساء) أي ولا تسخر نساء من المؤمنات (من نساء) منهن (عسى ان يكن) اى المسخور منهن (خيراً منهن) أي من الساخرات فان مناط الخيرية فى الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التى عليها يدور أمر السخرية غالباً بل إنما هو الأمور الكامنة فى القلوب فلا يجترىء أحد على استحقار أحد فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرىء عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هى ذات الخبر كما فى قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الأول فهى التى لا خبر لها (ولا تلمزوا أنفسكم) أي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة أو لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرىء بضم الميم (ولا تنابزوا بالألقاب) أى ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء فان النبز مختص به عرفاً (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الايمان أو اشتهارهم به فان الاسم هنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصاً إذ روى أن الآية نزلت فى صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام «هلا قلت ان أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام» أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) أى كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أى قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الامور المعاشية (ان بعض الظن اثم) تعليل للامر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقى والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثم الاعمال أى يكسرها (ولا تجسسوا) أى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى «وأنا لمسنا السماء» وقرىء بالحاء من الحس الذى هو

أثر الجس وغايته ولتقاربهما للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفى الحديث« لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته»(ولا يغتب بعضكم بعضا) أى لايذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال« أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته» وعن ابن عباس رضى الله عنهما« الغيبة ادام كلاب الناس»(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرى واسناد الفعل الى أحد ايذانا بأن أحدا من الأحدين لايفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول أخا للآكل وميتا واخراج تماثلها مخرج أمر بين غنى عن الاخبار به وقرىء ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء فى قوله تعالى (فكرهتموه) لترتيب مابعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرىء كرهتموه أى جبلتم على كراهته (واتقوا الله) بترك ماأمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل (ان الله تواب رحيم) مبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم. روى أن رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان أسامة على طعامه عليه الصلاة والسلام فقال ماعندى شيء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما «مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتناولنا لحما فقال عليه الصلاة والسلام انكما قد اغتبتما» فنزلت (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز أن يكون تأكيدا للنهى السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب (وجعلناكم شعوبا وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانسان فلا يعتزى أحد الى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء

والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب وقرىء لتتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) تعليل للنهى عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقى كأنه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرىء بان المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا تتفاخر بالانساب فقيل لان أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلا فعليه بالتقوى قال عليه الصلاة والسلام «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله» وقال عليه الصلاة والسلام «ياأيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله تعالى وفاجر شقى هين على الله تعالى» وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى (ان الله عليم) بكم وبأعمالكم خبير ببواطن أحوالكم (قالت الاعراب آمنا) نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدب فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه الصلاة والسلام مافعلوا (قل) رد الهم (لم تؤمنوا) اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والالما مننتم على ماذكرتم كما ينبىء عنه آخر السورة (ولكن قولوا أسلمنا) فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لاتقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهى عن التلفظ بالايمان وللتفادى عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) حال من ضمير قولوا أى ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لالسنتكم ومافى لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (وان تطيعوا الله ورسوله) بالاخلاص وترك النفاق (لا يلتكم من أعمالكم) لاينقصكم (شيأ) من أجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقرىء لايألتكم من الالت وهي لغة غطفان أو شيئا من النقص (ان الله غفور) لما فرط من المطيعين (رحيم) بالتفضيل عليهم (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى أن فيهم مايوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس فى حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل فهى كما فى قوله تعالى ثم استقاموا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فى طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة (هم

الصادقون) أي الذين صدقوا في دعوى الايمان لاغيرهم روى أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل أتعلمون الله بدينكم) أي أتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم (والله يعلم مافي السموات ومافي الارض) حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى (والله بكل شيء عليم) تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ماأخفوه من الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم (يمنون عليك أن أسلموا) أي يعدون اسلامهم منة عليك وهي النعمة التي لايطلب موليها ثوابا ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن (قل لاتمنوا على اسلامكم) أي لاتعدوا اسلامكم منة علي أولا تمنوا علي باسلامكم فنصب بنزع الخافض (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) على مازعمتم من أن الهداية لاتستلزم الاهتداء وقرىء ان هداكم واذ هداكم (ان كنتم صادقين) في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ماقبله أي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف مالا يخفى فانهم لما سموا ماصدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمى اسلاما قيل يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لوصح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية اليه لالهم (ان الله يعلم غيب السموات والارض) أي ماغاب فيهما (والله بصير بما تعملون) في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه مافي ضمائركم وقرىء بالياء « عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطي من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه »

﴿سورة ق مكية﴾

﴿ وهي خمس وأربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ق والقرآن المجيد) أي ذي المجد والشرف على سائر الكتب أولانه كلام المجيد أولان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذي فصل في مطلع سورة ص وقوله تعالى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي لأن جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك أو من جلدتهم إضراب عما ينبيء عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الأعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا

به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما أوفق شيء لقضية العقول وأقربه إلى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتي جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقيل هو اضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن انه لا مجد له ولكن لجهلهم (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارناً لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا إشارة إلى كونه عليه الصلاة والسلام منذراً بالقرآن واضمارهم أولا للاشعار بتعينهم بما أسند اليهم وإظهارهم ثانياً للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة على أن هذا إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر إما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم وإما للايذان بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو أشق منه فى قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأعرق فى كونه كفراً (أئذا متنا وكنا ترابا) تقرير للتعجب وتأكيد للانكار والعامل فى اذا مضمر غني عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه أى أحين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرىء إذا متنا على لفظ الخبر أو على حذف اداة الانكار (ذلك) إشارة إلى محل النزاع (رجع بعيد) أى عن الأوهام أو العادة أو الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ماينبىء عنه المنذر من البعث (قد علمنا ماتنقص الأرض منهم) رد لاستبعادهم وإزاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه إياهم أحياء كما كانوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وقيل ما تنقص الأرض منهم ما يموت فيدفن فى الأرض منهم (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد إما تمثيل علمه تعالى بكليات الأشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شيء أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة إلى بيان ماهو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة (لما جاءهم) من غير تأمل وتفكر وقرىء لما جاءهم بالكسر على أن اللام

للتوقيت أى وقت مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن أو الاخبار بالبعث (فهم فى أمر مريج) أى مضطرب لاقرار له من مرج الخاتم فى أصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن (أفلم ينظروا) أى أغفلوا أو أعموا فلم ينظروا (إلى السماء فوقهم) بحيث يشاهدونها كل وقت (كيف بنيناها) أى رفعناها بغير عمد (وزيناها) بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع (وما لها من فروج) من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل (والارض مددناها) أى بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بأن إلقاءها بارساء الارض بها (وأنبتنا فيها من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى) علتان للأفعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الأخير أو لفعل مقدر بطريق الاستئناف أى فعلنا مافعلنا تبصيراً وتذكيراً (لكل عبد منيب) أى راجع إلى ربه متفكر فى بدائع صنائعه وقوله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى كثير المنافع شروع فى بيان كيفية انبات ماذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على أنبتنا وما بينهما على الوجه الأخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على مابعده (فأنبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) كثيرة أى اشجاراً ذوات ثمار (وحب الحصيد) أى حب الزرع الذى شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالهما وتخصيص إنبات حبه بالذكر لأنه المقصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الأشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل (باسقات) أى طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرىء باصقات لاجل القاف (لها طلع نضيد) أى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف أو من ضميرها فى باسقات على التداخل أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى (ورزقا للعباد) أى لنرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفى تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى أنبتنا لان الانبات رزق (وأحيينا به) أى بذلك الماء (بلدة ميتا) أرضا جدبة لانماء فيها أصلا بأن جعلناها بحيث ربت وانبتت أنواع

النبات والازهار فصارت تهتز بها بعد ما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتها أى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وفى التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها (وأصحاب الرس) قيل هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل وقيل كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل (وثمود وعاد وفرعون) أى هو وقومه ليلا تم ما قبله وما بعده (وإخوان لوط) قيل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام (وأصحاب الأيكة) هم من بعث اليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين (وقوم تبع) سبق شرح حالهم فى سورة الدخان (كل كذب الرسل) أى فيما أرسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى أجمعوا عليه قاطبة أى كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع (فحق وعيد) أى فوجب وحل عليهم وعيدى وهي كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا بالخلق الاول) استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت أحوال المنكرين له من الامم المهلكة والعى بالامر العجز عنه يقال عى بالامر وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبىء عنه العى من القصد والمباشرة كأنه قيل أقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة (بل هم فى لبس من خلق جديد) عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه) أى ما

تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا أو للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أى أعلم بحاله ممن كان أقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريداً لان الروح ترده (اذ يتلقى المتلقيان) منصوب بما فى أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه الى ما لاشىء أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان مايتلفظ به وفيه ايذان بأنه تعالى غنى عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك لما فى كتبهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته تعالى بتفاصيل أحواله خبرا من زيادة لطف له فى الكف عن السيآت والرغبة فى الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام «ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعنيك لاتستحى من الله ولا منهما» وقد جوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب على معنى انا أقرب اليه مطلعون على أعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كما فى قول من قال:

رمانى بامر كنت منه ووالدى .. بريئا ومن أجل الطوى رمانى

وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما فى قوله تعالى «والملائكة بعد ذلك ظهير» (مايلفظ من قول) مايرمى به من فيه من خير أو شر وقرىء مايلفظ على البناء للمفعول (الا لديه رقيب) ملك يرقب قوله ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غنى عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر عنه لما أن كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبىء عنه قوله تعالى (عتيد) أى معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص «واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شىء حتى أنينه فى مرضه وقيل انما يكتبان مافيه أجر أو وزر وهو الاظهر كما ينبىء عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيآت

فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر» (وجاءت سكرة الموت بالحق) بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأزيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لامحالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضى ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء إما للتعدية كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى أحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذى نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لابد أن يكون لامحالة من الموت أو الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتي فى قوله تعالى «تنبت بالدهن» أى ملتبسة بالحق أى بحقيقة الامر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت والمعنى انها السكرة التى كتبت على الانسان بموجب الحكمة وأنها لشدتها توجب زهوق الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت (ذلك) أى الموت (ما كنت منه تحيد) أى تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من أفراده طبعا (ونفخ فى الصور) هي النفخة الثانية (ذلك) أى وقت ذلك النفخ على حذف المضاف (يوم الوعيد) أى يوم انجاز الوعيد الواقع فى الدنيا أو يوم وقوع الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعد أيضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة (وجاءت كل نفس) من النفوس البرة والفاجرة (معها سائق وشهيد) وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا أى معها ملكان أحدهما يسوقها الى المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيآت والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو فى حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس أو الجر على أنه وصف لنفس أو الرفع على أنه وصف لكل وقوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) محكي باضمار قول هو اما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى منها أو استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت فى غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب

للكافر وقرىء كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما فى قول جبلة بن حريث

يانفس انك باللذات مسرور .. فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير

(فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحجاب المغطى لأمور المعاد وهو الغفلة والانهماك فى المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع للابصار وقرىء بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة (وقال قرينه) أى الشيطان المقيض له مشيرا اليه (هذا مالدى عتيد) أى هذا ماعندى وفى ملكتى عتيد لجهنم قد هيأته لها بأغوائى واضلالى وقيل قال الملك الموكل به مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهى بدل منها أو خبر لمبتدا محذوف (ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال:

فان تزجرانى يا ابن عفان أنزجر .. وان تدعانى أحم عرضاً ممنعاً

أو على أن الالف بدل من نوع التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرىء ألقين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه منه (معتد) ظالم متخطٍ للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله الها آخر) مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره (فألقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار وقوله تعالى فألقياه تكرير للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) أى الشيطان المقيض له وانما استؤنف استئناف الجمل الواقعة فى حكاية المقاولة لما أنه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى (ربنا ما أطغيته) فانه منبىء عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كأنه قال هو أطغانى فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الأولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على ان الجمع بين مفهوميهما فى الحصول أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان) هو بالذات (فى ضلال بعيد) من الحق فأعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر وإلجاء كما فى قوله تعالى «وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى» (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال (لا تختصموا لدى) أى فى موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة فى ذلك (وقد قدمت اليكم بالوعيد) على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلا

تطمعوا فى الخلاص عنه بما أنتم فيه من التعالل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم أنى قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى (مايبدل القول لدى) الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول أو الفاعل أى وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا أن أبدل وعيدى والعفو عن بعض المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى (وما انا بظلام للعبيد) وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلى وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما أشير اليه آنفا أى وما أنا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم مع أن تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة أهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جىء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلىء أو انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرىء يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد والمجيد أو مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر أو أنذر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أى يكون من الاحوال والاهوال ما يقصر عنه المقال (وأزلفت الجنة للمتقين) شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجىء النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ أى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى (غير بعيد) تأكيد للازلاف أى مكانا غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أى شيئا غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير

لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان (هذا ما توعدون) اشارة الى الجنة والتذكير لما أن المشار اليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فانهما من أحكام اللفظ العربى كما مر فى قوله تعالى «فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى» وقوله تعالى «ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله» ويجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب وقيل الى مصدر أزلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من المتقين أو من الجنة والعامل أزلفت أى مقولا لهم أو مقولا فى حقها هذا ماتوعدون (لكل أواب) أى رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار (حفيظ) حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أواب ولا يجوز أن يكون فى حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذى أو مبتدأ خبره (ادخلوها) بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى أو مفعوله أو صفة لمصدره أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب عنه أو هو غائب عن الاعين لايراه أحد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشارة بانهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته أو بأن علمهم بسعة رحمته تعالى لايصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى «نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم» ووصف القلب بالانابة لما أن العبرة برجوعه إلى الله تعالى (بسلام) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم أو بسلام من جهة الله تعالى وملائكته (ذلك) اشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ماذكر من الامور (يوم الخلود) اذلا انتهاء له أبدا (لهم مايشاؤن) من فنون المطالب كائنا ما كان (فيها) متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عائده المحذوف من صلته (ولدينا مزيد) هو مالا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات التى لاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قومك (من قرن هم أشد منهم بطشا) أى قوة كعاد وأضرابها

(فنقبوا فى البلاد) أى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا فى أقطارها أو جالوا فى أكناف الارض كل مجال حذار الموت وأصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب قيل هى عاطفة فى المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرىء بالتخفيف (هل من محيص) أى هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا أى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص أو على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول أو هو كلام مستأنف وارد لنفى أن يكون لهم محيص . وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة أى ساروا فى مسايرهم وأسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ويعضده القراءة على صيغة الأمر وقرىء فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أى أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف إبلهم (ان ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر فى السورة (لذكرى) لتذكرة وعظة (لمن كان له قلب)أى قلب سليم يدرك به كنه مايشاهده من الأمور ويتفكر فيها كما ينبغى فان من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير (أو ألقى السمع) أى إلى مايتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الأمر فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فان إلقاء السمع لايجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لأن من لايحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بأن من عرى قلبه عنها كمن لاقلب له أصلا (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما) من أصناف المخلوقات (فى ستة أيام وما مسنا) بذلك مع كونه مما لايفى به القوى والقدر (من لغوب) من إعياء ما ولا تعب فى الجملة وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيراً (فاصبر على مايقولون) أى مايقوله المشركون فى شأن البعث من الأباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الأفاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو مايقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) أى نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى أخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامداً له تعالى

على ما أنعم به عليك من إصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل (وأدبار السجود) وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت معناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلي بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات (واستمع) أى لما يوحي اليك من أحوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به (يوم ينادى المنادى) أى اسرافيل أو جبريل عليهما السلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) بحيث يصل نداؤه إلى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البدء (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادى الخ وهى النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف ما يدل عليه قوله تعالى (ذلك يوم الخروج) أى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور (إنا نحن نحيي ونميت) فى الدنيا من غير أن يشاركنا فى ذلك أحد (والينا المصير) للجزاء فى الآخرة لا إلى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا (يوم تشقق الأرض عنهم) بحذف إحدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق (سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع وسوق (علينا يسير) أى هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى (نحن أعلم بما يقولون) من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لا خير فيه (وما أنت عليهم بجبار) بمتسلط تقسرهم على الايمان أو تفعل بهم ما تريد وانما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وأما من عداهم فنحن نفعل بهم ما توجبه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب « عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

﴿سورة والذاريات مكية﴾

﴿وآيها ستون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والذاريات ذروا) أى الرياح التى تذروا التراب وغيره وقرئ بادغام

التاء فى الذال (فالحاملات وقراً) أى السحب الحاملة للمطر أو الرياح الحاملة للسحب وقرىء وقراً على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسرا) أى السفن الجارية فى البحر أو الرياح الجارية فى مهابها أو السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح أو الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسراً صفة لمصدر محذوف أى جرياً ذا يسر (فالمقسمات أمرا) أى الملائكة التى تقسم الأمور من الأمطار والأرزاق وغيرها أو السحب التى يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجرى فى الجو جرياً سهلا وتقسم الأمطار بتصريف السحاب فى الأقطار فان حملت الأمور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الأقسام باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة وإلا فهى لترتيب ما صدر عن الريح من الأفاعيل فانها تذر والأبخرة إلى الجو حتى تنعقد سحابا فتجرى به باسطة له إلى ما أمرت به فتقسم المطر وقوله تعالى (إنما توعدون لصادق وان الدين لواقع) جواب للقسم وفى تخصيص الأمور المذكورة بالاقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث إنها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة أو مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا. والدين الجزاء ووقوعه حصوله (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هى المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطرائق والمراد إما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب أو المعقولة التى يسلكها النظار والنجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهى إما جمع حباك أو حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرىء الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل (إنكم لفى قول مختلف) أى متخالف متناقض وهو قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام تارة شاعر وأخرى ساحر وأخرى مجنون وفى شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى سحر وأخرى أساطير وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من أن قول الكفرة لا يكون مستوياً إنما هو متناقض مختلف وقيل النكتة فى هذا القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك (يؤفك عنه من أفك) أى يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة

والسلام من صرف إذ لا صرف أفظع منه وأشد وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من أفك عن ذلك القول وقرىء من أفك أى من أفك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى «قتل الانسان ما أكفره» وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرىء قتل الخراصين أى قتل الله (الذين هم فى غمرة) من الجهل والضلال (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون أيان يوم الدين) أى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرىء إيان بكسر الهمزة (يوم هم على النار يفتنون) جواب للسؤال أى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز أن يكون يوم خبرا لمبتدا محذوف أى هو يوم هم الخ والفتح لاضافته إلى غير متمكن ويؤيده أنه قرىء بالرفع (ذوقوا فتنتكم) أى مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى (هذا الذى كنتم به تستعجلون) جملة من مبتدا وخبر داخلة تحت القول المضمر أى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذى صفته (إن المتقين فى جنات وعيون) لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها (آخذين ما آتاهم ربهم) أى قابلين لما أعطاهم راضين به على معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول (انهم كانوا قبل ذلك) فى الدنيا (محسنين) أى لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغى فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما أشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل على أن قليلا ظرف أو كانوا يهجعون هجوعاً قليلا على أنه صفة للمصدر وما مزيدة فى الوجهين ويجوز أن تكون مصدرية أو موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اى كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وفيه مبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم بذكر القليل والليل الذى هو وقت الراحة والهجوع الذى هو الفرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون من الليل قليلا بل يحيونه كله لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها (وبالاسحار هم يستغفرون) أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الاسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الأحقاء بان

يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه (وفي أموالهم حق) أي نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس (للسائل والمحروم) للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة (وفي الارض آيات للموقنين) أي دلائل واضحة على شؤنه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين في أقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بألوان النبات وأنواع الاشجار وأصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في صحتهم واعتلالهم (وفي أنفسكم)أي وفي أنفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الاوفي الانفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (أفلا تبصرون) أي ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة (وفي السماء رزقكم) أي أسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات (وما توعدون) من الثواب لان الجنة في السماء السابعة أو لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء وقيل انه مبتدا خبره قوله تعالى (فورب السماء والارض انه لحق) على أن الضمير لما وأما على الاول فاماله واما لما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه مستعار لاسم الاشارة (مثل ما أنكم تنطقون) أي كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لاتشكوا في حقيته ونصبه على الحالية من المستكن في لحق أو على أنه وصف لمصدر محذوف أي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة عن شيء وأن بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم)تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم عليه السلام أو لانهم كانوا في حسبانه كذلك (المكرمين) أي المكرمين عند الله تعالى أو عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته (اذ دخلوا عليه) ظرف للحديث أو لما في الضيف من معنى الفعل

أو المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم (فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما (قال) أى ابراهيم (سلام) أى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه الصلاة والسلام أحسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرىء سلم وقرىء منصوبا والمعنى واحد (قوم منكرون) أنكرهم عليه الصلاة والسلام للسلام الذى هو علم الاسلام أو لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس أو لان أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه الصلاة والسلام انما قاله فى نفسه من غير أن يشعرهم بذلك لا أنه خاطبهم به جهرا أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل والا لكشفوا أحوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه الصلاة والسلام لمقدمات الضيافة (فراغ الى أهله) أى ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من أدب المضيف ان يبادره بالقرى ويبادر به حذارا من أن يكفه ويعذره أو يصير منتظرا والفاء فى قوله تعالى (فجاء بعجل سمين) فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما فى قوله تعالى «فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق» أى فذبح عجلا فحنذه فجاء به (فقربه اليهم) بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد (قال ألا تأكلون) إنكارا لعدم تعرضهم للاكل (فأوجس منهم) أضمر فى نفسه (خيفة) لتوهم أنهم جاءوا للشر وقيل وقع فى قلبه أنهم ملائكة جاءوا للعذاب (قالوا لا تخف) قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه) وفى سورة الصافات وبشرناه أى بواسطتهم (بغلام) هو اسحق عليه السلام (عليم) عند بلوغه واستوائه (فأقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم (فى صرة) فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية أو المفعولية ان جعل أقبلت بمعنى أخذت كما يقال أقبل يشتمنى (فصكت وجهها) أى لطمته من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك القول الكريم (قال ربك) وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا أنا نقوله من تلقاء أنفسنا (انه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة « روى أن جبريل عليه السلام قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام أيضا حسبما شرح فى سورة الحجر وانما لم يذكرهها اكتفاء بما ذكر هنالك كما أنه لم يذكر هنالك سارة اكتفاء بما ذكرههنا وفى سورة هود (قال) أى ابراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا

لأمر (فما خطبكم) أي شأنكم الخطير الذي لاجله أرسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون
قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم) أي بعد ماقلبنا
قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة (حجارة من طين) أي
طين متحجر هو السجيل (مسومة) مرسلة من أسمت الماشية أي أرسلتها أو معلمة من
السومة وهي العلامة وقدمر تفصيله في سورة هود (عند ربك للمسرفين) المجاوزين
الحد في الفجور وقوله تعالى (فأخرجنا) الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم
لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ماجرى بين الملائكة وبين ابراهيم عليه
السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع
أخر كانه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك الخ (من كان فيها) أي
في قرى قوم لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها (من المؤمنين) ممن آمن بلوط (فما
وجدنا فيها غير بيت) أي غير أهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان
لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها) أي في القرية (آية) أي علامة
دالة على ما أصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار أو صخر منضود فيها أو ماء
منتن (للذين يخافون العذاب الاليم) أي من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة
قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية
(وفي موسى) عطف على قوله تعالى وفي الارض أو على قوله تعالى « وتركنا فيها آية »
على معنى وجعلنا في موسى آية كقول من قال « علفتها تبنا وماء باردا » (اذ أرسلناه)
قيل هو منصوب بآية وقيل بمحذوف أي كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا (الى فرعون
بسلطان مبين) هو ماظهر على يديه من المعجزات الباهرة (فتولى بركنه) أي فأعرض
عن الايمان به وازور كقوله تعالى « ونأى بجانبه » وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه
وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء وقرىء بركنه بضم الكاف (وقال ساحر)
أي هو ساحر (أو مجنون) كأنه نسب ماظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من
الخوارق العجيبة الى الجن وتردد في أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم) وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية
قماءة فرعون وقومه مالا يخفى (وهو مليم) أي آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان
والجملة حال من الضمير في فأخذناه (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وصفت
بالعقم لانها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر أو
القاح شجر وهي النكباء أو الدبور أو الجنوب (ماتذر من شيء أتت عليه) أي جرت

عليه (الا جعلته كالرميم) هو كل مارم وبلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) وهو قوله تعالى « تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام » قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب (فعتوا عن أمر ربهم) أى فاستكبروا عن الامتثال به (فأخذتهم الصاعقة) قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم الصيحة فهلكوا وقرىء الصعقة وهى المرة من الصعق (وهم ينظرون) اليها ويعاينونها (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى « فأصبحوا فى دارهم جاثمين » (وما كانوا منتصرين) لغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح فان ماقبله يدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفا على محل فى عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فأخذناه (من قبل) أى من قبل هؤلاء المهلكين (انهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصى (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة (وإنا لموسعون) لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الارض أو الرزق (والارض فرشناها) مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شىء) أى من الاجناس (خلقنا زوجين) أى نوعين ذكرا وأنثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله كى تتذكروا فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى (ففروا الى الله) مقدر بقول خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ماحكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار اليها كأنه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذى هذه شؤنه بالايمان والطاعة كى تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله الخ وقوله تعالى (انى لكم منه نذير مبين) تعليل للامر بالفرار اليه تعالى أو لوجوب الامتثال به فان كونه عليه الصلاة والسلام منذرا منه تعالى موجب عليه عليه الصلاة والسلام أن يأمرهم بالفرار اليه وعليهم أن يمتثلوا به أى انى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا منه تعالى أو مظهر لما يجب اظهاره من العذاب

المنذر به وفى أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه عليه الصلاة والسلام ينذرهم من جهته تعالى لامن تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى (ولاتجعلوا مع الله إلها آخر) نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى (انى لكم منه) أى من الجعل المنهى عنه (نذير مبين) فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الافرار يقال فر منه أى هرب و أفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقادا أوقولا إلها آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لابطريق التكرير كما قيل بل بالنهى عن سببه وايجاب الفرار منه (كذلك) أى الامر مثل ماذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا أومجنونا وقوله تعالى (ماأتى الذين من قبلهم) الخ تفسير له أى ماأتاهم (من رسول) من رسل الله (الا قالوا) فى حقه (ساحر أومجنون) ولاسبيل الى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل مابعد ماالنافية فيما قبلها (أتواصوا به) انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لاتكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوه بها أى أوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى (بل هم قوم طاغون) اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه أمرا أقبح من التواصى وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لابموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم (فتول عنهم) فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاباء (فما أنت بملوم) على التولى بعد مابذلت المجهود وجاوزت فى الابلاغ كل حد معهود (وذكر) أى افعل التذكير والموعظة ولاتدعهما بالمرة أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر (فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى الذين قدر الله تعالى ايمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة فى اليقين (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه الصلاة والسلام إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الانس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ماهى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ماهو غرض له فان استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما

لانزاع فيه قطعاً كيف لاوهى رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وانما الذى لايليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه إلى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كمالية يفضى اليها فعل الفاعل الحق فغير منفى من أفعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفى فى تحقق معنى التعليل على مايقوله الفقهاء ويتعرفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما إرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخالف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادى وتآخذ المقدمات الموصلة اليها لايمنع كونها غاية كما فى قوله تعالى «كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور» ونظائره وقيل المعنى إلا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعالى «وماأمروا إلا ليعبدوا الها واحداً» وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد بقوله تعالى «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والأنس» أشقياؤهما ، يعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والأنس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوى معناه إلا ليعرفون ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لاما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة (ماأريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعالياً عن أن يكون كشأن السادة مع عبدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم أى ماأريد أن أصرفهم فى تحصيل رزقى ولا رزقهم بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى (ان الله هو الرزاق) الذى يرزق كل مايفتقر إلى الرزق وفيه تلويح بأنه غنى عنه وقرىء إنى أنا الرزاق (ذو القوة المتين) بالرفع على أنه نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر لمضمر وقرىء بالجر على أنه وصف للقوة على تأويل الاقتدار أو الأيد (فأن للذين ظلموا) أى ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضعوا مكان التصديق تكذيباً وهم أهل مكة (ذنوباً) أى نصيباً وافراً من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل أنصباء نظرائهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) أى لا يطالبوا منى أن أعجل فى المجيء به

يقال استعجله أي حثه على العجلة وأمره بها. ويقال استعجله أي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى «أتى أمر الله فلاتستعجلوه» وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعاراً بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيما كما أن الفاء الأولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك ومن في قوله تعالى (من يومهم الذي يوعدون) للتعليل أي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب بما في صدر السورة الكريمة الآتية والأول هو الأوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي « عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

﴿سورة الطور مكية﴾

﴿وآيها تسع أو ثمان وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والطور) الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى (وكتاب مسطور) مكتوب عن وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد القرآن أو الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور أوما يكتب في اللوح أومايكتبه الحفظة (في رق منشور) الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للاشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس (والبيت المعمور) أي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة (والسقف المرفوع) أي السماء ولايخفى حسن موقع العنوان المذكور (والبحر المسجور) أي المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى «واذا البحار سجرت» فالمراد به الجنس روي أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة نارا يسجر بها نار جهنم (ان عذاب ربك لواقع) أي لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى (ماله من دافع) اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها أمور عظام تنبيء عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على احاطته تعالى بتفاصيل أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التي من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى (يوم تمور السماء

مورا) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبيء عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد فى المجيء والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحا وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف أجزاؤها (وتسير الجبال سيرا) أى تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أى مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) أى اذا وقع ذلك أو إذا كان الامر كما ذكر فويل يوم اذ يقع ذلك لهم (الذين هم فى خوض) أى اندفاع عجيب فى الاباطيل والاكاذيب (يلعبون) يلهون (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) أى يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى أقدامهم فيدفعوا الى النار وقرىء يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم اما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى (أفسحر هذا) توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحرا كانه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحرا فهذا أيضا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ (أم أنتم لا تبصرون) أى ام انتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أوام سدت أبصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها فاصبروا أولا تصبروا) أى ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه (سواء عليكم) أى الامر ان فى عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى (انما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع (ان المتقين فى جنات ونعيم) أى فى أية جنات وأى نعيم على أن التنوين للتفخيم أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع (فاكهين) ناعمين متلذذين (بما آتاهم ربهم) وقرىء فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبران أو حال باضمار قد إما من المستكن فى الخبر أو فى الحال واما من فاعل آتى او من مفعوله أو منهما. واظهار الرب فى موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا واشربوا) أى يقال لهم كلوا واشربوا أكلا وشربا (هنيئا) أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا أى هنأكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه (متكئين على سرر مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) وقرىء بحور عين على اضافة الموصوف

الى صفته بالتأويل المشهور وقرىء بعين عين والباء مع ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى (والذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم فى الايمان وهو مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى (واتبعتهم ذريتهم) عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى (بأيمان) متعلق بالاتباع أى اتبعتهم ذريتهم بايمان فى الجملة قاصر عن رتبة إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم فى الايمان الكامل أصالة لا إلحاقا وقرىء ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرىء وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقرىء اتبعتهم (ألحقنا بهم ذريتهم) أى فى الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال «إنه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية» (وما ألتناهم) وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق (ومن عملهم) من ثواب عملهم (من شىء) بأن أعطينا بعض مثوباتهم أبناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وإنما رفعناهم إلى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرىء ألتناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والأول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وأخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بالايمان متعلق بما بعده أى بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم أو بسبب إيمان دانى المنزلة وهو إيمان الذرية كأنه قيل بشىء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم (كل امرىء بما كسب رهين) قيل هو فعيل بمعنى مفعول والمعنى كل امرىء مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فان عمله فكه وإلا أهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرىء بما كسب راهن أى دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فان الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شىء فالجملة تعليل لما قبلها (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء وألوان الآلاء (يتنازعون فيها) أى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبىء عنه التعبير عن ذلك بالتنازع (كأسا) أى

خمراً تسمية لها باسم محلها (لا لغو فيها) أى فى شربها حيث لايتكلمون فى أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام (ولا تأثيم) ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب إلى الاثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون مايفعله الكرام وقرىء لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح (ويطوف عليهم) أى بالكأس (غلمان لهم) أى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ مكنون) مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» وعنه عليه الصلاة والسلام «ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك» (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أى يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله واعماله فيكون كل بعض سائلا ومسئولا لا انه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً (قالوا) أى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة (انا كنا قبل) أى فى الدنيا (فى اهلنا مشفقين) أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة أو التوفيق للحق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرىء ووقانا بالتشديد (إنا كنا من قبل ندعوه) اى نعبده او نسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) الكثير الرحمة الذى إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرىء أنه بالفتح بمعنى لأنه (فذكر) فاثبت على ما أنت عليه من التذكير لما انزل اليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الأباطيل (فما أنت بنعمة ربك) بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون (ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) وهو ما يقلق النفوس ويشخصها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع أى بل أيقولون ننتظر به نوائب الدهر (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة بأهلاكهم (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) أى بهذا التناقض فى المقال فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر الاحلام بذلك مجاز عن أدائها اليه (أم هم قوم

طاغون) مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لايحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرىء بل هم (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الاباطيل التى لا يخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم الا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الامم من العرب والعجم (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى (ان كانوا صادقين) فيما زعموا فان صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام فى البشرية والعربية مع مابهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والايام ولاريب فى أن القدرة على الشىء من موجبات الاتيان به ودواعى الامر بذلك (أم خلقوا من غير شىء) أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لاشىء من عبادة وجزاء (أم هم الخالقون) لانفسهم فلذلك لايعبدون الله سبحانه (أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون) أى إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا والا لما أعرضوا عن عبادته (أم عندهم خزائن ربك) أى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاءوا ويمسكوها عمن شاءوا أو أعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره (أم هم المسيطرون) أى الغالبون على الامور يدبرونها كيفما شاءوا حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرىء المسيطرون بالصاد لمكان الطاء (أم لهم سلم) منصوب الى السماء (يستمعون فيه) صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من الامور التى يتقولون فيها رجما بالغيب ويعلقون بها أطماعهم الفارغة (فليأت مستمعهم) بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه (أم له البنات ولكم البنون) تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رأيه لايكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى الى عالم الملكوت والتطلع على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما فى أم المنقطعة من الانكار والتوبيخ (أم تسألهم أجرا) رجوع الى خطابه عليه الصلاة والسلام واعراض عنهم أى بل أتسألهم أجرا على تبليغ الرسالة (فهم من مغرم) من التزام غرامة فادحة (مثقلون) يحملون الثقل فلذلك لا يتبعونك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب (فهم يكتبون)

ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي أو أثبات (أم يريدون كيدا) هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة (فالذين كفروا) هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أوليا (هم المكيدون) أي هم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته (أم لهم إله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون) أي عن اشراكهم أو عن شركة ما يشركونه (وان يروا كسفا) قطعة (من السماء ساقطا) لتعذيبهم (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا) وقرئ حتى يلقوا (يومهم الذي فيه يصعقون) على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أو من أصعقته وقرئ يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها الا من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيأ) أي شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما دبروه في أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الاولى فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما تأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم (ولا هم ينصرون) من جهة الغير في دفع العذاب عنهم (وان للذين ظلموا) أي لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل أي وان لهؤلاء الظلمة (عذابا) آخر (دون ذلك) دون ما لاقوه من القتل أي قبله وهو القحط الذي أصابهم سبع سنين أو وراءه كما في قوله ❊ تريك القذى من دونها وهو دونها ❊ وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا أولا يعلمون شيئا أصلا (فاصبر لحكم ربك) بامهالهم الى يومهم الموعود وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم (فانك بأعيننا) أي في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتناء بالحفظ (وسبح) أي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا (بحمد ربك) على نعمائه الفائتة للحصر (حين

تقوم) من أي مكان قمت قال سعيد بن جبير و عطاء أي قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضي الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك و الربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم و بحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) افراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس و أبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل (وادبار النجوم)أي وقت ادبارها من آخر الليل أي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وقرىء ادبار النجوم بالفتح أي في أعقابها اذا غربت أو خفيت . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والطور كان حقا على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته .

(سورة والنجم مكية)

(وآيها احدى أو اثنتان وستون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنجم اذا هوى) المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب و هويا بوزن دخول اذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك إذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة و السلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع مالاغاية وراءه أما على الاولين فلان النجم شأنه أن يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذي يهتدى به السابلة الى سواء السبيل (ماضل صاحبكم) أي ماعدل عن طريق الحق الذي هو مسلك الآخرة (وماغوى) أي وما اعتقد باطلا قط أي هو في غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية في شيء اصلا وأما على الثالث فلانه تنويه بشأن القرآن كما أشير اليه في مطلع سورة يس و سورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل و القرآن الذي هو في الهداية الى مناهج الدين و مسالك الحق ماضل عنها محمد عليه الصلاة والسلام و ماغوى والخطاب لقريش وايراده عليه الصلاة السلام بعنوان صاحبهم للايذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة واحاطتهم خبرا ببراءته عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام

ومشاهدتهم لمحاسن شؤنه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الاخير ظاهر وأما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حمل هويه على انتظاره يوم القيامة أو على انقضاض النجم الذى يرجم به وحمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض أو على ظهوره منها فمما لا يناسب المقام (وما ينطق عن الهوى) أى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه أصلا فان المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه كما مر مرارا (ان هو) أى ما الذى ينطق به من القرآن (الا وحى) من الله تعالى وقوله تعالى (يوحى) صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى (علمه شديد القوى) أى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة فى إبداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف (ذومرة) أى حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما أوحى بيان لكيفية التعليم أى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله صلى عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته غير النبى عليه الصلاة والسلام فانه رآه فيها مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى (وهو بالافق الاعلى) أى أفق الشمس حال من فاعل استوى (ثم دنا) أى أراد الدنو من النبى عليهما الصلاة والسلام (فتدلى) أى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وأدلى دلوه والدلو الى الثمر المعلق (فكان) أى مقدار امتداد ما بينهما (قاب قوسين) أى مقدارهما فان القاب والقيب

والقاد والقيد والقيس والمقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما فى قولك هو مني معقد الازار (أو أدنى) أى على تقديركم كما فى قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما أوحى اليه بنفى البعد الملبس (فأوحى) أى جبريل عليه السلام (الى عبده) عبد الله تعالى واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى «ماترك على ظهرها» (ما أوحى)أى من الامور العظيمة التى لاتفى بهاالعبارة أو فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) أى فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام(ما رأى) أى مارآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام أى ماقال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرىء ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته (أفتمارونه على ما يرى) أى أتكذبونه فتجادلونه على مايراه معاينةأو أبعدماذكر من أحواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ماعندصاحبه وقرىء أفتمرونه أى أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه من مراه حقه اذا جحده (ولقد رآه نزلة اخرى) أى وبالله لقد رأى جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر (عندسدرة المنتهى) هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الانهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عامالا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل اليها ينتهى علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ماوراءها وقيل ينتهى اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهى اليهامايهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافةالسدرة الى المنتهى إما اضافة الشىء الى مكانه كقولك أشجار البستان أو اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى علوم الخلائق أو اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال تعالى «الى ربك المنتهى» (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يأوى اليها المتقون أو أرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الاحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية

وقوله تعالى (اذيغشى السدرة مايغشى) ظرف زمان لرآه لالما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لايعمل مابعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى أو بمعنى الاتيان يقال فلان يغشانى كل حين أى يأتينى والاول هو الاليق بالمقام وفى ابهام مايغشى من التفخيم مالايخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق اليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ماغشيها ماغشيها مما لايكتنهه الوصف ولايفى به البيان كيفا ولاكما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات أنوار الله عزوجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وقيل يغشاها فراش أوجراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام يغشاها رفرف من طير خضر (مازاغ البصر) أى مامال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما تجاوزه مع ماشاهد هناك من الامور العجيبة المذهلة مالايحصى بل أثبته اثباتا صحيحا متيقنا أوما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله لقد رأى الآيات التى هى كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فأرى من عجائب الملك والملكوت مالا يحيط به نطاق العبارة ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أى شيئا عظيما من آيات ربه وأن تكون من مزيدة (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) هى أصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرىء بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة

لان دماء الغسائك تمنى عندها اى تراق وقرىء ومناءة وهى مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهى المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ماذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم توبيخا وتبكيتا أفرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيهه الى ترتيب الرؤية على ماذكر من شؤن الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ماسمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ أمره فى الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقاءتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلها شركاء الله تعالى مع ماتقدم من عظمته وقيل أخبرونى عن آلهتكم هل لها شىء من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الآى السابقة وقيل المعنى أظننتم ان هذه الاصنام التى تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم انها تشفع لكم فى الآخرة وقيل أفرأيتم الى هذه الاصنام ان عبدتموها لاتنفعكم وان تركتموها لاتضر لكم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى (ألكم الذكر وله الانثى) شهادة بينة فانه توبيخ مبنى على التوبيخ الاول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الاول تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثانى عليه وظاهر ان ليس فى شىء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ماقيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد إلى المفعول الأول لما أن الأصل أخبرونى أن اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وله هن أى تلك الأصنام فوضع موضعها الأنثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع مافيه من التمحلات التى ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه (تلك) إشارة إلى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية (إذا قسمة ضيزى) أى جائرة حيث جعلتم له تعالى ماتستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وقرىء ضئزى بالهمزة من ضازه اذا ظلمه على أنه مصدر نعت به وقرىء ضيزى إما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى (إن هى) الضمير للاصنام أى ماالاصنام باعتبار

الالوهية التي يدعونها (إلا أسماء) محضة ليس تحتها مما تنبىء هي عنه من معنى الالوهية شيء ما أصلا وقوله تعالى (سميتموها) صفة لأسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها أسماء لا جعلتم لها أسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست إلى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وإن قيست إلى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وإنما اختير ههنا المعنى الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التي يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى «ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها» الآية لا لأن هناك مسميات لكنها لاتستحق التسمية وقيل هي للأسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وأنت خبير بأنه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للأصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة بل إنما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الأصنام على وجه برهاني فان انتفاء الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية أي ما هي إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها (أنتم وآباؤكم) بمقتضى أهوائكم الباطلة (ما أنزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (إن يتبعون) التفات إلى الغيبة للايذان بأن تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم أي مايتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها (الا الظن) الا توهم أن ماهم عليه حق توهما باطلا (وما تهوى الانفس) أي تشتهيه أنفسهم الأمارة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) قيل هي حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأياما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من أي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب أقبح (أم للانسان ما تمنى) أم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان أن ماهم عليه غير مستند الا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدي نفعا أصلا والهمزة للانكار والنفي أي ليس للانسان كل مايتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التي من جملتها أطماعهم الفارغة في شفاعة الآلهة ونظائرها التي لاتكاد تدخل تحت الوجود (فلله الآخرة والأولى) تعليل لانتفاء أن يكون للانسان ما يتمناه حتما فان اختصاص أمور الآخرة والأولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء أن يكون له أمر من الأمور وقوله تعالى (وكم من ملك في السموات لاتغني شفاعتهم شيأ) اقناط لهم عما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب

لأقناطهم من شفاعة الأصنام بطريق الاولوية و كم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى أى و كثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم عند الله تعالى شيئاً من الاغناء فى وقت من الأوقات (إلا من بعد أن يأذن الله) لهم فى الشفاعة (لمن يشاء) أن يشفعوا له (و يرضى) و يراه أهلا للشفاعة من أهل التوحيد والايمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة بألف منزل فاذا كان حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) و بما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق أى يسمون كل واحد منهم (تسمية الأنثى) فان قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالأنثى وفى تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار بأنها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الآخرة بحيث لا يجترىء عليها إلا من لا يؤمن بها رأساً وقوله تعالى (وما لهم به من علم) حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلا وقرىء بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون) فى ذلك (إلا الظن) الفاسد (وان الظن) أى جنس الظن كما يلوح به الاظهار فى موقع الاضمار (لا يغنى من الحق شيئاً) من الاغناء فان الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشىء لا يدرك إلا بالعلم والظن لا اعتداد به فى شأن المعارف الحقيقية وإنما يعتد به فى العمليات وما يؤدى اليها (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) أى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به إلى وصفهم بما فى حيز صلته من الأوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها أى فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوى على علوم الأولين والآخرين المذكر لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغى فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب فيها والمرهوب عنها (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) راضياً بها قاصراً نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من أعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت هى منتهى همته وقصارى سعيه لا تزيده الدعوة إلى خلافها إلا عناداً وإصراراً على الباطل (ذلك) أى ما أداهم إلى ما هم فيه من التولى وقصر الارادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه إلى غيره حتى تجديهم الدعوة والارشاد وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما أن افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض

مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للأمر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع إلى الهدى أصلا و بمن اهتدى من من شأنه الاهتداء فى الجملة أى هو المبالغ فى العلم بمن لا يرعوى عن الضلال أبدا و بمن يقبل الاهتداء فى الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك فى دعوتهم فانهم من القبيل الأول وفى تعليل الأمر باعراضه عليه السلام عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمز إلى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد و وعد ضمناً كما سيأتى صريحاً (ولله ما فى السموات وما فى الأرض) أى خلقاً وملكا لا لغيره أصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى (ليجزى) الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ ما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقاً له تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى و يحفظهما ليجزي (الذين أساؤا بما عملوا) أى بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالاساءة بياناً لحاله أو بسبب ما عملوا (ويجزى الذين أحسنوا) أى اهتدوا (بالحسنى) أى بالمثوبة الحسنى التي هى الجنة أو بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه قوله تعالى « ولله ما فى السموات وما فى الأرض » كأنه قيل خلق ما فيهما ليجزى الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على ان اللام للعاقبة أى هو اعلم بمن ضل ليؤول امره إلى ان يجزيه الله تعالى بعمله و بمن اهتدى ليؤول امره إلى أن يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين (الذين يجتنبون كبائر الاثم) بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره أو بيان أو نعت أو منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على إرادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصا (الا اللمم) أى إلا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هى النظرة والغمزة والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا عذاباً وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع (إن ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل

المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين مايشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى (هو أعلم بكم) أى بأحوالكم يعلمها (اذ أنشأكم) فى ضمن انشاء أبيكم آدم عليه السلام (من الارض) انشاء اجماليا حسبما مر تقريره مرارا (واذ أنتم أجنة) أى ووقت كونكم أجنة (فى بطون أمهاتكم) على أطوار مختلفة مترتبة لا يخفي عليه حال من أحوالكم وعمل من أعمالكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء فى قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) لترتيب النهى عن تزكية النفس على ماسبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اى اذا كان الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصى بالكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته (هو أعلم بمن اتقى) المعاصى جميعا وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بأن فيهم من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان بطريق الاعجاب أو الرياء فاما من اعتقد ان ماعمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أفرأيت الذى تولى) أى عن اتباع الحق والثبات عليه (وأعطى قليلا) أى شيئا قليلا أو إعطاء قليلا (وأكدى) أى قطع العطاء من قولهم أكدى الحافر اذا بلغ الكدية أى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب ان أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى لما أنه كان يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل فى أبى جهل كان ربما يوافق الرسول صلى عليه وسلم فى بعض وكان يقول والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله تعالى واعطى قليلا وأكدى فالاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى (أعنده علم الغيب فهو يرى) الخ أى عنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى) أى وفر وأتم ماابتلى به من الكلمات أو أمر به أو بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره كالصبر على نار

بمروذ حتى انه أتاه جبريل عليه السلام حين يلقى فى النار فقال ألك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والانوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التى هى التوراه أشهر عندهم وأكثر (ان لاتزر وازرة وزر أخرى) أى انه لاتحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على ان ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انها بدل مما فى صحف موسى أو الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما فى صحفهما فقيل هو ان لاتزر الخ والمعنى انه لايؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثانى عن عقابه ولا يقدح فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» فان ذلك وزر الاضلال الذى هو وزره وقوله تعالى (وأن ليس للانسان الا ماسعى) بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذى هو الايمان والصلاح ولم يكن لشىء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان مخففة كأختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى) أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفته وميزانه من أريته الشىء (ثم يجزاه) أى يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى (الجزاء الأوفى) أو يبدل هو عنه كما فى قوله تعالى «وأسروا النجوى الذين ظلموا» (وأن إلى ربك المنتهى) أى انتهاء الخلق ورجوعهم اليه تعالى لا إلى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء (وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو خلق قوتى الضحك والبكاء (وأنه هو أمات وأحيى) لايقدر على الاماتة والاحياء غيره فان أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة (وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تمنى) تدفق فى الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر (وأن عليه النشأة الأخرى) أى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهى أيضا مصدر نشأه (وانه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهى ما يتأثل من الاموال وافردها

بالذكر لانها أشرف الاموال أو أرضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية (وأنه هو رب الشعرى) أى رب معبودهم وهى العبور وهى أشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له عليه الصلاة والسلام به لمخالفته اياهم فى دينهم (وأنه أهلك عاداً الاولى) هى قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عاد الاولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها إلى اللام وعاد لولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها إلى لام التعريف (وثمود) عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمودا بالتنوين (فما أبقى) أى أحدا من الفريقين (وقوم نوح) عطف عليه أيضا (من قبل) أى من قبل اهلاك عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة (والمؤتفكة) هى قرى قوم لوط ائتفكت بأهلها أى انقلبت بهم (أهوى) أى أسقطها إلى الارض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام إلى السماء (فغشاها ما غشى) من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى « لئن أشركت ليحبطن عملك » أو لكل أحد واسناد فعل التمارى إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها المعنى الاول فقط كما فى يتداعونهم أى يدعونهم وقد تجرد عنهم أيضاً فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان المراد متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الامور المعدودة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضا نعم من حيث إنها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين (هذا نذير من النذر الاولى) هذا اما اشارة إلى القرآن والنذير مصدر أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام والنذير بمعنى المنذر وأيا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين والاولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال

قومهم المنذرين وفى تعقيبه بقوله تعالى (أزفت الآزفة) اشعار بان تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة أى دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله تعالى « اقتربت الساعة » (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها إلا الله تعالى لكنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها إلا الله تعالى فانه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله تعالى كقوله تعالى « لا يجليها لوقتها إلا هو » أو ليس لها من غير الله تعالى كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية (أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون) انكاراً (وتضحكون) استهزاء مع كونه أبعد شىء من ذلك (ولا تبكون) حزناً على ما فرطتم فى شأنه وخوفاً من أن يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة (وأنتم سامدون) أى لاهون أو مستكبرون من سمد البعير اذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما فى قول من قال:

رمى الحدثان نسوة آل سعد ⁂ بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ⁂ ورد وجوههن البيض سودا

والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفى والانكار وارد على نفى البكاء والسمود معاً وعلى الوجه الاول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكاء ووجود السمود والاول أوفى بحق المقام فتدبر والفاء فى قوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) لترتيب الامر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع أى واذا كان الامر كذلك فاسجدوا لله الذى أنزله واعبدوه ؛ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة شرفها الله تعالى

(سورة القمر مكية)

(وآيها خمس وخمسون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقتربت الساعة وانشق القمر) روي أن الكفار سألوا رسول صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر وعن عثمان بن عطاء عن أبيه ان معناه

سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرىء وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعني الاستمرار الاطراد أو الاستحكام اى وان يروا آية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر انواع السحر او قوى مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب بغلوهم فى العناد والمكابرة ويؤيده ما سيأتي ارده وقرىء وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة (وكذبوا) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات (واتبعوا أهواءهم) التى زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أي وكل أمر من الامور مستقر أي منته الى غاية يستقر عليها لامحالة ومن جملتها أمر النبى صلى الله عليه وسلم فسيصير الى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه الصلاة والسلام مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرىء بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر (ولقد جاءهم) اى فى القرآن وقوله تعالى (من الانباء) اى انباء القرون الخالية او انباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اى والله لقد جاءهم كائنا من الانباء (مافيه مزدجر) اى ازدجار من تعذيب او وعيد أو موضع ازدجار على ان فى تجريدية والمعنى انه فى نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرىء مزجر بقلبها زاء وادغامها (حكمة بالغة) غايتها لاخلل فيها وهى بدل من ما او خبر لمحذوف وقرىء بالنصب حالا منها فانها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للاغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم

الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثاني منصوبة
اى فأي اغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او مصدر بمعنى الانذار (فتول
عنهم) لعلمك بأن الانذار لايؤثر فيهم ألبتة (يوم يدع الداع) منصوب بيخرجون
أو باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر في
قوله تعالى « كن فيكون » واسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا (إلى شيء
نكر) أي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرىء
نكر بالتخفيف ونكر بمعني أنكر (خشعا ابصارهم) حال من فاعل (يخرجون)
والتقديم لأن العامل متصرف أي يخرجون (من الأجداث) أذلة أبصارهم من
شدة الهول وقرىء خاشعا والافراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث
وقرىء خاشعة على الأصل وقرىء خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة
حال (كأنهم جراد منتشر) في الكثرة والتموج والتفرق في الأقطار (مهطعين
إلى الداع) مسرعين مادي أعناقهم اليه أو ناظرين اليه (يقول الكافرون) استئناف
وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا
يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون (هذا يوم عسر) أي صعب شديد وفي اسناد
القول المذكور إلى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة
(كذبت قبلهم قوم نوح) شروع في تعداد بعض ما ذكر من الأنباء الموجبة
للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريراً لفحوى قوله تعالى « فما تغنى
النذر » أي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى (فكذبوا
عبدنا) تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى « ونادى نوح ربه فقال
رب » الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا
إثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل
كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لأنه من جملتهم وفي ذكره عليه الصلاة والسلام
بعنوان العبودية مع الاضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله
وزيادة تشنيع لمكذبيه (وقالوا مجنون) أي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى
الجنون (وازدجر) عطف على قالوا أي وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية وقيل
هو من جملة ما قالوه أي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته (فدعا ربه أني) أي
بأني وقرىء بالكسر على إرادة القول (مغلوب) أي من جهة قومي مالي قدرة على
الانتقام منهم (فانتصر) أي فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا

والتى فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها وقرىء ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب (وفجرنا الارض عيونا) أى جعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الارض فغير قضاء لحق المقام (فالتقى الماء) أى ماء السماء وماء الارض والأفراد لتحقيق أن التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرىء الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا (على أمر قد قدر) أى كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل على قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه) أى نوحا عليه السلام (على ذات ألواح) أى أخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهى صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث إنها كالشرح لها تؤدى مؤداها (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا (جزاء لمن كان كفر) أى فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنه كان نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأى نعمة وأى رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وايصال الفعل إلى الضمير واستتاره فى الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرىء لمن كفر أى للكافرين (ولقد تركناها) أو السفينة أو الفعلة (آية) يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) أى معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرىء مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم وتعجيب أى كان على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار (ولقد يسرنا القرآن) الخ جملة قسمية وردت فى أواخر القصص الأربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى «ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر» وتنبيها على أن كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار أى وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعيد والوعد (للذكر) أى للتذكر والاتعاظ (فهل من مدكر) انكار ونفى للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم

بنعم . وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام (كذبت عاد) أى هوداً عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) لتوجيه قلوب السامعين نحو الاصغاء إلى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاراتي لهم وقوله تعالى (انا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) استئناف ببيان ما أجمل أولا أى أرسلنا عليهم ريحاً باردة أو شديدة الصوت (في يوم نحس) شؤم (مستمر) أى شؤمه أو مستمر عليهم إلى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشتد مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا باعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع لأن الريح كانت تقلع رءوسهم فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رءوس وتذكير صفة نخل للنظر إلى اللفظ كما أن تأنيثها فى قوله تعالى «أعجاز نخل خاوية» للنظر إلى المعنى وقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) تهويل لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من أن الأول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة يرده ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) الكلام فيه كالذى مر فيما سبق (كذبت ثمود بالنذر) أى الانذارات والمواعظ التى سمعوها من صالح أو بالرسل عليهم السلام فان تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على أصول الشرائع (فقالوا أبشراً منا) أى كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده (واحداً) أى منفرداً لا تبع له أو واحداً من آحادهم لا من أشرافهم وهو صفة أخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرىء أبشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى (نتبعه) خبره والأول أوجه للاستفهام (إنا إذا) أى على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن أمة جمة (لفى ضلال) عن الصواب (وسعر) أى جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم إن لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر أى نيران جمع سعير فعكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا إذن كما تقول (أألقى الذكر) أى الكتاب

والوحي (عليه من بيننا) وفينا من هو أحق منه بذلك (بل هو كذاب أشر) أي ليس الأمر كذلك بل هو كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعداً له ووعيداً لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب أي سيعلمون ألبتة عن قريب من الكذاب الأشر الذي حمله أشره وبطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرىء ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ما أجابهم به صالح وقرىء الأشر كقولهم حذر في حذر وقرىء الاشر أي الأبلغ في الشرارة وهو أصل مرفوض كالأخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى (انا مرسلو الناقة) الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود حتما أي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا (فتنة لهم) أي امتحانا (فارتقبهم) أي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون (واصطبر) على أذيتهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه في نوبته (فنادوا صاحبهم) هو قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطي الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف (فكيف كان عذابي ونذر) الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) هي صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا) أي فصاروا (كهشيم المحتظر) أي كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرىء بفتح الظاء أي كهشيم الحظيرة أو الشجر المتخذ لها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا) أي ريحا تحصبهم أي ترميهم بالحصباء (الا آل لوط نجيناهم بسحر) في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه أي ملتبسين بسحر (نعمة من عندنا) أي انعاما منا وهو علة لنجينا (كذلك) أي مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزي من شكر) نعمتنا بالايمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أي أخذتنا الشديدة بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا أعينهم) فمسخناها وسويناها كسائر الوجه روي أنهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فذوقوا عذابي ونذر) أي فقلنا لهم ذوقوا

على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما أنذروه من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) وقرىء بكرة غير مصروفة على أن المراد بهاأول نهار مخصوص (عذاب مستقر) لايفارقهم حتى يسلمهم الى النار. وفى وصفه بالاستقرار ايماء الى أن ماقبله من عذاب الطمس ينتهى اليه (فذوقوا عذابى ونذر) حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر ما فيه من الكلام (ولقد جاء آل فرعون النذر) صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لا قوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه أولى بذلك أى و بالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى (كذبوا بآياتنا كلها) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كانه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لايغالب (مقتدر) لا يعجزه شيء (أكفاركم) يا معشر العرب (خير) قوة وشدة وعدة وعدة أو مكانة (من أولئكم)الكفار المعدودين والمعنى انه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيماذكر من الامور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسوأ حالا وقوله تعالى (أم لكم براءة فى الزبر) اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر أي بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصى وغوائلهما فى الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما أنتم عليه وقوله تعالى (أم يقولون نحن جميع منتصر) اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أى بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن أولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لا نرام ولا نضام أو منتصر من الاعداء لانغلب أو متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع و قوله تعالى (سيهزم الجمع) رد وابطال لذلك والسين للتأكيد أى يهزم جمعهم ألبتة (ويولون الدبر) أى الادبار وقد قرىء كذلك والتوحيد لارادة الجنس أو ارادة ان كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع و يولون الدبر كنت لا أدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول «سيهزم الجمع و يولون الدبر» فعرفت تأويلها وقرىء سيهزم الجمع أى الله عز وجل وعلا (بل الساعة موعدهم) أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل

الساعة موعد أصل عذابهم و هذا من طلائعه (والساعة أدهى وأمر) أى فى أقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذى لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة فى موقع اضمارها لتربية تهويلها (ان المجرمين) من الاولين والآخرين (فى ضلال وسعر) أى فى هلاك ونيران مسعرة وقيل فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة وقوله تعالى (يوم يسحبون) الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى فى ضلال أى كائنون فى ضلال وسعر يوم يجرون (فى النار على وجوههم) واما بقول مقدر بعده أى يوم يسحبون يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون (انا كل شىء) من الاشياء (خلقناه بقدر) أى ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التى عليها يدور أمر التكوين أو مقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شىء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبره (وما أمرنا الا واحدة) أى كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن أو الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة وقيل معناه قوله تعالى « وما أمر الساعة الا كلمح البصر »(ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم فى الكفر من الامم وقيل أتباعكم (فهل من مدكر) يتعظ بذلك (وكل شىء فعلوه) من الكفر والمعاصى مكتوب على التفصيل (فى الزبر) أى فى ديوان الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال (مستطر) مسطور فى اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعى بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل (إن المتقين) أى من الكفر والمعاصى (فى جنات) عظيمة الشان (ونهر) أى أنهار كذلك والأفراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرىء نهر جمع نهر كأسد وأسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى وقرىء فى مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) أى مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شىء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما أعظم شأنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

(سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة)

(وآيها ست وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لما عدد فى السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عزو جل وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد فى هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وأنكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بواجب شكرها وبدىء بتعليم القرآن فقيل (الرحمن علم القرآن) لانه أعظم النعم شأنا وأرفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد ترنو إليه احداق الامم إلا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد تمتد اليه اعناق الهمم إلا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه إلى اسم الرحمن للايذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على أصالته وجلالة قدره ثم قيل (خلق الانسان علمه البيان) تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما فى الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضا اذ هو الذى يدور عليه تعلم القرآن والجمل الثلاث أخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد (الشمس والقمر بحسبان) أى يجريان بحساب مقدر فى بروجهما ومنازلهما بحيث تنتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب (والنجم) أى النبات الذى ينجم أى يطلع من الارض ولاساق له (والشجر) أى الذى له ساق (يسجدان) أى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجدين من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظى تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوى اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف

بينها و بين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إن كلامن حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله عزوجل (والسماء رفعها) أى خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه ومتنزل وامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه مالايخفى وقرىء بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) أى شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق مااستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام «بالعدل قامت السموات والارض» قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما فى قوله تعالى «وأنزلنا معهم الكتاب والميزان» وقيل هو مايعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا فى الميزان) أى لئلا تطغوا فيه على أن أن ناصبة ولانافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان أو أى لاتطغوا على أنها مفسرة لما فى الشرع من معنى القول ولاناهية أى لاتعتدوا ولا تتجاوزوا الانصاف وقرىء لاتطغوا على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب (ولاتخسروا الميزان) أى لاتنقصوه أمر أولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرىء ولاتخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين أيضا على أن الاصل ولاتخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (والارض وضعها) أى خفضها مدحوة على الماء (للانام) أى الخلق قيل المراد به كل ذى روح وقيل كل ماعلى ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى (فيها فاكهة) الخ استئناف مسوق لتقرير ماأفادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هى أوعية الثمر جمع كم أوكل مايكم أن يغطي من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب) هو مايتغذى به كالحنطة والشعير (ذو العصف) هو ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو

الرزق أريد به اللب أى فيها مايتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ و التغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به و هو الحب الذى له عصف هو علف الانعام و ريحان هو مطعم الناس وقرىء والحب ذا العصف و الريحان أى خلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يراد و ذا الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والريحان امافيعلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف أو للفرق بينه وبين الروحان و هو ماله روح قاله القرطبي (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ على مافصل من فنون النعماء وضنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد التنكير و تشديد التوبيخ و معنى تكذيبهم بآلائه تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة فى نفسه كتعليم القرآن و ما يستند اليه من النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة فى نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا أو اشتراكا صريحا أو دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى فى العبادة من دواعى اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أى فاذا كان الامر كما فصل فبأى فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منهما ناطق بالحق شاهد بالصدق (خلق الانسان من صلصال كالفخار) تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافى بين الآية الناطقة باحدها وبين مانطق بأحد الآخرين (وخلق الجان) أى الجن أو أبا الجن (من مارج) من لهب صاف (من نار) بيان لمارج فانه فى الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما أفاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم (رب المشرقين ورب المغربين) بالرفع على خبرية مبتدا محذوف أى الذى فعل ماذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقى الصيف والشتاء و مغربيهما ومن قضيته أن يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرىء بالجر على أنه بدل من ربكما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ماينا سب كل فصل فى وقته الى غير ذلك

(مرج البحرين) أى أرسلهما من مرجت الدابة اذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) أى يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما فى مرأى العين وقيل أرسل بحرى فارس والروم يلتقيان والمحيط لانهما خليجان يتشعبان منه (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله عز وجل أو من الارض (لا يبغيان) أى لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية أولا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس منهما شىء يقبل التكذيب (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حينئذ الى البحرين مع أنهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لايخرجان الا من ملتقى الملح والعذب أو لانهما لما التقيا وصارا كالشىء الواحد ساغ أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع أنهما لايخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرىء يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة (فبأى آلاء ربكما تكذبان (وله الجوار) أى السفن جمع جارية وقرىء برفع الراء وبحذف الياء كقول من قال:

لها ثنايا أربع حسان ⁂ وأربع فكلها ثمان

(المنشآت) المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرىء بكسر الشين أى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن (فى البحر كالاعلام) كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والارشاد الى أخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لايقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه (كل من عليها) أى على الارض من الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين (فان) هالك لا محالة (ويبقى وجه ربك) أى ذاته عز وجل (ذو الجلال والاكرام) أى ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذى عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم «ألظوا بيا ذا الجلال والاكرام» وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلى ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال «قد استجيب لك» وقرىء ذى الجلال والاكرام على أنه صفة ربك وأياما كان ففى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبىء عنه قوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان إحياءهم بالحياة الابدية واثابتهم

بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء (يسأله من فى السموات والارض) قاطبة ماتحتاجون اليه فى ذواتهم و وجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر أحوالهم سؤالا مستمرا بلسان المقال أو بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلافهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقدمر فى تفسير قوله تعالى «وان تعدوانعمة الله لاتحصوها» من سورة ابراهيم عليه السلام (كل يوم) أى كل وقت من الاوقات (هو فى شأن) من الشئون التى من جملتها اعطاء ماسألوا فانه تعالى لا يزال ينشىء أشخاصا ويفنى آخرين ويأتى بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفى الحديث « من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين »قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه (سنفرغ لكم) أى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى «كل يوم هو فى شأن» فلا يبقى حينئذ إلا شأن واحد هو الجزاء يعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك أى سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرىء سيفرغ مبنياً للفاعل وللمفعول وقرىء سنفرغ اليكم أي سنقصد اليكم (أيه الثقلان) هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة آرائهما أو لأنهما مثقلان بالتكليف (فبأى آلاء ربكما) التى من جملتها التنبيه على ماسيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى إلى سوء الحساب (تكذبان) بأقوالكما وأعمالكما (يامعشر الجن والانس) هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبىء عن ذلك لبيان أن قدرتهم لا تفى بما كلفوه (إن استطعتم) إن قدرتم (أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض) أى أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن أقطار سمواتى وأرضى (فانفذوا) منها وخلصوا أنفسكم من عقابى (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (إلا بسلطان) أى بقوة وقهر وأنتم من ذلك بمعزل بعيد روى أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجهاً إلا وجدوا الملائكة أحاطت به (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (يرسل عليكما شواظ)

قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الأحمر وقيل اللهب الأخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرىء شواظ بكسر الشين (من نار) متعلق بيرسل أو بمضمر هو صفة لشواظ أى كائن من نار والتنوين للتفخيم (ونحاس) أى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رءوسهم وقرىء بكسر النون وقرىء بالجر عطفاً على نار وقرىء نرسل بنون العظمة ونصب شواظاً ونحاساً وقرىء نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرىء ونحس أى نقتل بالعذاب (فلا تنتصران) أى لا تمتنعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصى لطف وأى لطف ونعمة وأى نعمة (فاذا انشقت السماء) أى انصدعت يوم القيامة (فكانت وردة) كوردة حمراء وقرىء وردة بالرفع على أن كان تامة أى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال :

ولئن بقيت لأرحلن بغزوة ☆ تحوى الغنائم أو يموت كريم

(كالدهان) خبر ثان لكانت أو نعت لوردة أو حال من اسم كانت أى كدهن الزيت وهو إما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الأديم الأحمر وجواب إذا محذوف أى يكون من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به دائرة المقال (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) أى يوم إذ تنشق السماء حسبما ذكر (لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون إلى الموقف ذوداً ذوداً على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى «فوربك لنسألنهم أجمعين» ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما أن المراد فرد من الانس كأنه قيل لا يسئل عن ذنبه إنسى ولا جنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع كثرة منافعها فان الأخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه وأما ما قيل مما أنعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم) استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه إذا كان المأخوذ مقصوداً بالأخذ ومنه قوله تعالى «خذوا حذركم» ونحوه وأخذ به إذا كان المأخوذ شيئاً من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى «لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى» وقول المستغيث خذ بيدى أخذ الله بيدك أى يجمع بين نواصيهم

وأقدامهم في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي وتارة تأخذ بالأقدام (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) على إرادة القول أي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على أن الجملة إما استئناف وقع جوابا عن سؤال ناشيء من حكاية الأخذ بالنواصي والأقدام كأنه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ أو حال من أصحاب النواصي والأقدام لأن الألف واللام عوض عن المضاف إليه وما بينهما اعتراض (يطوفون بينها) أي بين النار يحرقون بها (وبين حميم آن) ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار غيثوا بالحميم (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقد أشير الى سر كون بيان أمثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا (ولمن خاف مقام ربه) شروع في تعداد الآلاء الفائضة عليهم في الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما أن أنفسها آلاء جليلة واصلة اليهم في الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل ما يؤدي الى نيلها من الايمان والطاعة وأن ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى «كل يوم هو في شأن» من النعم الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها وأما ما عدد فيما بين قوله تعالى «سنفرغ لكم» وبين هذه الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما أشير اليه في تضاعيف تعدادها. ومقامه تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحواله من قام عليه اذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل أو هو مقحم للتعظيم (جنتان) جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين فالمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد (فبأي آلاء ربكما تكذبان). وقوله تعالى (ذواتا أفنان) صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والأفنان اما جمع فن أي ذواتا أنواع من الاشجار والثمار أو جمع فنن أي

ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجر . وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس فيها شيء يقبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة أخرى لجنتان أى فى كل واحدة منهما عين تجرى كيف يشاء صاحبها فى الاعالى والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال أحداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهما من كل فاكهة زوجان) أى صنفان معروف وغريب أو رطب ويابس صفة أخرى لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (متكئين) حال من الخائفين لان من خاف فى معنى الجمع أو نصب على المدح (على فرش بطائنها من إستبرق) من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور (وجنى الجنتين دان) أى ما يجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء مضطجعا وقرىء جني بكسر الجيم. (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهن) أى فى الجنات المدلول عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله تعالى متكئين وقيل فيما فيهما من الاماكن والقصور وقيل فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) أى لم يمس الانسيات أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرىء يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية أو حال منها لتخصصها بالاضافة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) اما صفة لقاصرات الطرف أو حال منها كالتى قبلها أى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان أى صغار الدر فى بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر أنصع بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأى آلاء

ربكما تكذبان) وقوله تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) استئناف مقرر لمضمون مافصل قبله أى ماجزاء الاحسان فى العمل إلا الأحسان فى الثواب (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر أى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (مدهامتان) صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) أى فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الاخيرين على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله من حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهن خيرات) صفة أخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جمع الضمير كالذى مر فيما مر وخيرات مخففة من خيرات لان خيرا الذى بمعنى أخير لا يجمع وقد قرىء على الاصل (حسان) أى حسان الخلق والخلق (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (حور) بدل من خيرات (مقصورات فى الخيام) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أى مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان) كالذى مر فى نظيره من جميع الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف خضر) الرفرف اما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ماتدلى من الأسرة من أعالى الثياب وقيل هو ضرب من البسط أو البسط وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط والوسائد وقيل رفارف ورفرف السحاب هيدبه (وعبقرى حسان) العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شىء عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما فى رفرف على أحد الوجهين وقرىء على رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر فى اسم البلد (فبأى

آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة من آلائه الفائضة على الأنام أى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ماصدرت به السورة من اسم الرحمن المنبيء عن افاضته الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشأنه من الامور التى من جملتها جحود نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما فى قول من قال الى الحول ثم السلام عليكما « (ذى الجلال والاكرام) وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرىء ذو الجلال على أنه نعت للاسم « عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه »

(سورة الواقعة مكية)

(وهى سبع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا وقعت الواقعة) أى اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لامحالة كأنها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبىء عن الهول والفظاعة كأنه قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاهوال ما لا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من قوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب فى نفيها كما تكذب اليوم واللام كهى فى قوله تعالى « ياليتنى قدمت لحياتى » وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أى ليس لأجل وقعتها وفى حقها كذب أصلا بل كل ماورد فى شأنها من الاخبار حق صادق لاريب فيه وقوله تعالى (خافضة رافعة) خبر مبتدا محذوف أى هى خافضة لأقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل وقرىء خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى

(اذا رجت الارض رجا) أي زلزلت زلزالا شديدا بحيث ينهدم مافوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الأرض اذ عندذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض أو بدل من اذا وقعت (وبست الجبال بسا) أي فتتت حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق إذا لته أو سيقت وسيرت من أماكنها من بس الغنم اذا ساقها كقوله تعالى «وسيرت الجبال» وقرىء رجت وبست أي ارتجت وذهبت (فكانت) أي فصارت بسبب ذلك (هباء) غبارا (منبثا) متنشرا (وكنتم) اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا أو للحاضرة فقط (أزواجا) أي أصنافا (ثلاثة) فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود أو في الذكر فهو زوج وقوله تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى «فأصحاب الميمنة مبتدأ» وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الاول والاصل ماهم أي أي شيء هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى «وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة» والمراد تعجيب السامع من شأن الفريقين في الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة في غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال وتكلموا في الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل أصحاب اليمن وأصحاب الشؤم فان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعاتهم والاشقياء مشائيم عليهم بمعاصيهم وقوله تعالى (والسابقون السابقون) هو القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم مع كونهم أسبق الاقسام وأقدمهم في الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضا فقيل هم الذين سبقوا الي الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الي القبلتين كما قال تعالى «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار» وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل المسارعون في

الخيرات وأياما كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبى النجم « أنا أبو النجم وشعرى شعرى » وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل مالا يخفى وقيل والسابقون الى طاعة الله تعالى السابقون الى رحمته أو السابقون الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى (أولئك) اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل (المقربون) أى الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ماذكر فى اعراب هذه الجمل وأشهره والذى تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى «فأصحاب الميمنة» خبر مبتدا محذوف وكذا قوله تعالى «وأصحاب المشأمة» وقوله تعالى «والسابقون» فان المترتب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الأولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامى أحوالها فى الخير والشر انباء إجمالياً مشعراً بأن لأحوال كل منهما تفصيلا مترقباً لكن لا على أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على ما رآه سيبويه فى أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيده كونها خبرا لا بيان أن أمراً بديعاً أصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال فى ما أصحاب المشأمة وأما القسم الأخير فحيث قرن بيان محاسن أحواله بذكره لم يحتج فيه إلى تقديم الأنموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار فى مقام الاضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الأول وما بعده خبر له أو للثانى والجملة خبر الاول وقوله تعالى (فى جنات النعيم) متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره أى كائنين فى جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه أن الأخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرىء فى جنة النعيم وقوله تعالى (ثلة من الاولين) خبر مبتدا محذوف أى هم أمة جمة من الأولين وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليهما الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الأنبياء العظام (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام «ان أمتى يكثرون سائر الأمم» فان أكثرية سابقى الأمم السالفة من سابقى هذه الأمة لا تمنع من أكثرية تابعي هؤلاء من تابعى أولئك ولا يرده قوله تعالى فى أصحاب اليمين «ثلة من الاولين وثلة من الآخرين»

لأن كثرة كل من الفريقين فى أنفسهما لا تنافى أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلثين من هذه الأمة وقد روى مرفوعاً ان الاولين والآخرين ههنا أيضاً متقدمو هذه الأمة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر (على سرر موضونة) حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم فى الحال الأولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسج (متكئين عليها متقابلين) حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب (يطوف عليهم) حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أى مبقون أبداً على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن الحسن رحمه الله وفى الحديث «أولاد الكفار خدام أهل الجنة» (بأكواب) بآنية لا عرا لها ولا خراطيم (وأباريق) أى آنية ذات عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى خمر جارية من العيون قيل إنما أفرد الكأس لأنها لا تسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته يصدر صداعهم عنها وقرىء لا يصدعون أى لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى «يومئذ يصدعون» وقرىء لا يصدعون أى لا يفرق بعضهم بعضا (ولا ينزفون) أى لا يسكرون من أنزف الشارب إذا نفد عقله او شرابه (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارونه ويأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) أى يتمنون وقرىء ولحوم طير (وحور عين) بالرفع عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أولهم حور وقرىء بالجر عطفاً على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب أى ويأتون حوراً (كأمثال اللؤلؤ المكنون) صفة لحور أو حال (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء أعمالهم أو مصدر مؤكد أى يجزون جزاء (لا يسمعون فيها لغوا) أى باطلا (ولا تأثيما) أى ولا نسبة إلى الاثم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ۞ ولا ترى الضب بها ينجحر ۞ (إلا قيلا) أى قولا (سلاماً سلاماً) بدل من قيلا كقوله تعالى «لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاما» أو صفته أو مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون

سلاما بعد سلام أو لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الاسلام الآخر بدأ أو ردا وقرىء سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى (وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما أجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى (ما أصحاب اليمين) جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها محلها إما الرفع على أنها خبر للمبتدا أو معترضة لامحل لها والخبر قوله تعالى (فى سدر مخضود) وهو على الاول خبر ثان للمبتدا أو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف لبيان ما أبهم فى قوله تعالى «ما أصحاب اليمين» من علو الشأن أى هم فى سدر غير ذى شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه أى قطع وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب (وطلح منضود) قد نضد حمله من أسفله الى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وقال ما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى «لها طلع نضيد» فقيل أو نحولها قال آى القرآن لاتهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه (وظل ممدود) ممتد منبسط لايتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) يسكب لهم أينما شاءوا وكيفما أرادوا بلا تعب أو مصبوب سائل يجرى على الارض فى غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى ما يتصور لاهل المدن وحال أصحاب اليمين بأكمل ما يتصور لاهل البوادى ايذانا بالتفاوت بين الحالين (وفاكهة كثيرة) بحسب الانواع والاجناس (لا مقطوعة) فى وقت من الاوقات كفواكه الدنيا (ولاممنوعة) عن متناوليها بوجه من الوجوه لايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرىء وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى « وحور عين» (وفرش مرفوعة) أى رفيعة القدر أو منضدة مرتفعة أو مرفوعة على الاسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى «هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون» ويدل عليه قوله تعالى (انا أنشأناهن إنشاء) وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا أو أبدعناهن من غير ولاد إبداء أو اعادة وفى الحديث « هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا» وذلك قوله تعالى (فجعلناهن أبكارا)

وقوله تعالى (عربا) جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقيل عربا بسكون الراء (أترابا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام فى قوله تعالى (لأصحاب اليمين) متعلقة بأنشأنا أو جعلنا أو بأترابا كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له فى السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا أى كائنات لاصحاب اليمين أو خبر مبتدا محذوف أى هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى (ثلة من الاولين وثلة من الاخرين) وهو بعيد بل هو خبر مبتدامحذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة من الاولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبى العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين أى من سابقى هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هم جميعا من أمتى» (وأصحاب الشمال) شروع فى تفصيل أحوالهم التى أشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام فى قوله تعالى (ما أصحاب الشمال) عين ما فصل فى نظيره وكذا فى قوله تعالى (فى سموم وحميم) والسموم حر نار ينفذ فى المسام والحميم الماء المتناهى فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لابارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خبر ما فى الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع اذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل وقرىء لابارد ولا كريم بالرفع أى هو لابارد ولا كريم وقوله تعالى (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب أى انهم كانوا قبل ماذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلاجرم عذبوا بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب (وكانوا يقولون) لغاية عتوهم وعنادهم (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما) أى كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية وإذا متمحضة للظرفية والعامل فيها مادل عليه قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) لانفسه لان مابعد ان واللام والهمزة لايعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص انكاره به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له بالكلية و تكرير الهمزة

لتأكيد النكير وتحلية الجملة بأن لتأكيد الانكار لا لانكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله «أفلا تعقلون» على رأى الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال مالامزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تعالى (أو آباؤنا الأولون) لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك الفصل بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرئ أوآباؤنا (قل) رداً لانكارهم وتحقيقا للحق (إن الاولين والآخرين) من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وفى تقديم الاولين مبالغة فى الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم أشد من انكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى (لمجموعون) بعد البعث وقرئ لمجمعون (إلى ميقات يوم معلوم) إلى ماوقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة (ثم إنكم أيها الضالون) عطف على إن الاولين داخل تحت القول وثم للتراخى زمانا أورتبة (المكذبون) أى بالبعث والخطاب لاهل مكة وأضرابهم (لآكلون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجر من زقوم) من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو وصف الشجر أى كائن من زقوم (فمالئون منها البطون) أى بطونكم من شدة الجوع (فشاربون عليه) عقيب ذلك بلاريث (من الحميم) أى الماء الحار فى الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لماقبله على طريقة قوله تعالى «فكذبوا عبدنا» أى لا يكون شربكم شرباً معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولاتروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لايتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم مايضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش مايضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضا مصدر وقرئ

بالكسر على أنه هو اسم المشروب (هذا) الذى ذكر من أنواع العذاب (نزلهم يوم الدين) أى يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو مايعد للنازل مما حضر فما ظنك بمالهم بعد مااستقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهكم بهم مالايخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاى تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ماقبلها أى فهلا تصدقون بالخالق فان مالايحققه العمل ولايساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق فى شئ وقيل بالبعث استدلالا عليه بالانشاء فان من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا (أفرأيتم ماتمنون) أى تقذفون فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها (أأنتم تخلقونه) أى تقدرونه وتصورونه بشرا سويا (ام نحن الخالقون) له من غير دخل شئ فيه . وأم قيل منقطعة لان ما بعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة (نحن قدرنا بينكم الموت) أى قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا (وما نحن بمسبوقين) أى انا قادرون (على أن نبدل أمثالكم) لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى مكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الخلق والاطوار ولاتعهدون بمثلها قال الحسن رحمه الله أى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن نبدل الخ اما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى بمعنى اللام ومابينهما اعتراض (ولقد علمتم النشأة الاولى) هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب (فلولا تذكرون) فهلا تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانه أقل صنعا لحصول المواد وتخصص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثى وفى الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور (أفرأيتم ماتحرثون) أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا يرف (أم نحن الزارعون) أى المنبتون لا أنتم والكلام فى أم كما مر آنفا (لو نشاء لجعلناه

حطاما) هشيما متكسرا متفتتا بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله (فظلتم) بسبب ذلك (تفكهون) تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبتم فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترفتم لاجله من المعاصى فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرىء تفكنون أى تتندمون وقرىء فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل (انا لمغرمون) أى لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرىء أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون أى قائلين أو تقولون انا لمغرمون (بل نحن محرومون) حرمنا رزقنا او محارفون مجدودون لاحظ لنا ولا بخت لا مجدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب أهم المقاصد المنوطة به (أأنتم أنزلتموه من المزن) أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه عذب (أم نحن المنزلون) له بقدرتنا (لو نشاء جعلناه أجاجا) ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع اثباتها فى الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب فى الاهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى (فلو لا تشكرون) تحضيض على شكر الكل (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والعفار (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبىء عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لا تخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار. كما أن التعبير عن نفخ الروح بالانشاء فى قوله تعالى «ثم أنشأناه خلقا آخر» لذلك وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها اى جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا من نار جهنم لما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام «ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم» وقيل تبصرة فى امر البعث فانه ليس بأبدع من اخراج النار من الشىء الرطب (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لانهم أحوج اليها فان المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد

وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم ويسد خللهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الاهم هو النفع الاخروى والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب ما بعدها على ماعدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى إما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها أو تعجبا من أمرهم فى غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكراً على تلك النعم السابقة أى فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فان اطلاق الاسم للشىء ذكر له والعظيم صفة للاسم أو الرب (فلا أقسم) أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى «لئلا يعلم» أو فلأنا أقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم أو فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ما قيل من أن المعنى فلا أقسم إذ الامر أوضح من أن يحتاج إلى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به (بمواقع النجوم) أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير أو لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فان له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وإنه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (انه لقرآن كريم) أى كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك أريد به نفى علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمتموه أو لعملتم بموجبه (فى كتاب مكنون) أى مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح (لا يمسه إلا المطهرون) إما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الاوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهى أى لا ينبغى أن يمسه إلا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» أى لا ينبغى له أن يظلمه أو يسلمه إلى من يظلمه وقيل لا يطلبه إلا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام

والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أوغيرهم بالاستغفار أوغيره (تنزيل من رب العالمين) صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا (أفبهذا الحديث) الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم (أنتم مدهنون) أى متهاونون به كمن يدهن فى الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم) أى شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء والاول هو الاوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل (فلولا إذا بلغت الحلقوم) الخ تبكيت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى «نحن خلقناكم» إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لاظهار عجزهم وإذا ظرفية أى فهلا إذا بلغت النفس أى الروح وقيل نفس أحدكم الحلقوم وتداعت إلى الخروج (وأنتم حينئذ) أيها الحاضرون حول صاحبها (تنظرون) إلى ما هو فيه من الغمرات (ونحن أقرب اليه) علما وقدرة وتصرفا (منكم) حيث لا تعرفون من حاله إلا ما تشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع أدنى شىء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت (ولكن لا تبصرون) لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى (فلولا ان كنتم غير مدينين) أى غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظرا إلى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى (ترجعونها) أى النفس إلى مقرها هو العامل فى إذا والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهى مع ما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى إن كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم بخلقنا إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها الحلقوم (إن كنتم صادقين) فى اعتقادكم فان عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى (فأما إن كان من المقربين) الخ شروع فى بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أى فأما إن كان الذى بين حاله من السابقين من الأزواج الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم (فروح) أى فله استراحة وقرىء فروح بضم الراء

وفسر بالرحمة لأنها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم) أى ذات تنعم (وأما إن كان من أصحاب اليمين) عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبىء عن شأنهم سواه كما ذكر للفريقين الآخرين وقوله تعالى (فسلام لك من أصحاب اليمين) اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لاحكاية إنشاء سلام بعضهم على بعض وإلا لقيل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد منهم للتشريف (وأما إن كان من المكذبين الضالين) وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى « ثم إنكم أيها الضالون المكذبون » ذما لهم بذلك وإشعاراً بسبب ما ابتلوا به من العذاب (فنزل) أى فله نزل كائن (من حميم) يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل (وتصلية جحيم) أى إدخال فى النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها (إن هذا) أى الذى ذكر فى السورة الكريمة (لهو حق اليقين) أى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب التسبيح أو الأمر به على ما قبلها فان حقية ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق « عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا »

﴿ سورة الحديد مكية وقيل مدنية ﴾
(وآيها تسع وعشرون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سبح لله ما فى السموات والأرض) التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح فى الأرض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسندهنا إلى غير العقلاء أيضاً فان ما فى السموات والأرض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقراً فيهما أو جزءاً منهما كما مر فى آية الكرسى أريد به معنى عام مجازى شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من أفراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى « وإن من شىء إلا يسبح بحمده » وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وسبحوه واللام إما

مزيدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له أو للتعليل أى فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه ومجيئه فى بعض الفواتح ماضياً وفى البعض مضارعاً للايذان بتحققه فى جميع الأوقات وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسبيح الاختيارى أن يسبحه تعالى فى جميع أوقاته كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون (وهو العزيز) القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شىء (الحكيم) الذى لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى (له ملك السموات والأرض) أى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات مما نعلمه وما لا نعلمه وقوله تعالى (يحيى ويميت) استئناف مبين لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالا من ضميرله ليس كما ينبغى (وهو على كل شىء) من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الأحياء والأماتة (قدير) مبالغ فى القدرة (هو الاول) السابق على سائر الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها (والآخر) الباقى بعد فنائها حقيقة أو نظراً إلى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهى فانية (والظاهر) وجود الكثرة دلائله الواضحة (والباطن) حقيقة فلا تحوم حوله العقول والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الأوقات والظهور والخفاء (وهو بكل شىء عليم) لا يعزب عن علمه شىء من الظاهر والخفى (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) بيان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مراراً (يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) مر بيانه فى سورة سبأ (وهو معكم أينما كنتم) تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) عبارة عن احاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد به ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من أنه دليل عليه وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض) تكرير للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى (وإلى الله ترجع الأمور) أى اليه وحده لا إلى غيره استقلالا أو اشتراكا ترجع جميع الأمور على البناء للمفعول من رجع رجعاً وقرىء على البناء للفاعل من رجع رجوعاً (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) مر تفسيره مراراً وقوله تعالى (وهو عليم) أى مبالغ فى العلم (بذات الصدور) أى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من

نياتهم بعد بيان احاطته بأعمالهم التي يظهرونها (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً لهم فى الانفاق فان من علم أنها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق أو جعلكم خلفاء ممن قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) حسبما أمروا به (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية وأعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الأجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله عز وجل (وما لكم لا تؤمنون بالله) استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما أمروا به بانكار أن يكون لهم فى ذلك عذر ما فى الجملة على أن لا تؤمنون حال من الضمير فى لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار أى أى شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي إلى السبب فقط مع تحقق المسبب لا إلى السبب والمسبب جميعاً كما فى قوله تعالى «ومالى لا أعبد الذي فطرنى» فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما فى أتضرب أباك وأخرى لانكار الوقوع كما فى أأضرب أبى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفى قوله تعالى «ما لكم لا ترجون لله وقاراً» فيكون مضمون الجملة الحالية محققاً فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان إلى المسبب أيضاً كما فى قوله تعالى «ومالى لا أعبد» إلى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة أمر مفروض حتما قد أنكر ونفى سببه فانتفى نفسه أيضاً وقوله تعالى (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه أى وأى عذر فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم أى وقد أخذ الله ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر وقرىء وقد أخذ مبنياً للمفعول برفع ميثاقكم (إن كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه (هو الذى ينزل على عبده) حسبما يعن لكم من المصالح (آيات بينات) واضحات (ليخرجكم) أى الله تعالى أو العبد بها (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر

إلى نور الايمان (وان الله بكم لرؤوف رحيم) حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله) توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار أن يكون لهم فى ذلك أيضاً عذر من الأعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذى بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ أى وأى شىء لكم فى أن لا تنفقوا فيما هو قربة إلى الله تعالى ما هو له فى الحقيقة وانما أنتم خلفاؤه فى صرفه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والارض) حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق أشد فى القبح وأدخل فى الانكار فان بيان بقاء جميع ما فى السموات والارض من الاموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى فى ايجاب الانفاق عليهم من بيان أنها لله تعالى فى الحقيقة وهم خلفاؤه فى التصرف فيها كأنه قيل وما لكم فى ترك انفاقها فى سبيل الله والحال أنه لا يبقى لكم منها شى بل تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم فى الانفاق بعد بيان أن لهم أجرا كبيرا على الاطلاق حثالهم على تحرى الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بأنه من أهم مواد الانفاق مع كونه فى نفسه من أفضل العبادات وأنه لا يخلو من الانفاق أصلا وقسيم من أنفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرىء قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة (أولئك) اشارة الى من أنفق والجمع بالنظر الى معنى من كما أن افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء أى أولئك المنعوتون بذينك النعتين الجميلين (أعظم درجة) وأرفع منزلة (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال (وكلا) أى وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الاولين فقط

وقرىء وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله تعالى (والله بما تعملون خبير) بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فانه أول من آمن وأول من أنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا أشرف به على الهلاك وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق فى سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين أى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله تعالى رجاء أن يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى أكرم المال وافضل الجهات (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل أيقرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره أضعافا (وله أجر كريم) أى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف أضعافا كثيرة وقرىء بالرفع عطفا على يقرض أو حملا على تقدير مبتدا أى فهو يضاعفه وقرىء يضعفه بالرفع والنصب (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله تعالى «وله أجر كريم» ولقوله تعالى فيضاعفه أو منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى (يسعى نورهم) حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى (بين أيديهم وبأيمانهم) وقيل هو هداهم وبأيمانهم كتبهم أى يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفى أيمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفىء تارة ويلمع أخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة (بشراكم اليوم جنات) مقدر بقول هو حال أو استئناف أى يقال لهم بشراكم أى ما تبشرون به جنات أو بشراكم دخول جنات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك) أى ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذى لا غاية وراءه وقرىء ذلك الفوز العظيم (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا انظرونا) أى انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا فانهم إذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين أيديهم وقرىء أنظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم (نقتبس من نوركم) أى نستضىء منه وأصله اتخاذ القبس (قيل) طرداً

لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة (ارجعوا وراءكم) أى الى الموقف (فالتمسوا نورا) فانه من ثم يقتبس أو الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة أو ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نوراً آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم أو أرادوا بالنور ما وراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم (فضرب بينهم) بين الفريقين (بسور) أى حائط والباء زائدة (له باب باطنه) أى باطن السور أو الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة (فيه الرحمة وظاهره) وهو الطرف الذى يلى النار (من قبله) من جهته (العذاب) وقرىء فضرب على البناء للفاعل (ينادونهم) استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم (ألم نكن) فى الدنيا (معكم) يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر (قالوا بلى) كنتم معنا بحسب الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) فى أمر الدين (وغرتكم الامانى) الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس أمر الاسلام (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغركم بالله) الكريم (الغرور) أى غركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرىء الغرور بالضم (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) فداء وقرىء تؤخذ بالتاء (ولا من الذين كفروا) أى ظاهرا وباطنا (مأواكم النار) لا تبرحونها أبدا (هى مولاكم) أولى بكم وحقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم أى مكان لقول القائل انه لكريم أو مكانكم عن قريب من الولى وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله ؛ تحية بينهم ضرب وجيع ؛ أو متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها (وبئس المصير) أى النار (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) استئناف ناع عليهم تثاقلهم فى أمور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروى أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن اى الم يجيء وقت ان تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أنى الامر اذا جاء اناه اى وقته وقرىء الم يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرىء الما يأن وفيه دلالة على أن المنفى متوقع (وما نزل من الحق) اى القرآن وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به أيضا فالعطف لتغاير العنوانين فانه ذكر وموعظة كما

أنه حق نازل من السماء والا فالعطف كما فى قوله تعالى «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا» ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التى من جملتها ماسبق وما لحق من الانفاق فى سبيل الله تعالى وقرىء نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وأنزل (ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرىء بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهى عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم (فطال عليهم الامد) أى الاجل وقرىء الامد بتشديد الدال أى الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم من الكتابين (فقست قلوبهم) فهى كالحجارة أو أشد قسوة (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية (اعلموا أن الله يحى الارض بعد موتها) تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة (قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها هذه الآيات (لعلكم تعقلون) كى تعقلوا مافيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين (ان المصدقين والمصدقات) أى المتصدقين والمتصدقات وقد قرىء كذلك وقرىء بتخفيف الصاد من التصديق أى الذين صدقوا الله ورسوله (وأقرضوا الله قرضا حسنا) قيل هو عطف على مافى المصدقين من معنى الفعل فانه فى حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب بأن فيه فصلا بين أجزاء الصلة بأجنبى وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى أن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل إن المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل إن المصدقين على العموم تغليبا وأخص المصدقات من بينهم كما تقول إن الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على أن مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الأجر كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن إلى التصدق الداعية إلى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يامعشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة (يضاعف

لهم) على البناء للمفعول مسندا إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل إلى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف أي ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل اى يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها (ولهم اجر كريم) مر ما فيه من الكلام (والذين آمنوا بالله ورسله) كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم فى خاتمة سورة البقرة (اولئك) إشارة إلى الموصول الذى هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا اوهو مبتدأ ثان وقوله تعالى (هم) مبتدأ ثالث خبره (الصديقون والشهداء) وهو مع خبره خبر للثانى وهو مع خبره خبر للاول او هم ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول اى اولئك (عند ربهم) بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله تعالى او هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالواحدنية ولهم بالايمان او على الأمم يوم القيامة وقوله تعالى (لهم اجرهم ونورهم) بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على انه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على انه خبر ثان للموصول او الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول للموصول والأخيران للصديقين والشهداء اى لهم مثل اجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الأول من الأجر والنور وبين تمام ما للفريقين الآخيرين بل بين تمام ما للاول من الأصل والاضعاف وبين ما للاخيرين من الاصل بدون الاضعاف وأما على الوجه الثانى فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الأجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم أجرهم الخ (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) الموصوفون بتلك الصفة القبيحة (أصحاب الجحيم) بحيث لا يفارقونها أبدا (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد) بعد ما بين حال الفريقين فى الآخرة شرح حال الدنيا التى اطمأن بها الفريق الثانى وأشير إلى أنها من محقرات الأمور التى لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الحراث (نباته) أى النبات الحاصل به (ثم يهيج) أى يجف بعد خضرته ونضارته (فتراه مصفرا) بعد

مار أيته ناضرا مونقاو قرىء مصفار او إنما لم يقل فيصفر إيذانا بأن اصفراره مقارن لجفافه و انما المترتب عليه رؤيته كذلك (ثم يكون حطاما) هشيما متكسرا و محل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير فى لعب لانه فى معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف أى مثل الحياة الدنيا كمثل الخ و بعد مابين حقارة أمر الدنيا تزهيدا فيها و تنفيرا عن العكوف عليها أشير إلى فخامة شأن الآخرة وعظم مافيهامن اللذات و الآلام ترغيبا فى تحصيل نعيمها المقيم و تحذيرا من عذابها الأليم وقدم ذكر العذاب فقيل (وفى الآخرة عذاب شديد) لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحياة الدنيا (ومغفرة) عظيمة (من الله ورضوان) عظيم لايقادر قدره (وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) أى لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير «الدنيا متاع الغرور وإن ألهتك عن طلب الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة» (سابقوا) أى سارعوا مسارعة المسابقين لاقرانهم فى المضمار (الى مغفرة) عظيمة كائنة (من ربكم) أى الى موجباتها من الاعمال الصالحة (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أى كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الايمان وحده كاف فى استحقاقها (ذلك) الذى وعد من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه) تفضلا واحسانا (من يشاء) ايتاءه اياه من غير ايجاب (والله ذو الفضل العظيم) ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل الذى لاغاية وراءه (ما أصاب من مصيبة فى الارض) كجدب وعاهة فى الزروع والثمار (ولا فى أنفسكم) كمرض وآفة (الا فى كتاب) أى الامكتوبة مثبتة فى علم الله تعالى أو فى اللوح (من قبل أن نبرأها) أى نخلق الانفس أو المصائب أو الارض (ان ذلك) أى اثباتها فى كتاب (على الله يسير) لاستغنائه فيه عن العدة والمدة (لكيلا تأسوا) أى أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا (على ما فاتكم) ولا تفرحوا بما آتاكم) أى أعطاكم الله تعالى منها فان من علم أن الكل مقدر يفوت ما قدر فواته ويأتى ما قدر اتيانه لامحالة لايعظم جزعه على مافاته وفرحه ولافرحه بما هو آت وقرىء بما أتاكم من الاتيان وفى القراءة الاولى اشعار بأن فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها وقرىء بما أوتيتم والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر

والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) فان من فرح بالحظوظ الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لامحالة. وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح المذكور ايذان بأنه أقبح من الاسى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لايضره الاعراض عن شكره بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بأن الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرىء فان الله الغنى (لقد أرسلنا رسلنا) أى الملائكة الى الانبياء أو الانبياء الى الامم وهو الاظهر (بالبينات) أى الحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى جنس الكتاب الشامل للكل (والميزان ليقوم الناس بالقسط) أى بالعدل روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والمقمعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى «وأنزل لكم من الانعام» وذلك أن أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى (فيه بأس شديد) لان آلات الحروب انما تتخذ منه (ومنافع للناس) اذ ما من صنعة الا والحديد أو ما يعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله) عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر الاسلحة فى مجاهدة أعدائه أو متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أى وليعلم الله من ينصره ورسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى (بالغيب) حال من فاعل ينصر أو مفعوله اى غائبا عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى (ان الله قوى عزيز) اعتراض تذييلى جىء به تحقيقا للحق وتنبيها على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته فى اعلاء كلمته واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غنى بقدرته وعزته عنهم فى كل ما يريده (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) نوع تفصيل لما أجمل فى قوله تعالى «لقد أرسلنا رسلنا» الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالأمر أى وبالله لقد أرسلناهما (وجعلنا

فى ذريتهما النبوة والكتاب) بأن استنبأناهم وأوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم (فمنهم) أى من الذرية أو من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين (مهتد) إلى الحق (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والايذان بغلبة الضلال وكثرتهم (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أى ثم أرسلنا بعدهم رسلنا (وقفينا بعيسى بن مريم) أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى بن مريم عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن أرسلا اليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية (وآتيناه الانجيل) وقرىء بفتح الهمزة فانه أعجمى لايلزم فيه مراعاة أبنية العرب (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) وقرىء رآفة على فعالة (ورحمة) أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى شأن أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام رحماء بينهم (ورهبانية) منصوب إما بفعل مضمر يفسره الظاهر أى وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) وإما بالعطف على ماقبلها وابتدعوها صفة لها أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم أى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهى المبالغة فى العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرىء بضم الراء كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا أن يفتتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى (ما كتبناها عليهم) جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفى على الوجه الأول متوجه إلى أصل الفعل وقوله تعالى (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى مافرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) من حيث إن النذر عهد مع الله لايحل نكثه لاسيما إذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثانى متوجه إلى قيده لا إلى نفسه والاستثناء متصل من أعم العلل أى ما كتبناها عليهم بأن وفقناهم لابتداعها لشىء من الأشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم (فآتينا الذين آمنوا منهم) إيمانا صحيحا وهو

الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وأنى لها استتباع الأجر (أجرهم) أي ما يخص بهم من الأجر (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين بها إذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم به مما لا يساعده المقام (يا أيها الذين آمنوا) أي بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) أي بمحمد عليه الصلاة والسلام وفي إطلاقه إيذان بأنه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم إلى غيره (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن لا على معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ (ويجعل لكم نورا تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى « يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم » (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصي (والله غفور رحيم) أي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب) متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط إذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبىء عنه قراءة ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بادغام النون في الياء وأن في قوله تعالى (ألا يقدرون على شيء من فضل الله) مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة في حيز النصب على أنها مفعول يعلم أي ليعلموا أنه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى (وأن الفضل بيد الله) عطف على أن لا يقدرون وقوله تعالى (يؤتيه من يشاء) خبر ثان لأن وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز أن يكون الامر بالتقوى والايمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى « أولئك يؤتون أجرهم مرتين » ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم في الايمان لا نفرقون بين أحد من رسله وروي أن مؤمني أهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرىء ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرىء

بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرىء ألا يقدروا هذا وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لايقدرون للنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذى هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى « وأن الفضل بيد الله» الخ عطفا على أن لا يعلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله .

(سورة المجادلة)

(مدنية وقيل العشر الاول مكى والباقى مدنى وآيها اثنتان وعشرون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قد سمع الله) باظهار الدال وقرىء بادغامها فى السين (قول التى تجادلك فى زوجها) أى تراجعك الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من الظهار وقرىء تحاورك وتحاولك أى تسائلك (وتشتكى الى الله) عطف على تجادلك أى تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله أى تجادلك وهى متضرعة اليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ماقال فقال لها ما أظنك الا قد حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يارسول الله ماذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفى رواية ماأراك الا قد حرمت عليه فى المراركلها فقالت أشكو الى الله فاقتى ووجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفى كلمة قد اشعار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استفتائها ما عندى فى أمرك شيء وأنها كانت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى أشكو اليك فأنزل على لسان نبيك . ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى (والله يسمع تحاوركما) أى يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفى نظمها فى سلك الخطاب

تغليباً تشريف لها من جهتين والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحافها في المسئلة ومبالغتها في التضرع الي الله تعالى ومدافعته عليه الصلاة والسلام اياها بجواب منبيء عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالها من دواعي الاجابة وقيل هي حال وهو بعيد وقوله عز وجل (ان الله سميع بصير) تعليل لما قبله بطريق التحقيق أي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) شروع في بيان شأن الظهار في نفسه وحكمه المرتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقريء يظاهرون من ظاهر ويتظاهرون ويظهرون وقوله تعالى (ماهن أمهاتهم) خبر للموصول أي ما نساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقريء أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وبأمهاتهم (إن امهاتهم) أي ماهن (الااللائي ولدنهم) فلاتشبه بهن في الحرمة الامن ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج النبي عليه الصلاة والسلام فدخلن بذلك في حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شيء من الامومة (وإنهم ليقولون) بقولهم ذلك (منكرا من القول) على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فانه أمر محقق بل كونه منكرا أي عند الشرع وعند العقل والطبع أيضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى «انكم لتقولون قولا عظيما» (وزورا) أي محرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) أي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق أو بالمتاب عنه وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم الحكم الحادثة انتظاما أوليا أي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أي الى ماقالوا بالتدارك والتلافي لابالتقرير والتكرير كما في قوله «تعالى أن تعودوا لمثله أبدا» فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى «هدانا لهذا» وقوله تعالى «فاهدوهم الى صراط الجحيم» وقوله تعالى «بان ربك أوحى لها» وقوله تعالى «وأوحي الى نوح» (فتحرير رقبة) أي فتداركه أو فعليه أو فالواجب اعتاق رقبة أي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله تعالى يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب

التحرير بتكرر الظهار وقيل ماقالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر فى قوله تعالى «ونرثه مايقول» أى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة (من قبل أن يتماسا) أى من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شىء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى (ذلكم) اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره (توعظون به) أى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطى الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرح هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه (والله بما تعملون) من الاعمال التى من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار (خبير) أى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشىء منها (فمن لم يجد) أى الرقبة (فصيام شهرين) أى فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل ان يتماسا) ليلا أو نهارا عمدا أو خطأ (فمن لم يستطع) أى الصيام لسبب من الاسباب (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف ان مس فى خلال الاطعام (ذلك) اشارة الى مامر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها ومافيه من معنى البعد قدمر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلل بمابعده أى ذلك واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك) اشارة الى الاحكام المذكورة ومافيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة (حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) أى الذين لا يعملون بها (عذاب أليم) عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى «ومن كفر فان الله غنى عن العالمين» (ان الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين كما أنه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخرة وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة فى أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع مالاغاية وراءه (كبتوا) أى أخزوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ماوقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى «أتى أمر الله» وقيل أصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) من كفار الامم

الماضية المعادين للرسل عليهم الصلاة والسلام (وقد أنزلنا آيات بينات) حال من واو كبتوا أي كبتوا لمحادتهم والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) أي بتلك الآيات أو بكل ما يجب الإيمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له (جميعا) أي كلهم بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين في حالة واحدة (فينبئهم بما عملوا) من القبائح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها في تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رءوس الأشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى (أحصاه الله) استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال إما كيفية التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهي أعراض منقضية متلاشية فقيل أحصاه الله عددا لم يفته منه شيء فقوله تعالى (ونسوه) حينئذ حال من مفعول أحصى بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ما عاينوه من العذاب إنما حاق بهم لأجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير (والله على كل شيء شهيد) لا يغيب عنه أمر من الأمور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لإحصائه تعالى وقوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى «ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه» وفي قوله تعالى «ألم تر أنهم في كل واد يهيمون» أي ألم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة أنه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما وقوله تعالى (ما يكون من نجوى ثلاثة) الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرىء تكون بالتاء اعتبارا لتأنيث النجوى وإن كان غير حقيقي أي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر أي من مسارتهم على أن نجوى مضافة إلى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها إما بتقدير مضاف أي من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم نجوى في أنفسهم مبالغة (إلا هو) أي الله عز وجل (رابعهم) أي جاعلهم أربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة (إلا هو سادسهم) وتخصيص العددين بالذكر إما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين وإما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد

ذلك فقيل (ولا أدنى من ذلك) أي مما ذكر كالواحد والاثنين (ولا أكثر) كالستة وما فوقها (إلا هو معهم) يعلم ما يجري بينهم وقرىء ولا أكثر بالرفع عطفاً على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن جعل لا لنفي الجنس (أينما كانوا) من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض فان علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة قرباً وبعداً (ثم ينبئهم) وقرىء ينبئهم بالتخفيف (بما عملوا يوم القيامة) تفضيحاً لهم وإظهاراً لما يوجب عذابهم (إن الله بكل شيء عليم) لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل سواء (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) عطف عليه داخل في حكمه أي بما هو إثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام وذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرىء وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) فيقولون السام عليك أو أنعم صباحاً والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين (ويقولون في أنفسهم) أي فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) أي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبياً (حسبهم جهنم) عذاباً (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) أي جهنم (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم) في أنديتكم وفي خلواتكم (فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) كما يفعله المنافقون وقرىء فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف إحدى التاءين (وتناجوا بالبر والتقوى) أي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عليه الصلاة والسلام (واتقوا الله الذي اليه تحشرون) وحده لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازيكم بكل ما تأتون وتذرون (إنما النجوى) المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان (من الشيطان) لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) خبر آخر أي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهم انها في نكبة أصابتهم (وليس بضارهم) أي الشيطان أو التناجي بضار المؤمنين (شيأ) من الاشياء أو شيأ من الضرر (الا باذن الله) أي بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره وضره (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا) أي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عنى أي تنح وقرىء تفاسحوا وقوله تعالى (فى المجالس) متعلق بقيل وقرىء فى المجلس على أن المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتضامون تنافسا فى القرب منه عليه الصلاة والسلام وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله تعالى «مقاعد للقتال» قيل كان الرجل يأتى الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرىء فى المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا أى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه (فافسحوا يفسح الله لكم) أى فى كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها (واذا قيل انشزوا) أى انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو غيرهما من أعمال الخير (فانشزوا) فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرىء بكسر الشين (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الآخرة (والذين أوتوا العلم) منهم خصوصا (درجات) عالية بما جمعوا من أثرتى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث «فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» (والله بما تعملون خبير) تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرىء يعملون بالياء التحتانية (يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) فى بعض شؤنكم المهمة الداعية الى مناجاته عليه الصلاة والسلام (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أى فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى أنه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة (ذلك) أى التصدق (خير لكم وأطهر) أى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) منبىء عن الوجوب

لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أى أخفتم الفقر من تقديم الصدقات أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر . وجمع صدقات لجمع المخاطبين (فاذلم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم ذلك (وتاب الله عليكم) بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه اشعار بأن اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ماقام مقام توبتهم واذ على بابها من المضى وقيل بمعنى اذا كما فى قوله تعالى «اذ الاغلال فى أعناقهم» وقيل بمعنى ان (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى فاذ فرطتم فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكاة (وأطيعوا الله ورسوله) فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفريط (والله خبير بما تعملون) ظاهرا وباطنا (ألم تر) تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين أى ألم تنظر (الى الذين تولوا) أى والوا (قوما غضب الله عليهم) وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى «من لعنه الله وغضب عليه» (ماهم منكم ولا منهم) لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (ويحلفون على الكذب) أى يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على تولوا داخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على مايعلم أنه كذب فى غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع ومالا يعلمه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال «يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبدالله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله مافعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فنزلت» (أعد الله لهم) بسبب ذلك (عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (إنهم ساء ما كانوا يعملون) فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرىء بكسر الهمزة أى إيمانهم الذى أظهروه لأهل الاسلام (جنة) وقاية وسترة دون دمائهم وأموالهم فالاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما أظهروه بالفعل وأما على القراءة الاولى فهو عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لا عن

استعها لها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يعرب عنه الفا في قوله تعالى (فصدوا) أى الناس (عن سبيل الله) فى خلال أمنهم بتثبيط من قوى عن الدخول فى الاسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم (فلهم عذاب مهين) وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله) أى من عذابه تعالى (شيئاً) من الاغناء روى أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة (أصحاب النار) أى ملازموها ومقارنوها (هم فيها خالدون) لا يخرجون منها أبدا (يوم يبعثهم الله جميعا) قيل هو ظرف لقوله تعالى «لهم عذاب مهين» (فيحلفون له) أى لله تعالى يومئذ على أنهم مسلمون (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) فى الآخر (أنهم) بتلك الايمان الفاجرة (على شيء) من جلب منفعة أو دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية (ألا إنهم هم الكاذبون) البالغون فى الكذب إلى غاية لامطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين (استحوذ عليهم الشيطان) أى استولى عليهم من حذت الابل إذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق أى ملكهم (فأنساهم ذكر الله) بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم (أولئك) الموصوفون بما ذكر من القبائح (حزب الشيطان) أى جنوده وأتباعه (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) أى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم وفى تصدير الجملة بحرفى التنبيه والتحقيق واظهار المضافين معا فى موقع الاضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد مالا يخفى (إن الذين يحادون الله ورسوله) استئناف مسوق لتعليل ماقبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم (أولئك) بما فعلوا من التولى والموادة (فى الاذلين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الاولين والآخرين لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك

(كتب الله) استئناف وارد لتعليل كونهم فى الأذلين أى قضى وأثبت اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب فقيل (لأغلبن أنا ورسلى) أى بالحجة والسيف وما يجرى مجراه أو باحدهما ونظيره قوله تعالى « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون» وقرىء ورسلى بفتح الياء (إن الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) لا يغلب عليه فى مراده (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وتجد اما متعد إلى اثنين فقوله تعالى (يوادون من حاد الله ورسوله) مفعوله الثانى أو إلى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صلة أخرى له أى قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى انه لا ينبغى أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل أحد (ولو كانوا) أى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فيما قبله باعتبار لفظها (آباءهم) آباء الموادين (أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) فان قضية الايمان بالله تعالى أن يهجر الجميع بالمرة والكلام فى لو قد مر على التفصيل مرارا (أولئك) اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كان أقرب الناس اليهم وأمس رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره (كتب فى قلوبهم الايمان) أى أثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولا شىء من أعمال الجوارح يثبت فيه (وأيدهم) أى قواهم (بروح منه) أى من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى (ويدخلهم) الخ بيان لآثار رحمته الاخروية إثر بيان ألطافه الدنيوية أى ويدخلهم فى الآخرة (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) أبد الآبدين وقوله تعالى (رضى الله عنهم) استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى (ورضوا عنه) بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى (أولئك حزب الله) تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى (الا أن حزب الله هم المفلحون) بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين والكلام فى تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر فى مثلها . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة.

(سورة الحشر مدنية وآيها أربع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) مر مافيه من الكلام في صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روي أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة في فتن بنى اسرائيل انتظارا لبعثة النبي عليه الصلاة والسلام وعاهدهم أن لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام يوم بدر قالوا هو النبي الذى نعته في التوراة لاترد له راية فلما كان يوم أحد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في أربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه الصلاة والسلام عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه اليهم لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليه الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ماشاءوا من متاعهم فجلوا الى الشام الى أريحاء وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله والله على كل شيء قدير وقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في قوله تعالى « قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به» أى بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج « كأنه في الجلد توليع البهق » كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذى أخرج الخ ففيه اشعار بأن في الاخراج حكمة باهرة وقوله تعالى (لأول الحشر) أى في أول حشرهم الى الشام وكانوا

من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب الى الشام أوهذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشام (ماظننتم) أيها المسلمون (ان يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم أومانعتهم من بأس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم وأعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لايبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم مرتفعا على الفاعلية (فأتاهم الله) أى امر الله تعالى وقدره المقدور لهم (من حيث لم يحتسبوا) ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة وقيل الضمير فى أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله وقرىء فآتاهم أى فآتاهم الله العذاب أو النصر (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى أثبت فيها الخوف الذى يرعبها أى يملؤها (يخربون بيوتهم بأيديهم) ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الازقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل (وايدى المؤمنين) حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم اياه وأمروهم به قيل الجملة حال أو تفسير للرعب وقرىء يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل أو ترك الشىء خرابا والتخريب النقض والهدم (فاعتبروا ياأولى الابصار) فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لايكاد تهتدى اليه الافكار واتقوا مباشرة ما أداهم اليه من الكفر والمعاصى أوانتقلوا من حال الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل فى موقعه (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أى الخروج عن أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف غير متعلق بجواب لو لا جىء به لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لانجاة لهم من عذاب الآخرة (ذلك) أى ماحاق بهم وما سيحيق (بأنهم) بسبب انهم (شاقوا الله ورسوله) وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم من القبائح (ومن يشاق الله) وقرىء يشاقق الله كما فى الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه الصلاة والسلام وليوافق قوله

تعالى (فان الله شديد العقاب) وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد عند من يلتزمه أى شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب وايا ما كان فالشرطية تكملة لماقبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى كأنه قيل ذلك الذى حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذا لهم عقاب شديد (ماقطعتم من لينة) أى أى شىء قطعتم من نخلة وهى فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسر ماقبلها كديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهى النخلة الكريمة (أو تركتموها) الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى «مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها» (قائمة على أصولها) كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشىء ما وقرىء على أصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع كرهن وقرىء قائما على أصوله ذهابا إلى لفظ ما (فبإذن الله) فذاك أى قطعها وتركها بأمر الله تعالى (وليخزى الفاسقين) أى وليذل اليهود ويغيظهم أذن فى قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاءوا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطعان كانت من الالوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى (وما أفاء الله على رسوله) شروع فى بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ماحل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أى ما أعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بأنه كان حقيقا بان يكون له عليه الصلاة والسلام وإنما وقع فى أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ماخلق ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين (منهم) أى من بنى النضير (فما أوجفتم عليه) أى فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) هى ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها لاغير وأما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة منها راحلة والمعنى فاقطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى عليه الصلاة والسلام فافتتحها صلحا من غير ان يجرى بينهم مسايفة كأنه قيل وما أفاء الله

على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أي سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي عليه الصلاة والسلام على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في أموالهم (والله على كل شيء قدير) فيفعل مايشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى) بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه الصلاة والسلام من غير أن تكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة الاولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول مالعقاراتهم أيضا (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف في قسمة الفيء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون) أي الفيء الذى حقه أن يكون للفقراء يعيشون به (دولة) بضم الدال وقرىء بفتحها وهى ما يدول للانسان أي يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها أو بالضم في المال وفي الفتح في النصرة أي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عزبز وقيل الدولة بالضم مايتداول كالغرفة اسم مايغترف فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لايخرجونه الى الفقراء وقرىء دولة بالرفع على أن كان تامة أى كى لايقع دولة على ما فصل من المعانى (وما آتاكم الرسول) أي ما أعطاكموه من الفيء أو من الامر (فخذوه) فانه حقكم أو فتمسكوا به فانه واجب عليكم (وما نهاكم عنه) عن أخذه أو عن تعاطيه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) في مخالفته عليه الصلاة والسلام (ان الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه (للفقراء المهاجرين) بدل من لذى القربى وماعطف عليه فان الرسول عليه الصلاة والسلام لا يسمى فقيرا ومن أعطى أغنياء ذوى القربى خص الابدال بما بعده وأما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير

فتعسف ظاهر (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث اضطرهم كفار مكة وأحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى طالبين منه تعالى رزقا فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة وصفوا أولا بما يدل على استحقاقهم للفىء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده (وينصرون الله ورسوله) عطف على يبتغون فهى حال مقدرة أى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله أو مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة وأى نصرة (أولئك) الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة (هم الصادقون) الراسخون فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا (والذين تبوؤا الدار والايمان) كلام مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفىء بهم من أحسن رضا وأكمله ومعنى تبوئهم الدار أنهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقول من قال ، علفتها تبنا وماء باردا ، وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه (من قبلهم) أى من قبل هجرة المهاجرين على المعانى الاول ومن قبل تبوؤ المهاجرين على الاخيرين ويجوز أن يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه على المعانى الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التى من جملتها اظهار عامة شعائره وأحكامه ولاريب فى تقدم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لاعن اخلاصه قلبا واعتقادا اذلا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك (يحبون من هاجر اليهم) خبر للموصول أى يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم لمحبتهم الايمان (ولا يجدون فى صدورهم) أى فى نفوسهم (حاجة) أى شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك أى ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ (مما أوتوا) أى مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره (ويؤثرون) أى يقدمون المهاجرين (على أنفسهم) فى كل شىء من أسباب المعاش حتى ان من كان عنده امرأتان كان ينزل عن احداهما ويزوجها واحدا منهم (ولو كان بهم خصاصة) اى حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهى فرجة والجملة فى حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبى عليه الصلاة والسلام قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار إلا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة قال لهم «إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم

و دياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح فى أن قوله تعالى والذين تبوءوا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء أو المهاجرين نعم يجوز عطفه على أولئك فان ذلك إنما يستدعى شركة الانصار للمهاجرين فى الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافا مقررا لصدقهم أو حالا من ضمير تبوءوا (ومن يوق شح نفسه) الشح بالضم والكسر وقد قرىء به أيضا اللؤم وإضافته إلى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل أى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما أوليا (هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الناجون من كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرىء يوق بالتشديد (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين هاجروا بعد ماقوى الاسلام أو التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة ولذلك قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأياما كان فالموصول مبتدأ خبره (يقولون) الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة فى الدين والسبق بالايمان كما أن ما عطف عليه من من الجملة السابقة لمدح الانصار أى يدعون لهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا) أى فى الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالايمان) وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) وقرىء غمرا وهما الحقد (للذين آمنوا) على الاطلاق (ربنا انك رؤف رحيم) أى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا (ألم ترالى الذين نافقوا) حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى (يقولون) الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صورته واللام فى قوله تعالى (لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) للتبليغ والمراد بأخوتهم اما توافقهم فى الكفر أو صداقتهم وموالاتهم واللام فى قوله تعالى (لئن أخرجتم) أى من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى (لنخرجن معكم) جواب القسم أى والله لئن أخرجتم لنخرجن معكم

ألبتة وتذهبن فى صحبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم) أى فى شأنكم (أحدا) يمنعنا من الخروج معكم (أبدا) وان طال الزمان وقيل لا نطيع فى قتالكم أوخذلانكم وليس بذاك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوه الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى (وان قوتلتم لننصرنكم) أى لنعاوننكم على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة أنها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم واظهار كفرهم ولا ريب فى أن ما يفعله عليه الصلاة والسلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز أن يدعوا أن خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة فى الدين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى (لئن أخرجوا لايخرجون معهم) الخ تكذيب لهم فى كل واحد من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الاجمال (ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان الامر كذلك فان ابن أبى وأصحابه أرسلوا إلى بنى النضير ذلك سرا ثم أخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الادبار) فرارا (ثم لاينصرون) أى المنافقون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو ليهزمن اليهود ثم لاينفعهم نصرة المنافقين (لأنتم أشد رهبة) أى أشد مرهوبية على أنها مصدر من المبني للمفعول (فى صدورهم من الله) أى رهبتهم منكم فى السر أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى (ذلك) أى ماذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله (بأنهم) بسبب انهم (قوم لايفقهون) أى شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته (لايقاتلونكم) أى اليهود والمنافقون بمعنى لايقدرون على قتالكم (جميعا) أى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن (الا فى قرى محصنة) بالدروب والخنادق (أو من وراء جدر) دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرىء جدر بالتخفيف وقرىء جدار وبامالة فتحة الدال وجدر وجدور وهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) استئناف سيق لبيان ان ماذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى أنفسهم فان بأسهم بالنسبة الى أقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى فى قلوبهم من الرعب (تحسبهم جميعا) مجتمعين متفقين (وقلوبهم شتى) متفرقة

لاألفة بينها (ذلك بانهم) أى ماذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم (قوم لايعقلون) أى لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال .وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وأما ماقيل من ان المعنى لايعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى (كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدامحذوف تقديره مثلهم أى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل أهل بدر أو بنى قينقاع على ما قيل انهم أخرجوا قبل بنى النضير (قريبا) فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ (ذاقوا وبال أمرهم) أى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك فى الدنيا والآخرة لكن لاعلى أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهى ما نطق به قوله تعالى (كمثل الشيطان) فانه خبر ثان للمبتدا المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين أولا وخيبتهم آخرا وقد أجمل فى النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين ما أسند اليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) أى أغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به (فلما كفر قال انى برىء منك) وقرىء أنا برىء منك ان أريد بالانسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى (انى أخاف الله رب العالمين) وان أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ انى برىء منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله الآية (فكان عاقبتهما) بالنصب على انه خبر كان واسمها (أنهما فى النار) وقرىء بالعكس وقد مر أنه أوضح (خالدين فيها) وقرىء خالدان فيها على أنه خبر أن وفى النار لغو (وذلك جزاء الظالمين) أى الخلود فى النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى فى كل ما تأتون وما تذرون (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى أى شىء قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه أولان الدنيا كيوم والآخرة غدوتنكيره

لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه وأما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر نفس واحدة في ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد أو الاول في أداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى (ان الله خبير بما تعملون) أي من المعاصي (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أي نسوا حقوقه تعالى وماقدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها (فأنساهم) بسبب ذلك(أنفسهم) أي جعلهم ناسين لها حتي لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها أو أراهم يوم القيامة من الاهوال ما أنساهم أنفسهم (أولئك هم الفاسقون) الكاملون في الفسق (لا يستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم أصحاب النار في الذكر للايذان من أول الامر بأن القصور الذي ينبيء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى «هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور» الى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى «هل يستوى الذين لا يعلمون والذين لا يعلمون» فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولادلالة في الآية الكريمة على أن المسلم لايقتص بالكافر وان الكفار لايملكون أموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الأخروية كما ينبيء عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى (أصحاب الجنة هم الفائزون) فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن مكروه (لو أنزلنا هذا القرآن) العظيم الشان المنطوى على فنون القوارع (على جبل) من الجبال (لرأيته) مع كونه علما في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه (خاشعا متصدعا من خشية الله) أى متشققا منها وقرىء مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير مافيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه (هو الله الذى لا اله الا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه في الوجود

وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو) كرر لابراز الاعتناء بأمر التوحيد (الملك القدوس) البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا ما وقرىء بالفتح وهى لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الامن وقرىء بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شىء مفيعل من الامن بقلب همزته هاء (العزيز) الغالب (الجبار) الذى جبر خلقه على ما أراد أو جبر أحوالهم أى أصلحها (المتكبر) الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصانا أو البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التى لا يمكن أن يشاركه تعالى فى شىء منها شىء ما أصلا (هو الله الخالق) المقدر للاشياء على مقتضى حكمته (البارىء) الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة (المصور) الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد (له الاسماء الحسنى) لدلالتها على المعانى الحسنة (يسبح له ما فى السموات والارض) ينطق بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهرا (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فانها مع تكثرها وتشعبها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

(سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فسل على سيفه فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت

أن آخذ عندهم يداً وقد علمت أن كتابى لن يغنى عنهم شيئاً فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره (تلقون اليهم بالمودة) أى توصلون اليهم المودة على أن الباء زائدة كما فى قوله تعالى «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» أو تلقون اليهم أخبار النبى عليه الصلاة والسلام بسبب المودة التى بينكم و بينهم والجملة إما حال من فاعل لا تتخذوا أو صفة لأولياء و إبراز الضمير فى الصفات الجارية على غير من هى له إنما يشترط فى الاسم دون الفعل أو استئناف (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرىء لما جاءكم أى كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى جعل ماهو سبب الايمان سبباً للكفر (يخرجون الرسول و إياكم) أى من مكة وهو إما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم إلى الغيبة للاشعار بمايوجب الايمان من الألوهية والربوبية (إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) متعلق بلاتتخذوا كأنه قيل لا تتولوا أعدائى إن كنتم أوليائى وقوله تعالى (تسرون اليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أى تسرون اليهم المودة أو الأخبار بسبب المودة (وأنا أعلم) أى والحال أنى أعلم منكم (بما أخفيتم وما أعلنتم) ومطلع رسولى على ما تسرون فأى طائل لكم فى الاسرار وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة و ما موصولة أو مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه فى قوله تعالى «يعلم ما يسرون ومايعلنون» (ومن يفعله منكم) أى الاتخاذ (فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (إن يثقفوكم) أى إن يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) أى يظهروا ما فى قلوبهم من العداوة و يرتبوا عليها أحكامها (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بما يسوءكم من القتل والأسر والشتم (وودوا لو تكفرون) أى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للايذان بتحقق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضاً (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لأجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم (يوم القيامة) بجلب نفع أو دفع ضر (يفصل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الارحام والأولاد يومئذ أى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى «يوم يفر المرء من أخيه» الآية فمالكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرىء يفصل و يفصل مبنياً للمفعول ويفصل و يفصل مبنياً للفاعل وهو الله تعالى و نفصل ونفصل بالنون (والله بما تعملون

بصير) فيجازيكم به (قد كانت لكم أسوة حسنة) أي خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى و يقتدى بها وقوله تعالى (في ابراهيم والذين معه) أي من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة أو خبر لكان ولكم للبيان أو حال من المستكن في حسنة أو صلة لها لا لأسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف (إذ قالوا) ظرف لخبر كان (لقومهم إنا برآء منكم) جمع بريء كظريف وظرفاء وقرىء براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة (ومما تعبدون من دون الله) من الأصنام (كفرنا بكم) أي بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) أي هذا دأبنا معكم لا نتركه (حتى تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة (إلا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك) استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فان استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر وان كان جائزاً عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي أن يؤتسى به أصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى «ومن يتول فان الله هو الغني الحميد» فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر مما ينبغي أن يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهي لاستغفاره عليه الصلاة والسلام له وانبائه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما أن مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت أن استغفاره عليه الصلاة والسلام لابيه كان قبل ذلك قطعا وأن ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة وتجويز أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله الا عن موعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الآية لانها كانت هي الحاملة له عليه الصلاة والسلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله تعالى «سأستغفر لك ربي» لورودها على طريق التوكيد القسمي وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبرؤ على تبين الامر فقد مر تحقيقه على سورة التوبة وقوله تعالى (وما أملك لك من الله من

شيء) من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه حال من فاعل لأستغفرن لك أى أستغفر لك وليس فى طاقتى الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه اظهاراً للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله تعالى (ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) الخ من تمام ما نقل عن ابراهيم عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله تعالى فى جميع أمورهم لا سيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه (واغفر لنا) ما فرط منا من الذنوب (ربنا انك أنت العزيز) الغالب الذى لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار هذا وأما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وأمرا لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم (لقد كان لكم فيهم) أى فى ابراهيم ومن معه (أسوة حسنة) تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبىء عنه قوله تعالى (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فانه مما يوعد بأمثاله الكفرة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أى من أقاربكم المشركين (مودة) بأن يوافقوكم فى الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد لله فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ما تم (والله قدير) أى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى (أن تبروهم) بدل من الموصول (وتقسطوا اليهم) أى تفضوا اليهم بالقسط أى العدل (ان الله يحب المقسطين) أى

العادلين روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لايقاتلوه ولايعينوا عليه (انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة (وظاهروا على اخراجكم) وهم سائر أهلها (أن تولوهم) بدل اشتمال من الموصول أى انما ينهاكم عن أن تتولوهم (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى موضع العداوة أوهم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب (ياأيها الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين (اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) من بين الكفار (فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الايمان يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتى يمتحنها بالله الذى لااله الاهو ماخرجت من بغض زوج بالله ماخرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت الا حبا لله ورسوله (الله أعلم بايمانهن) لانه المطلع على مافى قلوبهن والجملة اعتراض (فان علمتموهن) بعد الامتحان (مؤمنات) علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتى من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بأنه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به (فلا ترجعوهن الى الكفار) أى الى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) فانه تعليل للنهى عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتأكيد الحرمة أولان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد (وآتوهم ماأنفقوا) أى وأعطوا أزواجهن مثل مادفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبى عليه الصلاة والسلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يامحمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت لبيان أن الشرط انما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ماأنفق وتزوجها عمر رضى الله عنه (ولاجناح عليكم أن تنكحوهن) فان اسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار (اذا آتيتموهن أجورهن) شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ماأعطى أزواجهن لايقوم مقام المهر (ولاتمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهى مايعتصم به من عقد وسبب أى لايكن بينكم وبين

المشركات عصمة ولا علاقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى رحمه الله هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرىء ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التاءين من تتمسكوا (واسألوا ما أنفقتم) من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور ازواجهم المهاجرات (ذلكم) الذى ذكر (حكم الله) وقوله تعالى (يحكم بينكم) كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اى يحكمه الله اوجعل الحكم حاكما على المبالغة (والله عليم حكيم) يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روى انه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى (وان فاتكم) اى سبقكم وانفلت منكم (شىء من أزواجكم الى الكفار) اى احد من ازواجكم وقد قرىء كذلك وايقاع شىء موقعه للتحقير والاشباع فى التعميم أوشىء من مهور ازواجكم (فعاقبتم) اى فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من أداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما أنفقوا) من مهر المهاجرة التى تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى هى الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرىء فأعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت ابى سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت أبى جهل وكلثوم بنت جرول (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) فان الايمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى (ياأيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أى مبايعات لك أى قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء (على أن لايشركن بالله شيأ) أى شيئا من الاشياء أوشيئا من الاشراك (ولايسرقن ولايزنين ولايقتلن أولادهن) أريد به وأد البنات وقرىء ولا يقتلن بالتشديد (ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيدين وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لان بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها (ولايعصينك فى معروف) أى فيما تأمرهن

به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن (فبايعهن) أى على ماذكر ومالم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها (واستغفر لهن الله) زيادة على مافى ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عليه الصلاة والسلام بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن (ان الله غفور رحيم) أى مبالغ فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف فى كيفية مبايعته عليه الصلاة والسلام لهن يومئذ فروى انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله تعالى عنه أسفل منه فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروى انه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس أيديهن وروى انه عليه الصلاة والسلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطرى والاظهر الاشهر ماقالت عائشة رضى الله عنها والله ماأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما أمر الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول اذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى أنها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يئسوا من الآخرة) لكفرهم بها أو لعلمهم بأنه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) أى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا أحياء والاظهار فى موقع الاضمار للاشعار بعلة يأسهم. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة.

(سورة الصف مدنية وقيل مكية)
(وآيها أربع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) الكلام فيه كالذى مر فى نظيره (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) روى ان المسلمين قالوا لو علمنا أحب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان النازل قوله تعالى «ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا» بين الاختلال وروى أنهم قالوا يارسول الله لو نعلم أحب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت «هل أدلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم» فولوا يوم أحد وفيه التزام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما أخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت فى المنتحل وقيل نزلت فى المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما فى عم وفيم ونظائرهما معناها لأى شيء تقولون نفعل مالا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعيير والتوبيخ فى الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه وأسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على تفسيره دلالة على ان قولهم مالا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح فى أن ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عما تقوله المتمدح أو انتحله المنتحل أو ادعاه المنافق وأن مناط التعيير والتوبيخ هو اخلافهم

لاوعدهم كما أشير اليه وقرىء يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفامصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) حال من المستكن فى الحال الاولى أى مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيئاواحدا وقوله تعالى (واذقال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين أى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبنى اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله تعالى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك وآذوه عليه الصلاة والسلام كل الاذية (يا قوم لم تؤذونني) أى بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به وقوله تعالى (وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم) جملة حالية مؤكدة لانكار الايذاء ونفى سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أى والحال أنكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدى من المعجزات القاهرة التى معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم من ملكته انى رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتي (فلما زاغوا) أى أصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه (أزاغ الله قلوبهم) أى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته أى لا يهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون خاصة والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمه دخولا أوليا وأياما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى ما فى قوله تعالى «فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين» وقوله تعالى فلا «تأس على القوم الفاسقين» هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان أسباب الاذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه الصلاة والسلام بانواع الاذى

من انتقاصه وعيبه فى نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه فيما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى (واذ قال عيسى بن مريم) اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها (يابنى اسرائيل) ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة) فان تصديقه عليه الصلاة والسلام اياها من أقوى الدواعى الى تصديقهم اياه وقوله تعالى (ومبشرا برسول يأتى من بعدى) معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه الصلاة والسلام مثله من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أى أرسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول (اسمه أحمد) أى محمد صلى الله عليه وسلم يريدان دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرىء من بعدى بفتح الياء (فلما جاءهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة (قالوا هذا سحر مبين) مشيرين الى ما جاء به أو اليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام) أى أى الناس أشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عز وجل بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر أى هو أظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى وقد مر بيانه غير مرة وقرىء يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه (يريدون ليطفؤا نور الله) أى يريدون أن يطفؤا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا أبالك أو يريدون الافتراء ليطفؤا نور الله (بأفواههم) بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه (والله متم نوره) أى مبلغها الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه وقرىء متم نوره بلا اضافة (ولو كره الكافرون) أى ارغاما لهم والجملة فى حيز الحال على ما بين مرارا (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن أو المعجزة (ودين الحق) والملة الحنيفية (ليظهره

على الدين كله) ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد أنجز الله عز وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام (ولو كره المشركون) ذلك وقرىء هو الذى أرسل نبيه (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) وقرىء تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) استئناف وقع جوابا عما نشأ عما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل أو ماذا نصنع فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر فى معنى الامر جىء به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرىء تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر (ذلكم) اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة (خير لكم) على الاطلاق أو من أموالكم وأنفسكم (ان كنتم تعلمون) أى ان كنتم من أهل العلم فان الجهلة لا يعتد بأفعالهم أو ان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (يغفر لكم ذنوبكم) جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره إن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل تقبلون أن أدلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل أدلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك) أى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه (وأخرى) ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة (تحبونها) وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل أخرى منصوبة باضمار يعطكم أو تحبون أو مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على الاول بدل أو بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدا محذوف (وفتح قريب) أى عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرىء نصرا وفتحا قريبا على الاختصاص أو على المصدر أى تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على البدلية من أخرى على تقدير نصبها أى يعطيكم نعمة أخرى نصرا وفتحا (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين آمنوا وبشر أو على تؤمنون فانه فى معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يا أيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وقرىء أنصار الله بلا إضافة لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله وقرىء كونوا أنتم أنصار الله (كما قال

عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري الى الله) أى من جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) والاضافة الاولى إضافة أحد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية إضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى الى الله أوقل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا (فآمنت طائفة من بنى اسرائيل) أى بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم به من نصرة الدين (وكفرت طائفة) أخرى به وقاتلوهم (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى قويناهم بالحجة أو بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام (فأصبحوا ظاهرين) غالبين « عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

(سورة الجمعة مدنية)

(وآيها احدى عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض)تسبيحا مستمرا (الملك القدوس العزيز الحكيم)وقد قرىء الصفات الاربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الاميين) أى فى العرب لان أكثرهم لا يكتبون ولا يقرءون قيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وهم من أهل الانبار (رسولا منهم) أى كائنا من جملتهم أميا مثلهم (يتلو عليهم آياته) مع كونه أميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم (ويزكيهم) صفة أخرى لرسولا معطوفة على يتلو أى يحملهم على ما يصيرون به أزكياء من خبائث العقائد والاعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) صفة أخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بأن كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر فى سورة البقرة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث النبوية من الاحكام والشرائع (وان كانوا من

قبل لفى ضلال مبين) من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه الصلاة والسلام من الغير و إن هى المخففة واللام هى الفارقة (وآخرين منهم) عطف على الاميين أو على المنصوب فى يعلمهم أى يعلمهم و يعلم آخرين منهم أى من الاميين وهم الذين جاءوا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عليه الصلاة والسلام وتعليمه يعم الجميع (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين أى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون (وهو العزيز الحكيم) المبالغ فى العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا أميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر (ذلك) الذى امتاز به من بين سائر الافراد (فضل الله) واحسانه (يؤتيه من يشاء) تفضلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة (مثل الذين حملوا التوراة) أى علموها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بما فى تضاعيفها من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمثل الحمار يحمل أسفارا) أى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها و يحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار اذ ليس المراد به معينا فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال « ولقد أمر على اللئيم يسبنى » (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم أو بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا الخ على أن مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف أو بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على أن الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما فى التوراة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدى القوم الظالمين) الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق أو الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد (قل ياأيها الذين هادوا) أى تهودوا (إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم اظهاراً لكذبهم ان زعمتم ذلك (فتمنوا الموت) أى فتمنوا من الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة (ان كنتم صادقين) جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه أى ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من أيقن بأنه من أهل الجنة أحب أن يتخلص اليها من هذه الدار التى هي قرارة

الاكدار (ولا يتمنونه أبدا) اخبار بما سيكون منهم والباء فى قوله تعالى (بما قدمت أيديهم) متعلقة بما يدل عليه النفى أى يأبون التمنى بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة أفاعيله عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) أى بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون فى كل ما يأتون وما يذرون من الامور التى من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد كما يعرب عنه قوله تعالى (قل ان الموت الذى تفرون منه) فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال عليه الصلاة والسلام «لو تمنوا الماتوا من ساعتهم» وهذه احدى المعجزات أى ان الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) ألبتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرىء بدونها وقرىء تفرون منه ملاقيكم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) الذى لا تخفى عليه خافية (فينبئكم بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى بأن يجازيكم بها (يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة) أى فعل النداء لها أى أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى فى كما فى قوله تعالى «أرونى ماذا خلقوا من الارض» أى فى الارض وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤى وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الاسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم ابن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة (فاسعوا الى ذكر الله) أى امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة (وذروا البيع) واتركوا المعاملة (ذلكم) أى السعى الى ذكر الله وترك البيع (خير لكم) من مباشرته فان نفع الآخرة أجل وأبقى (ان كنتم تعلمون)

أى الخير والشر الحقيقيين أو ان كنتم أهل العلم (فاذا قضيت الصلاة) أى أديت وفرغ منها (فانتشروا فى الارض) لاقامة مصالحكم (وابتغوا من فضل الله) أى الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شىء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد ابن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع (واذكروا الله كثيرا) ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا ولاتخصوا ذكره تعالى بالصلاة (لعلكم تفلحون) كى تفوزوا بخير الدارين (واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها) روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية أن يسبقوا اليه فما بقى معه عليه الصلاة والسلام الاثمانية وقيل أحد عشر وقيل اثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام «والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا» وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة أو لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم فى نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف الثانى لدلالة الاول عليه وقرىء اليهما (وتركوك قائما) أى على المنبر (قل ما عند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف مافيهما من النفع المتوهم (والله خير الرازقين) فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين

﴿سورة المنافقون مدنية وآيها احدى عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاءك المنافقون) أى حضروا مجلسك (قالوا نشهد إنك لرسول الله) مؤكدين كلامهم بأن واللام للايذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى (والله يعلم إنك لرسوله) اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كما أشير اليه واماطة من أول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم أى والله يشهد انهم لكاذبون

فيما ضمنوا مقالتهم عن أنها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلب والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التى من جملتها ماحكى عنهم (جنة) أى وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي أوغير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن إعدادهم وتهيئتهم لها الي وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لاعن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضا كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى (فصدوا عن سبيل الله) أى فصدوا من اراد الدخول فى الاسلام بانه عليه الصلاة والسلام ليس برسول ومن اراد الانفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم ولاريب فى ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرىء إيمانهم أى ماأظهروه على ألسنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم وأموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ماكانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى (انهم ساء ماكانوا يعملون) من النفاق والصدوفى ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى ماتقدم من القول الناعي عليهم أنهم أسوأ الناس أعمالا أو الى ماوصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للمرمر اراً من الاشعار ببعد منزلته فى الشر (بأنهم) أى بسبب انهم (آمنوا) أى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الاسلام (ثم كفروا) أى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله أونطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم (فطبع على قلوبهم) حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرىء على البناء للفاعل وقرىء فطبع الله (فهم لايفقهون) حقيقة الايمان ولايعرفون حقيقته أصلا (واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لضخامتها وروقك منظرهم لصباحة وجوههم (وإن يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحا يحضر مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون بهيا كلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) فى حيز الرفع على انه خبر مبتدا محذوف أو كلام مستأنف لامحل له شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير وقرىء خشب على انه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها

أى فساد شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم وقرىء خشب كمدرة ومدر (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فان أعدى الأعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم أصلا فان الفاء فى قوله تعالى (فاحذرهم) لترتيب الأمر بالحذر على كونهم أعدى الأعداء (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى (أنى يؤفكون) تعجيب من حالهم أى كيف يصرفون عن الحق إلى ما هم عليه من الكفر والضلال (وإذا قيل لهم) عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة (تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) أى عطفوها استكبارا (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار (وهم مستكبرون) عن ذلك (سواء عليهم أستغفرت لهم) كما إذا جاءوك معتذرين من جنايتهم وقرىء استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة أم عليه وقرىء آستغفرت باشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل ألفا (أم لم تستغفر لهم) كما إذا أصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار (لن يغفر الله لهم) أبدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر (إن الله لا يهدى القوم الفاسقين) الكاملين فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق والمراد إما هم بأعيانهم والاظهار فى موقع الاضمار لبيان غلوهم فى الفسق أو الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا أوليا وقوله تعالى (هم الذين يقولون) أى للأنصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله) صلى الله عليه وسلم (حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وقرىء حتى ينفضوا من أنفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى (ولله خزائن السموات والأرض) رد وإبطال لما زعموا من أن عدم انفاقهم يؤدى إلى انفضاض الفقراء من حوله عليه الصلاة والسلام ببيان أن خزائن الأرزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) روى أن جهجاه بن سعيد أجير عمر رضى الله عنه نازع سنانا الجهنى حليف ابن أبى

واقتتلا فصرخ جهجاه ياللمهاجرين وسنان ياللانصار فأعان جهجاهاً جعال من فقراء المهاجرين ولطم سناناً فاشتكى إلى ابن أبى فقال للأنصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين وإسناد القول المذكور إلى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) أى ولله الغلبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روى أن عبد الله بن أبى لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى وكان مخلصاً وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبى عليه الصلاة والسلام لابنه «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً» (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهى بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة كما فى قوله تعالى «ولا يجرمنكم شنآن قوم» الخ (ومن يفعل ذلك) أى التلهى بالدنيا من الدين (فأولئك هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) أى بعض ما أعطيناكم تفضلا من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخاراً للآخرة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مراراً من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر (فيقول) عند تيقنه بحلوله (رب لولا أخرتنى) أى أمهلتنى (إلى أجل قريب) أى أمد قصير (فأصدق) بالنصب على جواب التمنى وقرىء فأتصدق (وأكن من الصالحين) بالجزم عطفاً على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتنى اصدق وأكن وقرىء وأكون بالنصب عطفا على لفظه وقرىء وأكون بالرفع أى وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله نفسا) أى ولن يمهلها (اذا جاء أجلها) أى آخر عمرها أو انتهى ان أريد بالاجل الزمان الممتد من أول العمر الى آخره (والله خبير بما تعملون) فمجاز لكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرىء يعملون بالياء التحتانية . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برىء من النفاق

(سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثماني عشرة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض) أي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا (له الملك وله الحمد) لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها وأما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (و هو على كل شيء قدير) لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء (هو الذي خلقكم) خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) أي فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته (ومنكم مؤمن) مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية (وصوركم فأحسن صوركم) حيث برأكم في أحسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط به جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة (واليه المصير) في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا أو اشتراكا فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له (يعلم ما في السموات والارض) من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى (والله عليم بذات الصدور) اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم أي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى

عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء (ألم يأتكم) أيها الكفرة (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة على الكفر (فذاقوا وبال أمرهم) عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الامور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه أمر هائل وجناية عظيمة أى ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) لايقادر قدره (ذلك) أى ما ذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيذوقونه فى الآخرة (بأنه) بسبب أن الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة (فقالوا) عطف على كانت (أبشر يهدوننا) اى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر يهدينا كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه وقد أجمل فى الحكاية فأسند القول الى جميع الاقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والامر فى قوله تعالى «يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا» (فكفروا) أى بالرسل (وتولوا) عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الايمان بهم (واستغنى الله) أى أظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك (والله غنى) عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم (حميد) يحمده كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما فى حيزها والمراد بالموصول كفار مكة أى زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبدا (قل) ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات مانفوه (بلى) أى تبعثون وقوله (وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ماافادته كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين (وذلك) أى ماذكر من البعث والجزاء (على الله يسير) لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء فى قوله تعالى (فآمنوا) فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره أى اذا كان الامر كذلك فآمنوا (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين

لغيره كما أن النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بأمر الانزال (والله بما تعملون) من الامتثال بالامر وعدمه (خبير) فمجاز لكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة و تأكيد استقلال الجملة (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله مجازيكم و معاقبكم يوم يجمعكم أو مفعول لاذكر وقرىء نجمعكم بنون العظمة (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون أى لاجل مافيه من الحساب والجزاء (ذلك يوم التغابن) أى يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء او بالعكس وفى الحديث «مامن عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ومامن عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة» وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بأن التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فيه لامايقع فى أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا)أى عملا صالحا (يكفر) أى الله عز وجل وقرىء بنون العظمة (عنه سيئاته) يوم القيامة (ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا) وقرىء ندخله بالنون (ذلك) أى ماذكر من تكفير السيآت وادخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) أى النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن (ماأصاب من مصيبة) من المصائب الدنيوية (الا باذن الله) أى بتقديره وارادته كأنها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على إذنه تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ماأصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه أى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرىء يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرىء بنصبه على نهج سفه نفسه وقرىء يهدأ قلبه بالهمزة أى يسكن (والله بكل شىء) من الاشياء التى من جملتها القلوب وأحوالها (عليم) فيعلم ايمان المؤمن ويهد قلبه الى ماذكر (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله تعالى (فان توليتم) أى عن اطاعة الرسول وقوله تعالى (فانما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف أى فلا بأس عليه اذ ماعليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام والاشعار بمدار الحكم الذى هو كون

وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه (الله لا اله الا هو) جملة من مبتدا وخبر أى هو المستحق للمعبودية لا غيره وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود أو يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف (وعلى الله) أى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا (فليتوكل المؤمنون) واظهار الجلالة فى موضع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة (يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) يشغلونكم عن طاعة الله تعالى أو يخاصمونكم فى أمور الدين أو الدنيا (فاحذروهم) الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى «فانهم عدو لى» أو للازواج والاولاد جميعا فالمأمور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثانى اما الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو (وان تعفوا) عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة (وتصفحوا) بترك التثريب والتعيير (وتغفروا) بأخفائها وتمهيد عذرها (فان الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الاولين قد فقهوا فى الدين أرادوا ان يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة (انما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم من حيث لا تحتسبون (والله عنده أجر عظيم) لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى فى تدبير مصالحهم (فاتقوا الله ما استطعتم) أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا) مما رزقكم فى الوجوه التى أمركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه (خيرا لأنفسكم) أى ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أى انفاقا خيرا أو خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر أى يكن خيرا لانفسكم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام (إن

تقرضوا الله) بصرف أموالكم الى المصارف التى عينها (قرضا حسنا) مقرونا بالاخلاص وطيب النفس (يضاعفه لكم) بالواحد عشرة الى سبعمائة وأكثر وقرىء يضعفه لكم (ويغفر لكم) ببركة الانفاق مافرط منكم من بعض الذنوب (والله شكور) يعطى الجزيل بمقابلة النذر القليل (حليم) لايعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة) لايخفى عليه خافية (العزيز الحكيم) المبالغ فى القدرة والحكمة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة *

(سورة الطلاق مدنية وآيها احدى عشرة أو اثنتا عشرة)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ياأيها النبى اذا طلقتم النساء) تخصيص النداء به عليه الصلاة والسلام مع عموم الخطاب لأمته أيضا لتشريفه عليه الصلاة والسلام واظهار جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلاة والسلام اياهم وتغليبه عليهم لا لان نداءه كندائهم فان ذلك الاعتبار لو كان فى حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل قطعا والمعنى اذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما فى قوله تعالى «اذا قمتم الى الصلاة » (فطلقوهن لعدتهن) أى مستقبلات لها كقولك أتيته لليلة خلقت من شهر كذا فان المرأة اذا طلقت فى طهر يعقبه القرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله فى السنة (وأحصوا العدة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة أقراء كوامل (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة فى ايجاب الاتقاء (لاتخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن عند الفراق الى أن تنقضى عدتهن واضافتها اليهن وهى لازواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها أملاكهن (ولايخرجن) ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج وقيل المعنى لايخرجن باستبداد منهن أما اذا اتفقا على الخروج جاز إذ الحق لايعدوهما (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) استثناء من الاول قيل هى الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل لا ان يبدون على الازواج فيحل حينئذ اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثانى للمبالغة

فى النهى عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة (وتلك) اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فى اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد منزلتها (حدود الله) التى عينها لعباده (ومن يتعد حدود الله) اى حدوده المذكورة بأن أخل بشىء منها على ان الاظهار فى حيز الاضمار لتهويل أمر التعدى والاشعار بعلة الحكم فى قوله تعالى (فقد ظلم نفسه) أى أضربها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) فانه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذى يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدى الى خلافه فلا بد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والاخروى ويخص التعليل بالدنيوى لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لاتدرى خطاب للمتعدى بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدى لاللنبى عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر بنفسه فانك لاتدرى أيها المتعدى عاقبة الامر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك الذى فعلت من التعدى أمرا يقتضى خلاف مافعلته فيبدل ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ويتسنى تلافيه رجعة أو استئناف نكاح (فاذا بلغن أجلهن) شارفن آخر عدتهن (فأمسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن معاشرة وانفاق لائق (أوفارقوهن بمعروف) بايفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة (وأشهدوا ذوى عدل منكم) عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا أمر ندب كما فى قوله تعالى «وأشهدوا اذا تبايعتم» ويروى عن الشافعى أنه للوجوب فى الرجعة (وأقيموا الشهادة لله) أيها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى (ذلكم) اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة أو على جميع مافى الآية (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اذهو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى (ومن يتق الله) الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما أن ماتقدم من قوله تعالى « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه » مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فى الاشهاد وغيره من الامور (يجعل له مخرجا) مما عسى يقع فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب (ويرزقه من حيث لايحتسب) أى من وجه لايخطر بباله ولايحتسبه ويجوز أن يكون كلاما جىء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى « ذلكم يوعظ به من كان

يؤمن بالله» الى آخره فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا أوليا عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال «مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة» وقال عليه الصلاة والسلام «اني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها» وروى أن عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنه سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام «اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها» فنزلت (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافيه في جميع أموره (ان الله بالغ أمره) بالاضافة أي منفذ أمره وقرئ بتنوين بالغ ونصب أمره أي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع امره على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان أو بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اى نافذ امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى (قد جعل الله لكل شيء قدرا) اى تقديرا وتوقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين (ان ارتبتم) أي شككتم وجهلتم كيف عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن) بعد لصغرهن أي فعدتهن أيضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه (وأولات الاحمال أجلهن) أي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن) سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة اشهر وعشرا» لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضي الله عنه «من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحرث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي» (ومن يتق الله) في شأن أحكامه ومراعاة حقوقها (يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل عليه أمره ويوفقه للخير (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى (أمر الله أنزله اليكم) لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد

مر فى قوله تعالى «ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله» من سورة البقرة (ومن يتق الله) بالمحافظة على أحكامه (يكفر عنه سيئاته) فان الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له أجرا) بالمضاعفة وقوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل أسكنوهن مسكنا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم وقوله تعالى (من وجدكم) أى من وسعكم أى مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له (ولا تضاروهن) أى فى السكنى (لتضيقوا عليهن) وتلجئوهن إلى الخروج (وان كن) أى المطلقات (أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة أما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن (فان أرضعن لكم) بعد ذلك (فآتوهن أجورهن) على الارضاع (وأتمروا بينكم بمعروف) أى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والأجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة (وان تعاسرتم) أى تضايقتم (فسترضع له أخرى) أى فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) وان قل أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها) جل أو قل فانه تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل (سيجعل الله بعد عسر يسرا) أى عاجلا أو آجلا (وكأين من قرية) أى كثير من أهل قرية (عتت) أى أعرضت (عن أمر ربها ورسله) بالعتو والتمرد والعناد (فحاسبناها حسابا شديداً) بالاستقصاء والتنقير والمناقشة فى كل نقير وقطمير (وعذبناها عذابا نكراً) أى منكراً عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) هائلا لا خسر وراءه (أعد الله لهم عذابا شديداً) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله يا أولى الالباب) ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما أصابهم عاجلا وقد جوز أن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كأين (الذين آمنوا) منصوب باضمار أعنى بيانا للمنادى أو عطف بيان له أو نعت وفى ابداله منه ضعف لتعذر حلوله محله (قد أنزل الله اليكم ذكرا) هو جبريل عليه

السلام سمى به لكثرة ذكره أولنزوله بالذكر الذى هو القرآن كما ينبىء عنه ابدال قوله تعالى (رسولا) منه أولانه مذكور فى السموات وفى الامم أوأريد بالذكر الشرف كما فى قوله تعالى «وانه لذكر لك ولقومك» كانه فى نفسه شرف إما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عندالله تعالى كقوله تعالى «عند ذى العرش مكين» أوهو النبي عليه الصلاة والسلام وعليه الاكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق الترشيح أو لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وأبدل منه رسولا للبيان أوهو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو بذكرا على اعمال المصدر المنون أو بدل منه على أنه بمعنى الرسالة وقوله تعالى (يتلو عليكم آيات الله مبينات) نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها أى حال كونها مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرىء مبينات أى بينها الله تعالى لقوله تعالى « قد بينا لكم الآيات» واللام في قوله تعالى (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) متعلقة بيتلو أو بأنزل وفاعل يخرج الاول على ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام أوضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله أى ليحصل لهم الرسول أو الله عز وعلا ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من عمل أو قدر أنه سيؤمن (من الظلمات الى النور) من الضلالة الى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل من الآيات المبينات (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار)وقرىء ندخله بالنون وقوله تعالى (خالدين فيها أبدا) حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى (قد أحسن الله له رزقا) حال أخرى منه أو من الضمير فى خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجيب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبره (ومن الارض مثلهن) أى خلق من الارض مثلهن فى العدد وقرىء مثلهن بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف فى كيفية طبقات الارض قالوا الجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبى والاول أصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من أن كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرقرية يريد

دخولها الا قال حين يراها « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها »وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة أو جن قال الماوردي وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها والثاني أنهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خالق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء (يتنزل الامر بينهن) أي يجري أمره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة في كل سماء وفي كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرىء ينزل الامر (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) متعلق بخلق أو بيتنزل أو بمضمر يعمهما أي فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء (وان الله قد أحاط بكل شيء علما) لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل في اللام بيان ماذكر من الخلق وتنزل الامر أي أوحى ذلك وبينه لتعلموا بماذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات أنه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء ما أصلا وقرىء ليعلموا « عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم »

(سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روي أن النبي عليه الصلاة والسلام خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها « اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبابكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي »فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروي أنه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت

عائشة وحفصة فقالتا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تبتغى مرضاة أزواجك) اما تفسير لتحرم أو حال من فاعله او استئناف ببيان مادعاه اليه مؤذن بعدم صلاحيته لذلك (والله غفور) مبالغ فى الغفران قدغفرلك هذه الذلة (رحيم) قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك (قدفرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى شرع لكم تحليلها وهو حل ماعقده بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لايحنث والاول هو المراد ههنا (والله مولاكم) سيدكم ومتولى أموركم (وهو العليم) بمايصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المتقن فى أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولاينهاكم الاحسبما تقتضيه الحكمة (واذأسر النبى الى بعض أزواجه) وهى حفصة (حديثا) أى حديث تحريم مارية أوالعسل أوأمر الخلافة (فلمانبأت به) أى أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته اليها وقرىء أنبأت به (وأظهره الله عليه) أى أطلع الله تعالى النبى عليه الصلاة والسلام على افشاء حفصة (عرف) أى النبى عليه الصلاة والسلام حفصة (بعضه) بعض الحديث الذى أفشته قيل هو حديث الامامة روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها أباها (وأعرض عن بعض) أى عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية (فلمانبأها به) أى أخبر النبى عليه الصلاة والسلام حفصة بماعرفه من الحديث (قالت من أنبأك هذا) أى افشاءها للحديث (قال نبأنى العليم الخبير) الذى لاتخفى عليه خافية (إن تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى العتاب (فقدصغت قلوبكما) الفاء للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق أى فقدوجد منكما مايوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب مايحبه وكراهة مايكرهه وقرىء فقد زاغت (وان تظاهرا عليه) باسقاط احدى التاءين وقرىء على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اى تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره (فأن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) اى فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اراد بصالح المؤمنين ابابكر وعمر رضى الله عنهما وقدروى ذلك مرفوعا الى النبى عليه الصلاة والسلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف

لاوان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه الصلاة والسلام اشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور (والملائكة) مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (بعد ذلك) قيل اى بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين (ظهير) اى فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبىء عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ماقالوه ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تدارك لما يوهمه الترتيب الذكرى من افضلية المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله) أى يعطيه عليه السلام بدلكن (أزواجا خيرا منكن) على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة وأن فى النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرىء أن يبدله بالتشديد (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات او منقادات مصدقات (قانتات) مصليات أو مواظبات على الطاعة (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات أو متذللات لامر الرسول عليه الصلاة والسلام (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد أو مهاجرات وقرىء سيحات (ثيبات وأبكارا) وسط بينهما العاطف لتنافيهما (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرىء أهلوكم عطفا على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أى قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) أى نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وأمر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير (عليها ملائكة) أى تلى أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق أقوياء على الافعال الشديدة (لا يعصون الله ما أمرهم) أى امره على انه بدل اشتمال من الله أو فيما امرهم به على نزع الخافض

اى لا يمتنعون من قبول الامر و يلتزمونه (ويفعلون ما يؤمرون) أى ويؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) مقول القول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه أي يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به (انما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنهما اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا (يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) أي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلا عن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرىء توبا نصوحا وقرىء نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح والنصوح كالشكر والشكور اى ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا النصح أنفسكم على انه مفعول له (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) وورود صيغة الاطماع للجري على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة له وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف العبادة (يوم لا يخزي الله النبي) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبي وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) أي على الصراط وهو على الاول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى (يقولون) الخ وعلى الثاني خبر آخر للموصول أي يقولون اذا طفىء نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير) وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل

البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (ياأيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة (ومأواهم جهنم) سيرون فيها عذابا غليظا (وبئس المصير أى جهنم أو مصيرهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ضرب المثل فى أمثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها فى الغرابة أى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى (امرأت نوح وامرأت لوط) أى حالهما مفعوله الاول أخرعنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح أى كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشأن متمكنتين من تحصيل خيرى الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما وقوله تعالى (فخانتاهما) بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبى أى خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى (فلم يغنيا) الخ بيان لما أدى اليه خيانتهما أى فلم يغن النبيان (عنهما) بحق الزواج (من الله) أى من عذابه تعالى (شيئا) أى شيئا من الاغناء وقيل لهما عند موتهما اويوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) أى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) أى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهى فى أعلى غرف الجنة وقوله تعالى (إذ قالت) ظرف لمحذوف أشير اليه أى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها إذ قالت (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) قريبا من رحمتك أو فى أعلى درجات المقربين روى أنها لما قالت ذلك أريت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها (ونجنى من فرعون وعمله) أى من نفسه الخبيثة وعمله السيء (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط التابعين له فى الظلم (ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل أى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا (التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه) وقرىء فيها أى مريم (من روحنا)

من روح خلقناه بلا توسط أصلا (وصدقت بكلمات ربها) بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه (وكتبه) بجميع كتبه المنزلة وقرىء بكلمة الله وكتابه أى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل (وكانت من القانتين) أى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم لأنها من أعقاب هرون أخى موسى عليهما السلام وعن النبي عليه الصلاة والسلام «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد» صلوات الله عليه وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام . وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا .

﴿ سورة الملك مكية ﴾

(وتسمى الواقية والمنجية لأنها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر وآيها ثلاثون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبارك الذى بيده الملك) البركة النماء والزيادة حسية كانت أو عقلية وكثرة الخير ودوامه أيضاً ونسبتها إلى الله عز وجل على المعنى الأول وهو الأليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وأفعاله وصيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك فان مالا يتصور نسبته تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه إنما تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثانى باعتبار كثرة مايفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز أن تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئاً فشيئاً وآناً فآناً بحسب حدوثها أو حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وإنبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه تبارك وتعالى وإسنادها إلى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل أى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الأمور (وهو على كل شىء) من الأشياء (قدير) مبالغ فى القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى فى جلائل الأمور ودقائقها وقوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) شروع فى تفصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح

واستتباعهما لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الأول داخل معه فى حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة وأما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من أنه تعالى خلق الموت فى صورة كبش أملح لا يمر بشىء ولا يجد رائحته شىء إلا مات وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء لا تمر بشىء ولا يجد رائحتها شىء إلا حيى فكلام وارد على منهاج التمثيل والتصوير وقيل هو عدم الحياة فمعنى خلقه حينئذ تقديره أو إزالة الحياة وأيا ما كان فالأقرب أن المراد به الموت الطارىء وبالحياة ماقبله ومابعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) فان استدعاءملاحظتهما لاحسان العمل مما لاريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه أدعى الى إحسان العمل واللام متعلقة بخلق أى خلق موتكم وحياتكم على أن الألف واللام عوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه الصلاة والسلام بقوله أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما أن الاول أشرف من الثانى كذلك الحال فى عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد آثر ذى أثير وانما طريقها النظرى التفكر فى بدائع صنع الله تعالى والتدبر فى آياته المنصوبة فى الانفس والآفاق وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الارض» قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة أن أحدا لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الارض وتعليق فعل البلوى أى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم إيراد المفعول أصلا مع اختصاصه بأفعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك أجري مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وإيراد صيغة التفضيل مع أن الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح أيضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بأن المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق أصل الايمان والطاعة فى الباقين أيضا لكمال تعاضد الموجبات له وأما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب فى الترقى

الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائصها مالا يخفي (وهو العزيز) الغالب الذي لا يفوته من أساء العمل (الغفور) لمن تاب منهم (الذي خلق سبع سموات) قيل هو نعت للعزيز الغفور أو بيان أو بدل والاوجه انه نصب أو رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى «الذين يؤمنون بالغيب» من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني في كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى « وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا » وقوله تعالى (طباقا) صفة لسبع سموات أي مطابقة على أنه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصف به المفعول أو مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها أي طوبقت طباقا وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) صفة أخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبأن في ابداعها نعما جليلة أو استئناف والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ومن لتأكيد النفي أي ما ترى فيه شيئا من تفاوت أي اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرىء من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) متعلق به على معنى التسبيب حيث أخبر أولا بأنه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر (ثم ارجع البصر كرتين) أي رجعتين أخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك أي رجعة بعد رجعة وان كثرت (ينقلب اليك البصر خاسئا) أي بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة (وهو حسير) أي كليل لطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا) بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد زينا أقرب السموات الى الارض (بمصابيح) أي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كأنها كلها مركوزة فيها مع أن بعضها في سائر السموات وماذاك الالان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق تحار في فهمه الافكار وطراز فائق تهيم في دركه الانظار (وجعلناها رجوما للشياطين) وجعلنا لها فائدة أخرى هي رجم

أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به (وأعتدنا لهم) فى الآخرة (عذاب السعير) بعد الاحراق فى الدنيا بالشهب (وللذين كفروا بربهم) من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) وقرىء بالنصب على أنه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم (وبئس المصير) أى جهنم (اذا ألقوا فيها سمعوا لها) أى لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى (شهيقا) لانه فى الاصل صفته فلما قدمت صارت حالا أى سمعوا كائنا لها شهيقا أى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع قالوا الشهيق فى الصدر والزفير فى الحلق (وهى تفور) أى والحال أنها تغلى بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى «لهم فيها زفير وشهيق» يرده قوله تعالى (تكاد تميز) أى تتميز وتتفرق (من الغيظ) أى من شدة الغضب عليهم فانه صريح فى أنه من آثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى «سمعوا لها تغيظا وزفيرا» فأين هو من شهيقهم الناشىء من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور أو خبر آخر وقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج) استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها أى كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة (سألهم خزنتها) بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة (ألم يأتكم نذير) يتلوا عليكم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا كما وقع فى سورة الزمر ويعرب عنه جوابهم أيضا (قالوا) اعترافا بأنه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية (بلى قد جاءنا نذير) جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة فى الاعتراف بمجىء النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة فى تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما على ذلك أى قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير أى واحد حقيقة أو حكما كأنبياء بنى اسرائيل فانهم فى حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته (فكذبنا) ذلك النذير فى كونه نذيرا من جهته تعالى (وقلنا) فى حق ما تلاه من الآيات افراطا فى التكذيب وتماديا فى النكير (ما نزل الله) على أحد (من شىء) من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم (ان أنتم) أى ما أنتم فى ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها (الا فى ضلال كبير) بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة فى التكذيب وتماديا فى التفضل كما ينبىء عنه تعميم المنزل مع ترك

ذكر المنزل عليه فانه ملوح بعمومه حتما وأما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فأمر تحقيقى يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجنايات لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع النذر على ما يختلف من الشرائع و الاحكام باختلاف العصور والاعوام وأين هم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ماذكر حكاية عن كل واحد من الافواج وأما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل أو مصدر مقدر بمضاف عام أى أهل نذير أو منعوت به فيتفق كلا طرفى الخطاب فى الجمعية ومن اعتبر الجمعية بأحد الوجوه الثلاثة على التقدير الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشئون واختلط به الظنون وقد جوز أن يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه فى الدنيا أو هلاكهم أو عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتأمل وكن على الحق المبين (وقالوا) أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل (لو كنا نسمع) كلاما (أو نعقل) شيأ (ما كنا فى أصحاب السعير) أى فى عدادهم ومن أتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى «وأعتدنا لهم عذاب السعير» كأن الخزنة قالوا لهم فى تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك (فاعترفوا بذنبهم) الذى هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله (فسحقا) بسكون الحاء وقرىء بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما فى قعدك الله أى فأسحقهم الله أى أبعدهم من رحمته سحقا أى اسحاقا أو لفعل مترتب على ذلك الفعل أى فأسحقهم الله فسحقوا أى بعدوا سحقا أى بعدا كما فى قول من قال، وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع، من المال الا مسحت أو مجلف أى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى هذين الوجهين قوله تعالى «وأنبتها نباتا حسنا» واللام فى قوله تعالى (لأصحاب السعير) للبيان كما فى هيت لك ونحوه و المراد بهم الشياطين والداخلون فى عدادهم بطريق التغليب (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافون عذابه غائبا عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس أو بما خفى منهم وهو قلوبهم (لهم مغفرة) عظيمة لذنوبهم (وأجر كبير) لا يقادر قدره (وأسروا قولكم أو اجهروا به) بيان لتساوى السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى كما فى قوله «سواء منكم من أسر القول ومن جهر به» قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى المشركين كانوا ينالون من النبى عليه الصلاة والسلام فيوحى اليه عليه الصلاة والسلام فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا

يسمع رب محمد فقيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدر منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى أو لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو أو مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى (انه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة مالا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ماتسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها وقوله تعالى (ألا يعلم من خلق) انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر أي ألا يعلم السر والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التي هما من جملتها وقوله تعالى (وهو اللطيف الخبير) حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفي أي ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه إلى ماظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا والمعنى ألا يعلم الله من خلقه والحال أنه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى ألا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتأتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ من الافادة لان نظم الكلام حينئذ ألا يكون عالما وهو مبالغ في العلم (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعول الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر فان ماحقه التقديم اذا أخر لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى (فامشوا في مناكبها) لترتيب الامر على الجعل المذكور أي فاسلكوا في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير أرق أعضائه وأنباها عن أن يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل (وكلوا من رزقه) والتمسوا من نعم الله تعالى (واليه النشور) أي المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه وآلائه (أأمنتم من في السماء) أي الملائكة

الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من فى السماء أمره وقضاؤه أو على زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى فى السماء أى أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان (أن يخسف بكم الارض) بعد ماجعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف الجار أي من ان يخسف (فاذا هى تمور)أى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ماكانت عليه من الذل والاطمئنان (أم أمنتم من فى السماء)اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال إلى التهديد بوجه آخر أى بل أأمنتم من فى السماء (ان يرسل عليكم حاصبا) اى حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء كأنها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة (فستعلمون) عن قريب ألبتة (كيف نذير)أى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لاينفعكم العلم حينئذ وقرىء فسيعلمون بالياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم(فكيف كان نكير) أى انكارى عليهم بانزال العذاب أى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التأكيد القسمى لاتكذيبهم فقط وفيه من المبالغة فى تسلية رسول الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه مالايخفى (أولم يروا) أغفلوا ولم ينظروا (الى الطير فوقهم صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينافحينا للاستظهار به على التحرك وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات (ما يمسكهن) فى الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع (الا الرحمن) الواسع رحمته كل شىء بان برأهن على أشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهواء والجملة مستأنفة أوحال من الضمير فى يقبضن (انه بكل شىء بصير) يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) تبكيت لهم بنفى أن يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية ويعضده قوله تعالى «ما يمسكهن الا الرحمن» أو ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سيأتى من قوله تعالى «ان أمسك رزقه» كقوله تعالى «أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا» فى المعنيين معا خلا ان الاستفهام هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وأم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على

ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله عزوجل الى التبكيت بما ذكروا لالتفات للتشديد فى ذلك ولاسبيل الى تقدير الهمزة معها لان مابعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما فى قوله تعالى «من ذا الذى يشفع عنده» وايثار هذا لتحقير المشار اليه و ينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اماحال من فاعل ينصركم أو نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما فى قوله تعالى «من ينصرنى من الله» فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن أو ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله عزوجل وتوهم أن أم معادلة لقوله تعالى أولم يروا الخ مع القول بأن من استفهامية مما لا تقريب له أصلا وقوله تعالى (ان الكافرون الا فى غرور) اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ماهم فيه من غاية الضلال أى ماهم فى زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو ان آلهتهم تحفظهم من بأس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم فى ذلك شىء يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تعالى (أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك) أى الله عزوجل (رزقه) بامساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا أن قوله تعالى (بل لجوا فى عتو ونفور) منبىء عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتو أى عناد واستكبار وطغيان ونفور أى شراد عن الحق وقوله تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى) الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأن مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ماظهر من سوء حالهم وخرورهم فى مهاوى الغرور وركوبهم متن عشواء العتو والنفور وعدم اهتدائهم فى مسالك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد فى الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشى مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال خر على وجهه وحقيقته صار ذاكب ودخل فى الكب كأقشع الغمام أى صار ذاقشع والمعنى أفمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أهدى الى المقصد الذى يؤمه (أم من يمشى سويا) أى قائما سالما من الخبط والعثار (على صراط مستقيم) مستوى الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية

محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك أزيد أفضل أم عمرو وقيل أريد بالمكب الاعمى وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة (قل هو الذى أنشأكم) انشاء بديعا (وجعل لكم السمع) لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهى وتتعظوا بمواعظها (والابصار) لتنظروا بها الى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤن الله عز وجل (والأفئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الايات التنزيلية والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة (قليلا ماتشكرون) أى باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا نعت لمحذوف ومامزيدة لتأكيد القلة أى شكرا قليلا أو زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم (قل هو الذى ذرأكم فى الارض) أى خلقكم وكثركم فيها لا غيره (واليه تحشرون) للجزاء لاالى غيره اشتراكا أو استقلالا فابنوا أموركم على ذلك (ويقولون) من فرط عتوهم وعنادهم (متى هذا الوعد) أى الحشر الموعود كما ينبىء عنه قوله تعالى واليه تحشرون (ان كنتم صادقين) يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من حيث كانوا مشاركين له عليه الصلاة والسلام فى الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أى ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجىء الساعة والحشر فبينوا وقته (قل انما العلم) أى العلم بوقته (عند الله) عز وجل لايطلع عليه غيره كقوله تعالى «قل انما علمها عند ربى» (وانما أنا نذير مبين) انذركم وقوع الموعود لامحالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء فى قوله تعالى (فلما رأوه) فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه فلما رأوه الى آخره كما مر تحقيقه فى قوله تعالى «فلما رآه مستقرا عنده» الا أن المقدر هناك أمر واقع مرتب على ماقبله بالفاء وههنا أمر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى (زلفة) حال من مفعول رأوا امابتقدير المضاف أى ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى مزدلفا أو على أنه مصدر نعت به مبالغة أو ظرف أى رأوه فى مكان ذى زلفة (سيئت وجوه الذين كفروا) بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به (وقيل) توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم (هذا الذى كنتم به تدعون) أى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى أى تدعون أن لابعث ولا حشر وقرىء تدعون هذا وقد روى عن مجاهد

أن الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أهلكنى الله) أى أماتنى والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك (ومن معى) من المؤمنين (أو رحمنا) بتأخير آجالنا فنحن فى جوار رحمته متربصون لاحدى الحسنيين (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) أى لا ينجيكم منه أحد متنا أو بقينا و وضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفى الانجاء به (قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم الى عبادته مولى النعم كلها (آمنا به) وحده لما علمنا ان كل ماسواه اما نعمة أو منعم عليه (وعليه توكلنا) لا على غيره أصلا لعلمنا بأن ماعداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر (فستعلمون) عن قريب ألبتة (من هو فى ضلال مبين) منا ومنكم وقرىء فسيعلمون بالياء التحتانية (قل أرأيتم) أى أخبرونى (ان أصبح ماؤكم غورا) أى غائرا فى الارض بالكلية وقيل بحيث لاتناله الدلاء وهو مصدر وصف به (فمن يأتيكم بماء معين) جار أو ظاهر سهل المأخذ. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنه أحيا ليلة القدر .

(سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) بالسكون على الوقف وقرىء بالكسر و بالفتح لالتقاء الساكنين و يجوز أن يكون الفتح باضمار حرف القسم فى موضع الجر كقولهم ألله لافعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا باضمار اذكر لافتحا كما سبق فى فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسماء للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدى بأحد الطريقين المذكورين فى موقعه أو اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور أو مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف فالواو فى قوله تعالى (والقلم) للقسم وان جعل مقسما به فهى للعطف عليه وأيا ما كان فان أريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاعظام بالاقسام به ظاهر و ان أريد به الجنس فاستحقاق ما فى أيدى الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز قائلا لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرىء بادغام النون فى الواو (وما يسطرون) الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الآلة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى (ما أنت

بنعمة ربك بمجنون) جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انت برىء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التى هي النبوة والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع بالاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه عليه الصلاة والسلام والايذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الي غاية لاغاية وراءها والمراد تنزيهه عليه الصلاة والسلام عما كانوا ينسبونه اليه عليه الصلاة والسلام من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه الصلاة والسلام فى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصانة العقل ورزانة الرأى (وان لك) بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لأعباء الرسالة (لأجرا) لثوابا عظيما لايقادر قدره (غير ممنون) مع عظمه كقوله تعالى «عطاء غير مجذوذ» أو غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط (وانك لعلى خلق عظيم) لايدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم مالا يكاد يحمله البشر وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم (فستبصر ويبصرون) قال ابن عباس رضى الله عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون فى الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما فى قلوب العالمين وكونهم أذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر (بأيكم المفتون) أى أيكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى «سيعلمون غدا من الكذاب الاشر» وقوله تعالى (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) تعليل لما ينبىء عنه ماقبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد أى هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدى الى سعادة الدارين وهام فى تيه الضلال متوجها الى مايفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذى لايفرق بين النفع والضرر بل يحسب الضرر نفعا فيؤثره والنفع ضررا فيهجره (وهو أعلم بالمهتدين) الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزى كلا من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء فى قوله تعالى (فلا تطع المكذبين)

الترتيب النهي على ما ينبيء عنه ما قبله من اهتدائه عليه الصلاة والسلام وضلالهم أو على جميع ما فصل من أول السورة وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم أى دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب فى ذلك أونهى عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما فى ضميره عليه الصلاة والسلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبيء عنه قوله تعالى (ودوا لو تدهن) فانه تعليل للنهى أو للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة فى الزجر والتنفير أى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم فى بعض الامور (فيدهنون) أى فهم يدهنون حينئذ أوفهم الآن يدهنون طمعا فى ادهانك وقيل هو معطوف على تدهن داخل فى حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك ويأباه ما سيأتى من بنائهم الادهان على أن ادهانهم أمر محقق لا يناسب إدخاله تحت التمنى وأياما كان فالمعتبر فى جانبهم حقيقة الادهان الذى هو اظهار الملاينة واضمار خلافها وأما فى جانبه عليه الصلاة والسلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادتهم هو اظهار الملاينة فقط وأما اضمار خلافها فليس فى حيز الاعتبار بل هم فى غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام وفى بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمنى المفهوم من ودوا أوأن ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على أنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أى ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل و تقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل فى الزجر (مهين) حقير الرأى والتدبير (هماز) عياب طعان (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم والنميمة السعاية (مناع للخير) أى بخيل أو مناع للناس من الخير الذى هو الايمان والطاعة والانفاق (معتد) متجاوز فى الظلم (أثيم) كثير الآثام (عتل) جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عد من مثالبه (زنيم) دعى مأخوذ من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية فى حلقها وفى قوله تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا فى قريش وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده فى زهرة (أن كان ذا مال وبنين) متعلق بقوله تعالى لا تطع أى لا تطع من هذه مثالبه لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين

وقوله تعالى (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) استئناف جار مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا بالمال والبنين كذب بآياتنا وفيه انه يدل على أن مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير أن يكون لسائر قبائحه دخل فى ذلك وقرىء أأن كان على معنى ألأن كان ذا مال كذب بها أو أتطيعه لان كان ذا مال وقرىء ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة (سنسمه على الخرطوم) بالكى على أكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها عن سائر الكفرة (انا بلوناهم) أى أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما فى أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقى عن البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شىء كثير فلما مات أبوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى (اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) ليقطعنها داخلين فى الصباح (ولا يستثنون) أى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لأخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله بمعنى واحد أو ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله أبوهم والجملة مستأنفة (فطاف عليها) اى على الجنة (طائف) بلاء طائف وقرىء طيف (من ربك) مبتدأ من جهته تعالى (وهم نائمون) غافلون عما جرت به المقادير (فأصبحت كالصريم) كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق منها شىء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل أى احترقت فاسودت وقيل كالنهار أى يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال (فتنادوا) أى نادى بعضهم بعضا (مصبحين) داخلين فى الصباح (أن اغدوا) أى اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أى اخرجوا غدوة (على حرثكم) بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الاقبال أو الاستيلاء (ان كنتم صارمين) قاصدين للصرم (فانطلقوا وهم يتخافتون) أى يتشاورون

فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها) أى الجنة (اليوم عليكم مسكين) أن مفسرة لما فى التخافت من معنى القول وقرىء بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا (وغدوا على حرد قادرين) أى على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل إذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أنه ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرىء بذلك أى لم يقدروا إلا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أى غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة (فلما رأوها قالوا) فى بديهة رؤيتهم (إنا لضالون) أى طريق جنتنا وما هى بها (بل نحن محرومون) قالوه بعد ما تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر مضربين عن قولهم الأول أى لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا (قال أوسطهم) أى رأياً أو سناً (ألم أقل لكم لولا تسبحون) لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبىء عنه قوله تعالى (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما فى التعظيم أو لأنه تنزيه له تعالى عن أن يجرى فى ملكه ما لا يشاؤه (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضاً فان منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضياً به ومنهم من أنكره (قالوا ياويلنا إنا كنا طاغين) متجاوزين حدود الله (عسى ربنا أن يبدلنا) وقرىء بالتشديد أى يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة (خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون) راجون العفو طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة أو لتضمنها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيراً منها وروى أنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا اليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا إن الله أمر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر

من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه إن القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً وقال أبو خالد اليمانى دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعباً وعن الحسن رحمه الله تعالى قول أصحاب الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدرى إيماناً كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف فى أمرهم والأكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيرى (كذلك العذاب) جملة من مبتدأ وخبر مقدم لافادة القصر والألف واللام للعهد أى مثل الذى بلوناهم به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة أكبر) أعظم وأشد (لو كانوا يعلمون) أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم إليه (إن المتقين) أى من الكفر والمعاصى (عند ربهم) أى فى الآخرة أو فى جوار القدس (جنات النعيم) جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا يقولون إن صح انا نبعث عما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هى فى الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده (ما لكم كيف تحكمون) تعجيباً من حكمهم واستبعاداً له وإيذاناً بأنه لا يصدر عن عاقل (أم لكم كتاب) نازل من السماء (فيه تدرسون) أى تقرءون (إن لكم فيه لما تخيرون) أى ما تتخيرونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فلما جىء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى «وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين» وتخير الشىء واختياره أخذ خيره (أم لكم أيمان علينا) أى عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين (الى يوم القيامة) متعلق بالمقدر فى لكم أى ثابتة لكم الى يوم القيامة لانخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة أى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم علينا أيمان

أم أقسمنا لكم (سلهم) تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا لهم (أيهم بذلك) الحكم الخارج عن العقول (زعيم) اى قائم يتصدى لتصحيحه (أم لهم شركاء) يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم اذ لا أقل من التقليد وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على أن ليس لهم شىء يتوهم أن يتشبثوا به حتى التقليد الذى لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة (يوم يكشف عن ساق) أى يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم:

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل ساق الشىء أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان أى يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور وأصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل أو التعظيم وقرىء تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرىء نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الامر أى دخل فى الكشف وناصب الظرف فليأتوا أو مضمر مقدم أى اذكر يوم الخ أو مؤخر أى يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الاهوال وعظائم الاحوال مالا يبلغه الوصف (ويدعون الى السجود) توبيخا وتعنيفا على تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك (فلا يستطيعون) لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه تعقم أصلابهم أى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث «وتبقى أصلابهم طبقا واحدا» أى فقارة واحدة (خاشعة أبصارهم) حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار لظهور أثره فيها (ترهقهم) تلحقهم وتغشاهم (ذلة) شديدة (وقد كانوا يدعون الى السجود) فى الدنيا والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقرير أو لان المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف (وهم سالمون) متمكنون منه أقوى تمكن أى فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) أى كله اى فانى أكفيك أمره أى حسبك فى الايقاع به والانتقام منه ان تكل أمره الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أى واذا

كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بهذا القرآن وتوكل علي في الانتقام منه وقوله تعالى (سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد في يكذب باعتبار لفظها أي سنستنزلهم الى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة (من حيث لا يعلمون) أنه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون أنه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع انه سبب لهلاكهم (وأملي لهم) وأمهلهم ليزدادوا إثما وهم يزعمون أن ذلك لارادة الخير بهم (ان كيدي متين) لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء وتسمية ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد (أم تسألهم) على الابلاغ والارشاد (أجرا) دنيويا (فهم) لاجل ذلك (من مغرم) أي غرامة مالية (مثقلون) مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك (أم عندهم الغيب) أي اللوح أو المغيبات (فهم يكتبون) منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك (فاصبر لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) أي يونس عليه السلام (اذ نادى) في بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف أي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه أي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه (لولا أن تداركه نعمة من ربه) وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه أي تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه (لنبذ بالعراء) بالارض الخالية من الاشجار (وهو مذموم) مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنتفية لا النبذ بالعراء كما مر في الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه أمرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى (فاجتباه ربه) عطف على مقدر أي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحي وأرسله الى مائة ألف أو يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة (فجعله من الصالحين) من الكاملين في الصلاح بان عصمه من أن يفعل فعلا يكون تركه أولى روي أنها نزلت باحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى أزلقه ويزهقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك

ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أوانهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روى أنه كان في بني أسد عيانون فأراد بعضهم أن يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث «ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر» ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أي وقت سماعهم بالقرآن على أن لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه (ويقولون) لغاية حيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه (انه لمجنون) وحيث كان مدار حكمهم الباطل ماسمعوه منه عليه الصلاة والسلام رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل (وما هو الا ذكر للعالمين) على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من جرأتهم على تفوه تلك العظيمة أي يقولون ذلك والحال أنه ذكر للعالمين أي تذكير وبيان لجميع مايحتاجون اليه من أمور دينهم فاين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى «وانه لذكر لك ولقومك» وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لاريب فيه «عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم»

(سورة الحاقة مكية)

(وآيها احدى وخمسون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) أي الساعة أو الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لامحالة أو التي تحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب أو التي تحق فيها الامور أي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور أو لمن فيها من أولي العلم وأيا ما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها (ما الحاقة) على أن ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والاصل ماهي أي أي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه

في إعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة أن مقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان أن أمرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى (وما أدراك) أي وأي شيء أعلمك (ما الحاقة) تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى أن عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الإعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدإ وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على إسقاط الخافض لأن أدرى يتعدى إلى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى «ولا أدراكم به» فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الأفزاع والأهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لإعلام بعض أحوال الحاقة له عليه الصلاة والسلام إثر تقرير أنه ما أدراه عليه الصلاة والسلام بها أحد كما قوله تعالى «وما أدراك ماهيه نار حاميه» ونظائره خلا أن المبين هناك نفس المسؤول عنها وههنا حال من أحوالها كما في قوله تعالى «وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر» فكما أن المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شأنها وكونها بحيث يحق إهلاك من يكذب بها كأنه قيل وما أدراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فأهلكوا (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أي بالواقعة المجاوزة للحد وهي الصيحة أو الرجفة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي شديدة الصوت لها صرصرة أو شديدة البرد تحرق ببردها (عاتية) شديدة العصف كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها أو على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى (سخرها عليهم) الخ استئناف جيء به بيانا لكيفية إهلاكهم بالريح أي سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة إذا تابعت بين كيها أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دارها ويجوز أن يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا أو على المصدر لفعله المقدر حالا أي تحسمهم

حسوما و يؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا الان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى ايام العجز وهى آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفىء الجمر وقيل ومكفىء الظعن (فترى القوم) ان كنت حاضرا حينئذ (فيها) فى مهابها أو فى تلك الليالى والايام (صرعى) موتى جمع صريع (كأنهم أعجاز نخل) أى أصول نخل (خاوية) متأكلة الاجواف (فهل ترى لهم من باقية) أى بقية أونفس باقية أو بقاء على أنها مصدر كالكاذبة والطاغية (وجاء فرعون ومن قبله) أى ومن تقدمه وقرىء ومن قبله أى ومن عنده من أتباعه ويؤيده أنه قرىء ومن معه (والمؤتفكات) أى قرى قوم لوط أى أهلها (بالخاطئة) بالخطا أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطاالتى من جملتها تكذيب البعث والقيامة (فعصوا رسول ربهم) أى فعصى كل أمة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح (فأخذهم) اى الله عز وجل (أخذة رابية) اى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح من ربا الشىء اذا زاد (انا لما طغا الماء) بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه عليه الصلاة والسلام فيما اوحى اليه من الاحكام التى من جملتها احوال القيامة (حملناكم) اى فى اصلاب آبائكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء الى انقضاء أيام الطوفان لا مجرد رفعهم الى السفينة كما يعرب عنه كلمة فى فانها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله أى رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم فى السفينة الجارية بامرنا وحفظنا وفيه تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى انما السفينة سبب صورى (لنجعلها) أى لنجعل الفعلة التى هى عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته (وتعيها) اى تحفظها والوعى ان تحفظ الشىء فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غير نفسك من وعاء وقرىء تعيها بسكون العين تشبيها له بكتف (اذن واعية) اى اذن من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه بتذكره واشاعته والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وإدامة نسلهم وقرىء اذن بالتخفيف (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) شروع فى بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرىء نفخة واحدة بالنصب على اسناد

الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم (وحملت الارض والجبال) أى قلعت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الالهية أو بتوسط الزلزلة أو الريح العاصفة (فدكتا دكة واحدة) أى فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضهما ببعض ضربة واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا تفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) أى قامت القيامة (وانشقت السماء) لنزول الملائكة (فهى) أى السماء (يومئذ واهية) ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة (والملك) أى الخلق المعروف بالملك (على أرجائها) أى جوانبها جمع رجا بالقصر أى تنشق السماء التى هى مساكنهم فيلجئون الى أكنافها وحافاتها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملائكة الذين هم على الارجاء أو فوق الثمانية (يومئذ ثمانية) من الملائكة عن النبى عليه الصلاة والسلام هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله تعالى بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الاوعال مابين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم أثمانية أشخاص أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لايعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز أن يكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها أقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤنه سبحانه أجل من كل ما يحيط به فلك العبارة والاشارة (يومئذ تعرضون) أى تسئلون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم روى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنثر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفا للكل (لاتخفى منكم خافية) حال

من مرفوع تعرضون أى تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من أسراركم قبل ذلك أيضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة فى العدل أو غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى « يوم تبلى السرائر » وقرىء يخفى بالياء التحتانية (فأما من أوتى كتابه بيمينه) تفصيل لاحكام العرض (فيقول) تبجحا وابتهاجا (هاؤم اقرؤا كتابيه) ها اسم لخذ وفيه ثلاث لغات أجودهن هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان أو امرأتان وهاؤون يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرءوه اذ الأولى اضماره حيث أمكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب اثباتها لثباتها فى الامام (انى ظننت أنى ملاق حسابيه) أى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بأنه لايقدح فى الاعتقاد مايهجس فى النفس من الخطرات التى لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع فى النسبة بالحرف أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم (فى جنة عالية) مرتفعة المكان لانها فى السماء أو الدرجات أو الابنية والاشجار (قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر (دانية) يتناولها القاعد (كلوا واشربوا) باضمار القول والجمع باعتبار المعنى (هنيئا) أكلا وشربا هنيئا أو هنئتم هنيئا (بما أسلفتم) بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) أى الماضية فى الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام وروى يقول الله تعالى يا أوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا الآية (وأما من أوتى كتابه بشماله) ورأى ما فيه من قبائح الاعمال (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه) لما شاهد من سوء العاقبة (ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) أى القاطعة لامرى ولم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى فضمير ليتها للموتة ويجوز أن يكون لما شاهده من الحالة أى ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لما أنه وجدها أمر من الموت فتمناه عندها وقد جوز أن يكون للحياة الدنيا أى ياليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم أخلق حيا (ما أغنى عنى ماليه) مالى من المال والاتباع على أن ما نافية والمفعول محذوف أو استفهامية للانكار أى أى شىء أغنى عنى ما كان لى من اليسار (هلك عنى سلطانيه) أى ملكى وتسلطى على الناس أو حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا أو تسلطى

على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها فى العبادات (خذوه) حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار (فغلوه) أى شدوه بالاغلال (ثم الجحيم صلوه) أى لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعاظم على الناس (ثم فى سلسلة ذرعها)أى طولها (سبعون ذراعا فاسلكوه) فأدخلوه فيها بان تلفوها على جسده فهو فيما بينها مرهق لايستطيع حراكا ماو تقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان مايعذب به وثم لتفاوت مابين الغل والتصلية وما بينهما وبين السلك فى السلسلة فى الشدة (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) تعليل بطريق الاستئناف التحقيقى ووصفه تعالى بالعظم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها الى نفسه استحق أعظم العقوبات (ولا يحض على طعام المسكين) ولا يحث على بذل طعامه أو على اطعامه فضلا أن يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على أن تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك الفعل وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر لما ان أقبح العقائد الكفر وأشنع الرذائل البخل وقسوة القلب (فليس له اليوم ههنا حميم) أى قريب يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه (ولا طعام الا من غسلين) أى من غسالة أهل النار وصديدهم فعلين من الغسل (لا يأكله الا الخاطئون) اصحاب الخطايا من خطىء الرجل اذا تعمد الذنب لامن الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس رضى عنهما انهم المشركون وقرىء الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرىء بطرحها وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله (فلا أقسم) أى فأقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى (بما تبصرون وما لا تبصرون) كما مر فى سورة الواقعة أى أقسم بالمشاهدات والمغيبات وقيل بالدنيا والآخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل (انه) أى القرآن (لقول رسول) يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه (كريم) على الله تعالى وهو النبى أو جبريل عليهما السلام (وماهو بقول شاعر) كما تزعمون تارة (قليلا ما تؤمنون) ايمانا قليلا تؤمنون (ولا بقول كاهن) كما تدعون ذلك تارة أخرى (قليلا ما تذكرون) أى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تتذكرون على أن القلة بمعنى النفى اى لا تؤمنون ولا تتذكرون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لما ان عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره الا

معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احواله عليه الصلاة والسلام ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم وانت خبير بأن ذلك أيضا مما لا يتوقف على تأمل قطعا وقرئ بالياء فيهما (تنزيل من رب العالمين) نزله على لسان جبريل عليه السلام (ولو تقول علينا بعض الاقاويل) سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة أقاويل تحقيرا لها كأنها أجمع أفعولة من القول كالأضاحيك (لأخذنا منه باليمين) أى بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) أى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بأفظع مايفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم :

اذا ماراية رفعت لمجد ٭ تلقاها عرابة باليمين

(فما منكم) أيها الناس (من أحد عنه) عن القتل أو المقتول (حاجزين) دافعين وصف لأحد فانه عام (وانه) أى وان القرآن (لتذكرة للمتقين) لانهم المنتفعون به (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) فنجازيهم على تكذيبهم (وانه لحسرة على الكافرين) عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين (وانه لحق اليقين) الذى لا يحوم حوله ريب ما (فسبح باسم ربك العظيم) أى فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما أوحى اليك ٭ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا ٭

(سورة المعارج مكية وآيها أربع وأربعون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(سأل سائل) أى دعا داع (بعذاب واقع) أى استدعاه وطلبه وهو النضر بن الحرث حيث قال انكارا واستهزاءا ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل أبو جهل حيث قال أسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهرى وذلك أنه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى على رضى الله عنه من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من أسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول عليه الصلاة والسلام استعجل عذابهم وقرىء سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى مامر أو من السيلان ويؤيده أنه قرىء سال سيل أى اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضى

للدلالة على تحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهرى واما فى الآخرة فهو عذاب النار والله أعلم (للكافرين) صفة أخرى لعذاب أى كائن للكافرين أو صلة لواقع أو متعلق بسأل أى دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى (ليس له دافع) صفة أخرى لعذاب أو حال منه لتخصصه بالصفة أو بالعمل أو من الضمير فى للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب أو استئناف (من الله) متعلق بواقع أو بدافع أى ليس له دافع من جهته تعالى (ذى المعارج) ذى المصاعد التي يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهى أو هى عبارة عن السموات المترتبة بعضها فوق بعض (تعرج الملائكة والروح) أى جبريل عليه السلام أفرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس (اليه) الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه أوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى أى الى حيث أمرنى به (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى أنها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين ألف سنة أى يقطعون فى يوم ما يقطعه الانسان فى خمسين ألف سنة لو فرض ذلك وقيل فى يوم متعلق بواقع وقيل بسأل على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيامة أو استطالته اما لانه كذلك فى الحقيقة أو لشدته على الكفار أو لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وأياما كان فذلك فى حق الكافر وأما فى حق المؤمن فلا لما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطول هذا اليوم فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفسى بيده إنه ليخف على المؤمن حتى انه يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عليه الصلاة والسلام أو كان عن تضجر واستبطاء للنصر أو بسأل سائل أو سال سيل فمعنا جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام (انهم يرونه) أى العذاب الواقع أو يوم القيامة على تقدير تعلق فى يوم بواقع (بعيدا) أى يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به (ونراه قريبا) هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على أن البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى (يوم تكون السماء

كالمهل) متعلق بقريبا أى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم أو بمضمر دل عليه واقع أو بمضمر مؤخر أى يوم تكون السماء كالمهل الخ يكون من الاحوال والاهوال مالا يوصف أو بدل من فى يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب أن قوله تعالى سأل سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى «يسألونك عن الساعة» وقوله تعالى «ويقولون متى هذا الوعد» ونحوهما إذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر أو أبو جهل أو الفهرى فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى «فاسأل به خبيرا» وقوله تعالى «ليس له دافع» الخ استئناف مسوق لبيان وقوع المسئول عنه لامحالة وقوله تعالى «فاصبر صبرا جميلا» مترتب عليه وقوله تعالى «انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا» تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع أو بما يدل هو عليه أى يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما أذيب على مهل من الفلزات وقيل دردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسأل حميم حميما) أى لا يسأل قريب قريبا عن أحواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرىء على البناء للمفعول أى لا يطلب من حميم حميم أو لا يسئل منه حاله (يبصرونهم) أى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم بحال أنفسهم وقيل مايغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول أدخل فى التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرىء يبصرونهم والجملة استئناف (يود المجرم) أى يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى (لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه) أى العذاب الذى ابتلوا به يومئذ حكاية لودادتهم ولو فى معنى التمنى وقيل هى بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه فضلا أن يهتم بحاله ويسأل عنها وقرىء يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب (وفصيلته) أى عشيرته التى فصل عنهم (التى تؤويه) أى تضمه فى النسب أو عند الشدائد (ومن فى الارض جميعا) من الثقلين والخلائق ومن للتغليب (ثم ينجيه) عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعنى يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده ويبذلهم فى فداء نفسه ثم

ينجيه ذلك وهيهات (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير (انها) اما للنار المداول عليها بذكر العذاب أو هو مبهم ترجم عنه الخبر الذى هو قوله تعالى (لظى) وهى علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) نصب على الاختصاص أو حال مؤكدة والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس وقرىء نزاعة بالرفع على أنه خبر ثان لان أو هو الخبر ولظى بدل من الضمير أو الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره (تدعو) أى تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الى ياكافر الى يامنافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها (من أدبر) أى عن الحق (وتولى) أعرض عن الطاعة (وجمع فأوعى) أى جمع المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتأميلا (ان الانسان خلق هلوعا) الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره أحسن تفسير قوله تعالى (اذا مسه الشر)أى الفقر والمرض ونحوهما (جزوعا) أى مبالغا فى الجزع مكثرا منه (واذا مسه الخير) أى السعة والصحة (منوعا) مبالغا فى المنع والامساك والاوصاف الثلاثة أحوال مقدرة أو محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا (الا المصلين) استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على القبائح الماضية لانباء نعوتهم عن الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك فى حب العاجل وقصر النظر عليه (الذين هم على صلاتهم دائمون) لايشغلهم عنها شاغل (والذين فى أموالهم حق معلوم) أى نصيب معين يستوجبونه على أنفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات الموظفة (للسائل) للذى يسأله (والمحروم) الذى لايسأله فيظن أنه غنى فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) أى بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم فى الطاعات البدنية والمالية طمعا فى المثوبة الأخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون على أنفسهم مع مالهم من الأعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى « والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون» وقوله تعالى (ان عذاب ربهم غير مأمون) اعتراض مؤذن بأنه لاينبغى لاحد أن يأمن عذابه تعالى وان بالغ فى الطاعة

(والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين) سلف تفسيره فى سورة المؤمنون (فمن ابتغى) أى طلب لنفسه (وراء ذلك) وراء ما ذكر من الازواج والمملوكات (فأولئك) المبتغون (هم العادون) المتعدون لحدود الله تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) لايخلون بشيء من حقوقها (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الامانات لابانة فضلها وقرىء لامانتهم و بشهادتهم على ارادة الجنس (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى يراعون شرائطها و يكملون فرائضها و سننها و مستحباتها وآدابها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولا وآخراً باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما فى قول من قال :

إلى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتائب فى المزدحم

ايذانا بأن كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر (أولئك) اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليهم للايذان بعلو شأنهم و بعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره (فى جنات) أى مستقرون فى جنات لايقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى (مكرمون) خبر آخر أو هو الخبر وفى جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير فى الخبر أى مكرمون كائنين فى جنات (فما للذين كفروا قبلك) حولك (مهطعين) مسرعين نحوك مادى أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزى إلى غير من تعتزى اليه الأخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستهزؤن بكلامه عليه الصلاة والسلام ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم) بلا إيمان (كلا) ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ (انا خلقناهم مما يعلمون) قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما فى قول الاعشى :

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا ٭ وشطت على ذى هوى أن تزارا

وهو تكميل النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن

يبوأ مبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا فى دخول الجنة و هم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل معناه انا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم و يقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل إنهم مخلوقون من نطفة قذرة لاتناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل الايمان والطاعة ولم تتخلق بأخلاق الملكية لم تستعد لدخولها ولايخفى مافى الكل من التمحل والاقرب أنه كلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم و بما نزل عليه من الوحى و ادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية و ينشىء بدلهم قوما آخرين فان فان قدرته تعالى على مايعلمون من النشأة الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة فى قوله تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) والمعنى إذا كان الامر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب (انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أى نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتى بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم (ومانحن بمسبوقين) بمغلوبين ان أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم (فذرهم) فخلهم وشأنهم (يخوضوا) فى باطلهم الذى من جملته ماحكى عنهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما توهم فان قوله تعالى (يوم يخرجون من الاجداث) بدل من يومهم وقرىء يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج (سراعا) حال من مرفوع يخرجون أى مسرعين (كأنهم الى نصب)وهو كل مانصب فعبد من دون الله تعالى وقرىء بسكون الصاد و بفتح النون وسكون الصاد أيضا (يوفضون) يسرعون (خاشعة أبصارهم) وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها (ترهقهم ذلة) تغشاهم ذلة شديدة (ذلك) الذى ذكر ماسيقع فيه من الاحوال الهائلة (اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا ٠ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

(سورة نوح عليه السلام)
(مكية وآيها تسع أوثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك)أى بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف

منها الجار واوصل اليها الفعل فان حذفه مع أن وأن مطرد وجعلت صلتها امرا كما فى قوله تعالى «وان اقم وجهك» لان مدار وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لايختلف بالخبرية والانشائية ووجوب كون الصلة خبرية فى الموصول الاسمى انما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهى لاتوصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفى كذلك وحيث استوى الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر استويا فى صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الامر والنهى والمضى والاستقبال كانه قيل أرسلناه بالانذار وقيل المعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اى ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما فى الارسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الاعراب وعلى الاول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائى كما هو المعروف وقرىء انذر بغير ان على ارادة القول (من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) عاجل اوآجل لئلا يبقى لهم عذر ما اصلا (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ارساله عليه الصلاة والسلام بالوجه المذكور كانه قيل فما فعل عليه الصلاة والسلام فقيل قال لهم (ياقوم انى لكم نذير مبين) منذر موضح لحقيقة الامر وقوله تعالى (أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون) متعلق بنذير على الوجهين المذكورين (يغفر لكم من ذنوبكم) اى بعض ذنوبكم وهو ما سلف فى الجاهلية فان الاسلام يجبه (ويؤخركم الى أجل مسمى) هو الامد الاقصى الذى قدره الله تعالى لهم بشرط الايمان والطاعة وراء ماقدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فان وصف الاجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم اليه بالايمان والطاعة صريح فى أن لهم أجلا آخر لايجاوزونه ان لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى (ان أجل الله) أى ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر (اذا جاء) وانتم على ما أنتم عليه من الكفر (لا يؤخر) فبادروا الى الايمان والطاعة قبل مجيئه حتى لايتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير الى الاجل المسمى فتؤخروا اليه ويجوز أن يراد به وقت اتيان العذاب المذكور فى قوله تعالى «من قبل أن يأتيهم عذاب أليم» فانه أجل مؤقت له حتما وحمله على الاجل الاطول مما لايساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للامر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير الى الاجل المسمى فلابد أن يكون المنفى عند مجيء الاجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الاجل المسمى (لو كنتم تعلمون) أى لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم الى ما أمرتكم به (قال) أى نوح عليه الصلاة والسلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو

أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال فى تلك المدد الطوال بعد ما بذل فى الدعوة غاية المجهود وجاوز فى الانذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل (رب اني دعوت قومى) الى الايمان والطاعة (ليلا ونهارا) أى دائما من غير فتور ولا توان (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) مما دعوتهم اليه واسناد الزيادة الى الدعاء لسببيته لها كما فى قوله تعالى «زادتهم ايمانا» (وانى كلما دعوتهم) أى الى الايمان (لتغفر لهم) بسببه (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) أى سدوا مسامعهم من استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) أى بالغوا فى التغطى بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر اليه أو لئلا يعرفهم فيدعوهم (وأصروا) أى أكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من أصر الحمار على العانة اذا أصر أذنيه وأقبل عليها (واستكبروا) عن اتباعى وطاعتى (استكبارا) شديدا (ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى أعلنت لهم وأسررت لهم اسرارا) أى دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اشد من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها عن بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او اريد بدعوتهم جاهرتهم أو هو صفة لمصدر اى دعوتهم دعاء جهارا اى مجاهرا به أو مصدر فى موقع الحال أى مجاهرا (فقلت استغفروا ربكم) بالتوبة عن الكفر والمعاصى (انه كان غفارا) للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا ان كنا على الحق فكيف نتركه وان كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعدما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصى ويجلب اليهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو أوقع فى قلوبهم واحب اليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم اربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم انهم ان آمنوا ان يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه (يرسل السماء عليكم مدرارا) اى كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة او السحاب (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم) فيها (أنهارا) جارية (مالكم لا ترجون لله وقارا) انكار لان يكون لهم سبب ما فى عدم رجائهم لله تعالى وقارا على ان الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار فى لكم على ان الانكار متوجه الى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا اليهما معا كما فى قوله تعالى «ومالى لا أعبد الذى فطرنى» ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له اى اى سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة

موجبة لتعظيمه بالايمان به والطاعة له (وقد خلقكم أطوارا) اى والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية وهى أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر فان التقصير فى توقير من هذه شؤونه فى القدرة القاهرة والاحسان التام مع العلم بهما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الامل أى مالكم لا تأملون له تعالى توقيرا أى تعظيما لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والاول هو الذى تستدعيه الجزالة التنزيلية فان اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقار الله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد حتما واما عدم رجائهم لتعظيم الله اياهم فى دار الثواب فليس فى حيز الاستبعاد والانكار مع ان فى جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفى قوله ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فان كونه بيانا للموقر يقتضى ان يكون التوقير صادرا عنه تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل مالكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على اخذكم بالعقوبة اى اى عذر لكم فى ترك الخوف منه تعالى. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما مالكم لا تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك مالكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هى لغة حجازية يقولون لم أرج اى لم ابال وقوله تعالى (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) اى متطابقة بعضها فوق بعض (وجعل القمر فيهن نورا) اى منور الوجه فى ظلمة الليل ونسبته الى الكل مع انه فى السماء الدنيا لما انها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون فى الكل اولان كل واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك ان يكون ما فى واحدة منها كأنه فى الكل (وجعل الشمس سراجا) يزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا فى ضوئها وجه الارض ويشاهدون الآفاق كما يبصر اهل البيت فى ضوء السراج ما يحتاجون الى ابصاره وليس القمر بهذه المثابة انما هو نور فى الجملة (والله أنبتكم من الارض نباتا) أى أنشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الارض ونباتا اما مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من فعله أى أنبتكم من الأرض فنبتم نباتا ويجوز أن يكون الاصل أنبتكم من الأرض إنباتا فنبتم نباتا فيحذف من الجملة الاولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء فى كل منهما بما ذكر فى الأخرى كما مر فى قوله تعالى «أم

تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى» وقوله تعالى «وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله» (ثم يعيدكم فيها) بالدفن عند موتكم (ويخرجكم) منها عند البعث والحشر (إخراجاً) محققاً لاريب فيه (والله جعل لكم الأرض بساطا) تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم فى بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع أن حقه التأخير لما مر مراراً من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر فان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لاسيما عند عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى طرقاً واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا أى كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها (قال نوح) أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه أى قال مناجياً له تعالى (رب انهم عصونى) أى تموا على عصيانى فيما أمرتهم به مع مابالغت فى إرشادهم للعظة والتذكير (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) أى واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سبباً لزيادة خسارهم فى الآخرة فصاروا أسوة لهم فى الخسار. وفى وصفهم بذلك إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع فى الجملة وقرىء وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد (ومكروا) عطف على صلة من والجملة باعتبار معناها كما أن الافراد فى الضمائر الأول باعتبار لفظها (مكراً كبارا) أى كبيراً فى الغاية وقرىء بالتخفيف والاول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتيالهم فى الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم لهم على أذية نوح عليه السلام (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أى لا تتركوا عبادتها على الاطلاق إلى عبادة رب نوح (ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) أى ولا تذرن عبادة هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لوصورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل هم كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث

على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرىء ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية (وقد أضلوا) أى الرؤساء (كثيرا) خلقا كثيرا أو الاصنام كقوله تعالى «رب انهن أضللن كثيرا من الناس» (ولا تزد الظالمين الاضلالا) عطف على قوله تعالى رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه أى قال قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين الاضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك كما فى قوله تعالى «ان المجرمين فى ضلال وسعر» ويؤيده ما سيأتى من دعائه عليه الصلاة والسلام (مما خطيئاتهم) أى من أجل خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرز يادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلا منها وقرىء مما خطاياهم ومما خطياتهم أى بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم (أغرقوا) بالطوفان لا بسبب آخر (فأدخلوا نارا) المراد اما عذاب القبر فهو عقيب الاغراق وان كانوا فى الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها أو لانه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أى لم يجد أحد منهم واحدا من الانصار وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم (وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه الصلاة والسلام للايذان من أول الامر بأن ما أصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التى عددها نوح عليه السلام وأشار الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا أنها حكاية لنفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية ماجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم من الاحوال والاقوال والا لأخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم أى أحد وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار قد فعل به ما فعل بأصل سيد لا فعال والا لكان دوارا (انك ان تذرهم) عليها كلا أو بعضا (يضلوا عبادك) عن طريق الحق (ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) أى الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه وكانه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ أحوالهم قريبا من ألف سنة (رب

اغفرلي ولوالدي) أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين و قيل هما آدم وحواء وقرىء ولولدي يريد ساما وحاما (ولمن دخل بيتي) أي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي (مؤمنا) بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم عليه الصلاة والسلام بخروجه الا بعد ماقيل له انه ليس من أهلك وقد مر تفصيله في سورة هود (وللمؤمنين و المؤمنات) عمهم بالدعاء اثر ماخص به من يتصل به نسبا ودينا (ولا تزد الظالمين الا تبارا) أي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم أيضا لكن على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم باراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه الصلاة والسلام «يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى» وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله تعالى ارحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا «عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام »

(سورة الجن مكية)

(وآيها ثمان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل أوحي إلي) وقرىء أحي الى أصله وحي وقد قرىء كذلك من وحي اليه فقلبت الواو المضمومة همزة كأعد وأزن في وعد ووزن (أنه) بالفتح لانه فاعل أوحي والضمير للشأن (استمع)أي القرآن كما ذكر في الاحقاف وقد حذف لدلالة مابعده عليه (نفر من الجن) النفر مابين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن أبدانها و فيه دلالة على أنه عليه الصلاة والسلام لم يشعر بهم وباستماعهم و لم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر مافيه من التفصيل في الاحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم اليهم (انا سمعنا قرآنا) كتابا مقروأ (عجبا) بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة (يهدي الى الرشد) إلى الحق والصواب (فآمنا به) أي بذلك القرآن (ولن نشرك بربنا أحدا) حسبما نطق به بما فيه من دلائل التوحيد (وأنه تعالى جد ربنا) بالفتح قالوا هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن في أحد عشر موضعا عطف على محل

الجار والمجرور فى فآمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا أى ارتفع عظمته من جد فلان فى عينى أى عظم تمكنه أو سلطانه أو غناه على أنه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقرىء بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكى بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول واما اندراج الجمل الآتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لحكم تعالى جده وقرىء جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه فى اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه (وأنه كان يقول سفيهنا) أى إبليس أو مردة الجن (على الله شططا) أى قولا ذا شطط أى بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط فى نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل أيضا بل باعتبار كونه شططا كأنه قيل وصدقنا أن ما كان يقوله سفيهنا فى حقه تعالى كان شططا وأما تعلقهما بقوله تعالى (وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم أى كنا نظن أنه لن يكذب على الله تعالى أحد أبدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لأنه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أى قولا كذبا أى مكذوبا فيه وقرىء لن تقول بحذف إحدى التاءين فكذبا مصدر مؤكد له لأن الكذب هو التقول (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) كان الرجل من العرب إذا أمسى فى واد قفر وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى (فزادوهم) أى زاد الرجال العائذون الجن (رهقا) أى تكبرا وعتوا أو فزاد الجن العائذين غيا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم (وأنهم ظنوا) أى الانس (كما ظننتم) أيها الجن على أنه كلام بعضهم لبعض (أن لن يبعث الله أحدا) وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والأقرب أنهما كذلك على كل تقدير عطفا على انه استمع

إذ لا معنى لإدراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذلك قوله تعالى (وأنا لمسنا السماء) وما بعده من الجملة المصدرة بأنا ينبغي أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل قل أوحى إلى كيت وكيت وهذه العبارات أى طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه (فوجدناها ملئت حرسا) أى حراسا اسم جمع كخدم مفردا للفظ ولذلك قيل (شديدا) قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها (وشهبا) جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة من نار الكواكب (وانا كنا نقعد) قبل هذا (منها) من السماء (مقاعد للسمع) خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد أى لأجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد أى مقاعد كائنة للسمع (فمن يستمع الآن) فى مقعد من المقاعد (يجد له شهابا رصدا) أى شهابا راصدا له ولأجله يصده عن الاستماع بالرجم أى ذوى شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي عليه الصلاة والسلام والصحيح أنه كان قبل البعث أيضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا فقالوا ماهذا الا لأمر أراده الله تعالى بأهل الأرض وذلك قولهم (وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض) بحراسة السماء (أم أراد بهم ربهم رشدا) أى خيرا ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما فى قوله تعالى «وإذا مرضت فهو يشفين» ونظائره (وانا منا الصالحون) أى الموصوفون بصلاح الحال فى شأن أنفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة (ومنا دون ذلك) أى قوم دون ذلك فحذف الموصول وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لا فى الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى (كنا طرائق قددا) وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى « وانا لما سمعنا الهدى» الى قوله تعالى «وأنا منا المسلمون» أى كنا قبل هذا ذوى طرائق أى مذاهب أو مثل طرائق فى اختلاف الاحوال أو كانت طرائقنا طرائق قددا أى متفرقة مختلفة جمع قدة من قد كالقطعة من قطع (وانا ظننا) أى علمنا الآن (أن لن نعجز الله) أى أن الشأن لن نعجز الله كائنين فى الارض أينما كنا من أقطارها (ولن نعجزه هربا) هاربين منها إلى السماء أو لن نعجزه

فى الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا (وانا لما سمعنا الهدى) أى القرآن الذى هو الهدى بعينه (آمنا به) من غير تلعثم وتردد (فمن يؤمن بربه) وبما أنزله (فلا يخاف) فهو لا يخاف (بخسا) أي نقصا فى الجزاء (ولا رهقا) ولا أن ترهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق اذ لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله تعالى أن يجتنب المظالم وقرىء فلا يخف والاول أدل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة (فمن أسلم فأولئك) اشارة الى من أسلم والجمع باعتبار المعنى (تحروا) توخوا (رشدا) عظما يبلغهم الى دار الثواب (وأما القاسطون) الجائرون عن سنن الاسلام (فكانوا لجهنم حطبا) توقد بهم كما توقد بكفرة الانس (وان لو استقاموا) أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى وأوحى الى أن الشأن لو استقام الجن والانس أو كلاهما (على الطريقة) التى هى ملة الاسلام (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لو سعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله وطاعته ولم يتكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم (لنفتنهم فيه) لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه أنه لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق استدراجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه (يسلكه) يدخله (عذابا صعدا) أى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على أنه مصدر وصف به مبالغة (وأن المساجد لله) عطف على قوله تعالى أنه استمع أى وأوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله (فلا تدعوا) أى لا تعبدوا فيها (مع الله أحدا) غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والجمع لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة أو لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبى عليه الصلاة والسلام وقيل مواضع السجود على أن المراد نهى السجود لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر الميمى (وانه) من جملة الموحى أى وأوحى الى أن الشأن (لما قام عبد الله) أى النبى عليه الصلاة والسلام وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع

لانه واقع موقع كلامه عن نفسه (يدعوه) حال من فاعل قام أى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى سورة الاحقاف (كادوا) أى الجن (يكونون عليه لبدا) متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا مالم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه الصلاة والسلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرىء لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فأبى الله الا أن يظهره على من ناوأه (قل انما أدعو) أى أعبد (ربى ولا أشرك به) بربى فى العبادة (أحدا) فليس ذلك ببدع ولامستنكر يوجب التعجب أو الاطباق على عداوتى وقرىء قال على انه حكاية لقوله عليه الصلاة والسلام للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى (قل انى لاأملك لكم ضرا ولا رشدا) كأنه اريد لا املك لكم ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الآخر (قل إنى لن يجيرنى من الله أحد) ان أرادنى بسوء (ولن أجد من دونه ملتحدا) ملتجأ ومعدلا وهذا بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عليه الصلاة والسلام عن شؤون غيره وقوله تعالى (الا بلاغا من الله) استثناء من قوله لا أملك فان التبليغ ارشاد ونفع ومابينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة أو من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجى الا أن ابلغ عنه ما أرسلنى به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا أبلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه (ورسالاته) عطف على بلاغا ومن الله صفته لا صلته أى لا أملك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التى أرسلنى بها (ومن يعص الله ورسوله) فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه (فان له نار جهنم) وقرىء بفتح الهمزة على فحقه أو فجزاؤه أن له نار جهنم (خالدين فيها) فى النار أو فى جهنم والجمع باعتبار المعنى (أبدا) بلانهاية وقوله تعالى (حتى اذا رأوا مايوعدون) غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه الصلاة والسلام واستقلالهم لعدده كأنه قيل لا يزالون على ماهم عليه حتى اذا رأوا مايوعدون من فنون العذاب فى الآخرة (فسيعلمون) حينئذ (من أضعف ناصرا وأقل عددا) وحمل مايوعدون على مارأوه يوم بدر يأباه قوله تعالى (قل ان أدرى) أى ما أدرى (أقريب ماتوعدون

أم يجعل له ربى أمدا) فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لامحالة وأما وقته فما أدرى متى يكون (عالم الغيب) بالرفع قيل هو بدل من ربى أو بيان له ويأباه الفاء فى قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحدا) اذ يكون النظم حينئذ أم يجعل له عالم الغيب أمدا فلا يظهر عليه أحدا وفيه من الاختلال مالا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف أى هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار وعلى تفرده تعالى بعلم الغيب على الاطلاق أى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين أحدا من خلقه (الا من ارتضى من رسول) أى الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادى رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها فى الآخرة وما تتوقف هى عليه من أحوال الآخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحداً أبدا على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ولا يدعى أحد لاحد من الاولياء ما فى رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى الصريح وقوله تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أى فانه يسلك من جميع جوانب الرسل عليه السلام عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وأن مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى أريد اظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن

الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله تعالى «حتى يعلم المجاهدين» والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بأمرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى أممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما أبلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى (وأحاط بما لديهم) أي بما عند الرصد أو الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور أي يسلكهم بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال أنه تعالى قد أحاط بما لديهم من الاحوال جميعا (وأحصى كل شيء) مما كان وما سيكون (عددا) أي فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى «وفجرنا الارض عيونا» والاصل أحصى عدد كل شيء وقيل هو حال أي معدودا محصورا أو مصدراً بمعنى إحصاء وأيا ما كان ففائدته بيان أن علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلي إجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى «وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها» أي لا تقدروا على حصرها إجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لأن أصل الاحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا وأما ماقيل من أن قوله تعالى وأحاط بما لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله تعالى ليعلم كأنه قيل قد علم ذلك أحاط بما لديهم الخ فبمعزل من السداد « عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمداً وكذب به عتق رقبة »

﴿سورة المزمل مكية﴾

(وآيها تسع عشرة أو عشرون)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يا أيها المزمل) أي المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها فأدغم التاء في الزاء وقد قرىء على الاصل وقرىء المزمل من زمله مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل قيل خوطب

به النبي عليه الصلاة والسلام تهجيناً لما كان عليه من الحالة حيث كان عليه الصلاة والسلام متلففاً بقطيفة مستعداً للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن فأمر بأن يترك التزمل إلى التشمر للعبادة والهجود إلى التهجد وقيل دخل عليه الصلاة والسلام على خديجة وقد جاء فرقا أول ما أتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني فحسب أنه عرض له فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبريل فقال يا أيها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتأنيس كما في قوله عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب «قم يا أبا تراب» ملاطفة له وإشعاراً بأنه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا أيها الذي زمل أمراً عظيما هو أمر النبوة أي حمله والزمل الحمل وازدمله أي احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعليته للقيام أولا للأمر به فان تحميله عليه الصلاة والسلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد في العبادة (قم الليل) أي قم إلى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرىء بضم الميم وبفتحها (إلا قليلا) استثناء من الليل وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل أي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة إلى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر (أو انقص منه) أي انقص القيام من النصف المقارن له في الصورة الأولى (قليلا) أي نقصاً قليلا أو مقداراً قليلا بحيث لا ينحط إلى نصف النصف (أو زد عليه) أي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه الصلاة والسلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد أما أولا فلأن الحقيق بالاعتناء الذي ينبىء عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه وأما ثانياً فلأن نقص القيام وزيادته إنما يعتبران بالقياس إلى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس إلى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوي النصفين مع كونه تمحلا ظاهراً اعتراف بأن الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل وإلا قليلا استثناء من النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البتات وبين أن يختار أحد الأمرين وهما النقصان من الزيادة عليه وقيل الضميران للأقل من النصف كأنه

قيل قم أقل من نصفه أو قم انقص من ذلك الأقل او أزيد منه قليلا وقيل وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الأول والله أعلم بما فى كتابه الجليل (ورتل القرآن) فى أثناء ما ذكر من القيام أى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف (ترتيلا) بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا (انا سنلقى عليك) أى سنوحى اليك وإيثار الالقاء عليه لقوله تعالى (قولا ثقيلا) وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لاسيما على الرسول عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام مأمور بتحملها وتحميلها للأمة والجملة اعتراض بين الأمر وتعليله لتسهيل ما كلفه عليه الصلاة والسلام من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا أنه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه أو ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر أو ثقيل فى الميزان أو على الكفار والفجار أو ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضى الله تعالى عنها رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا (ان ناشئة الليل) أى ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة أى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض أوان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية أو ان العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث أوان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة أو ساعاتها الاول من نشأ اذا ابتدأ (هي أشد وطأ) أى هي خاصة أشد ثبات قدم أو كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام وقرئ وطاء أى أشد مواطأة يواطىء قلبها لسانها ان أريد بها النفس أو يواطىء فيها قلب القائم لسانه ان أريد بها القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص (وأقوم قيلا) وأشد مقالا وأثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات (ان لك فى النهار سبحا طويلا) أى تقلبا وتصرفا فى مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى وقرىء سبخا أى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على أى وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم (وتبتل اليه) أى وانقطع اليه بمجامع الهمة واستغراق العزيمة فى مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوائق الصادرة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل (تبتيلا) مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل (رب المشرق والمغرب)

مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره (لا اله الا هو) وقرىء بالجر على أنه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء فى قوله تعالى (فاتخذه وكيلا) لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى (واصبر على ما يقولون) مما لاخير فيه من الخرافات (واهجرهم هجرا جميلا) بأن تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمورهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى (وذرنى والمكذبين) أى دعنى واياهم وكل أمرهم الى فأنى أكفيكهم (أولى النعمة) أرباب التنعم وهم صناديد قريش (ومهلهم قليلا) زمانا قليلا (ان لدينا أنكالا) جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر أى ان لدينا أمورا مضادة لتنعمهم (وجحيما وطعاما ذا غصة) ينشب فى الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم (وعذابا أليما) ونوعا آخر من العذاب مؤلما لايقادر قدره ولايدرك كنهه كل ذلك معدلهم ومرصد وقوله تعالى (يوم ترجف الارض والجبال) أى تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذى تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا أى عذابا واقعا يوم ترجف (وكانت الجبال) مع صلابتها وارتفاعها (كثيبا) رملا مجتمعا من كثب الشىء اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) منثورا من هيل هيلا اذا نثر وأسيل (انا أرسلنا اليكم) ياأهل مكة (رسولا شاهدا عليكم) يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) هو موسى عليه السلام وعدم تعيينه لعدم دخله فى التشبيه (فعصى فرعون الرسول) الذى ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أى انا أرسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى (فأخذناه أخذا وبيلا) خارج من التشبيه جىء به للتنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء ما حاق بأولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلاء وبيل أى وخيم لايستمرأ لثقله والوبيل العصاة الضخمة (فكيف تتقون) اى كيف تقون أنفسكم (ان كفرتم) أى بقيتم على الكفر (يوما) أى عذاب يوم (يجعل الولدان) من شدة هوله وفظاعة مافيه من الدواهى (شيبا) شيوخا جمع اشيب اما حقيقة أو تمثيلا وأصله أن الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب وقد جوز أن يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك (السماء منفطر) اى منشق وقرىء متفطر اى متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر أى شىء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا مايعبر عنه بالشىء

وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل هو من باب النسب أى ذات انفطار والباء فى قوله تعالى (به) مثلها فى فطرت العود بالقدوم (كان وعده مفعولا) الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله أو لليوم وهو مضاف الى مفعوله (ان هذه) اشارة الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته (ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل) أى أقل منهما استعير له الادنى لما أن المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز (ونصفه وثلثه) بالنصب عطفا على أدنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثى الليل (وطائفة من الذين معك) أى ويقوم معك طائفة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) وحده لا يقدر على تقديرهما أحد أصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى (علم أن لن تحصوه) أى علم أن الشأن لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبدا (فتاب عليكم) الترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم فى تركه (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية من القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية (علم أن سيكون منكم مرضى) استئناف مبين لحكمة أخرى داعية الى الترخيص والتخفيف (وآخرون يضربون فى الارض) يسافرون فيها للتجارة (يبتغون من فضل الله) وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعى الى الترخيص (فاقرؤا ما تيسر منه) من غير تحمل المشاق (وأقيموا الصلوة) أى المفروضة (وآتوا الزكوة) الواجبة وقيل هى زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أريد به الانفاقات فى سبل الخيرات أو أداء الزكاة على أحسن الوجوه وأنفعها للفقراء (وما تقدموا لأنفسكم من خير) أى خير كان مما ذكر وما لم يذكر (تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تأكيد أو فصل وان لم يقع بين معرفتين فان أفعل من فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرىء هو خير على الابتداء والخبر (واستغفروا

الله) فى كافة أحوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط (ان الله غفور رحيم) عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿سورة المدثر مكية﴾

﴿ وآيها ست وخمسون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ياأيها المدثر) أى المتدثر وهو لابس الدثار وهو مايلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد قيل هى أول سورة نزلت روى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت على جبل حراء فنوديت يامحمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى و يسارى فلم أر شيئا فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال ياأيها المدثر وعن الزهرى ان أول مانزل سورة اقرأ الى قوله تعالى مالم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبى الله فرجع الى خديجة فقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل جبريل فقال ياأيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر أن لا يدع انذارهم وان أسمعوه وآذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرىء المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره أى الذى دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفى حرف أبى المتدثر ياأيها المتدثر على الاصل (قم) أى من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) أى افعل الانذار وأحدثه و قيل أنذر قومك كقوله تعالى « وأنذر عشيرتك الاقربين » أو جميع الناس حسبما ينبىء عنه قوله تعالى « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى أنه لما نزل قال رسول الله الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان أى أى شىء حدث فلا تدع تكبيره أو للدلالة على أن المقصود الأولى من الأمر بالقيام أن يكبر ربه وينزهه من الشرك فان أول مايجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه (وثيابك فطهر) مما ليس بطاهر فانه واجب فى الصلاة وأولى وأحب فى غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها و بتقصيرها أيضا فان طولها يؤدى إلى

جر الذيول على القاذرات وهو أول ما أمر به عليه الصلاة والسلام من رفض العادات المذمومة وقيل هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الأحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان إذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق (والرجز فاهجر) أى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من المآثم وقرىء بكسر الراء وهما لغتان كالذكر والذكر (ولا تمنن تستكثر) ولا تعط مستكثرا أى رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير على أنه نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيئا وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث «المستغزر يثاب من هبته» فالنهي اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى اختار له أشرف الاخلاق وأحسن الآداب أو للتنزيه للكل وقرىء تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف أو ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على أنه من المن الذى فى قوله تعالى «منا ولا أذى» لأن من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به وقرىء بالنصب باضمار أن مع ابقاء عملها كقول من قال: ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى. وقد قرىء باثباتها ويجوز فى قراءة الرفع أن يحذف أن ويبطل عملها كما يروى أحضر الوغى بالرفع (ولربك) أى لوجهه تعالى أو لأمره (فاصبر) فاستعمل الصبر وقيل على أذية المشركين وقيل على أداء الفرائض (فاذا نقر فى الناقور) أى نفخ فى الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى إذا ما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) فان معناه عسر الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته إلى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف للخبر إذ التقدير وذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أو حال من المستكن فيه وقوله تعالى (غير يسير) تأكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف فى أن المراد به يوم النفخة الاولى أو الثانية والحق أنها الثانية إذ هى التى تختص عسرها بالكافرين وأما النفخة الاولى فحكمها الذى هو الاصعاق يعم البر والفاجر على أنها مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء فى الأخبار أن فى الصور ثقبا بعدد الأرواح كلها وأنها تجمع فى

تلك الثقب فى النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح إلى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) حال إما من الياء أى ذرنى وحدى معه فانى أكفيكه فى الانتقام منه أو من التاء أى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو من العائد المحذوف أى ومن خلقته وحيدا فريداً لامال له ولا ولد وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه إلى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد أو وحيدا من أبيه لأنه كان زنيما كما مر أو وحيدا فى الشرارة (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لاينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبير كان له ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال سفيان الثورى أربعة آلاف دينار وقال الثورى أيضا ألف ألف دينار (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لايفارقونه للتصرف فى عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لوفود نعمهم وكثرة خدمهم او حضروا فى الأندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال : الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش (ثم يطمع ان أزيد) على ما أوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لامزيد على ما أوتى سعة وكثرة أو لأنه مناف لماهو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة إلا لى (كلا) ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع رجائه الخائب وقوله تعالى (انه كان لآياتنا عنيدا) تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقى فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكليه وإنما أوتى ما أوتى استدراجاً قيل ما زال بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعد الذى لايطاق وعن النبى صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه الصلاة والسلام « الصعود

جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا » (انه فكر وقدر) تعليل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لعناده لآياته تعالى أى فكر ماذا يقول فى شأن القرآن وقدر فى نفسه ما يقوله (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذى كان ينتحيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء به أو حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله . ومعنى قولهم قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الاشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغاً حقيقاً بأن يدعو عليه حاسده بذلك روى أن الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وأنه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا اكفيكموه فقعد عنده حزيناً وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله إلا سحر يأثره عن اهل بابل فارتج النادى فرحاً وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه (ثم قتل كيف قدر) تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى وفيما بعد على أصلها من التراخى الزمانى (ثم نظر) اى فى القرآن مرة بعد مرة (ثم عبس) قطب وجهه لما لم يكن فيه مطعناً ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر فى وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر إلى رسول صلى الله عليه وسلم ثم قطب فى وجهه (وبسر) اتباع لعبس (ثم أدبر) عن الحق أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (واستكبر) عن اتباعه (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى (إن هذا إلا قول البشر) تأكيد لما قبله ولذلك أخلى عن العاطف (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (وما ادراك ماسقر) أى أى شىء أعلمك ماسقر على ان ما الاولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لأنها المفيدة لما قصد إفادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ اى اى شىء هى فى وصفها لما مر مرارا من ان ما قد يطلب بها الوصف وإن كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى (لاتبقى ولا تذر) بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وماادراك ماسقر

وقيل حال من سقر وليس بذاك اى لا تبقى شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته واذاهلك لم تذره هالكا حتى يعاد اولا تبقى على شيء ولا تدعه فى الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة (لواحة للبشر) مغيرة لأعالى الجلد مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سواداً من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى «ثم لترونها عين اليقين» وقرىء لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل (عليها تسعة عشر) أى ملكا أوصنفا أوصفا أو نقيبا من الملائكة يلون أمرها ويتسلطون على أهلها وقرىء بسكون عين عشر حذرا من توالى الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد و قرىء تسعة أعشر جمع عشرين مثل يمين وأيمن (وما جعلنا أصحاب النار)أى المدبرين لامرها القائمين بتعذيب أهلها (الا ملائكة)ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم لا يستروحوا اليهم ولانهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى وأشدهم بأسا عن النبى صلى الله عليه وسلم «لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الامةوعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم» وروى أنه لما نزل عليه تسعةعشر قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الاشد ابن أسد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعةعشر فاكفونى أنتم اثنين فنزلت أى ما جعلناهم رجالا من جنسكم (وما جعلنا عدتهم الا فتنةللذين كفروا) أى ما جعلنا عددهم الا العدد الذى تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الامر بل جعله فى القرآن أيضا كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولى هذا العددالقليل لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتى من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد أن اختلاف النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع أوأن جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة كل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل أنواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك أو صنف أوصف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد أو أن الساعة أربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤخذ به بأنواع العذاب يتولاها الزبانية (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بالجعل على المعنى المذكور أى ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه الصلاة والسلام

وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما فى كتابهم (ويزداد الذين آمنوا ايمانا) أى يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو كمية بانضمام إيمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما أنزل (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفى لما قد يعترى المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون فى سلك أهل الكتاب فى نفى الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم فى ذلك (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) شك أو نفاق فيكون اخبارا بما سيكون فى المدينة بعد الهجرة (والكافرون) المصرون على التكذيب (ما ذا أراد الله بهذا مثلا) أى أى شىء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا أنه مثل مضروب وافرادقولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله فى الشناعة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف فى الاصل النصب على أنها صفة لمصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء (ويهدى من يشاء) اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وذلك الهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدى من يشاء هدايته بصرف اختياره عند مشاهدته تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية أدنى منهما (وما يعلم جنود ربك) أى جموع خلقه التى من جملتها الملائكة المذكورون (الا هو) اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة (وما هى) أى سقر أو عدة خزنتها أو الآيات الناطقة بأحوالها (الا ذكرى للبشر) الا تذكرة لهم (كلا) ردع لمن أنكرها أو انكار ونفى لان يكون لهم تذكر (والقمر والليل اذا أدبر) وقرىء اذا دبر بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه قولهم صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه (والصبح

اذا أسفر) أي أضاء وانكشف (إنها لاحدى الكبر) جواب للقسم أو تعليل لكلا والقسم معترض بالتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع قاصعة أي لاحدى البلايا أو لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكبر أو الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لانظيرة لها (نذيرا للبشر) تمييز أي لاحدى الكبر انذارا أو حال مما دلت عليه الجملة أي كبرت منذرة وقرىء نذير بالرفع على أنه خبر بعد خبر لان أو لمبتدأ محذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) بدل من للبشر أي نذيرا لمن شاء منكم أن يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى أو لم يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتأخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تعالى «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (كل نفس بما كسبت رهينة) مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لاصفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لايدخله التاء (الا أصحاب اليمين) فانهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الدين وقيل هم الملائكة وقيل الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم (في جنات) لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كأنه قيل مابالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى (يتساءلون) وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسأل بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسئولا معا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم أي رأى واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون (عن المجرمين) يسألونهم عن أحوالهم وقد حذف المسئول لكونه عين المسئول عنه وقوله تعالى (ماسلككم في سقر) مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون أي يسألونهم قائلين أي شيء أدخلكم فيها فتأمل ودع عنك ماتكلف فيه المتكلفون (قالوا) أي المجرمون مجيبين للسائلين (لم نك من المصلين) للصلوات الواجبة (ولم نك نطعم المسكين) على معنى استمرار نفي الاطعام لا على نفي استمرار

الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه (وكنا نكذب بيوم الدين) أى بيوم الجزاء أضافوه الى الجزاء مع أن فيه من الدواهي والاهوال مالاغاية له لانه أدهاها وأهولها وانهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهى وتأخير جنايتهم هذه مع كونها أعظم من الكل لتفخيمها كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به قولهم (حتى أتانا اليقين) أى الموت ومقدماته (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لوشفعوا لهم جميعا والفاء فى قوله تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين) لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ماقبلها من موجبات الاقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير فى الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به أى فاذا كان حال المكذبين به على ماذكر فاى شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتآخذ الدواعى الى الايمان به وقوله تعالى (كأنهم حمر مستنفرة) حال من المستكن فى معرضين بطريق التداخل أى مشبهين بحمر نافرة (فرت من قسورة) أى من أسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وقيل هى جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما أفزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم مالا يخفى وقوله تعالى (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة) عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لايكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرىء صحفا منشرة بسكون الحاء والنون (كلا) ردع لهم عن تلك الجراءة (بل لايخافون الآخرة) فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف (كلا) ردع عن اعراضهم (انه) أى القرآن (تذكرة) وأى تذكرة (فمن شاء) أن يذكره (ذكره) وحاز بسببه سعادة الدارين (وما يذكرون) بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى « فمن شاء ذكره » إذ لاتأثير لمشيئة العبد وإرادته فى أفعاله وقوله تعالى (الا أن يشاء الله)

استثناء مفرغ من أعم العلل أو من أعم الأحوال أى وما يذكرون بعلة من العلل أو فى حال من الأحوال الا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذلك وهو تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عز وجل وقرىء تذكرون على الخطاب التفاتا وقرىء بهما مشددا (هو أهل التقوى) أى حقيق بأن يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع (وأهل المغفرة) حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به بمكة *

(سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا أقسم بيوم القيامة) ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا إنها صلة مثلها فى قوله تعالى «لئلا يعلم أهل الكتاب» وقيل هى للنفى لكن لا لنفى نفس الاقسام بل لنفى ما ينبىء هو عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بأقسامى به حق اعظامه فانه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر وأما ما قيل من أن المعنى نفى الاقسام لوضوح الأمر فقد عرفت ما فيه فى قوله تعالى «فلا أقسم بمواقع النجوم» وقيل إن لا نفى ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أى ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله إن البعث حق وأياما كان ففى الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة مالا مزيد عليه وقد مر تفصيله فى سورة يس وسورة الزخرف (ولا أقسم بالنفس اللوامة) أى بالنفس المتقية التى تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن فى التقوى ففيه طرف من البراعة التى فى القسم السابق أو بالنفس التى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الطاعات أو بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الأمارة وقيل بالجنس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال « ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وتلوم نفسها يوم القيامة إن عملت خيرا قالت كيف لم أزدد وان عملت شرا قالت ليتنى كنت قصرت» ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وإن صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب القسم مادل عليه قوله تعالى (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه)

وهو ليبعث والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف أى أيحسب أن الشأن لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد شتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ماسفتها الرياح وطيرتها فى أقطار الارض وألقتها فى البحار وقيل إن عدى بن أبى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبى عليه الصلاة والسلام يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك أو يجمع الله هذه العظام (بلى) أى نجمعها حال كوننا (قادرين على أن نسوى بنانه) أى نجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام أو على أن نسوى أصابعه التى هى أطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرىء قادرون أى نحن قادرون (بل يريد الانسان ليفجر أمامه) عطف على أيحسب اما على أنه استفهام مثله أضرب عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا أو على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام أى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات ومايستقبله من الزمان لايرعوى عنه (يسأل أيان يوم القيامة) أى متى يكون استبعاداً أو استهزاء (فاذا برق البصر) أى تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهى لغة أو من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق أى انفتح وانفرج (وخسف القمر) أى ذهب ضوءه وقرئ على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف (يقول الانسان يومئذ) أى يوم اذ تقع هذه الامور (أين المفر) أى الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر أى موضع الفرار وقد جوز أن يكون هو أيضا مصدرا كالمرجع (كلا) ردع من طلب المفر وتمنيه (لاوزر) لاملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ماالتجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك (الى ربك يومئذ المستقر) أى اليه وحده استقرار العباد أو الى حكمه استقرار أمرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار (ينبأ الانسان يومئذ) أى يخبر كل امرىء برا كان أو فاجرا عند وزن الاعمال (بما قدم) أى عمل من عمل خيرا كان أو شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثانى (وأخر) اى لم يعمل خيرا كان اوشرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى أو بما قدم من حسنة او سيئة وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم

من مال تصدق به فى حياته أو بما أخر فخلفه أو وقفه أو أوصى به أو باول عمله وآخره (بل الانسان على نفسه بصيرة) أى حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتى من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله تعالى «فلما جاءتهم آياتنا مبصرة» او عين بصيرة أو التاء للمبالغة ومعنى بل الترقى أى ينبأ الانسان بأعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى (ولو ألقى معاذيره) أى ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن فى بصيرة أو من مرفوع ينبأ اى هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو ينبأ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اى ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان ينفلت منه فامر عليه الصلاة والسلام بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه الوحى ثم يقفيه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل (لا تحرك به) بالقرآن (لسانك) عند القاء الوحى (لتعجل به) اى لتأخذه على عجلة مخافة ان ينفلت منك (ان علينا جمعه) فى صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه (وقرآنه) اى اثبات قراءته فى لسانك (فاذا قرأناه) اى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة فى ايجاب التأنى (فاتبع قرآنه) فكن مقفيا له ولا تراسله (ثم ان علينا بيانه) اى بيان ما اشكل عليك من معانيه وأحكامه (كلا) ردع له عليه الصلاة والسلام عن عادة العجلة وترغيب له فى الاناة وأكد ذلك بقوله تعالى (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) على تعميم الخطاب للكل أى بل أنتم يا بنى آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون فى كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير فى الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة (وجوه يومئذ ناضرة) أى وجوه كثيرة وهى وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة فى قوله تعالى (الى ربها ناظرة) خبر ثان للمبتدأ أو نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه

ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه تعالى مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا فى جميع الأحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى (ووجوه يومئذ باسرة) شديدة العبوس وهى وجوه الكفرة (تظن) يتوقع أربابها (أن يفعل بها فاقرة) داهية عظيمة تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة أى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة (اذا بلغت التراقى) أى بلغت النفس أعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال (وقيل من راق) أى قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى (وظن أنه الفراق) وأيقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها (والتفت الساق بالساق) والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه (الى ربك يومئذ المساق) اى الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره (فلا صدق) ما يجب تصديقه من الرسول عليه الصلاة والسلام والقرآن الذى نزل عليه اوفلا صدق ماله ولا زكاه (ولا صلى) ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى قوله تعالى «أيحسب الانسان» وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة كما مر (ولكن كذب) ما ذكر من الرسول والقرآن (وتولى) عن الطاعة (ثم ذهب الى اهله يتمطى) يتبختر افتخارا بذلك من المط فأن المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه (اولى لك فأولى) اى ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل من الويل بعد القلب كأدنى من دون أو فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار (ثم أولى لك فأولى) اى يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى (ايحسب الانسان أن يترك سدى) اى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل ان يترك فى قبره ولا يبعث وقوله تعالى (ألم يك نطفة من منى يمنى) الخ استئناف وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق (ثم كان علقة) اى بقدرة الله تعالى لقوله تعالى «ثم خلقنا النطفة علقة» (فخلق) اى فقدر بان جعلها مضغة مخلقة (فسوى) فعدل وكمل نشأته (فجعل منه) من الانسان (الزوجين) اى الصنفين (الذكر والانثى) بدل من الزوجين (أليس ذلك) العظيم الشأن الذى انشأ هذا

الانشاء البديع (بقادر على ان يحيى الموتى) وهو اهون من البدء فى قياس العقل روى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم «من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا بيوم القيامة»

(سورة الانسان مكية)

(وآيها احدى وثلاثون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتى) استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل أتى (على الانسان) قبل زمان قريب (حين من الدهر) أى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد (لم يكن شيئا مذكورا) بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية أصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان أى غير مذكور أو صفة أخرى لحين على حذف العائد إلى الموصوف أى لم يكن فيه شيئا مذكوراً والمراد بالانسان الجنس فالاظهار فى قوله تعالى (انا خلقنا الانسان من نطفة) لزيادة التقرير أو آدم عليه السلام وهو المروى عن ابن عباس وقتادة والثورى وعكرمة والشعبى قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه مرت به أربعون سنة قبل أن ينفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفى رواية الضحاك عنه أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة إلى خلقه عليه الصلاة والسلام وهذا بيانا لخلق بنيه (أمشاج) أخلاط جمع مشج أو مشيج من مشجت الشىء اذا خلطته وصف النطفة به لما أن المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة قال القرطبى وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل امشاج ألوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى (نبتليه) حال من فاعل خلقنا اى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتى او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة إلى آخره (فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من استماع الآيات

التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء ورتب عليه قوله تعالى (انا هديناه السبيل) بانزال الآيات ونصب الدلائل (اما شاكرا وإما كفورا) حالان من مفعول هديناه اى مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل إلى البغية فى حالتيه جميعا واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه إلى ما يوصل اليها فى حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء و الاخذ فيه و بعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرىء أما بالفتح على حذف الجواب اى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد اجبارنا من غير اختيار من قبله. وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما المؤاخذ عليه الكفر المفرط (انا أعتدنا للكافرين) من أفراد الانسان الذى هديناه السبيل (سلاسل) بها يقادون (وأغلالا) بها يقيدون (وسعيرا) بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما فى الذكر كما فى قوله تعالى «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم» الآية ولان الانذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن فى وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظام الكريم وقرىء سلاسلا للتناسب (ان الابرار) شروع فى بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء الكافرين وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر أو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد قيل هو من يبر خالقه اى يطيعه وقيل من يمتثل بامره تعالى وقيل من يؤدى حق الله تعالى ويوفى بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذى الذر (يشربون من كأس) هى الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية او بيانية (كان مزاجها) ى ما تمزج به (كافورا) اى ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده والجملة صفة كأس وقوله تعالى (عينا) بدل من كافور وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور فعين على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير مضاف أى يشربون خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص وقوله تعالى (يشرب بها عباد الله) صفة عينا أى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن أبى عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك الكأس (يفجرونها تفجيرا) أى يجرونها حيثما شاؤا من منازلهم

اجراء سهلا لايمتنع عليهم بل يجرى جريا بقوة واندفاع والجملة صفة أخرى لعينا وقوله تعالى (يوفون بالنذر) استئناف مسوق لبيان مالاجله رزقوا ماذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبيء عنه اسم الابرار اجمالا كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بماأوجبه الله تعالى عليهم (ويخافون يوما كان شره) عذابه (مستطيرا) فاشيا منتشرا فى الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو أبلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر (ويطعمون الطعام على حبه) أى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما فى قوله تعالى « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » أو على حب الاطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس أو كائنين على حب الله تعالى أو اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتى من قوله تعالى لوجه الله (مسكينا ويتيما وأسيرا) أى أسير فانه كان عليه الصلاة والسلام يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه أو أسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك (انما نطعمكم لوجه الله) على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون أى قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للاجر وعن الصديقة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ماقالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى (لانريد منكم جزاء ولاشكورا) أى شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله (انا نخاف من ربنا يوما) اى عذاب يوم (عبوسا) يعبس فيه الوجوه أو يشبه الأسد العبوس فى الشدة والضراوة (قمطريرا) شديد العبوس فلذلك نفعل بكم مانفعل رجاء أن يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور أى إنا نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) بسبب خوفهم وتحفظهم عنه (ولقاهم نضرة وسرورا) أى أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس فى اجتناب المحرمات وايثار الاموال (جنة) بستانا يأكلون منه ما شاءوا (وحريرا) يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما مرضا فعادهما النبى صلى الله عليه وسلم فى ناس معه فقالوا لعلى رضى الله عنه لونذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله تعالى عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض على رضى الله

عنه من شمعون الخيبرى ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة رضى الله تعالى عنها صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعمونى أطعمكم الله تعالى من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم فأقبلوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلاة والسلام ما أشد ما يسوءنى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله تعالى فى أهل بيتك فأقرأه السورة « (متكئين فيها على الأرائك) حال منهم فى جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والأرائك هى السرر فى الحجال وقوله تعالى (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) إما حال ثانية من الضمير أو من المستكن فى متكئين والمعنى أنه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طىء والمعنى أن هواءها مضىء بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا قمر (ودانية عليهم ظلالها) عطف على ماقبلها حال مثلها أو صفة لمحذوف معطوف على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كما فى قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وقرىء دانية بالرفع على أنه خبر لظلالها والجملة فى حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية قالوا معناه أن ظلال أشجار الجنة قريبة من الأبرار مظلة عليهم زيادة فى نعيمهم على معنى أنه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت أشجارها مظلة عليهم مع أنه لا شمس ثمة ولا قمر (وذللت قطوفها تذليلا) أى سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل أخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية أى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهى جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) الكوب الكوز العظيم الذى لا أذن له ولا عروة (كانت قواريرا قواريرا من فضة) أى تكون جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة لأكواب وقرىء بتنوين قوارير الثانى أيضا وقرئا بغير تنوين وقرىء الثانى بالرفع على هى قوارير

(قدروها تقديرا) صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها أو قدروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى «ويطاف عليهم» فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرىء قدروها بالبناء المفعول أي جعلوا قادرين لها كما شاءوا من قدر منقولا من قدرت الشيء (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) أي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به أطيب ما تستطيبه العرب وألذ ما تستلذ به (عينا) بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا حينئذ بدل من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين أو نصب على الاختصاص (فيها تسمى سلسبيلا) لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعة بل نقيض اللذع هو السلاسة (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) أي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) لحسنهم وصفاء ألوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض (واذا رأيت ثم) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه ان بصرك أينما وقع في الجنة (رأيت نعيما وملكا كبيرا) أي هنيئا واسعا وفي الحديث «أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه» وقيل لا زوال له وقيل اذا أرادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم (عاليهم ثياب سندس خضر) قيل عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة صفة أخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم أو حسبتهم أي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ أو حسبتهم لؤلؤا منثورا عاليا لهم ثياب الخ وقرىء عاليهم بالرفع على أنه مبتدأ خبره ثياب أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرىء خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس (واستبرق) بالرفع عطفا على ثياب وقرىء برفع الاول وجر الثاني وقرىء بالعكس وقرىء بجرهما وقرىء واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب (وحلوا أساور من فضة) عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى أساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي أهل الجنة تختلف حسب

اختلاف أعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بأيديهم حليا وأنوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة أو حال من ضمير عاليهم بإضمار قد وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذاً بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار (ان هذا) على اضمار القول أي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات (كان لكم جزاء) بمقابلة أعمالكم الحسنة (وكان سعيكم مشكورا) مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) أي مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان (فاصبر لحكم ربك) بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه أو للدلالة على أنهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد أن يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) وداوم على ذكره في جميع الاوقات أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل ينتظمهما (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص (وسبحه ليلا طويلا) وتهجد له قطعا من الليل طويلا (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) وينهمكون في لذاتها الفانية (ويذرون وراءهم) أي أمامهم لا يستعدون أو ينبذون وراء ظهورهم (يوما ثقيلا) لا يعبؤن به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما أمر به ونهى عنه (نحن خلقناهم) لا غيرنا (وشددنا أسرهم) أي أحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب (واذا شئنا بدلنا أمثالهم) بعد اهلاكهم (تبديلا) بديعا لاريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا أو بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى ويستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية (ان هذه تذكرة)

اشارة الى السورة أو الآيات القريبة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) أى فمن شاء أن يتخذ اليه تعالى سبيلا أى وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه أى تقرب اليه بالعمل بما فى تضاعيفها وقوله تعالى (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) تحقيق للحق ببيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية فى اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية أى وما تشاؤن اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله فى وقت من الأوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا فى الكسب وإنما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرىء يشاؤن بالياء وقرىء إلا ما يشاء الله وقوله تعالى (ان الله كان عليما حكيما) بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ فى العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل أحد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى (يدخل من يشاء فى رحمته) بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته أى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذى يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدى الى دخول الجنة من الايمان والطاعة (والظالمين) وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر (أعد لهم عذابا أليما) أى متناهيا فى الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب أى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرىء بالرفع على الابتداء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا.

﴿سورة المرسلات مكية وآيها خمسون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا) إقسام من الله عز وجل بطوائف من الملائكة أرسلهن باوامره فعصفن فى مضيهن عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع فى الاقطار أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الأنبياء (عذرا) للمحقين (أو نذرا) للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للاشعار بان كلا من الأوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال

بالاقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق أو اقسام برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى «ويجعله كسفا» أو بسحائب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الأصناف بالشكل واللون وسائر الخواص أو فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فألقين ذكرا إما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى في الغيث ويشكرونها وإما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء. واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت أو أقسام بآيات القرآن المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى من مشارق الأرض ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في أكناف العالمين والعرف إما نقيض النكر وانتصابه على العلة أي أرسلنا للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا أو على العلية وقرئا بالتثقيل (إنما توعدون لواقع) جواب للقسم أي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لامحالة (فاذا النجوم طمست) محيت ومحقت أو ذهب بنورها (واذا السماء فرجت) صدعت وفتحت فكانت أبوابا (واذا الجبال نسفت) جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل أخذت من مقارها بسرعة من انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرىء طمست وفرجت ونسفت مشددة (واذا الرسل أقتت) أي عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله أو بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرىء وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما (لأي يوم أجلت) مقدر بقول هو جواب لاذا في قوله تعالى «واذا الرسل أقتت» أو حال من مرفوع أقتت أي يقال لأي يوم أخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق (وما أدراك ما يوم الفصل) ما مبتدأ أدراك خبره أي أي شيء جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون أمر بديع

من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه (ويل يومئذ للمكذبين) أى فى ذلك اليوم الهائل وويل فى الاصل مصدر منصوب ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ ظرفه أوصفته (ألم نهلك الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرىء نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه (ثم نتبعهم الآخرين) بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم فى الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرىء ثم سنتبعهم وقرىء نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام (كذلك) مثل ذلك الفعل الفظيع (نفعل بالمجرمين) أى سنتنا جارية على ذلك (ويل يومئذ) أى يوم اذ أهلكناهم (للمكذبين) بآيات الله تعالى وأنبيائه وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا (ألم نخلقكم) اى ألم نقدركم (من ماء مهين) أى من نطفة قذرة مهينة (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر معلوم) الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة أشهر أوأقل منها أو أكثر (فقدرنا) أى فقدرناه وقد قرىء مشددا أوفقدرنا على ذلك على أن المراد بالقدرة مايقارن وجود المقدور بالفعل (فنعم القادرون) أي نحن (ويل يومئذ للمكذبين) بقدرتنا على ذلك أو على الاعادة (ألم نجعل الارض كفاتا) الكفات اسم مايكفت أى يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع أى ألم نجعلها كفاتا تكفت (أحياء) كثيرة على ظهرها (وأمواتا) غير محصورة فى بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام أو كفت وهو الوعاء أجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير أحياء وأمواتا لان أحياء الانس وأمواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف أى كفاتا تكفتكم أحياء وأمواتا (وجعلنا فيها رواسى) أى جبالا ثوابت (شامخات) طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث فى غير العقلاء مطرد كداجن ودواجن وأشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم أوللاشعار بأن فيها مالم يعرف (وأسقيناكم ماء فراتا) بأن خلقنا فيها أنهارا ومنابع (ويل يومئذ للمكذبين) بأمثال هذه النعم العظيمة (انطلقوا) أى يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا (الى ما كنتم به تكذبون) فى الدنيا من العذاب (انطلقوا) خصوصا (الى ظل) أى ظل دخان جهنم كقوله تعالى «وظل من يحموم» وقرىء انطلقوا على لفظ الماضى إخبارا بعد الامر

عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا أو كرها (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش قيل خصوصية الثلاث إما لان حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره (لا ظليل) تهكم بهم أورد لما أوهمه لفظ الظل (ولا يغنى من اللهب) أى غير مغن لهم من حر اللهب شيئاً (انها ترمى بشرر كالقصر) أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرىء كالقصر بفتحتين وهى اعناق الابل أو اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرىء كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرىء كالقصر جمع قصرة (كأنهم جمالة) قيل هو جمع جمل والتاء لتأنيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة (صفر) فان الشرار لما فيه من النارية يكون أصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرىء جمالات جمع جمال أو جمالة وقد قرىء جمالات جمع جمال وقد قرىء بها وهى الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه فى امتداده والتفافه (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون) اشارة الى وقت دخولهم النار أى هذا يوم لا ينطقون فيه بشىء لما ان السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشىء ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرىء بنصب اليوم أى هذا الذى حصل واقع يوم لا ينطقون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) عطف على يؤذن منتظم فى سلك النفى أى لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن كالو نصب (ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل) بين الحق والباطل والمحق والمبطل (جمعناكم) خطاب لامة محمد عليه الصلاة والسلام (والاولين) من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل (فان كان لكم كيد فكيدون) فان جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم

(ويل يومئذ للمكذبين) حيث ظهر أن لا حيلة لهم فى الخلاص من العذاب (ان المتقين) من الكفر والتكذيب (فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون) أي مستقرون فى فنون الترفه وأنواع التنعم (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الخبر أى مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه فى الدنيا من الاعمال الصالحة (انا كذلك) الجزاء العظيم (نجزى المحسنين) أى فى عقائدهم وأعمالهم لا جزاء أدنى منه (ويل يومئذ للمكذبين) حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا فى العذاب المخلد الوبيل (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) مقدر بقول هو حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفانى عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك باجرامهم دلالة على أن كل مجرم مآله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون فى الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) لزيادة التوبيخ والتقريع (واذا قيل لهم اركعوا) أى أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة (لا يركعون) لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل إذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون اذروى انه نزل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبى فانها مسبة علينا فقال عليه الصلاة والسلام « لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود » وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون (ويل يومئذ للمكذبين) وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة (فباى حديث بعده) أى بعد القرآن الناطق باحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وقرىء تؤمنون على الخطاب ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

﴿ سورة النبأ مكية ﴾

(وآيها أربعون أو احدى وأربعون) .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عم) أصله عما فحذف منه الالف اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصدا للخفة لكثرة استعمالها وقد قرىء على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شأن المسئول عنه وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة أى عن أى شىء

عظيم الشأن (يتساءلون) أى أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكاراً واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق الاشياء ومسميات أسمائها كما فى قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أى يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل فى الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة العقل كما فى قولك تراءى القوم أى رأى كل واحد منهم الآخر وقد تجرد عن المعنى الثانى فيراد بها مجرد صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما فى المثال المذكور أو واحد كما فى قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن أى شىء يسأل هؤلاء القوم الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين وربما تجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما فى قوله تعالى «فبأى آلاء ربك تتمارى» وقوله تعالى (عن النبأ العظيم) بيان لشأن المسئول عنه اثر تفخيمه بابهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على أنه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق بأن يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أى شىء يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى «لمن الملك اليوم لله الواحد القهار» فعن متعلقة بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هى متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وأيد ذلك بأنه قرىء عمه والاظهر أنه مبنى على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كأنه قيل لم يتساءلون عن النبأ العظيم وقيل قبل عن الثانية استفهام مضمر كأنه قيل عم يتساءلون عن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذى له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى (الذى هم فيه مختلفون) بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره إثر تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية

للدلالة على الثبات أى هم راسخون فى الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول ان هى الاحياتنا الدنيا نموت و نحيا وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء و منهم من ينكر المعاد الجسمانى فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف فى كيفية الانكار فمنهم من ينكره لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفى و الاثبات على تعميم التساؤل لفريقى المسلمين والكافرين على أن سؤال الاولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى (كلا سيعلمون) الخ فانه صريح فى ان المراد اختلاف الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغى تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا ما أدى اليه جليل النظر والذى يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبى عليه الصلاة والسلام بان يعتبر فى الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر فى التساؤل فان الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق و الانتضال والتناضل الى غير ذلك يجرى فى كل منهما ما يجرى فى الاخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر اذ لاحقية فى شىء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه الصلاة والسلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبىء عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما فى قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت » الى قوله تعالى « ليبين لهم الذى يختلفون فيه » الآية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهى والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه فى معرض التساؤل والاختلاف والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تكرير للردع والوعيد للمبالغة فى التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثانى أبلغ وأشد وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيامة وقيل الاول للبعث والثانى للجزاء

وقرىء ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد لا على تقدير قل لهم كما توهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم مالا يخفى وقوله تعالى (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا) الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيقته إثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عليه الصلاة والسلام كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة فى الالزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرىء مهدا على تشبيهها بمهد الصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال أوتادا لها إرساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد (وخلقناكم) عطف على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه فانه فى قوة إما جعلنا الخ أو على ما يقتضيه الانكار التقريرى فانه فى قوة أن يقال قد جعلنا الخ (أزواجا) أصنافا ذكرا وأنثى ليسكن كل من الصنفين الى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل (وجعلنا نومكم سباتا) أى موتا لأنه أحد التوفيين لما بينهما من المشاركة التامة فى انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى «وهو الذى يتوفاكم بالليل» وقوله تعالى «الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها» وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لاراحة القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه (وجعلنا الليل) الذى يقع فيه النوم غالبا (لباسا) يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فان شبه الليل به أكمل واعتباره فى تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذى جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة فى قوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أى وقت حياة تبعثون فيه من نومكم الذى هو أخو الموت كما فى قوله تعالى «وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا» وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيوب لمن أراد هربا من عدو أو بياتا له أو نحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب فى تحصيل المعايش والحوائج (وبنينا فوقكم سبعا شدادا) أى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبنى على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن (وجعلنا سراجا وهاجا) هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكوينى

وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الآية الكريمة والتشريعى أيضا كما فى قوله تعالى «ماجعل الله من بحيرة» الخ وقوله تعالى «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا» وأياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشىء آخر بأن يكون فيه أوله أومنه ونحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شىء من الظروف لغوا كان أو مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة فى الكلام بل قيدا فيه كما فى قوله تعالى «وجعل بينهما برزخا» وقوله تعالى «وجعل فيها رواسى» وقوله تعالى «واجعل لنا من لدنك وليا» الآية فان كل احد من هذه الظروف إما متعلق بنفس الجعل أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة وأياما كان فهو قيد فى الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى «يجعلون أصابعهم فى آذانهم» وربما يشتبه الامر فيظن أنه عمدة فيه وهو فى الحقيقة قيد بأحد الوجهين كما سلف فى قوله تعالى «انى جاعل فى الارض خليفة» والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت النار اذا أضاءت أو البالغ فى الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء (وأنزلنا من المعصرات) السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كما فى أحصد الزرع اذا حان له أن يحصد ومنه أعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض أو الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وقرىء بالمعصرات ووجه ذلك أن الانزال حيث كان من المعصرات سواء أريد بها السحائب أو الرياح فقد كان بها كما يقال أعطاه من يده و بيده وقد فسرت بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هى التى تنشىء السحاب وتدر أخلافه فصلحت أن تجعل مبتدأ للانزال (ماء ثجاجا) أى منصبا بكثرة يقال ثج الماء أى نزل بكثرة وثجه أى أساله ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «أفضل الحج العج والثج» أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرىء ثجاحا بالحاء بعد الجيم قالوا مثاجج الماء مصابه (لنخرج به) بذلك الماء (حبا) يقتات كالحنطة والشعير ونحوهما (ونباتا) يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات فى الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان (وجنات) الجنة فى الاصل هى المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه قال زهير بن أبى سلمى:

كأن عينى فى غربى مقتلة ٭ من النواضح تسقى جنة سحقا

وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى (ألفافا) أى ملتفة تداخل بعضها فى بعض قالوا الاواحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف وأشراف

وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم أن فيما ذكر من أفعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة أقدر وأقوى الثانى باعتبار علمه وحكمته فان من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة أو منافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل ألم نفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى (إن يوم الفصل كان ميقاتا) شروع فى بيان سر تأخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفية وقوعه وما سيلاقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا أى ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان فى علمه وتقديره ميقاتا وميعاداً لبعث الاولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب فى أنهما بمعزل من التقريب الذى أشير اليه على أن الدنيا تنتهى عند النفخة الاولى وقوله تعالى (يوم ينفخ فى الصور) أى نفخة ثانية بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير فى تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع فى مبدئه النفخة وفى بقيته الفصل ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ فيه نفخة لا يبقي عندها فى الحياة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم يؤمر بأخرى فينفخ نفخة لايبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » والفاء فى قوله تعالى (فتأتون) فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما فى قوله تعالى « أن اضرب بعصاك البحر فانفلق » أى فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلا (أفواجا) أى أمما كل أمة مع امامها

كما فى قوله تعالى «يوم ندعو كل أناس بامامهم» أو زمرا و جماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها عن معاذ رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة و السلام «يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الامور» ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير و بعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها و بعضهم عمي و بعضهم صم بكم و بعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع و بعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم و بعضهم مصلبون على جذوع من نار و بعضهم أشد نتنا من الجيف و بعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء الذين خالف أقوالهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون ج المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى فى أموالهم يلبسون الجباب فاهل الكبر و الفخر و الخيلاء (وفتحت السماء) عطف على ينفخ وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقرىء فتحت بالتشديد وهو الانسب بقوله تعالى (فكانت أبوابا) أى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كأنها ليست الا أبوابا مفتحة كقوله تعالى «وفجرنا الارض عيونا» كأن كلها عيون متفجرة وهو المراد بقوله تعالى «ويوم تشقق السماء بالغمام» وهو الغمام الذى ذكر فى قوله «هل ينظرون الا أن يأتيهم الله» أى أمره وبأسه فى ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك أى تكشف فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء (وسيرت الجبال) أى فى الجو على هيآتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب» أى تراها رأى العين ساكنة فى أماكنها و الحال أنها تمر مر السحاب الذى يسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك أن الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت فى غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال:

بارعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

وقد أدمج فى هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» يبدل الله تعالى الارض ويغير هيآتها ويسير

الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى (فكانت سرابا) أي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى «وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا» أي غبارا منتشرا وهي وان اندكت وانصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى «ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولاأمتا يومئذ يتبعون الداعي» وقوله تعالى «يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار» فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لايكون الا بعد النفخة الثانية (ان جهنم كانت مرصادا) شروع في تفصيل أحكام الفصل الذي أضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه أي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها (للطاغين) متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا أي كائنا للطاغين وقوله تعالى (مآبا) بدل منه أي مرجعا يرجعون اليه لامحالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز أن يتعلق بنفس مآبا على أنها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولايخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة يرصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى أنها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم أحد وقرىء أن بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين (لابثين فيها) حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرىء لبثين وقوله تعالى (أحقابا) ظرف للبثهم أي دهورا متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لايكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي تلك الاحقاب ولو أريد بالحقب ثمانون سنة أو سبعون ألف سنة وقوله تعالى (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا) جملة مبتدأة أخبر عنهم بأنهم لايذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرىء غساقا بالتخفيف وكلاهما مايسيل من صديدهم (جزاء) أي جوزوا بذلك جزاء (وفاقا) ذا وفاق لاعمالهم

أو نفس الوفاق مبالغة أو وافقها وفاقا وقرىء وفاقا على أنه فعال من وفقه كذا أى لاقه (إنهم كانوا لايرجون حسابا) تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور أى كانوا لايخافون أن يحاسبوا باعمالهم (وكذبوا بآياتنا) الناطقة بذلك (كذابا) أى تكذيبا مفرطا ولذلك كانوا مصرين على الـكفر وفنون المعاصى وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرىء بالتخفيف وهو مصدر كذب قال :

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا أى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا وإما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرىء كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه (وكل شىء) من الاشياء التى من جملتها أعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره (أحصيناه) أى حفظناه وضبطناه وقرىء بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر مؤكد لاحصيناه لما أن الاحصاء والكتبة من واد واحد أو لفعله المقدر أو حال بمعنى مكتوبا فى اللوح أو فى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفى الالتفات المنبىء عن التشديد بالتهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل مالا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب مالا يخفى وقد روى عن النبى عليه الصلاة والسلام ان هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (ان للمتقين مفازا) شروع فى بيان محاسن أحوال المؤمنين إثر بيان سوء أحوال الكفرة أى ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح أعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وقوله تعالى (حدائق وأعنابا) أى بساتين فيها أنواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا (وكواعب) أى نساء فلكت ثديهن وهن النواهد (أترابا) أى لدات (وكأسا دهاقا) أى مترعة يقال أدهق الحوض أى ملأه (لايسمعون فيها) أى فى الجنة وقيل فى الكأس (لغوا ولا كذابا) أى لاينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرىء كذابا بالتخفيف أى لا يكذبه أو لايكاذبه (جزاء من ربك) مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه فى قوة أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كائنا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم (عطاء) أى تفضلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب

عليه شيء وهو بدل من جزاء (حسابا) صفة لعطاء بمعنى كافيا على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أو بولغ فيه من أحسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب أعمالهم وقرىء حسابا بالتشديد على أنه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك (رب السموات والارض وما بينهما) بدل من ربك وقوله تعالى (الرحمن) صفة له وقيل صفة للاول وأيا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء المذكور وقوله تعالى (لا يملكون منه خطابا) استئناف مقرر لما أفاده الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لأحد قدرة عليه وقرىء برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون خبر آخر أو هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على رأي من يقول به والاوجه أن يكون كلاهما مرفوعا على المدح أو يكون الثاني نعتاً للأول ولا يملكون استئنافا على حاله ففيه ما ذكر من الأشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في البدلية لما أن المرفوع أو المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعاً عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى «الذين يؤمنون بالغيب» من سورة البقرة وقرىء بجر الأول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر مابعده أو على أنه خبر لمبتدأ مضمر ومابعده استئناف أو خبر ثان أو حال وضمير لا يملكون لأهل السموات والارض أي لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبىء عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب أو زيادة الثواب من غير إذنه على أبلغ وجه وآكده وقيل ليس في أيديهم مما يخاطب الله به ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا) قيل الروح خلق أعظم من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله عز وجل بعد العرش خلقا أعظم منه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه إذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا والملائكة كلهم صفا وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رءوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول أبي صالح ومجاهد قالوا ماينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم أشراف

الملائكة وقيل هم حفظة على الملائكة وقيل جبريل عليه السلام وصفا حال أى مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد أو متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى «والملك صفا صفا» وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى (لايتكلمون) وقوله تعالى (الا من أذن له الرحمن وقال صوابا) بدل من ضمير لايتكلمون العائد إلى أهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذى عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة إلى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى أن أهل السموات والارض إذا لم يقدروا يومئذ على أن يتكلموا بشىء من جنس الكلام الا من أذن الله تعالى له منهم فى التكلم وقال ذلك المأذون له قولا صوابا أى حقا فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراما لا على معنى أن الروح والملائكة مع كونهم أفضل الخلائق وأقربهم من الله تعالى إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا بأذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن سلكه مع تجويزه أن يكون يوم ظرفا للا يملكون فقد اشتبه عليه الشؤن واختلط به الظنون وقيل الا من أذن الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لايتكلمون الا فى حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا أى حقا هو التوحيد. واظهار الرحمن فى موضع الاضمار للايذان بأن مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا أن أحدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى (ذلك) إشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد المشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته فى الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده أى ذلك اليوم العظيم الذى يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال (اليوم الحق) أى الثابت المتحقق لامحالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء فى قوله تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة فى تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة وإلى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كأنه قيل وإذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء أن يتخذ مرجعا إلى ثواب ربه الذى ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال

قتادة مآبا أي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر في قوله تعالى «من استطاع اليه سبيلا» (انا أنذرناكم) أي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي أو بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن (عذابا قريبا) هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولأنه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى «كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها» وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لانه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) فانه اما بدل من عذابا أو ظرف لمضمر هو صفة له أي عذابا كائنا يوم ينظر المرء أي يشاهد ماقدمه من خير أو شر على أن ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف أو ينظر أي شيء قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى (ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين «عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده »

(سورة والنازعات مكية)

وآيها خمس أوست وأربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد أو أرواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر مايخرج فيسبقون بأرواح الكفرة الى النار وبأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله:

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب فى المزدحم

للاشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بأن يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الأخر اليه والفاء فى الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ماقبلهما بغير مهلة كما فى قوله:

يالهف زيابة للحرث الصـ * ـابح فالغانم فالآيب

وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد أى إغراقا فى النزع حيث تنزعها من أقاصى الاجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافر واصول القدمين ثم تغرقها فى جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها فى جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه فى وقت النزع كأنها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا أيضا على المصدر يه واما أمرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز أن يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون فى مضيهم أى يسرعون فيه فيسبقون إلى ماامروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ماقبله من المقسم به اليه ودلالة مابعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لامحالة وفيه من الجزالة مالايخفى وقد جوز أن يكون إقساما بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط فى أقصى الغرب وتنشط من برج إلى برج أى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد إلى بلد وتسبح فى الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر أمرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق إلى المغرب قسرية وحركاتها من برج إلى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط أو بأنفس الغزاة أو أيديهم التى تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها أو بخيلهم التى تنزع فى أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام إلى دار الحرب وتسبح فى جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لأنها من أسبابه هذا والذى يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التى ترجف عندها الاجرام الساكنة أى تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهى النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى «يوم ترجف

قتادة مآبا أى سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر فى قوله تعالى «من استطاع اليه سبيلا» (انا أنذرناكم)أى بما ذكر فى السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهى أو بها وبسائر القوارع الواردة فى القرآن (عذابا قريبا)هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولأنه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى «كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها» وعن قتادة هو عقوبة الدنيا لانه أقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) فانه اما بدل من عذابا أو ظرف لمضمر هو صفة له أى عذابا كائنا يوم ينظر المرء أى يشاهد ماقدمه من خير أوشر على أن ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف أو ينظر أى شىء قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما فى قوله تعالى (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم قيل معنى تمنيه ليتنى كنت ترابا فى الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشىء الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من طين «عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيامة والحمد لله وحده »

(سورة والنازعات مكية)
وآيها خمس أوست وأربعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا) اقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد أوأرواح الكفرة كما قاله على رضى الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اى يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج من البحر مايخرج فيسبقون بأرواح الكفرة الى النار وبأرواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون أمر عقابها وثوابها بان يهيؤها لادراك ماأعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى كما فى قوله:

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتائب في المزدحم

للاشعار بأن كل واحد من الأوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بأن يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الأخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ماقبلهما بغير مهلة كما في قوله:

يالهف زيابة للحرث الصـ * ـابح فالغانم فالآيب

وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد أي إغراقا في النزع حيث تنزعها من أقاصي الاجساد قال ابن مسعود رضى الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافر واصول القدمين ثم تغرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا أيضا على المصدرية واما أمرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز أن يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم أي يسرعون فيه فيسبقون إلى ماامروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ماقبله من المقسم به اليه ودلالة مابعده من أحوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير أمورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لامحالة وفيه من الجزالة مالايخفى وقد جوز أن يكون إقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بأن تقطع الفلك حتى تنحط في أقصى الغرب وتنشط من برج إلى برج أي تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد إلى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر أمرانيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق إلى المغرب قسرية وحركاتها من برج إلى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط أو بأنفس الغزاة أو أيديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون في البر والبحر فيسبقون إلى حرب العدو فيدبرون أمرها أو بخيلهم التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام إلى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لأنها من أسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الاول وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة) منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة أي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى «يوم ترجف

الارض والجبال «وقوله تعالى (تتبعها الرادفة) أى الواقعة التى تردف الاولى وهى النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث أى لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لاقبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذى يقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة واعتبار امتداده مع أن البعث لايكون الاعند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لايبقى عنده وقوع الاولى حى الامات ولاعند وقوع الثانية ميت الابعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) أى يوم ترجف وجفت القلوب قيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهى صفة لقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى (أبصارها) أى أبصار أصحابها (خاشعة) جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبر القلوب وقد مر أن حق الصفة أن تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها أخبار والأخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار أصحابها سواء فى المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثانى مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على أن الوجيف الذى هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل أشد من خشوع البصر وأهول فجعل أهون الشرين عمدة وأشدهما فضلة مما لاعهد له فى الكلام وأيضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب فى موقع التهويل فالوجه أن يقال له فى تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما فى شر أهر ذاناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضا كأنه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة أى شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضى الله عنهما خائفة وجلة وقال السدى زائلة عن أماكنها كما فى قوله تعالى «اذ القلوب لدى الحناجر» وقوله تعالى (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمى وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار أى يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا فى الحافرة أى فى الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان فى حافرته أى فى طريقته

التى جاء فيها فحفرها أى أثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة كقوله تعالى «فى عيشة راضية» أى منسوبة الى الحفر والرضا أو كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرىء فى الحفرة وهى بمعنى المحفورة وقوله تعالى (أئذا كنا عظاما نخرة) تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له والعامل فى اذا مضمر يدل عليه مردودون أى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شىء من الحياة وقرىء اذا كنا على الخبر أو اسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالى الاجوف الذى يمر به الريح فيسمع له نخير (قالوا) حكاية لكفر آخر لهم متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بأن صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم فى كافة أوقاتهم حسبما ينبىء عنه حكايته بصيغة المضارع أى قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما أنكروه من الردة فى الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع (تلك اذا كرة خاسرة) أى ذات خسران أو خاسرة أصحابها أى ان صحت فنحن اذن خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى (فانما هى زجرة واحدة) تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التى عبروا عنها بالكرة فان مداره لما كان استصعابهم إياها رد عليهم ذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هى صيحة واحدة أى حاصلة بصيحة واحدة وهى النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كأنها عينها وقيل هى راجع الى الرادفة فقوله تعالى (فاذاهم بالساهرة) حينئذ بيان لترتب الكرة على الزجرة مفاجأة أى فاذاهم أحياء على وجه الارض بعدما كانوا أمواتا فى جوفها وعلى الأول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التى عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفى ضدها نائمة وقيل لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هى وجه الارض وقيل هى أرض القيامة وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هى أرض يجددها الله عز وجل يوم القيامة وقيل هى اسم الارض السابعة يأتى بها الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الأرض غير الارض وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم ومعنى هل أتاك أن اعتبر هذا أول ما أتاه عليه

الصلاة والسلام من حديثه عليه السلام ترغيب له عليه الصلاة والسلام فى استماع حديثه كأنه قيل هل أتاك حديثه أنا أخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز فى الاقتصار حمله عليه الصلاة والسلام على أن يقر بأمر يعرفه قبل ذلك كأنه قيل أليس قد أتاك حديثه وقوله تعالى (إذ ناداه ربه بالواد المقدس) ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما (طوى) بضم الطاء غير منون وقرىء منونا وقرىء بالكسر منونا وغير منون فمن نونه أوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى أو المقدس أى ناداه نداءين أو المقدس مرة بعد أخرى (إذهب إلى فرعون) على إرادة القول وقيل هو تفسير للنداء أى ناداه اذهب وقيل هو على حذف أن المفسرة ويدل عليه قراءة عبدالله أن اذهب لأن فى النداء معنى القول (إنه طغى) تعليل للامر أو لوجوب الامتثال به (فقل) بعد ما أتيته (هل لك) رغبة وتوجه (إلى أن تزكى) بحذف إحدى التاءين من تتزكى أى تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرىء تزكى بالتشديد (وأهديك إلى ربك) وأرشدك إلى معرفته عز وجل فتعرفه (فتخشى) إذ الخشية لاتكون الا بعد معرفته تعالى قال عز وجل «انما يخشى الله من عباده العلماء» وجعل الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر من خشى الله تعالى أتى منه كل خير و من أمن اجترأ على كل شر أمر عليه الصلاة والسلام بأن يخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليستدعيه بالتلطف فى القول و يستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى «فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى» والفاء فى قوله تعالى (فأراه الآية الكبرى) فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها فى السور الاخرى فانه عليه الصلاة والسلام ماأراه اياها عقيب هذا الأمر بل بعد ماجرى بينه وبين الله تعالى ماجرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات و بعد ماجرى بينه وبين فرعون ماجرى من المحاورات إلى أن قال ان كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين والاراءة إما بمعنى التبصير أو التعريف فان اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها انما كان إراءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه الصلاة والسلام بالنظر إلى الظاهر كما أن نسبتها إلى نون العظمة فى قوله تعالى «ولقد أريناه آياتنا» بالنظر إلى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس رضى الله عنهما فانها كانت المقدمة والأصل والاخرى كالتبع لها أو هما جميعاً وهو قول مجاهد فانهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قال اذهب أنت وأخوك بآياتى باعتبار مافى تضاعيفهما من بدائع الامور التى كل منها آية بينة لقوم

يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ماعدا هاتين الآيتين من الآيات التسع انما ظهرت على يده عليه الصلاة والسلام بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في أن هذا مطلع القصة وأمر السحرة مترقب بعد (فكذب) بموسى عليه السلام وسمى معجزته سحرا (وعصى) الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته عز وجل وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر فقط (ثم أدبر) أي تولى عن الطاعة أو انصرف عن المجلس (يسعى) أي يجتهد في معارضة الآية أو أريد ثم أقبل أي أنشأ يسعى فوضع موضعه أدبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل أدبر هاربا من الثعبان فانه روى أنه عليه الصلاة والسلام لما ألقى العصا انقلبت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا من قومه وقيل انها حين انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول ياموسى مرني بما شئت ويقول فرعون أنشدك بالذي ارسلك الا اخذته فأخذه فعاد عصا ويأباه ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى (فحشر) أي فجمع السحرة لقوله فأرسل فرعون في المدائن حاشرين وقوله تعالى «فتولى فرعون فجمع كيده» أي ما يكاد به من السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز أن يراد جميع الناس (فنادى) في المجمع بنفسه أو بواسطة المنادى (فقال أنا ربكم الاعلى) قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذى ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه من تعاطى ما يفضى اليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قيل نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الاحراق في الآخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ أي أخذه الله أخذ نكال الآخرة الخ وقيل مفعول له أي أخذه لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض أي أخذه بنكال الآخرة والاولى واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فان ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطى ما يؤدى اليها لا محالة وقيل المراد بالآخرة والاولى

قوله أنا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من إله غيرى قيل كان بين الكلمتين أربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب (ان فى ذلك) أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به (لعبرة) عظيمة (لمن يخشى) أى لمن شأنه أن يخشى وهو من من شأنه المعرفة وقوله تعالى (أأنتم أشد خلقا) خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته فى زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى «فانما هى زجرة واحدة» أى أخلقكم بعد موتكم أشد أى أشق وأصعب فى تقديركم (أم السماء) أى أم خلق السماء على عظمها وانطوائها على تعاجيب البدائع التى تحار العقول عن ملاحظة أدناها كقوله تعالى «لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس» وقوله تعالى «أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم» وقوله تعالى (بناها) الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء وفى عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على تعينه وتفخيم شأنه عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى (رفع سمكها) بيان للبناء أى جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولافطور أو فتممها بما علم أنها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى أمر فلان إذا أصلحه (وأغطش ليلها) أى جعله مظلما يقال غطش الليل وأغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلمه وقد مر هذا فى قوله تعالى «وإذا أظلم عليهم قاموا» ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) أى أبرز نهارها عبر عنه بالضحى لانه أشرف أوقاته وأطيبها فكان أحق بالذكر فى مقام الامتنان وهو السر فى تأخير ذكره عن ذكر الليل وفى التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة أتم فى الانعام وأكمل فى الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز أن تكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس أى أبرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها (والارض بعد ذلك دحاها) أى بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم فى أقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها (أخرج منها ماءها) بان فجر منها عيونا وأجرى أنهارا (ومرعاها) أى رعيها وهو فى الاصل موضع الرعى وقيل هو مصدر ميمى بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور أو بدونه عند

الكوفيين والاخفش كما فى قوله تعالى «أوجاؤكم حصرت صدورهم» (والجبال) منصوب بمضمر يفسره (أرساها) أى أثبتها وأثبت بها الارض أن تميد بأهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها فى مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسى ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت فى أنفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرىء والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر المأكل والمشرب مع مافيه من دفع توهم رجوع ضميرى الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تأخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من أنه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى «كانتا رتقا ففتقناهما» الآية وقد مر فى سورة حم السجدة أن قوله تعالى «قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين» الى قوله تعالى «ثم استوى الى السماء وهى دخان» الآية ان حمل مافيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما فى سورة البقرة من قوله تعالى «هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات» يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم إنه تعالى أحدث فى الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق مافيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة فالاقرب كما قيل تأويل هذه الآية بان يجعل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى أنفسها ويحمل بعدية الدحو عنها على البعدية فى الذكر كما هو المعهود فى ألسنة العرب والعجم لا فى الوجود لما عرفت من أن انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر وتتعين البعدية فى الوجود وفائدة تأخيره فى الذكر اما التنبيه على انه قاصر فى الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال

السماء وإما الاشعار بأنه أدخل فى الالزام لما أن المنافع المنوطة بما فى الارض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر واحاطتهم بتفاصيل أحواله أكمل وليس ما روى عن الحسن نصافى تأخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر فى آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة وأما إذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الاعلى تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب أصلا إذا حملت كلمة ثم فيها وفيما فى سورة البقرة على التراخى فى الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام فى السورة المذكورة وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) إما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعاً لكم ولأنعامكم لأن فائدة ماذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم وإلى أنعامهم فان المراد بالمرعى مايعم ما يأكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعى لتناول المأكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر أى متعكم بذلك متاعا أو مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى «أخرج منها ماءها ومرعاها» فى معنى متع بذلك وقوله تعالى (فاذا جاءت الطامة الكبرى) أى الداهية العظمى التى تطم على سائر الطامات أى تعلوها وتغلبها وهى القيامة أو النفخة الثانية وقيل هى الساعة التى يساق فيها الخلائق إلى محشرهم وقيل التى يساق فيها أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار شروع فى بيان أحوال معادهم إثر بيان أحوال معاشهم بقوله تعالى «متاعا لكم» الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ماقبلها عما قليل كما ينبىء عنه لفظ المتاع (يوم يتذكر الانسان ماسعى) قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر أنه منصوب بأعنى كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز أن يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على رأى الكوفيين أي يتذكر فيه كل أحد ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدونا فى صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى «أحصاه الله ونسوه» ويجوز أن تكون مامصدرية (وبرزت الجحيم) عطف على جاءت أى أظهرت اظهارا بينا لا يخفى على أحد (لمن يرى) كائنا من كان يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذى بصر وقرىء وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على أن فيه ضمير الجحيم كما فى قوله تعالى «اذا رأتهم من مكان بعيد» وعلى أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى لمن تراه من الكفار وقوله تعالى

(فأما من طغى) الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى« فاما يأتينكم منى هدى» الآية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراءون قسمين فأما من الخ والذى تستدعيه فخامة التنزيل و يقتضيه مقام التهويل أن الجواب المحذوف كان من عظائم الشئون مالم تشاهده العيون كما فى قوله تعالى«يوم يجمع الله الرسل »أى فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد فى العصيان (وآثر الحياة الدنيا) الفانية التى هى على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الاخروية الابدية بالايمان والطاعة (فان الجحيم) التى ذكر شأنها (هى المأوى) أى هى مأواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغى كما فى قولك غض الطرف ودخول اللام فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهى اما ضمير فصل أو مبتدأ قيل نزلت الآية فى النضر وأبيه الحرث المشهورين بالغلو فى الكفر والطغيان (وأما من خاف مقام ربه) أى مقامه بين يدى مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى (ونهى النفس عن الهوى) عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها (فان الجنة هى المأوى) له لا غيرها وقيل نزلت الآيتان فى أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضى الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى«يوم يتذكر»الخ أى فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ماسعى على طريقة قوله تعالى«علمت نفس ما أحضرت»وقوله تعالى« علمت نفس ما قدمت وأخرت»فيكون قوله تعالى «وبرزت الجحيم»عطفا عليه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق أو حالا من الانسان باضمار قد أو بدونه على اختلاف الرأيين ولمن يرى مغن عن العائد وقوله تعالى«فأما من طغى »الخ تفصيلا لحال الانسان الذى يتذكر ما سعى وتقسيمها له بحسب أعماله الى القسمين المذكورين (يسألونك عن الساعة أيان مرساها) متى ارساؤها أى اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة حيث تنتهى اليه وتستقر فيه وقوله تعالى (فيم أنت من ذكراها) انكار ورد لسؤال المشركين عنها أى فى أى شىء أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى« يسألونك كأنك حفى عنها »أى ما أنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شىء لان ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لايزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق

وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال أى فيم هذا السؤال ثم ابتدىء فقيل أنت من ذكراها أى ارسالك وأنت خاتم الأنبياء المبعوث فى نسيم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى (الى ربك منتهاها) على هذا الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها أى علمها بكنهها وتفاصيل أمرها ووقت وقوعها لا الى أحد غيره وانما وظيفتهم أن يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شيء ما كائنا من كان فلأى شيء يسألونك عنها وقوله تعالى (انما أنت منذر من يخشاها) على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى «فيم أنت من ذكراها» وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عليه الصلاة والسلام فى ذلك الشأن فان انكار كونه عليه الصلاة والسلام فى شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره أن ليس له عليه الصلاة والسلام أن يذكرها بوجه من الوجوه فازيح ذلك ببيان أن المنفى عنه عليه الصلاة والسلام ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عليه الصلاة والسلام عنها فالمعنى انما أنت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لاتعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه وعلى الوجه الثانى هو تقرير لقوله تعالى «أنت من ذكراها» ببيان أن ارساله عليه الصلاة والسلام وهو خاتم الانبياء عليهم السلام منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عليه الصلاة والسلام «بعثت أنا والساعة كهاتين ان كادت لتسبقنى» وقرىء منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضى تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) اما تقرير وتأكيد لما ينبىء عنه الانذار من سرعة مجيء المنذر به لاسيما على الوجه الثانى أى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد أو ضحاه فلما ترك اليوم اضيف ضحاه الى عشيته وامارد لما أدمجوه فى سؤالهم فانهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين بها وان كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الوعيد بها الا عشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث فى الدنيا أو فى القبور لا يقتضيه المقام وانما الذى يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار أو بعد الوعيد تحقيقا للانذار وردا لاستبطائهم والجملة على الاول حال من الموصول

فانه على تقديرى الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما أن قوله تعالى، كأن لم يلبثوا الاساعة من النهار،حال من ضمير المفعول فى يحشرهم أى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث فى الدنيا الا ساعة خلا أن الشبه هناك فى الاحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه فى الاعتقاد كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى الثانى مستأنفة لا محل لها من الاعراب،عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله عزوجل فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم.

(سورة عبس مكية)

(وآيها احدى وأربعون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(عبس وتولى أن جاءه الاعمى) روى ان ابن أم مكتوم واسمه عبدالله بن شريح بن مالك بن أبى ربيعة الفهرى وأم مكتوم اسم أم أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه الصلاة والسلام بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرىء عبس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرأيين أى لان جاءه الاعمى والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره فى الاقدام على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام بالقوم والايذان باستحقاقه بالرفق والرأفة واما لزيادة الانكار كأنه قيل تولى لكونه اعمى كما أن الالتفات فى قوله تعالى (ومايدريك) لذلك فان المشافهة أدخل فى تشديد العقاب أى أى شىء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى (لعله يزكى) استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان له شأنا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادراكه مؤذن بأنه تعالى يدريه ذلك أى لعله يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى وارد على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عليه الصلاة والسلام للتنبيه على أن الاعراض

عنه عند كونه مرجو التزكى مما لا يجوز فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلا وقوله تعالى (أو يذكر) عطف على يزكى داخل معه فى حكم الترجى وقوله تعالى (فتنفعه الذكرى) بالنصب على جواب لعل وقرىء بالرفع عطفا على يذكر أو يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى انك طمعت فى ان يتزكى أو يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان ذلك مرجو الوقوع (أما من استغنى) أى عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى ينطوى عليها القرآن (فأنت له تصدى) أى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عليه الصلاة والسلام عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرىء تصدى بادغام التاء فى الصاد وقرىء تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك الى التصدى له داع من الحرص والتهالك على اسلامه (وما عليك ان لا يزكى) وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عمن أسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار أى أى شىء عليك فى ان لا يتزكى ومآله النفى أيضا (وأما من جاءك يسعى) أى حال كونه مسرعا طالبا عندك من أحكام الرشد وخصال الخير (وهو يخشى) أى الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار فى اتيانك وقيل يخشى الكبوة اذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أنه حال من فاعل جاءك (فأنت عنه تلهى) تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى وقرىء تلهى وتلهى أى يلهيك شأن الصناديد وفى تقديم ضميره عليه الصلاة والسلام على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عليه الصلاة والسلام أى مثلك خصوصا لا ينبغى أن يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه الصلاة والسلام بمضمونهما روى أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى (كلا) ردع له عليه الصلاة والسلام عما عوتب عليه من التصدى لمن استغنى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغا فى الاهتمام بأمره متهالكا على اسلامه معرضا بسبب ذلك عن إرشاد من يسترشده وقوله تعالى (إنها تذكرة) أى موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذى استغنى عنه من تصدى عليه الصلاة والسلام له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى (فمن شاء ذكره)

أي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعل المستغنى فلا حاجة الى الاهتمام بأمره فالضميران للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره وقيل الاول للسورة أو للآيات السابقة والثانى للتذكرة والتذكير لأنها فى معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات وان كانت متصفة ما سيأتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما ألقى على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما الى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الادب وخبط خبطا يقضى منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى (فى صحف) متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها أى كائنة فى صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لان (مكرمة) عند الله عز وجل (مرفوعة) أى فى السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر (مطهرة) منزهة عن مساس أيدى الشياطين (بأيدى سفرة) أى كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل بأيدى رسل من الملائكة يسفرون بالوحى بينه تعالى وبين الانبياء على أنه جمع سفير من السفارة وحملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقى من الوحى لا الكتب منه وارشاد الامة بالامر والنهى وتعليم الشرائع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار أو على أصحابه عليه الصلاة والسلام وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون أضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها وقال القرطبى ان المراد بما فى قوله تعالى «لا يمسه الا المطهرون» هؤلاء السفرة الكرام البررة (كرام) عند الله عز وجل أو متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم (بررة) أتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أى يطيعه وقيل صادقين من بر فى يمينه (قتل الانسان) دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى (ما أكفره) تعجب من افراطه بالكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من أفراده لا باعتبار جميع أفراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله تعالى (من أى شيء خلقه) شروع فى بيان افراطه فى الكفران بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك فى

الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى (من نطفة خلقه) تحقير له أى من أى شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه (فقدره) فهيأ لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال أو فقدره أطوارا الى أن تم خلقه وقوله تعالى (ثم السبيل يسره) منصوب بمضمر يفسره الظاهر أى ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم وألهمه أن ينتكس أو يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه (ثم أماته فأقبره) أى جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره اذا أمر بدفنه أو مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم (ثم اذا شاء أنشره) أى اذا شاء انشاره أنشره على القاعدة المستمرة فى حذف مفعول المشيئة وفى تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرىء نشره (كلا) ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى (لما يقض ما أمره) بيان لسبب الردع أى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما أمره الله تعالى بأسره إذ لا يخلو أحد عن تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب فى أن مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر أن ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه أحد من أفراده كيف لا وقد قال عليه الصلاة والسلام «شيبتنى سورة هود» لما فيها من قوله فاستقم كما أمرت فالوجه أن يحمل عدم القضاء على عموم النفى لا على نفى العموم إما على أن المحكوم عليه هو المستغنى أو هو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض أفراده وقد أسند الى الكل كما فى قوله تعالى «إن الانسان لظلوم كفار» للاشباع فى اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على أن مصداق الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع أفراده ما أمره بل أخل به بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحد أصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده أى حقا لم يعمل بما أمره به (فلينظر الانسان الى طعامه) شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أى فلينظر الى طعامه الذى عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى (إنا صببنا الماء صبا) أى الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام

فهو مشتمل عليه وقرىء انا على الاستئناف وقرىء أنى بالامالة أى كيف صببناه الخ أى صببناه صبا عجيبا (ثم شققنا الارض) أى بالنبات (شقا) بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب بجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء فى قوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا) فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين الامطار أصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة وانما الترتيب بين الامطار وبين الشق بالنبات على التراخى المعهود وبين الشق المذكور وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى أن يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على أن مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبىء عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه فى حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى (وعنبا) عطف على حبا وليس من لوازم العطف أن يتقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق الارض (وقضبا) أى رطبة سميت بمصدر قضبه أى قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع (وزيتونا ونخلا) الكلام فيهما وفى امثالهما كما فى العنب (وحدائق غلبا) أى عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لانها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب (وفاكهة وأبا) أى مرعى من أبه اذا أمه أى قصده لانه يؤم وينتجع أو من أب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيىء للرعى أو فاكهة يابسة تؤب للشتاء وعن الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الاب فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلني اذا قلت فى كتاب الله مالا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب ومالا فدعوه (متاعا لكم ولأنعامكم) إما مفعول له أى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان وإما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد أى متعكم بذلك متاعا أو لفعل مترتب عليه أى متعكم بذلك فتمتعتم متاعا أى تمتعا كما مر غير مرة أو مصدر من غير لفظه فان ماذكر من الافعال الثلاثة فى معنى التمتيع (فاذا جاءت الصاخة) شروع فى بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب مابعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب

اضمحلالها والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق أي يصيخون لها من صخ لحديثه اذا صاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هي الصيحة التي تصخ الاذان أي تصمها لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر أي صكه وقوله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) إما منصوب بأعني تفسيراً للصاخة أو بدل منها مبني على الفتح بالاضافة الى الفعل على رأي الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر في قوله تعالى «يوم يتذكر» الخ أي يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه وإما تعليل ذلك بعلمه بأنهم لايغنون عنه شيئاً أو بالحذر من مطالبتهم بالتبعات فيأباه قوله تعالى (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار أي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به وأما الفرار حذراً من مطالبتهم أو بغضاً لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبي عليه الصلاة والسلام من أمه ويفر ابراهيم عليه السلام من أبيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرىء يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة أي يهمه من عناه الامر اذا أهمه أي أوقعه في الهم ومنه «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه» لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة) بيان لما آل أمر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وإن كانت نكرة لكونها في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به أي مضيئة متهللة من اسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ذلك من قيام الليل وفي الحديث «من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله (ضاحكة مستبشرة) بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي غبار وكدورة (ترهقها) أي تعلوها وتغشاها (قترة) أي سواد وظلمة (أولئك) إشارة إلى أصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغيره (هم الكفرة الفجرة) الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة «عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر»

(سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا الشمس كورت) أي لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها من مقرها فان الثوب إذا أريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى «يوم نطوى السماء» وإما لف ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الاقطار على أنه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم أو ألقيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا ألقاه على الارض وعن أبى صالح كورت نكست وعن ابن عباس رضى الله عنهما تكويرها ادخالها فى العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء (واذا النجوم انكدرت) أى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لا يبقى يومئذ نجم الاسقط فى الأرض وعنه رضى الله عنه أن النجوم قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور بأيدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت من أيديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى أن الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (واذا الجبال سيرت) أى عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لا فى الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية (واذا العشار) جمع عشراء وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهى أنفس مايكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مهملة لاشتغال أهلها بأنفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى «فالحاملات وقرا» وتعطيلها عدم امطارها وقرىء عطلت بالتخفيف (واذا الوحوش حشرت) أى جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شىء حتى الذباب للقصاص فاذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا مافيه سرور لبنى آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرىء حشرت بالتشديد (واذا البحار سجرت) أى احميت أو ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرىء سجرت بالتخفيف (واذا النفوس زوجت) أى قرنت بأجسادها أو قرنت كل نفس بشكلها أو بكتابها أو بعملها أو نفوس المؤمنين

بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين (وإذا الموؤدة) أى المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الأملاق أو لحوق العار بهم من أجلهن قيل كان الرجل منهم إذا ولدت له بنت ألبسها جبة من صوف أو شعر حتى إذا بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها و يهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل اذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها و إن ولدت ابنا حبسته (سئلت بأى ذنب قتلت) توجيه السؤال اليها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى «أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين» وقرىء سألت أى خاصمت أو سألت الله تعالى أو قاتلها وإنما قيل قتلت لما أن الكلام إخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرىء كذلك بالتشديد أيضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية (وإذا الصحف نشرت) أى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال «يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل» وقيل نشرت أى فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال (وإذا السماء كشطت) قطعت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشىء المستور به وقرىء قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور والقافور (وإذا الجحيم سعرت) أى أوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى آدم وقرىء سعرت بالتخفيف (وإذا الجنة أزلفت) أى قربت من المتقين كقوله تعالى «وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد» قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا أى فيما بين النفختين وهن من أول السورة الى قوله تعالى وإذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الآخرة أى بعد النفخة الثانية وقوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) جواب اذا على أن المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما فى سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى

أنها تعلم ما تعلم فى كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا أنه لما كان بعض تلك الدواهى من مباديه و بعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور أنفسها على ما قالوا من أن الاعمال الظاهرة فى هذه النشأة بصور عرضية تبرز فى النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيآت معينة حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى « وان جهنم لمحيطة بالكافرين » وقوله تعالى « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا » وكذا قوله عليه الصلاة والسلام فى حق من يشرب من آنية الذهب والفضة « انما يجرجر فى بطنه نار جهنم » ولا بعد فى ذلك ألا يرى أن العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان وأياما كان فاسناد احضارها الى النفس مع انها تحضر بأمر الله تعالى كما ينطق به قوله تعالى « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا » الآية لانها لما عملتها فى الدنيا فكأنها أحضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ أنها تشاهدها على ما هى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه فى الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه ههنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس أو لبعض منها للايذان بأن ثبوته لجميع أفرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل أحد ولو جىء بعبارة تدل على خلافه وللرمز الى أن تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر أفرادها وتكثر أعدادها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء الذى أشير الى بعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه وأما ما قيل من أن هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه وتمثيله بقوله تعالى « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » وبقول من قال « قد أترك القرن مصفرا أنامله » وبقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه « رب فارس عندى وعنده المقانب » قاصدا بذلك التمادى فى تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وأنه عن

يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فمن لوائح النظر الجليل الا أن الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادى فيه فانه فى الاول كثيرا ما يود وفى الثانى كثيرا ما أترك وفى الثالث كثير من الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادى فى التكثير حسبما فصل أما فيما نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ما أحضرت كما صرح به القائل وليس فيه امكان التكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادى فيه وانما الذى يمكن فيه من المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز أن يكون ذلك للاشعار بأنه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة أن تكون هى تلك التى علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمرا يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع (فلا أقسم بالخنس) أى الكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ما عدا النيرين من الدرارى الخمسة وهى بهرام و زحل وعطارد والزهرة والمشترى وصفت بقوله تعالى (الجوار الكنس) لانها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو البيت الذى يتخذه من أغصان الشجر وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها (والليل اذا عسعس) أى أدبر ظلامه أو أقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء أجمع المفسرون على أن معنى عسعس أدبر وعليه قول العجاج:

حتى اذا الصبح لها تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل هى لغة قريش خاصة وقيل معنى اقبال ظلامه أوفق لقوله تعالى (والصبح اذا تنفس) لانه أول النهار وقيل ادباره أقرب من تنفس الصبح ومعناه أن الصبح اذا أقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح (انه) أى القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهى الماثلة (لقول رسول كريم) هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله عز وجل (ذى قوة) شديدة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة فى أداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من أول الخلق الى آخر زمان التكليف (عند ذى العرش مكين) ذى مكانة رفيعة عند الله تعالى

عندية اكرام وتشريف لاعندية مكان (مطاع) فيما بين ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه (ثم أمين) على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرىء ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلالها على سائر الاوصاف (وماصاحبكم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه الصلاة والسلام خبرا وعلمهم بنزاهته عليه السلام عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه عليهما السلام للتباين البين بين وصفيهما وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه الصلاة والسلام انما يعلمه بشر أفترى على الله كذبا أم به جنة لاتعداد فضائلهما والموازنة بينهما (ولقد رآه) أي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما الصلاة والسلام (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم (على الغيب) على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب (بضنين) أي ببخيل لايبخل بالوحي ولايقصر في التبليغ والتعليم وقرىء بظنين أي بمتهم من الظنة وهي التهمة (وما هو بقول شيطان رجيم) أي قول بعض المسترقة للسمع وهونفي لقولهم انه كهانة وسحر (فأين تذهبون) استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور أنه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب (ان هو) ماهو (الاذكر للعالمين) موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار وقوله تعالى (أن يستقيم) مفعول شاء أي لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير (وما تشاؤن) أي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الاوقات (الا أن يشاء الله) الا وقت أن يشاء الله تعالى تلك المشيئة اى المستتبعة للاستقامة فان مشيئتكم لاتستتبعها بدون مشيئة الله تعالى لها (رب العالمين) مالك الخلق ومربيهم أجمعين . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكوير أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿ سورة انفطرت مكية وآيها تسع عشرة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انفطرت) اى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى « ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا » وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع

الشمس (واذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت متفرقة (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجب وصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهى معنى التسجير عند الحسن رضى الله عنه وقيل ان مياه البحار الآن راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرىء فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل أيضا بمعنى بغت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان (واذا القبور بعثرت) أى قلب ترابها وأخرج موتاها ونظيره بحثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى (علمت نفس ما قدمت وأخرت) جواب اذا لكن لا على أنها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت من أن المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا أزمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما فى حيزها من الدواهى والكلام فيه كالذى مر تفصيله فى نظيره ومعنى ماقدم وأخر ما أسلف من عمل خير أو شر وأخر من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وعن ابن عباس أيضا ما قدم من معصية وأخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم من أمواله لنفسه وأخر لورثته وقيل ما قدم من فرض وأخر من فرض وقيل أول عمله وآخره ومعنى علمها بهما علمها التفصيلى حسبما ذكر فيما مر مرارا (ياأيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أى أى شىء خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى التامة والعراقيل الطامة وما سيكون حينئذ من من مشاهدة أعمالك كلها والتعريض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح أن يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى (الذى خلقك فسواك فعدلك) صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على أن من قدر على ذلك بدأ قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سليمة سوية معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت أو صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرىء فعدلك بالتشديد أى صيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه (فى أى صورة ما شاء ركبك) أى ركبك فى أى

صورة شاءها من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة أي ركبك في أي صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى «لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم» وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك (كلا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى (بل تكذبون بالدين) اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترؤن على أعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث رأسا أو بدين الاسلام الذى هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ماتوجبه نعمى عليكم وارشادى لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما تقولون من أنه لا بعث ولا نشور ثم قيل أنتم لا تتبينون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى (وان عليكم لحافظين) حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقق ما يكذبون به أي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم (كراما) لدينا (كاتبين) لها (يعلمون ما تفعلون) من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وأنه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفي وقوله تعالى (يصلونها) اما صفة لجحيم أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها (يوم الدين) يوم الجزاء الذين كانوا يكذبون به (وماهم عنها بغائبين) طرفة عين فان المراد دوام نفي الغيبة لانفي دوام الغيبة لما مر مرارا من أن الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها استمرار النفي لانفي الاستمرار باعتبار ماتفيده من الدوام والثبات بعد النفي لاقبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عليه الصلاة والسلام «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران» وقوله تعالى (وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين) تفخيم لشأن يوم الدين الذى يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أي صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو أطم من ذلك وأعظم أي وأي شيء جعلك داريا

ما يوم الدين على أن ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو رأى سيبويه لما مر من أن مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب فى أن مناط افادة الهول والفخامة هنا هو مالا يوم الدين أى أى شيء عجيب هو فى الهول والفظاعة لما مر غير مرة أن كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال مازيد فيقال فى الجواب كاتب أوطبيب وفى اظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذلله) بيان اجمالى لشأن يوم الدين إثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ما فى القرآن من قوله تعالى ماأدراك فقد ادراه وكل مافيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته إلى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لايملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الأشياء الخ أومنصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه الصلاة والسلام إلى معرفته أذكر يوم لاتملك نفس الخ فانه يدريك ماهو وقيل باضمار يدانون وليس بذاك فانه عار عن افادة مايفيده ما قبله كما أن ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله تعالى له بعدد كل قطرة من السماء وبعدد كل قبر حسنة والله تعالى أعلم

(سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون)

بسم الله الرحمن الرحيم

(ويل للمطففين) قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الأليم وقيل هو واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقيل وقيل وأياما كان فهو مبتدأ وإن كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء والتطفيف البخس فى الكيل والوزن لأن مايبخس شيء طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكان أهلها من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها عليه الصلاة والسلام وبها رجل يعرف بأبى جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس مانقض قوم

العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر» وقوله تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالويل أى إذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للاشارة إلى أنه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر فى حيز الشرط الذى يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافى الوافر حسبما أرادوا بأى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه وأما ماقيل من أن ذلك للدلالة على أن اكتيالهم لما لهم على الناس فمع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل أن يكون لهم على الناس شىء بطريق الشراء ونحوه مع أنه الشائع فيما بينهم يقتضى أن يكون معنى الاستيفاء أخذ مالهم عليهم وافيا من غير نقص إذ هو المتبادر منه عند الاطلاق فى معرض الحق فلا يكون مـــدارا للذمهم والدعاء عليهم وحمل مالهم عليهم على معنى ماسيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا مما لا يجدى نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان أو مآلا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من أن من وعلى تعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتأمل وقد جوز أن تكون على متعلقة بيستوفون ويكون تقديما على الفعل لافادة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وأنت خبير بأن القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الافراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب فى أن الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ الوافى مما لا يتصور أن يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع فى الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز فى قوله تعالى (واذا كالوهم أو وزنوهم) للناس أى إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ونحوه (يخسرون) أى ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره فحذف الجار وأوصل الفعل كما فى قوله :

« ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا » أى جنيت لك وجعل البارز تأكيدا للمستكن مما

لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى وقوله تعالى (ألا يظن أولئك انهم مبعوثون) استئناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه وأولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذى هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم فى الشرارة والفساد أى ألا يظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل أنهم مبعوثون (ليوم عظيم) لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا متاخما للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن تيقنه وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أى لحكمه وقضائه منصوب باضمار أعنى وقيل بمبعوثون أو مرفوع المحل خبرا لمبتدا مضمر أو مجرور بدلا من يوم عظيم مبنى على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأى الكوفيين ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفى هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى بربوبية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم فى التطفيف وأمثاله ما لا يخفى (كلا) ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى (ان كتاب الفجار لفى سجين) الخ تعليل للردع أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم وأصله فعيل من السجن هو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لانه مطروح كما قيل تحت الارض السابعة فى مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفى ذلك الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين وقوله تعالى (وما أدراك ما سجين) تهويل لامره أى هو بحيث لا يبلغه دراية أحد وقوله تعالى (كتاب مرقوم) أى مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه

وقيل هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين أو محل كتاب مرقوم وقوله تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) متصل بقوله تعالى «يوم يقوم الناس لرب العالمين» وما بينهما اعتراض وقوله تعالى (الذين يكذبون بيوم الدين) اما مجرور على أنه صفة ذامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم (وما يكذب به الا كل معتد) أى متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله تعالى وعلمه من الاعادة مع مشاهدته للبدء (أثيم) أى منهمك فى الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها (اذا تتلى عليه آياتنا) الناطقة بذلك (قال) من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا محيد عنه (أساطير الاولين) أى هى حكايات الاولين قال الكلبى المراد بالمعتدى الاثيم هو الوليد ابن المغيرة وقيل النضر بن الحرث وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرىء اذا يتلى بتذكير الفعل وقرىء أإذا تتلى على الاستفهام الانكارى (كلا) ردع للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى (بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) بيان لما أدى بهم الى التفوه بتلك العظيمة أى ليس فى آياتنا ما يصح أن يقال فى شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب على قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر والمعاصى حتى صارت كالصدأ فى المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال صلى الله عليه وسلم «ان العبد كلما أذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه» ولذلك قالوا اما قالوا الرين الصدأ يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم أى رسخ فيه وقرىء بادغام اللام فى الراء (كلا) ردع وزجر عن الكسب الرائن (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فلا يكادون يرونه بخلاف المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن أبى مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم انهم لصالوا الجحيم) أى داخلو النار وثم لتراخى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة (ثم يقال) لهم توبيخا وتقريعا من جهة الزبانية (هذا الذى كنتم به تكذبون) فذوقوا عذابه (كلا) ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر إثر زجر وقوله تعالى (إن كتاب الأبرار لفى عليين) استئناف مسوق لبيان محل كتاب الأبرار بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حالهم كتابهم وفيه تأكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم ما كتب من أعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين

منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالى الدرجات فى الجنة و إما لأنه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيما والكلام فى قوله تعالى (وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم) كما مر فى نظيره وقوله تعالى (يشهده المقربون) صفة أخرى لكتاب أى يحضرونه ويحفظونه أو يشهدون بما فيه يوم القيامة (إن الأبرار لفى نعيم) شروع فى بيان محاسن أحوالهم إثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر فى شأن الفجار (على الأرائك) أى على الأسرة فى الحجال ولا يكاد تطلق الأريكة على السرير عندهم إلا عند كونه فى الحجلة (ينظرون) أى إلى ما شاءوا مد أعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة وإلى أعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الادراك (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) أى بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للايذان بأن مالهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية راء دون راء (يسقون من رحيق) شراب خالص لا غش فيه (مختوم ختامه مسك) أى مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك أى مقطعه رائحة مسك وقرىء خاتمة بفتح التاء وكسرها أى ما يختم به ويقطع (وفى ذلك) إشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده أو الى ماذكر من أحوالهم ومافيه من معنى البعد اما للاشعار بعلو مرتبته وبعد منزلته أو لكونه فى الجنة أى فى ذلك خاصة دون غيره (فليتنافس المتنافسون) أى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى « لمثل هذا فليعمل العاملون » وقيل فليستبق المستبقون وأصل التنافس التغالب فى الشىء النفيس وأصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشىء أنفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كأن كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به وقال البغوى وأصله من الشىء النفيس الذى يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أى يضن به (ومزاجه من تسنيم) عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على أن من بيانية أو تبعيضية أو من نفسه على أنها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها أرفع شراب فى الجنة وإما لانها تأتيهم من فوق روى أنها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى أوانيهم (عينا) نصب على الاختصاص وجوز أن يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى (يشرب بها المقربون) فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة فالباء مزيدة أو بمعنى من

وقوله تعالى (ان الذين أجرموا) الخ حكاية لبعض قبائح مشركى قريش جىء بها تمهيداً لذكر بعض أحوال الأبرار فى الجنة (كانوا) فى الدنيا (من الذين آمنوا يضحكون) أى يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور إما للقصر اشعاراً بغاية شناعة مافعلوا أى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى «أفى الله شك» أو لمراعاة الفواصل (وإذا مروا) أى فقراء المؤمنين (بهم) أى بالمشركين وهم فى أنديتهم وهو الاظهر وإن جاز العكس أيضاً (يتغامزون) أى يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم (وإذا انقلبوا) من مجالسهم (الى أهلهم انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه إشارة الى إنهم كانوا لايفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتغامز وقرىء فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين أشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين وقيل مازحين (وإذا رأوهم) أينما كانوا (قالوا ان هؤلاء لضالون) أى نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال بطريق التأكيد (وما أرسلوا عليهم) على المسلمين (حافظين) حال من واو قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم واشعار بأن ما اجترءوا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين انكاراً لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وإنما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما فى قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما فى قولك حلف لأفعلن (فاليوم الذين آمنوا) أى المعهودون من الفقراء (من الكفار) أى من المعهودين وهو الاظهر وإن أمكن التعميم من الجانبين (يضحكون) حين يرونهم أذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقاً للمقابلة أى فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا وقوله تعالى (على الأرائك ينظرون) حال من فاعل يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ماهم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل بهم ذلك مراراً ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) فانه صريح فى أن ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرىء بادغام اللام فى الثاء وعنه

صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم

(سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا السماء انشقت) أى بالغمام كما فى قوله تعالى «ويوم تشقق السماء بالغمام» وعن على رضى الله تعالى عنه تنشق من المجرة (وأذنت لربها) أى واستمعت أى انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت ارادته باشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه أمر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم وهذه الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى «أتينا طائعين» فى الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما أشير اليه فيما سلف (وحقت) أى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد أن لم تكن كذلك بل فى نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى حقيقة بذلك لكن لا على أن المراد خصوصية ذاتها من بين سائر المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الامور فحق الجملة أن تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه (واذا الأرض مدت) أى بسطت بازالة جبالها وآكامها من مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا أو زيدت سعة وبسطة من مده بمعنى أمده أى زاده (وألقت ما فيها) أى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى وأخرجت الارض اثقالها (وتخلت) وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شىء منه كأنها تكلفت فى ذلك أقصى جهدها (وأذنت لربها) فى الالقاء والتخلى (وحقت) أى وهى حقيقة بذلك أى شأنها ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا فى الوقت الممتد الذى هو مدلولها قد مر سره فيما مر (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) أى جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال التى مثلت باللقاء مبالغ فى ذلك فان الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه (فملاقيه) أى فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) الخ قيل جواب اذا كما فى قوله تعالى «فاما يأتينكم منى هدى فمن

تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وقوله تعالى «يا أيها الانسان» الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه أو للتعويل على دلالة ما مر في سورة التكوير و الانفطار عليه وقيل هو مادل عليه قوله تعالى يا أيها الانسان الخ تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو يا أيها الانسان الخ باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه و لا اعتراض و عن الصديقة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه (وينقلب الى أهله مسرورا) أى عشيرته المؤمنين أو فريق المؤمنين مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى أهله في الجنة من الحور و الغلمان (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) أى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (فسوف يدعو ثبورا) أى يتمنى الثبور وهو الهلاك و يدعو يا ثبوراه تعال فانه أوانك وأنى له ذلك (ويصلى سعيرا) أى يدخلها وقرئ يصلى كقوله تعالى «وتصلية جحيم» وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى «ونصليه جهنم» (انه كان في أهله) فيما بين أهله وعشيرته في الدنيا (مسرورا) مترفا بطرا مستبشرا كديدن الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله وما له كسنة الصلحاء والمتقين والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى (انه ظن أن لن يحور) تعليل لسروره في الدنيا أى ظن أن لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد وأن مخففة من أن سادة مع ما في حيزها مسد مفعولى الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف (بلى) ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى (ان ربه كان به بصيرا) تحقيق وتعليل له أى بلى ليحورن البتة ان ربه الذى خلقه كان به وبأعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان في أبى سلمة بن عبد الاشد وأخيه الاسود (فلا أقسم بالشفق) هى الحمرة التى تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب أو البياض الذى يليها سمى به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب (والليل وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق أى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه من الدواب وغيرها (والقمر اذا اتسق) أى اجتمع وتم بدرا ليلة أربع عشرة (لتركبن طبقا عن طبق) أى لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لأختها في الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات

في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها وقرىء لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرىء بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء أي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقا أي طبقا مجاوزا لطبق أو حال من الضمير في لتركبن أي لتركبن طبقا مجاوزين أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى (فمالهم لا يؤمنون) لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة وأهوالها الموجبة للايمان والسجود أي اذا كان حالهم يوم القيامة كما ذكر فأي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أي أي شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى (واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون) جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها أي فأي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رءوسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله تعالى على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد أن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس رضي الله عنه صليت خلف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة (بل الذين كفروا يكذبون) بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته (والله أعلم بما يوعون) بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء أو بما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لانفسهم من أنواع العذاب علما فعليا (فبشرهم بعذاب أليم) لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان أريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع أو ممنون به عليهم استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله تعالى أن يعطيه كتابه وراء ظهره *

(سورة البروج مكية)

(وآيها ثنتان وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) هي البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت أو منازل القمر أو عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها وأصل التركيب للظهور (واليوم الموعود) أي يوم القيامة (وشاهد ومشهود) أي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف أي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما أو للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيامة وقيل عيسى عليه السلام وأمته لقوله تعالى «وكنت عليهم شهيدا» الخ وقيل أمة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن مامن يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام (قتل أصحاب الاخدود) قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والأصل لقتل كما في قول من قال:

حلفت لها بالله حلفة فاجر ... لناموا فما ان من حديث ولا صال

وقيل تقديره لقد قتل وأياما كان فالجملة خبرية والاظهر أنها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل أقسم بهذه الاشياء أنهم أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الاخدود لما أن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من الايمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة أسدا فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب

أحب إليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص
ويشفي من الأدواء وعمي جليس للملك فأبرأه فأبصره الملك فسأله من رد عليك بصرك
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه
فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به إلى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا
فذهب به إلى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال
للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي
وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس
آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت
فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي
يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي إلا غميضة فصبرت وقيل
أخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين
قتل وعن علي رضي الله عنه أن بعض ملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب
المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول إن الله قد أحل نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد
ذلك إن الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت
ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فأمر بالأخاديد وإيقاد النار وطرح من أبى فيها فهم الذين
أرادهم الله تعالى بقوله « قتل أصحاب الأخدود » وقيل وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى
عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين
النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن
طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا (النار) بدل اشتمال من الأخدود
(ذات الوقود) وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان
الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى (إذ هم عليها قعود) ظرف لقتل أي لعنوا حين
أحدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الأخدود كما في قوله:

وبات على النار الندى والمحلق

(وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود)
أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به أو أنهم شهود
يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وقيل على
بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم
لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد
روي أن الجبابرة لما ألقوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فأحرقتهم ونجى

الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواحدى وعلى ذلك حملا قوله تعالى « ولهم عذاب الحريق » (وما نقموا منهم) اى ما انكروا منهم وما عابوا (الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد) استثناء مفصح عن براءتهم عما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله :

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم ٭ تلام بنسيان الاحبة والوطن

ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى (الذى له ملك السموات والارض) للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى (والله على كل شىء شهيد) وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التى من جملتها أعمال الفريقين يستدعى توفير جزاء كل منهما حتما (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أى محنوهم فى دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما أصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون فى الاخدود واما الذين بلوهم فى ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون فى جملتهم دخولا أوليا (ثم لم يتوبوا) أى عن كفرهم وفتنتهم فان ماذكر من الفتنة فى الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى (فلهم عذاب جهنم) جملة وقعت خبرا لان أو الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ولا ضير فى نسخه بان وان خالف الاخفش والمعنى لهم فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهى نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الاطلاق من المفتونين وغيرهم (لهم) بسبب ماذكر من الايمان والعمل الصالح (جنات تجرى من تحتها الانهار) ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة وقد مر بيانه مرارا (ذلك) اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بأن مدار الحكم عنوانها الذى يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه بأوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فاذا أشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها المذكور حتما واما الى مايفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم لها قطعا وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته فى الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده اى ذلك المذكور العظيم الشأن (الفوز الكبير) الذى تصغر عنده الدنيا ومافيها من فنون الرغائب بحذافيرها

والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى مصدر على حاله (ان بطش ربك لشديد) استئناف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم ايذانا بأن لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى «وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان أخذه أليم شديد» (انه هو يبدىء ويعيد) أى هو يبدىء الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد فى شىء منهما ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه أو هو يبدىء البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة (وهو الغفور) لمن تاب وآمن (الودود) المحب لمن أطاع (ذو العرش) خالقه وقيل المراد بالعرش الملك أى ذو السلطنة القاهرة وقرىء ذى العرش على أنه صفة ربك (المجيد) العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة كامل الحكمة وقرىء بالجر على أنه صفة لربك أو للعرش ومجده علوه وعظمته (فعال لما يريد) بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود) استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه الصلاة والسلام بالاشعار بأنه سيصيب قومه ما أصاب الجنود (فرعون وثمود) بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤن الله تعالى وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقوله تعالى (بل الذين كفروا فى تكذيب) اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم فى الكفر والطغيان كأنه قيل ليسوا مثلهم فى ذلك بل هم أشد منهم فى استحقاق العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الكريم أو قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة (والله من ورائهم محيط) تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط وقوله تعالى (بل هو قرآن مجيد) رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق أى ليس الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى وقرىء قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد (فى

لوح محفوظ) أى من التحريف ووصول الشياطين اليه وقرىء محفوظ بالرفع على أنه صفة قرآن وقرىء فى لوح وهو الهواء أى مافوق السماء السابعة الذى فيه اللوح *عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات*

(سورة الطارق مكية)

(وآيها سبع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء والطارق)الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع فى كل ماظهر بالليل كائنا ما كان ثم أشبع فى التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال:

طرق الخيال ولا كليلة مدلج ، سدكا بأرحلنا ولم يتعرج

والمراد ههنا الكوكب البادى بالليل اما على أنه اسم جنس أو كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح قوله تعالى (وما أدراك ما الطارق) تنويه بشأنه إثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على أن رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلابد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك خبر والثانية خبر والطارق مبتدأ أحسبها بين فى نظائره أى وأى شىء أعلمك ما الطارق وقوله تعالى (النجم الثاقب) خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله كانه قيل ماهو فقيل النجم المضىء فى الغاية كانه يثقب الظلام أو الافلاك بضوئه وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوأ ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفى ايراده من عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى أن ذلك الوصف غير كاشف عن كنه أمره وأن ذلك مما لا تبلغه أفكار الخلائق ثم فى تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شأنه واجلال محله ما لا يخفى وقوله تعالى (ان كل نفس لما عليها حافظ) جواب للقسم وما بينهما اعتراض جىء به

لما ذكر من تأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا أى ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله عز وجل كما فى قوله تعالى «وكان الله على كل شيء رقيبا» وقيل هو من يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى «وان عليكم لحافظين كراما» الآية وقوله تعالى «ويرسل عليكم حفظة» وقوله تعالى «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه» وقرىء لما مخففة على أن ان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة أى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ والفاء فى قوله تعالى (فلينظر الانسان مم خلق) للتنبيه على ان ما بين من أن كل نفس عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان أن يتفكر فى مبدأ فطرته حق التفكر حتى يتضح له أن من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على اعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى على حافظه ما يرديه وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كأنه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من الماءين فى الرحم كما ينبىء عنه قوله تعالى (يخرج من بين الصلب والترائب) أى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ أعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط فى الجماع الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة إلى الترائب وهما أقرب إلى أوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرىء الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة هى صالب (انه) الضمير للخالق تعالى فان قوله خلق يدل عليه أى ان ذلك الذى خلقه ابتداء مما ذكر (على رجعه) أى على اعادته بعد موته (لقادر) لبين القدرة (يوم تبلى السرائر) أى يتعرف ويتصفح ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وهو ظرف لرجعه (فما له) أى للانسان (من قوة) فى نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ينصره به (والسماء ذات الرجع) أى المطر سمى رجعا لما أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه إلى الارض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه أوبا أو لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا (والارض ذات الصدع) هو

ماتتصدع عنه الارض من النبات أو مصدر من المبنى للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء إلى أنهما فى أنفسهما من شواهده وهو السر فى التعبير بالصدع عنه وعن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواقع من التنزيل لا فى تشققها بالعيون (انه) أى القرآن الذى من جملته ماتلى من الآيات الناطقة بمبدأ حال الانسان ومعاده (لقول فصل) أى فاصل بين الحق والباطل مبالغ فى ذلك كأنه نفس الفصل (وماهو بالهزل) ليس فى شىء منه شائبة هزل بل كله جد محض لاهوادة فيه فمن حقه أن يهتدى به الغواة وتخضع له رقاب العتاة (انهم) أى أهل مكة (يكيدون) فى إبطال أمره واطفاء نوره (كيدا) حسبما تفى به قدرتهم (وأكيد كيدا) أى أقابلهم بكيد متين لايمكن رده حيث أستدرجهم من حيث لايعلمون (فمهل الكافرين) أى لاتشتغل بالانتقام منهم ولاتدع عليهم بالهلاك أو لاتستعجل به والفاء لترتيب مابعدها على ماقبلها فان الاخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدى لمكايدتهم قطعا وقوله تعالى (أمهلهم) بدل من مهل وقوله تعالى (رويدا) اما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف أى أمهلهم امهالا رويدا أى قريبا كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما أو قليلا كما قاله قتادة قال أبو عبيدة هو فى الاصل تصغير رود بالضم وأنشد

كأنه ثمل يمشى على رود

أى على مهل وقيل تصغير إرواد مصدر أرود بالترخيم وله فى الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو سار القوم رويدا أى متمهلين وفى ايراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على أحد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه مالا يخفى . وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات والله أعلم

(سورة الاعلى مكية)

(وآيها تسع عشرة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح اسم ربك الاعلى) أى نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة

وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لاعلى وجه الاعظام والاجلال. والأعلى اما صفة للرب وهو الاظهر أو للاسم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام «اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم» وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت (الذى خلق فسوى) صفة أخرى للرب على الوجه الاول ومنصوب على المدح على الثانى لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أى خلق كل شىء فسوى خلقه بان جعل له مابه يتأتى كماله ويتسنى معاشه وقوله تعالى (والذى قدر) اماصفة أخرى للرب كالموصول الاول أو معطوف عليه وكذا حال مابعده أى قدر أجناس الاشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها (فهدى) أى فوجه كل واحد منها الى مايصدر عنه وينبغى له طبعا أو اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ولو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت فى كل منها ماتحار فيه العقول يروى أن الافعى اذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها فى برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم فى بعض البساتين على شجرة الرازيانج لاتخطئها فتحك عينها بورقها وترجع باصرة باذن الله عز وجل ويروى أن التمساح لايكون له دبر وانما يخرج فضلات مايأكله من فمه حيث قيض الله له طائرا قدر غذاؤه من ذلك فاذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وأمافنون هداياته سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لاسيما من حيث الانسانية فمما لايحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير (والذى أخرج المرعى) أى أنبت مايرعاه الدواب غضا طريا يرف (فجعله) بعد ذلك (غثاء أحوى) أى دريناأسود وقيل أحوى حال من المرعى أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم إثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهى هدايته عليه الصلاة والسلام لتلقى الوحى وحفظ القرآن الذى هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه الصلاة والسلام لهداية الناس أجمعين والسين إما للتأكيد وإما لان المراد اقراء ما أوحى الله اليه حينئذ وما سيوحى اليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحى فى ضمن الوعد بالاقراء أى سنقرئك

مانوحي إليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بالهام القراءة فلا تنسى أصلا من قوة الحفظ والاتقان مع أنك أمي لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك آية أخرى لك مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الاعجاز ومن حيث الاخبار بالمغيبات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى «فأضلونا السبيلا» وقوله تعالى (الا ماشاء الله) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الاشياء الا ماشاء الله أن تنساه أبدا بأن نسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال عليه الصلاة والسلام «نسيتها» وقيل نفي النسيان رأسا فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ النسيان بالكلية اذ هو المنفي رأسا الا ماقد ينسى ثم يذكر (انه يعلم الجهر وما يخفى) تعليل لما قبله أي يعلم ماظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ماأوحي اليك فينسى مايشاء انساءه ويبقي محفوظا مايشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم (ونيسرك لليسرى) عطف على نقرؤك كما ينبىء عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه الصلاة والسلام مع أن الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى «ويسر لي أمري» للايذان بقوة تمكينه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة لذاته عليه الصلاة والسلام جبل عليها كما في قوله عليه الصلاة والسلام «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» أي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه الصلاة والسلام وتكميل غيره كما تفصح عنه الفاء في قوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى) أي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استتب لك الامر كما قيل وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يخص التذكير بموارد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلا أو بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على

قلوبهم كما في قوله تعالى «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» وقوله تعالى «فأعرض عمن تولى عن ذكرنا» وقيل هو ذم للمذكرين واخبار عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول أنسب لقوله تعالى (سيذكر من يخشى) أي سيتذكر بتذكيرك من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في أمر ما تذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل ان بمعنى إذ كما في قوله تعالى «وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين» أي اذ كنتم وقيل هي بمعنى ما أي فذكر ما نفعت الذكرى فانها لا تخلو عن نفع بكل حال وقيل هنالك محذوف والتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى «سرابيل تقيكم الحر» قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي (ويتجنبها) أي الذكرى (الاشقى) من الكفرة لتوغله في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن أبي ربيعة (الذي يصلى النار الكبرى) أي الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه الصلاة والسلام «ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم» (ثم لا يموت فيها) حتى يستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة أفظع من المصلي (قد أفلح) أي نجا من المكروه وظفر بما يرجوه (من تزكى) أي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الاخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره (وذكر اسم ربه) بقلبه ولسانه (فصلى) أقام الصلوات الخمس كقوله أقم الصلاة لذكرى أو كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى أي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه أي كبره يوم العيد فصلى أي صلاته (بل تؤثرون الحياة الدنيا) اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كأنه قيل إثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى «ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها» الآية أو للكل فالمراد بايثارها ما هو أعم مما ذكر ومالا يخلو عنه الانسان غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني

كذلك فى حق الكفرة وتشديد العتاب فى حق المسلمين وقرىء يؤثرون بالياء وقوله تعالى (والآخرة خير وأبقى) حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أى تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير فى نفسها لما ان نعيمها مع كونه فى غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لاانصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره (ان هذا) اشارة الى ماذكر من قوله تعالى «قد أفلح من تزكى» وقيل الى ما فى السورة جميعا (لفى الصحف الاولى) أى ثابت فيها معناه (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف الاولى وفى ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شأنها مالا يخفى روى أن جميع ماأنزل الله عز وجل من كتاب مائة وأربع كتب أنزل على آدم عليه الصلاة والسلام عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزبور والفرقان . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام *

(سورة الغاشية مكية وآيها ست وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هل أتاك حديث الغاشية) قيل هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى « هل أتى على الانسان » الآية قال قطرب أى قد جاءك يامحمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما فى حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التى حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس فى تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التى تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهى القيامة من قوله تعالى «يوم يغشاهم العذاب» الخ وقيل هى النار من قوله تعالى «وتغشى وجوههم النار» وقوله تعالى «ومن فوقهم غواش» والاول هو الحق فان مايروى من حديثها ليس مختصا بالنار وأهلها بل ناطق باحوال أهل الجنة أيضا وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) الى قوله تعالى «مبثوثة» استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقى كانه قيل من جهته عليه الصلاة والسلام «ماأتانى حديثها فما هو» فقيل وجوه يومئذ أى يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن أتاه عليه الصلاة والسلام حديثها

فأخبره عليه الصلاة والسلام عنها فقال وجوه الخ فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لانها فى موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى (عاملة ناصبة) خبران آخران لوجوه اذ المراد بها أصحابها أى تعمل أعمالا شاقة تتعب فيها وهى جر السلاسل والاغلال والخوض فى النار خوض الابل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلال النار ووهادها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها فهى يومئذ فى نصب منها وقيل عملت ونصبت فى أعمال لا تجدى عليها فى الآخرة وقوله تعالى (تصلى) أى تدخل (نارا حامية) أى متناهية فى الحر خبر آخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب فى أن صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب أمور متساوية فى الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز أن يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل أحوالها (تسقى من عين آنية) أى متناهية فى الحر كما فى قوله تعالى وبين حميم آن (ليس لهم طعام الا من ضريع) بيان لطعامهم إثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل مادام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هى شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمى بذلك وهذا طعام لبعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين (لا يسمن ولا يغنى من جوع) أى ليس من شأنه الاسمان والاشباع كما هو شأن طعام الدنيا وانما هو شىء يضطرون الى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعدادا للشبع والسمن الا أنه لا يفيدهم شيئا منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك أن جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما فى هذه النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الأكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما فى المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار فى أحشائهم الى ادخال شىء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما أن يكون لهم شوق الى مطعوم ما أو التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه فى بطونهم الى شىء مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشربه أو استفادة قوة به فى الجملة وهو المعنى بما روى

أنه تعالى سلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى أكل الضريع فاذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أى لايغنى من جوع ما وتأخير نفى الاغناء منه لمراعاة الفواصل والتوسل به الى التصريح بنفى كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفى الاسمان ضرورة استلزام نفى الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتأكيد النفى وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة) شروع فى رواية حديث أهل الجنة وتقديم حكاية حال أهل النار لأنه أدخل فى تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال أهل الجنة بعد حكاية سوء حال أهل النار مما يزيد المحكى حسنا وبهجة والكلام فى اعراب الجملة كالذى مر فى نظيرتها واعالم تعطف عليها ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى «تعرف فى وجوههم نضرة النعيم» أو متنعمة (لسعيها راضية) أى لعملها الذى عملته فى الدنيا حيث شاهدت ثمرته (فى جنة عالية) مرتفعة المحل أو علية المقدار (لاتسمع) أى أنت أو الوجوه (فيها لاغية) لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو فان كلام أهل الجنة كله أذكار وحكم وقرىء لاتسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية (فيها عين جارية) أى عيون كثيرة تجرى مياهها كقوله تعالى «علمت نفس» (فيها سرر مرفوعة) رفيعة السمك أو المقدار (وأكواب) جمع كوب وهو إناء لاعروة له (موضوعة) أى بين أيديهم (ونمارق) وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم (مصفوفة) بعضها الى بعض (وزوابى) أى بسط فاخرة جمع زربية (مبثوثة) أى مبسوطة (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) استئناف مسوق لتقرير مافصل من حديث الغاشية وماهو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بمالا يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة بما بعدها كما فى قوله تعالى «كيف تكفرون بالله» معلقة لفعل النظر والجملة فى حيز الجر على أنها بدل اشتمال من الابل أى أينكرون ماذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التى هى نصب أعينهم يستعملونها كل حين الى أنها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات فى عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة بتأتى مايصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش حتى أن أظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها لكل مايتيسر من شوك

وشجر وغير ذلك مما لايكاد يرعاه سائر البهائم وفى انقيادها مع ذلك للانسان فى الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها فى ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير (والى السماء) التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار (كيف رفعت) رفعا سحيق المدى بلا عماد ولا إمساك بحيث لاينا له الفهم والادراك (والى الجبال) التي ينزلون فى أقطارها وينتفعون بمياهها وأشجارها (كيف نصبت) نصبا رصينا فهى راسخة لاتميل ولا تميد (والى الارض) التى يضربون فيها ويتقلبون عليها (كيف سطحت) سطحا بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق وقرىء سطحت مشددا وقرئت الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء فى قوله تعالى (فذكر) لترتيب الامر بالتذكير على ماينبىء عنه الانكار السابق من عدم النظر أى فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لاينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى (انما أنت مذكر) تعليل للامر وقوله تعالى (لست عليهم بمصيطر) تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار أى لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ماتريد كقوله تعالى «وما أنت عليهم بجبار» وقرىء بالسين على الاصل وبالاشمام وقرىء بفتح الطاء قيل هى فى لغة بنى تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى (الامن تولى وكفر) استثناء منقطع أى لكن من تولى منهم فان لله تعالى الولاية والقهر (فيعذبه الله العذاب الاكبر) الذى هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله تعالى «فذكر» أى فذكر الامن انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول أنه قرىء ألا على التنبيه وقوله تعالى (إن الينا إيابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر أى إن الينا رجوعهم بالموت والبعث لاالى أحد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرىء إيابهم على أنه فيعال مصدر فيعل من الاياب أو فعال من أوب كقصار من قصر ثم قيل إيوابا كديوان فى دوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى فى الثانية (ثم إن علينا حسابهم) فى المحشر لاعلى غيرنا وثم للتراخى فى الرتبة لا فى الزمان فان الترتب الزمانى بين ايابهم وحسابهم لابين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وفى تصدير الجملتين بإن وتقديم خبرهما وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة

الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب مالا يخفى * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية يحاسبه الله تعالى حسابا يسيرا

(سورة الفجر مكية)

(وآيها تسع وعشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلاته (وليال عشر) هن عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة أو النحر أو العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرىء وليال عشر بالاضافة على أن المراد بالعشر الايام (والشفع والوتر) أى الاشياء كلها شفعها ووترها أو شفع هذه الليالى ووترها وقد روى أن النبي عليه الصلاة والسلام فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقرىء بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح فى العدد وبالكسر فى الذحل وقرىء والوتر بفتح الواو وكسر التاء (والليل اذا يسر) أى يمضى كقوله تعالى «والليل اذا أدبر والليل اذا عسعس» والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة أو يسرى فيه من قولهم صلى المقام أى صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرىء باثباتها على الاطلاق وبحذفها فى الوقف خاصة وقرىء يسر بالتنوين كما قرىء والفجر والوتر وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق (هل فى ذلك قسم) الخ تحقيق وتقرير لفخامة شأن المقسم بها وكونها أمورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند أرباب العقول وتنبيه على أن الاقسام بها أمر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى «وانه لقسم لو تعلمون عظيم» وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتأويل ما ذكر كما مر تحقيقه أو الى الاقسام بها وأيا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته فى الشرف والفضل أى هل فيما ذكر من الاشياء قسم أى مقسم به (لذى حجر) يراه حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق أن الكل كذلك وانما أوثرت هذه الطريقة هضما للخلق وايذانا بظهور الامر أو هل فى اقسامى بتلك الاشياء اقسام لذى حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه أى يمنعه من التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة أيضا من الاحصاء وهو الضبط

قال الفراء يقال انه لذو حجر إذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبىء عنه قوله تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد) الخ فانه استشهاد بعلمه عليه الصلاة والسلام بما يدل عليه من تعذيب عاد وأضرابهم المشركين لقومه عليه الصلاة والسلام فى الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى « الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه » الآية وقوله تعالى « الم تر أنهم فى كل واد يهيمون » كأنه قيل ألم تعلم علما يقينيا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب هؤلاء أيضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصى والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمى بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الآخرة قال عماد الدين بن كثير كل ماورد فى القرآن خبر عاد الاولى الاما فى سورة الاحقاف وقوله تعالى (إرم) عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف أى سبط ارم أو أهل إرم على ماقيل من أن ارم اسم بلدتهم أو أرضهم التى كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وأياما كان فامتناع صرفها للتعريف والتأنيث وقرىء ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرىء بورقكم (ذات العماد) صفة لارم أى ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل عمد وعمدان اذا كان طويلا أو ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد أو ذات البناء الرفيع أو ذات الاساطين على أن ارم اسم بلدتهم وقرىء ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم أى بعاد أهل أعلام ذات العماد على أنها اسم بلدتهم وقرىء ارم ذات العماد أى جعلها الله تعالى رميما بدل من فعل ربك وقيل هى جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروى أنه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت الى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) صفة اخرى لارم أى لم يخلق مثلهم فى

عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم أو لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرىء لم يخلق على اسناده الى الله تعالى (وثمود) عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد (الذين جابوا الصخر بالواد) أي قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة (وفرعون ذي الاوتاد) وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم أو لتعذيبه بالاوتاد (الذين طغوا في البلاد) إما مجرور على أنه صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم أي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى (فأكثروا فيها الفساد) أي بالكفر وسائر المعاصي (فصب عليهم ربك) أي أنزل انزالا شديدا على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب مافعلته من الطغيان والفساد (سوط عذاب) أي عذاب شديد لايدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ماأعد لهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه فانه عبارة عن اراقة شيء مائع أو جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع أنه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فالمعنى ماخلط لهم من أنواع العذاب وقد فسر بالتصبب وبالشدة أيضا لان السوط يطلق على كل منهما لغة فلا حاجة حينئذ في تشبيهه بالمصبوب الى اعتبار تكرر تعلقه بالمعذب كما في المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعاني مما يقبل الاستمرار في نفسه وقوله تعالى (ان ربك لبالمرصاد) تعليل لماقبله وايذان بأن كفار قومه عليه الصلاة والسلام سيصيبهم مثل ماأصاب المذكورين من العذاب كما ينبىء عنه التعرض بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وقيل هو جواب القسم ومابينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وأنهم لايفوتونه وقوله تعالى (فأما الانسان) الخ متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده

ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فأما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح أنظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها (اذا ما ابتلاه ربه) أي عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى (فاكرمه ونعمه) تفسيرية فان الاكرام والتنعيم من الابتلاء (فيقول ربي أكرمن) أي فضلني بما أعطاني من المال والجاه حسبما كنت أستحقه ولا يخطر بباله أنه فضل تفضل به عليه ليبلوه ليشكر أم يكفر وهو خبر للمبتدا الذي هو الانسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي أكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من أول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي (وأما اذا ما ابتلاه) أي وأما هو اذا ما ابتلاه ربه (فقدر عليه رزقه) حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة (فيقول ربي أهانن) ولا يخطر بباله أن ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس من الاهانة في شيء بل التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ أكرمني وأهانني باثبات الياء وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف (كلا) ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم أبتله بالغنى لكرامته علي ولم أبتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) انتقال من بيان سوء أقواله الى بيان سوء أفعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيداً للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس أي بل لكم أحوال أشد شرا مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون (ولا تحاضون) بحذف احدى التاءين من تتحاضون أي لا يحض بعضكم بعضا (على طعام المسكين) أي على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالياء والتاء (وتأكلون التراث) أي الميراث وأصله وراث (أكلا لما) أي ذا لم أي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك (وتحبون المال حبا جما) كثيرا مع حرص وشره وقرئ يحبون بالياء (كلا) ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى (اذا دكت الارض دكا دكا) الخ استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع أي اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط

والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت كالصخرة الملساء وأياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية (وجاء ربك) أى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من أحكام هيبته وسياسته وقيل جاء أمره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل (والملك صفا صفا) أى مصطفين أو ذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن بالانس (وجيء يومئذ بجهنم) كقوله تعالى « وبرزت الجحيم » قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بسبعين ألف زمام كل زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا (يومئذ) بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى (يتذكر الانسان) أى يتذكر مافرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الاعمال تتجسم فى النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة أو يتعظ وقوله تعالى (وأنى له الذكرى) اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس يتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه فى أوانه وأنى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما تعلق به الخبر أى من أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك مضاف محذوف أى وأنى له منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة فى دار التكليف مما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة فى شيء فانه عالم بانها انما تكون فى الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى (يقول ياليتنى قدمت لحياتى) وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول ياليتنى عملت لاجل حياتى هذه أو وقت حياتى فى الدنيا أعمالا صالحة أنتفع بها اليوم وليس فى هذا التمنى شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذى يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة وأما ان ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا وأما ماقيل من أن المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم أن من صرف قدرته الى أحد طرفى الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته الى أى طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة (فيومئذ) أى يوم اذ يكون ماذكر من الاحوال والاقوال (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الهاء لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه أحد سواه إذ الامر كله له أو للانسان أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرىء

الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان أيضا وقيل المراد به أبي بن خلف أى لايعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه فى الكفر والعناد وقيل لايحمل عذاب الانسان أحد كقوله تعالى «ولا تزر وازرة وزر أخرى» وقوله تعالى (ياأيتها النفس المطمئنة) حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله عز وجل وطاعته إثر حكاية أحوال من اطمأن بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى فى معارج الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى بها فى وجودها وسائر شئونها عن غيره بالكلية وقيل هى النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى ثلج اليقين بحيث لايخالجها شك ما وقيل هى الآمنة التى لايستفزها خوف ولاحزن ويؤيده أنه قرىء ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة أى يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى عليه السلام أو على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت (ارجعى الى ربك) أى الى موعده أو الى أمره (راضية) بما أوتيت من النعيم المقيم (مرضية) عند الله عز وجل (فادخلى فى عبادى) فى زمرة عبادى الصالحين المختصين بى (وادخلى جنتى) معهم أو انتظمى فى سلك المقربين واستضيئى بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلى أجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى وهذا يؤيد كون الخطاب عند البعث وقرىء فادخلى فى عبدى وقرىء فى جسد عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى رضى الله عنهما والظاهر العموم « عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة »

(سورة البلد مكية وآيها عشرون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لاأقسم بهذا البلد) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على أن الانسان خلق مغمورا بمقاساة الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى (وأنت حل بهذا البلد) إما لتشريفه عليه الصلاة والسلام بجعل حلوله به مناطا لاعظامه بالاقسام أو للتنبيه من أول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان أنه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه فى هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لاخير

فيه وهموا بما لم ينالوا .عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك أو لتسليته عليه الصلاة والسلام بالوعد بفتحه على معنى وأنت حل به فى المستقبل كما فى قوله تعالى «انك ميت وانهم ميتون» تصنع فيه ماتريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث أحل له عليه الصلاة والسلام مكة وفتحها عليه وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل عليه الصلاة والسلام فيها ما شاء وحرم ما شاء .قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ثم قال «ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه الصلاة والسلام الا الاذخر» (ووالد) عطف على هذا البلد والمراد به ابراهيم وبقوله تعالى (وما ولد) اسمعيل والنبى صلوات الله عليهم أجمعين حسبما ينبىء عنه المعطوف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم الصلاة والسلام والتعبير عنهما بما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم بعنوان الولاد ترشيح لمضمون الجواب وايماء الى أنه متحقق فى حالتى الوالدية والولدية وقيل آدم عليه السلام ونسله وهو أنسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا أن التفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده (لقد خلقنا الانسان فى كبد) أى تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسى فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده وأصله كبده اذا أصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل فى كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير فى قوله تعالى (أيحسب) لبعضهم الذى كان عليه الصلاة والسلام يكابد منهم ما يكابد كالوليد ابن المغيرة واضرابه وقيل هو أبو الاشد بن كلدة الجمحى وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فيجذبه عشرة فيتقطع قطعا ولا تزل قدماه أى أيظن هذا القوى المارد المتضعف للمؤمنين (أن لن يقدر عليه أحد) أن مخففة من أن واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف أى أيحسب أنه لن يقدر على الانتقام منه أحد (يقول أهلكت مالا لبدا) يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل

الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرهما (وهديناه النجدين) أى طريقى الخير والشر أو الثديين وأصل النجد المكان المرتفع (فلا اقتحم العقبة) أى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التى هى الطريق فى الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى (وما أدراك ما العقبة) أى أى شىء أعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة (فك رقبة) أى هو اعتاق رقبة (أو اطعام فى يوم ذى مسغبة) أى مجاعة (يتيما ذا مقربة) أى قرابة (أو مسكينا ذا متربة) أى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضى فانها لا تكاد تقع الا مكررة إذ المعنى فلا فك رقبة ولا أطعم يتيما أو مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب إذا جاع وقرب من النسب وترب إذا افتقر وقرىء فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم (ثم كان من الذين آمنوا) عطف على المنفى بلا وثم للدلالة على تراخى رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الأعمال الصالحة به (وتواصوا بالصبر) عطف على آمنوا أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله (وتواصوا بالمرحمة) بالرحمة على عباده أو بموجبات رحمته من الخيرات (اولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد درجتهم فى الشرف والفضل أى اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة (أصحاب الميمنة) أى اليمين أو اليمن (والذين كفروا بآياتنا) بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن (هم أصحاب المشأمة) أى الشمال أو الشؤم (عليهم نار مؤصدة) مطبقة من آصدت الباب إذا أطبقته وأغلقته وقرىء موصدة بغير همزة من أوصدته عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله تعالى الأمان من غضبه يوم القيامة

سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(والشمس وضحاها) أى ضوئها إذا أشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتد النهار وكاد ينتصف (والقمر

اذا تلاها) بأن طلع بعد غروبها وقيل إذا تلاطلوعه طلوعها وقيل إذا تلاها في الاستدارة وكمال النور (والنهار إذا جلاها) أي جلى الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكأنه جلاها مع أنها التي تبسطه أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها (والليل إذا يغشاها) أي الشمس فيغطي ضوءها أو الآفاق أو الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك أقسم بالله حقق أن يعملان عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا (والسماء وما بناها) أي ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كأنه قيل والقادر العظيم الشأن الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى (والارض وما طحاها) أي بسطها من كل جانب كدحاها (ونفس وما سواها) أي أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام أو للتكثير وهو الانسب للجواب (فألهمها فجورها وتقواها) أي أفهمها اياهما وعرفها حالها من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل (قد أفلح من زكاها) أي فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنماها وأعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى (وقد خاب من دساها) لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به أيضا اصالة أي خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وأصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى «فألهمها فجورها وتقواها» بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تعالى (كذبت ثمود بطغواها) عليه كأنه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى «وقد خاب من دساها» والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية أي فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجراءته على الله تعالى أو صلة للتكذيب أي كذبت بما أوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى «فأهلكوا بالطاغية» وقرىء بطغواها بضم الطاء وهو أيضا مصدر كالرجعى (اذانبعث أشقاها) منصوب بكذبت أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان أفعل التفضيل اذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضا به (فقال لهم) أي لثمود (رسول الله) أي صالح عليه

السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم فى الطغيان وهو السر فى اضافة الناقة الى الله تعالى فى قوله تعالى (ناقة الله) أى ذروا ناقة الله (وسقياها) ولا تذودوها عنها فى نوبتها (فكذبوه) أى فى وعيده بقوله تعالى «ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم» وقد جوز أن يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها (فعقروها) أى الاشقى والجمع على تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان أفضل الناس (فدمدم عليهم ربهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسبب ذنبهم المحكى والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للانذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب (فسواها) أى الدمدمة بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالارض أو سواها فى الاهلاك (ولا يخاف عقباها) أى عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقى بعض الابقاء وذلك أنه تعالى لا يفعل فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شأنه الخوف والواو للحال أو للاستئناف وقرىء فلا يخاف وقرىء ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

(سورة الليل مكية)

وآيها احدى وعشرون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والليل اذا يغشى) أى حين يغشى الشمس كقوله تعالى «والليل اذا يغشاها» أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس (وما خلق الذكر والانثى) أى والقادر العظيم القدرة الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل ماله توالد وقيل هما آدم وحواء وقرىء والذكر والانثى وقرىء والذى خلق الذكر والانثى وقيل ما مصدرية (ان سعيكم لشتى) جواب القسم وشتى جمع شتيت أى ان مساعيكم لأشتات مختلفة وقوله تعالى (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى) الخ تفصيل لتلك المساعى المشتتة وتبيين لاحكامها أى فأما من أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله تعالى التى نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهى الايمان أو بالكلمة الحسنى وهي ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى

الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب اذا أسرجها وألجمها (وأما من بخل) أي بماله فلم يبذله في سبيل الخير (واستغنى) أي زهد فيما عنده تعالى كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة (وكذب بالحسنى) أي ماذكر من المعاني المتلازمة (فسنيسره للعسرى) أي للخصلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين بالاعطاء والبخل مع أن كلا منهما أدنى رتبة مما بعدها في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للايذان بأن كلا منهما أصل فيما ذكر لاتتمة لما بعدها من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الاول باعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى (ومايغني عنه) اى ولا يغني أوأي شيء يغني عنه (ماله) الذي يبخل به (اذا تردى) أي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك أو تردى في الحفرة اذا قبر أو تردى في قعر جهنم (ان علينا للهدى) استئناف مقرر لما قبله أي إن علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى ومايؤدي اليه من طريق الضلال و مايؤدي اليه وقد فعلنا ذلك بما لامزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين أن الهداية هي الدلالة على مايوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة اليها قطعا (وان لنا للآخرة والاولى) أي التصرف الكلي فيهما كيفما نشاء فنفعل فيهما مانشاء من الافعال التي من جملتها ماوعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل ان لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا تركم الاهتداء بهدانا (فأنذرتكم نارا تلظى) بحذف احدى التاءين من تتلظى أي تتلهب وقرىء على الاصل (لا يصلاها) صليا لازما (الا الاشقى) الا الكافر فان الفاسق لا يصلاها صليا لازما وقد صرح به قوله تعالى (الذي كذب وتولى) أي كذب بالحق وأعرض عن الطاعة (وسيجنبها) أي سيبعد عنها (الأتقى) البالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها أو صليها الابدي وأما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق (الذي يؤتي ماله) يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى (يتزكى) اما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لامحل له أو في حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتي أي يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة (ومالأحد عنده من نعمة تجزى) استئناف مقرر لكون

إيتائه للتزكى خالصا لوجه الله تعالى اى ليس لاحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بايتاء مايؤتى مجازاتها وقوله تعالى (الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) استثناء منقطع من نعمة وقرىء بالرفع على البدل من محل نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولا له لان المعنى لايؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت فى حق أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى أبو جهل أو أمية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فمر به النبى عليه الصلاة والسلام فقال أحد يعنى الله تعالى ينجيك ثم قال لابى بكر رضى الله عنه ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده عليه الصلاة والسلام فانصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى به الى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى (ولسوف يرضى) جواب قسم مضمر أى وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه واجملها اذ به يتحقق الرضا وقرىء يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر ء

(سورة والضحى مكية)

وآيها احدى عشرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالاقسام به لأنها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى «وأن يحشر الناس ضحى» وقيل أريد به النهار كما فى قوله تعالى «أن يأتيهم بأسنا ضحى» فى مقابلة بياتا (والليل) أى جنس الليل (إذا سجى) أى سكن أهله أو ركد ظلامه من سجا البحر سجوا إذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى (ما ودعك ربك) جواب القسم أى ما قطعك قطع المودع وقرىء بالتخفيف أى ما تركك (وما قلى) أى وما أبغضك وحذف المفعول إما للاستغناء عنه بذكره من

قبل أو للقصد الى نفي صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع أن فيه مراعاة للفواصل روى أن الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف أو لزجره سائلا ملحا فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له عليه الصلاة والسلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به ايراد اسم الرب المنبىء عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام وحيث تضمن ماسبق من نفى التوديع والقلى أنه تعالى يواصله بالوحي والكرامة فى الدنيا بشره عليه الصلاة والسلام بأنه ما سيؤتيه فى الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل (وللآخرة خير لك من الاولى) لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أوتى عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل ولكنه يخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الاحكام مع أنه عند ما أعد له عليه الصلاة والسلام فى الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة أمره عليه الصلاة والسلام أى لنهاية أمرك خير من بدايته لا تزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة فى عصره عليه الصلاة والسلام وفى أيام خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضى الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه الصلاة والسلام «فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك» واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هى للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التأكيد قد استثنى النحاة منها صورتين احداهما أن يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية وكقوله والله لسأعطيك والثانية أن يفصل بينها بمعمول الفعل كقوله تعالى «لالى الله تحشرون» وقال أبو على الفارسي ليست هذه اللام هى التى فى قولك ان زيدا لقائم

بل هي التي في قولك لأقومن ونابت سوف عن احدى نوني التأكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى « وللآخرة » الخ وقوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) تعديد لما أفاض عليه عليه الصلاة والسلام من أول أمره الى ذلك الوقت من فنون النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار النفي وتقرير المنفي على أبلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روى أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فاحسن تربيته وذلك إيواؤه وقرىء فأوى وهو امامن أواه بمعنى آواه أو من أوى له إذا رحمه وقوله تعالى (ووجدك ضالا) عطف على مايقتضيه الانكار السابق كما أشير اليه أو على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه كأنه قيل أما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا عن الشرائع التي لاتهتدي اليها العقول كما في قوله تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب » وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة أخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبدالمطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يامعشر الناس لاتضجوا فان لمحمد ربا لايخذله ولا يضيعه وإن محمداً بوادي تهامة عند شجر السمر فسار عبدالمطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي عليه الصلاة والسلام قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل أضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبدالمطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به أبو طالب يروى أن ابليس أخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الهند ورده الى القافلة (فهدى) فهداك الى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ماأوحي اليك من الكتاب المبين وعلمك مالم تكن تعلم أو أزال ضلالك عن جدك أو عمك (ووجدك عائلا) أي فقيراً وقرىء عيلا وقرىء عديما (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بمال حصل لك من ربح التجارة أو بما أفاء عليك من الغنائم ثم قال عليه الصلاة والسلام «جعل رزقي تحت ظل رمحي» وقيل أقنعك وأغنى قلبك (فأما اليتيم فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لاتحتقر وقرىء فلا تكهر أي فلا تعبس في وجهه (وأما السائل فلا تنهر) فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً جميلا قال ابراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريد

الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول أتبعثون الى أهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذى يسأل عن الدين (وأما بنعمة ربك فحدث) بشكرها واشاعتها و إظهار آثارها وأحكامها أريد بها ماأفاضه الله تعالى عليه عليه الصلاة والسلام من فنون النعم التى من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى إنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله تعالى وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تعالى عليك فى هذه الثلاث واقتد بالله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته عليه الصلاة والسلام للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل :

(سورة ألم نشرح مكية وآيها ثمان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) لما كان الصدر محلا لأحوال النفس ومخزنا لسرائرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية أى ألم نفسحه حتى حوى عالمى الغيب والشهادة وجمع بين ملكتى الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وماعاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤون الحق وقيل أريد به ماروى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه أو يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر أو أنموذج جسمانى مما سيظهر له عليه الصلاة والسلام من الكمال الروحانى والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكارى عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل ومفعوله للايذان من أول الامر بان الشرح من منافعه عليه الصلاة والسلام ومصالحه مسارعة الى أدخال المسرة فى قلبه عليه الصلاة والسلام وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) عطف على ما أشير اليه من مدلول الجملة

السابقة كأنه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما أن في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل لتجاوب أطراف النظم الكريم أي حططنا عنك عبأك الثقيل (الذي أنقض ظهرك) أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل. مثل به حاله عليه الصلاة والسلام ما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع أو من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك (ورفعنا لك ذكرك) بعنوان النبوة وأحكامها أي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمي رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى (فان مع العسر يسرا) تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين كأنه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه (فان مع العسر يسرا) كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر (إن مع العسر يسرا) تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحة إن للصائم فرحة أي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه الصلاة والسلام «لن يغلب عسر يسرين» فان المعرف إذا أعيد يكون الثاني عين الأول سواء كان معهودا أو جنسا وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالأول (فاذا فرغت) أي من التبليغ وقيل من الغزو (فانصب) فاجتهد في العبادة واتعب شكرا لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وقيل إذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك (وإلى ربك) وحده (فارغب) بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على إسعافك لا غيره وقرئ فرغب أي فرغب الناس إلى طلب ما عنده. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني.

سورة والتين مكية وقيل مدنية وآيها ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

(والتين والزيتون) هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالأقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى أبو ذر رضي الله عنه أنه أهدى للنبي عليه الصلاة والسلام سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه «كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس» وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج. وأما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل. ومر معاذ بن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول «نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة» وسمعته يقول «هو سواكي وسواك الانبياء قبلي» وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لأنهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد أصحاب أهل الكهف والزيتون مسجد إيليا وعن ابن عباس رضي الله عنهما التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطاء وجابر وزيد ومقاتل والكلبي (وطور سينين) هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسينا علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك أضيف اليهما وسينون كبيرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية (وهذا البلد الأمين) أي

الآمن من أمن الرجل امانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالآمن في قوله تعالى «حرما آمنا» بمعنى ذي أمن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح والتبيين (لقد خلقنا الانسان) أي جنس الانسان (في أحسن تقويم) أي كائنا في أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي أنموذجات من الصفات السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف تستعمله كيفما شاءت فاذا أرادت فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقيه الى ما في القلب من الروح الحيواني الذي هو أعدل الارواح وأصفاها وأقربها منها وأقواها مناسبة إلى عالم المجردات القاه روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مباديه البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وأفعالها تسنى له أن يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على أنه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم أو خارجا عنه يفعل فيه مايشاء ويحكم مايريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة للعالم الاكبر وأنموذج منه وقوله تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) أي جعلناه من أهل النار الذين هم أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ماخلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى عليين وقيل رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى «ومن نعمره ننكسه في الخلق» وأياما كان فاسفل سافلين اما حال من المفعول أي رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أي رددناه مكانا أسفل سافلين والاول أظهر وقرئ أسفل السافلين وقوله تعالى (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع أي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى (فلهم أجر غير

ممنون) غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم أو غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب فى قوله تعالى (فما يكذبك بعد بالدين) للرسول عليه الصلاة والسلام أى فأى شيء يكذبك دلالة أو نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لتشديد التوبيخ والتبكيت أى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذه الدلائل والمعنى أن خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من أوضح الدلائل على قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاى شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى أن تكون كاذبا بسبب تكذيبه أيها الانسان (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى أليس الذى فعل ما ذكر بأحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه أحكم الحاكمين تعين الاعادة والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهى وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب .عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والتين أعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين مادام فى دار الدنيا واذا مات أعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة.

(سورة العلق مكية)

(وآيها تسع عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

(اقرأ) أى ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضى المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك مايتصل بالامر حتما سواء كانت السورة أول مانزل أولا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى مالم يعلم أول مانزل عليه عليه الصلاة والسلام كما ينطق به حديث الزهرى المشهور وقوله تعالى (باسم ربك) متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أى اقرأ ملتبسا باسمه تعالى أى مبتدئا به لتتحقق مقارنته لجميع أجزاء المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه عليه السلام الى الغاية القاصية

من الكمالات البشرية بانزال الوحى المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى (الذى خلق) لتذكير أول النعماء الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى والتنبيه على أن من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحى العالم المتكلم أى الذى أنشأ الخلق واستأثر به أو خلق كل شئ وقوله تعالى (خلق الانسان) على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثانى افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه اذ هو أشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الاول أيضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم التفسير رو ما لتفخيم فطرته وقوله تعالى (من علق) أى دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على أن الانسان فى معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر فى تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان أول النعم الفائضة عليه عليه الصلاة والسلام منه تعالى وأقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى (اقرأ) أى افعل ما أمرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى (وربك الاكرم) الخ فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله عليه السلام «ما أنا بقارئ» يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أمى فقيل له وربك الذى أمرك بالقراءة مبتدئا باسمه هو الاكرم (الذى علم بالقلم) أى علم ما علم بوساطة القلم لاغيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى (علم الانسان ما لم يعلم) بدل اشتمال من علم بالقلم أى علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية مالم يخطر بباله وفى حذف المفعول أولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم مالا تحيط به العقول مالا يخفى (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه وان لم يسبق ذكره للمبالغة فى الزجر وقوله تعالى (ان الانسان ليطغى) أى ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذا الى آخر السورة نزل فى أبى جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى (ان رآه استغنى) مفعول له أى

يطغى لان رأى نفسه مستغنيا على أن استغنى مفعول ثان لرأى لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميرى واحد كما فى علمتنى وان جوزه بعضهم فى الرؤية البصرية أيضا وجعل من ذلك قول عائشة رضى الله عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومالنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبىء عنه قوله تعالى «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض» للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى (ان الى ربك الرجعى) تهديد للطاغى وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد فى التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار والمجرور عليه لقصره عليه أى ان الى مالك أمرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى (أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بأنها من الشناعة والغرابة بحيث يجب أن يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضى منها العجب روى أن أبا جهل قال فى ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى لاطأن عنقه فرآه عليه السلام فى الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك قال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه عليه السلام واستعظام النهى وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما مافى قوله تعالى (أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى) ومافى قوله تعالى (أرأيت ان كذب وتولى) فقلبية معناه أخبرنى فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن المرئى أجرى الاستفهام عنها الاستخبار عن مجرى متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر والتكذيب والتولى فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس فى حيز التردد أصلا بل باعتبار أوصافها التى هى كونها أمرا بالتقوى وتكذيبا وتوليا كما فى قوله تعالى «قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به» كما مر والمفعول الاول لأرأيت محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول أو اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثانى سد مسده الجملة الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثانى لأرأيت لايكون الاجملة استفهامية أو قسمية والمعنى

أخبرنى ذلك الناهى ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده أو مكذبا للحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن (ألم يعلم بان الله يرى) أى يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما أفرد التكذيب والتولى بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما فى سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما بالوقوع فى نفس الامر وباستتباع الوعيد الذى ينطق به الجواب وأما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر فى حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر فى تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت الاول بمعنى أخبرنى مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثانى الشرطية الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت فى الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عن عبادة الله تعالى أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بان الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى عن الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثانى للكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى أتنهاه وقيل هو أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع للناهى اللعين وخسوء له واللام فى قوله تعالى (لئن لم ينته) موطئة للقسم أى والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشىء وجذبه بعنف وشدة وقرىء لنسفعن بالنون المشددة وقرىء لاسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور (ناصية كاذبة خاطئة) بدل من الناصية وانما جاز ابدالها من المعرفة وهى نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية وبالنصب وكلاهما على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازى وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس فى قولك ناصية كاذب خاطىء (فليدع ناديه) أى أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم

أنهاك فأغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددني وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت (سندع الزبانية) ليجروه الى النار والزبانية الشرط الواحدة زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكأنه نسب الى الزبن ثم غير كامسى وأصلها زبانى فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبي عليه السلام لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع بعد ردع وزجر إثر زجر (لا تطعه) أى دم على ما أنت عليه من معاصاته (واسجد) وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به (واقترب) وتقرب بذلك الى ربك وفى الحديث «أقرب ما يكون العبد الى ربه إذا سجد» عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله .

(سورة القدر مختلف فيها)

(وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إنا أنزلناه فى ليلة القدر) تنويه بشأن القرآن الكريم واجلال لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر فى جميع الاذهان وباسناد انزاله الى نون العظمة المنبىء عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى (وما أدراك ما ليلة القدر) لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدرى بها الاعلام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى (ليلة القدر خير من ألف شهر) فانه بيان إجمالى لشأنها اثر تشويقه عليه السلام الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بأدرائها وقد مر بيان كيفية اعراب الجملتين وفى إظهار ليلة القدر فى الموضوعين من تأكيد التفخيم مالا يخفى والمراد بأنزاله فيها اما انزاله كله الى السماء الدنيا كما روى أنه انزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي عليه السلام نجوما فى ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى أنزلناه فى شأن ليلة القدر وفضلها كما فى قول عمر رضى الله عنه خشيت أن ينزل فى قرآن وقول عائشة رضى الله عنها لأنا أحقر فى نفسى من أن ينزل فى قرآن فالانسب أن يجعل الضمير حينئذ للسورة التى هى جزء من القرآن لا للكل واختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنها فى

شهر رمضان في العشر الاواخر في أوتارها وأكثر الاقوال أنها السابعة منها ولعل السر في خفائها تعريض من يريدها للثواب الكثير رجاء لموافقها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى «فيها يفرق كل أمر حكيم» أو لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير أو لما روى أنه عليه السلام ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل أرى النبي عليه السلام أعمار الامم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الامم وقيل كان ملك سليمان خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها) استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا يراهم الملائكة الا تلك الليلة أي تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض أو الى السماء الدنيا (باذن ربهم) متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أي ملتبسين باذن ربهم أي بأمره (من كل أمر) اى من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى «فيها يفرق كل أمر حكيم» وقرىء من كل امرىء أي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه (سلام هي) اي ماهي الا سلامة أي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء أو ماهي الا سلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين (حتى مطلع الفجر) اى وقت طلوعه وقرىء بالكسر على أنه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اى لمكثهم في محل تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر في الجار . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر .

(تمت الجزء)

(سورة لم يكن مختلف فيها)

(وآيها ثمان)

《بسم الله الرحمن الرحيم》

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له فى كتابهم وايراد الصلة فعلا لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم (والمشركين) أى عبدة الاصنام وقرىء والمشركون عطفا على الموصول (منفكين) أي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث فى آخر الزمان والعزم على انجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى انهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم واما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل هو المذكور فى كتابهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته عليه السلام وانفكاك الشىء عن الشىء أن يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم أى لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه (حتى تأتيهم البينة) التى كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكى لا باعتبار حال الحكاية كما فى قوله تعالى «واتبعوا ما تتلوا الشياطين» أى تلت وقوله تعالى (رسول) بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بالبينة للايذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود فى الكتابين وقوله تعالى (من الله) متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدا لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية أى رسول وأى رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى (يتلو) صفة أخرى له أو حال من الضمير فى متعلق الجار (صحفا مطهرة) أى منزهة عن الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أو من أن يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عليه السلام من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) صفة لصحفا أو حال من ضميرها

فى مطهرة ويجوز أن يكون الصفة أو الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفع به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) الخ كلام مسوق لغاية تشنيع أهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان أن مانسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه ما فى الأمر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر فى وصفهم بايتاء الكتاب المنبىء عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما فى تضاعيفه من الاحكام والاخبار التى من جملتها نعوت النبى عليه الصلاة والسلام بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الرأى المذكور فى حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقى أهل الكتاب وايذانا بأن انفكاكهم عن الرأى المذكور ليس بطريق الاتفاق على رأى آخر بل بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى (الا من بعد ماجاءتهم البينة) استثناء مفرغ من أعم الاوقات اى وماتفرقوا فى وقت من الاوقات الا من بعد ماجاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الموعود فى كتابهم دلالة جلية لاريب فيها كقوله تعالى « وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم » وقوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله) جملة حالية مفيدة لغاية قبح مافعلوا أى والحال أنهم ماأمروا بما أمروا فى كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى أن أى الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا أن يعبدوا الله (مخلصين له الدين) أى جاعلين دينهم خالصا له تعالى أو جاعلين أنفسهم خالصة له تعالى فى الدين (حنفاء) مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام (ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) ان أريد بهما ما فى شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان أريد ما فى شريعتنا فمعنى أمرهم بهما فى الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم بجميع أحكامها التى هما من جملتها (وذلك) اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته (دين القيمة) أى دين الملة القيمة وقرىء الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى « لم يكن الذين كفروا » الى قوله « كتب قيمة » حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عليه السلام من أنهم لا ينفكون عن دينهم الى مبعثه ويعدون أن ينفكوا عنه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى « وماتفرق الذين أوتوا الكتاب » الخ بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم

الباطل حسما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعدم انفكاكهم عنه ومثل ذلك بأن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا أنفك عما أنا فيه حتى أستغنى فيستغنى فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وأنت خبير بأن هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتى على تقدير أن يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكأنه قيل وما أجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة وأما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا. فتأمل (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم) بيان لحال الفريقين فى الآخرة بعد بيان حالهم فى الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة فى الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون اليها يوم القيامة. وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لامحالة أو انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها واما على أن ما هم فيه من الكفر والمعاصى عين النار إلا انها ظهرت فى هذه النشأة بصور عرضية وستخلعها فى النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر فى قوله تعالى «وان جهنم لمحيطة بالكافرين» فى سورة الاعراف (خالدين فيها) حال من المستكن فى الخبر واشتراك الفريقين فى دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافى تفاوت عذابهم فى الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان (أولئك) اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم فى الشر أى أولئك البعداء المذكورون (هم شر البرية) شر الخليقة أى أعمالا وهو الموافق لما سيأتى فى حق المؤمنين فيكون فى حيز التعليل لخلودهم فى النار أو شرهم مقاما ومصيرا فيكون تأكيدا لفظاعة حالهم وقرىء بالهمز على الاصل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لمحاسن أحوال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب (أولئك) المنعوتون بما هو فى الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة (هم خير البرية) وقرىء خيار البرية وهو جمع خير نحو جيد وجياد (جزاؤهم) بمقابلة مالهم من الايمان والطاعة (عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار) ان أريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأياما كان فالمراد جريانها بغير

الخلود (خالدين فيها ابدا) متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوه في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتأكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم مالا يخفى (رضى الله عنهم) استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ماذكر من أجزية أعمالهم (ورضوا عنه) حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأتيح لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (ذلك) أى ما ذكر من الجزاء والرضوان (لمن خشى ربه) فان الخشية التى هى من خصائص العلماء بشؤن الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية. والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية « عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا »

(سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا زلزلت الارض) أى حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا (زلزالها) أى الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الآلهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذى لاغاية وراءه أو زلزالها العجيب الذى لا يقادر قدره أو زلزالها الداخل فى حيز الامكان وقرىء بفتح الزاى وهو اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف، وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح أيضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل (وأخرجت الارض أثقالها) أى مافى جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت وإظهار الارض فى موقع الاضمار لزيادة التقرير أو للايماء الى تبدل الارض غير الارض أو لان اخراج الاثقال حال بعض أجزائها (وقال الانسان) أى كل فرد من أفراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة (مالها) زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال وأخرجت مافيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت الجبال فى الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ

لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على أن المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب (يومئذ) بدل من اذا وقوله تعالى (تحدث أخبارها) عامل فيهما ويجوز أن يكون اذا منتصبا بمضمر أى يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق أخبارها إما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على مالاجله زلزالها واخراج أثقالها وإما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنها تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها» وقرىء تنبىء أخبارها وقرىء تنبىء من الانباء (بأن ربك أوحى لها) أى تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث على أحد الوجهين ويجوز أن يكون بدلا من أخبارها كانه قيل تحدث بأخبارها بان ربك أوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها وأوحى لها بمعنى أوحى اليها (يومئذ) أى يوم إذ يقع ماذكر (يصدر الناس) من قبورهم الى موقف الحساب (أشتاتا) متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر فى قوله تعالى «فتأتون أفواجا» وقيل يصدرون عن الموقف أشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار (ليروا أعمالهم) اى أجزية أعمالهم خيرا كان أو شرا وقرىء ليروا بالفتح وقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) تفصيلا ليروا وقرىء يره والذرة النملة الصغيرة وقيل مايرى فى شعاع الشمس من الهباء وأياما كان فمعنى رؤية مايعادلها من خير أو شر إما مشاهدة جزائه فمن الاولى مختصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر فى نقص العقاب يرده قوله تعالى «وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» وإما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا إلا أراه الله تعالى إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرد حسناته تحسرا ويعاقبه بسيئاته . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله والله أعلم

«سورة والعاديات مختلف فيها وآيها احدى عشره»

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعاديات) أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدوا نحو العدو وقوله تعالى (ضبحا) مصدر منصوب امابفعله المحذوف الواقع حالا منها أى تضبح ضبحا وهو صوت أنفاسها عندعدوها أو بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أى ضابحات (فالموريات قدحا) الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أى فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على الوجوه الثلاثة (فالمغيرات) أسند الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب أو للقتل أو للأسر اليها وهي حال أهلها ايذانا بانها العمدة في اغارتهم (صبحا) أى في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى (فأثرن به) عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن به أى فهيجن بذلك الوقت (نقعا) أى غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور أو لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار (فوسطن به) أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن ملتبسات بالنقع (جمعا) من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب مابعدكل منها على ما قبلها كما في قوله:

يالهف زيابة للحرث الصـ ـابح فالغانم فالآيب

فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى (ان الانسان لربه لكنود) أى لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض أفراده روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى أناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان أحد النقباء فأبطأ عليه الصلاة والسلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي عليه الصلاة والسلام بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ماهم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة بالاقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد أرجفتم في حق أربابها ماأرجفوا انهم مبالغون في الكفران (وانه على ذلك) أى وان الانسان على كنوده

(لشهيد) يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه (وانه لحب الخير) أى المال كما فى قوله تعالى «إن ترك خيرا» (لشديد) أى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل أى لانه لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى (أفلا يعلم اذا بعثر مافى القبور) الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من فى القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرىء بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل (وحصل) أى جمع محصلا أو ميز خيره من شره وقرىء وحصل مبنيا للفاعل وحصل مخففا (مافى الصدور) من الاسرار الخفية التى من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصى فضلا عن الاعمال الجلية (إن ربهم) أى المبعوثين كني عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب فى قوله تعالى «وجعل لكم السمع والابصار» الآية بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما أشير اليه هناك (بهم) بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها (يومئذ) يوم اذ يكون ما ذكر من بعث مافى القبور وتحصيل مافى الصدور (لخبير) أى عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبىء عنه تقييده بذلك اليوم والافمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ أبو السمال إن ربهم بهم يومئذ خبير. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعا.

(سورة القارعة مكية وآيها عشر)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(القارعة) القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهى القيامة التى مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر فى سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام

العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض بالزلزال والتبديل والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى (ماالقارعة) على أن ماالاستفهامية خبر والقارعة مبتدألا بالعكس لما مر غير مرة أن محط الفائدة هو الخبر لاالمبتدا ولا ريب في أن مدار افادة الهول والفخامة ههنا هو كلمة ماالاالقارعة أي أي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى (وما أدراك ماالقارعة) تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لاتكاد تناله دراية أحد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وأدراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ههنا وماالقارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان أدرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى «ولا أدراكم به» فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة معطوفة على ماقبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدا الاول أي وأي شيء أعلمك ماشأن القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها أنجز ذلك بقوله تعالى (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) على أن يوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين أي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار أو منصوب باضمار اذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر القارعة وتشويقه عليه الصلاة والسلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ماهي هذا وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة أي تقرع يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الخ (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) أي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب» وكلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ماذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى «ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي» وقوله تعالى «يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد

القهار «فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الابعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة النمل وقوله تعالى (فأما من ثقلت موازينه) الخ بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء أو جمع ميزان قال ابن عباس رضي الله عنهما انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا إن الميزان لا يتوصل به إلا إلى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن أن يعرف به مقادير الاعمال التي هي أعراض منقضية وقيل إن الاعمال الظاهرة في هذه النشأه بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان أي فمن ترجحت مقادير حسناته (فهو في عيشة راضية) أي ذات رضا أو مرضية (وأما من خفت موازينه) بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته (فأمه) أي فمأواه (هاوية) هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روى أن أهل النار تهوى فيها سبعين خريفا وقيل إنها اسم للباب الاسفل منها وعبر عن المأوى بالأم لان أهلها يأوون اليها كما يأوى الولد الى أمه وعن قتادة وعكرمة والكلبي أن المعنى فأم رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق لقوله تعالى (وما أدراك ماهيه نار حاميه) فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارىء حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيامة.

سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألهاكم التكاثر) أى شغلكم التغالب فى الكثرة والتفاخر بها روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف فى الاسلام فقال كل من الفريقين نحن أكثر منكم سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم أن البغى افنانا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء (حتى زرتم المقابر) أى حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعى لآخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرىء أألهاكم على الاستفهام التقريرى (كلا) ردع وتنبيه على أن العاقل ينبغى أن لايكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة (سوف تعلمون) سوء مغبة ماأنتم عليه اذا عاينتم عاقبته (ثم كلا سوف تعلمون) تكرير للتأكيد وثم للدلالة على أن الثانى أبلغ من الاول أو الاول عند الموت أو فى القبر والثانى عند النشور (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو تعلمون مابين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ماتستيقنونه لفعلتم مالا يوصف ولايكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى (لترون الجحيم) جواب قسم مضمر أكد به الوعيد وشدد به التهديد وأوضح به ماأنذروه بعد ابهامه تفخيما (ثم لترونها) تكرير للتأكيد أو الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها أو المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أى عن النعيم الذى ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همه على استيفاء اللذات ولم يعش الاليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لايعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية ٭

* (سورة والعصر مكية وآيها ثلاث) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والعصر) أقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر أو بالعشى الذى هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى أو بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار أو بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة (ان الانسان لفى خسر) أى خسران فى متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم فى مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم فى تجارة لن تبور حيث باعوا الفانى الخسيس واشتروا الباقى النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات الغاديات الرائحات فيالها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى (وتواصوا بالحق) الخ بيان لتكميلهم لغيرهم أى وصى بعضهم بعضا بالامر الثابت الذى لا سبيل الى انكاره ولا زوال فى الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من ايمان بالله عز وجل واتباع لكتبه ورسله فى كل عقد وعمل (وتواصوا بالصبر) أى عن المعاصى التى تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التى يشق عليها أداؤها أو على ما يبلو الله عز وجل به عباده وتخصيص هذا التواصى بالذكر مع اندراجه تحت التواصى بالحق لابراز كمال الاعتناء به أولان الاول عبارة عن رتبة العبادة التى هى فعل ما يرضى به الله تعالى والثانى عن رتبة العبودية التى هى الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق اليه من فعل وترك بل هو تلقى ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهرا وباطنا ء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله تعالى له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

(سورة الهمزة مكية وآيها تسع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة لمزة) وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لانه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر والهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا فى الكسر من أعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة للدلالة على أن ذلك منه عادة مستمرة قد ضرى بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويستهزأ به وقيل نزلت فى الاخنس

ابن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعى خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب منه مثل ذنوبهم (الذى جمع مالا) بدل من كل أو منصوب أو مرفوع على الذم وقرئ جمّع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى (وعدده) وقيل معنى عدده جعله عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده أى جمع المال وضبط عدده أو جمع ماله وعدده الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان وقيل هو فعل ماض بفك الادغام (يحسب أن ماله أخلده) أى يعمل عمل من يظن أن ماله يبقيه حيا والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال أمله ومناه الامانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب ان المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد فى الدنيا وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى الحياة الابدية والنعيم المقيم فأما المال فليس بخالد ولا مخلد وروى أن الاخنس كان له اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف والجملة مستأنفة أو حال من فاعل جمع (كلا) ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى (لينبذن) جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع أى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكوره (فى الحطمة) أى فى النار التى شأنها أن تحطم وتكسر كل مايلقى فيها كما أن شأنه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى (وما أدراك ما الحطمة) لتهويل أمرها ببيان أنها ليست من الامور التى تنالها عقول الخلق وقوله تعالى (نار الله) خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لشأن المسؤول عنها أى هى نار الله (الموقدة) بأمر الله عز سلطانه وفى اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل أمرها ما لا مزيد عليه (التى تطلع على الافئدة) أى تعلو أوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما فى الجسد وأشده تألما بادنى أذى يمسه أو لانه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة (انها عليهم مؤصدة) أى مطبقة من أوصدت الباب وآصدته اى أطبقته (فى عمد ممددة) اما حال من الضمير المجرور فى عليه اى كائنين فى عمد ممددة اى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص أو خبر مبتدأ مضمر اى هم فى عمد او صفة لمؤصدة قال ابو البقاء اى كائنة فى عمد ممدده بان تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق اللهم اجرنا منها ياخير مستجار وقرئ عمد بضمتين ، عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه .

(سورة الفيل)

(مكية وآيها خمس ايات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير رؤيته عليه الصلاة والسلام بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اى الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله والعيان عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر مافعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله عليه الصلاة والسلام فان ذلك من الارهاصات لما روى أن القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها النبى عليه الصلاة والسلام وتفصيلها أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس وأراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع جيشه ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل ألف وقيل كان معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح وإذا وجهوه الى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول فأرسل الله تعالى طيراً سوداً وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل وروى أن أبرهة تساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فى شأنها فلما رآه أبرهة عظم فى عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رءوس الجبال فنزل أبرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل أجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك

فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر لا تكلمني فيه ألهاك عنه ذود أخذت لك فقال عبد المطلب أنا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع وأتى باب الكعبة فأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ماهي نجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع أصحابه ينتظرون ماذا يفعل أبرهة فارسل الله عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن النبي عليه الصلاة والسلام وعن عائشة رضي الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وقرىء ألم تر بسكون الراء للجد في اظهار أثر الجازم وقوله تعالى (ألم يجعل كيدهم في تضليل) الخ بيان إجمالي لما فعله الله تعالى بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان دمرهم أشنع تدمير (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) أي طوائف وجماعات جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل أبابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها (ترميهم بحجارة) صفة لطيرا وقرىء يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى (من سجيل) من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديوان الذي يكتب فيه أعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال (فجعلهم كعصف مأكول) كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود اواكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن أكلته الدواب وراثته أشير اليه باول أحواله عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسخ والله أعلم

(سورة قريش مكية وآيها أربع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا يلاف قريش) متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى أن نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك أصحاب الفيل لا يلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لا يلاف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى

« فجعلهم كعصف مأكول » ويؤيده أنهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا فصل والمعنى أهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا يجترىء عليهم أحد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والا يلاف من قولك آلفت المكان ايلافا اذا ألفته وقرىء لإلاف قريش أي لمؤالفتهم وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا وقرىء لألاف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد وقوله تعالى (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وإفرادها مع أن المراد رحلتي الشتاء والصيف لأمن الالباس وفي اطلاق الايلاف عن المفعول أولا وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرىء ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف وقرىء رحلة بالضم وهي الجهة التي يرحل اليها (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم) بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه (من جوع) شديد كانوا فيه قبلهما وقيل أريد به القحط الذي أكلوا فيه الجيف والعظام (وآمنهم من خوف) عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها.

(سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت الذي يكذب بالدين) استفهام أريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرىء أرأيتك بزيادة حرف الخطاب والفاء في قوله تعالى (فذلك الذي يدع اليتيم) جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدأ والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء أو بالاسلام ان لم تعرفه أو ان أردت ان تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المتعرض لوصف

المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه بما فيه من معنى البعد على بعد منزلته فى الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فأتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل السهمى وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرىء يدع اليتيم اى يتركه ويجفوه (ولا يحض) أى أهله وغيرهم من الموسرين على (طعام المسكين) واذا كان حال من ترك حث غيره على ماذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء فى قوله تعالى (فويل) الخ إما لربط مابعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ماذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) غافلون غير مبالين بها (الذين هم يراؤن) أى يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها (ويمنعون الماعون) أى الزكاة او مايتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك وإما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ماذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم ليتوسل بذلك الى بيان أن لهم قبائح أخر غير ماذكر * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكاة مؤديا

﴿ سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا اعطيناك) وقرىء انطيناك (الكوثر) أى الخير المفرط الكثير من شرف النبوة الجامعة لخيرى الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر فى الجنة وعن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير * وروى فى صفته انه أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لايظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لايزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لأبره * وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير

وقيل هو حوض فيها وقيل هو أولاده وأتباعه أو علماء أمته أو القرآن الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى (فصل لربك) لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان إعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها أحدا من العالمين مستوجب للمأمور به أي استيجاب أي فدم على الصلاة لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها أداء لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر (وانحر) البدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وأبي الاحوص (إن شانئك) أي مبغضك كائنا من كان (هو الابتر) الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الآخرة مالا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص بن وائل وأياما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله تعالى من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر

(سورة الكافرون مكية)

(وآيها ست)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا أيها الكافرون) هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الايمان أبدا روى أن رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد آلهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رءوسهم فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد ما تعبدون) أي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب

منكم من عبادة إلهي (ولا أنا عابد ما عبدتم) أي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما أنا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاولين لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما في ما أعبد على من لان المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشأن الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية أي لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي و الاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم تأكيد لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد ثانيا تأكيد لمثله المذكور أولا وقوله تعالى (لكم دينكم) تقرير لقوله تعالى لا أعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى (ولي دين) تقرير لقوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد والمعنى أن دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم أيضا لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم أو استلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز أن يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا أنا عابد ما عبدتم أي ولي ديني لا دينكم كما هو في قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى إني نبي مبعوث اليكم لأدعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك فتأمل. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر.

سورة النصر مدنية وآيها ثلاث

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا جاء نصر الله) أي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك (والفتح) أي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كان نفسها أم القرى واماما لجميع ... لتنبىء سائر الفتوح وناق بذا أمره عليه السلام بالتسبيح

والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجىء للايذان بانهما متوجهان نحوه عليه السلام وأنهما على جناح الوصول اليه عليه السلام عن قريب روى أنها نزلت قبل الفتح وعليه الاكثر وقيل فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار أن بعض ما فى حيزها اعنى رؤية دخول الناس الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي عليه الصلاة والسلام عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال «لا إله إلا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال ياأهل مكة ماترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء» فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ ولذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن (ورأيت الناس) أى أبصرتهم أو علمتهم (يدخلون فى دين الله) أى ملة الاسلام التى لادين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة على الاول حال من الناس وعلى الثانى مفعول ثان لرأيت وقوله تعالى (أفواجا) حال من فاعل يدخلون أى يدخلون فيه جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روى انه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض [illegible]الوا اذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى دين الاسلام أفواجا من غير قتال وقرىء فتح الله والنصر وقرىء يدخلون على البناء للمفعول (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له او فتعجب لتيسير الله تعالى مالم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على أهل حرمه المحترم واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية الأولى ظاهر واما على الثانية فلعله عليه السلام امر بأن يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لابأحداث التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح أوفاذكره مسبحا حامدا زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له حامدا على نعمه روى انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمان ركعات أو فنزهه عما يقوله الظلمة حامداً له على ان صدق وعده أو فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامداً له على صفات الاكرام (واستغفره) هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى « عن عائشة رضى الله عنها انه كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته ان يقول «سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك» وعنه

عليه السلام «انى لأستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة» وروى انه لما قرأها النبى عليه الصلاة والسلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام «ما يبكيك يا عم فقال نعيت اليك نفسك قال عليه السلام انها لكما تقول فلم ير عليه السلام بعد ذلك ضاحكا مستبشرا» وقيل ان ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال عليه السلام «لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا» ولعل ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم» وروى انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بانفسنا وآبائنا وأولادنا» وعنه عليه السلام انه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال «يا بنتاه انه نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى» وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته (انه كان توابا) منذ خلق المكلفين أى مبالغا فى قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفرا متوقعا للقبول * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة *

(سورة تبت مكية وآيها خمس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت) أى هلكت (يدا أبى لهب) هو عبد العزى بن عبد المطلب وإيثار التباب على الهلاك وإسناده الى يديه لما روى انه لما نزل وأنذر عشيرتك الاقربين رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا وجمع أقاربه فأنذرهم فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا وأخذ حجرا ليرميه عليه السلام به (وتب) أى وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى «ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة» ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال

جزانى جزاه الله شر جزائه ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدى والثانى اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثانى اخبار وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرىء أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب وقرىء أبى لهب بسكون الهاء (ما أغنى عنه ماله وما كسب) أى لم يغن عنه حين حل به التباب على أن ما نافية أو أى شىء أغنى عنه على أنها استفهامية فى معنى الانكار منصوبة بما بعدها أصل ماله

وما كسبه من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع أو ماله الموروث من أبيه والذى كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذى هو كيده فى عداوة النبى عليه الصلاة والسلام أو عمله الذى ظن انه منه على شىء كقوله تعالى «وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا» وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما كسب ولده وروى انه كان يقول إن كان مايقول ابن أخى حقا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى فأستخلص منه وقد خاب مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد فى طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عليه السلام دعا عليه وقال «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك» وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال فاجتنبه أهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقى ثلاثا حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما أخبر به القرآن (سيصلى) بفتح الياء وقرىء بضمها وفتح اللام بالتخفيف والتشديد والسين لتأكيد الوعيد وتشديده أى سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل فى الآخرة (نارا ذات لهب) أى نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهى نار جهنم وليس هذا نصا فى انه لا يؤمن ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فان صلى النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبى عليه الصلاة والسلام اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر (وامرأته) عطف على المستكن فى سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهى أم جميل بنت حرب اخت أبى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق النبى عليه الصلاة والسلام وكان عليه السلام يطؤه كما يطأ الحرير وقيل كانت تمشى بالنميمة ويقال لمن يمشى بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النار (حمالة الحطب) بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة أنها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرىء بالرفع على أنه خبر وامرأته مبتدأ وقرىء حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرىء مريئته بالتصغير للتحقير (فى جيدها حبل من مسد) جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامرأته وحبل

مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد مايفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من أى ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل وأوبارها والمعنى فى عنقها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما فى بيت العز والشرف قال مرة الهمدانى كانت أم جميل تأتى كل يوم بابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هى ذات ليلة حاملة حزمة أعييت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة *

(سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها أربع)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل هو الله أحد) الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم سبق ذكره الايذان بانه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبىء عنه اسمه الذى اصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الربط لانها عين الشأن الذى عبر عنه بالضمير والسر فى تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها وجلالة حيزها مع مافيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن وهمزة أحد مبدلة من الواو واصله وحد لا الهمزة مايلازم النفى ويراد به العموم كما فى قوله تعالى «فما منكم من أحد عنه حاجزين» وما فى قوله عليه السلام «ماأحلت الغنائم لاحد سود الرءوس غيركم» فانها أصلية وقال مكى أصل أحد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع ألفان لان الهمزة تشبه الالف فحذفت احداهما تخفيفا وقال ثعلب ان أحدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال أحد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا يقال رجل أحد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو لما سئل عنه اى الذى سألتم عنه هو الله إذ روى ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه فنزلت فالضمير مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه أو خبر ثان او خبر مبتدا محذوف وقرىء

هو الله احد بغير قل وقرىء الله احد بغير قل هو وقرىء قل هو الواحد وقوله تعالى (الله الصمد) مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده أى هو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وقيل الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل مايشاء ويحكم مايريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين أولا ألوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة تنزهه عن شائبة التعدد والتركيب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار جميع المخلوقات اليه اليه فى وجودها وبقائها و سائر أحوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل (لم يلد) تنصيصا على ابطال زعم المفترين فى حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضى أى لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى «أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة» ولا يفتقر الى مايعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه (ولم يولد) أى لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ماقبله وتحقيقه بالاشارة الى أنهما متلازمان اذ المعهود أن ما يلد يولد ومالا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لا يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون على لا يستأخرون كما مر تحقيقه (ولم يكن له كفوا أحد) أى لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى وقد جوز أن يكون خبرا لاصلة ويكون كفوا حالا من أحد وليس بذاك وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غنى عن البيان وقرىء بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة مع تقارب قطريها على أشتات المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها ورد فى الحديث النبوى أنها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله

أحد» أي ماخلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال «وجبت» فقيل وما وجبت يارسول الله قال «وجبت له الجنة»

سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ برب الفلق) الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عموده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى وأما الاشعار بان من قدر أن يزيل ظلمة الليل من هذا العالم قدر أن يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ فى قدرته تعالى على ذلك حتى يحتاج الى التنبيه عليها (من شر ما خلق) أي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم أن الاستعاذة ههنا من المضار البدنية وأنها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة (ومن شر غاسق) تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى الى الاعادة اى ومن شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى «الى غسق الليل» وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده بقوله تعالى (اذا وقب) أي دخل ظلامه فى كل شىء لان حدوثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله فى الخسوف واسوداده لما

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار إلى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق إذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق فى آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لايشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض الا فى ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها الا بها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعترى الانسان ووقوبه هجومه (ومن شر النفاثات فى العقد) أى ومن شر النفوس أو النساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرىء النافثات كما قرىء النفثات بغير ألف وتعريفها اما للعهد أو للايذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم انه كان غلام من اليهود يخدم النبى عليه الصلاة والسلام وكان عنده أسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودى وبناته وهن النافثات فى العقد فدفنها فى بئر اريس فمرض النبى عليه الصلاة والسلام فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه الصلاة والسلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمار رضى الله عنهما فنزحوا ماء البئر وكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوثة البئر وهى الصخرة التى توضع فى أسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغرزة بالابر فجاءوا بها النبى صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما أنشط من عقال فقالوا يارسول الله أفلا نقتل الخبيث فقال عليه السلام أما أنا فقد عافانى الله عز وجل واكره أن أثير على الناس شرا «قالت عائشة رضى الله عنها ماغضب النبى عليه الصلاة والسلام غضبا ينتقم لنفسه قط الا أن يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله وينتقم» وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها (ومن شر حاسد اذا حسد) أى اذا أظهر مافى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادى الاضرار بالمحسود قولا أو فعلا والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لاغير. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى.

سورة الناس مختلف فيها وآيها ست

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ) وقرىء فى السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام (برب الناس) أى مالك أمورهم ومربيهم بافاضة مايصلحهم ودفع مايضرهم وقوله تعالى (ملك الناس) عطف بيان جىء به لبيان أن تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلى والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى (إله الناس) فانه لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمورهم وسياستهم والتولى لترتيب مبادى حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين فى سلك ربوبيته تعالى وملكوتيته وألوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية فى ضمن جنس هو فرد من أفراده من دواعى مزيد الرحمة والرأفة وأمره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففى التنصيص على انتظامهم فى سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى «ان عبادى ليس لك عليهم سلطان» فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر فى توفية المقام حقه وأما جعل المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف بالاضافة (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسة وهى الصوت الخفى كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمى بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة (الخناس) الذى عادته أن يخنس أى يتأخر اذا ذكر الانسان ربه (الذى يوسوس فى صدور الناس) اذا غفلوا عن ذكره تعالى ومحل الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع أو النصب على الذم (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على أنه ضربان جنى وانسى كما قال عز وجل «شياطين الانس والجن» أو متعلق بوسوس أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وقد جوز أن يكون بيانا للناس على أنه يطلق

على الجن أيضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه وأقرب منه أن يراد بالناس الناسي ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى «يوم يدع الداع» ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته عصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره (قال) العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل اللهم ياولي العصمة والارشاد . وهادي الغواة الى سنن الرشاد . بارىء البرية مالك الرقاب عليك توكلي واليك متاب . أنت المغيث لكل حائر ملهوف . والمجير من كل هائل مخوف ألوذ بحرمك المأمون . من غوائل ريب المنون . وألتجىء الى حرزك الحريز . وآوى إلى ركنك العزيز . وأسألك من خزائن برك المخزون . في مكامن سرك المكنون . خير ماجرى به قلم التكوين . من أمور الدنيا والدين . وأعوذ بك من فنون الفتن والشرور لاسيما الاطمئنان بدار الغرور والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاغثني بعناياتك وأعني بهدايتك . وأفض علي من شوارق الانوار الربانية . وبوارق الآثار السبحانية . مايخلصني من العوائق الظلمانية . ويجردني من العلائق الجسمانية . وهذب نفسي الابية . من دنس الطبائع والاخلاق ونور قلبي القاسي بلوامع الاشراق . ليستعد للعبور على سرائر الانس . ويتهيأ للحضور في حظائر القدس . وثبتني على مناهج الحق والهدى وأرشدني الى مسالك البر والتقى . واجعل أعز مرامي ابتغاء رضاك وأشرف أيامي يوم لقاك . يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا . واحشرني مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

فهرس الجزء الرابع

من

كتاب تفسير العلامة أبى السعود

(نختتم الكتاب كما نبتدئه)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين، ونصلى ونسلم على خيرة الأنبياء والمرسلين، عليهم وعلى أشياعهم أفضل الصلاة وأتم التسليم (أما بعد) فأن كان الشكر واجبا على جليل الاعمال العلمية وكبريات الخدمات الانسانية، فقد وجب على كل ذى لب كماله وأفضله لهيئة الجمعية العلمية المصرية الملايوية، حيث أبرزت فى عالم المطبوعات تفسير العلامة أبي السعود منمق، الطبع حسن التقسيم، بهى الرواء، مطرزا فى أعلى صحائفه بما حواه القرآن الكريم من الاسرار . وما أفاض به العلامة المفسر من مشارق الأنوار . مذيلا بفهارس للآيات والمباحث يستقى منه الأديب، ويسترشد به الراغب اللبيب . فشكرا منا وألف شكر على خير عمل اخرج للناس . وتعيذه من شر الوسواس الخناس، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس . كما نسأل الله أن يمد فضيلة مديرها الألمعي الوحيد صديقنا المحترم الاستاذ الشيخ عبد الوصف محمد بروح طيبة من لدنه، وأن يجعل عملنا لديه مشكورا . وعند الناس مقبولا آمين ؟

كتبه الفقير لعفو ربه
حسن الهادى حسين
رئيس لجنة التصحيح بدار المصور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن رفع رءوس العلماء بالعلم الشريف ، وأيدهم بالعز وعلو المكانة وعظيم الثقة وحسن القبول كلما خدموا الدين الحنيف ، والصلاة والسلام على سيد العلماء والمرسلين وعلى آله وصحابته المؤدبين الصادقين الصالحين ومن تبعهم فى طريقهم المستقيم وانتهج منهج الشرع القديم (أما بعد) فقد مضى زمن على الكتب العلمية لم تخدمها أهلها فامتلأت من أيدى الجهلة بالتحريف والتخريف والسقطات ووابل الهفوات مما لم يكن مدركا إلا بكثير الامعان وضياع ردح واسع من الزمان ، وظلت الجهلة تطبعها تجاريا لا يلوون على شيء سوى مكسبها وإن باءوا بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين . ولما قيض الله جمعيات العلماء لا سيما الجمعية العلمية الأزهرية المصرية الملايوية التى تكونت لخدمة العلم وذويه بنشر كتبه القيمة على وجهه الصحيح استشاطوا غضباً ، وارتعدوا فرقا ، فهرفوا بما لم يعرفوا وشخروا ونخروا وتخرقوا وطعنوا فى الأبرياء وشوهوا وجه الحقيقة بسباب قبيح كان البرهان على سفالتهم ونقص منبتهم وسوء مقصدهم وأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الجاهلون الحاسدون فالى متعلمى الأمم الاسلامية الأذكياء ، نعرض عملنا المتقن بعد ما عرضناه على خالق الأرض والسماء خالصا لوجهه الكريم . وإن هذا الفهرس للخطأ المطبعى المدرك بأدنى التفات لمن أكبر الأدلة على جدنا وخلوص سريرتنا وحسن سيرتنا نحو العلم وذويه والله لا يضيع أجر من أحسن عملا ؟

عبد الوصيف محمد من علماء الأزهر الشريف ومدير الجمعية العلمية

إصلاح الضغط المطبعي الحاصل

فى الجز الأول من تفسير أبي السعود

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب	صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٤	٩	مزايا	مرايا	٦٦	١٦	آيا	آيا
٤	١٢	فوائدها	فرائدها	٦٨	١٣	ربيبة	ربيبته
٤	٢٥	الأظهر	الأزهر	٦٨	٢١	اتقاز	اتقاء
٥	١	أفق	أفقي	٦٩	٢	الاتقاء	لاتقاء
٦	٢٢	ثانية	ثنايا	٦٩	٦	يستمدهم	يستمدهم
٧	٢١	أشار	أشير	٧٠	١٤	الأولين	الأوليين
٨	٢	فقيل أنها	فقيل إنها	٧١	٢٢	الآخرتين	الأخيرتين
١٧	١٠	العقوبة باللص	للعقوبة باللص	٧١	٢٤	وورد	وورود
١٨	٢٦	متصل	منفصل	٧٢	٣	وأصلة	وأصله
٢٢	٢٠	الضالين	الضألين	٧٥	٦	فى قدرته	فى الحقيقة قدرته
٢٢	٢٢	كابن	كائن	٧٥	١٩	تركوا فيها من	تركوا من
٢٨	٢٥	يحملها	يحملها	٧٦	١٠	من لزوم	مع لزوم
٣٠	١٦	تحققه	تحققه	٧٧	٢٥	التنزيه	التنزيل
٣١	٢٧	المتعدى للمفعول	المتعدى المبنى للمفعول	٧٨	٧	نوبه	نوبة
٣٣	١	التقرى	التقوى	٧٩	١٧	عن الآخر	من الآخر
٣٨	٢٤	الصـ صابح	الصابح	٧٩	٢١	المتسولين	المتوالين
٤٠	٥	يوقنون	يؤقنون	٨٠	٤	حقيقة	حقية
٤١	١٤	أولئك	وأولئك	٨١	٣	به متجاوزين	به مثله متجاوزين
٤٥	٢٠	تحصيل	تحصل	٨٣	٢٣	بشر	وبشر
٤٦	٢٦	نفاخاً لأنه ينفخ	نفاخاً لأنه ينفخ	٨٦	٢١	يفضى	يقضى
٤٧	١٤	لتحريكها	لتحركها	٨٧	١	إن لا يستحي	إن الله لا يستحي
٥١	١١	وونك	وكونك	٩٠	٢٧	عاوهم	علوهم
٥٦	٩	الشيطان	للشيطان	٩١	٢٥	تعاقهما	تعلقهما
٥٧	١١	خالدين	خالين	٩٢	١٠	غيرهم قاوا	غيرهم قل
٥٨	١٧	بالجلة	بالجملة	٩٣	٧	فسنخ	فسخ
٦٢	٦	يتهدوا ــ العبث	يتهدوا العبث	١٩٦	٤	الذات	لذات
٦٢	٢٤	يد رسول	يدى رسول	١٠١	٢	عن	على

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب	صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
١٠١	٨	حقيقتهم	احقيتهم	١٤٢	٥	بينة	بينه
١٠١	١٠	ممن	من من	١٤٢	١٢	المحدثون	والمحدثون
١٠٥	٢٦	عليهم السلام	عليهم عليهم السلام	١٤٢	١٤	كتابه إلى كذا	مكرر يحذف
١٠٧	٥	وإذا قلنا	وإذ قلنا	١٤٣	٢٤	والكتابة	بالكتابه
١٠٧	١٢	مجروما	مجرورها	١٤٤	٢٥	رفع	وقع
١١٠	١٠	ضروة	ضرورة	١٤٥	٦	التاه يلات	التأويلات
١١٠	١٤	بالشيع	بالشبع	١٤٦	٥	فى كل مسيرة	فى كل يوم مسيرة
١١٠	٢٤	لا يثرك	لا يترك	١٥٠	٢١	يفدونهم	تفدونهم
١١١	٤	للتبيه	للتنبيه	١٥٥	٦	حقيقته	حقيته
١١١	٢١	ولو رفع	ولو وقع	١٥٥	٢٦	أتؤمن	تؤمن
١١٢	١٣	ونطيره	ونظيرة	١٥٦	٢٦	أنبياء	أنبئاء
١١٢	١٤	زل عن	زل عنى	١٥٧	١٨	من خلافهم	من أخلافهم
١١٣	١٦	راجعى	أراجعى	١٦١	٣	إفرادا	أفـــردا
١١٤	٥	تلجيه	تلبيه	١٦١	١٠	التحقيق	التحقق
١١٤	٢١	أى لا يعتريهم	أى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم ذلك	١٦٤	٣	تمزيج	تمريج
...	..	ذلك لكنهم	لكنهم الخ	١٦٥	١٨	بها	بهما
١١٥	١	هدىء	هدى	١٦٦	٢٧	لأن	لا أن
١٢٢	١٠	المساكين	المسكانين	١٦٨	٣	الشراء	الشرى
١٢٣	٢٤	فصحبهم	فصبحهم	١٦٩	٢٣	ومن قوله	ومن فى قوله
١٢٤	١٢	بقام	تمام	١٧٤	١٤	ومما يعدها	وما بعدها
١٢٤	١٣	آلما	إلما	١٧٦	٢٧	يعتريهم	لا يعتريهم
١٢٧	٢٣	والتاء للمفعول	والتاء على البناء للمفعول	١٧٩	١٣	اظرف	اطرف
١٢٩	١٦	أخلاقهم	أخلافهم	١٨١	٦	مشركواالعرب	مشركو العرب
١٢٩	٢٠	فاجمعو	فأجمعوا	١٨١	٢٧	لمن كذب	لمن كذبك
١٢٩	٢٢	(يخرج)لنا	(يخرج لنا)	١٨١	٢٨	لاقاسر	لا قاسرا
١٣٠	٢	وعين	وهين	١٨٤	١٠	وابراهيم أعجمى	وابراهيم اسم أعجمى
١٣٣	٢٥	خاسرين	خاسئين	١٨٦	١٢	عيزأتهم	عيز لهم
١٣٤	١٤	أو هزؤا	أو أهل هزؤ	١٨٦	٢١	مستقبل	مستقـــل
١٣٨	٢	عته	عنه	١٨٧	١٤	للاستجلاب	للاستحباب
١٤٠	٥	واستعباده	واستبعاده	١٨٨	١١	الطائفين	للطائفين
١٤١	١٦	وإذ لقوا	وإذا لقوا	١٩٠	٦	عاليـــة	غالبـــة

الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب	الصحيفة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩٠	٢٢	بنساء	بنساه	٢٥١	٥	عنك	عنه
١٩٢	١٥	صلحوأصلح	صلحو اصلحوا	٢٥٢	١٠	اختلافهم	اختلافهم
١٩٣	٢٢	إسميل	اسماعيل	٢٥٤	٢	عمر بن عبدالله	عمرو بن عبدالله
١٩٤	٢٦	فضله	فصله	٢٥٤	٥	و ينذعر فيه	و يذعر فيه
١٩٧	١٣	عندهم	عند غيرهم	٢٥٥	٢٨	قوله فهل	قوله تعالى فهل
١٩٨	١٥	الرأس	الرءوس	٢٥٨	٤	مجانبتهم	مجانبتهم اتقاء
١٩٩	١٣	الآخرة	الآخر	٢٥٨	٢٧	الأموان	الأموات
١٩٩	٢٣	عقيب	عقب	٢٦١	١٩	والعرضة	والغرفة
٢٠١	٦	وهوربنا ربكم	وهوربناوربكم	٢٦٣	٢٧	أوتاء المصدر	أو مصدر
٢٠١	١٦	دالة	داخلة	٢٦٤	١٩	بالمرتين	وبالمرتين
٢٠٣	٢٣	حقيقتها	حقيتها	٢٦٥	١٠	بعد السلام	فى الأسلام
٢٠٨	٢٨	حقيقة	حقية	٢٦٥	١٣	باعتباره	باعتبار
٢١٦	٢	والآيات	أى والآيات	٢٦٧	٤	أن يدرأ	إن أريد
٢١٧	١٢	أجمعين	أجمعون	٢٦٨	٢٧	عجز الولد	عجز الوالد
٢٢١	١٥	للموصوفين	للموصولين	٢٧٠	٩	أتيتم	آتيتم
٢٢١	٢٣	مفخمة	مقحمة	٢٧٢	٣	لمن يبيت	لمن لم يبيت
٢٢٢	١٦	جعلت الضمة على الطاء	وهى ضمة الطاء	٢٧٢	٢٣	إلا نفرضوا	إلا أن تفرضوا
٢٢٤	١	ونوع	نوع	٢٧٥	٦	الوسطى	الوصطى
٢٣٠	١	الزمانة	والزمانة	٢٧٥	١٩	المشكوكية	لمشكوكية
٢٣٠	٦	والرذائل	الرذائل	٢٧٧	١٣	الشهاة	الشهادة
٢٣٠	٢١	يتباوأوا	يتباوءوا	٢٨٠	٩	من من عباده	من عباده
٢٣٠	٢٥	ولم يفسده	ولم يقسده	٢٨١	١٧	حمله الملائكة	حمل الملائكة
٢٣٢	١	إذ اقتص	إذا اقتص	٢٨١	٢٥	نفصل	انفصل
٢٣٤	٦	العدو وقال	العدو قال	٢٨٢	١	بها مصاحبا	بهم ومصاحبا
٢٣٦	٢٠	ما سبق	ما سبق	٢٨٢	١٠	نفاخا	نفاخا
٢٤١	١٧	كالمنصرةوالتسترة	كالتصرةوالتسترة	٢٨٤	١٢	وذلك تعالى	وذلك قوله تعالى
٢٤٠	١٠	أدلت	أهلت	٢٨٥	٣	أولم يدفعهم	أو لولم يدفعهم
٢٤٤	٣	وبالتلبية	أو بالتلبية	٢٨٥	١١	وما فيه معنى	وما فيه من معنى
٢٤٤	١٩	يتبرأوا	فيتبرؤا	٢٨٦	١٤	بالمقدس	بالقدس
٢٤٨	٣	ثبت	ثبت	٢٨٧	١٥	مصيرها	مصيرها
٢٤٨	٢٧	الشراء	الشرى	٢٨٨	٢٢	الأرض	والأرض

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب	صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٢٩٠	١	تناء	أثناء	٣١٩	٢٢	ا قبله	لما قبل
٢٩٠	١٨	وبكل	أو بكل	٣٢٠	١١	و بقوله تعالى	وقوله تعالى
٢٩٠	٢١	لتوفقه	لتوفقه	٣٢٠	١٤	تتحقق	تحقق
٢٩٠	٢٤	الفصم	القصم	٣٢١	٥	ولا تخمل	ولا تحمل
٢٩٢	٦	وألم	أو ألم	٣٢١	٨	نجم	ينجم
٢٩٢	١٠	لتأييده	بتأييده	٣٢٣	١٥	مدراسهم	مدارسهم
٢٩٦	٤	تقضى	تقتضى	٣٢٥	٢	وتقسيمهم	وتقسيمتهم
٢٩٧	٢	من قراءة	من قراءه	٣٢٧	٦	بل هي	بل هو
٢٩٩	١٢	وفى الاراضى	فى الأراضى	٣٢٧	١٠	فطراه	قطراه
٣٠٠	٤	إلا أنه	لا أنه	٣٢٧	٢١	ثم عافا معتفا	ثم علقا ثم معتفا
٣٠٠	٢٢	نعت لمقدر	نعت لمصدر	٣٢٨	١٩	كان ذلك	فان ذلك
٣٠٤	١٣	أى مغفرة كائنة	أى مغفرة [illegible]	٣٢٨	٢٥	أخر متشابهات	[illegible]
٣٠٥	٧	حكمها	حكمهما	٣٢٨	٢٨	ببعض الآيات	به الآيات
٣٠٥	٢٤	بالنذر	بالنذور	٣٢٩	١٦	أن يفتن	أن يفتنوا
٣٠٧	٢٠	عن الثواب	من الثواب	٣٢٩	٢٦	الدثيا	الدنيا
٣٠٧	٢٣	صربا	ضربا	٣٢٩	٢٧	أى المتشابه	أى بالمتشابه
٣٠٨	١٦	المطبوعات	المطموعات	٣٣٠	٦	من تجود	من تجرد
٣٠٨	١٩	أى لاقياما	أى إلاقياما	٣٣٠	١٠	مقابلة	مقالة
٣٠٨	٢١	أى الجنى	أن الجنى	٣٣١	١٨	بالناطقة به	الناطقة به
٣٠٩	٢٦	صميرهم	ضميرهم	٣٣١	٢٧	منه قوله	ومنه قوله
٣١٢	٣	كتبه	كتبة	٣٣١	٢٨	الجد	ذا الجد
٣١٣	٢٥	مبيان	مبينان	٣٣٢	٢	نفيه	لنفيه
٣١٤	٦	أحكامها	إحكامها	٣٣٤	٢٤	كثيرة	كثير
٣١٤	١٧	أو فالذى	أى فالذى	٣٣٥	١٢	وست اذرع	وست أذرع
٣١٤	٢٥	قبل	قبل	٣٣٨	٢	أوخبركم	أأخبركم
٣١٥	٢٧	أى يغفر	أن يغفر	٣٤٠	٤	الجالة	الحالة
٣١٧	٨	كأنها	كأنهما	٣٤١	٢١	لله	(لله)
٣١٧	١٣	هو من إضافتهم	هو إضافتهم	٣٤١	٢٦	وصف	وصفى
٣١٧	١٤	نجيشها	نجيشهما	٣٤٣	١٠	ما يأتى	من يأتى
٣١٨	١٨	عليه	عليه	٣٤٥	١	حقيقة	حقيقى
٣١٩	٦	وقرىء بالتاء	وقرىء بالياء	٣٤٥	٤	أى تدله	أن تدله

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب	صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٤٦	١١	يول	يولى	٣٧٤	٥	ولا يتخذ	(ولا يتخذ
٣٤٧	١٤	بجميع	لجميع	٣٧٤	١١	أو اعترفو	أو اعترفوا
٣٤٧	١٦	عملته من سوء	عملت من سوء	٣٧٤	٢٠	منم	منهم
٣٤٨	١٠	أي يرضى	أي يرض	٣٧٥	٦	لاشتراك	لاشتراك
٣٤٨	١٣	رحيم	رحيم)	٣٧٥	٩	للذين	(للذين
٣٥١	١٢	عليهما الصلاة	عليهم الصلاة	٣٧٦	٨	بيصديق	بتصديق
٣٥٢	١٠	واعتبارها	واعتباره	٣٧٨	١١	التشديد وبلون	بالتشديد وبلون
٣٥٤	٣	وأنتها	(وأنبتها)	٣٨٠	١٥	لما	لمن ما
٣٥٤	٢٧	أي يرزقه	أن يرزقه	٣٨٣	١	المذورين	المذكورين
٣٥٦	١٤	إلى آخر	الى آخره	٣٨٣	٣	لعنت	لعنة
٣٦٠	١٩	الترتيت	الترتيب	٣٨٣	١٢	الجلاس	الحلاس
٣٦١	٨	عندها	عندهم	٣٨٣	٢٠	سورة	صورة
٣٦١	١٠	أقلامهم	وأقلامهم	٣٨٤	٢٢	فقالت	فقال
٣٦١	١١	يكتبون	يكتبون	٣٨٦	١	ليكون	لكون
٣٦٢	١	رقيل	وقيل	٣٩٣	٢٢	بالواجب	بالمواجب
٣٦٣	١٦	يقود	يعود	٣٩٤	١٦	أما أما	أما
٣٦٣	١٨	قل كان	كان	٣٩٤	١٨	الاعتصام	والاعتصام
٣٦٣	٢٢	على ما يعلمه	على يعلمه	٣٩٤	٢١	نعمت	نعمة
٣٦٤	٩	لماثل	المماثل	٣٩٥	٤	متلبسين	ملتبسين
٣٦٦	١	ومخالفه	ومخالفة	٣٩٦	١	التمادى	إلا التمادى
٣٦٦	٢٠	الحلف	الخلف	٣٩٦	٤	ون	كون
٣٦٧	٥	الباء	الياء	٣٩٦	٨	وميكائيل	وميكال
٣٦٧	٧	معنى	بمعنى	٣٩٦	٢٢	لتأمرن ولتنهن	لتأمرون ولتنهون
٣٦٧	١٣	كانو	كانوا	٣٩٧	٢٤	وفبه	وفيه
٣٦٨	٤	متة	منه	٣٩٧	١٥	بوم	يوم
٣٧١	١٣	فيونيهم	فنوفيهم	٣٩٨	٩	السياق	السياق
٣٧١	١٥	الكثابة	الكتابة	٣٩٨	١٢	إمكانها	مكانها
٣٧١	٢٤	أو الحكم	أو المحكم	٣٩٩	٢٢	بهز	بهز
٣٧٢	١٩	المتصدون	المتصدون	٤٠٢	٧	عليه	عليهما
٣٧٢	٢١	برعوا	يرعووا	٤٠٣	٢٨	بالمتقين	بالمتقين
٣٧٣	٣	لعنت	لعنة	٤٠٧	١٢	احتج	احتج

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب	صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٠٧	١٧	بن سلول	ابن سلول	٤٤٩	٥	ثمان	ثماني
٤٠٨	٢٦	إظهار	و إظهار	٤٥٠	١	وخافون	وخافوني
٤٠٩	١٧	لتشريفه	لتشريفه	٤٥١	١٨	لحاصل	الحاصل
٤١٠	١٠	المشرون	المشركون	٤٥١	٢٠	بيان	ببيان
٤١٣	٨	عليه	عليهم	٤٥٦	١٥	تعالى	سبحانه تعالى
٤١٣	٩	تبين	تبين	٤٥٦	٢١	حتى	حين
٤١٧	٩	يسبح	يسبح	٤٥٦	٢٢	قال	وقال
٤١٧	٢٣	مافعلهم	فعلهم	٤٥٦	٢٣	عنقك	عنقك
٤١٩	٧	ونه	كونه	٤٥٨	١٢	أحر	أخر
٤٢٠	١٤	معاودتهم	معاودتكم	٤٦١	١٠	على على	على
٤٢١	٨	الكافرين	والكافرين	٤٦١	١٣	دلائل	دلالة
٤٢٢	١٣	المفضل	الفضل	٤٦٢	٢١	مبينة	[illegible]
٤٢٢	٢٤	تحقيق	تحقق	٤٦٤	١٢	غرور	غرر
٤٢٤	٢٠	عليهم	اليهم	٤٦٦	٦	يذكرنه	يذكرونه
٤٢٦	٢٠	مؤجلا	موجلا	٤٦٦	١٧	وحقيقة	وحقيقة
٤٢٧	١٠	كان	كأن	٤٦٨	٢	سم	ثم
٤٢٨	١٥	و يضعفهم	و بضعفهم	٤٧٢	٧	الكل	الكل بالكل
٤٢٨	٢٣	وما كان	ما كان	٤٧٤	٨	ليطمئن	ليطمئن
٤٢٨	٢٧	لهمهم	لهممهم	٤٧٤	٩	مع الأمر	مع أن الأمر
٤٢٩	١٤	البيان	البيان	٤٧٤	١١	والتعلق	والتعلق
٤٣٣	٦	وأسماءكم	واسماكم	٤٧٥	٣	لايقطر	لا يفطر
٤٣٧	٢٥	ماء	مساء	٤٧٧	١١	عل	على
٤٣٨	١٥	اللائمية	اللائمة	٤٧٩	٢٣	وقال	وقالا
٤٣٩	١	عرمت	عزمت	٤٨٠	٢١	عنه	منه
٤٤١	٦	مال	ماسأل	٤٨١	٢١	لا بتنائها	لابتنائهما
٤٤١	١٢	يعلمون	يعملون	٤٨٣	١٩	الميء	المنبيء
٤٤٢	٦	المثقلة	المثقلة	٤٨٣	٢١	انساغه	انسياغه
٤٤٤	١	وقاقاوا	و قاتلوا	٤٨٤	١٤	الاليا	الأولياء
٤٤٥	٢٨	لايموتوا	لا تموتوا	٤٨٥	٥	أحس	أحسن
٤٤٦	١١	الأبوية	الأبدية	٤٨٥	٨	وبعضها	وبعضهما
٤٤٧	٢٠	بالحسنى	الحسنى	٤٨٦	٢١	تحدى	التحدي

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب	صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٤٨٧	٢٦	امرهم مراعاة	مرهم بها مراعاة	٥١٤	١٣	عنه	عنها
٤٨٨	١٧	الموث	المورث	٥١٦	٥	العباد	العبادة
٤٨٨	١٨	الوصفية	الوصية	٥١٦	١٣	رفع	ورفع
٤٩٠	٢٥	قبل	قيل	٥١٧	٢١	القسوة	القوة
٤٩١	٢٥	كما فى فصل	كما فصل	٥٢١	٥	مشركوا	مشركو
٤٩٢	٢٨	ولت	كون	٥٢١	٨	تك	تلك
٤٩٤	١٩	بالمبارزة بالاهمال	بالفرار بالاهمال	٥٢١	٣٣	الثقة	الثقل
٤٩٦	١٨	مبالغة	مبالغا	٥٢٣	١٤	أن تسوى على	أن تسوى بهم الارض وقرىء تسوى على
٤٩٧	٢٣	يغرر	يغرغر	٥٢٤	٢١	فان	بان
٤٩٩	١٩	البيت	المبيت	٥٢٥	٦	فى استعمال	باستعمال
٤٩٩	٢٥	واقفة	رافعه	٥٣٣	٢٦	الوصول	الموصول
٥٠١	١	الآية	الآية	٥٣٥	١٧	الطاغوت	والطاغوت
٥٠٢	١٨	والمرضعة	والمراضعة	٥٣٥	٢٧	مسيرهم	مصيرهم
٥٠٢	٢٤	يحل	يخل	٥٣٦	١٠	عن ذلك	من ذلك
٥٠٤	٢١	ويجوز	يجوز	٥٤٤	٨	طاعته	طاعتك
٥٠٥	٣	الصادر	الصاد	٥٤٤	١٢	عل	على
٥٠٥	١٤	الصنعة	الصفقة	٥٤٤	١٤	فسرا لوجدان	فسر الوجدان
٥٠٦	١٣	وزجها	وزوجها	٥٤٥	٦	اسق جارك يازبير	أسق يا زبير
٥٠٧	٢٣	فالفاء	والفاء	٥٤٥	٢٤	خبرا	خيراً
٥٠٨	٢٣	معمول	مفعول	٥٤٥	٢٥	وأشد	أو أشد
٥١٠	١٤	الزناء	الزنا	٥٤٥	٢٨	القدى	القدس
٥١٠	٢٤	والشرط	فالشرط	٥٤٦	١٩	ورى	وروى
٥١٠	٢٧	المنت	العنت	٥٤٦	٢٤	الحنة	الجنة
٥١٠	٢٨	بالمآثم	المآثم	٥٤٦	٢٧	جماعة ورى الرجل	جماعة وروى الرجل
٥١١	١٢	على نكاحهن	عن نكاحهن	٥٤٩	١٧	على العدو يخدف	عن العدو بخوف
٥١١	٢٠	بعدما	بعدها	٥٥٠	٢	على من هو	على غير من هو
٥١٢	١	إذ أتيتم	إذا أتيتم	٥٥٠	١٤	اى لكن	أى لكن
٥١٢	٨	أراده	إرادة	٥٥٦	٨	معرفتهم	معرفتهم
٥١٤	١	ليكن	ليكون	٥٥٦	١٧	ولو	ولو لا
٥١٤	٢	القبل	القتل	٥٥٧	١٣	تعلم	أى تعلم
٥١٤	٣	أوما	وما	٥٥٨	٥	المنافقون	المنافقين

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب	صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
٥٦٠	٣	حيا	حيي	٥٩٣	١٧	وتعالى	تعـــالى
٥٦٢	١٦	الحكم	الحــــكم	٥٩٤	٤	(شهداء الله	(شهداء لله)
٥٦٣	١١	استثنا	استثناء	٥٩٥	٥	بنى	ابنى
٥٦٣	٢٢	صورهم	صدورهم	٥٩٥	٢٨	واو يغفر	ولم يغفر
٥٦٤	٢١	وعلى	أو على	٥٩٦	١٢	عزه علا	عز وعلا
٥٦٤	٢٧	ربعة	ربيعــــة	٥٩٧	٢٦	ويغنكم	وغنمكم
٥٦٥	١٩	فعل	فعــلى	٥٩٨	٣	سبق	سبق
٥٦٧	١١	وبنحو	ونحو	٥٩٨	٢١	مذبذبين	مذباذبين
٥٦٧	٢١	فقلت	قلت	٦٠٣	٢٧	اليهرد	اليهود
٥٧٠	١٠	قبله	قلبــــه	٦٠٤	٩	اقى	(اقى
٥٧٢	١٠	ومغرة	ومغفرة	٦٠٤	٢٧	للحجاج	لى الحجاج
٥٧٢	٩	وأدرباهم	وأدبارهم	٦٠٥	١٧	بنجم	ينجم
٥٧٧	١٣	مطق	مطاق	٦٠٧	٢٥	جمع ســـمربور	جمع ســـمربور
٥٨٠	١٠	المسابقة	المسايفة	٦٠٩	١	مقتصية	مقتضية
٥٨٠	١٤	المسابقة	المسايفة	٦٠٩	١٠	من قبلك	من قبله
٥٨١	٢٥	يستحيا	يستحيي	٦٠٩	٢٣	وكان الله عزيزا	(وكان الله عزيزا)
٥٨٢	٣	مبنية	مبينة	٦١٢	٢٠	هو	هو الذى
٥٨٣	١٦	) ثم	(ثم يرم به)	٦١٧	٨	رضى	رضى الله
٥٨٤	٢٧	ونجعله	ونخذله	٦١٨	١٠	رجالاونساء	(رجالاونساء)
٥٨٥	٢	ورى	وروى	٦١٨	١٤	إلا أن	أن
٥٨٥	٢٠	للملابسة	للملامسة	٦١٨	٢٧	موقع	مواقع

هذا كل ما عثرت عليه فى صفحات الجزء الاول المؤلف من ثمانين ملزمة مفردة لجنة التصحيح التابعة للجمعية العلمية المنتخبة من خيرة العلماء وهم حضرات المحترمين الشيخ حسن المادى . والشيخ فراج الأسيوطى . والشيخ عبد اللطيف البيلاوى الازهريين وحلمى افندى السيد بدار العلوم . والحاج عبد الله المدنى الملايوى مع إشرافى بصفتى مدير الجمعية الساهر على تقدمها ورقيها فى عالم الطباعة وللقارئ المنصف الحكم بعد الاطلاع على هذه الزيادات المطبعية التى لم يسلم منها كتاب فى المعمورة وإن [illegible] المعوذ [illegible] وجهدنا إلا رضاء الجواد الكريم حسبنا الله وكفى . وسلام على عباده الذين اصطفى

مدير الجمعية سعيد الوصيف محمد